ديوان

أمية بن أبي الصلت

جَمْعُ وَتحقيق وَدِرَاسَة

صنعَة

الدكتور عبد الحفيظ السطلي

مدرّسُ الأدَبِ الجاهِليّ

في جَامعَةِ دمَشق



ديوان

أمية بن أبي الصلت

جمع وتحقيق ودراسة

صنعة

الدكتور عبد الحفيظ السطلي

مدرس الأدب الجاهلي

في جامعة دمشق



مقدمة

إن شعر أمية بن أبي الصلت له أهمية خاصة في الشعر الجاهلي ، لكثرة مادار حوله من جدل ، ولما يبرز فيه من مشكلات أساسية ، يمكن أن تكون منطلقاً لدراسة نظائرها في أدب ما قبل الاسلام ، وبما أن أمية في مقدمة جماعة الحنفاء ، فدراسته أشبه بدراسة لهذه الجماعة ، وتحديد لعقائدها واتجاهاتها الفكرية أو الأدبية .

وعلى الرغم من هذا ، فإن ما جُمع من أشعار أمية ، لم يلق من العناية ما يستريح إليه الباحث ، لأن من تصدى لجمع أشعاره في ديوان حديث ، لم ينج من العثار في منهج الجمع والتحقيق ، ولم يعن بالوقوف على شيء من مشكلات هذا الشعر ، ولاسيما تمييز الموثق فيه من المتهم . ولهذا كان لابد لديوان أمية من جمع علمي ، وتحقيق دقيق ، ودراسة واسعة تعالج مشكلاته المتعددة .

وكنت على صلة وثيقة بأمية منذ سنوات خلت ، إذ قمت سنة ١٩٥٩ بدراسة حول أمية « حياته وشعره » ، وتقدمت بها إلى جامعة دمشق لتكون رسالة للإجازة في الآداب ، يوم كان نظام الجامعة يتطلب ذلك . ولكن هذه الدراسة لم تكن مقنعة لي ، لأنها لم تعتمد على ديوان محقق لأشعار أمية ، إلا أنها كشفت لي ضرورة العودة إلى جمع هذا الديوان وتحقيقه تحقيقاً علمياً دقيقاً قبل أن يدرس من جديد ، ومن ثم جعلت « شعر أمية : جمع وتحقيق ودراسة » موضوعاً لرسالة للماجستير تقدمت بها إلى جامعة القاهرة ، ونوقشت سنة ١٩٦٤ ، ومن خلالها عدت إلى ديوان أمية فجمعته على أسس علمية ، وعمدت إلى تحقيق أشعاره بدقة ، ثم قمت بدراسة واسعة لها .

ومنذ ذلك الحين كان ثمة إغراء يدعوني إلى طبع ذلك العمل ، ولكنني آثرت أن أروّي فيه ، إيماناً بأن هذا الديوان كان مايزال بحاجة إلى مزيد من البحث والتنقيب ، وثقة بأن مادة جديدة ستضاف إليه من خلال تلك المصادر الكثيرة التي ألجأني إليها رجز العجاج ومن إليه من مشاهير طبقته . فلما فرغت من العجاج ، عدت إلى أمية بزاد وفير ، فكان لابد من إعادة النظر في مواضع من الدراسة السابقة ، والعودة إلى صنع الديوان من جديد في معظم الأحيان .

وفي هذا الكتاب حافظت على وحدة العمل ، فقدمته في قسمين : الأول دراسة لحياة أمية وأشعاره ، والثاني جمع وتحقيق لديوانه .

أما الدراسة فجعلتها في خمسة فصول وتمهيد موجز ذكرت فيه لمحة عن عقائد الجاهليين قبيل الاسلام ، ثم تحدثت عن جماعة الحنفاء بوجه خاص . والفصل الأول تناولت فيه حياة أمية وما يتصل بذلك من أسرته ونشأته وعقيدته وشخصيته وأخبار وفاته . والفصل الثاني اختص بمصادر شعر أمية ، فتحدثت فيه عن ديوانه ، ورواية أشعاره ، ودوران شعره في مصادر القرنين الثاني والثالث ، ثم في مصادر ما بعد القرن الثالث . والفصل الثالث كان لتوثيق شعر أمية ، فتحدثت فيه عن قدم الوضع والانتحال عليه ، وآراء المحدثين في ذلك ، ثم حاولت الفصل بين شعره الموثق والشعر المضاف إليه ، فناقشت الأشعار المضطربة بينه وبين غيره من الشعراء ، ثم قمت بنقد داخلي لسائر أشعاره . والفصل الرابع جعلته لموضوعات شعره ، فتحدثت عن الشعر الديني ، والمديح والرثاء ، ثم ما لديه من موضوعات أخرى كالنسيب والفخر والعتاب والوصف . والفصل الخامس تناولت فيه الخصائص الفنية في شعره ، فتحدثت عن الخصائص المعنوية ، ثم الخصائص اللفظية . وأنهيت الدراسة بخاتمة لخصت فيها ماورد في فصول الدراسة من أبحاث ونتائج .

وأما القسم الثاني ، وهو جمع الديوان وتحقيقه ، فقد حاولت فيه أن أتبع منهجاً يقي من الأخطاء ، التي وقعت في المجموعات السابقة ، فجعلت ترتيب القصائد في الديوان على حروف المعجم ، وصنفت أبيات كل قصيدة على نحو

يُشعر بجمعها من مصادر متفرقة ، ويشير إلى ما بينها من انقطاع ، وذكرت مصدر كل رواية أثبتها في المتن ، ثم أشرت إلى مصادر الروايات المخالفة في الحواشي ، وضبطت الأبيات بدقة ، وشرحت الغامض من لغتها ومعانيها ، وأوردت بعض الأساطير أو الأخبار التي لاتفهم بعض الأبيات إلا بها ، وعُنيت في الأشعار المتهمة برد كل بيت إلى الآيات القرآنية التي تأثر بها أو نظم على غرارها ، ثم فصلت بين الروايات والشروح بـ (–) تسهيلًا للتمييز بين هذه وتلك .

وقد أغفلت النص على الروايات المخالفة في المجموعات الحديثة لشعر أمية ، إن كانت وليدة تحريف أو تصحيف ، ولكنني أثبت منها ما وجدتُ فيه فائدة أو تصويباً . وقد أشرت إلى مجموعة بشير يموت بـ « مجموعة بيروت » ، وأشرت إلى مجموعة شولتهيس بـ « مجموعة ليبزيغ » ، ولكن هذه الأخيرة تحرفت في بعض المواضع فجاءت « مجموعة ليدن » والمراد بها « ليبزيغ » .

وقد ألحقت بالديوان الأشعار التي رُويت لأمية وليست له ، ثم وضعت تخريجاً مفصلًا لقصائد الديوان وملحقاته ، فذكرت مصادر كل قصيدة ، وما يتصل بها أحياناً من أخبار أو اختلاف في عزوها إلى أمية أو سواه ، ثم أنهيت الكتاب بعدد من الفهارس تسهيلًا للعودة إليه والاستفادة منه .

وقبل أن أفرغ من هذه المقدمة ، لابد لي أن أشكر الأستاذ الدكتور شوقي ضيف لرعايته هذا البحث حين قُدم رسالةً للماجستير ، والأستاذ الدكتور يوسف خليف والأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهواني لاشتراكهما في مناقشة تلك الرسالة ، كما أشكر أيضاً بعض أصدقائي للمساعدة في إعداد فهارس الكتاب وتصحيح أصوله .

هذا وكل ما أرجوه أن أكون قد وُفقت إلى ماقصدت إليه ، وبالله استعنت والله خير معين .

دمشق ٢٠/١/١٩٧٤ **عبد الحفيظ السطلي**



القسم الأوّل

الدراسة







قبل أن نشرع في دراسة هذه الشخصية من تاريخنا الأدبي ، ينبغي أن نقف قليلًا عند النزعات الدينية ، التي كانت تحدق بأمية بن أبي الصلت ، وتؤثر في نمط حياته واتجاه تفكيره ، لأن في ذلك عوناً لنا على تفهم كثير من غوامض هذه الشخصية بعد أن غمرها التاريخ ، وكساها غبار الزمن .

والعصر الجاهلي يمتد من حوالي سنة (٥٠٠) إلى (٦٢٢ م) السنة التي هاجر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم[1] ، ولكننا لن نبحث في هذا العصر بحثاً مفصلًا يحاول أن يكشف عن كل كبيرة وصغيرة فيه ، إذ أن ما يهمنا هو معرفة شيء عن تلك النزعات الدينية قبيل الإسلام ، وفي البيئة التي أثرت في أمية بن أبي الصلت ، لما في ذلك من ارتباط وثيق بحياته وعقيدته وموضوعات شعره ، فقد عُرِف عنه التألُّهُ وطَلَبُ الدّين ، ولا يمكن أن نقف على جانب التأله لديه ونحن بمعزل عما كان يحيط به يومئذ من عقائد أو اتجاهات دينية مختلفة .

وهذا لا يعني أن من واجبنا دراسة الحياة الدينية في الجزيرة بكل ما فيها من تفصيل ، فمثل هذه الدراسة قد ينفعنا ، بيد أنه يخرجنا عن موضوع التمهيد لدراسة حياة أمية وشعره . ولهذا نجد أنفسنا ملزمين بتمهيد موجز يتناول أهم ما يتصل بموضوع هذه الدراسة .

ومن السائد أن عرب ما قبل الإسلام كانوا على جانب عظيم من الانحطاط في

---

(١) انظر Hitti, History of the Arab, ed. I, P. 87 .
Nichlson, A Litrary History of the Arab P. 71 .

تفكيرهم الديني ، بل ربما ذهب الظن إلى أن تفكيرهم الديني لايسمو عن تفكير القبائل البدائية [١] ، وهذا أمر ينقضه ما عرف عن جزيرة العرب في ذلك الحين، من عقائد دينية مختلفة ، منها ما كان ينبثق من طبائع التفكير العربي ، ومنها ما كان أثراً من آثار اتصال الجزيرة بجيرانها . ولهذا كان لابد من وجود عدد من النزعات الدينية ، تتمثل في بعض الملل أو المعتقدات السائدة بين القبائل أو الأفراد . فالأصنام طاغية على الجزيرة ، وعبادة الشرك سائدة فيها ، وكل ملة تجد لنفسها مكاناً إما بين العرب أنفسهم كالنصرانية أو بين العناصر غير العربية كاليهودية والصابئة .

وأول مايهمنا من هذه النزعات الدينية جميعاً ، هو تلك الجماعة أو الأفراد ، الذين نهضوا يعيبون ما كان عليه قومهم من شرك ، ويربؤون بأنفسهم أن يتقربوا إلى صنم ، أو ينالوا شيئاً من مفاسد ذلك المجتمع ، وقد عُرف هؤلاء باسم « الأحناف » أو « الحنفاء » . ومَردُّ اهتمامنا بهذه الجماعة ، ما سنراه من إجماع الرواة وأهل الأخبار على أن أمية بن أبي الصلت كان « حنيفياً » ، بمعنى أنه واحد من هذه الجماعة ، ولا يمكن أن نفهم هذا الجانب المهم من حياته وشعره ، إذا لم نقف منذ البداية على حقيقة هذه الجماعة ، وما كانت عليه من اتجاهات دينية معينة.

وإذا أردنا البحث عن معتقدات عرب ما قبل الإسلام ، لم يكن من اليسير الهين أن نخرج بالحكم القاطع ، والرأي الفصل ، ذلك لضياع معظم الوسائل التي تكشف لنا عن حقيقة ذلك العصر ، فلا وثائق ولا مدونات ، ولا منقولات يمكن أن يثق بها الباحث ثقة كاملة . ومع ذلك فالقرآن أقدم مرجع في دراسة حالة العرب الدينية قبل الإسلام ، وهو بما لقيه من عناية في الحفاظ عليه ، يعتبر أصدق مرجع فيما تناوله من أحوال العرب في ذلك الحين .

وقد نص القرآن على الأديان التي كان للعرب اتصال بها في ذلك العهد ،

---

(١) قارن بتاريخ العرب قبل الاسلام ٥ : ٢٩ .

ففي سورة الحج : « إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئين ، والنصارى ، والمجوس ، والذين أشركوا ، إن الله يفصل بينهم يوم القيامة [١] » . في سورة المائدة : « إن الذين آمنوا ، والذين هادوا والصابئون والنصارى ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون [٢] » . وفي سورة البقرة : « إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون [٣] » .

وهذه الأيات تشير إلى أن العرب قد عرفوا اليهودية [٤] ، والنصرانية[٥]، والصابئة[٦]، والمجوسية[٧] . وثمة إشارات في آيات أخرى إلى أن بعضهم قد عبد الجنّ أو الملائكة لتشفع لهم عند الله [٨] ، وأما دهماؤهم فكانت من أهل الشرك والأصنام.وأهل الشرك كانوا طوائف مختلفة ، قال فيها الشيخ عبد الرازق : « وأما المشركون ، فهم طوائف مختلفة : فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني ، وهم الذين أخبر عنهم القرآن في قوله : « وقالوا إن هي إلاّ حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين [٩]» ،وقوله :

---

(١) سورة الحج ٢٢ : ١٧ .
(٢) سورة المائدة ٥ : ٧٢ .
(٣) سورة البقرة ٢ : ٦٢ .
(٤) ارجع إلى الجزء السادس لجواد علي ، وانظر (**Nicholson P. 137**) وتاريخ الطبري ١ : ٥٣٢ ومابعدها ، وتاريخ اليعقوبي ١ : ١٦١ .
(٥) ارجع إلى الجزء السادس لجواد علي ، وانظر تاريخ الطبري ٣ : ١٠٣ (الحسينية) ، والسيرة ١ : ٣٢–٣٣ ، و٢ : ٣٣ ، ٣٣٩ ، والبداية والنهاية ٢ : ١٦٨ .
(٦) ارجع إلى جواد علي ٥ : ٣٦٨ ، وتاريخ ابي الفداء ١ : ٨٦ .
(٧) ارجع إلى جواد علي ٦ : ٢٨٥ .
(٨) انظر سورة سبأ ٣٤ : ٤٠ – ٤١ ، وسورة الصافات ٣٧ : ١٥٨ ، وسورة الزخرف ٤٣ : ١٩ – ٢٠ ، وسورة الأنبياء ٢١ : ٢٦ – ٢٨ ، وسورة الكهف ١٨ : ١ – ٥ . وارجع الى كتاب الأصنام ٣٤ ، وتفسير الطبري ٢٣ : ١٠٧ – ١٠٨ (البابي الحلبي) .
(٩) سورة الانعام ٦ : ٢٩ .

« وقالوا : ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهرُ ، وما لهم بذلك من علم ، إنْ هم إلا يظنون[١] » .

وصنف أقر بالخالق وأثبت حدوث العالم وأنكر البعث والإعادة ، وهم الذين أخبر عنهم القرآن في قوله : « وضرب لنا مثلا ونسي خَلْقَه ، قال : مَن يُحيي العظامَ وهي رميم ، قل : يحييها الذي أنشأها أول مرة ، وهو بكل خَلْق عليم[٢] » .

ومنهم من أقروا بالخالق ، وأثبتوا حدوث العالم وابتداء الخلق ، وأقروا بنوع من الإعادة ، وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام ، وهم الدهماء من العرب ، وهم الذين حكى الله قولهم في آية : « ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ، ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون »[٣] »[٤].

وقد لاحظ الشيخ مصطفى عبد الرازق بحق أن هذه الأديان والنحل كان بينها جدال ونزاع ، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم في عدد من الآيات[٥] ، وكان هذا الجدل : « يتناول بالضرورة شؤون الألوهية والرسالة والبعث والآخرة والملائكة والجن والأرواح ، ويدعو إلى الموازنة بين المذاهب المختلفة في تلك الشؤون . وقَوِيَ أمر هذا الجدل الديني في ذلك العهد ، حتى تولدت نزعة ترمي إلى تلمس دين إبراهيم أبي العرب[٦] » . وفي مقدمة أصحاب هذه النزعة جماعة

---

(١) سورة الجاثية ٤٥ : ٢٤ .
(٢) سورة يس ٣٦ : ٧٨ – ٧٩ .
(٣) سورة الزمر ٣٩ : ٣ .
(٤) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ١٠٢ . وانظر الدين والوحي والاسلام لمصطفى عبد الرازق ٢٧ – ٢٨ .
(٥) انظر مثلا البقرة ٢ : ١١٣ ، والتوبة ٩ : ٣٠ .
(٦) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ١٠٤ .

عُرفوا « بالأحناف » أو « الحُنَفاء » ، وهم الذين طلبوا دين إبراهيم وبحثوا عنه .

وقد أشار القرآن في آيات كثيرة إلى « ملة إبراهيم[١] » ، بمعنى دين إبراهيم ، ووصف إبراهيم بأنه كان « حنيفاً » في بعض الآيات[٢] ، وأصر على وصفه بأنه كان « حنيفاً وما كان من المشركين » في آيات أخرى[٣] ، ومن ذلك ماجاء في سورة البقرة : « وقالوا : كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ، قل : بل ملةَ إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين[٤] » ، وفي آل عمران : « قل : صدق الله فاتّبعوا ملة إبراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين[٥] » ، وفي الأنعام : « قل : إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ، ديناً قيّماً ، ملةَ إبراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين[٦] » .

وثمة مايشير إلى أن عرب ما قبل الإسلام كانوا يزعمون أنهم على دين إبراهيم رغم ما كانوا عليه من الشرك ، وقد أشار الطبري إلى ذلك في تفسيره آية النحل « ولم يك من المشركين » ، فقال : « ولم يك يشرك بالله شيئاً ، فيكون من أولياء الشرك به ، وهذا إعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش ، أن إبراهيم منهم بريء ، وأنهم منه براء[٧] » . وفي اللسان : « وقال أبو عبيدة في قولة عزّ وجلّ : قل بل ملة إبراهيم حنيفاً ، قال : من كان على دين إبراهيم ، فهو حنيف عند العرب ، وكان عبدة الأوثان في الجاهلية يقولون : نحن حنفاء

---

(١) انظر سورة البقرة ٢ : ١٣٠ ، وسورة يوسف ١٢ : ٣٨ ، وسورة الحج ٢٢ : ٧٨ .
(٢) انظر سورة النحل ١٦ : ١٢٠ ، وسورة آل عمران ٣ : ٦٧ .
(٣) انظر سورة النساء ٤ : ١٢٥ ، وسورة النحل ١٦ : ١٢٣ .
(٤) سورة البقرة ٢ : ١٣٥ .
(٥) سورة آل عمران ٣ : ٩٥ .
(٦) سورة الأنعام ٦ : ١٦١ .
(٧) تفسير الطبري ١٤ : ١٩٠ .

على دين إبراهيم[١] » ، وأورد صاحب التاج قول أبي عبيدة ، ثم قال : « وقال الأخفش : وكان في الجاهلية يقال : من اختتن وحَجَّ البيتَ ، قيل له : حنيف؛ لأن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين إبراهيم غير الختان وحج البيت. وقال الزجاجي : الحنيف في الجاهلية من كان يحج البيت ويغتسل من الجنابة ويختتن ، فلما جاء الإسلام كان الحنيف المسلم لعدوله عن الشرك[٢] » ، ونقل الطبري بسنده عن عبد الله بن القاسم ، قال : « كان الناس من مضر يحجون البيت في الجاهلية يسمون حنفاء ، فأنزل الله تعالى ذكره : حنفاء لله غير مشركين به[٣] » .

وثمة أخبار يمكن أن تشير إلى ذلك أيضاً[٤] ، ولا سيما أن دين إبراهيم لم ينقرض تماماً بين عرب الجاهلية رغم ما كانوا عليه من الشرك ، وإنما بقيت منه أمور كان يحترمها العرب قاطبة ، وقد لخص ابن الكلبي هذه البقايا في حديثه عما كان للعرب من أصنام وأوثان ، فقال : « وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتنسكون بها : من تعظيم البيت ، والطواف ، والحج ، والعمرة ، والوقوف على عرفة ومُزْدَلِفة ، وإهداء البُدْن ، والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ماليس منه ، فكانت نزار[٥] ، تقول إذا ما أهَلّت : لبيك اللهم لبيك ! لبيك لاشريك لك ، إلاّ شريك هو لك ، تملكه وما ملك ! ويوحدونه بالتلبية ، ويدخلون معه آلهتهم[٦] ، ويجعلون ملكها بيده[٧] » .

---

(١) اللسان ، مادة (حنف) .
(٢) التاج ، مادة (حنف) .
(٣) تفسير الطبري ١ : ٥٦٥ .
(٤) انظر طبقات ابن سعد ٣ : ١ ص ٢٧٧ ، والسيرة ١ : ٢٤٤ ، و١ : ٢٣٧ — ٢٣٨ ، و٤ : ٥٥ .
(٥) ابن كثير يجعل ذلك من قول كنانة وقريش ، انظر البداية والنهاية ٢ : ١٨٨ . واليعقوبي يجعله من قول قريش ، انظر تاريخه ١ : ٢١٢ .
(٦) عبارة ابن كثير في البداية والنهاية : « فيوحدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه اصنامهم ويجعلون ملكها بيده » .
(٧) كتاب الأصنام لابن الكلبي ٦ — ٨ . وانظر تقديس العرب للكعبة في كتاب

وعلى الرغم من وجود هذه البقايا ، فدين إبراهيم كان غامضاً في عقائده بعد أن سلف عليه أمد من الدهر ، ولهذا قام جماعة يبحثون عنه ، ويطلبون الكشف عن حقيقته وجوهر تعاليمه ، وهؤلاء هم الذين عُرفوا باسم الحنفاء أو الأحناف ، نسبة إلى بحثهم عن دين الحنيفية وإيمانهم به مجرداً من مفاسد ذلك العصر .

والمفسرون وأهل اللغة على خلاف في تأويل كلمة « الحنيف » . أما في اللغة فأصل « الحَنَف » هو « المَيْل » ومنه جاءت كلمة « الحنِيف » ، قال أبو عمرو : « الحنيف : المائل من خير إلى شر أو من شر إلى خير » . وإلى هذا المعنى ذهب الزجاج ، فقال : « ومعنى الحنيفية في اللغة الميل ، والمعنى أن إبراهيم حنَف إلى دين الله ودين الإسلام ، وإنما أُخذ الحنَف من قولهم رَجُلٌ أَحْنَف ورِجْلٌ حَنْفاءُ ، وهو الذي تميل قدماه كُلٌّ واحدة إلى أختها بأصابعها » . وذهب بعضهم إلى أنّ أصْلَ « الحنَف » في اللغة « الاستقامة » وإنما قيل للمائل الرِّجْلِ « أَحْنَفُ » تفاؤلا له بالاستقامة ، كما قيل للمهلكة من البلاد « مفازة » بمعنى الفوز بالنجاة منها والسلامة ، وكما قيل للديغ « سليم » تفاؤلا له بالسلامة من الهلاك [١] .

وأما أهل التفسير فقد قال بعضهم بمثل ماقال به أهل اللغة ، وذهب بعضهم إلى آراء مختلفة لامجال إلى بسطها ، وقد عرض الطبري لها جميعاً ثم رجح أن يكون « الحنيف » هو المستقيم على دين إبراهيم واتباعه على ملته [٢] ، غير أن وصف إبراهيم في عدد من الآيات [٣] بأنه كان « حنيفاً » يرجح أن يكون

الأصنام ٤٥ ، والسيرة ١ : ٤٤ ، و١ : ٨٥ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١١٠ ، والحيوان ٣ : ١٤٠ .

(١) اللسان ، والتاج ، مادة « حنف » .

(٢) تفسير الطبري ١ : ٥٦٤—٥٦٦ . وانظر تفسير ابن كثير ١ : ١٨٦—١٨٧ ، و٢ : ٥٩٠ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ١٣٥ ، وآل عمران ٣ : ٩٥ ، والنساء ٤ : ١٢٥ ، والأنعام ٦ : ١٦١ ، والنحل ١٦ : ١٢٠ و١٢٣ ، وآل عمران ٣ : ٦٧ .

المراد بذلك الميل من دين الشرك إلى دين الله ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الحنفاء من بعده ، فقد مالوا عن الشرك والتمسوا دين إبراهيم .

وللمستشرقين آراء في أصل الكلمة ومعناها ، ومنهم من رأى أنها من أصل آرامي ، وأنها كانت معروفة عند النصارى وأخذها الجاهليون منهم ، وأطلقت على القائلين بالتوحيد من العرب[١] . وذهب تُوري (Torrey) إلى أن الكلمة من أصل « حنيف - Hânéf » العبراني ، ورأى ولهوزن أنها سمة لجماعة من الزهاد النصارى عُرفوا بشدة تقواهم وترهبهم فعُرِفوا لذلك بها ، وأن لها صلة بظهورها عند العرب ، ورأى آخرون وجود صلة لها بكلمة « تِحِنُوتْ » العبرانية التي تعني الصلوات وتقابل التحنث في العربية [٢] .

ولكن التحنث قد يكون منقلباً عن التحنف كما لاحظ ابن هشام وصاحبا اللسان والتاج[٣] ، لأن العرب قد تبدل الفاء من الثاء ، ومقابلة التحنف بكلمة « تحنوت » مخالفة لأصول المنهج المقارن في علم اللغة ، لأن « تحنوت » جمع ينبغي أن يجرد من الزوائد قبل إخضاعه للمنهج المقارن ، وإذا جُرّد منها أصبح المفرد المذكر منه « تَحَنْ » ، والمؤنث « تِحِنّا » وكلاهما بعيد بأصواته عن « حنف » . ولذلك نجد كلمة « حَنُوفا - חֲנֻפָּה » هي الكلمة العبرية التي تقابل « الحنف » في العربية ، لأن الأصوات الأصلية في الكلمتين واحدة ، مما يشير إلى أصل سامي مشترك ترجع إليه الكلمتان ، ومن معاني « حَنُوفا » في العبرية « الإلحاد » ، ومنها كلمة « حَنِيف - חָנֵף » في العبرية ، ومعناها مُلْحِد ، وهذا المعنى يشير إلى « مَيْل » عن عقيدة سابقة يدعو إلى وصف صاحبه بالإلحاد ، فالمعنى يبدو متطوراً في العبرية عن أصله السامي ، وربما كان هذا الأصل بمعنى « المَيْل » من أمر إلى آخر ، ثم تخصص في العربية فأصبح يعني

---

(١) Ency, II P. 259 .

(٢) جواد علي ٦ : ٢٩١ .

(٣) اللسان والتاج مادة « حنث » ، والسيرة ١ : ٢٥١ - ٢٥٢ .

الشِّرْك وسائر الملل إلى دين الله وطاعته .

وذهب لويس شيخو وبعض المستشرقين إلى أن الحنفاء شيعة نصرانية خالطت تعاليمَها بعضُ التعاليم من غيرها ، واستدل لويس شيخو على ذلك بما ورد من تَنَصُّر بعض الحنفاء ، وبثلاثة أبيات ورد فيها « الحنيف » بمعنى الراهب على تفسيره[1] . ولكن أدلته لاتكفي للنهوض بما ذهب إليه ، لأن مناقشة الأبيات تُسْقِط الاحتجاج بها جميعاً ، ولأن الرواة وأهل الأخبار كانوا يفرقون بين النصراني واليهودي ، ويشيرون إلى دين هذا وذاك ، أما إذا وقفوا على المتحنف، فهم يذكرون له التحنف دون أن يخلطوه بغيره[2] ، ولو أن الحنفاء شيعة نصرانية لما ميز الرواة وأهل الأخبار بين الحنفاء وغيرهم . والقرآن كذلك قد وصف إبراهيم بأنه حنيفي ، ونص على أنه لم يكن نصرانياً ولا يهودياً ولا من المشركين ، فالتحنف غير النصرانية في القرآن ، والقرآن ـ كما ذكرنا ـ أصدق مرجع فيما تناوله من حياة العرب الدينية في ذلك الحين .

وقد بلغنا أسماء عدد من هؤلاء الأحناف ، ومن ذلك قول ابن هشام في السيرة : « واجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم ، كانوا يعظمونه وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويديرون به ، وكان ذلك عيداً لهم في كل سنة يوماً ، فخلص منهم أربعة نفر نجيّاً[3] . ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض . قالوا : أجل ! وهم ورقة بن نوفل .. وعبيد الله بن جحش .. وعثمان بن الحويرث ..وزيد بن عمرو بن نفيل.فقال بعضهم لبعض : تَعلَّموا والله ما قومكم على شيء ! لقد أخطئوا دينَ أبيهم إبراهيم ! ماحجر نُطيف به ، لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع !

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ١١٨ ــ ١٢٠ .
(٢) انظر المعارف لابن قتيبة ٢٠ ــ ٢١ (المطبعة العامرية الشرقية) ، والبدء والتاريخ ١ : ١٥٠ ــ ١٥١ ، والأغاني ٢ : ٩٧ ، و٣ : ١٢٠ (دار الكتب) ، وأغاني ساسي ٣ : ١٥ ــ ١٧ ، وخزانة الأدب ١ : ٣٤٤ ، وغيرها ..
(٣) النجيُّ : الجماعة يتحدثون سراً عن غيرهم ، ويقع للاثنين والجماعة بلفظ الواحد .

ياقوم ، التمسوا لأنفسكم ديناً فإنكم والله ما أنتم على شيء . فتفرقوا في البلدان يلتمسون دينَ الحنيفية ، دينَ إبراهيم .

وأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها حتى علم علماً من أهل الكتاب ، وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومع امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مُسلمة ، فلما قدمها تنصر وفارق الإسلام حتى هلك نصرانياً .. وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر ، وحسنت منزلته عنده ، واما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان ونهى عن قتل الموؤدة ، وقال أعبد ربَّ إبراهيم ، وبادى قومه بعيب ما هم عليه »[١] .

ومَن تنصر من هؤلاء النفر ليسوا من الحنفاء ، ومن الواجب إخراجهم من هذه الطبقة ، فهم بدأوا بتلمس دين إبراهيم ، ولكنهم باعتناق النصرانية أصبحوا من النصارى ، وطبقة الأحناف تختلف كل الاختلاف عن أهل الكتاب من النصارى واليهود وينبغي ألا يُسلَك فيها غير من عُرف بالتحنف وبقي عليه .

وقد تحدث محمد بن حبيب عمن رفض عبادة الأوثان في الجاهلية والتمس دين إبراهيم ، فلم يتجاوز أولئك الأربعة الذين ورد ذكرهم في نص السيرة ، وكذلك نصَّ ابن حبيب على تحنف عمرو بن زيد ونصرانية سائر أصحابه[٢] ، وهنالك إشارات في مصادر أخرى إلى عدد من الحنفاء أمثال قس بن ساعدة ، وصرمة بن أنس ، وأمية بن أبي الصلت وسواهم .

وإذا أردنا الوقوف على طبيعة هذه الجماعة ، وما لها من آراء دينية ، كان

---

(١) السيرة ١ : ٢٣٧ ومابعدها .
(٢) المحبر ١٧١ — ١٧٢ .

لابد لنا من دراسة ما بلغنا عنها من أخبار أو آثار ، وهذه الأخبار لايمكن أن نثق بها كلَّ الثقة ، لأن نصيب الوضع فيها غير قليل ، ومع ذلك لانملك وسيلة غيرها ، ولهذا فهي تمثل لنا صورة قد تكون قريبة من الواقع ، إن لم تكن تمثل الواقع تمثيلًا حقيقياً .

فمن هؤلاء الحنفاء قُسُّ بن ساعدة الإيادي ، وهو رجل من إياد « تَحَنَّفَ في الجاهلية » ، وفي حديث وفد بكر بن وائل ، يقول ابن سعد في طبقاته : « وقَدِمَ وفد بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رجل منهم : هل تعرف قس بن ساعدة ؟ فقال رسول الله : ليس هو منكم ، هذا رجل من إياد تحنف في الجاهلية ، فوافى عكاظ والناس مجتمعون ، فيكلمهم بكلامه الذي حُفظ عنه »[١] .

ونقل الجاحظ بعض مانُسب إلى قس بن ساعدة ، فقال : « ومن خطباء إياد قس بن ساعدة ، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر ، وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعُوا ، مَن عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آت » . قال الجاحظ : « وهو القائل : يامعشر إياد ، أين ثمود وعاد ، وأين الآباء والأجداد ، أين المعروف الذي لم يُشكر ، والظلم الذي لم يُنكر ، أَقْسَمَ قسٌّ قَسَماً بالله ، إن الله لدين هو أرضى من دينكم هذا »[٢] .

فابن ساعدة « تَحنَّف » في الجاهلية ، ويبدو مما نُسب إليه أنه كان يدعو إلى شيء من التوحيد ، ويقسم « بالله » لابغيره من أصنام العرب ، ويحض على ترك مفاسد عصره كالظلم والأوثان ، ويرفق آراءه بحديث الموت والحساب . وقد حاول

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٢ ص ٥٥ .
(٢) البيان والتبيين ١ : ٣٠٨ — ٣٠٩ .

بعضهم أن يسلكه في النصرانية فجعل منه راهباً نصرانياً ، وليس من دليل على نصرانيته .

ومن الحنفاء صرمة بن أنس ، ويقال ابن أبي أنس [١] ، وفي السيرة أنه : « ترهب في الجاهلية ، ولبس المسوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة وتطهر من الحائض من النساء [٢] ، وهَمّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتاً له فاتخذه مسجداً لاتدخله عليه فيه طامِثٌ ولا جُنُبٌ ، وقال أعبد ربَّ إبراهيم ، حين فارق الأوثان وكرهها ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، فأسلم وحسن إسلامه ، وهو شيخ كبير وكان قوالاً بالحق ، معظماً لله عز وجل في جاهليته ، يقول في ذلك أشعاراً حساناً » [٣] .

وإذا تركنا أمية بن أبي الصلت ، فأبرز شخصية في الحنفاء بعده ، هو زيد ابن عمرو بن نفيل ، ومن خلال مابلغنا من أخبار زيد بن عمرو بن نفيل يمكن أن نقف على أكثر اتجاهات هذه الجماعة . ففي المحبر قال ابن حبيب : « وزيد بن عمرو بن عبد العزى بن رباح العدوي لم يتنصر ولم يتهود ، واعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان ونهى عن الموءودة ، وقال : أعبد ربّ الخضراء ، وبادى قومه بعيب ماهم عليه . وكان يقول : اللهم لو أعلم أي الوجوه أحب إليك سجدت إليه [٤] ، ولكني لا أعلمه ، ثم يسجد على راحته . وكان زيد أول من عاب على قريش ماهم عليه من عبادة الأوثان . ثم خرج يلتمس دين إبراهيم عليه السلام ، فجال في أرض الشام حتى أتى بلقاء ، فقال له راهب بها عالم : قد أظلك زمان نبي يخرج من بلادك يدعو إلى دين إبراهيم . فأَقبَل بسبب

---

(١) الاصابة ٣ : ٢٤١ ، والسيرة ٢ : ١٥٦ .
(٢) هذه عبارة السيرة .
(٣) السيرة ٢ : ١٥٦ ، وانظر الاصابة ٣ : ٢٤٢ .
(٤) في السيرة : « لو اني اعلم اي الوجوه احب اليك عبدتك به . . » .

قول الراهب مسرعاً يريد مكة ، فلما توسط أرض جُذام ، عَدَوْا عليه فقتلوه ، رضي الله عنه »[١] .

وروى ابن سعد بسنده عن حُجَيْر بن أبي إهاب قال : « رأيت زيد بن عمرو وأنا عند صنم بُوانة بعد ما رجع من الشام ، وهو يراقب الشمس ، فإذا زالت استقبل الكعبة فصلى ركعة وسجدتين ، ثم يقول : هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل ، لا أعبد حجراً ولا أصلي إلا إلى هذا البيت حتى أموت ، وكان يحج فيقف بعرفة وكان يُلَبِّي ويقول : لبيك لاشريك لك ولا ندّ لك ، ثم يدفع من عرفة ماشياً ، وهو يقول : لبيك متعبداً لك مرقوقاً »[٢] .

فزيد بن عمرو بالإضافة إلى نبذه الأصنام ، وعدم ذبحه لها ، أو أكله مما ذُبح لها ، كان يحج ويوحد في تلبيته ، وكان يصلي متجهاً إلى الكعبة في وقت معلوم هو غروب الشمس ، ويقوم بعدد معين من الركعات والسجدات ، فيصلي ركعة وسجدتين . وهذا يشير إلى شيء من الأعمال الدينية ، كان يمارسها زيد بن عمرو ، ولا ندري إن كان يمارسها غيرُه من رجال هذه الطبقة . وإذا عرفنا شيئاً عن هذه الأعمال أو الشعائر الدينية ، فنحن لانعرف مطلقاً ما كان من تفصيل أمر هذه الصلاة التي ذكرت في حديث ابن أبي إهاب .

وروى ابن سعد بسنده أن زيد بن عمرو : « كان يعيب على قريش ذبائحهم ثم يقول : الشاة خلقها الله وأنزل من السماء ماء وأنبت لها الأرض ثم يذبحونها على غير اسم الله ، إنكاراً لذلك واستعظاماً له ، لا آكل مما لم يُذكر اسم الله عليه »[٣] . وعن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : « رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يامعشر قريش ما منكم اليومَ أحد على دين

---

(١) كتاب المحبر ١٧١ — ١٧٢ .
(٢) طبقات ابن سعد ٣ : ١ ص ٢٧٦ .
(٣) طبقات ابن سعد ٣ : ١ ص ٢٧٧ .

إبراهيم غيري »[١] . وقال ابن سعد : « وكان يُحيي الموءودةَ ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : مهلاً لاتقتلها ، أنا أكفيك مؤونتها ، فيأخذها فإذا ترعرعت ، قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤونتها »[٢] . وبسند ابن سعد أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن زيد بن عمرو بن نفيل ، فقال « يُبعث يومَ القيامة أُمّةً وحده »[٣] .

وروى ابن إسحق حديث أسماء بنت أبي بكر بوجه آخر فقال : « وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عن أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ، قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخاً كبيراً مسنداً ظهره إلى الكعبة ، وهو يقول : يامعشر قريش ، والذي نفس زيد بن عمرو بيده ، ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري ، ثم يقول : اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به ، ولكني لا أعلمه ثم يسجد على راحته »[٤] .

وقال ابن اسحق : « وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة ليضرب في الأرض يطلب الحنيفيةَ دينَ إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فكانت صفية بنت الحضرمي[٥] ، كلما رأته قد تهيأ للخروج وأراده آذنت به الخطاب بن نفيل ، وكان الخطاب بن نفيل عَمَّه ، وأخاه لأُمّه[٦] ، وكان يعاتبه على فراق دين قومه ، وكان الخطاب قد وكل صفية به ، وقال إذا رأيتِه قد هَمَّ بأمر فآذنيني به .. وكان الخطاب قد آذى زيداً حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فنزل حراء مقابل

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ١ ص ٢٧٧ .
(٢) طبقات ابن سعد ٣ : ١ ص ٢٧٧ .
(٣) طبقات ابن سعد ٣ : ١ ص ٢٧٧ .
(٤) السيرة ١ : ٢٤٤ .
(٥) وهي زوجة زيد بن عمرو بن نفيل .
(٦) وذلك ان أم زيد ، وهي جيداء بنت خالد بن جابر ، كانت عند نفيل بن عبد العزى فولدت له الخطاب ، ابا عمر بن الخطاب ، ثم مات عنها نفيل فتزوجها ابنه عمرو فولدت له زيدا ، وكان هذا نكاحا ينكحه بعض الجاهلين . ارجع إلى الأغاني ٣ : ١٣٣ (دار الكتب) .

مكة ، ووكل به الخطاب شباباً من شباب قريش وسفهاء من سفائهم ، فقال لهم : لاتتركوه يـدخل مكة ، فكان لايدخلها إلا سراً منهم ، فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب ، فأخرجوه وآذوه كراهية أن يُفسد عليهم دينهم ، وأن يتابعه أحد منهم على فراقه .. »[١] .

ثم قال ابن اسحق : « ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجال الشام كله ، حتى انتهى إلى راهب بميفعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال : إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فالحق بها ، فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه . وقد كان شامّ اليهودية والنصرانية ، فلم يرضَ شيئاً منهما ، فخرج سريعاً حين قال له ذلك الراهب ماقال ، يريد مكة ، حتى إذا توسط بلاد لخم عَـدَوْا عليه فقتلوه »[٢] .

وأخبار زيد جميعاً تشير إلى انصرافه عن دين قومه وما فيه من أوثان وأصنام ، أو ما يتصل بالأصنام والأوثان ، كامتناعه عن الاستقسام بالأزلام ، وعدم أكله ما ذُبح لغير الله . ويُلاحظ من تلك الأخبار أنه حاول التفرد والرحلة بحثاً عن الحنيفية دين إبراهيم ، وأنه التقى بالرهبان والأحبار ، يسألهم عن ذلك الدين ، وربما دَعَوْه إلى النصرانية أو اليهودية ، فاختبر هذه الأديان فلم تعجبه .

ومن أخبار زيد ندرك أيضاً أنه حاول الإصلاح ، تارة بتقريع قومه ، وطوراً بإصلاح ما في القوم من عادات فاسدة ، أو تلافي بعضها على الأقل ، فكان يحيي

---

(١) السيرة ١ : ٢٤٤ — ٢٤٦ .
(٢) السيرة ١ : ٢٤٦ — ٢٤٧ .

الموءودة ويتكفل بإعالتها ، حتى إذا نمت وترعرعت ، ردّها على أبيها ، أو كفاه مؤونتها . وهـذه الدعوة الإصلاحية هي التي حملت بعض قومه على إيذائه والنـّيل منه .

وأهم مايميز أخبار زيد عن سواه ، هو تلك الحَيْرة في البحث عن طريقة لعبادة الله تعالى ، ثم وجود عدد من الشعائر لديه ، وأهمها ما قيل عن صلاته بعدد معين من الركعات السجدات ، وبوقت معين هو غروب الشمس ، وبهيئة معينة في السجود على راحته ، وباتجاه معين هو اتخاذ الكعبة قبلة له . وهـذا الجانب من أخبار زيد مهما كان غامضاً بالنسبة إلينا ، فهو يوحي بأن بعض الحنفاء كانوا يبحثون عما بقي من دين إبراهيم مجرداً عن الشرك ، ويحارون في الطريقة التي ينبغي أن يعبد الله الخالق بها ، بعد أن وحدوه توحيداً خالصاً ونبذوا الشرك والأصنام ، ومع ذلك كان بعضهم يقوم بما توحيه إليه نفسه من شعائر كصلاة زيد بن عمرو بن نفيل .

وإذا كانت حياة أمية بن أبي الصلت وأخباره سوف تحتل فصولاً خاصة بها ، فلا بأس أن نشير هنا إلى بعض ما يلزمنا في هذا التمهيد ، فأمية كان قد نظر في الكتب ، وقرأها ، ولبس المسوح ، وحرّم الخمر ، وشك في الأوثان ، والتمس الدين[١] ، وجالس الرهبان والأحبار وقرأ معهم[٢] . وثمة أخبار متعددة تشير إلى رحلة أمية واتصاله بالكنائس والبيع طلباً للدين وبحثاً عن خبر النبوة التي كان يطمح إليها[٣] .

وفي هذا العرض الموجز لأخبار طائفة من الحنفاء ، يتبين أن آراء هذه الجماعة

---

(١) الشعر والشعراء ١٠٧ ، والأغاني ٣ : ١٨٠ ، والإصابة ١ : ١٣٣ ، والخزانة ١ : ٢٣٠ .
(٢) الاشتقاق ٣٠٣ .
(٣) الأغاني ٣ : ١٨٣ ، وتاريخ ابن عساكر ٣ : ١١٥ ، والإصابة ١ : ١٣٤ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٢١ .

تتلخص في العمل على إصلاح ما كان فاسداً من جوانب المجتمع الجاهلي ، والتنكر للأصنام والأوثان ، وتجنب الخمر ، وعدم الذبح لغير الله ، والابتعاد عن أكل ماذبح للأصنام أو ما أُهِلّ لغير الله ، مع قيام بعضهم بشيء من الشعائر الغامضة كالصلاة والصيام ، ومعظمهم يطلبون الدين ، ويلتمسون الحنيفية في رحلة طويلة شاقة ويتصلون برهبان النصارى غالباً ، وبأحبار اليهود أحياناً ، وقد يتعرضون لنقمة قومهم ، كالذي كان من أمر زيد بن عمرو بن نفيل ، وقد يتبوئون منزلة رفيعة في قومهم كالذي كان من أمر أمية بن أبي الصلت الثقفي .

ولكن ما وقفنا عليه من أخبار لايعطي صورة واضحة عن الحياة الدينية التي عاشها هؤلاء الأفراد ، فسيرتهم غامضة بالنسبة إلينا ، لانعرف منها إلا بعض الخطوط فحسب ، فأمية يلتمس الدين وينتظر النبوة ويلبس المُسُوح ويتعبد ، ومع ذلك لانعرف شيئاً عن طريقة تعبده ، وزيد بن عمرو بن نفيل قيل إنه كان يسجد ويركع ، ولكننا لانعرف شيئاً عن تفاصيل ذلك السجود والركوع ، ولا نعرف بدقة الفارق بين شعائر الحج لديه وشعائر الحج لدى غيره من المشركين ..

إلا أن آراءهم تكاد تتركز حول فكرة التوحيد الخالص الذي لا يشوبه أي نوع من أنواع الشرك ، وفكرة التوحيد ترتبط عندهم بطلب الدين ، وتُصَرِّح غالباً بأنه دين إبراهيم ، ويبدو أن هذا الدين كان غامضاً بالنسبة إليهم ، فهم لايعرفون ـ على مايبدو ـ غير أخبار يسيرة عنه ، ولا يدركون من شعائره غير ما يعرفه سائر الجاهليين ، حتى كان زيد بن عمرو بن نفيل يقول : « اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به ، ولكنني لا أعلمه ، ثم يسجد على راحته »[١] . ولهذا يرحلون ويتحملون المشاق طلباً لهذا الدين ، ولكنهم لايعثرون

---

(١) السيرة ١ : ٢٤٤ .

على بغيتهم منه ، وغالباً ما كانت هذه الرحلة مادة للتلفيق وصياغة الأساطير عند الرواة .

ويبدو أن الحنفاء من الطبقة المثقفة في عصرهم ، لأن منهم من قرأ الكتب ، ولعلها الكتب السماوية ، التي وجدوها عند الأحبار والرهبان ، وربما كانت من الكتب التي وُجدت في عصر ما قبل الإسلام أمثال « مجلة لقمان » ، وهذه الكتب لم تكن قراءتها وقفاً على طبقة الحنفاء ، وإنما قرأها أيضاً من لم يكن من هذه الطبقة ، ففي حديث سويد بن الصامت أنه قدم مكة حاجاً أو معتمراً ، فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذي معك ؟ قال : مجلة لقمان . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علي . فعرضها عليه فقال له : إن هذا الكلام حسن ، والذي معي أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله تعالى عليَّ ، هو هدى ونور . فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد عنه ، وقال : إن هذا القول حسن . ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتله الخزرج ، فإن كان رجال من قومه ليقولون : إنه قُتِلَ وهو مسلم ، وكان قتله يومَ بُعاث[1] » .

وفي اللسان : « والمجلة : صحيفة يُكتب فيها . ابن سيده : والمجلة الصحيفة فيها الحكمة .. قال أبو عبيد : كل كتاب عند العرب مجلة »[2] . وهذا يعني أن « مجلة لقمان » كتاب ضمَّ حكمة لقمان كان يقرأ فيه بعضهم ، ولعله كُتب باللغة الأدبية في ذلك العصر ، أي بلغة الشعر الجاهلي ، وباللغة التي نزل فيها القرآن ، وذلك لعرضها على الرسول من قبل سويد بن الصامت ، وقراءته

(١) السيرة ٢ : ٦٨ — ٦٩ .
(٢) اللسان ، مادة (جلل) .

شيئاً منها ، باللغة العربية التي كانت لهجة أدبية معروفة في ذاك الحين .

والأحناف ربما اطلعوا على هذه المجلة وأمثالهـــا بالإضافة إلى الكتب السماوية الأخرى ، ولا يُستبعد أن يكون بعضهم قد ألمّ ببعض اللغات غير العربية ، لأن آثار بعضهم كأمية بن أبي الصلت تشير إلى معرفته أو إلمامه بلغة أو بلغات غير العربية كالسريانية أو الآرامية أو الحبشية ، وذلك لوجود بعض الألفاظ الأعجمية في شعره ، ويُظن أن هذه الألفاظ من إحدى هذه اللغات أو منها جميعاً .

وإذا كانت أخبار الأحناف خِلْواً مما يوضح هذا الجانب من ثقافتهم ، فقد نُقِل إلينا أخبار عمن يقاربهم في طلب الدين أمثال ورقة بن نوفل ، إذ أورد الأصفهاني أنه : « كان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب [١] العبراني ، فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ماشاء أن يكتب » [٢] . وإذا كان غير الحنفاء قد تعلموا أو ألمّوا بلغات غير عربية ، فلا يبعد أن يكون بعض الحنفاء أيضاً قد ألمّ بذلك لاتصاله بالكنائس والبيع أمثال أمية بن أبي الصلت .

ولئن صح لدينا أن بعضهم قد قرأ الكتب ، فليس في وسعنا تحديد هـــذه الكتب بشيء من الدقة العلمية ، كما أننا لا نستطيع أن نحدد عقائد الحنفاء مثلما نحدد عقائد غيرهم من النصارى أو اليهود في ذلك الحين ، لأن ماوردنا من أخبار عنهم لا يُفصِّل هذا الجانب المهم من العقائد ، وإنمـــا يقتصر على ذكر آرائهم في مفاسد العصر ومحاولاتهم تجنب هذه المفاسد ، ودعوة قومهم أحياناً إلى تركهـــا والتخلص منها ، وهـذه الأمور تتصل بالجـانب الأخلاقي أكثر ممـا تتصل بالجانب الديني الخالص .

ولهذا قال الدكتور جواد علي : « وليست الصورة التي رسمها المفسرون وأهل

---

(١) مصـــدر كالكتابـــة .
(٢) الأغاني ٣ : ١٢٠ (دار الكتب) .

الأخبار من عقيدة الحنفاء واضحة ، فهي صورة غامضة مطموسة في كثير من النواحي ، تخص الناحية الخلقية أكثر مما تخص الناحية الدينية . فليس فيها شيء عن عقيدتهم في الله ، وكيفية تصورهم وعبادتهم له ، وليس فيها شيء عن كتاب كانوا يتبعونه أو كتب كانوا يسيرون عليها . نعم ، إن نفراً منهم كما ذكر الرواة كانوا قد قرأوا الكتب ووقفوا عليها ، ولكن ما تلك الكتب التي قرأوها ، وما أسماؤها ، وهل هي التوراة والإنجيل ؟ ولكن أي توراة وإنجيل ؟ التوراة والإنجيل التي كانت بين أيدي الناس أو غيرها ؟ فالذي يُفهم من كلام الرواة أن الحنفاء كانوا يرون تحريفاً في الكتابين ، وأن هنالك تبايناً قليلاً أو كثيراً بين الأصل الذي أوحاه الله وبين الذي كان بين أيدي الناس وأنهم لذلك مالوا عن اليهودية والنصرانية إلى دين إبراهيم الحنيف ، فقرأوا كتبه وتعبدوا بعبادة إبراهيم »[١] .

إلا أن حَيْرة الأحناف ، وخروج عدد منهم في رحلة شاقة بحثاً عن دين إبراهيم ، يجعل من المرجح عدم وجود « مجلة » أو « كتاب » خاص بهذا الدين بين أيديهم ، وهم رغم اتفاقهم على فكرة الإصلاح ، ونبذ الأصنام والخمرة والأزلام وما إليها ، ومع اتفاقهم على فكرة التوحيد الخالص وطلب الدين والقول بأنهم « حنفاء » أو أنهم على « دين إبراهيم » ، فالظاهر من أخبارهم أنهم لم يكونوا على اتفاق كامل في كل آرائهم ومعتقداتهم ، ومعنى ذلك أنهم لايؤلفون طائفة مثل طائفةالنصارى أو اليهود أو الصابئة أو المجوسية ، وإنما يلتقون عند التأمل في هذا الكون والتفكر في خالقه الأعلى ، ونبذ الشرك والأصنام ، والبحث عن طريقة للعبادة ، إلا أنه لم يكن هنالك رابط محدد يجمع بين هؤلاء الأفراد ، فهم ليسوا جماعة دينية تسير على منهج واضح محدد ، ولا هم طائفة لها مبادؤها وغير ذلك مما يذهب إليه الفكر حين يقال « طائفة دينية » أو « جماعة دينية » .

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ٥ : ٥٧ .

ومثل هذا ما ذهب إليه الدكتور جواد علي ، فقال : « وعندي أن الحنفاء جماعة سخرت من عبادة الأصنام وثارت عليها وعلى المثل الأخلاقية التي كانت سائدة في ذلك الزمن ، ودعت إلى إصلاحات واسعة في الحياة ، وإلى محاربة الأمراض الاجتماعية العديدة التي كانت متفشية في ذلك العهد ، دعاها إلى ذلك ما رأته في قومها من إغراق في عبادة الأصنام ، ومن إسفاف في شرب الخمر ولعب الميسر وما شاكل ذلك من أمور مضرة ، فرفعت صوتها كما يرفع المصلحون صوتهم في كل زمن ينادون بالإصلاح ، وقد أثارت دعوتهم هذه المحافظين وأصحاب الجاه والنفوذ وسدنة الأوثان شأن كل دعوة إصلاحية .. ولا يعني قولي هذا أن الحنفاء على رأي واحد ودين واحد كالذي يُفهم مثلاً من قولنا يهودي ونصراني بمعنى أنهم كانوا طائفة معينة تسير على شريعة ثابتة كالذي ذهب « شبرنكر » إليه . إنما كان أولئك الأحناف نفراً من قبائل متفرقة لم تجمع بينهم رابطة ، إنما اتفقت فكرتهم في رفض عبادة الأصنام وفي الدعوة إلى الإصلاح ، وهذا المعنى واضح في آيات القرآن الكريم التي أشارت إلى الحنفاء »[١] .

فالحنفاء ليسوا جماعة دينية يفهم منها ما يفهم من قولنا « نصارى » أو « يهود » ، فهذه تدل على جماعات أو طوائف دينية لها حدود معروفة وعقائد ثابتة وأعمال وشعائر خاصة ، ثم لكل منها كتاب تسير على نهجه ، وأما الحنفاء فأفراد اتفقوا مجرد اتفاق في نبذ مفاسد الجاهلية ، واتجهوا إلى التوحيد الخالص دون اتفاق أو مشاورة فيما بينهم ، فهم ليسوا أتباع ديانة محددة معروفة كسائر الديانات قبل الإسلام ، بدليل أن القرآن الكريم لم يُشِر إلى ديانة خاصة بهم على النحو الذي يفهم من الديانات التي أشار إليها كالنصرانية واليهودية والصابئة والدهرية وعبادة الملائكة وعبادة الجن وغيرها [٢] .

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ٥ : ٥٨ – ٥٩ .
(٢) قارن بجواد علي ٥ : ٣٦٩ .

وبهـذا نكون قد وفقنا إلى حد ما على حقيقة هذه الجماعة ، وأصبح ميسوراً لنـــا أن ننتقل إلى حياة أمية بن أبي الصلت ومن ثم إلى دراسة شعره ، لأن في ذلك مواطن عديدة لها ارتباط وثيق بتحنف أمية واتصاله بهذا الاتجـاه الديني الذي عُرف لجماعة الحنفاء قبيل الإسلام .



الفصل الأول

حيــــاة أميــــة

١ ـ نسبه وأسرته

إن شاعرنا هو أمية بن أبي الصلت ، واسم أبيه عبد الله ، وأما نسبه ففي الأغاني : « واسم أبي الصلت : عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقــدة بن عنزة بن قيس وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن ، هكذا يقول من نسبهم إلى قيس »[١] . وقال المرزباني : « اسم أبي الصلت : عبد الله بن ربيعــة بن عوف بن عبدة (عقدة) بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، ويقال : هو أبو الصلت ابن وهب بن أبي سلمة »[٢] .

ويبدو أن ثمة تحريفاً في بعض الأسماء المتشابهة في قَوْلَـي الأصفهاني والمرزباني ، وأما قول المرزباني الأخير : « ويقال : هو أبو الصلت بن وهب بن أبي سلمة » ، فلم نقف على مصدره ، ولكن الشائع أنه « أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي »[٣]. والمهم أن نسب أمية ينتهي إلى ثقيف ، ونَسَبُ ثقيف قال فيــه ابن هشام: « واسم ثقيف : قَسِيُّ بن النَّبِيت بن مُنَبِّه بن منصور بن يَقْدُم بن أَفْصَى بن

---

(١) الأغاني ٣ : ١٧٩ ، وانظر الأغاني ١٦ : ٦٩ .
(٢) الاصابة ١ : ١٣٣ ـ ١٣٤ . ولم اقف على النص في معجم الشعراء لأن المطبوع منه يبدأ بحرف العين وبمن اسمه (عمرو) .
(٣) السيرة ١ : ٦٧ ، وطبقات ابن سلام ٤٨ .

دُعْمِيّ بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان »[١] ، وبهذا جعل ثقيفاً ينتمون إلى إياد ، بينما ذكر الأصفهاني أنهم ينتمون إلى هوزان من قيس عيلان ، وذلك لأن في نسب ثقيف طعناً ، إذ تقول جماعة من النسابين إنهم من هوزان ، بينما تذهب جماعة أخرى إلى أنهم من إياد[٢].

وأما كنية أمية فقد تعددت على ألسنة الرواة ، ففي تاريخ ابن عساكر : « هو أمية بن أبي الصلت .. أبو عثمان ، ويقال أبو الحكم الثقفي »[٣] . وفي الإصابة : « ذكر صاحب المرآة في ترجمته عن ابن هشام قال : كان أمية آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقدم الحجاز ليأخذ ماله من الطائف ويهاجر ، فلما نزل بدراً قيل له : إلى أين يا أبا عثمان ؟ »[٤] . وفي الإصابة أيضاً أنه : « يكنى أبا عثمان ، ويقال أبو القاسم »[٥] . ونقل ابن عساكر وابن كثير خبراً عن الزهري ، وفيه كنية جديدة تستوعي الانتباه ، وذلك في قوله : « فلما قُتل أهل بدر ، قدم أمية من الشام حتى نزل بدراً ، ثم ترحل يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال قائل : يا أبا الصلت ماتريد ؟ »[٦] .

وبهذا نجد لأمية أربع كنى ، هي أبو عثمان ، وابو الحكم ، وأبو القاسم ، وأبو الصلت ، ومن المألوف في الجاهلية أن يكنى أحدهم بأكثر من كنية واحدة ، يدل على ذلك قول الجاحظ : « وكان للزبرقان بن بدر ثلاثة أسماء : القمر والزبرقان والحصين . وكانت له ثلاث كنى : أبو شذرة وأبو عياش وأبو العباس »[٧] . فإذا تعددت الكنى كانت نتيجة لتعدد بَنيهِ ، أو لارتباطها بألقاب وصفات غلبت على صاحبها .

---

(١) السيرة ١ : ٤٨ .

(٢) أنظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ١٦٨ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٣٦ ، ٣٤٣ ، ومحاضرات الأبرار ١ : ٨٧ ، وشرح نهج البلاغة ٨ : ٣٠٣ .

(٣) تاريخ ابن عساكر ٣ : ١١٥ والبداية والنهاية ٢ : ٢٢٠ .

(٤) الاصابة ١ : ١٣٣ ، ونقله البغدادي في الخزانة ١ : ٢٣١ .

(٥) الاصابة ١ : ١٣٤ ، ومثله في كتاب كنى الشعراء لمحمد بن حبيب ، انظر نوادر المخطوطات المجموعة السابعة ٢٨٩ .

(٦) البداية والنهاية ٢ : ٢٢٦ .

(٧) البيان والتبيين ١ : ٣٠٥ .

أما أمية فلم يُكْنَ إلا باسم « القاسم » من أولاده [١] ، وأما سائر الكنى التي أُطلقت عليه فهي أشبه بالألقاب جميعاً . وفي كنيته « أبو الصلت » ما يرشدنا إلى احتمال خلط الرواة فيما بعد بين أمية وأبيه في رواية بعض ما يُنسب إلى أمية من شعر ، ولا سيما تلك القصيدة اللامية في مدح سيف بن ذي يزن .

وإذا سألنا صاحب المؤتلف والمختلف عمن عُرف باسم « أمية » في تاريخ أدبنا العربي ، لم نظفر بجواب منه ، لأن الآمدي ينهي باب الهمزة بمن يقال له : « الأقيشر » [٢] دون أن يصل إلى ما بعد القاف ، ودون أن يذكر شيئاً عن أمية بن أبي الصلت ، أو من عُرف بهذا الاسم في تاريخنا الأدبي .

وهذا ما دفع البغدادي في الخزانة إلى تتبع من اسمه أمية ، وإلى نقد الآمدي لأن ذلك من شرط كتابه ، فقال البغدادي : « تتبعت من اسمه أمية فوجدتهم خمسة : أحدهم هذا (أي أمية بن أبي الصلت) ، والثاني أمية بن كعب المحاربي ، والثالث أمية بن خلف الأوزاعي ، والرابع أمية بن أبي عائذ الهذلي ، والخامس أمية بن الأسكر الكناني . ولم يذكر واحداً منهم الآمدي في كتابه المؤتلف والمختلف مع أن هذا من شرط كتابه » [٣] .

وإذا أردنا البحث عن أسرة أمية لم يكن ذلك بالأمر الميسور ، إذ أننا لا نجد حديثاً واضحاً عن أسرته في مصادرنا القديمة ، وكل ما نعرفه عبارة عن أشتات موزعة في أضعاف تلك المصادر ، ولا ندري إن كانت هي كل شيء عن أسرة أمية ، أم أنها تنقل جانباً من أسرته فحسب .

والظاهر أن أمية عاش في بيت يجمع العز والشرف ، ويمتاز بالأدب والشاعرية ، فقد رأينا والده أبا الصلت بن أبي ربيعة سيداً في قومه ، وعرفنا والدة أمية

---

(١) في الأغاني أن أبناء أمية هم « عمرو وربيعة ووهب والقاسم » ٤ : ١٧٩ .
(٢) المؤتلف والمختلف ٥٦ .
(٣) خزانة الأدب ١ : ٢٣٢ .

رقية بنت عبد شمس بن مناف ، وهي من شريفات قريش . وبذلك فأمية جمع الكرم من طرفيه ، وضم شرف ثقيف إلى شرف قريش ، ويقال إن أباه أبا الصلت كان شاعراً ينسب إليه شيء مما نُسب إلى أمية نفسه [١] ، ومنهم من ينسب بعض شعر أمية إلى جده أيضاً [٢] ، وسواء صح ما ينسب إليها أم لم يصح ، فإن النقاد والرواة ما كانوا لينسبوا شيئاً إليهما لو لم يدركوا لهما شعراً قليلاً كان أم كثيراً ، ولهذا فالأرجح أن والد أمية كان شاعراً ، ولعل جده كان شاعراً أيضاً .

وروى المقريزي أن لأمية أخاً اسمه هذيل قُتل يوم حصار الطائف ، فقال : « وسار المسلمون إلى الحصن فقتل يزيد بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي ، فظفر يعقوب بن زمعة بهذيل بن أبي الصلت ، أخي أمية بن أبي الصلت ، وقال : هذا قاتل أخي ! فضرب عنقه » [٣] .

وقال الجاحظ : « وأما ربيعة بن أبي الصلت ، فقتله بغل على باب عبد الله بن عباس ، ومن ولده كَلَدة بن ربيعة وكان شريفاً شاعراً » [٤] ، وفي قول الجاحظ إشكال في معرفة « ربيعة بن أبي الصلت » ، فقد يكون أخاً لأمية [٥] ، وقد يكون ولداً له ، ومرد هذا الإشكال إلى أمور ثلاثة : الأول أن أمية ربما كني ـ كما رأينا ـ بكنية أبيه «أبي الصلت»، والثاني أن في أبناء أمية من يسمى بـ « ربيعة » ، والثالث أنه لا تحديد في كلام الجاحظ على نحو ماورد في كلام المقريزي .

ولم نعثر على أخبار أخرى حول إخوة أمية غير مارواه المقريزي ، أو ما يمكن أن يفهم من كلام الجاحظ ، وأما أخواته فقد جاء في أخبار الرواة أسماء أختين له ، الأولى هي

---

(١) أنظر بشأن أبياته اللامية في مدح ابن ذي يزن : السيرة ١ : ٦٧ ، والشعر والشعراء ١٠٧ ، والأغاني ١٦ : ٧٣ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٢٠ (الحسينية) وأخبار مكة ٩٩ ، والعقد الفريد ٦ : ٣٠٢ ، وألف با ١ : ١٤٥ .

(٢) مروج الذهب ١ : ٢٨٤ .

(٣) امتاع الاسماع للمقريزي ١ : ٤١٧ .

(٤) كتاب القول في البغال للجاحظ ٥٠ .

(٥) قال محقق الكتاب شارل بيلا في حاشية له : « هو أخو أمية بن أبي الصلت ، وكان أيضاً شاعراً ، راجع الأغاني ٣ : ١٨٦ ، ١٨٧ » . والذي ورد في الأغاني إنما هو ربيعة بن أمية بن أبي الصت ، لا ربيعة بن أبي الصلت .

الفارعة بنت أبي الصلت ، وهي التي وفدت على الرسول بعد فتح الطائف ، وكانت ذات لب وجمال، وقد سألها يوماً أن تروي له من شعر أخيها ، فروت شيئاً منه ، وقصت عليه خبر موته كما سنرى . والأخت الثانية هي عاتكة بنت أبي الصلت ، وقد ذكرها ابن حجر في الإصابة فقال : « عاتكة بنت أبي الصلت الثقفية أخت أمية ، ذكرها السهيلي في مبهمات القرآن في أواخر تفسيره سورة الأعراف »[١] .

هذا ما عرفناه عن إخوة أمية وأخواته ، وأما أبناؤه فقد حدثنا صاحب الأغاني عنهم فقال : « كان له أربعة بنين : عمرو وربيعة ووهب والقاسم . وكان القاسم شاعرا ، وهو الذي يقول ، أنشدنيه الأخفش وغيره عن ثعلب ، وذكر الزبير أنها لأمية :

قوم إذا نزل الغريبُ بدارهم ردوه ربَّ صواهل وقيان

لا ينكتون الأرضَ عند سؤالهم لتلمس العلات ، بالعيدان

يمدح عبد الله بن جدعان بها ، وأولها :

قومي ثقيف إن سألت وأسرتي وبهم أدافع ركن من عاداني

وكان ربيعة ابنه شاعراً ، وهو الذي يقول :

وإن يك حياً من إياد فإننا وقيساً سواء ما بقينا وما بقوا

ونحن خيار الناس طُراً بطانة لقيس وهم خير لنا إن هم بقوا[٢] »

ويظهر من قول الأصفهاني أن القاسم وربيعة كانا شاعرين ، ومثل هذا نجده في الإصابة ، إذ أورد ابن حجر خبر القاسم ، فقال : « ذكره المرزباني في معجم الشعراء[٣] ، وهو على شرطهم من الصحابة ، لأننا قدمنا غير مرة أنه لم يبق بمكة والطائف في حجة الوداع أحد من قريش وثقيف إلا أسلم ، حكاه ابن عبد البر وغيره ، وأورد له ثعلب من شعره (قوم إذا نزل الغريب .. بيتين) . ورأيت له مرثية في عثمان بن عفان ، منها :

---

(١) الاصابة ٨ : ١٣٧ .

(٢) الأغاني ٣ : ١٧٩ — ١٨٠ .

(٣) معجم الشعراء ٣٣٢ ولم يذكر سوى اسمه مع ابيات اورد الأصفهاني وابن حجر شيئا منها .

لعمري لبئس الذِّبْح ضحيتم به — خلاف رسول الله يوم الأضاحي
فطيبوا نفوساً بالقصاص فإنه — سيسعى به الرحمنُ سعي نجاح »[١]

وأورد ابن حجر أيضاً خبر ربيعة بن أمية لأنه من الصحابة على شرطهم ، فقال : « ربيعة بن أمية بن أبي الصلت الثقفي ، ذكره المرزباني وأنشد له شعراً يرد به على أبيه انتسابه في أبيات ، فيها :

وإنّا معشر من جِذْم قيس — فنسبتنا ونسبتهم سواء »[٢]

فالقاسم بن أمية وربيعة بن أمية كانا شاعرين ، أما وهب بن أمية فكان من الصحابة وقد أعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ميراث وهب بن خويلد ، لأن وهب بن خويلد بن ظويلم بن عوف بن عقدة بن غيره مات فاختصم بنو غيرة في ميراثه ، فأعطاه رسول الله وهب بن أمية بن أبي الصلت ، لأن نسبه ينتهي عند « غيرة » أيضاً .

وأما عمرو بن أمية فلم نقف على إشارة إليه غير مانقله صاحب الأغاني . ومن أحفاد أمية القاسم بن ربيعة بن أمية بن أبي الصلت وقد ولاه عثمان رضي الله عنه الطائفَ في خلافته .

وهكذا فحياة أمية كانت في أسرة تجمع بين الفضل والأدب ، إذ كان أبوه شاعراً ، وكذلك كان ابنه القاسم شاعراً ، وابنه ربيعة شاعراً أيضاً ، وكان أمية قد ورث الشعر عن آبائه ، فأورثه أبناءه وما ذلك إلا لأصالة النزعة الشاعرية في هذا البيت على مايبدو .

٢ ـ نشأته

وإذا وجدنا شيئاً من الاضطراب في كنية أمية ، فحياته لم تكن بأوفر

(١) الاصابة ٥ : ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .
(٢) الاصابة ٢ : ١٩٧ .

حظاً من كنيته ، ذلك لأن أخبار سيرته يعتريها اضطراب واسع بعد اشتهار أمره ، أما قبل ذلك فلا نكاد نجد شيئاً من تفاصيل نشأته وحياته ، لأن الرواة ضنوا علينا بأخبار نشأته الأولى ، فعلوا بكثير من شعراء الجاهلية .

ولهذا فنحن لانعلم متى ولد ، ولا كيف نشأ وتدرج ، كما أننا لانعلم علم اليقين متى مات وكيف مات ولا سيما أن كتب الأدب والتاريخ على خلاف في خبر وفاته ، وكلها أقرب إلى الأساطير منها إلى واقع الحياة ، وأول مانلاحظه في شعره ، أن ثمة اختلافاً شاسعاً بين شعر أمية الشاب ، وشعر أمية الكهل أو الشيخ ، ففي الشباب نرى في شعره زينب ولبينى ، كما نجد شيئاً من الاندفاع نحو الفخر والتبجح أحياناً ، ثم نمضي إلى شعره فيما بعد ، فنرى رصانة المادح المتلطف ، وروحانيةَ العابد الموحّد ، ووصفَ ماوراء الأفق البعيد ..

وهذا التبدل والاختلاف في شعر الرجل ، لايمكن أن يتم بطفرة أو بقفزة من هذا إلى ذاك ، ولا بد أن يكون قد عانى كثيراً من التدرج في تجاربه وثقافته حتى بلغ مابلغ من التأله والحكمة . وهذا يعني أن أمية ينبغي أن يكون من المعمّرين ، ومما يؤيد ذلك مانراه من دخوله عالم الأساطير ، وتصديق الناس لكثير من هذه القصص الأسطورية حوله ، فهذه القصص لايمكن أن تروى أو تصدق عن شاب أو كهل ، وإنما يؤمن بها عقل الناس إذا رويت عن شيخ طاعن قد تقدم في السن .

ثم إن أمية بإجماع كتب الأدب والسيرة والتاريخ ، كان يطمح إلى النبوة، والنبوة لايطمع فيها شاب أو من جاز مرحلة الشباب بقليل ، يدل على ذلك ما نستشعره من قول أبي سفيان لأمية وهو يحاوره في أمر النبوة : «فقلت هذا والله الباطل ، لئن بعث الله رسولاً لا يأخذه إلا مسناً شريفاً »[١] ، وهذا يعني أن أميه كان في مرحلة متقدمة من السن يوم كان يطمح إلى النبوة .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٣ : ١١٧ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٢٣ .

ثم إن النبوة حدثت وجاءت محمداً عليه السلام في قريش ، ولكن أمر أمية كان مشهوراً ، وانتظاره للنبوة وطمعه فيها كان قد شاع قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، يدل على ذلك أخبار كثيرة ، مهما حاولنا أن نشك فيها ، فهي تلقي أضواء على حياة الرجل الحقيقية ، فصاحب الأغاني يذكر في ترجمة أمية أنه لما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ، قيل لأمية : « هذا الذي كنت تستريث وتقول فيه »[١] ، وفي حديث أبي سفيان قوله : « وخرجت في ركب من قريش أريد اليمن في تجارة فمررت بأمية ، فقلت له كالمستهزىء به : يا أمية قد خرج النبي الذي كنت تنعته ! قال : أما إنه على حق فاتبعه . قلت : ما يمنعك من اتباعه ؟ ! قال : يمنعني الاستحياء من نساء ثقيف ، إنني كنت أحدثهن أني هو ، ثم يرينني تابعاً لغلام من بني عبد مناف !! »[٢] .

فهذه الأخبار وما إليها تدل على ان هنالك فترة طويلة ، قد امتدت بين اشتهار طمع أمية بالنبوة وظهور النبي العربي محمد صلوات الله عليه . كما يدل الخبر الأخير على أن محمداً الذي كان في الأربعين من عمره ، هو « غلام من بني عبد مناف » . وهذا الكلام لايصدر إلا عن شيخ ربما كان في السبعين أو الثمانين من عمره ، ولنفرض أن هذه الكلمة من واضع ، فهي تدل على معرفة القوم يومئذ بعمر الرجل ولكن كتبهم الباقية لم تنقل إلينا شيئاً واضحاً عن ذلك .

ولم يتفق الرواة على سنة وفاته ، بل نجد آراء مختلفة متشعبة ، ومعظمها يزعم أنه مات في السنة الثامنة أو التاسعة للهجرة ، هذا ماقال به معظم القدماء[٣] ، ثم تبعهم عليه بعض المحدثين[٤] ، إلا أننا نجد رأياً آخر أقرب إلى الصواب يجعل

---

(١) الأغاني ٣ : ١٨٠ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ٣ : ١١٩ ، والاصابة ٥ : ٢٢٤ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٣٤ .

(٣) انظر مثلا الاصابة ١ : ١٣٣ و ١٣٤ و ٢ : ١٩٧ و ٥ : ٢٢٤ ، والخزانة ١ : ٢٣١ .

(٤) انظر الشعر والشعراء لخفاجي ٩٥ ، والأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي لعطية ٣٥١ ، وذهب الزركلي الى أن وفاة أمية كانت في سنة (٥ هجرية — ٦٢٦ ميلادية) ولا ندري مصدره في ذلك ، انظر الاعلام ١ : ١٣١ .

وفاة أمية في السنة الثانية للهجرة على أعقاب غزوة بدر [١] .

ودراسة الأحداث التي امتدت بين السنة الثانية والسنة الثامنة أو التاسعة للهجرة، تجعل من المرجح أن تكون وفاة أمية في السنة الثانية ، وذلك لغيابه عن مسرح الأحداث منذ أن قال قصيدته في رثاء قتلى قريش يوم بدر ، ولا سيما أن أحداث السنتين الثامنة والتاسعة كانت من الأهمية بحيث لايمكن لأمية أن يقف منها موقف الصامت المتفرج إن كانت حياته قد امتدت إلى هذه الأحداث الخطيرة . ففي السنة الثامنة للهجرة حدثت غزوة الطائف ، وانطوت هذه الغزوة على كثير من الأحداث المروعة ، التي تدعو ثقيفاً إلى الفخر بعزتها ومنعتها ، ولا سيما أيام حصارها من قبل المسلمين [٢] . ونبحث عن شاعر ثقيف في هذه الأحداث فلا نجد له أثراً.

وحين يسير عليه السلام من حنين إلى الطائف نجد كعب بن مالك يقول قصيدة يتوعد بها ثقيفاً ، أولها :

قضينا من تهامة كلّ ريب وخيبر ثم أجممنا السيوفا

نخيرها ولو نطقت لقالت قواطعهن دَوْساً أو ثقيفا

فلست لحاضن إن لم تروها بساحة داركم منا ألوفا

وننتزع العروش ببطن وَجٍّ وتصبح دوركم منكم خلوفا

ونبحث عن شاعر ثقيف الذي سيرد على كعب ، فلا نجد أمية بن أبي الصلت، وإنما نجد ميدان ثقيف خالياً من الفحول ، فلا يردّ على كعب بن مالك إلا كنانة ابن عبد ياليل وهو سيد من سادات قومه ، إلا أنه خامل في الشعر [٣] . ولو

---

(١) أنظر تاريخ أبي الفداء ١ : ١٣٧ ، وتاريخ ابن الوردي ١ : ١١٧ ، وشعراء النصرانية ١ : ٢٢٦ ، وزيدان في مجلة الهلال ٤٥١ الجزء (١٦) السنة التاسعة (١٩٠١) ، ودائرة المعارف الاسلامية : Vol. IV, P. 1051

(٢) ارجع الى السيرة ٤ : ١٢١ — ١٢٣ ، والبداية والنهاية ٤ : ٣٤٥ ، والطبقات الكبرى ٢ : ١ ص ١١٤ — ١١٥ . وعيون الأثر ٢ : ٢٠٠ — ٢٠٢ .

(٣) ذكره ابن سلام بين شعراء الطائف وترجم لهم جميعا ولم يترجم له . انظر طبقات ابن سلام ٢١٧ .

كان ثمة وجود لأمية في هـــذه السنة ، لكان له ذكر أو شعر أو خبر حول هذه الغزوة الخطيرة في تاريخ قومه ، ولو كان شيء من ذلك ، لما تركه القدماء وذكروا بدلاً منه أبيات كنانة بن عبد ياليل على خمول شعره .

وفي السنة التاسعة يتجه وفد الطائف إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ليعلن إسلام ثقيف . ونبحث عن أمية في هذا الوفد ، فلا نجد له أثراً ، وإنما نجد على رأس الوفد عبد ياليل مع خمسة من سادات ثقيف [١] . وإذا كان أمية قد رفض الإسلام، فليس من المعقول أن يتم هذا الحدث الخطير ، دون أن يكون له رأي فيه ولو كان على مئات الفراسخ من بلد قومه . وهذا يدل على أن أمية كان قد دخل التاريخ قبل هذه الأحداث بسنوات .

وهكذا فأمية لم يبق حتى السنة الثامنة أو التاسعة ، وإنما كانت وفاته قبل ذلك على الأرجح ولا دليل لمن قال إنه مات في السنة الخامسة من المحدثين [٢] ، بل نجد في غياب أمية عن أحداث الجزيرة منذ معركة بدر في السنة الثانية دليلاً على أنه لم يبق إلى مابعد هذه السنة [٣] ، لأنه لو بقي إلى ما بعد غزة بـــدر ، وعاصر أحداث الجزيرة المتوالية ، والغزوات الإسلامية المتتالية ، لكان له قول في

---

(١) ارجع الى السيرة ٤ : ١٨٣ ، وتاريخ الطبري ٢ : ٣٦٤ ــ ٣٦٥ ، والبداية والنهاية ٥ : ٢٩ ــ ٣٤ والطبقات الكبرى ٢ : ١ ص ١١٥ ، وعيون الأثر ٢ : ٢٢٨ ــ ٢٣٠ ، وأسد الغابة ٣ : ٣٣٣ .

(٢) اشرت الى ان الزركلي قد جعل وفاة أمية في السنة الخامسة ، انظـر الاعلام ١ : ١٣١ .

(٣) جاء في حديث محمد هاشم عطية عن أمية قوله : « ورثى قتلى بدر من المشركين ، وحارب معهم النبي في خيبر » ، الأدب العربي وتاريخه فيالعصرالجاهلي ٣٤٩ . والمسير الى خيبر كان في السنة السابعة ، ولم نجد أثرا لوجود أمية في معارك خيبر في كل مارجعنا اليه من مصادر ، ولعل قول عطية مبني على حديث أورده ابن اسحق في ذكر المسير الى خيبر : « قال ابن اسحق : حدثني سليمان ابن سحيم عن أمية بن أبي الصلت عن امرأة من بني غفار ، قد سماها لي ، قالت : اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من بني غفار فقلنا : يارسول الله قد أردنا أن نخرج معك الى وجهك هذا وهو يسير الى خيبر ، فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا ، فقال : على بركة الله .. » السيرة ٣ : ٣٥٧ . ولا شك أن ثمة تصحيفاً في سند هذا الحديث ، لأن أمية بن أبي الصلت لا يقبل منه أداء

هذا او ذاك ، ولو جرى على لسانه مثل هذا القول ، لكانت له سيرورة حتماً بسبب أحد الفريقين ، بل لكان على رأس ما بلغنا من أخباره وأشعاره ، كما كان شأن قصيدته في بدر ، ولو كان مثل هذا القول ضد المسلمين لما حاول نقادهم ولا رواتهم أن يميتوه ، بدليل أنهم لم يحاولوا أن يميتوا هجاءه للمسلمين ورثاءه لأعدائهم، رغم أن الرسول عليه السلام قد نهى عن رواية هذه القصيدة فيما يقال ، ولهذا كله نرجح أن تكون وفاة أمية في حوالي السنة الثانية للهجرة .

ومن المرجح[1] أن الهجرة كانت سنة ٦٢٢ م ، وعليه فوفاة أمية كانت حوالي سنة ٦٢٤ م ، وإذا كان الدور الجهري للدعوة في سنة ٦١٥ م ، وإذا كان أمية يومئذ في عمر يتراوح بين ٧٠ - ٨٠ سنة فمعنى ذلك أنه توفي عن عمر يتراوح بين ٨٠ - ٩٠ سنة ، وإذا اتفقنا على أنه عاش بين ٨٠ - ٩٠ سنة وأن وفاته كانت حوالي سنة ٦٢٤ م ، جاز لنا أن نقدر ولادته بين ٥٣٤ - ٥٤٤ م .

هذه هي فترة حياة أمية ، أما نشأته وشبابه ، فلا نعرف عنها شيئاً ، ولكن شعره ينم عن شباب فتى لم يكن ماجناً ، كالذي نراه من طرفة بن العبد وامرىء القيس مثلا ، ومع ذلك نراه يقاسي من آلام شوقه وهواه بليلى وديار ليلى :

وإنّي بليلَى والدّيارِ التي أرَى لكالمُبتلَى المُعنَى بشوقٍ مُوكّلِ

ولا يقف الأمر عند « ليلى » ، بل نجد أيضاً « زينب » و « لبنى » في مجمهرته :

عرفتُ الدارَ قد أقوَتْ سنينا لزينبَ إذ تَحُلُّ بها قَطِينَا

ومن المحتمل أن تكون هذه الأسماء المتعددة مجرد مسميات كان يجعلها في

الحديث لأنه غير مسلم ، والإسلام شرط لابد منه لمن يؤدي الحديث . ارجع إلى كتاب علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح ١٤٠ .

(١) هنالك خلاف حول إقامته عليه السلام في مكة ، أهي ١٠ سنوات أم ١٣ سنة ، وعلى ذلك أكانت الهجرة سنة ٦٢٢ م أم سنة ٦٢٥ م . ارجع إلى تاريخ الطبري ٢ : ١٠٧ - ١٠٨ ، ومروج الذهب ١ : ٣٩٩ - ٤٠٤ .

نسيبه ومطالع شعره ، وقد تكون مسميات كان يريد بها واحدة أو أكثر علق بها قلبُه الشاب . ومهما يكن فهي تنم عما لديه من غزل الشباب ، وإن كنا لانجد إلا أثراً ضئيلًا جداً لمجون الشباب ، وهذا إن لم يكن بسبب ضياع شعره ، فهو أثر من آثار تعففه صغيراً ، إذ لانجد له إلاّ أبياتاً يسيرة فيها ما يقارب المجون ، وفي بعضها يذكر ليلة قصيرة ، كانت في قصرها أشبه بقبلة تُختلس على حذر ، إن صح له البيتان :

يا ليلةً لم تَبِنْ مِنَ القِصَرِ كأنّها قُبْلَةٌ عَلَى حَذَرِ
لم تَكُ إلاّ كلا ولا ، وَمضَتْ تدفع في صدرها يدُ السحر

وفي بيت آخر يذكر شيئاً عن ميعة الشباب :

إذ نحن في مَيْعَةِ الشباب وإذ يَعذُلُكِ غَيْرانُ والهٌ قَطِمُ

وفي مرحلة الشباب هذه نلمس شيئاً من الفخر والاندفاع ، فهو يفخر بقومه ثقيف وما يتصفون به من عز ومنعة :

إن وَجّاً وما يلي بَطْنَ وَجٍّ دارُ قَوْمي بِرَبْوَةٍ ورُتُوقِ

فشباب شاعرنا لم يكن ذا طابع خاص به ، كما كانت كهولته وهرمه ، وإنما فيه الغزل ، وفيه المرح ، وفيه الاندفاع والفخر ، إلاّ أنه لم يكن على ما يبدو صاحب مجون كامرىء القيس أو طرفة بن العبد ، إذ لا يُعقل أن يكون التألّه والحكمة أموراً طارئة عليه ، ولا بد أن تمتد جذورها إلى أعماق نفسه الأولى .

أما في كهولته فالظاهر أنه صَدَف عما تقدم كله ، وانصرف بوجه خاص إلى التألّه والحكمة يُحدّث نَفْسَه بما ينتظرها من موت وفناء ثم بعث وحساب :

يانَفْسُ مالكِ دونَ الله من واقِ ... وما على حدثان الدّهْرِ من باقِ

ويدعو قَلْبَه إلى سنَن الحق والهدى ، لأن الدنيا غَرُور بأهلها ، وليس من خلود فيها لأحد ، وإنما كل امرىء في طريقه إلى الموت والبعث ليحاسب بما جنته يداه ، فيقول ـ إن صحت له الأبيات :

ألا أيُّهــا القلبُ المقيمُ على الهوى ... إلى أيّ حينٍ منك هذا التّصَدّدُ
عن الحق كالأعمى المُميطِ عن الهدى ... وليس يَرُدُّ الحَقّ إلاّ مُفنّــدُ
فأيَّ فتى قبلي رأيْتَ مُخَلّــداً ... له في قَدِيم الدّهْرِ ما يتَوَدّدُ
فكن خائفاً للموت والبعث بَعْدَهُ ... ولا تكُ ممن غَرَّه اليومُ أو غَدُ

فهو رزين وقور في هذه المرحلة من حياته ، حتى إنه ليحدثنا عن نفســه حين تقدمت به السِّنُّ ، فنرى أحد أبنائه يعقه ويَعيبه ويرميه بالتفنيد والخَرَف ويراقب كل عثرة منه ليشنع بها عليه ، ومع ذلك تبدو رزانة الرجل الحكيم ، فلا يقسو على ولده ، ولا يطرده عنه ، وإنما يعاتبه في رفق ولين ، ويأخذ بيـده نحو الطريق القويم ، وذلك في القصيدة المشهورة ـ إن صحت له :

غَذوتُكَ مولوداً وعُلتُكَ يافِعاً ... تُعَلُّ بما أُدني عليكَ وتَنْهَلُ

هذا ما عرفناه من خلال شعر أمية ، وكذلك ماتحدثنا به طائفة من الأخبار المتفرقة في كتب الأدب والسيرة والتاريخ ، ولا بأس أن نعود إليهـــا ، حتى نكمل شيئاً من صورة أمية بن أبي الصلت ، التي رسمنا بعض خطوطهـــا من خلال شعره .

فصاحب الأغاني يذكر أن أمية : « كان قد نظر في الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبداً ، وكان ممن ذكر في شعره إبراهيم وإسمـــاعيل والحنيفية ، وحَرَّم الخمر وشك في الأوثان ، وكان محققاً ، والتمس الدين وطمع في النبوة ، لأنه قرأ في الكتب أن نبياً يبعث من العرب ، فكان يرجو أن يكون هو ، فلما بُعث

النبي صلى الله عليه وسلم ، قيل له : هذا الذي كنت تستريث وتقول فيه ، فحسده عدو الله[١] ، وقال إنما كنت أرجو أن أكونه »[٢] .

وترجمته عند ابن قتيبة لا تكاد تختلف عما ذكره صاحب الأغاني ، إلا أن ابن قتيبة زاد على ذلك قوله : « وكان أمية يخبر أن نبياً يخرج قد أظل زمانه، وكان يؤمل أن يكون ذلك النبي ، فلما بلغه خروج النبي كفر به حسداً له »[٣] . وقال ابن دريد : « وكان بعض العلماء يقول : لولا النبي صلى الله عليه وسلم لادعت ثقيف أن أمية نبي ، لأنه قد دارس النصارى وقرأ معهم ، ودارس اليهود، وكلّ الكتب قرأها ، ولم يسلم[٤] » .

فأمية لبس المسوح وتعبد ، وصدف عما كان في الجاهلية من عادات دخيلة كالأوثان والخمرة ، وطلب الدين ودارس أهل الكتاب وطمع في النبوة ، وبَشّر بنبي يخرج من العرب ، وكان يؤمل أن يكونه ، فلما خرج النبي العربي صلى الله عليه وسلم ، حسده وحقد عليه ، إذ أخطأته النبوة ، وتخلت عن الطائف وثقيف ومضت إلى مكة وقريش .

وفي الأغاني خبر آخر ربما أضاء لنا شيئاً من هذه السمات التي نتلمسها في حياة أمية ، إذ أورد الأصفهاني بسنده أن أمية بن أبي الصلت كان « يلتمس الدين ويطمع في النبوة ، فخرج إلى الشام ، فمر بكنيسة وكان معه جماعة من العرب وقريش، فقال أمية : إنْ لي حاجة في هذه الكنيسة فانتظروني ، فدخل الكنيسة وأبطأ ،

---

(١) مثل هذه الكلمة يفسر لنا بعض الجوانب لما سنراه من ضياع شعر أمية ، وتحامل العصبية عليه في اضطراب أخباره وأشعاره .

(٢) الأغاني ٣ : ١٨٠ . وقول الأصفهاني نقله البغدادي في الخزانة ١ : ٢٣٠ ، ولخصه ابن حجر في الإصابة ١ : ١٣٣ . وانظر نهاية الأرب ١٣ : ٢٧١ ، ولباب التأويل ٢ : ١٥٠ .

(٣) الشعر والشعراء ١٠٧ . ونقل البغدادي كلام ابن قتيبة في الخزانة ١ : ٢٢٩ . وانظر نهاية الأرب ١٣ : ٢٧١ ، ولباب التأويل ٢ : ١٥٠ .

(٤) الاشتقاق ٣٠٣ .

ثم خرج إليهم كاسفاً متغير اللون ، فرمى بنفسه وأقاموا حتى سري عنـــه ، ثم مضوا فقضوا حوائجهم ثم رجعوا ، فلما صاروا إلى الكنيسة ، قال لهم : انتظروني. ودخل إلى الكنيسة فأبطأ ، ثم خرج إليهم أسوأ من حاله الأولى . فقـــال أبو سفيان بن حرب : قد شققت على رفاقك . فقال : خلوني فإني أرتاد على نفسي لمعادي أن ههنا راهباً عالماً أخبرني أنه تكون بعد عيسى عليه السلام ست رجعات، وقد مضت منها خمس وبقيت واحدة ، وأنا أطمع في النبوة ، وأخاف أن تخطئني ، فأصابني مارأيت ، فلما رجعت ثانية أتيته ، فقال : قد كانت الرجعة ، وقد بعث نبي من العرب ، فيئست من النبوة فأصابني ما رأيت إذ فاتني ما كنت أطمع فيه » [١] .

وروى ابن عساكر قصة مطولة حول هذا الخبر ، فذكر عن أبي سفيان ابن حرب أنه قال : « خرجت أنا وأمية بن أبي الصلت تجاراً إلى الشام » ، وفي القصة أن أمية كان على علم بأن نبياً سيبعث من عرب الحجاز ، وكان يظن أنه هو ذلك النبي ، إلاّ أنه مرّ في طريقه إلى الشام براهب نصراني ، فتبين له أن النبي سيبعث من قريش وهو على رأس الأربعين من عمره ، ولذلك جعل أميه يسأل أبا سفيان عن عتبة بن ربيعة ، وهو من أشراف قريش ، فأيقن أن أوصـــاف عتبة قد أزرت به وأبعدته عن النبوة . قال أبو سفيان : فلما رجعتُ إلى مكة وجدت النبي صلى الله عليه وسلم قد بُعث ، ثم لقيت أمية بالطائف فقال لي : أما إنه على حق فاتبعه ! قلت : ما يمنعك من اتباعه ؟ ! قال : ما يمنعني إلاّ الاستحياء من نساء ثقيف ، إني كنت أحدثهن أني هو ، ثم يرينني تابعاً لغلام من بني عبد مناف !! [٢].

---

(١) الأغاني ٣ : ١٨٣ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في تاريخ ابن عساكر ٣ : ١١٥ — ١١٩ . وهذا الخبر نقله ابن كثير في البداية والنهاية ٢ : ٢٢١ — ٢٢٣ ، ولخصه ابن حجر في الإصابة ١ : ١٣٤ .

وهذه الأخبار جميعاً تمثل جانباً هاماً من حياة أمية ونشأته ونظرة الناس إليه بعد وفاته ، وإدخالهم إياه في عالم الخيال والأساطير ، مع ما فيها من إشارة إلى تقصيه أسباب النبوة ، واتصاله بالرهبان والبيع ،واشتهار أمره قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وما إلى ذلك من جوانب حياته .

٣ ــ اشتغاله بالتجارة

لقد اشتهر أميه بين الباحثين المحدثين بأنه ذلك التاجر الذي يعمل بين الشام واليمن ، فالزيات في تاريخه يجعل من أمية ذلك الرجل الذي : « كان يمارس التجارة طوال عمره ، فتارة إلى الشام وتارة إلى اليمن »[١] . وزيدان في تاريخه أيضاً يؤكد أن أمية لقي الرهبان في « تجارته إلى الشام »[٢] ، ثم يقول في مجلة الهلال : « وكان أمية مفطوراً على التدين ، وكان يتجر إلى الشام ، فلقي أهل الدين هناك »[٣] ، وهذه العبارة نراهــا مع تحريف طفيف في كتاب موجز لبعض المحدثين ، فنراهم يذكرون أمية بأنه : « كان مفطوراً على التدين ، وقد لقي في تجارته إلى الشام بعض أهل الدين »[٤] .

واشتهار أمية بالتجارة على هذا النحو ، ربما كان يرتد إلى ماذكره ابن عساكر في تاريخه وابن كثير في البداية والنهاية ، فقصة ابن عساكر التي أشرنا إليها منذ حين ، تبدأ بقول أبي سفيان : « خرجت أنا وأمية تجاراً إلى الشام »[٥] ، وهذا مقنع تماماً بأن أمية كان تاجراً ذا مال ونشب ، وملازَمةُ أمية في هذه القصة لأبي سفيان من بداية السفر حتى أوبتهم إلى مكة ، ربما ألقى ظلالاً أخرى ، ذلك

---

(١) تاريخ الأدب العربي للزيات ٧١ .
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ١ : ١٣٦ .
(٣) مجلة الهلال ص ٤٥٢ : الجزء (١٦) السنة التاسعة (١٩٠١ م) .
(٤) الموجز في الأدب العربي ١ : ٢٠١ .
(٥) تاريخ ابن عساكر ٣ : ١١٥ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٢١ .

أن مقام أبي سفيان معروف من تجارة قريش ، بل نعلم أنه كان رأس قافلة قريش يوم بدر ، وهذا معناه أنه رأس من رؤوس تلك القافلة التي خرج أمية فيها ، وإذا كان أبو سفيان مرافقاً لأمية أبداً ، بل يقف عند رغبته في ترك القوم والتقدم عليهم في المسير ، ثم نجد بينهما شيئاً من الحديث الودي ، فإن مكانة أبي سفيان لابد أن تدانيها مكانة أمية ، ومن هنا نعذر المحدثين في اتفاقهم على أمية « التاجر »، والتاجر الكبير الذي يعمل تارة إلى الشام ، وطوراً إلى اليمن .

ولكننا إذا تركنا قصة ابن عساكر ، وأتينا إلى شعر أمية ، وجدنا فيه عجباً ، إذ نرى رجلاً يهيم خياله بين الأنبياء والملائكة ، وتجيش خواطره بأنباء من خلَى من الأمم ، ويشتد بنا العجب حين نجد مديحه وانقطاعه لعبد الله بن جدعان ، تارة يتلطف في مديحه ، فيقول له :

أأذكرُ حاجتي أمْ قد كفاني حياؤكَ إنَّ شيمتَكَ الحياءُ

وتارة يصف القدور الزواخر وما تغلي عليه من صدور الإبل وأعضائها :

فَقُدورُهُ بفنائه للضَّيْفِ مُتْرَعَةٌ زَواخِرْ
تَبْدو الكُسُورُ منِ انْضِرا جِ الغَلْي فيها والكَراكِرْ

ثم لا يلبث أن يمدح بني الديان ، ويُعرِّض بممدوحه عبد الله بن جدعان ، لاشيء إلا لأنهم يطعمون البُرَّ بالشهد والسمن ، في حين لايطعمْ ابن جدعان غير البر والتمر :

ولقد رأيتُ الفاعلينَ وفِعْلَهم فرأيتُ أكرمَهُمْ بَني الدَّيَّانِ
ورأيتُ منِ عبد المَدانِ خلائقاً فَضَلَ الأنامَ بهنَّ عبدُ مَدانِ
البرُّ يُلْبَكُ بالشِّهادِ طَعامُهُمْ لاما يُعَلِّلُنا بنو جَدْعانِ

وهنا يزداد بنا العجب ويشتد ، أيمكن لتاجر له تلك الثروة والمكانة ، التي تريد أن تضعه فيها قصة ابن عساكر ، أن يقدم على مارأيناه من الانقطاع لمديح

عبد الله بن جَدْعان ، أو التعريض به ومدح بني الديان لأنهم يطعمون الفالوذج ، في حين لايطعم هو غير البُرّ والتمر !!

ونقل الأصفهاني أن أمية قدم على عبد الله بن جدعان ، « فلما دخل عليه ، قال له عبد الله : أمرٌ ما أتى بك ؟ فقال أمية : كلاب غرماء نبحتني ونهشتني . فقال عبد الله : قدمتَ عليّ وأنا عليل من حقوق لزمتني ونهشتني ، فأنظرني قليلاً يجمّ مافي يدي ، وقد ضمنتك قضاء دَينك ، ولا أسأل عن مبلغه »[١] .

ومثل هذا الخبر يشير إلى أن أمية لم يكن واسع الثراء ، ولا شك أن أمية لو كان ثرياً فعلاً لما أقدم على المديح ، إذ لو كان في غنى عن التكسب وإراقة ماء الوجه ، لما أقدم أبداً عليه ، وإذا كان شعره ينم عن رقة حاله ، فإننا ندرك التناقض بينه وبين قصة ابن عساكر ، التي تجعله « تاجراً يخرج إلى الشام في رفقة أبي سفيان » .

والقصة قد يكون فيها شيء من نسج الخيال كما قلنا منذ حين ، إلاّ أن ابن كثير ينقلها برواية ابن عساكر[٢] ، ثم يرويها بشكل آخر عن أبي سفيان أيضاً فلا نرى فيها وجه ذلك التاجر ، ولا حديث تلك التجارة ، وإنما يبدؤها بسنده عن أبي سفيان ، فيقول : « إن أمية بن أبي الصلت كان بغزوة أو بإيلياء .. »[٣] . وكذلك لانجد هذا التاجر ولا تلك التجارة إلى الشام في خبر الأصفهاني الذي رأيناه منذ حين ، وإنما قال : « كان أمية بن أبي الصلت يلتمس الدين ، ويطمع في النبوة ، فخرج إلى الشام ، فمر بكنيسة .. »[٤] .

---

(١) الأغاني ٨ : ٣ ، وهذا الخبر أورده التنوخي في المستجاد ٢٢٤ ، والنويري في نهاية الأرب ٥ : ٣٨ .
(٢) البداية والنهاية ٢ : ٢٢١ — ٢٢٣ .
(٣) البداية والنهاية ٢ : ٢٢٤ .
(٤) الأغاني ٣ : ١٨١ .

فخبر ابن عساكر له صور متعددة ، تنفرد واحدة منها فقط بحديث التجارة ، في حين تغفله الروايات الأخرى . ومهما يكن فنحن لانشك في أن للوضع نصيباً كبيراً في أمثال هذه الأخبار . ووجودها في أمثال البداية والنهاية وتاريخ ابن عساكر ، لا يُقصد منه الدقة في تدوين هذه الأمور ، بمقدار مايُقصد منه إلقاء الظلال على بعثة الرسول عليه السلام ، وتنبؤ النصراني لأمية بأن نبيّاً يبعث من العرب ، ثم حصره لهذا النبي في قريش دون ثقيف ، ثم حصره في ابن الأربعين دون عتبة بن ربيعة الذي جاوز المائة كما ورد في خبر ابن عساكر .

وإذا ماتحدثنا عن أمثال هذه الأخبار ، فإننا لانأخذ بها على أنها مسلمات يمكن أن تصدق ، ولا ننظر إلى تفاصيلها على أنها حقائق لاترد ، وإنما نستأنس بها علّنا نستشعر منها شيئاً عن حياة الرجل بوجه عام . فلعله كان يرحل طلباً للدين ومجالسة لأهله من النصارى وغير النصارى ، وهذا أقرب إلى الصواب مع ماعرفناه من شعره . وإن كان أمية قد رافق أبا سفيان إلى الشام ، فليس ذلك رفقة التاجر للتاجر ، وإنما رفقة الندّ للند ، هذا تاجر كبير وسيد في قومه قريش ، وهذا شاعر أكبره قومه ، وحكيم له مكانة بين عرب الحجاز ، ولعل تردد ابي سفيان على أمية في الطائف ، إن صح هذا التردد ، كان لرابط بينهما من صداقة أو نسب ، لا لاتفاقهما في المهنة والتجارة .

وبهذا نرجح أن أمية لم يكن صاحب مال وثراء ، فذلك يتعارض مع ماعرفناه من سلوكه المتأله ، وما لمسناه في أصداء شعره من مديح واستجداء مهذب .

٤ ـ عقيدته

رأينا أن ثمة جماعة قامت قبيل الإسلام بترك مفاسد الجاهلية ، ونبذ عبادة الأصنام ، بعد أن اتجهت إلى التوحيد الخالص ، وجعلت تبحث عن دين إبراهيم ،

وهم َمنْ أُطلِق عليهم اسم « الحنفاء » .

ومن هذه الجماعة كان أمية بن أبي الصلت ، فقد طلب الدين كما رأينا ، وَصدَف عن الأوثان وما كان لعصره من مفاسد ، ثم اتصل بثقافة الأديان التي كانت تحيط به ، وطلب دين الحنيفية وما فيه من توحيد ، فكان نتاجاً لذلك أن اختلفت آراء الناس فيه ، فهذا يشير إلى انتوائه الإسلام ، وآخر يحاول أن يشده إلى النصرانية ، وثالث يدفع عنه ذلك ليزعم أنه كان على اليهودية ، وجمهور يبطلون ذلك كله ويرون في أمية رجلًا متحنفاً فحسب .

فابن كثير ينقل بسنده أن أمية بن أبي الصلت رحل إلى البحرين ، وأقام بها ثماني سنين ، وكانت نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقدم أمية إلى الطائف، « فقال لهم : مايقول محمد بن عبد الله ؟ قالوا : يزعم أنه نبي هو الذي كنت تتمنى . قال : فخرج حتى قدم مكة فلقيه . فقال : يابن عبد المطلب ماهذا الذي تقول ؟ قال : أقول إني رسول الله ولا إله إلاّ هو . قال : أريد أن أكلمك فعدني غداً . قال : فموعدك غداً . قال : فتحب أن آتيك وحدي أو في جماعة من أصحابي ، وتأتيني وحدك أو في جماعة من أصحابك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي ذلك شئت ! فإنني آتيك في جماعة فأت في جماعة . قال : فلما كان الغد ، غدا أمية في جماعة من قريش . قال : وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم معه نفر من أصحابه حتى جلسوا في ظل الكعبة . قال : فبدأ أمية فخطب ثم سجع ثم أنشد الشعر حتى إذا فرغ قال : أجبني يابن عبد المطلب ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم : يس والقرآن الحكيم ، حتى إذا فرغ منها ، وثب أمية يجر رجليه . قال : فتبعته قريش يقولون : ماتقول يا أمية ؟ قال : أشهد أنه على حق ! فقالوا : هل تتبعه ؟ ! قال : حتى أروّي في أمره . قال : ثم خرج أمية إلى الشام ، وقدم رسولُ الله المدينةَ ، فلما قُتل أهل بدر ، قدم أمية من الشام ، حتى نزل بدراً،

ثم ترحل يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال قائل : يا أبا الصلت ماتريد ؟! قال : أريد محمداً ! قال : وما تصنع ؟ ! قال : أومن به ، وألقي إليه مقاليد هذا الأمر ! قال : أتدري من في القليب ؟ قال : لا ! قال : فيه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما أبناء خالك ـ وأمه بنت ربيعة بن عبد شمس ـ قال : فجدع أذني ناقته ، وقطع ذنبها ، ثم وقف على القليب يقول :

ماذا ببدر فالعَقَنْقَلِ من مَرازِبَةٍ جَحاجِحْ »[1]

وقد يكون أمية قد مر يومئذ على مكان بدر ، أما القصة بكاملها ففي النفس منها شيء من الشك والتردد ، شأن كثير من القصص التي تروى عن حياة أمية ، وذلك لأن أثر الحبك الفني فيها ظاهر ، فأمية يسأل عما يقول « محمد بن عبد الله » والناس يجيبونه بكل بساطة : « هذا ما كنتَ تتمنى » ، ثم إنه يلتقي بالرسول وفي ظل الكعبة بالذات ، ثم يخطب ولا تكفي الخطابة فيسجع ثم يقول الشعر ، وإذا كان أمية قد خطب وسجع وقال شعراً ، لكان ثمة حِرْصٌ بالغ على حفظ ماقاله من خطابة أو سجع أو شعر ، سواء من المشركين أو المسلمين ، ومع ذلك لم تنقل إلينا كلمة واحدة عنه !

والمهم أن الواضع لايجعل أمية يذعن للرسول أو يعلن إسلامه ، لأن الروايات جميعاً قد أجمعت على عدم إسلامه ، وإنما يجعله يُروّي في أمره ، ثم تَصرفه قتلى بدر عن إيمانه فيما بعد . والذي يُستغرب في نهايه القصة أن أمية في بدر لا يعرف شيئاً عما دار في هذا المكان ، حتى يقال له : أتدري من في القليب ؟ ووقعة بدر كان لها من الوقع في الجزيرة ماجعلها تؤثر في مكانة قريش بين أحياء

---

(١) البداية والنهاية ٢ : ٢٢٦ . ورواها ابن عساكر ٣ : ١٢٧ ، وختمها بقوله: « ثم رجع إلى مكة وترك الإسلام فخرج حتى قدم الطائف ، فقدم على أخته فكان في قصته ماقدمناه آنفا » وأشار ابن حجر إلى القسم الثاني من القصة ، وهو مرور أمية على موقع بدر في طريقه إلى الرسول ليسلم ، الإصابة ١ : ١٣٣ .

العرب ، مما حدا بقريش إلى القيام بغزوة احُد والخندق إنقاذاً لكرامتهم التي عفرتها غزوة بدر . ثم ألم يلتق أمية بمن يقص عليه خبر هذه المعركة العظيمة قبل أن يصل بدراً ولو بفرسخ على الأقل ؟ ! إن أمية مهما شطّ به البعد لايمكن أن يكون في غيَب عن أخبار مَن انتزع منه النبوة . ثم إنه مباشرة عند ما يقال له مَن في القليب ، يقف وينشد قصيدته الحائية ، مع أن بنية القصيدة وتراكيبها وألفاظها تدل دلالة لاتقبل الشك على أنها اقتضت جهداً وعناء حتى جاءت على هذه الصورة من الغرابة ، ولو أنها قيلت في بدر كما تصور القصة ، لكانت نتيجة للحماس وفورة الغضب ، ولو كانت كذلك لجاءت من أسهل الشعر لفظاً ومعنى، لأن العاطفة والتصنع لايجتمعان في قصيدة . أما أنها من أعقد شعره لفظاً وتركيباً ، فالمقصود منها التحريض والتحدي وإثارة قريش على محمد صلى الله عليه وسلم ، وليست من نتاج ثورة حماسية كالذي تصوره قصة ابن كثير .

وهكذا فمن المرجح أن القصة موضوعة تماماً في شقها الأول ، وأن أمية لم يلتق بالرسول ، ولم يكن بينهما كلام ، أما شقها الثاني فتذكره كتب أخرى من أمثال الخزانة [١] ، وتجعل طريقه من بدر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ليتبعه ويسلم ، ويروي هؤلاء قصيدة لأمية يزعمون أنه مدح بها الرسول ، وأولها :

لكَ الحَمْدُ والمَنُّ رَبَّ العبا دِ أنْتَ المَليكُ وأنْتَ الحَكَمْ

ونجد كتباً أخرى تذكر مرور أمية ببدر ، ولكنها لاتجعل طريق أمية إلى الرسول ، ومثال ذلك ما نجده عند الثعلبي في قصص الأنبياء ، إذ يقول عن أمية : « وكان قَصَدَ بعض الملوك ، فلما رجع مر بقتلى بدر فسأل عنهم ، فقيل له : قتلهم محمد . فقال : لو كان نبياً ماقتل أقرباءه » [٢].

---

(١) خزانة الأدب ١ : ٢٣١ .
(٢) قصص الأنبياء ١٦١ .

وهذه الرواية مهما تضمنت فهي اقرب إلى الصواب ، لأن الثعلبي أحرص الناس في كتابه على ذكر طريق أمية إن كانت إلى الرسول ليسلم . فأمية قد يكون مر ببدر ، أما أنه كان متجهاً إلى الرسول وأن قريشاً منعته ، وأنه مدح الرسول بقصيدة ذكر فيها وفاته عليه السلام وهو مازال حياً ، فهي رواية مهما حاولنا أن نصدقها ، فإن كثيراً من التردد والشك يبقى حائلًا دون ذلك ، ولا سيما أن القصيدة لابد من ردها كما سنرى ، لأنها مصنوعة عليه ، وهو منها براء .

ومهما يكن فبعض مصادرنا تشير إلى نيته الإسلام ، وبعضها لايشير إلى ذلك ، وسواء نوى أم لم ينو ، فنحن هنا لانحاسب الناس بالنيات ، وكل مايهمنا هو أن أمية لم يلتق بالرسول على الأرجح ، وأنه لم يسلم ، وهذا من الأسباب التي خفضت موازينه عند الرواة .

إلاّ أن شعر أمية لاتكاد قصيدة من قصائده الدينية تخلو من معاني التوحيد، أو ذكر الحساب والقيامة ، أو ذكر الأنبياء والرسل ، ثم إن شعره يكاد يزخر أيضاً بلفت النظر إلى الطبيعة ، وما فيها من خلائق ، دلالةً على حكمة الله وقدرته ، فنراه ينظر إلى السماء ، فيرى أفلاكها ونجومها ، وشمسها وقمرها ، ثم ينظر إلى الأرض ، فيرى حرثها ونباتها ، وعيونها وأنهارها ، وطيرها وحيوانها ، هذا إلى صور كثيرة لما وراء الأفق البعيد .

ولهذا وجدنا بعض الباحثين يتجهون إلى اعتناقه عقيدة أهل الكتاب ، وكان من هذا أيضاً مادة غزيرة يحتج بها الأب لويس شيخو على تأثير النصرانية في عرب الجزيرة ، بعد أن نَصَّر كل شعرائها تقريباً .

ففي سنة ١٨٩٠ م نشر الأب لويس شيخو كتاباً أطلق عليه اسم « شعراء النصرانية » . وفي هذا الكتاب يَسلُك شعراءَ الجاهلية ـ خلا بعض من أسلم منهم ـ على أساس أنهم من الشعراء النصارى ، وفي مقدمتهم شاعرنا أمية بن أبي

الصلت [١] .

ولكن الأب لويس شيخو لم يذكر في كتابه هذا ما اعتمد عليه في تنصير هذا الحشد الغفير من شعراء الجاهلية ، بل جعل يطل بمقالات متفرقة حول هذا الموضوع ، ثم لم يلبث بعد زهاء عشرين سنة أن خرج بكتاب « النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » . وفي صفحات هذا الكتاب نرى وجه التعصب الشديد ، ونقف على شيء من براهين الأب لويس شيخو ، التي اعتمد عليها في تنصير ذلك الخلق الكثير .

وليس هنا مكان الرد على الأب لويس شيخو في ما تناوله ذلك الكتاب من تعصب ، ولكن ما يعنينا الآن هو آراؤه في نصرانية أمية .

فقد رأيناه في التمهيد السابق يحاول البرهنة على أن الحنيفية شيعة نصرانية ، وكان من دلائله فيما زعم أن « معظم الأحناف يقال عنهم إنهم تنصروا » ، ثم ذكر منهم أمية بن أبي الصلت ، فقال مبرهناً على نصرانيته : « ومنهم أمية بن أبي الصلت ، الذي ترى ديوانه مشحوناً بتعاليم النصارى ، مع منقولات متعددة عن الأسفار المقدسة ، كسفر الخليقة ، وخلقة آدم وسقوط الأبوين الأولين بإغراء الحية والطوفان ، وذكر الأنبياء والرسل والسيد المسيح ومريم العذراء » [٢] .

ولكن هذه الحجج التي اعتمدها الأب لويس شيخو ، من الصعب أن تبرهن على نصرانية أمية ، ذلك لأن وجود القصص الديني عند أمية وذكره الأنبياء والرسل ، لايكفي للبرهنة على نصرانيته ، فنحن سلّمنا من قبل برحلته الكثيرة، ورجحنا أنها كانت طلباً للدين ومجالسة لأهل الكتاب ، كما سلمنا أيضاً بتأثره بأديان

---

(١) ارجع إلى شعراء النصرانية ٢١٩ .
(٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ١٢٠ . وأشار كامينتسكي إلى أن قصص الإنجيل قد احتلت في أشعار أمية مكاناً هاماً ، انظر: Kamenetsky, P. 2 .

الجزيرة وما يحيط بها يومئذ من يهودية ونصرانية ، ولهذا فإن وُجِد في شعره شيء مما يذكره الأب شيخو ، فهو صدى لتأثره بالنصرانية . وتأثُّر الرجلِ بهذه العقيدة شيء واعتناقه لها شيء آخر [١] ، ولو كان أمية بن أبي الصلت معتنقاً لهذه العقيدة ، لرأينا أثراً لذلك في أخباره أو في أشعاره ، وهي جميعاً تكاد تجمع على أمور لاتتفق مع العقيدة النصرانية .

فالإجماع على أن أمية حرَّم الخمرةَ ، وتحريم الخمرة ، لايمكن أن نراه عند رجل على دين السيد المسيح . ولكننا نجد في الأغاني حديثاً غريباً ، يقول فيه الأصفهاني : « مامات أحد من كبراء قريش في الجاهلية إلا ترك الخمرة استحياء مما فيها من الدنس [٢] ، ومن ذلك تَرْكُ ابن جدْعان لها ، « وكان سبب تركه الخمر أن أمية بن أبي الصلت شرب معه ، فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب ، فقال له : مابال عينك ؟ فسكت ، فلما ألحَّ عليه قال له : أنت صاحبها ، أصبتها البارحة ، فقال : أوَ بلَغَ مني الشراب الذي أبلغ معه من جليسي هذا ، لاجرم لأدينَنَّها لك ديتين : فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وقال: الخمر علي حرام أن أذوقها أبداً . وتركها من يومئذ » [٣] .

وهذا الخبر أشبه بالأساطير التي أحاطت بأمية من كل جانب ، ولا سيما

---

(١) ومثال ذلك مانراه من الأصداء المسيحية عند الأعشى ، ومع ذلك ورغم انه من شعراء النصرانية عند شيخو ، فإن نيكلسون يعترف بتأثير النصرانية فيه دون اعتناقه لها ، فيقول : « ومع أن الأعشى لم يعترف بالمسيحية ، فإن شعره يظهر إلى اي مدى كان متأثرا بأساقفة نجران ، الذين ارتبط بهم برباط الود والصداقة ، وبتجار الحيرة النصارى الذين كان يبتاع الخمر منهم » . وكذلك أمر النابغة الذبياني في راي نيكلسون ، إذ أن التأثر لا يعني اعتناق هؤلاء الشعراء للنصرانيـة . ارجع إلى حديث نيكلسون عن الأعشى والنابغة في كتابه :
A Litrary History of the Arab P. 124-125

(٢) عدد محمد بن حبيب أسماء من ترك الخمرة في الجاهلية من أشراف قريش ، فارجع إليه في المحبر ٢٣٧ ــ ٢٤١ ، وانظر ايضاً نهاية الأرب للنويري ٤ : ١١١ ــ ١٢١ .

(٣) الأغاني ٨ : ٥ ، ومثله في نهاية الأرب ٤ : ١١١ .

أن قصة شربه مع ابن جدعان لها رواية أخرى عند ابن دريد ، تختلف كل الاختلاف عن رواية الأغاني ، ففي حديث ابن دريد عن عبد الله بن جدعان يقول : « وكان أمية بن أبي الصلت مداحاً له ونديماً ، فشرب يوماً ، وكانت لابن جدعان قينتان ، فلما شرب أمية نظر إلى إحدى القينتين ، فغامزته فوقعت في قلبه فبات ساهراً ، فلما أصبح غدا على ابن جدعان وأنشأ يقول : (أأذكر حاجتي أم قد كفاني .. خمسة أبيات) . فقال ابن جدعان : قد عرفت حاجتك هي الجارية خذ بيدها ، فقال أمية : (عطاؤك زين لامرىء .. البيتين) »[1] .

ثم نجد رواية ثالثة عن تحريم ابن جدعان للخمر عند البلوي ، فلا نجد أثراً لأمية مطلقاً ، ففي حديث البلوي عن عبد الله بن جدعان يقول : « وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية ، وكان مغرى بشربها ، وذلك أنه سكر فتناول القمر ليأخذه ، فأُخْبِر بذلك حين صحا ، فحلف لايشربها »[2] .

فالاضطراب واضح بين خبر الأغاني وخبر ابن دريد ، ولا سيما أن للأبيات التي ذكرها ابن دريد مناسبة أخرى أقرب إلى الصواب والمنطق[3] . ومن هذا الاضطراب يتبدى جانب الوضع والتلفيق ، ثم يأتي خبر البلوي فلا يذكر أمية في ذلك ، وإنما يُظهر سبباً آخر لتحريم ابن جدعان الخمرة على نفسه . وهذا كله ينقض ما نُسب إلى أمية من شرب الخمرة ، ولا سيما إذا أضفنا إليه إجماع الرواة على تحريمه للخمرة ، ثم ما نجده من نص على تحريم الخمرة في شعر أمية ، إذ رأى أن أول ذنب المرء وأكبره هو اللهو والشرب لدى الموسر الغني

---

(١) الاشتقاق ١٤٣ — ١٤٤ .
(٢) الف با ٢ : ٨٣ .
(٣) ارجع إلى الأغاني ٨ : ٢ — ٣ .

- إن صح له هذا الشعر :

فاغْفِرْ لِعَبْدٍ إنَّ أوَّلَ ذَنْبِهِ   شُرْبٌ وإيسارٌ يشارِكُها دَدُ[١]

فإن صح هـذا البيت لأمية ، فهو نقض صريح للخبر الذي ورد في رواية الأغاني وابن دريد ، وإن كان منحولاً فقد وُضِع من وحي سيرة أمية في تحريم الخمرة ، وهذا التحريم يتعارض تماماً مع العقيدة النصرانية .

وثمة عبارة في كتاب البدء والتاريخ ، قد يَحْتَجّ بها مَنْ يحاول جذب أمية إلى دين أهل الكتاب . فالمقدسي يتحدث عن « العرش » واختلاف المسلمين في تأويله ، ثم يقول : « وكثير من أهل التشبيه يذهب إلى أنه كالسرير له ، وهو مذهب أهل الكتاب ، ومن كان من العرب بدينهم ، يدل عليه قول أمية ابن أبي الصلت »[٢] ، ثم يورد أبياتاً ينسبها إلى أمية ، فيها العرش بمعنى السرير .

ولكن عبارة المقدسي « ومن كان من العرب بدينهم » ، لاتعني من كان يدين بديانتهم ويؤمن بعقائدهم وإنما يريد بها « من كان ينحو نحوهم من الموحدين والمتألهين » ، إذ أن أمثال هذه العبارة مألوف في أسلوبه وأسلوب الأقدمين ، والمقدسي صريح في عبارته ، فلو علم بنصرانية أمية لأشار إلى ذلك صراحة ، كما أشار بصراحة إلى نصرانية عدي بن زيد في قوله : « وقد ذكرت حكماء العرب ومن كان يدين الله منهم بدين الأنبياء في أشعارها وخطبها ، كيف كان مبدأ الخلق ، فمنه قول عدي بن زيد العبادي ، وكان نصرانياً يقرأ الكتب »[٣] ، ثم يذكر أبياتاً لعدي بن زيد .

ومن هنا نجد كتب الأقدمين صريحة في هذا الموضوع فهي لاتتعصب ولا

---

(١) الدد : اللهو واللعب ، واوه محذوفة كما في الفد .
(٢) البدء والتاريخ ١ : ١٦٥ .
(٣) البدء والتاريخ ١ : ١٥٠ – ١٥١ .

تنطق عن الهوى في ذكر عقيدة هذا أو ذاك ، سواء كان على اليهودية أو النصرانية، فإن عُرف أحدهم بالنصرانية ، نَصّت كتب الأقدمين على أنه نصراني أمثال عدي بن زيد [١] ، وورقة بن نوفل [٢] ، وإن لم يُعرف بذلك ، وإنما وقف عند التأله وطلب الدين نصت كتب الأقدمين على تألهه أو تحنفه ، دون أن تُلْصِق به عقيدةَ أهل الكتاب ، كزيد بن عمرو بن نفيل [٣] .

وإذا كان الأمر على ذلك ، فأمية بن أبي الصلت لا يخفى شأنه على متقدم كابن هشام وابن سلام وابن قتيبة والأصفهاني وسواهم ، وهؤلاء كانوا أقرب منا إلى عصره ، وأعلم منا بما يتناقله الناس حوله ، ومع ذلك فإن أحداً منهم لم يشر إلى أنه نصراني أو يهودي ، وهذا الإجماع دليل قوي على عدم نصرانيته أو يهوديته .

ولو كان نصرانياً لرأينا شيئاً من العقائد النصرانية في شعره ، تختلف عما فيه من أقاصيص وأخبار لاتتصل بالمعتقد الأساسي . وموازنة بسيطة بين شعره وشعر عدي بن زيد وهو نصراني ، تُبين الفارق الكبير بين أمية المتأله وعدي ابن زيد النصراني .

فالأب شيخو يقول إن أمية ذكر المسيح والعذراء في شعره ، وهذا من دلائل نصرانيته في رأيه ، ولكن ذِكْر العذراء لم يرد إلاّ في بيت واحد فقط ، هو :

وفي دِينكمْ مِنْ ربِّ مَرْيَمَ آيةٌ مُنبِّئةٌ ، والعبدِ عيسى بنِ مريمِ

---

(١) ارجع إلى الأغاني ٢ : ٩٧ (دار الكتب) ، والخزانة ١ : ٣٤٤ ، وانظر Nicholson, P. 45-47 .

(٢) ارجع إلى الأغاني ٣ : ١٢٠ (دار الكتب) ، وكتاب المعارف لابن قتيبة ٢٠ (المطبعة العامرية الشرقية) .

(٣) ارجع إلى الأغاني ٣ : ١٥ — ١٧ (طبعة ساسي) .

وهو من قصيدة متهمة . وحتى لو صح البيت في نسبته إلى أمية ، لما كان فيه شاهد للأب شيخو ، لأنه لايقول : « وفي ديننا من رب مريم آية » ، مع أنه لايختلف وزناً عن القول الأول ، وإنما يقول « وفي دينكم » وكأن الأمر لايعنيه هو بالذات ، بل يشير إليه لوجود ذلك في عقيدة طائفة من الناس .

ولهذا جعل كليمان هوار من هذا البيت أمراً فصلاً في ردّه على آراء الأب شيخو ، إذ قال : « وفي أشعار أمية التي وصلت إلينا عن طريق كتاب البدء والتاريخ ثمة بيت قد يكون فاصلاً في هذا الموضوع ، إذا أمكننا أن نتأكد من الدرس الذي يريد أمية أن يقدمه في هذا البيت :

وفي دينكم من رب مريم آيـــة منبئة ، والعبد عيسى بن مريم

فهنا يتحدث الشاعر إلى المسيحيين ، وهو ليس منهم ، ولو كان الدرس يقول: « وفي ديننا » ، بدلاً من « وفي دينكم » ، وهذا لايُغيّر شيئاً في وزن البيت ، لكان هذا دليلاً قاطعاً على عقيدته المسيحية »[١] .

ثم يتساءل هوار عن إمكان التغيير في هذا البيت ، ثم يقول : « ليس من السهل أن نتصور ناسخاً مسلماً ، وقد وجد أمامه الدليل على نصرانية هـــذا الشاعر ، قد عمد إلى تبديل النص وتغيير الدرس ، لأنه لايجني من ذلك شيئاً ، إذ كان معروفاً للمسلمين طوال عصورهم الوسطى أن عدي بن زيد كان نصرانياً ، ومع ذلك لم يحاول أحد من النساخ أن يُسقط الوصف المرافق لاسمه ، بأنه نصراني »[٢] .

وأما ذكر السيد المسيح عليه السلام ، فقد جاء في بيت واحد أيضاً ضمن أبيات تحدث فيها أمية عن ساعة الحساب إذ يُحشد الناس انتظاراً لتلك الساعة ،

---

(١) Huart P. 135 .
(٢) Huart P. 135 .

وتطول عليهم ويتأخر ميعادها ، وإذا بهم يتساءلون أيان وقت الحساب :

والناسُ راثَ عليهم أمرُ ساعتهم — فكلُّهمْ قائلٌ للدِّينِ أيَّانا

أيامَ يَلْقَى نصاراهُمْ مسيحَهُمُ — والكائنينَ له وُدّاً وقُرْبانا

هُمْ ساعدوه كما قالوا إلهَهُمُ — وأرسلوه يَسُوفُ الغيثَ دُسْفانا

واستشهد الأب لويس شيخو بهذه الأبيات [١] ، ورأى فيها برهاناً على نصرانية أمية من جهة ، وعلى نفوذ النصرانية في عرب الجزيرة من جهة ثانية ، ثم علق عليها بقوله : « الدُّسْفان المُرْسَل : يريد أن المسيح تقدمهم كالرائد الذي ينتجع الكلأ ، ولعل في هذا إشارة إلى قول السيد المسيح في إنجيل يوحنا (١٤ : ٣) : إني ذاهب لأُعِدَّ لكم المكان » [٢] .

وهذه دلالة قوية عند الأب شيخو على نصرانية أمية ، ولكن هذه الأبيات بعد المناقشة لانراها تؤيده بل نراها حجة عليه ، وذلك بعد دراسة موجزة لقصيدة الأبيات ، ثم دراسة موجزة للأبيات نفسها ، ثم مقارنة لها بأبيات لعدي بن زيد النصراني المعروف .

فالأبيات من قصيدة لاتخلو من دواعي الشك فيها ، وهذه القصيدة إن صحت لأمية فهو يتحدث فيها عن الحنيفية بوجه خاص ، ونرى من خلالها إنساناً يسعى إلى الدين ، ويسائل عن نبيّ يخبره عما وراء الحجب ، فيبدأ القصيدة بحمد ربه صباح مساء ، ولكنه رب الحنيفية كما يقولها بصراحة في الأبيات :

الحمدُ للهِ مُمْسانا ومُصْبَحَنا — بالخيرِ صَبَّحنا ربي ومَسَّانا

رَبُّ الحنيفةِ لم تنفَدْ خزائنُها — مملوءةً طَبَّقَ الآفاقِ سُلطانا

ألا نَبيٌّ لنا مِنَّا فيُخبِرَنا — مابُعدُ غايَتِنا من رأس مُجرانا

---

(١) النصرانية وآدابها ١٧٠ .

(٢) النصرانية وآدابها ١٧٠ .

ورجل لايعلم ماوراء الحجب ، ويتساءل عن نبي ينقذه من هـذه الحيرة ، ويُعلمه شيئاً مما جهله قبله زهير بن أبي سلمى ، لايمكن أن يكون نصرانياً ، أو يهودياً ، لأن من يؤمن بهذه الأديان لايتشكك ، ولا يسائل عن نبي يخـبره بذلك ، ولكن أمية الحنيفي الذي راعه اضطراب مجتمعه هو الذي ينطق بذلك ، لا أمية النصراني ، وهذا مانراه أيضاً في القصيدة ، إذ يتحدث الشاعر عن ربه الذي يعوذ به ، فيحدده بربِّ الحجيج الذين جاؤوا إليه لايبتغون بثوابه أي ثمن :

إني أعوذ بمن حَجَّ الحَجيجُ له   والرافِعُونَ لدينِ اللهِ أركانـا
مُسلِّمينَ إليهِ عِندَ حَجِّهِمُ   لم يَبْتغُوا بثَوابِ اللهِ أثْمانا

والحج والبيت والإهلال وغيرها شعائر لا نبحث عنها في الأسفار المقـدسة ، وإنما نبحث عنها في بقايا دين الحنيفية بين العرب قبل الإسلام . وبعد هذه الأبيات التي تنطوي على بعض الأسس الأصيلة في دين الحنيفية ، تـأتي مباشرة الأبيات السابقة التي استشهد بها الأب شيخو ، فلا نجد فيها غير تـمثُّلِ أميـة بالنصارى والمسيح يوم القيامة ، وذلك تأثيراً لثقافته الدينية .

والذي يؤكد ذلك ، أنه قال « أيامَ يلقى نصاراهم مسيحهم » ، ولو كان نصرانياً حقاً ، لقال « أيام نلقى مسيحنا أو إلهنا » أو غير ذلك ، ولكن الأمر كما يبدو لايعني أمية مطلقاً ، وهذا يؤيده ما جاء في البيت التالي « هم ساعدوه »، فضمير الغيبة يدل على هذا المعنى ، كما نجد إشارة الشك وعدم الاعتقاد بـدينهم واضحة في قوله « كما قالوا إلههم » ، وهل رأينا رجلاً يؤمن بعقيدة مـا ، ثم يتكلم عن أصحابها فيقول « كما قالوا » أو « كما زعموا » ؟ ! .

فسياق القصيدة يشير إلى التمثيل المراد من الأبيـات ، كما أن مضمون الأبيات حجة واضحة على عدم إيمان أمية بالنصرانية .

وهذا ما يتضح أيضـاً من مقارنة هذه الأبيات بأبيات لعدي بن زيـد ،

يتحدث فيها عن نزول الأبوين الأولين من الجنة بخداع من إبليس والحية ، حتى ينتهي إلى قوله [١] :

فأتعبا أبوانا في حياتهما وأوجدا الجوعَ والأوصابَ والعِللا
وأوتيا المُلْكَ والإنجيل نقرؤه نشفي بحكمته أحلامنا عللا
من غيرما حاجة إلا ليجعلنا فوق البرية أرباباً كما فعلا

وقراءة هذه الأبيات تكشف بجلاء عما بينها وبين أبيات أمية من خلاف ، إذ لانجد في أخبار أمية أو أشعاره أمثال هذه المعاني التي نقع عليها في شعر عدي ، مِنْ ذكر لربوبية السيد المسيح أو قراءة عدي نفسه الإنجيل عن إيمان وعقيدة . وكل ما نجده في الشعر المنسوب إلى أمية ، بيتان ورد كل منها في موضع من اللسان ، وهما [٢] :

ولولا وَثاقُ اللهِ ضَلَّ ضلالُنا وقد سرَّنا أنَّا نُتَلُّ فنُوأَدُ
تَرَى فيهِ أخبارَ القرونِ التي مَضتْ وأخبارَ غَيبٍ في القيامةِ تَنجُدُ

وإذا صحت نسبة البيتين إلى أمية ، وصح أن نضم بينها على هذا النحو ، فإننا لانجد فيها من الوضوح ما نجده في أبيات عدي ، فالوَثاق في اللغة هو مايوثق به من حبل أو سواه ، ولعله أراد به أحد الكتب المقدسة ، ولكنه كتاب غامض لا نستطيع أن نحدد معالمه ، ولا ندري إذا كان يريد به التوراة أو الإنجيل ، أو صحيفة من تلك الصحف التي عُرفت بين عرب ما قبل الإسلام ، ولا ندري ما طبيعة هذه الصحيفة إن صحت ، وهل ضمت أخبار القرون الماضية نقلاً عن التوراة، أم نقلاً عن أفواه عرب الجزيرة ، أو أنها كانت تنطوي على هذه الأخبار مع ذِكرٍ لما بقي من تراث دين إبراهيم ..!

---

(١) حيوان الجاحظ ٤ : ١٩٨ — ١٩٩ .
(٢) البيت الأول في اللسان (ضلل) ، والثاني في اللسان (نجد) .

إن هذا الكتاب غامض ، ومن التعنت أن يُبنى عليه دليل . وبذلك فمعاني أمية لايتضح فيها إيمانه بالنصرانية ، على نحو مايتضح من معاني عدي ، وهذا كله ينقض ما ذهب إليه الأب شيخو من حجج لِسَلْكِ أمية بن أبي الصلت بين شعراء النصرانية .

وقد لاحظ المستشرق كليمان هوار ضعف هذه الحجج ، فقال : « وأراد بعضهم اعتبار أمية شاعراً نصرانياً حقاً ، فالأب لويس شيخو من جامعة سان جوزيف في بيروت ، حاول إثبات نصرانية أمية ، ولكنه لم يستطع أن يأتي بما يثبت ذلك . والأب شيخو يأتي بكلام ولهوزن أستاذ جوتنجن (Gœttingne) ، الذي يقول : « إن أمية ولبيداً ـ الذي أسلم فيما بعد ـ يعتبران مسيحيين تبعاً لاتجاههما العقلي » ، ولكنه لايأتي بأي مصدر ، ونلاحظ فعلاً أنه يعتبرهما مسيحيين تبعاً لاتجاههما العقلي فحسب ، وهذا نقد أدبي لادليل علمي »[1] .

وممن عرض لعقيدة أمية جرجي زيدان ، فحاول أن يبحث الأمر على بصيرة ، فاتجه بالنقد إلى آراء الأب لويس شيخو ، ليبني مكانها رأياً جديداً يجعل من أمية ذلك اليهودي ، لأنه في رأي زيدان لم يأخذ من الإنجيل وإنما أخذ من التوراة .

فقد كتب جرجي زيدان بحثاً قصيراً في مجلة الهلال ، تناول فيه أمية بن أبي الصلت ، ورأى أن من الواجب اعتباره يهودياً لانصرانياً ، ولذلك اتجه بالنقد إلى شيخو ، فقال : إن أمية « ما انفك يختلف إلى الديور[2] والكنائس ، يجالس الرهبان والقسوس ، حتى غلب على ظن البعض[3] أنه مسيحي ، ولا دليل على ذلك سوى اختلافه إلى الكنائس ومجالسته القسيسين وذكره الله وبعض أنبيائه في أشعاره ، ولكن ذلك كان من شأن العرب على اختلاف أديانهم حتى الوثنيين ،

---

(١) Huart P. 134 - 135

(٢) كذا ، وجمع الدَّيْر : أَدْيار .

(٣) كذا بالألف واللام ، والصواب أن تجرَّد منهما .

فلا يصح اتخاذه دليلًا على نصرانيته ولو كان نصرانياً لذكر المسيح في أشعاره ولو مرة ، كما ذكر إبراهيم وإسحق وإسماعيل والسماء والجنة والبعث ، ولما خطر له أن يَدَّعي النبوة ، ولا يتوقع مجيء النبي ، وليس في تعاليم النصرانية ما يدعو إلى ذلك ، فالأقرب والأظهر أن يكون يهودياً ، لأن اليهود كانوا وما يزالون يتوقعون مجيء مسيح أو نبي ، وقد أشار المسعودي إلى نصرانيته فقال : ومنهم من زعم أنه مات نصرانياً ، ولم يدرك ظهور النبي ولم يدركه أبوه ، ومنهم من رأى أنه مات مسلماً ، والذي نراه أنه لم يكن هذا ولا ذاك »[١] .

وإذا أصاب زيدان في بعض نقده لشيخو ، فإنه لم يوفق في سائره ، إذ وجدنا منذ حين أن السيد المسيح قد ذُكر مرة واحدة في الشعر المنسوب إلى أمية ، كما أننا لم نجد أحداً يزعم أن أمية مات نصرانياً أو مسلماً ، وإذا نقل زيدان عن المسعودي بعض ذلك ، فإنه لم يحدد مصدره بدقة علمية حتى نحكم عليه ، ثم إن أمية لم يَدَّع النبوة بإجماع الرواة وأصحاب الأخبار ، وإنما كان يتوقع مجيء نبي فحسب ، وإذا كان يتوقع مجيء مسيح أو نبي ، فهذه الحجة واهية إذا ما قيست بحجج الأب شيخو ، التي عمل زيدان نفسه على نقضها والرد عليها . ولهذا لايمكن التسليم بيهودية أمية لالشيء اللهم إلاّ لتوقعه مجيء نبي وطمعه أن يكونه ، فهذا قد يكون أثراً من آثار ثقافته الدينية ، واتصاله بأصحاب العقيدة اليهودية كما رأينا ، وما قلناه ردّاً على الأب لويس شيخو ينبغي أن يقال هنا أيضاً ، وهو أن تأثر الرجل باليهودية شيء ، واعتقاده بها شيء آخر .

ثم قال زيدان في موضع آخر : « وله غير ذلك في وصف الآخرة وغيرها ، وقد جاء في أكثرها على أوصاف تطابق تعاليم التوراة والزبور ، وبعضها منقول

---

(١) مجلة الهلال ٤٥٢ ــ ٤٥٣ : الجزء (١٦) السنة التاسعة (١٩٠١) م .

حرفاً حرفاً ، ولكننا لم نجد بينها شيئاً ينطبق على تعاليم الإنجيل ، وذلك يضعف قول القائلين بنصرانيته ، إلا إذا جاؤونا بأدلة تزيل هذا الإشكال ، غير ماقد يتبادر إلى الذهن من ضياع أشعاره التي أورد فيها ذكر السيد المسيح أو حواريه، فإن العبرة في مؤدى النظم في إجماله ، لأن لتعاليم الإنجيل نسقاً يدل على نصرانية ناظمها ولو لم يذكر السيد المسيح في نظمه ، كما يدل وصف الجنة مِثلَ ما وصفته التوراة على أن الواصف كان يهودياً أو يعتقد اعتقاد اليهود »[١] .

وفي هذا القول يأتي زيدان بحجة أخرى لما ذهب إليه من يهودية أمية ، وهي أن أوصافه للآخرة وغيرها أوصاف تطابق تعاليم التوراة ، ثم يشير بوجه خاص إلى وصف أمية للجنة . وهذه الحجة يمكن أن تُنقض بأمرين : الأول أن معظم تلك القصائد التي يُظن أنه أخذها من التوراة ولا سيما وصف الجنة ، هي من الشعر غير المُوَثّق في نسبته إلى أمية ، لأنه في واقعه لا يتشابه مع التوراة إلا في المعنى العام ، في حين يتشابه مع القرآن في المعنى واللفظ والصياغة ، وأحياناً يستمد من القرآن عبارات وأشطاراً بكاملها ، مما يشير إلى وضعه في عصر متأخر عن عصر أمية ، ولهذا فقد فات زيدان هذا التطابق القائم بين وصف الجنة في شعر أمية ووصفها في القرآن الكريم ، وبذلك لايحق لنا أن نبني حجة على شعر متهم من ناحية ، وتظهر فيه آثار القرآن أكثر من آثار التوراة من ناحية أخرى .

والأمر الثاني الذي يمكن أن يُرَدّ به على حجة زيدان ، هو أن ما نجده من آثار للتوراة في شعر أمية الديني الموثّق ، لايمكن أن يُتّخذ دليلًا على يهوديته ، لأنه أثر من آثار ثقافته الدينية وصدى لما كان بين أعراب الجزيرة من عقائد وأخبار متناقلة عن الأمم البائدة ، والثقافة والتأثر شيء ، والإيمان بالعقيدة شيء آخر ، وليس المدار في تحديد عقيدة الرجل إلا على إيمانه الكامل بالتعاليم الأساسية لعقيدة

---

(١) مجلة الهلال ٤٥٥ .

من العقائد ، فإن وُجِد في شعره إيمان بالعقائد الأساسية للنصارى فهو نصراني وزيدان نفسه لايرى شيئاً من ذلك ، وإن وُجِدَ في شعره إيمان بالعقائد الأساسية لليهود فهو يهودي ، ولو وَجَد زيدان شيئاً من ذلك ، لسبق إلى ذكره ، ودعم رأيه بالأدلة والبراهين .

وإذا كانت العقائد هي صاحبة الأمر في الموضوع ، فأمية كان حنيفياً لانصرانياً أو يهودياً ، وذلك لأننا نجد في شعره قدراً كبيراً من عقائد الحنيفية دين إبراهيم ، وفي مقدمة ذلك تحديد أمية للإله الواحد الذي آمن به وصدّق بوحدانيته ، وهذا الإله في تحديد أمية هو رب الحنيفية بالذات :

الحمدُ للهِ مُمْسانَا ومُصْبَحنا بالخَيْرِ صَبَّحَنا رَبِّي ومَسَّانا
ربُّ الحَنيفةِ لم تَنفدْ خزائِنُها مملوءةً طَبَقَ الآفاقِ سُلْطانا

بل نجد إشارة أوضح إلى اعتناقه دين الحنيفية ، حين يجعل كل دين غير الحنيفية باطلًا يوم القيامة :

كلُّ دينٍ يومَ القيامة عند الله إلا دينَ الحنيفة زُورُ

فالحنيفية في نظره هي الدين الحق ، الذي ينبغي للمرء أن يتمسك به ، لأنّ ماعداه من الأديان كاذب باطل لايجدي يومَ الدين .

وأمية في توحيده ينحو نحو الحنيفية بالذات ، حين يعترف بالله الواحد دون أن يُشرِك به أحداً :

إذا قيلَ مَنْ رَبُّ هذِي السَّمَا فلَيْسَ سِواهُ لَهُ يَضطربْ
ولو قِيلَ رَبٌّ سِوَى رَبِّنا لقالَ العِبادُ جَميعاً كَذِبْ

وفي أبيات أخرى نجد أمية يهدم كل مشاركة ، سواء كانت عن طريق الأوثان ، أو عن طريق أي شيء آخر ، حين ينطق بوحدانية الله ، ويجعل الله هو الباقي الوارث لكل مخلوقاته ، وهو القدير على كل شيء ، فلو شاء لما ورث

مخلوق مخلوقاً آخر :

ألا كُلُّ شيءٍ هالكٌ غيرَ ربِّنا ولله ميراثُ الّذي كانَ فانيا
وَلِيٌّ له مِنْ دُونِ كُلِّ ولايَةٍ إذا شاءَ لم يُمْسُوا جميعاً مواليا
وإنْ يَكُ شَيءٌ خالدًا ومُعَمَّرًا تأمَّلْ تجدْ من فوقِهِ اللهُ باقيا

وفكرة التوحيد عند أمية تخالف عقيدة التوحيد في اليهودية والنصرانية معاً ، إذ يقول اليهود : « عُزيرٌ ابنُ الله » ، ويقول النصارى : « المسيح ابن الله »، وقد نصّت على ذلك سورة التوبة : « وقالت اليهودُ عزيرٌ ابنُ الله ، وقالت النصارى المسيحُ ابنُ الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قولَ الذين كفروا مِن قبلُ ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون ؟ اتخذوا أحبارَهم ورهبانَهم أرباباً مِن دون الله والمسيحَ بنَ مريم ، وما امِروا إلاّ ليعبدوا إلهاً واحداً ، لا إله إلاّ هو سُبحانَهُ عما يشركون »[1] .

وبذلك يكون أمية قد خرج على الأساس في هذه العقائد ، وانطلق إلى التوحيد الحنيفي الخالص . وقد رأيناه يذكر شيئاً من شعائر الحنيفية أمثال الحج والحجيج وتسليم الأمر لله عند حجهم ، وعدم ابتغائهم بثواب الله أيّ ثمن :

يارَبِّ لاتجعَلَنّي كافِراً أبَداً
واجعَلْ سَريرَةَ قَلْبِي الدّهرَ إيمانا
واخلِطْ بِهِ بُنْيَتِيواخلطْ به بَشَري
واللّحْمَ والدّمَ ماعُمِّرْتُ إنسانا
إنّي أعوذُ بِمَنْ حجّ الحَجيجُ لهُ
والرّافِعُونَ لِدينِ اللهِ أركانا
مُسَلِّمينَ إليهِ عِندَ حَجِّهِمُ
لَمْ يَبتَغُوا بِثوابِ اللهِ أثمانا

(١) سورة التوبة ٩ : ٣١ — ٣٢ .

ونرى في هذه الأبيات وما إليها ذلك السياق الهـادىء ، الذي يقود إلى وحدانية الله وعدم تأليه أحد سواه ، ولا حاجة بنا إلى استعراض نظرة أمية إلى الملائكة والبعث والحساب وما إليها ، لأنها مسلمات في شعره ، وهي لاتختلف عنده عما في اليهودية أو النصرانية أو الإسلام فيما بعد ، لأنها في جوهرها واحدة في هذه الأديان جميعاً . ولكن الذي يهمنا من أمية هو نظرته إلى الله تعالى ، وقد رأيناه موحداً له على نمط يختلف عن توحيد اليهودية والنصرانية .

وبذلك فأمية أحد أولئك « الحنفاء » ، الذين اتجهوا إلى التوحيد الخالص ، ونبذوا كل مظاهر الشِّرْك ، وجعلوا يطلبون الدِّين ويلتمسون الحنيفية ، فيجالسون الأحبار والرهبان ، ولكنهم لم يؤمنوا بالنصرانية أو اليهودية ، ولذلك حَسُبَ هذه الطبقة أن يُطلَق عليها اسم « الحنفاء » ، لما فيه من دلالة واضحة على طبيعة أمرها .

٥ ـ شخصيته

إن شخصية أمية متعددة الجوانب ، صعبة المسالك ، ولهذا أخطأ بعض الباحثين في تفهم ما تنطوي عليه من اتجاهات متباينة أحياناً ، وبلغ الأمر غايته عند بشير يموت ، فلم يدرك من أمية إلاّ الشّره والطمع والتمدح والتنكر لعبد الله بن جَدْعان ، وبذلك كان أمية في رأيه : « مايزيد في أخلاقه تلك عن بعض من نعرفهم اليوم من الشعراء المستجدين المادحين ثم القادحين والسائرين مع الأهواء والمناسبات »[1] .

ونحن مهما حاولنا أن نقتنع بهذه الكلمات ، فواقع أمية لايتفق مع ذلك

---

(١) مقدمة بشير يموت لديوان أمية ١٣ .

مطلقاً ، فالرجل كان يسعى وراء النبوة ، ولكنه لم يكن مخادعاً ولا مغروراً ، وإلا لما انتظر أن يوحى إليه ، بل كان ادّعى تلك النبوة ، وقال للعرب أنا نبيكم المنتظر ، وكُتُبُ الأقدمين على أنه هَمَّ بالنبوة ولكنه لم يَدَّع ذلك أبداً ، وما هذا إلا لأنه أدرك قيمة نفسه ، وعلم أنه أحق مَن حوله بها ، ولهذا راح ينتظر أمر السماء !

وقال ابن دريد : « وكان بعض العلماء يقول : لولا النبي صلى الله عليه وسلم لادَّعَتْ ثقيف أن أمية نبي »[١] . وقال الجاحظ : كان أمية « داهية من دواهي ثقيف ، وثقيف من دهاة العرب ، وقد بلغ من اقتداره في نفسه ، أنه قد همَّ بادّعاء النبوة ، وهو يعلم كيف الخصال التي يكون الرجل بها نبياً أو متنبياً إذا اجتمعت فيه »[٢] .

فلولا أن فيه من الخصال التي يكون الرجل بها نبياً أو متنبياً ، لما انتظر النبوة أو هَمَّ بها ، ولكن هذه الخصال تتعارض مع ماعرفناه في شعره من المديح والتكسب والتعريض ، إذ أن رجلاً على تلك الخصال كيف يجيز لنفسه التعرض لمديح هذا أو التعريض بذاك !

وهنا في الواقع تكمن شخصية أمية ، التي غمضت على معظم الباحثين ، فنحن هنا حيال شخصية معقدة صعبة المسالك ، متقلبة بين حين وآخر ، شأن أي شخصية كبيرة في تاريخنا الأدبي ، أمثال بشار بن برد وأبي العلاء المعري وغيرهما .

وهذا التعقيد في نفسيته ، وهذه الحيرة بين نفسه وواقعه ، ربما لم يفارقه في يوم من أيام حياته ، ولو كان شعره مُحدَّد المعالم ، نعلم ماقاله أولاً ، ثم ماقاله ثانياً ، لاستطعنا أن نرصد اتجاهات هذا التعقد النفسي ، كما استطعنا أن

---

(١) الاشتقاق لابن دريد ٣٠٣ .
(٢) الحيوان للجاحظ ٢ : ٣٢٠ .

نفعل في بعض آثار أبي العلاء ، ولكن شعر أمية لم يحظ حتى بالرواية الحسنة ، بَلْهَ التأريخ الدقيق ، ومع ذلك فلنحاول رسم خطوط عامة لهذه الحيرة والتعقد في نفسيته .

إن أمية تارة يعيش مع الواقع ، ويرى مابين يديه ، وإذا به يشعر بالحاجة وتكاليف الحياة ، ولا يجد بدأً من المديح ، ولكنه لايمدح السوقة ولا يثني على غير أصحاب الفضل ، ولا يُلِحّ في سؤاله ، وإنما يتلطف ، فيقول لعبد الله بن جَدْعان :

أأذكُرُ حاجتي أمْ قد كفاني ... حَياؤكَ إنَّ شيمتَكَ الحياءُ

وعِلمُكَ بالأُمُورِ وأنتَ قَرْمٌ ... لكَ الحسَبُ المُهذَّب والسَّناءُ

وتارة أخرى يعيش في الواقع الذي هو فيه ، ولا يحيد قيد أنملة عنه ، فإذا به يتحدث عن كل شيء يحيط به ، عن الطعام والقدور ، وهذا واقع عبد الله ابن جدعان ، وأمية هنا لايصعد فوق الواقع ليدبج وينمق وإنما يسير وفق معاني المديح يومئذ ، ويذكر مارآه تماماً ، ويحدث بهذه القدور المترعة التي تغلي وتكركر بما ملئت من اللحم وأعضاء الإبل :

فقُدُورُهُ بفِنائِهِ ... لِلضَّيْفِ مُتْرَعَةٌ زَواخِرْ

تَبْدُو الكُسورُ مِن انْضِرا ... جِ الغَلْيِ فيها والكَراكِرْ

فكأنَّهُنَّ بِما حَمِيـ ... ـنَ وما شُحِنَّ بِهِ ضَرائِرْ

وقد بَيَّنا سابقاً أن منزلة أمية في قومه كانت منزلة الشاعر المتأله ، لامنزلة الثري صاحب المال والنشب ، وإذا كان في حاجة أحياناً فلا عليه إذا مدح بتلطف رجلاً كان آية في النُّبْل والكرم ، بل أمية نفسه لايرى في سؤاله مايشين المرءَ أو يحط من قدره :

عطاؤكَ زَيْنٌ لامرئٍ إن حبوتَه ... بخير وما كُلُّ العَطاء يَزِينُ

وليسَ بِشَيْنٍ لامْرئٍ بَذْلُ وجهِهِ إليكَ كما بَعْضُ السُّؤالِ يَشِينُ

وأما تعريضه بابن جدعان ومدحه لبني الدَّيان ، فسببه أن الذي يعاني صراعاً داخلياً وتعقداً نفسياً ، هو عرضة دائماً للأهواء والنزعات ، أو بعبارة أخرى هو عرضة دائماً للانفجار كما نرى عند بشار بن برد مثلاً ، ومَنْ يضمن أن جفوة ما ، لم تقع بين أمية وعبد الله بن جدعان ، حملت أمية بن أبي الصلت على مدح بني الديان والتعريض بصاحبه القديم ، وهذا لايدل على فساد سريرة أو خبث خُلُقٍ عند ابن أبي الصلت ، وإنما يدل على واقع كان يعيش فيه أمية كما يعيش سائر الناس .

فأمية كان يعيش مع الحياة والواقع تارة ، وتارة يمضي بنفسه إلى حَرَم التأمل والتفكير ، فيمتد خياله ما بين السماء والأرض ، ويهيم في أطباق اللانهاية ، وتمر عليه قوافل الأجيال ، فتنطلق على لسانه مواكب الحكمة والتألُّه ، وأحاديث القيامة والحساب .

ومن خلال هذه الحيرة والتقلب بين واقعه ونفسه ، برزت شخصية أمية بن أبي الصلت بكل مافيها من عبقرية وشاعرية ، فكانت نتاجاً لعناصر متعددة عملت على تكوينها وإثارة العبقرية الشاعرية فيها . وفي مقدمة هذه العناصر بيئة أمية ، وما أحيط به من بيت شاعري ، ثم ماحظي به من ثقافة ، وما قام به من رحلات داخل الجزيرة وخارجها ، ثم ما كان من أحداث تولدت منها نهضة فكرية واجتماعية قبيل الإسلام .

فأمية عاش في الطائف [1] ، وكانت الطائف يومئذ دوحة من الخصب

---

(١) قال التبريزي : « إنما سُميت طائفاً بالحائط الذي كانوا بنوا حولها في الجاهلية » ، شرح مقصورة ابن دريد ١٩٩ .

والجمال ، وفيها متنزه أعيان مكة ومصيفهم ، وما تزال الطائف متنزهاً لأعيان مكة وأمرائها ، « لبرودة المناخ وجمال الهواء وكثرة الحدائق الغناء وتوفر المياه »[١] . ونجد وصفاً للطائف لدى عَرّام السُلّمي ، فنرى أنها كانت ذات « مزارع ونخيل وموز وأعناب وسائر الفواكه ، وبها مياه جارية وأودية تنصب منها إلى تبالة .. وهي من أمهات القرى »[٢] ، وحدثنا فيليب حتي عن هذه البقعة العربية ، فقال : « الطائف كانت وما تزال مصيف الخاصة في مكة ، إذ تحتضنها الأشجار الوارفة على ارتفاع (٦٠٠٠) قدم ، وكانت توصف بأنها قطعة من أرض الشام . ويُبَيّن (بوركهاردت ـ Burchardt) الذي زارها في آب ١٨١٤ ، أنها أجمل وأبهج منظر رآه منذ فَصَل عن لبنان . وتضم غلالها العسل والبِطّيخ الأحمر والموز والتين والعنب والزيتون والدراق والسفرجل ، وهي مشهورة بالورود والعطور ، وتمد مكة بالروائح العطرية »[٣] ، ويرى فيليب حتي أن الطائف أقرب مكان في الجزيرة إلى وصف القرآن للفردوس في بعض سوره[٤] . وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن كلمة « القريتين » الواردة في القرآن الكريم تعني مكة والطائف ، مما يدل على شهرة الطائف من حيث المناخ والطبيعة الخيرة[٥] .

وجنة مثل الطائف كان لابد أن تؤثر في ذلك الغلام ، الذي يبدو أنه فُطر على التأمل فيما حوله من عجائب الطبيعة ، فكان لهذا الجمال والتنوع في الطبيعة ، أن أثر في شاعريته القوية وفي نماء عبقريته المتنوعة التي تسبح بين السماء والأرض ، وهذا يفسر مانلاحظه في شعره من لفت الأنظار إلى مظاهر الطبيعة ، من نجوم وأفلاك ، ونبات وحيوان ، وجبال وأنهار ، لإدراك حكمة الله تعالى وقدرته .

---

(١) المملكة العربية السعودية تسجيل وتعريف ٩١ ، وهي نشرة أنيقة صدرت عن جناح المملكة العربية السعودية في معرض دمشق الدولي لعام ١٩٥٦ .
(٢) أسماء جبال تهامة ٤٦ ــ ٤٧ .
(٣) Hitti, History of the Arab P. 102-103
(٤) Ibid P. 103
(٥) تاريخ العرب قبل الاسلام ٤ : ٢٠٩ .

وليست طبيعة الطائف هي كل شيء ، فأمية نشأ في ثقيف ، وثقيف يومئذ « أضداد بالبلدة وبالمال وبالحدائق والجنان ، ولهم اللات والغَبْغَب ، وبيت له سدنة يضاهئون بذلك قريشاً »[١] ، فهم قوم اجتماع وحضارة ، كما أنهم أهل شِعْر وفصاحة ، يدل على ذلك قول الأصمعي : « قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السَّرَوات ، وهن ثلاث ، وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن ، فأولها[٢] هذيل وهي تلي السهل من تهامة ، ثم بجيلة السراة الوسطى وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ، ثم سراة الأزدِ أزدِ شَنوءة »[٣] .

فقد نشأ أمية في بيئة ذات خصب وجمال ، كما نشأ في قوم أصحاب فصاحة وشاعرية ، وإلى هذا وذاك فقد أُحيط بمنبت شاعري خصب أيضاً ، إذ أن أباه أبا الصلت عبد الله بن أبي ربيعة كان شاعراً يُنسب إليه شيء من أبيات ولده ، ومنهم من ينسب بعض شعر أمية إلى جده ، مما يدل على أن والد أمية كان شاعراً ، ولعل جده كان شاعراً أيضاً ، وهذا يشير إلى أصالة النزعة الشاعرية في هذا البيت الذي درج فيه أمية ، فأخذ منه الأصالة الشعرية ، ثم أورثها بعض بنيه كالقاسم ابن أمية وربيعة بن أمية وقد رأينا شيئاً من أخبار شعرهم .

ومما أسهم أيضاً في بناء شخصية أمية ما كان له من ثقافة واسعة ، واطلاع على مناحي التفكير الديني في ذلك الحين ، وقد رأينا عند ابن كثير وابن عساكر والأصفهاني والبغدادي وابن قتيبة وابن دريد وابن سلام وغيرهم ، أنه طلب الدين ولبس المسوح وجالس الرهبان وقرأ الكتب وتردد على الكنائس وهذا يدلنا على مدى ما رفده من ثقافات . ولعله كان يلم ببعض اللغات الأعجمية كالحبشية أو السريانية أو العبرانية ، بدليل دخول بعض ألفاظها وصيغها إلى شعره كما سنرى .

---

(١) حيوان الجاحظ ٧ : ١٩٧ .
(٢) اي اولها جغرافياً ، لا اولها من حيث الفصاحة .
(٣) العمدة ١ : ٥٥ ، والمزهر ٢ : ٤٨٣ .

والظاهر أنه كان يتقن القراءة والكتابة ، كما تدل الأخبار التي أوردناها خلال أبحاثنا الماضية ، ولا سيما أن الكتابة كانت من مواطن فخره حين تحدث عن إياد ، وإليها تنتمي ثقيف عند بعض النسابين [١] ، فقال :

قومي إيادٌ لَوَ انَّهُمْ أمَمٌ أوْ لَوْ أقاموا فتُهْزَلَ النَّعَمُ
قَوْمٌ لهُمْ ساحَةُ العِراقِ إذا سارُوا جَميعاً والخَطُّ والقَلَمُ

وهذه الثقافة كانت تغذيها رحلة أمية ، فهو تارة يرحل إلى الشام ، وطوراً يمضي إلى اليمن . ولعل رحلته كانت في المقام الأول جَرْياً وراءَ أهل العلم هنا وهناك من أحبار اليهود ورهبان النصارى ، ولا سيما أن الطائف « كانت مركزاً دينياً من مراكز الجزيرة يومئذ ، إذ كان فيها بيت يعظمونه على غرار تعظيم الكعبة » [٢] ، هو بيت اللات [٣] .

وبالإضافة إلى هذه العوامل ، التي تضافرت على تكوين شخصية أمية وشاعريته ، هناك النهضة الفكرية والدينية ، التي تمخضت عنها أحداث الجزيرة السياسية والاجتماعية ، ورافقت أمية في حياته ، فتأثر بما حدث في الجزيرة من أحداث جسام كانتصار سيف بن ذي يزن ، وقيام بعض الحروب الأهلية بين القبائل كالبسوس وداحس والغبراء ، ولكن تأثره لم يكن دعوة إلى الحرب كعنترة ، ولا دعوة إلى السلم كزهير ، وإنما دفعته الأحداث السياسية ، والاتجاهات الاجتماعية والدينية المختلفة ، إلى التأمل والتفكير في مصير الإنسانية كلها ، وهذا ما ينشأ عادة في المجتمع المضطرب .

وهكذا فشاعرنا أمية كان معقد الشخصية تاره يعيش مع الواقع ، وتارة

---

(١) ارجع إلى حديثنا عن نسب ثقيف ٣٣ ــ ٣٤ .
(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٤٩ ، والبداية والنهاية ٢ : ١٧١ .
(٣) تاريخ الطبري ٢ : ١١١ (طبعة الحسينية) .

ينظر إلى ماوراء الأفق البعيد ، تارة يحيا مع المجتمع ، وتارة يحلم بالمجتمع الذي لايفنى ، فهو متقلب بين حين وآخر ، وكأن تقلب عصره ومجتمعه قد انعكس عليه ، فجاءتنا شخصيته فريدة في تاريخ أدبنا العربي ، بعد أن أسهم في تكوينها بيئة طبيعية خيرة ، وبيت شاعري أصيل ، وثقافة واسعة شاملة ، ورحلة متعددة كثيرة ، وتأثـرٌ بنهضة فكرية شاملة .

وما رأيناه في شخصية أمية وعقيدته ، قد دفع بالناس إلى إحاطته بهالة من الغرابة الأسطورية ، فنُسِجت حوله أساطير مختلفة جعلته يفهم لغات الطير ، ويتصل بالجن ، فيسألها وتسدد خطاه .

ومن ذلك ماجاء عن ابن السكيت في بعض المصادر من « أن أمية بن أبي الصلت بينما هو يشرب يوماً إذ نعب غراب ، فقال له : بفيك التراب مرتين . فقيل له : مايقول ؟ قال : إنه يقول إنك تشرب هذا الكأس [١] الذي في يدك ، ثم تموت . ثم نعب الغراب ، فقال : إنه يقول وآية ذلك أنني أنزل على هذه المزبلة ، فآكل منها ، فيعلق عظم في حلقي فأموت . ثم نزل الغراب على تلك المزبلة فأكل شيئاً فعلق في حلقه عظم فمات . فقال أمية : أما هذا فقد صدق في نفسه ، ولكن سأنظر هل صدق فيَّ أم لا ! ثم شرب ذلك الكأس الذي في يده فمات »[٢] .

وهذه أغرب قصة يمكن أن تمر على محك العقل ، ونقل المسعودي هذه الأسطورة بوجه آخر ثم ربطها بما جاء من شعر في خبر وفاته ، فقال : « فبينما هو ذات يوم في فتية يشرب ، إذ وقع غراب فنعب ثلاثة أصوات وطار ، فقال أمية : أتدرون ماقال ؟ قالوا : لا ! قال : فإنه يقول لكم : إن أمية لايشرب

---

(١) وردت الكأس مذكرة في هذا الخبر ، وإنما هي مؤنثة كما في اللسان والقاموس .

(٢) الأغاني ٣ : ١٨٤ — ١٨٥ ، وحياة الحيوان ٢ : ١٥٤ ، وتاريخ ابن

الكأس الثالثة حتى يموت ، فقال القوم : لتُكذِّبَنّ قوله . ثم قال : احسوا كأسكم فحَسَوْها ، فلما انتهت النوبة إليه أغمي عليه ، فسكت طويلًا ثم أفاق وهو يقول : لبيكما لبيكما .. »[١] ثم ينهي القصة على نحو قريب من قصة ابن سلام التي سنراها بعد حين .

ولا تقف الأسطورة به عند فهم لغة الغراب ، وإنما تجعله يتفرس في لغات الشاة والبعير ، فيتفهمها ويعي مايراد منها فقد ذكر ابن كثير : « أنه كان يتفرس في بعض الأحيان في لغات الحيوانات فكان يمر على الطير ، فيقول لأصحابه : إن هذا يقول كذا وكذا ، فيقولون : لانعلم صدق مايقول ، حتى مروا على قطيع غنم قد انقطعت عنه شاة ومعها ولدها ، فالتفتت إليه فثغت كأنها تستحثه . فقال : أتدرون ماتقول له ؟ قالوا : لا . قال : إنها تقول أسرع بنا لايجيء الذئب فيأكلك كما أكل الذئب أخاك عامَ أوّل . فأسرعوا حتى سألوا الراعي : هل أكل له الذئب عام أول حَمَلًا بتلك البقعة . فقال : نعم !

قال : ومر على بعير عليه امرأة راكبة ، وهو يرفع رأسه إليها ويرغو . فقال : إنه يقول لها إنك رحلتيني وفي الحداجة مِخْيَط ، فأنزلوا تلك المرأة ، وحلُّوا ذلك الرَّحْل ، فإذا به مِخْيَط كما قال »[٢] .

والسهلي في كتابه التعريف والاعلام يذكر أن أمية بن أبي الصلت كان أول من قال « باسمك اللهم » ، ثم يروي قصة أسطورية حول ذلك ، يشترك فيها أمية مع الجن ، وهي : « أنهم خرجوا في جماعة من قريش في سفر فيهم حرب ابن أمية والد أبي سفيان . قال : فمروا في سيرهم بحية فقتلوها . فلما أمسوا ، جاءتهم امرأة من الجان ، فعاتبتهم في قتل تلك الحية ، ومعها قضيب ، فضربت

عساكر ٣ : ١٢٦ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٢٧ — ٢٢٨ .

(١) مروج الذهب ١ : ٤٢ .

(٢) البداية والنهاية ٢ : ٢٢٧ ، والأغاني ٣ : ١٨١ ، وتاريخ ابن عساكر ٣ : ١٢١ — ١٢٢ .

به الأرض ضربة نفرت الإبل عن آخرها ، فذهبت وشردت كل مَذْهب ، وقاموا فلم يزالوا في طلبها حتى ردوها ، فلما اجتمعوا جاءتهم أيضاً ، فضربت الأرض بقضيبها ، فنفرت الإبل ، فذهبوا في طلبها ، فلما أعياهم ذلك ، قالوا : والله هل عندك لما نحن فيه من مخرج ، فقال : لا والله ولكن سأنظر في ذلك . قال : فساروا في تلك المحلة ، لعلهم يجدون أحداً يسألونه عما قد حل بهم من العناء ، وإذا بنار تلوح على بعد ، فجاؤوها فإذا شيخ على باب خيمة يوقد ناراً ، وإذا هو من الجان في غاية الضآلة والدمامة ، فسلموا عليه فسألهم عما هم فيه . فقال : إذا جاءتكم فقل باسمك اللهم فإنها تهرب ، فلما اجتمعوا وجاءتهم الثالثة أو الرابعة، قال في وجهها أمية : باسمك اللهم ، فشردت ولم يقر لها قرار »[١] .

وفي الأغاني أسطورة مشابهة ، إلا أنها أوضح ، رواها الأصفهاني بسنده فقال : « خرج ركب من ثقيف إلى الشام وفيهم أمية بن أبي الصلت ، فلما قفلوا راجعين ، نزلوا منزلاً ليتعشوا بعشاء ، إذ أقبلت عِظَـاية[٢] حتى دنت منهم ، فحصَبَها بعضهم بشيء في وجهها فرجعت ، وكفوا سُفْرَتهم ، ثم قاموا يرتحلون ممسين ، فطلعت عليهم عجوز من وراء كثيب مقابل لهم ، تتوكأ على عصا ، فقالت : ما منعكم أن تطعموا رَجيمة الجارية اليتيمة التي جاءتكم ؟ ! قالوا : من أنت ؟ قالت : أنا أم العوام ، إمت أعوام ، أما ورب العباد لتفترقن في البلاد ، وضربت بعصاها الأرض ، ثم قالت : بَطّئي إيابهم ، ونفّري ركابهم ! فوثبت الإبل كأن على ذروة كل بعير منها شيطاناً مايملك منها شيء ، حتى افترقت في الوادي ، فجمعناها في آخر النهار من الغد ولم تكد ، فلما أنخناها لنرحلها ، طلعت علينا العجوز ، فضربت الأرض بعصاها ثم قالت قولها

---

(١) البداية والنهاية ٢ : ٢٢٧ ، ومروج الذهب ١ : ٤٢ – ٤٣ ، وحياة الحيوان ٢ : ١٥٤ – ١٥٥ ، وصبح الأعشى ٦ : ٢١٧ – ٢١٩ .

(٢) العظاية : دُوَيبَّة سريعة الحركة في جريها تشبه الحرذون ولكنها أصغر منه .

الأول ، ففعلت الإبل كفعلها بالأمس ، فلم نجمعها إلى الغد عشية ، فلما أنخناها لنرحلها ، أقبلت العجوز ففعلت كفعلها في اليومين ، ونفرت الإبل . فقلنا لأمية : أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك ؟! فقال : اذهبوا أنتم في طلب الإبل ودعوني ، فتوجه إلى ذلك الكثيب ، الذي كانت العجوز تأتي منه ، حتى علاه ، وهبط منه إلى واد ، فإذا فيه كنيسة وقناديل ، وإذا رجل مضجع معترض على بابها ، وإذا رجل أبيض الرأس واللحية فلما رأى أمية قال : إنك متبوع ، فمن أين يأتيك صاحبك ؟ قال : من أذني اليسرى ، قال : فبأي الثياب يأمرك ؟ قال : بالسواد . قال : هذا خطيب الجن ، كدت والله أن تكونه ولم تفعل ، إن صاحب النبوة يأتيه صاحبه من قِبَل أذنه اليمنى ، ويأمره بلباس البياض ، فما حاجتك ؟ فحدثه حديث العجوز . فقال : صدقت وليست بصادقة، هي امرأة يهودية من الجن هلك زوجها منذ أعوام ، وإنها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تهلككم إن استطاعت . فقال أمية : وما الحيلة ؟ قال : جمعوا ظهوركم ، فإذا جاءتكم ، ففعلت كما كانت تفعل ، فقولوا لها سبعاً من فوق وسبعاً من أسفل باسمك اللهم ، فلن تضركم . فرجع أمية إليهم وقد جمعوا الظَّهْر ، فلما أقبلت قال لها ما أمره به الشيخ فلم تضرهم . فلما رأت الإبل لم تتحرك قالت: قد عرفت صاحبكم ، وليبيض أعلاه وليسود أسفله ، فأصبح أميه وقد برص في عذاريه وأسود أسفله . فلما قدموا مكة ذكروا لهم هذا الحديث فكان ذلك أول ما كتب أهل مكة باسمك اللهم في كتبهم »[١] .

وهذه الأساطير لاتحتاج إلى تعليق حولها فهي لاتعدو أن تكون مجرد أساطير فحسب ، ولكنها مع ذلك ذات قيمة كبيرة في نظرنا ، لأنها تكشف عن منزلة أمية بعد وفاته . فالرجل أصبح بطلًا من أبطال الأساطير ، وهذه الأساطير لم

---

(١) الاغاني ٣ : ١٨١ – ١٨٢ ، ولخصها ابن حجر في الإصابة ١ : ١٣٤ ، والبلوي في ألف با ٢ : ٥٠٨ .

تكن أساطير البطولة كعنترة ، وإنما هي أساطير الجن والعفاريت ، أو قـل أساطير النبوة والتأله ، ومن هنا ندرك ما كان لأمية من منزلة بين الخاصة والعامة، جعلتهم يؤمنون بما يُنسج حوله من أمثال هذه الأخبار الأسطورية .

٦ ـ أخبار وفاته

ثمة أخبار كثيرة حول وفاة أمية ، وكلها أقرب إلى الأسطورة منها إلى الواقع ، فابن سلام في طبقاته يروي بسنده عن أخت أمية أنها : « قالت : إني لفي بيت فيه أمية نائم ، إذ أقبل طائران أبيضان فسقطا على السقف ، فسقط أحدهما عليه ، فشق بطنه وثبت الآخر مكانه . فقال الأعلى : أوَعَى ؟ قال : وعَى ! قال : أَقَبِلَ ـ ويقال : أزكا ـ ؟ قال : أَبَى ! قال : خسأ ! فردَّ قلبَه وطار ، والتأم السقف . قالت : فلما استيقظ قلت له : ياأخي ، أحسستَ شيئاً ؟ فقال : لا ، وإني لأجد توصيباً [1] ، فما ذاك ؟ فأخبرتُه . فقال : يا أُخَيَّة! أنا رجل أراد الله بي خيراً فلم أقبله . قالت : فلما مرض مرضته التي مات فيها . قالت : فإني عنده ، إذ نظر إلى السماء ، وشَقَّ بصرُه [2] ، ثم قال :

لبيكما لبيكما ها أنذا لديكما

لا ذو براءة فاعتذر ، ولا ذو قوة فانتصر ، ثم أغمي عليه ، ثم شق بصره ، ثم نظر وقال :

لبيكما لبيكما ها أنذا لديكما

بالنعم محفود ، ومن الذنب مخضود ، ثم أغمي عليه ، ثم شَقَّ بصرُه ، وقال :

---

(١) التوصيب : الفتور الشديد في البدن ، من الوَصَب وهو الوجع .

(٢) شقَّ بصرُ الميت : انفتحت عيناه وشخص كأنه ينظر إلى شيء لا يرتد إليه بصره .

إن تغفرِ اللهمَّ تغفرْ جمّاً　　وأيُّ عبد لك لا ألَمّا

ثم أغمي عليه ، ثم أفاق فقال :

ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي　　في قلال الجبال أرعى الوعولا

كلُّ عيش وإن تطاول دهراً　　قصْرُه مرة إلى أن يزولا

ثم خفت ومات »[١] .

وهذا الخبر ربما كان فيه مجال للشك ، وقد يكون من الصواب ألاّ نُسلِّم به كاملًا ، فقد يكون خبر الطائرين من لسان رجل أتقن فن الوضع ، فكانت له مهارة في التشخيص والتصوير وإثارة العاطفة ، وقد يكون من أخت أمية ، وقد رأته في حلم مثلًا ، ثم قَصَّتْه على أخيها ، ثم حَدَّثتْ به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فجاءنا الرواة أو القصاص ، يزعمون أنها رأت ذلك رؤية العين . وأما القسم الأخير من الخبر فقد يكون صحيحاً في مجمله ، إذ لا يحمل في طواياه غير وصف لاحتضار رجل « متأله » كان يطمع أن يكون نبياً على دينه يجري عرب الجزيرة ·

إلا أنَّ ابن كثير يروي بأسانيده قصة الطائرين بوجهين مختلفين عن ابن سلام ، قال : « بينما أمية راقد ومعه ابنتان له ، إذ فزعت إحداهما ، فصاحت عليه ، فقال لها : ماشأنك ؟! قالت : رأيت نسرين كشطا سقف البيت ، فنزل أحدها إليك ، فشق بطنك ، والآخر واقف على ظهر البيت ، فناداه فقال : أوَعَى ؟ قال : نعم ! قال : أزكى ؟ قال : لا ! فقال : ذلك خير أريد بأبيكما فلم يفعله »[٢] .

ثم يروي القصة من وجه آخر ، يذكر فيها شيئاً مما ذكره ابن سلام ، فيقول :

---

(١) طبقات ابن سلام ٢٢٣ ــ ٢٢٤ ، ولخصها ابن حجر في الإصابة ١ : ١٣٤ ، والبلوي في ألف با ٢ : ٥٠٨ ــ ٥٠٩ ، وتمثل المأمون بشيء من القسم الأخير يوم احتضاره ، انظر محاضرات الأدباء ٢ : ٢٢١ .

(٢) البداية والنهاية ٢ : ٢٢٤ ، ورواها ابن عساكر حرفيا عن ابن الكلبي ٣ : ١١٩ .

« قدمت الفارعة أخت أمية بن أبي الصلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة [١] ، وكانت ذات لب وعقل وجمال ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بها معجباً ، فقال لها ذات يوم : يافارعة هل تحفظين من شعر أخيك شيئاً ؟ فقالت : نعم ، وأعجبُ ما قد رأيتُ ، قالت : كان أخي في سفر ، فلما انصرف بدأني ، فدخل عليَّ فرقد على سريري وأنا أحلق أديماً في يدي ، إذ أقبل طائران أبيضان ، أو كالطائرين أبيضين ، فوقع على الكوة أحدهما ، ودخل الآخر فوقع عليه ، فشق الواقع عليه مابين قصه إلى عانته ، ثم أدخل يده في جوفه ، فأخرج قلبه ، فوضعه في كفه ثم شمه ، فقال له الطائر الآخر : أوَعَى ؟ قال : وَعَى . قال : أزكَى ؟ قال : أبَى ! ثم رَدَّ القلبَ إلى مكانه فالتأم الجرح أسرع من طرفة عين ، ثم ذهبا ، فلما رأيتُ ذلك دنوتُ منه فحركته ، فقلت له : هل تجد شيئاً ؟ قال : لا إلاَّ توهيناً في جسدي . وقد كنتُ ارتعبتُ مما رأيتُ ، فقال : مالي أراكِ مرتاعة ؟ قالت : فأخبرته الخبر ، فقال : خير أريد بي ، ثم انصرف عني ، ثم أنشأ يقول :

باتت همومي تسري طوارقُها أكفُّ عيني والدمع سابقها [٢]

قالت : ثم انصرف إلى رحله ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى طُعِن في جنازته [٣] ، فأتاني الخبر فانصرفت إليه ، فوجدته منعوشاً قد سُجِّي عليه ، فدنوت منه ، فشهق شهقة ، وشق بصره ، ونظر إلى السقف ورفع صوته وقال : لبيكما لبيكما .. » [٤] ، ثم يكمل القصة على نحو ما رأيناه عند ابن سلام مع بعض التفنن في الرواية .

---

(١) في أسد الغابة ، والإصابة ، وحياة الحيوان : « بعد فتح الطائف » .
(٢) وتروي بعده (١٣) بيتا .
(٣) عبارة البداية « حتى طعن في حيارته » ، وهو تصحيف أصلحته بعبارة ابن عساكر .
(٤) البداية والنهاية ٢ : ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ، وتاريخ ابن عساكر ٣ : ١٢٥ ، والإصابة ٨ : ١٥٥ ـ ١٥٦ ، وأشار إليها ابن الأثير في أسد الغابة ٥ : ٥١٦ ـ ٥١٧ ، والدميري في حياة الحيوان ٢ : ٣٥١ .

وهذه القصة لاتختلف عن قصة ابن سلام ، إلا أن واضعها كان أمهر في وضع الأقاصيص وقد وجد أمامه مادة ، فراح يكيف ويحشو مانسيه صاحبه ، حتى جاءنا بهذه التفصيلات المطولة ، فلم ينس أن يصف لنا وجه الفارعة ، ولم ينس أن يقول إنها طائران أو كالطائرين ، ولم ينس أيضاً أن يقول إن الفارعة قد فزعت وارتعبت . .

ونجد في الأغاني قصة تشبه ماذكره ابن كثير ، إلا أن صاحبها أكثر مهارة وتفوقاً في هذا الفن [١] ، إذ نرى الطائر بعد أن يرد قلب أمية ثم ينهض عنه ، يتبعه أمية بطرفه ثم يقول :

ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي في قِلال الجبال أرعى الوعولا
اجعلِ الموتَ نصبَ عينيك واحذر غولةَ الدهر إن للدهر غُولا

وفي قصص الأنبياء يروي الثعلبي [٢] قصة غريبة تشبه إحدى روايات ابن كثير ، فيقول : « لما مات أمية ، أتت أخته فارعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن أخيها ، فقالت : بينما هو راقد إذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ، ونزلا فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه ، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه : أَوَعَى ؟ فقال : وَعَى ! قال : أَزَكا ؟ قال : زكا ! قالت : فسألته عن ذلك ، فقال : خير أُريدَ بي ، ثم قطرتْ عينه ، ثم غشي عليه ، فلما أفاق ، قال :

كلُّ عيش وإنْ تطاول دهراً صائر أمرُهُ إلى أن يزولا
ليتني كنتُ قبل ماقد بدا لي في قِلال الجبال أرعَى الوعولا
إن يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الصغير يوماً ثقيلًا » .

---

(١) ارجع إلى الأغاني ٣ : ١٨٢ — ١٨٣ .
(٢) قصص الأنبياء ١٦١ .

وإذا لم نُعرّج على مانلاحظه من غرابــة في رواية الثعلبي ، فثمة نظر في روايته ورواية الأغاني المتقدمة ، لأن معاني الأبيات لا تستقيم تماماً مع هذه الرواية أو تلك ، والأقرب لها أن تكون قد قيلت يوم وفاته ، وهذا ماقاله ابن سلام وابن كثير وابن عساكر في رواياتهم ، كما قال به جماعة آخرون أمثال ابن قتيبة [١] ، والبغدادي [٢] ، وغيرهما .

ومهما يكن فكلها روايات لانُسلّم بها على علاتها ، وهي لاتعدو مجرد قصص وأساطير ، فسواء جاءت الفارعة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو لم تجيء ، وسواء كانت القصة من قولها وقد شاهدتها بوجه من الوجوه ، أم كانت من صنع راوية حاذق برواية الأخبار ، فهي لاتعدو أكثر من اطلاعنا على مكانة هــذا المتأله الجاهلي ، الذي أصبح من أبطال الأساطير على ألسنة الرواة .

---

(١) في الشعر والشعراء ١٠٧ ، وعيون الأخبار ٢ : ٣١٠ .
(٢) في خزانة الأدب ١ : ٢٢٩ .

الفصل الثاني

مصادر شعر أمية

١ ـ الديوان

لم نقف على نسخة مخطوطة من ديوان أمية ، ولم يعثر أحد من الباحثين على نسخة منه ، حتى ذهب المستشرق كليمان هوار إلى القول عن ديوانه : « إنه فُقِد ولا نعرف عنه شيئاً »[١] . ولكننا عثرنا على إشارات تدل على أن ديوان أمية قد صنعه وشرحه محمد بن حبيب في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، ثم بقي هذا الديوان إلى القرن الثاني عشر الهجري ، فاطلع عليه العيني (٨٥٥ هـ) صاحب المقاصد النحوية وفوائد القلائد ، والبغدادي (١٠٦٧ هـ) صاحب الخزانة ، والمرتضى الزبيدي (١٢٠٥ هـ) صاحب شرح القاموس ، ثم فُقد بعد ذلك فلم نقف له على أثر .

فقد روى العيني هذا البيت :

بالباعث الوارث الأموات قد ضَمِنتْ   إياهم الأرضُ في دهر الدهـــارير

ثم قال : « أقول : قد قيل إن قائله هو أمية بن أبي الصلت ، ولا يوجد في ديوانه ، والأكثرون على أنه للفرزدق وهو الأصح »[٢] .

ثم سرد العيني في خاتمة كتابه المقاصد ما رجع إليه من دواوين الشعراء ،

---

(١) Huart, P. 141

(٢) المقاصد النحوية ١ : ٢٧٤ .

فذكر فيها « ديوان أمية بن أبي الصلت »[١] .

وأشار إلى ديوان أمية أيضاً في كتابه الفوائد ، إذ روى هذا البيت :

فـــلا لغو ولا تأثيم فيها   ومـــا فاهوا به أبداً مقيم

ثم قال : « قاله أمية بن أبي الصلت .. وقوله (وما فاهوا به أبداً مقيم) تحريف من النحاة ، حيث ركّبوا صدر بيت على عجز آخر ، والأصل في القصيدة في ديوانه هكذا :

ولا لغو ولا تأثيم فيها   ولا حَيْن ولا فيها مليم

وفيها لَحْم ساهرة وبَحْر   وما فاهوا به لهم مقيم »[٢]

وأشار البغدادي إلى ديوان أمية في مواضع متعددة من الخزانة ، فقد روى البيت المنسوب إلى أمية :

رَجُلٌ وثَوْرٌ تحت رِجْلِ يمينه   والنسرُ للأخرى وليثٌ مُرْصِدُ

ثم قال :« في شرح ديوانه لمحمد بن حبيب يقال إن حَمَلَة العرش ثمانية رجل وثور ونسر وأسد »[٣] .

وروى البغدادي القصيدة التي تُنسب إلى أمية في مدح الرسول ، ومهد لها بقوله : « ورأيت في ديوانه قصيدة مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، أولها :

لكَ الحمدُ والمَنُّ ربَّ العبا   دِ أنتَ المليكُ وأنت الحَكَمْ »[٤].

وفي حديث البغدادي عن بيت أمية :

له مارأتْ عينُ البصير وفوقه   سماءُ الإله فوق سبعِ سَمائِيَا

يقول : « قال ابن جني : وكان أبو علي ينشدنا (فوق ستِّ سمائيا) . وكذا رأيته أنا قد أثبته في الإيضاح ، وكذا رأيته أنا أيضاً في ديوان أمية »[٥].

(١) المقاصد النحوية ٤ : ٥٩٧ .
(٢) فرائد القلائد ١٣٢ – ١٣٣ .
(٣) خزانة الأدب ١ : ٢٢٨ .
(٤) خزانة الأدب ١ : ٢٣١ .
(٥) المصدر نفسه ١ : ٢٢٧ .

وفي حديث البغدادي عن البيت المنسوب إلى أمية :

ربما تجزع النفوس من الأمـ ـر له فرجة كحل العقال

يقول : « هكذا رواه جامع ديوانه محمد بن حبيب (من الشر) بدل (من الأمر) »[١] . وثمة إشارات أخرى في الخزانة إلى هذا الديوان[٢] .

وأشار المرتضى الزبيدي إلى ديوان أمية أيضاً ، فقال : « واستعمل أمية بن أبي الصلت القساور في قوله :

وما صولة الحق الضئيل وخطره إذا خطرت يوماً قساور بزل

وفي شرح ديوانه مانصه : القساور جمع قسور ، وهو من الإبل الشديد »[٣] .

ومما تقدم ندرك أن محمد بن حبيب قد جمع ديوان أمية وشرحه ، وهو من الرواة العلماء الموثوق بهم ، وتوفي سنة (٢٤٥ هـ) ، وقال عنه محمد بن إسحق : « كان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل وعمل قطعة من أشعار العرب ، وروى عن ابن الأعرابي وقطرب وأبي عبيدة وأبي اليقظان وغيرهم ، وكان مؤدباً وكتبه صحيحة »[٤] . وقال الخطيب البغدادي : « محمد بن حبيب صاحب كتاب المحبّر حدّث عن هشام بن الكلبي وروى عنه محمد بن أبي عرابة وأبو سعيد السكري ، وكان عالماً بالنسب وأخبار العرب موثقاً في روايته »[٥] .

إن محمد بن حبيب موثق إذن ، وكتبه صحيحة ، ولا سيما أنه أخذ عمن يوثق به أمثال ابن الأعرابي وقطرب وأبي عبيدة ، وروى عنه من يوثق به

(١) خزانة الأدب ٢ : ٥٤٥ (طبعة بولاق) .
(٢) خزانة الأدب ٣ : ٢٨٦و٤ : ٣ (طبعة بولاق) .
(٣) تاج العروس ، مادة (قسر) .
(٤) الفهرست لابن النديم ١ : ١٦١ .
(٥) تاريخ بغداد ٢ : ٢٧٧ .

أيضاً أمثال أبي سعيد السكري . ولهذا فجَمْع ابن حبيب لديوان أمية ، يمكن أن يُركن إليه من حيث نقله لما عثر عليه من أشعار .

بيد أن هنالك شبهتين حول جمعه للديوان . الأولى أن بشير يموت قد ميز بين جمع الديوان وشرحه حين تحدث عن ديوان أمية المفقود ، فقال : « على أنهم ذكروا أنه كان له ديوان مجموع قديماً ، وقد ذكره ابن حجر نقلاً عن ابن هشام صاحب السيرة ، إذ قال عن إحدى قصائده : إنه قرأها في ديوانه . وذكر بعض المؤرخين أن محمد بن حبيب شرح ديوانه ، وكلاهما مفقود الآن »[١] .

ويلاحظ فى هذا القول أنه يعزو إلى ابن هشام رؤية قصيدة لأمية في ديوانه[٢]، ثم يَفْصل بين جمع الديوان وشرحه ، فيجعل جمع الديوان قد تم قبل محمد بن حبيب ، ثم شُرح على يده فيما بعد ، ولذلك قال : « وكلاهما مفقود الآن » .

ولكن ما قاله بشير يموت لايصدر من أساسه إلا عن وهم وتخليط ، فقد تتبعتُ الإصابة لابن حجر فلم أقف على أثر لهذه الرواية التي أوردها بشير يموت ، وإنما عثرت في ترجمة القاسم بن أمية بن أبي الصلت على قول مشابه ، ونَصُّه : « ورأيت له (أي للقاسم) مرثية في عثمان بن عفان »[٣] . وكذلك تتبعت السيرة لابن هشام : فلم أقف على أي إشارة إلى مازعمه بشير يموت .

ثم تتبعت مصادر القصيدة التي عزا رؤيتها إلى ابن هشام ، فوجدت أن مصدر التخليط والوهم ، إنما يرجع إلى نقل بشير يموت عن كتاب « بلوغ الأرب » دون أن يعود إلى مصادر النص الأصلية ، ودون أن يشير إلى نقله عن هذا الكتاب بالذات . فقد خلط الآلوسي في « بلوغ الأرب » بين كلام الإصابة لابن حجر ، وكلام الخزانة للبغدادي ، إذ قال : « وفي الإصابة ذكر صاحب المرآة في ترجمته (أي ترجمة أمية) عن ابن هشام قال : كان أمية آمن بالنبي صلى الله عليه

(١) مقدمة بشير يموت ٤ .
(٢) توفي ابن هشام سنة (٢١٣ أو ٢١٨ هـ) .
(٣) الإصابة ٥ : ٢٢٥ .

وسلم ، فقدم الحجاز ليأخذ ماله من الطائف ويهاجر ، فلما نزل بدراً قيل له : إلى أين يا أبا عثمان ؟ فقال : أريد أن أتبع محمداً . فقيل له : هل تدري ما في القليب ؟ قال : لا ! قيل : فيه شيبة وربيعة وفلان وفلان . فجدع أنف ناقته وشق ثوبه وبكى وذهب إلى الطائف فمات بها . . وقيل إنه مات سنة تسع من الهجرة في الطائف كافراً قبل أن يسلم الثقفيون . ورأيت في ديوانه قصيدة مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، أولها :

لك الحمد والمن رب العبا ... دِ فأنت المليك وأنت الحكم »[1]

وهذا النص الذي أورده الآلوسي يوهم أن ابن حجر في الإصابة قد نقل عن صاحب المرآة عن ابن هشام أنه رأى القصيدة في ديوان أمية ، ومعنى ذلك أن ابن هشام قد رأى القصيدة بنفسه . ولكن الآلوسي ـ على ما نعتقد ـ لم يرجع إلى الإصابة في نقل هذا النص ، لأن الإصابة أوردت هذا النص ولكنها توقفت عند قوله : « قبل أن يسلم الثقفيون »[2] ، ولم يورد ابن حجر أي كلمة مما أورده الآلوسي بعد ذلك .

وهذه الزيادة لم يأت بها الآلوسي من ذاته ، وإنما أوردها من الخزانة ، لأن البغدادي في الخزانة نقل نص الإصابة ، فقال : « وفي الإصابة : ذكر صاحب المرآة في ترجمته عن ابن هشام قال : كان أمية ... قبل أن يسلم الثقفيون » . ثم بدأ من أول السطر فقال : « ورأيت في ديوانه قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ، أولها :

لك الحمد والمن رب العبا ... دِ فأنت المليك وأنت الحكم »[3]

ومعنى ذلك أن الذي رأى الديوان هو البغدادي نفسه ، وأن جملة « ورأيت

---

(١) بلوغ الأرب ٢ : ٢٥٦ .
(٢) الإصابة ١ : ١٣٣ .
(٣) الخزانة ١ : ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

في ديوانه » من كلام البغدادي ، لا من كلام ابن حجر نقلا عن ابن هشام . ولكن صاحب بلوغ الأرب نقل النص عن الخزانة ولم يشر إليها ، بل عزاه مباشرة إلى الإصابة ، ثم خلط بين كلام الإصابة وكلام الخزانة ، فجاء بشير يموت فنقل هذا التخليط كله ، فأوهم أنه عاد إلى الإصابة فنقل عنها ، مع أنه لم يرجع في هذا النص إلى الإصابة ولا إلى السيرة ولا إلى الخزانة ، وإنما نقل عن بلوغ الأرب ، فجاء بتلك الأحكام الوهمية في مقدمته .

وبذلك تسقط هذه الشبهة حول جمع الديوان ، لأن محمد بن حبيب هو نفسه جامع الديوان وشارحه تبعاً لما رأيناه في خزانة الأدب .

والشبهة الثانية حول صُنْع ابن حبيب لديوان أمية ، هي أننا لانعثر في الكتب التي ترجمت لمحمد بن حبيب على مايؤكد صنعه أو شرحه لهذا الديوان . فالخطيب البغدادي ، والقفطي ، تحدث كلٌ منهما عن محمد بن حبيب ، ولكن أحداً منهما لم يشر إلى مؤلفاته مطلقاً [١] . وابن النديم ترجم لابن حبيب وأشار إلى كتبه إلاّ أنه لم يشر أبداً إلى ماصنع من دواوين [٢] . وياقوت عدد كتب ابن حبيب ثم قال : « ومن صنعه في أشعار العرب : كتاب ديوان زفر بن الحارث ، كتاب شعر الشماخ ، كتاب شعر الاقيشر ، كتاب شعر لبيد » [٣] ، ولم يذكر شيئاً بعد ذلك . والسيوطي أشار أيضاً إلى ما صنع من دواوين فذكر: « شعر لبيد ، شعر الصمة ، شعر الأُقيشر ، وغير ذلك » [٤] . وأما كتب الفهارس فلا أثر فيها أيضاً لديوان أمية ، إذ لم نعثر عليه في فهرسة ابن خير الإشبيلي ، ولا في كشف الظنون للحاج خليفة ، ولا في كتاب الفهرست لابن

---

(١) تاريخ بغداد ٢ : ٢٧٧ – ٢٧٨ ، وإنباه الرواة ٣ : ١١٩ .
(٢) الفهرست ١ : ١٦١ .
(٣) معجم الأدباء ١٨ : ١١٦ – ١١٧ (طبعة دار المأمون) .
(٤) بغية الوعاة للسيوطي ٣٠ .

النديم ، مع أن ابن النديم في « الفن الأول من المقالة الرابعة » [١] قد أورد كل مَن صَنع له ديوان من شعراء الجاهلية مع ذكر مَن قام بصنع كل ديوان ، ولكنه مع ذلك لم يذكر ديوان أمية .

إلا أن هذه الشبهة لاتقوى على ردّ نسبة الديوان إلى محمد بن حبيب ، لأن من ترجم له لم يعمد إلى سرد مؤلفاته جميعاً ، يدل على ذلك أن بعضهم لم يذكر شيئاً من مؤلفاته ، أو ذكر بعض كتبه دون أن يشير إلى ما صنعه من دواوين ، ومَن أشار إلى هذه الدواوين لم يكن يستقصي في ذكرها ، بل كان يشير إلى بعضها فحسب ، يبدو ذلك من عبارة ياقوت : « ومن صنعه في أشعار العرب » ، وعبارة السيوطي : « وغير ذلك » ، وهما تشيران إلى عدم الاستقصاء في ذكر ماصنعه من دواوين . وكذلك كتب الفهارس لم يَدّع أصحابها أنهم أحاطوا بكل ما صُنف من كتب عربية في ذلك الحين ، وإنما ذكروا من الكتب ما أحاط به علمهم ، أو تناهى إليهم خبره ، ولا يستبعد أن يكون ديوان أمية من تلك الكتب التي لم يقف عليها أمثال ابن النديم والحاج خليفة وابن خير الإشبيلي وسواهم .

فديوان أمية إذن قام بجمعه وشرحه محمد بن حبيب في النصف الأول من القرن الثالث ، ثم بقي إلى القرن الثاني عشر الهجري ، واطلع عليه العيني صاحب المقاصد والفرائد ، والبغدادي صاحب الخزانة ، والمرتضى الزبيدي صاحب التاج ، ثم فُقد بعد ذلك فلم نجد مايدل عليه بعد شرح القاموس .

وفي العصر الحديث جرت محاولات لجمع ديوان أمية ، بعد أن أصبح الديوان القديم في ذمة التاريخ . وأول هذه المحاولات ماقام به الأب اليسوعي لويس شيخو في شعراء النصرانية [٢] ، سنة (١٨٩٠ م) ، وربما كان قد أطلق على ما جمعه اسم « ديوان أمية » ، بدليل قول بشير يموت : « وقد رأيت في

---

(١) الفهرست ١ : ٢٣٠ — ٢٣١ .
(٢) شعراء النصرانية ٢١٩ — ٢٣٧ .

ذيل لأحد كتب الأب شيخو كلمة (ديوان أمية بن أبي الصلت مجموعتنا الشخصية) ولم توجد هذه المجموعة ، ويغلب على الظن أنه نشرها في (شعراء النصرانيـة) وغيره من تآليفه »[١] . ولويس شيخو في شعراء النصرانية لايذكر تخريجاً للأبيات ، ولا يشرح شيئاً من المعاني أو الألفاظ ، إلاّ أنه يشير أحيانـــاً إلى بعض الروايات المختلفة دون أن يحدد أصحاب هذه الروايات . وربما حرّف بعض الأبيات أحياناً عما جاءت عليه في الأصول التي نقل عنها ، بدليل بيت أورده على هذا النحو :

الحمـــد لله الذي لم يَتـّخذ سَنَـداً وقـدّر خلقـه تقديرا[٢]

مع أن أصل البيت في أضداد ابن الأنباري :

الحمد لله الذي لم يتخـــذ ولَـداً وقدّر خلقـه تقديرا[٣]

وقد رواه على هذا النحو « ولَـداً » كلٌ من شولتهيس[٤] ، وبشير يموت فيما بعد . ثم علـّق بشير يموت على رواية البيت فقال : « هكذا في كل المصادر ويرويها الأب شيخو (سَنـداً) ، ولم أدر مصدر نقله »[٥] . وقد حرّف الأب شيخو هذا البيت ، حتى لا يُتـّخَذ شاهداً ضد ما قاله في تنصير أمية[٦] . وكان أَوْلى به أن يترك البيت على روايته في الأصول ، لأنه أبعد مايكون عن طبيعة التوحيد في العصر الجاهلي ، وأقرب مايكون إلى العصر الإسلامي ، فهو موضوع على أمية ، منحول على عصر ماقبل الإسلام .

وبعد لويس شيخو قام المستشرق الألماني فريدريك شولتهيس – F. Schulthess

---

(١) مقدمة بشير يموت لمجموعته ٤ .
(٢) شعراء النصرانية ٢٣٥ .
(٣) الأضداد لابن الأنباري ٦٦ .
(٤) مجموعة شولتهيس ٥٧ .
(٥) مجموعة بشير يموت ٣٦ .
(٦) في كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ١٢٠ .

بجمع شعر أمية في مجموعة أطلق عليها اسم « ديوان أمية » ، وطبعها في ليبزيغ سنة ١٩١١م ، وهي تضم حوالي (٥٠٠) بيت . ويبدو في عمل شولتهيس شيء من الجهد والعناء ، فهو يشير إلى مصادر نقله ، ويحاول ضبط الأبيات ، ويشير إلى الروايات المختلفة ، ولكنه لم ينبر أبداً إلى شرح الألفاظ أو المعاني ، ولذلك وقع في ضبطه للأبيات كثير من الخطأ أو الوهم ، ومع ذلك تبقى مجموعة شولتهيس خير مجموعة حديثة ، لما اتصفت به من روح علمية لانجدها في المجموعات الأخرى .

واستدرك المستشرق بَوَر - Power على شولتهيس بعض الأبيات التي عثر عليها لأمية ، وبعض التصويبات الأخرى ، وذلك في مقالة نشرها بعنوان « أشعار أمية بن أبي الصلت : إضافات ، اقتراحات ، تصويبات »[١] .

ثم قام بشير يموت بجمع شعر أمية في مجموعة أطلق عليها اسم « ديوان أمية » ، وطبعها في بيروت سنة ١٩٣٤م ، وهي أوسع المجموعات جميعاً ، إذ بلغ عدد أبياتها (٧٤٧) بيتاً ، ولكنها تمتاز بالطابع التجاري ، لأن صاحبها لم يعن بضبط الشعر ، ولا بشرحه ، ولا بتحقيق رواياته ، وكذلك لم يشر أبداً إلى مصادر نقله ، مع أنه في مقدمته قد أشار إلى أنه اعتمد على مصادر عدة ، إلاّ أن مقارنة مجموعته بالمجموعتين السابقتين تشير إلى اعتماده عليهما اعتماداً كلياً ، بالإضافة إلى ما أورده المستشرق بَوَر من أبيات لأمية في مقالته .

٢ ـ روايـة أشـعاره

إن رواية أشعار أمية لاتختلف مصادرها عن رواية أشعار غيره من شعراء ما قبل الإسلام ، فأبناؤه كان بعضهم يقرضون الشعر ، إذ نجد في أخبارهم أن القاسم بن أمية وربيعة بن أمية كانا شاعرين ، وثمة أبيات تُروى لكل منهما[٢] ،

---

(١) انظر E. Pouer in MFO, v (1912) 145-95

(٢) الأغاني ٣ : ١٧٩ ـ ١٨٠ ، والعمدة ٢ : ٢٣٦ ، ومعجم الشعراء ٣٣٢ ،

ومن الطبيعي أن يكون القاسم وربيعة قد تتلمذا على أمية في نظم الشعر ، ولا يستبعد أن يكون كل من القاسم وربيعة راوية لأشعار أبيه ، ذلك لأن الشعر الجاهلي فيه ما يؤيد هذا الاحتمال ، إذ أن صلة الرحم كانت توبط بين عدد من شعراء المدرسة الأوسية [١] ، وكذلك كان المُسيَّب بن عَلَس خال الأعشى ميمون ، وكان الأعشى راويته [٢] ، وكذلك المُرقِّش الأكبر والمُرقِّش الأصغر وطرفة بن العبد ، فقد كان المرقش الأكبر عم الأصغر ، وكان المرقش الأصغر عم طرفة بن العبد [٣] . وثمة أمثلة أخرى لهذه الصلة بين الشعراء [٤] . ولهذا نجد في أبناء أمية الشعراء أول مصدر لرواية أشعاره خلال فترة الانتقال من العصر الجاهلي إلى العصر الإسلامي .

ولم يقتصر الأمر في رواية شعره على أبنائه ، وإنما نجد أخباراً تدل على رواية أشعاره من قِبَل أهل بيته وقبيلته . فأخته الفارعة بنت أبي الصلت كانت تروي أشعار أخيها أمية ، وفي حديث الفارعة أنها قدمت على الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال لها ذات يوم : « يافارعة هل تحفظين من شعر أخيك شيئاً ، فقالت : نعم » ، ثم ذكرت خبر وفاته وأنشدت شيئاً من أشعاره [٥] .

وقبيلة أمية كانت تروي أشعاره وأخباره ، يدل على ذلك قول البغدادي : « وفي صحيح مسلم عن الشريد بن سويد قال : « ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت : نعم . قال:

والإصابة ٢ : ١٩٧و٥ : ٢٢٤ ــ ٢٢٥ ، وربيع الأبرار الورقة ٣٣٠/ب ، نسخة دار الكتب رقم (١٥٥ أدب) .

(١) ارجع إلى الأدب الجاهلي ٣٣٦ ، وانظر مصادر الشعر الجاهلي ٢٢٢ .

(٢) الموشح ٥١ .

(٣) طبقات ابن سلام ٣٤ .

(٤) مصادر الشعر الجاهلي ٢٢٣ .

(٥) البداية ٣ : ٢٢٤ ، وتاريخ ابن عساكر ٣ : ١٢٥ ، والإصابة ٨ : ١٥٥ ، واسد الغابة ٥ : ٥١٦ ، وحياة الحيوان ٢ : ٣٥١ ، ونهاية الأرب ١٣ : ٢٧١–٢٧٢ .

هيه ! فأنشدته بيتاً . فقال : هيه ! ثم أنشدته بيتاً . فقال هيه ! حتى أنشدته مائة بيت ، فقال : كاد ليسلم . وفي رواية : كاد ليسلم في شعره . وفي رواية: آمن شعره وكفر قلبه »[١] . وروى ابن عساكر هذا الحديث من طرق متعددة[٢]، ورواه كذلك ابن كثير[٣] ، والدميري[٤] ، وأشار إليه السيوطي[٥] ، وابن حجر[٦] ، وابن سعد[٧] ، وسواهم[٨] . والشريد بن سويد ثقفي من قبيلة أمية .

وفي حديث وفاة أمية قال ابن سلام : « ذكر عيسى بن عمر عن بعض أهل الطائف ، عن أخت أمية بن أبي الصلت .. (الحديث) »[٩] .

وهذه الأخبار تدل على أن أفراد أسرة أمية ، قد حملوا أشعاره وكانوا رواة له ، وكذلك أفراد قبيلته كانوا رواة لأشعاره وأخباره ، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من القبائل ، إذ كانت رواية القبيلة مصدراً هاماً لما قال شعراؤها من أشعار[١٠] .

وثمة أخبار أخرى تدل على رواية أشعار أمية على عهد الرسول ، قال الأصفهاني: « حدثني محمد بن جرير الطبري قال : حدثنا ابن حميد قال حدثني سلمة عن ابن إسحق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صدق أمية في قوله :

رَجُل وثور تحت رِجْل يمينه والنسر للأخرى وليث مُرْصِدُ

(١) خزانة الأدب ١ : ٢٢٧ .
(٢) تاريخ ابن عساكر ٣ : ١١٩ – ١٢٠ .
(٣) البداية والنهاية ٢ : ٢٢٨ .
(٤) حياة الحيوان ٢ : ١٥٤ .
(٥) المزهر ٢ : ٣٠٩ .
(٦) الإصابة ١ : ١٣٣ .
(٧) طبقات ابن سعد ٥ : ١ ص ٢٧٦ .
(٨) انظر كتاب المعارف ٢٨ ، والف با ٢ : ٥٠٩ ، والإصابة ٨ : ١٥٦ ، والعقد ٦ : ١٢٨ .
(٩) طبقات ابن سلام ٢٢٣ .
(١٠) مصادر الشعر الجاهلي ٢٣١ وما بعدها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق . أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني حماد بن الفضل الحراني قال حدثنا أبو يوسف ـ وليس بالقاضي ـ عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل هذا »[١] .

وقال الأصفهاني : « أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثنا جعفر بن الحسين اللهبي قال حدثني إبراهيم بن أحمد عن عكرمة [٢] قال : استنشدني النبي صلى الله عليه وسلم قول أمية :

الحمد لله مُمْسانا ومُصْبَحنا　　بالخير صبحنا ربي ومسانا

(خمسة أبيات) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن كاد أمية ليسلم »[٣].

فأشعار أمية كانت تُروى على عهد الرسول وفي حضرته ، وقد امتدت رواية أشعاره إلى القرن الأول الهجري ، ففي طبقات ابن سلام أن النابغة الجعدي « دخل على الحسن بن علي فودعه فقال له الحسن : أنشدنا من بعض شعرك ، فأنشده :

الحمد لله لاشريكَ له　　مَن لم يقلها فنَفسَه ظَلَما

فقال له : يا أبا ليلى ! ما كنا نروي هذه الأبيات إلاّ لأمية بن أبي الصلت ! قال : يابن رسول الله ، والله إني لأوّل الناس قالها ، وإن السّرُوق مَن سرق أميةَ شعرَه !! »[٤] . والحسن بن علي ولد سنة ثلاث للهجرة وتوفي سنة خمسين للهجرة .

---

(١) الأغاني ٣ : ١٨٣ ، وانظر العقد الفريد ٦ : ١٢٧ ، والخزانة ١ : ٢٢٧ .
(٢) عكرمة من التابعين وقد أسقط الصحابيَّ الذي تحمّل الحديثَ عن الرسول ، ورواه بذلك مرْسَلا .
(٣) الأغاني ٣ : ١٨٣ .
(٤) طبقات ابن سلام ١٠٧ .

وقال البغدادي : « قال شارح ديوانه في شرح بيت الشمس : قال أبو عمرو قال أبو بكر الهذلي قلت لعكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما : أرأيت مابلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأمية بن أبي الصلت : آمن شعره وكفر قلبه . فقال : هو حق ، وما أنكرتم من ذلك ؟ قال أنكرنا قوله :

والشمسُ تصبح كلَّ آخر ليلة   حمراءَ يصبح لونُها يَتوَرَّدُ
ليست بطالعةٍ لهم في رِسْلِها   إلاّ مُعذَّبةً وإلاّ تُجْلَدُ

فما شأن الشمس تُجلَد ؟ ... »[١] . وعكرمة من التابعين وُلد سنة خمس وعشرين وتوفي سنة خمس ومائة بعد الهجرة .

وهذه الأخبار تعني أن أشعار أمية كانت على ألسنة الرواة في القرن الهجري الأول ، حتى أصبح بعضهم يسأل عما يتراءى له من إشكال في بعضها ، أو يضطرب في إسنادها إلى أميه أو إلى غيره من الشعراء .

وفي القرن الهجري الثاني نجد أخباراً تدل على اتصال رواية أشعار أمية من قِبَل بعض الرواة أمثال الأصمعي (١٢٢ - ٢١٦ ﻫ) ، وخلف الأحمر (حوالي ١٨٠ ﻫ) ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى (١١٠ - ٢٠٩ ﻫ) ، ومن ذلك قول ابن سلام : « قلت ليونس : كيف تقرأ : (وجِئْتُكَ مِن سبأ بنبأ يقين)[٢] ؟ فقال : قال الجعدي وهو أفصح العرب :

مِنْ سَبَأِ الحاضرينَ مأربَ إذ   يبنونَ مِنْ دون سيله العَرِما

ـ وهو على قراءة أبي عمرو ويونس ـ فجعل يونس القصيدة للجعدي . وسمعتُ أبا الورد الكلابي سأل عنها أبا عبيدة فقال : لأمية . ثم أتينا خلفاً الأحمر فسألناه، فقال : للنابغة وقد يقال لأمية »[٣] .

---

(١) الخزانة ١ : ٢٣٠ ، والأغاني ٣ : ١٨٤ .
(٢) سورة النمل ٢٧ : ٢٢ .
(٣) طبقات ابن سلام ١٠٦ .

والأصمعي كان يروي شعر أمية ، ولذلك كان يقول : « ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة »[1] ، وكان يقول أيضاً : « وكلّ ماقيل في الزهد فقد غلب عليه أمية بن أبي الصلت »[2] .

وهذه مجرد إشارات تدل على أن شعر أمية كان يحظى باهتمام الرواة خلال القرنين الأول والثاني ، إلا أننا لانملك من الوسائل مايدل على مدى اهتمام كلّ من هؤلاء الرواة بشعر أمية ، لأن معظم شعره جاء في مصادر القرن الثالث وما يليه دون أن يُعزا إلى راوية معين ، فإذا تركنا كتاب الأغاني لم نجد في معظم المصادر أي إشارة إلى إسناد هذا الشعر إلى رواة بعينهم .

وثمة دلائل تشير إلى أن شعر أمية لم يبلغ عصر التدوين عن طريق الرواية فحسب ، وإنما عن طريق الكتابة أيضاً ، ومن ذلك ماقاله حماد الراوية : « ارسل الوليد بن يزيد إليّ بمائتي دينار ، وأمر يوسف بن عمر بحملي إليه على البريد . قال ، فقلت : لايسألني إلاّ عن طرفيه : قريش وثقيف ، فنظرت في كتابَيْ قريش وثقيف ، فلما قدمت عليه سألني عن أشعار بَلِيّ ، فأنشدته منها ما استحسنته »[3] .

فحماد الراوية نظر في كتابَيْ « قريش وثقيف » ، وهذا يدل على أن قبيلة ثقيف كان لها كتاب في ذلك الحين ، وكتاب القبيلة أو ديوانها كان يضم بين دفتيه قصائد كاملة ، ومقطعات صغيرة ، وأبياتاً متفرقة لشعراء تلك القبيلة أو لبعض شعرائها ، وربما ضم أكثر شعر هؤلاء الشعراء ، بل ربما ضم جميع شعر شاعر منهم وديوانه كاملا ، ثم يضيف إلى ذلك من الأخبار والنسب والقصص والأحاديث ما يتصل بالشاعر نفسه ، أو بأفراد قبيلته ، وما يوضح مناسبات القصائد،

---

(١) الأغاني ٣ : ١٨٢ ، والخزانة ١ : ٢٢٧ .
(٢) تاريخ ابن عساكر ٣ : ١٢٢ .
(٣) الأغاني ٥ : ١٦٥ .

ويفسر بعض أبياتها ، ويبين مافيها من حوادث تاريخية[١] .

وإذا كان حماد الراوية قد نظر في « كتاب ثقيف » فالخبر السابق لايوضح إن كان هذا الكتاب من صنعة حماد نفسه أو من صنعة غيره ، إلاّ أن حماداً عُرف بجمع أشعار القبائل ودواوينها [٢] ، ولا يبعد أن يكون هذا الكتاب من صنعته ، غير أن ثمة ما يدل على « أن كتب القبائل كانت مكتوبة معروفة قبل مطلع القرن الثاني الهجري ، وأن الرواة من رجال الطبقة الأولى - في القرن الثاني - قد وصلتهم هذه المدونات من القرن الأول الهجري ، فاعتمدوها مصدراً من مصادر تدوينهم نُسخَهم الخاصة التي نُسبت روايتها إليهم »[٣] .

ومما يؤيد ذلك أن الخبر السابق يشير إلى أن استدعاء الوليد بن يزيد لحماد كان في خلافته ، وحماد لم يتجاوز بعد الثلاثين ربيعاً [٤] ، وهذا يجعل من المحتمل أن يكون « كتاب ثقيف » قد بلغ حماداً من القرن الهجري الأول ، ثم اعتمده حماد في روايته لأشعار ثقيف ، ولا يبعد أن يكون حماد قد أضاف إليه ، أو عمل على تهذيبه ، واتخذه مصدراً من مصادر روايته .

والمهم أن قبيلة ثقيف كان لها كتاب في مطلع القرن الهجري الثاني ، وبذلك كان لأشعار أمية كلها أو بعضها أن حظيت بالتدوين منذ أوائل القرن الثاني على الأقل ، فكان لهذا التدوين أن ساعد الرواية في الحفاظ على هذا الشعر حتى النصف الأول من القرن الهجري الثالث ، حين صنع محمد بن حبيب ديواناً لأشعار أمية .

٣ - شعره في مصادر القرنين الثاني والثالث

رأينا أن ديوان ثقيف ، وديوان أمية ، قد فُقِدا ، وليس في أيدينا من

(١) مصادر الشعر الجاهلي ٥٥٤ .
(٢) مصادر الشعر الجاهلي ٥٥٥ .
(٣) المصدر نفسه ٥٥٨ .
(٤) ولد حماد سنة (٩٥ هـ) وتوفي سنة (١٥٥ هـ) ، أما الوليد بن يزيد

شعر أمية غير ما نجده في أضعاف الكتب والمصادر المختلفة ، ولا ندري إذا كانت هذه المصادر قد نقلت أبياتاً لأمية أو قصائد لم ترد في ديوانه ، ذلك لأن صنع ديوان لشاعر جاهلي أو إسلامي ، لم يكن يضم شعره كُلَّه ، وإنما يضم في الغالب ما اختاره صانع الديوان أو ما وقع له من طريق راوية معين أو رواة معينين ، وبذلك تبقى بعض القصائد أو الأبيات متناثرة في الكتب والمصنفات المختلفة ولا وجود لها في الديوان نفسه . ولهذا لابد من نظرة إلى هذه المصادر ، لامن حيث نوعها أو موضوعاتها ، وإنما بالنسبة إلى ظهور هذا الشعر فيها تاريخياً ، لنرى كيف تدرج ظهور شعر أمية في تلك المصادر ، وأي غرض كان أسبق إلى الظهور من الأغراض الأخرى ، وفي أي مصادر ظهر خلال القرون ، وهذه النظرة التاريخية إلى مصادر شعر أمية تقدم فائدة جلى لدراسة المنحول في شعره ، ذلك لأنها تضع في أيدينا على الأقل نوع المصادر التي أوردته واهتمت بروايته .

وقد أفردنا بالبحث مصادر القرنين الثاني والثالث ، لأنها صُنفت في الفترة ذاتها التي صُنع فيها ديوان ثقيف أو ديوان أمية ، أو كان بعضها قريب العهد من صنع هذين الديوانين ، ثم لأن هذه الكتب كانت مورداً ثَرّاً لما بعدها من مصنفات. وهذا يدعو إلى شيء من العناية في دراسة هذه المصادر ولا سيما تلك المصادر التي أوردت طائفة كبرى من أشعار أمية ، وكان لأصحابها أثر هام في مشكلات شعر أمية التي اتسع مداها في مصادر مابعد القرن الثالث .

وأقدم ما بين أيدينا من مصادر يعود إلى القرن الثاني الهجري ، أمثال كتاب سيبويه (١٦١ أو ١٦٨ هـ) ، والسيرة لابن إسحق (١٥٠ هـ) التي لخصها ابن هشام (١١٣ أو ٢١٨ هـ) ، وكتاب التيجان لوهب بن منبه (١١٤ هـ) وهو برواية ابن هشام أيضاً . وكتاب التيجان لم يرو سوى ثمانية أبيات من القصيدة اللامية التي تُنسب إلى أمية في مدح سيف بن ذي يزن . وكتاب سيبويه أورد ستة أبيات

فقد ولي الخلافة سنة (١٢٥ هـ) وتوفي سنة (١٢٦ هـ) .

من قصائد دينية ، وبيتاً واحداً من قصيدة أمية في عتاب ولده ، ومن تلك الأبيات الدينية ثلاثة ، كلٌّ منها سيرد في قصيدة من القصائد التي سوف نتهمها فيما بعد . وأما كتاب السيرة فهو أهم مصدر في هذا القرن لكثرة ما أورده من أشعار لأمية .

ففي السيرة بلغ عدد الأبيات المنسوبة إلى أمية بن أبي الصلت ثمانية وتسعين بيتاً ، وهي تضم بعض مقطعات أمية في مديح عبد الله بن جدعان ، وقصيدته في رثاء قتلى بدر من المشركين ، وأبياته في رثاء زمعة بن الأسود ، وفخره بقومه إياد ، وثمة أحد عشر بيتاً من اللامية التي تنسب إلى أمية في مديح ابن ذي يزن ، وأما الشعر الديني ففي السيرة بعض المقطعات والقصائد ، إذ تروي أبياتاً في حادثة الفيل ، وتورد أبياتاً في الدعوة إلى الدين والتأله تبعد كل البعد عن الطابع الإسلامي الذي يظهر عادة في شعره المنحول ، وثمة قصيدة تقع في واحد وعشرين بيتاً سوف نتهمها لما فيها من آثار إسلامية خالصة ، على أننا لانقع في السيرة على أثر للشعر القصصي الديني الذي سيطالعنا فيما بعد . وفي السيرة شيء من الاضطراب في نسبة هذه الأشعار إلى أمية أو إلى غيره من الشعراء .

فالأشعار المنسوبة إلى أمية في السيرة على كثرتها ، لاتخلو من مشكلتي الوضع والاضطراب ، ولهذا ينبغي أن نتعرف ابنَ اسحق وابن هشام ، حتى نقف على شيء من أسباب ذلك .

أما محمد بن إسحق بن يسار فمن الناس من وثّقه ، ومنهم من جَرَّحه وطعن في روايته ، ومعظم التجريح كان ينصب عليه من بعض المحدّثين [١] ، وربما كان السبب في ذلك ماعُرف به من تساهل في الرواية ، إذ كان يجمع بين عدد من الأخبار المتفرقة ، فيجعلها بمنزلة الخبر الواحد ، ثم كانت طريقته في رواية

---

(١) انظر عيون الأثر لابن سيد الناس ١ : ١٠ ــ ١٣ ، ومعجم الادباء ١٨ : ٧ ــ ٨ (دار المأمون) .

الأخبار والأحاديث المتصلة بسيرة الرسول ، تختلف عن طريقة المحدّثين في روايتها ، فهم يهتمون بالأسانيد ، لأن هذه الأحاديث لاتختلف في نظرهم عن سائر أحاديث الرسول أو الصحابة ، أما ابن إسحق فكان لايهتم بالأسانيد ، لأنه على ما يبدو لم يكن ينظر إلى هذه الأخبار والأحاديث من زاوية الحديث الشريف ، وإنما ينظر إليها من زاوية تاريخية خالصة ، وهذه النظرة جعلته يتساهل في روايـــة بعض الأحاديث الضعيفة ، كما جعلته يُدخل في سيرته طائفة كبيرة من الشعر المنحول على أصحابه .

على أن هذا لم يكن حائلًا دون توثيقه من قِبَل طائفة أخرى من المحدّثين [١]، حتى قال عاصم بن عمر بن قتادة : « لايزال في الناس علم ما عاش محمـــد بن إسحق » [٢] .

فرواية ابن إسحق للحديث هي موضع الخلاف بين المحدّثين ، ومع ذلك فهو في رواية المغازي والسير إمام أهل الأخبار غير منازع ، وأول من أخرج سيرة الرسول من أسلوب المحدّثين إلى الأسلوب التاريخي الخالص ، إلاّ أنه في روايـة الشعر لم يكن ثَبْتاً ، وقد تنبه إلى ذلك بعض القدماء ، فقال هارون بن عبد الله الزهري : « محمد بن إسحق كانت تُعمل له الأشعار فيضعها في كتب المغازي، فصار بها فضيحة عند رواة الأخبار والأشعار » [٣] . وأبرز من أوضح هذا الجانب محمد بن سلام الجمحي إذ بيّن ما أدخله ابن إسحق إلى الشعر من فساد ، وأوضح السببَ الذي حمل الناس على قبول هذه الأشعار منه ، فقال : « وكان ممن أفسد الشعر وهجّنه وحمـل كل غثاء منه [٤] ، محمـد بن إسحق بن يسار - مولى آل مَخْرَمة بن المطلب بن عبد مناف ، وكان من علماء الناس بالسير . قال الزهري :

(١) انظر طبقات ابن سعد ٧ : ٢ ص ٦٧ .
(٢) معجم الادباء ١٨ : ٦ (طبعة دار المأمون) .
(٣) معجم الأدباء ١٨ : ٨ (دار المأمون) .
(٤) هجّن الشيءَ : قبّحَهَ وادخل عليه آفة تعيبه . والغثاء : ما يحمله السيل من الزبد وورق الشجر البالي ، فهو ساقط لا خير فيه .

لايزال في الناس علم مابقي مولى آل مخرمة ، وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك ـ فقبل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، أوتى به فأحمله . ولم يكن ذلك له عذراً . فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود ، فكتب لهم أشعاراً كثيرة وليس بشعر ، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف . أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أدّاه منذ آلاف من السنين ، والله تبارك وتعالى يقول : « فقُطِعَ دابرُ القوم الذين ظلموا »[١] أي لابقية لهم . وقال أيضاً : « وأنه أهلك عاداً الأولى ، وثمود فما أبقى »[٢]. وقال في عادٍ : « فهل ترى لهم من باقية »[٣] . . »[٤].

فابن سلام يوثق ابن إسحق في رواية المغازي والسير ، ثم يشتد عليه بما أدخله إلى الشعر من فساد وتخليط ، ثم يورد اعتذار ابن إسحق في ذلك بأنه لاعلم له بالشعر بل يؤتى به فيحمله ، ولكن ابن سلام لايجد في ذلك عذراً لابن إسحق ، لأنه نَقَل شعر جماعة لم يقولوا شعراً قط ، وجاوز ذلك إلى أقوام بائدة من العرب ، لم يبق منها واحد يمكن أن ينقل أشعارها ، وكان على ابن إسحق أن يرجع إلى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ، ومن أداه منذ آلاف السنين ، وبذلك يعلم أنه شعر منحول على أصحابه .

ولهذا كان ابن إسحق غير ثقة فيما رواه من أشعار ، لاعترافه نفسه بقوله : « لاعلم لي بالشعر أوتى به فأحمله » . ولذلك أصبح ما أدخله من الشعر الموضوع أو المضطرب في سيرته فضيحة عند رواة الأخبار والأشعار ، حتى قال أبو عمرو بن

---

(١) سورة الأنعام ٦ : ٤٥ .
(٢) سورة النجم ٥٣ : ٥٠ ـ ٥١ .
(٣) سورة الحاقة ٦٩ : ٨ .
(٤) طبقات ابن سلام ٨ ـ ٩ .

العلاء : « فلو كان الشعر مثل ماوُضع لابن إسحق ، ومثل مارواه الصحفيون[١]، ما كانت إليه حاجة ، ولا فيه دليل على علم »[٢] . وقال ابن سلام في حديثه عن شعر أبي سفيان : « ولسنا نعدُّ مايروي ابن إسحق له أو لغيره شعراً ، ولَأَنْ لايكونَ لهم شعر ، أحسن من أن يكونَ ذاك لهم »[٣] .

إن ابن إسحق لم يكن ثقة ولا حجة فيما رواه من أشعار أو ما نسبه إلى الشعراء ، إذ لاعلم له بالشعر ، فهو تارة يضع الشعر في أفواه جماعة لم يُعرفوا بالشعر قط ، وربما كان يدخل هذا الشعر في سيرته وهو يعلم أنه موضوع ليكون حِلْيَة بين ما يورده من أخبار ، وذلك على طريقة معظم المؤرخين بعد ذلك ، وتارة أخرى كان يخلط في نسبة الشعر إلى أصحابه ، فيروي شعر هذا لذاك دون أن يدقق في ذلك كله .

وهذا ما دفع عبد الملك بن هشام في تهذيبه للسيرة إلى كثير من نقد ابن إسحق ، إذ تتبع كل ما أورده من الشعر ، وبين فاسده من صحيحه ، وأقام ما وجد فيه من اضطراب في رواية المتن أحياناً ، وصحح ما وجد من اضطراب في نسبته إلى غير أصحابه أحياناً أخرى .

وكان ابن هشام يدقِّق في نقده لهذا الشعر الذي أورده ابن إسحق ، إذ كان ينصُّ على إنكار النقاد له إن كان من الشعر المنحول ، أو ينصُّ على مجرد الشك فيه إن كان من الشعر المشكوك في أمره . ومن أمثلة ذلك ما أورده ابن إسحق من شعر في حديث « سرية عبيدة بن الحارث » ، إذ روى قصيدة لأبي بكر الصديق ، فكان من ابن هشام أن عَقَّب عليها بقوله : « وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر

---

(١) الذين ينقلون من صحيفة ، وكان ذلك معيبا عندهم ، لانه يوقع في الوهم والتصحيف ، وأصل العلم عندهم ان ينقل حفظا وسماعا .
(٢) طبقات ابن سلام ١١ .
(٣) طبقات ابن سلام ٢٠٦ .

هـذه القصيدة لأبي بكر رضي الله عنه »[١] ، وروى ابن اسحق قصيدة أخرى لعبد الله بن الزبعرى في الردّ على أبي بكر ، فعلّق عليها ابن هشام بقوله : « تركنا منها بيتاً واحداً ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابن الزبعرى »[٢] ، وروى ابن إسحق قصيدة ثالثة لسعد بن أبي وقاص ، فقال فيها ابن هشام : « وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد »[٣] .

وفي « حديث غزوة الخندق » يروي ابن إسحق أبياتاً لعلي بن أبي طالب في قتله عمرو بن عبد وُدّ ، ثم يعلق عليها ابن هشام : « وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي بن أبي طالب »[٤] . ونلاحظ قوله « يشك » ولم يقل « ينكر » ، وهذا يعني أن ابن هشام كان على جانب من الدقة فيما أطلقه من أحكام .

وقد نجد ابن هشام يناقش متن الأبيات أحياناً ليثبت أنها ليست لهذا الشاعر الذي نسبها إليه ابن إسحق ، وإنما هي لشاعر آخر . ففي حديث « عمرة القضاء » قال ابن إسحق : « وحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول :

خلوا بني الكفار عن طريقه ... خلوا فكل الخير في رسوله

يارب إني مؤمن بقيله ... أعرف حق الله في قبوله

نحن قتلناكم على تأويله ... كما قتلناكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مَقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

قال ابن هشام : « نحن قتلناكم على تأويله ، إلى آخر الأبيات ، لعمار بن

---

(١) السيرة ٢ : ٢٤٢ .
(٢) السيرة ٢ : ٢٤٤ .
(٣) السيرة ٢ : ٢٤٥ .
(٤) السيرة ٣ : ٢٣٦ .

ياسر في غير هذا اليوم [١] ، والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين، والمشركون لم يُقرّوا بالتنزيل ، وإنما يُقتَل على التأويل من أقرّ بالتنزيل » [٢].

ومع ذلك كله بقي الرواة بعد ابن هشام ، منهم من يروي ماقاله ابن إسحق، ومنهم من يروي ماصححه ابن هشام ، فوقع اضطراب واسع في إسناد هذا الشعر إلى أصحابه . كما أن بعض الأشعار المنحولة على أمية بقيت في كتاب السيرة دون أن يتهمها ابن هشام ، ذلك لأن المنحول في شعر أمية قد خدع طبقة الرواة النقاد في القرن الثاني ، لأسباب منها أن الوضع في شعر أمية كان قد بدأ منذ القرن الأول الهجري .

تلك كانت مصادر القرن الثاني ، أما في القرن الثالث فلنا أن نتوقع مزيداً من المصادر ، لتطور حركة التأليف عند العرب ، حتى بلغت مرحلة من النضج في هذا القرن ، ولهذا برز عدد من الرواة والمصنفين في النحو واللغة والأدب والتاريخ ، وفي هذا القرن نجد من المصادر أمثال حماسة أبي تمام (٢٢٨ هـ) ، وطبقات ابن سلام (٢٣٢ هـ) ، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت (٢٤٤ هـ) ، والأضداد للسجستاني (٢٤٨ هـ) ، وأخبار مكة للأزرقي (٢٥٠ هـ) ، والحيوان ، والبخلاء ، والبيان والتبيين ، للجاحظ (٢٥٥ هـ) ، والشعر والشعراء ، وكتاب المعارف ، وكتاب المعاني الكبير ، لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) ، وحماسة البحتري (٢٨٤ هـ) ، والكامل في اللغة للمبرد (٢٨٥ هـ) ، وتاريخ اليعقوبي (٢٩٢ هـ) .

وهذه المصادر أوردت معظم ما جاء في الكتاب والسيرة من أشعار ، ولكنها وسّعت عدد أبياتها أحياناً كمديح عبد الله بن جدعان ، وعتاب أمية لولده ، ثم تفاوتت في ذكر عدد الأبيات التي أوردها ابن هشام في السيرة كمديح سيف بن

---

(١) اي يوم صفين ، يوم قتل عمّار بن ياسر .
(٢) السيرة ٤ : ١٣ .

ذي يزن وعبد الله بن جدعان . والجديد الذي نلاحظه في هذه المصادر هو أبيات أمية التي قالها يوم وفاته ، وثمة تفاوت في رواية عـدد أبياتها ، وهي من الشعر الديني ، وهنالك طائفة أخرى من الأبيات والمقطعات ذات موضوع عام يدعو إلى التأله والحكمة فحسب ، ولا تظهر عليها سمات الأسلوب القرآني . وأمـا الشعر غير الديني فالجديد منه في هذه المصادر أبيات في المديح ، منها مايخص عبد الله بن جدعان ولا وجود له في مصادر القرن الثاني ، ومنها ما لا تعرف شخصية الممدوح فيها ، ولا ندري إن كانت تخص عبد الله بن جدعان أو أحداً سواه ، وكذلك نجد بيتين في الحيوان من مجمهرة أمية ، والغالب أن كتاب جمهرة أشعار العرب الذي وردت فيه مجمهرة أمية ، هو من نتاج القرن الهجري الثالث [١] .

وأهم مصادر القرن الثالث كتب الجاحظ ، إذ أورد لأمية (١٠٧) بيت في الحيوان ، كرر منها (١١) بيتاً ، و (١٦) بيتـاً في البخلاء ، و (٤) أبيات في البيان ، والجاحظ موثق ، وكتبه « تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً » [٢]، ثم يلي ذلك كتب ابن قتيبة إذ أورد لأمية (١٦) بيتـاً في الشعر والشعراء ، و (٣) أبيات في كتاب الاختلاف في اللفظ ، وبيتين في عيون الأخبار ، وبيتاً في المعاني الكبير ، وآخر في المعارف ، وابن قتيبة موثق أيضاً قال فيه الخطيب: « كان رأسا في العربية والأخبار وأيام الناس ثقة ديناً فاضلاً » [٣] ، ويلي ذلـك كتاب الحماسة لأبي تمام إذ أورد لأمية (١٤) بيتاً ، وأبو تمام ذواقة ثقة فيما نقله من أشعار ، ثم تأتي طبقات ابن سلام ، إذ أورد لأمية (١١) بيتاً ، وابن سلام من أوائل العلماء الذين تنبهوا إلى ظـاهرة الانتحال في الشعر ، فتحـدث عنها في مقدمة كتابه ، وقد مرّ بنا نقده لابن إسحق .

---

(١) ذهب الى ذلك بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي ١ : ٧٥ ، والدكتور امجد الطرابلسي في كتابه حركة التأليف عند العرب ١٠٠ .

(٢) وفيات الاعيـان ٣ : ١٤٢ (مطبعة السعادة) ، وانظر بغية الوعـاة ٢١٢ — ٢١٣ .

(٣) بغية الوعاة ٢٩١ ، وانظر وفيات الاعيان ٢ : ٢٤٦ (مطبعة السعادة) .

ويمكن أن نوطن النفس على توثيق ماجاء في هذه المصادر خـاصة ، أو في مصادر الأدب واللغة في هذا القرن بوجه عام ، إلا أن ثمة أبياتاً ومقطعات لاتخلو من ملامح الوضع والانتحال ، إما لأن فيها آثاراً قرآنية إسلامية ، أو لأنها من قصائد تبدو عليها سمات الأسلوب القرآني والمعاني الإسلامية ، وأهم ذلـك خمسة أبيات من الدالية « اعلم فإن الله ليس كصنعه » وقد وردت في الشعر والشعراء، وتسعة أبيات من الدالية السابقة ، وعشرون بيتاً من الرائية « مجدوا الله فهو للمجد أهل » ، وأربعة أبيات من اللامية « اصبر النفس عند كل ملم » وقد وردت جميعاً في كتاب الحيوان .

٤ ـ شعره في مصادر ما بعد القرن الثالث

كانت كتب اللغة والأدب هي العنصر البارز في مصادر القرنين الثاني والثالث، أما بعد القرن الثالث فقد أصبحت مصادر شعر أمية تضم أنواعاً متعددة ، منهـا ماله صلة بموضوعات الشعر العربي القديم ، ومنها ماله صلة بنحو اللغة أو صرفها أو ألفاظها ، ومنها ماله علاقة بمعتقدات العرب قبل الإسلام ، ومنها ما يتصل بمواقـع الجزيرة العربية ، أو غير ذلك من المعاني المتناثرة في شعر أمية .

فإذا أردنا البحث عن شعر أمية ، كان لزاماً علينا أن نتجه أولاً إلى كتب اللغة والأدب ، أمثال كتب الأمالي والتراجم والمعاجم وما إليهـا ، وإذا تحولنا عن كتب الأدب واللغة كان علينا أن نفتش عن شعر أمية في المصادر التي تناولت قضايا الرسالة والأنبياء ، أمثال قصص الأنبياء للثعلبي ، والبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ ابن عساكر وسواها . ذلك لأن أخبار أمية فيها مايلقي بعض الأضواء على أخبار النبوة قبل البعثة المحمدية وبعدها . وقريب من هذه المصادر تلك الكتب التي تناولت تراجم الصحابة كالإصابة لابن حجر ، وأسد الغابة لابن الأثـير ،

والطبقات الكبرى لابن سعد ، لأن جزءاً من شعر أمية وأخباره مرتبط بأخبار أولاده ، وهم من الصحابة على شرط المحدّثين .

وإذا تركنا هذه الأنواع من المصادر كان واجباً علينا أن نطلب شعر أمية في كتب التاريخ ، ولا سيما تاريخ اليمن والحجاز أمثال كتاب الإكليل للهمداني ، وتاريخ ابن جرير الطبري ، ومروج الذهب للمسعودي ، وذلك لأن اسم أمية أو اسم أبيه قد ارتبط ببعض الأحداث في اليمن والحجاز كانتصار سيف بن ذي يزن ، وحادثة الفيل ، وغزوة بدر .

ولا يقتصر الأمر على هذه المصادر ، بل يمتد إلى طائفة أخرى ، إذ ينبغي أن نسائل تلك الكتب التي تحدثت عن عجائب الحيوان وقدرة الله تعالى ، كالبدء والتاريخ للمقدسي ، وحياة الحيوان الكبرى ، وذلك لكثرة ماورد في الشعر المنسوب إلى أمية من أساطير حول الحيوان ، ثم لما في هذا الشعر من لفت الأنظار إلى مظاهر الطبيعة من حيوان ونبات ، حيث تتجلى قدرة الله تعالى وعظمته .

وثمة طائفة أخرى من المصادر تتصل بما يصادفنا في شعر أمية أو سيرته من جزئيات ، منها مثلاً ما يتصل بمواقع جزيرة العرب أمثال معجم البلدان لياقوت ، ومعجم ما استعجم للبكري ، وجزيرة العرب للحمداني ، ومنها ما يتصل بالألفاظ الأعجمية كالمعرب للجواليقي ، إلى غير ذلك من أمثال هذه المصادر .

ونود أن نلقي عليها نظرة تاريخية سريعة نحاول فيها أن نقف على تدرج ظهور شعر أمية خلال هذه القرون ، كالذي صنعناه في مصادر القرنين الثاني والثالث .

ففي القرن الرابع الهجري بلغ التأليف مرحلة النضج الكامل ، فظهرت المصادر الكبرى الجامعة في مختلف أنواع التأليف يومئذ سواء في اللغة أو الأدب أو التاريخ أو التفسير أو غير ذلك ، ولهذا أصبحنا نجد شعر أمية في أمثال تاريخ الطبري ،

وتفسير الطبري (٣١٠ هـ) وكلاهما أقرب إلى القرن الثالث منها إلى القرن الرابع ، ثم كتاب الاشتقاق لابن دريد (٣٢١ هـ) ، والأضداد لابن الأنباري (٣٢٨ هـ) ، والعقد الفريد لابن عبد ربه (٣٢٨ هـ) ، والإكليل للهمداني (٣٣٤ هـ) ، ومروج الذهب للمسعودي (٣٤٦ هـ) ، والبدء والتاريخ للمقدسي (بعد ٣٥٥ هـ) ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٣٥٦ هـ) ، والأمالي لأبي علي القالي (٣٥٦ هـ) ، والموشح للمرزباني (٣٨٤ هـ) ، والخصائص لابن جني (٣٩٢ هـ) ، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (٣٩٥ هـ) .

وفي مصادر هذا القرن نجد من شعر أمية غير الديني ماهو استمرار لما أوردته مصادر القرنين الثاني والثالث من مديح ابن جدعان وابن ذي يزن ، وعتاب أمية لولده ، وفخره بنفسه وبقومه ثقيف وإياد وغير ذلك من الموضوعات المتفرقة ، ولكننا نعثر على أبيات فرادى لا وجود لها في المصادر السابقة منها ما يتحدث عن الصفي بن النبيت ، وهو الجد الخامس والثلاثون لمعد ، والمجشر وهو الجد الرابع والثلاثون لمعد[1] ، وأما الشعر الديني ففي مصادر هذا القرن نجد نوعين متميزين منه : الأول شعر موثّق أشارت إلى بعضه مصادر القرنين السابقين ، وبعضه لم تشر إليه تلك المصادر وهو لايعدو بعض النظرات في التأله والدين والتحنف . والنوع الثاني شعر متهم لما فيه من التعابير القرآنية أو المعاني الإسلامية الخالصة ، أو لما فيه من إسفاف في اللغة والأسلوب . والغريب أن بعض مصنفي هذه الفترة كالطبري ، كانوا يستشهدون بهذا الشعر المتهم على لغة القرآن نفسه ، مع أن دراسته تدل على نحله في عصر متأخر عن عصر أمية .

وأهم كتاب يستحق الوقوف عنده في هذه الفترة ، كتاب البدء والتاريخ ، لكثرة ما انفرد به من رواية الشعر غير الموثق الذي ينسب إلى أمية بن أبي الصلت .

---

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٣١ .

وكتاب البدء والتاريخ يُنسب إلى أحمد بن سهل البلخي كما في كشف الظنون وخريدة العجائب إلا أن محققه كليمان هوار قد صحح نسبته ورفعها إلى مطهر بن طاهر المقدسي (بعد ٣٥٥ هـ) ، لأن البلخي توفي سنة (٣٢٢ هـ) ، وكليمان هوار بيّن أن كتاب البدء قد صنف سنة (٣٥٥ هـ)[١] .

لانستطيع أن نحكم على المقدسي من خلال سيرته أو أقوال العلماء فيـه ، لأننا لم نعثر له على ترجمة مـا ، ولكن مراجعة الكتاب نفسه تدل على أن صاحبه لم يكن يعنى برواية الشعر مطلقاً ، وكل همه أن يحشد مـا استطاع من الشعر الذي يتصل بموضوعات كتابه ، وذلك دون تمييز بين الصحيح أو المنحول ، ودون اهتمام بسلامة هذا الشعر سواء في وزنه أو لغته أو روايته ، وهذا يجعلنا على ثقة ويقين بأن الرجل لم يكن من طبقة الرواة وأصحاب العلم باللغة ، ولهذا لم يكن ليهتم بنقد ما أورده من شعر ، أو تمحيصه قبل إسناده إلى هذا الشاعر أو ذاك .

وفي هذا الكتاب طائفة كبيرة من الشعر المنسوب إلى أمية ، وكلهـا من الشعر الديني سوى تسعة أبيات من القصيدة اللامية في مدح سيف بن ذي يزن ، ومعظم ما أورده من الشعر لأمية ، هو من الشعر المتهم ، وبعضه وردت إشارات إليه في مصادر القرنين السابقين ومن هذا النوع خمسة عشر بيتاً من الدالية « اعلم فإن الله ليس كصنعه » ، وثلاثة أبيات من الدالية « لك الحمد والنعماء والملـك ربنا » ، وعشرون بيتاً من الرائية « مجدوا الله فهو للمجد أهل » ، وستة أبيـات من اللامية « اصبر النفس عند كل ملمٍّ » . ثم انفرد برواية عدد من القصائـد المتهمة ، وهي تنطوي على بعض ماورد في الشعر المنسوب إلى أمية من قصص ديني بوجه خاص ، كقصة مريم في سبعة عشر بيتاً « وفي دينكم من رب مريم آية » ، وقصة لوط في أحد عشر بيتاً « ثم لوط أخو سدوم أتاهـا » ، وتشمل هـذه

---

(١) انظر مقدمة كليمان هوار لكتاب البدء ، وارجع الى كتاب الاعلام للزركلي ١ : ١٣١ و ٨ : ١٥٩ ، وانظر دائرة المعارف الاسلامية :
Vol. IV , P. 1052

القصائد أيضاً بعض أوصاف الجنة والنار في ثلاثة وعشرين بيتاً « جهنم تلك لاتبقي بغيا » ، وأوصاف أهل الجنة وأهل النار وأهل الأعراف في عشرة أبيات « ويوم موعدهم أن يُحشروا زمراً » .

وفي القرن الخامس الهجري نلتقي بطائفة من مصادر اللغة والنقد والأدب والتاريخ وعلوم القرآن والحديث ، أمثال مبادىء اللغة للإسكافي (٤٢١ ﻫ) ، وعرائس المروج المعروف بقصص الأنبياء للثعلبي (٤٢٧ ﻫ) ، والمنتحل ، وثمار القلوب ، للثعالبي (٤٢٩ ﻫ) ، وأسد الغابة للحافظ أبي نعيم الأصفهاني (٤٣٠ ﻫ) ، والغرر والدرر المعروف بأمالي المرتضى (٤٣٦ ﻫ) ، والمخصص لابن سيده (٤٥٨ ﻫ) ، والعمدة لابن رشيق (٤٦٣ ﻫ) ، ومعجم ما استعجم للبكري (٤٨٣ ﻫ) ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي (٤٨٦ ﻫ) ومحاضرات الأدباء ، والمفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني (٥٠٢ ﻫ) .

وفي هذه المصادر نعثر على معظم ما وجدناه في المصادر السابقة من شعر أمية ، ولكننا نجد أبياتاً دينية جديدة لانثق بها ، وهي ستة أبيات أوردها الثعلبي في قصص الأنبياء ، « عند ذي العرش يعرضون عليه » ، وأما الشعر غير الديني ففي هذه المصادر أبيات جديدة منه ، لم نعثر عليها من قبل ، منها ما يفخر فيه بقومه وبنائهم طائفاً ، أي حائطاً حول مدينتهم ، أو يفخر فيه بأن وَجّاً وما يلي بطن وجّ هو دار قومه بمكان مرتفع من الأرض ، ومنها بيتان يرثي بها حرب بن أمية في قصة ذكرها البكري في معجم ما استعجم ، ومنها بعض أبيات في الحكمة يرويها ابن عبد البر في جامع بيان العلم .

وفي القرن السادس يطالعنا عدد من المصادر أمثال درة الغواص للحريري (٥١٦ ﻫ) ، والاقتضاب للبطليوسي (٥٢١ ﻫ) ، والفائق ، والأساس ، والكشاف ، للزمخشري (٥٣٨ ﻫ) ، وشرح أدب الكاتب ، والمعرب ، للجواليقي (٥٣٩ ﻫ) ، وأمالي ابن الشجري (٥٤٢ ﻫ) ، وتاريخ ابن عساكر (٥٧١ ﻫ) ، والروض

الأنف للسهيلي (٥٨١ هـ) ، وألف با للبلوي (٦٠٤ هـ) ، والنهاية لابن الأثير (٦٠٦ هـ) .

ولا نجد في مصادر هذا القرن أي جديد بالنسبة إلى المصادر السابقة ، غير أبيات قليلة في المديح والفخر ، أهمها أبيات أمية في مديح بني الدَّيَّان ، وبيت يمدح به قوماً يطعمون الطعام أيام القحط والشدائد ، وبيت يفخر فيه بثقيف وعزها المنيع . وأهم هذه المصادر تاريخ ابن عساكر ، فقد روى طائفة لابأس بها من شعر أمية ، إلا أنه لم يكن يُعنى برواية الشعر ، ولهذا جاءت روايته مضطربة أحياناً ، ومُشوَّهة لبنية الشعر أحياناً أخرى ، ونجد لديه زيادات ضئيلة في قصيدة أمية الرائية التي مدح بها عبد الله بن جدعان ، والتي كان صاحب الأغاني في القرن الرابع قد أورد عدداً من أبياتها ، وكذلك أورد أحد عشر بيتاً من قصيدة « باتت همومي تسري طوارقها » وهي من الشعر المتهم ، ولم نجد لها إلا إشارات طفيفة في مصادر ما قبل القرن الهجري الخامس .

وفي القرن السابع يصادفنا عدد من المصادر أمثال شرح التبيان للعكبري (٦١٦ هـ) ، وشرح المقامات الحريرية للشريشي (٦٢٠ هـ) ، ومعجم البلدان لياقوت (٦٢٦ هـ) .

وما نجده في مصادر هذا القرن من شعر أمية ، قد ورد في المصادر السابقة ، سوى بيت في المديح أورده ياقوت في معجم البلدان ، ولم يرد في مصادر ما قبل القرن السابع ، ولا يُعرف وجه الخطاب فيه وهو :

إن التكرم والندى في عامر ... جَدَّاك ما سُلِكتْ لحجٍّ عَزْوَرُ

وأهم مصادر القرن السابع هو معجم البلدان ، فقد أورد عدداً من أبيات أمية بشكل متناثر بين صفحاته ، وذلك تبعاً لما يرد فيها من أعلام تخص مواضع جزيرة العرب قبل الإسلام ، وفيه إشارة إلى قصة مريم في بيت أورده من

القصيدة ، كما أورد سبعة أبيات من قصة لوط ، وقد وجدنا القصيدتين لأول مرة في كتاب البدء والتاريخ من مصادر القرن الرابع . وأما سائر ماورد في معجم البلدان فلا يعدو بعض الشعر الديني الموثق الذي ورد في مصادر ماقبل القرن السابع ، وبعض الشعر غير الديني كأبيات من قصيدة بدر ، ومدائح عبد الله بن جدعان ، وسيف بن ذي يزن ، وفخر أمية بثقيف وبنائها طائفاً حصينا ، وثمة إشارة إلى مجمهرة أمية في بيت أورده منها ، وقد ظهرت كاملة في مصادر القرن الثالث .

وفي القرن الثامن نجد من المصادر أمثال لسان العرب ، ونثار الأزهار ، لابن منظور (٧١١ هـ) ، وحسن التوسل للحلبي (٧٢٥ هـ) ، وتاريخ أبي الفداء (٧٣٢ هـ) ، ونهاية الأرب للنويري (٧٣٣ هـ) ، وتاريخ ابن الوردي (٧٥٠ هـ) ، ومغني اللبيب لابن هشام (٧٦١ هـ) ، وآكام المرجان للشبلي (٧٦٩ هـ) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤ هـ) .

وفي هذه المصادر نقف على أبيات جديدة لم نجدها في المصادر السابقة ، إذ نجد بيتين في نثار الأزهار يتحدث فيهما عن ليلة لهو ، يبدو أنهما من آثار الشباب والغزل إن صحّا له . وفي اللسان نجد أبياتاً أخرى جديدة بالنسبة لما عثرنا عليه في المصادر السابقة ، وهي في موضوعات متنوعة أمثال وصف فرس أو وصف مطر ، أو الحديث عن سحابة ، أو الغزل بليلى ، أو غير ذلك ، ولديه أبيات دينية متهمة كالإشارة إلى قصة موسى عليه السلام ، والحديث في بيت عن الخيط الأبيض والخيط الأسود من الفجر .

وفي القرن التاسع نجد من المصادر أمثال حياة الحيوان للدميري (٨٠٨ هـ) ، والمواعظ والاعتبار للمقريزي (٨٤٥ هـ) ، والإصابة لابن حجر (٨٥٢ هـ) ، والمقاصد النحوية للعيني (٨٥٥ هـ) .

وهذه المصادر لم تنفرد بجديد من شعر أمية غير بيت واحد أورده صاحب الإصابة في ذكر الحساب والبعث ، وهو :

يوقف الناس للحساب جميعاً فشقي معـذب وسعيد

وكل ما أوردته هذه المصادر غير هـذا البيت ، كان تكراراً لما جاء في المصادر السابقة سواء في ذلك الشعر الديني عند أمية أم الشعر غير الديني .

وفي القرن العاشر أهم ما نجده من المصادر هو كتب السيوطي (٩١١ هـ) ، وهي أقرب إلى القرن التاسع منها إلى القرن العاشر ، ومن هذه الكتب : الإتقان ، والوسائل ، والمزهر ، وتفسير السيوطي . كما نجد في هذا القرن مصادر أخرى أمثال تاريخ الخميس للديار بكري (٩٦٦ هـ) .

وتاريخ الخميس لا أهمية له في بحثنا لمصادر أمية ، لأنه لم يورد سوى بيتين في ذكر حادثة الفيل ، ويعود تاريخ ظهورهما مع سائر أبيات القصيدة إلى القرن الثاني ، لأن ابن إسحق قد أورد القصيدة في السيرة . ولكن المهم في بحثنا لمصادر أمية هو كتب السيوطي ، وأهمها بالنسبة إلى شعر أمية كتاب التفسير ، ثم كتاب الإتقان ، لأن المزهر لم ينقل إلا ثلاثة أبيات متناثرة ، اثنان منها في موضوعات دينية : واحدٌ من الدالية « اعلم فإن الله » ، والثاني من الرائية « مجدوا الله فهو للمجد أهل » ، والثالث من اللامية في مدح سيف بن ذي يزن ، والقصائد الثلاث كلها من الشعر المتهم . وفي الوسائل بيتان من دالية ابن جدعان ، وثلاثة أبيات في مديح بني الديان . وكل ما أورده السيوطي في المزهر والوسائل قـد ورد في المصادر السابقة .

أما تفسير السيوطي وكتابه الإتقان فلهما أهمية لأمرين : الأول انفراده فيهما ببعض الأبيات التي لم ترد في مصادر ما قبل القرن العاشر ، وهي من الأبيات الموثقة . والثاني لأن عدداً من الأبيات قد ورد في الكتابين شواهد على لغة القرآن

وأسلوبه ، مع أنها أبيات غير موثوق بها ، لأنها تعتمد على لغة القرآن وأسلوبه ، مما يدل على أنها وُضعت بعد أمية بن أبي الصلت في عصر إسلامي متأثر بالقرآن لغة وأسلوباً . وبعض هذه الأبيات ورد في تفسير الطبري (٣١٠ هـ) ، ثم وُجد في لسان العرب لابن منظور (٧١١ هـ) ، وهذا يدل على أن جذور هذا الاستشهاد قد بدأت منذ أواخر القرن الثالث ، وامتدت إلى أوائل القرن الثـــامن ، ثم اتسعت في كتب السيوطي أوائل القرن العاشر (٩١١ هـ) ، ولعل هذه الأبيات قد وُضعت من الأصل على أمية لتلبي حاجة أهل اللغة والتفسير إلى شواهد تؤيد مايذهبون إليه في تفسير لغة القرآن أحياناً .

وفي القرن الحادي عشر تبرز طائفة من المصادر أمثال إنسان العيون للحلبي (١٠٤٤ هـ) ، والصبح المنبي للبديعي (١٠٧٠ هـ) ، وطراز المجالس للخفاجي (١٠٨٦ هـ) ، وخزانة الأدب للبغدادي (١٠٩٣ هـ) .

وأهم هذه المصادر بلا شك خزانة الأدب للبغدادي ، لأن سائر ما ذكرناه من مصادر هذا القرن لم يورد من شعر أمية غير أبيات من الهمزية في مدح عبد الله بن جدعان ، وبيتين على النون في مدح ابن جدعان أيضاً ، وأبيات أميــة في مدح بني الديان ، وكلها وردت في مصادر سابقة يعود بعضهــا إلى القرن الثاني الهجري .

أما خزانة الأدب فلها أهمية بالغة بالنسبة إلى مصادر شعر أمية ، ذلك لأنها أوردت طائفة لابأس بهـا من شعر أمية ، ولا سيما شعره الديني ، مما ورد في المصادر السابقة لهذا القرن ، ثم انفردت برواية قصيدة زعمت أن أمية قالها في مدح الرسول ، وهي قصيدة سوف نجزم بنحلها وتلفيقها على أمية ، وأهم من ذلك إشارة البغدادي إلى رؤيته هذه القصيدة في ديوان أمية ، مع وجود إشارات أخرى في الخزانة إلى هذا الديوان ، وبذلك تكون خزانة الأدب من المصادر الهامة التي أشارت إلى ديوان أمية كما رأينا منذ حين .

وإذا تركنا القرن الحادي عشر ، فإننا لانجد ما يستحق الذكر من المصادر، غير تاج العروس في شرح القاموس للمرتضى الزبيدي (١٢٠٥ هـ) ، ولكننا لانجد في التاج أبياتاً جديدة لأمية ، ولهـذا لايستحق التاج أي أهمية بالنسبة إلى جمع شعر أمية ، غير أن له أهمية أخرى في إشارته إلى ديوانه ، ممـا يدل على وجود هذا الديوان خلال القرن الثاني عشر الهجري ، أما بعد هـذه الفترة ، فليس من دليـل في أيدينا يؤيد بقاءه إلى عهد معين ، لأننا لانعلم متى فُقد هذا الديوان ، ولا ندري إذا كانت الايام ستفاجئنا بالعثور عليـه لنطلق الحكم الفصـل في كل ما تقدم من أمره .

٥ ـ ضياع شعره

ونظرة أخرى إلى مصادر شعر أمية منذ القرن الثاني ، تجعلنـا على ثقـة من ضياع قسم كبير من شعره ، إذ نجد ما جمعناه من قصائده أشبه ما يكون بالأطلال ، التي عالجتها أسبابُ البِلى ، فلم تُبْقِ منها إلا شخوصاً متهدمة ، لاتكاد تنم عن صورتها الأصيلة في غالب الأحيان .

ولعل كثيراً من الأبيات الفرادى ، المتناثرة في أضعاف المصادر ، هي مجرد بقايا من قصائد ومطولات ذهبت في ذمة التاريخ ، ذلك لأننا نجد من يشير أحياناً إلى أن بعض هذه الأبيات ليس يتيماً ، وإنما هو من قصائد في الأصل ، ولكنها ضائعة أو مفقودة .

ومن أمثلة ذلك أن ابن هشام يتحدث عن السِّلم بالكسر ، والسَّلم بالفتح ، ثم يستشهد ببيت أمية :

فما أنابوا لسلم حين تنذرهم رُسْلُ الإله وما كانوا له عَضُدا

ثم يقول : « وهذا البيت من قصيدة له »[١] .

وفي حديث ابن هشام عن البهيم بمعنى اللون لايخالطه لون آخر ، يستشهد ببيت أمية :

إذ أتى مَوْهناً وقد نام صحبي   وسجا الليلُ بالظلام البهيم

ثم يقول : « وهذا البيت من قصيدة له »[٢] .

وفي حديث ابن هشام أيضاً عن الفوم بمعنى الحنطة ، يستشهد ببيت أمية :

فوق شِيزى مثل الجوابي عليها   قِطَعٌ كالوَذيل في نِقْيِ فُوم

ثم يقول : « وهذا البيت من قصيدة له »[٣] .

وفي حديث ابن حجر عن الفارعة انها أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم عدة قصائد من شعر أخيها أمية « يصرح فيها بالإيمان والبعث منها قوله من قصيدة »[٤]:

يوقف الناس للحساب جميعاً   فشقي معـذب وسعيد

ولم نجد شيئاً من قصائد هذه الأبيات في كل مارجعنا إليه من مصادر ، مما يدل على أن كثيراً من الأبيات الفرادى قد تكون من قصائد ضائعة ، ومما يؤيد ضياع قسم كبير من شعر أمية مانقله صاحب الأغاني بسنده من أن الحجاج الثقفي[٥] قال على المنبر : « ذهب قوم يعرفون شعر أمية وكـذلك اندراس الكلام »[٦] . وهذا معناه أن كثيراً من شعر أمية قد بددته الأيام وضاع ، وإذا

---

(١) السيرة ٢ : ٣٣٠ .
(٢) السيرة ١ : ٢٥٨ .
(٣) السيرة ٢ : ١٨٣ .
(٤) الاصابة ٨ : ١٥٦ .
(٥) عاش الحجاج من سنة (٤٠ هـ) الى سنة (٩٥ هـ) .
(٦) الاغاني ٣ : ١٨٠ .

كان ابن سلام يرى شعراً بالطائف ، ولكنه شعر ليس بالكثير في رأيه ، لبعد الطائف عن الحروب ، والشعر إنما يكثر بالحروب التي تكون بين الأحياء [١] ، فإن أمية لم يكن بمعزل عما كان يحيط به من أحداث الجزيرة قبيل الإسلام ، ولكن تأثره بذلك كان يدفعه إلى التأمل ، ويثير فيه التفكير بما وراء الأفق البعيد ، دون أن تستثيره السيوف والرماح إلى ما أثارت في عنترة وأمثاله من بأس النزال ، أو في زهير من حب السلام والدعوة إليه ، بل كانت غزارة شعره على ما نقدر منصرفة إلى موضوعات الحكمة والتأله خاصة ، ثم ما يليها من موضوعات أخرى نجد لها بعض الآثار فيما بقي له من أشعار .



(١) طبقات ابن سلام ٢١٧ .

الفصل الثالث

توثيق شعر أمية

١ ــ قدم الوضع والانتحال على أمية

من ذلك العرض التاريخي لمصادر شعر أمية ، أصبح واضحاً تاريخ ظهور المنحول في شعره ، فقد وقفنا منذ القرن الثاني على أبيات ومقطعات وقصائد من الشعر المتهم ، واتسع ظهور هذا الشعر في مصادر القرن الرابع ، ولم يقف عند هذا القرن بل استمر في القرون التالية ، تارة تتسع تلك القصائد غير الموثّقة، كالذي لاحظناه في مصادر القرن السادس ، وتارة تظهر أبيات أو مقطعات أو قصائد جديدة من الشعر غير الموثّق ، كالذي لاحظناه في مصادر القرن الخامس والثامن والحادي عشر .

ولسنا نعلم علم اليقين أكان الشعر المنحول ، الذي ظهر في مصادر ما بعد القرن الثالث ، قد ورد كله في ديوان محمد بن حبيب ، أم أن بعضه كان يصنع بين فترة وأخرى على يد القصاص لسبب من الأسباب المعروفة في نحل الشعر .

إلا أن ثمة إشارات في مصادر مابعد القرن الثالث تؤكد أن أكثر الشعر المتهم كان قد وُجد منذ القرنين الاول والثاني ، وهنالك إشارات أخرى تدل على أن طائفة من هذا الشعر قد وردت في ديوان محمد بن حبيب .

ففي كتاب سيبويه وجدنا ثلاثة أبيات يقع كل منها في إحدى القصائد الدينية المتهمة لما فيها من آثار قرآنية واضحة [١] ، وفي السيرة وجدنا قصيدة كاملة لانثق بها لما

---

(١) كتاب سيبويه ١ : ١٦٤ و ١ : ٢٧٠ و ١ : ٤٧٩ .

فيها من آثار قرآنية أيضاً[١] ، وهذا يشير إلى أن الوضع في شعر أمية كان أسبق من سيبويه [٢] وابن هشام[٣] حتى أمكن لهما أن يرويا مثل هذا الشعر دون أن يتنبها إلى ما فيه من زَيْف وانتحال .

وفي الخزانة إشارات تدل على أن بعض الشعر المنحول كان قـــد ورد في ديوان محمد بن حبيب ، فقد ذكر البغدادي [٤] أنـه رأى في ديوان أمية قصيـدة مدح بها الرسول ، أولها :

لكَ الحمدُ والمَنُّ ربَّ العبا دِ أنتَ المليك وأنت الحكَمْ

وهي قصيدة منحولة حتماً على أمية ، وسوف نجزم بوضعها على يد راوية أو قصاص إسلامي .

وفي الخزانة أبيات أخرى أوردها البغدادي لأمية ، وأشار إلى أنها في ديوان محمد بن حبيب[٥] ، وهي من قصائد غير موثقة ، ولا بد من اتهامها في الأبحـاث القـــادمة .

ومعنى ذلك أن الشعر المتهم المنسوب إلى أمية ، كان بعضه قد ورد في ديوان ابن حبيب ، وكان على ألسنة الرواة منذ القرنين الأول والثاني . وربما أشار إلى ذلك قول الأصمعي [٦] : « ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة » [٧] ، وقوله : « وكل ما قيل في الزهد فقد غلب عليه أمية بن أبي الصلت » [٨] ، وكذلك قول

---

(١) السيرة ١ : ٢٤٢ .
(٢) توفي سيبويه سنة ١٦١ أو ١٦٨ هـ .
(٣) توفي ابن هشام سنة ٢١٣ أو ٢١٨ .
(٤) الخزانة ١ : ٢٣١ .
(٥) الخزانة ١ : ٢٢٨ (المطبعة السلفية) ، و ٢ : ٥٤٥ (بولاق) .
(٦) عاش الاصمعي من سنة (١٢٢ هـ) الى سنة (٢١٦ هـ) .
(٧) الأغاني ٣ : ١٨٢ ، وخزانة الأدب ١ : ٢٢٧ .
(٨) تاريخ ابن عساكر ٣ : ١٢٢ .

ابن سلام[١] : « وكان أمية بن أبي الصلت كثير العجائب ، يذكر في شعره خلق السموات والأرض ، ويذكر الملائكة ، ويذكر من ذلك مالم يذكره أحد من الشعراء ، وكان قد شامّ أهلَ الكتاب »[٢] .

ومعظم ماورد لأمية في هذه الموضوعات التي أشار إليها الأصمعي وابن سلام من الشعر المنحول أو المشكوك فيه ، ولهذا ربما تشير أقوال الأصمعي وابن سلام إلى أن الشعر المنحول لأمية كان قد بدأ في فترة أسبق منها ، أي منذ القرن الأول الهجري ، وهـذا ما ذهب إليه بروكلمان ، فقال : « ولا بد أن تكون هذه الأشعار قد نُحلت أميةَ في عهد مبكر لا يتجاوز القرن الأول للهجرة ، لأن الأصمعي سماه شاعر الآخرة ، كما سمى عنترة شاعر الحرب ، وعمر بن أبي ربيعة شاعر العشق »[٣] .

إلا أن معظم الشعر القصصي الديني ، وأكثره موضوع منتحل على أمية ، لم يرد إلا في مصادر القرن الرابع وما بعده ، وبصورة خاصة في كتاب البدء والتاريخ ، وهو كتاب رأينا أن صاحبه غير مُوَثّق فيما نقله من أشعار . وانفراد كتاب البدء بهذا النوع القصصي الديني من القصائد المتهمة وتأخُّر بعض القصائد المتهمة الأخرى ، يثير بعض التساؤل : أكانت هذه القصائد في ديوان ابن حبيب ؟ أم أنها وضعت على أيدي القُصاص بين حين وآخر لسبب من الأسباب المعروفة في نحل الشعر ؟ أغلب الظن أن ديوان ابن حبيب لم يَضَع حداً لحركة الانتحال في شعر أمية ، ولا سيما أن مثل هذه الأشعار التي تُروى لأمية جاءت خالية من الأسانيد ، ولم تُنسب إلى راوية معين ، ولم يشر أحد إلى ديوان ابن حبيب قبل العيني في القرن الثامن الهجري . ولعل حركة النحل لم تتوقف خلال القرنين الأول

---

(١) عاش ابن سلام من سنة (١٣٩ هـ) الى سنة (٢٣١ هـ) .
(٢) طبقات ابن سلام ٢٢٠ .
(٣) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١ : ١١٣ .

والثاني وإنما استمرت في القرنين الثالث والرابع ، فظهرت قصائد تمتـــاز بالطابع القرآني والمعاني الإسلامية ، والطابع القصصي الديني على نحو ما كان يعرف باسم « الإسرائيليات » . وبذلك يتبين أن الانتحال على أمية قديم يعود إلى القرن الهجري الأول ، وقد أسهم فيه القُصاص بوجه خاص [١] ، لما في سيرة أمية من أخبار تُقَرِّب هـــذا الشعر المنحول من قلوب الناس ، وتجعله موضعـــاً لثقتهم وتصديقهم ، ولذلك جاءتنا وفرة من الشعر المنحول ، ومعظمه قصصي الطابـع يستمد معانيه من التفاسير الإسلامية لآيات القرآن الكريم ، إلا أنه يتفاوت في أسلوبـه من واضع إلى آخر ، ولكنه يتفق في ركاكة الأسلوب بوجه عام ، وفي الإغارة على لغة القرآن ومعانيه وأساليبه وتراكيبه وغير ذلك .

والغريب أن هذا الشعر المصنوع قد خدع علماء القرن الثاني والثالث والرابع أمثال ابن هشام وابن سلام والأصفهاني ومَن إليهم ممن تنبه إلى ظاهرة الانتحال في في الشعر القديم ، فلم يشيروا إلى مـا أصاب شعر أمية من وضع وانتحال ، وإنما بلغ الأمر ببعضهم أن روى بعض هذا الشعر المنحول ، دون أن يقف على ما فيه من تلفيق .

٢ ــ آراء المحـــدثين

قلنا إن المنحول في شعر أمية قديم وكثير ، وأشرنا إلى أن أحـــداً من النقاد القدامى لم يقف على هذا المنحول في شعر أمية ، ولذلك جعلت آراء المحدثين تذهب فيه مذاهب شتى ، فكان منهم من لم يتخذ رأياً فَصْلاً حول توثيق ماينُسب إلى أمية من أشعار أمثال شولتهيس وبَوَر [٢] ، وكان منهم من اتخـــذ مواقف

---

(١) انظر دور القصاص في نحل الشعر : مصـــادر الشعر الجاهلي ٢٤٥ ومابعدها .

(٢) ارجع إلى مقدمة شولتهيس ، وانظر :
Power in MFO v (1912), P. 146

جازمة من توثيق أشعار أمية ، وهنا نلتقي بآراء متضاربة متناقضة ، والغريب أن هذه الآراء لاتحاول بحث هذا الجانب من شعر أمية بحثاً موضوعياً مجرداً ، وإنما تحاول بحثه من خلال الأهواء والعصبية ، ولا تبحثه بحثاً علمياً يضع الأدلة والمقدمات أولاً ، ثم يخرج بما تقود إليه من نتائج ، بل تضع النتائج في أذهانها أولاً ، ثم تبحث عن الأدلة المؤيدة لها ، وليس هذا من المنهج العلمي في شيء .

ويمكن أن نجمل هذه الآراء في ثلاثة : الأول يمثله تور أندراي ، ويزعم فيه أن شعر أمية الديني موضوع بكامله ، والثاني يمثله كليمان هوار ، ويزعم فيه أن شعر أمية الديني موثق كله ، والثالث يمثله الدكتور طه حسين ، ويزعم فيه أن شعر أمية بن أبي الصلت من أوله إلى آخره موضوع ، نحله الرواة في العصر الإسلامي . ولا بد من مناقشة هذه الآراء واحداً بعد آخر .

أما رأي تور أندراي فقد أشارت إليه دائرة المعارف الإسلامية في حديثها عن تشابه شعر أمية بن أبي الصلت والقرآن ، فقالت : « ومنذ مدة أكَّدَ تور أندراي بحجج جديرة بالاعتبار الرأي القائل بأن قصائد أمية ذات الطابع الديني موضوعة بكاملها ، وينبغي أن ننظر إليها بالنظرة ذاتها التي دُرست عليها أقدم التفاسير القرآنية »[١] .

ولكن دائرة المعارف الإسلامية لاتعرض حجج أندراي فيما ذهب إليه ، وإن كانت تراها جديرة بالاعتبار ، ومع ذلك فالتطرف واضح في هذا الرأي ، إذ أن شهرة أمية تقوم بالدرجة الأولى على شعره الديني ، حتى أصبح شعره الديني ذا طابع خاص يقاس عليه أحياناً شعر سائر الشعراء ، ومن ذلك حديث ابن كثير عن أبي قيس بن الأسلت : « قلت : وأبو قيس بن الأسلت هذا ، ذكر له

---

(١) Encyclopédie de Islam Vol. IV, P. 1052

ابن إسحق أشعاراً يائية حسنة تقرب من أشعار أمية بن أبي الصلت »[١] ، بل أصبح أمية بن أبي الصلت يمثل موضوع الزهد والتأله عند بعض الرواة ، فقال الأصمعي : « وذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة »[٢] ، وقال الأصمعي أيضاً : « وكل ما قيل في الزهد فقد غلب عليه أمية بن أبي الصلت »[٣] ، وقال الكميت : « أمية أشعر الناس ، قال كما قلنا ، ولم نقل ما قال »[٤] . وشهرته بالشعر الديني هي التي حملت أكثر الرواة والحفّاظ على القول بأن آية من القرآن قد نزلت فيه[٥] ، ولولا شعره الديني لما كان تصديقُ الرسول له ، وقولُه فيه إنه « آمن شعره وكفر قلبه » أو « كاد ليسلم » أو « كاد ليسلم في شعره »[٦] .

فشهرة أمية بن أبي الصلت لاتقوم في الأصل إلا على شعره الديني بالذات ، ولا يمكن أن يضيع كل ماله من شعر ديني أصلا ، ثم يوضع له كل ما نجده الآن من شعر ديني ، وإذا بلغنا من شعره مافيه هجاء وتعريض بالمسلمين والرسول ، فمن باب أولى أن يبلغنا شيء من شعره الديني المُوَثَّق .

ثم إننا لانجد الشعر الديني المنسوب إلى أمية على سوية واحدة في الأسلوب،

---

(١) البداية والنهاية ٣ : ١٥٣ .
(٢) الأغاني ٣ : ١٨٢ ، وخزانة الأدب ١ : ٢٢٧ .
(٣) تاريخ ابن عساكر ٣ : ١٢٢ .
(٤) الأغاني ٣ : ١٨٠ .
(٥) تفسير الطبري ١٣ : ٢٥٥ ، وتاريخ ابن عساكر ٣ : ١١٥و١١٩و٦ : ٢٩١ ، والبداية ٢ : ٢٢١ ، والأغاني ٣ : ١٨٠ ، وقصص الأنبياء ١٦٠ ، والاصابة ١ : ١٣٣ و ٨ : ١٥٥ ، وأسد الغابة ٥ : ١١٦ ، وألف با ٢ : ٥٠٨ ، وحياة الحيوان ٢ : ١٥٤ ، ورسالة التربيع والتدوير ٧٦ ، ونهاية الأرب ١٣ : ٢٧٠ — ٢٧٣ ، ولباب التأويل ٢ : ١٥٠ .
(٦) الحيوان ٦ : ٢٢١و٧ : ٤٦و٥١و٢٤٥ ، والأغاني ٣ : ١٨٣ ، والخزانة ١ : ٢٢٧ ، والاصابة ١ : ١٣٣ و٨ : ١٥٦ ، والبداية ١ : ١١و٢ : ٢٢٨ ، وحياة الحيوان ٢ : ١٥٤ ، وتاريخ ابن عساكر ٣ : ١١٩ ، والشعر والشعراء ١٠٧ ، والمزهر ٢ : ٣٠٩ ، والمعارف ٢٨ ، وألف با ٢ : ٥٠٩ .

وإنما نجد الإسفاف والركاكة في بعض القصائد ، ونجد القوة والرصانة في قصائد أخرى ، وهذا الاختلاف في الأسلوب يشير إلى وجود قصائد موضوعة على أمية ، لأن الإسفاف والركاكة فيها لايلائمان عصره ، ولا يمكن أن يصدرا عن شاعر جاهلي كأمية ، وإذا كنا نجد اختلافاً في أسلوب النابغة الجعدي مثلاً ، حتى « كان الأصمعي يمدحه بهذا وينسبه إلى قلة التكلف ، فيقول : عنده خِمَارٌ بوافٍ ومُطْرَفٌ بآلافٍ »[1] ، فاختلاف أسلوب الجعدي لايبلغ مانراه من اختلاف في أسلوب الشعر الديني المنسوب إلى أمية ، ومهما تساهل طبع الجعدي في أسلوبه، فإننا لانجد الإسفاف المزري الذي يُخرج الشعر إلى مجرد الكلام الموزون المقفى دون أيٍّ من العناصر الفنية التي يتطلبها الشعر . ولهذا فالإسفاف الذي نجده في بعض الشعر المنسوب إلى أمية ، لا يمكن تفسيره إلاّ بأنه من وضع قُصّاص لم يتقنوا فن الشعر ، ولم يتمرسوا بأساليب القدماء .

ولهـــذا لامعنى لرفض شعر أميـة الديني بكاملـه ، والقول بأنـه موضوع لايوثق به على رأي أندراي ، وإنما ينبغي أن نميز في هذا الشعر ، بـــين شعر مُوَثّق صحيح النسبة إلى أمية ، وشعر متهم تظهر فيه سمات الوضع والانتحال .

وأما المستشرق كليمان هوار ، فقد أراد لأشعار أمية أن تكون مصـــدراً للقرآن ، ولهذا كان لابد أن يسعى إلى توثيق شعر أمية الديني ، فبدأ يناقش الموضوع من خلال رواية الشعر الجاهلي بوجه عام[2] ، ثم أشـــار إلى ماذكره السيوطي حول التشدد في الاقتباس من القرآن في الشعر[3] ، ولكنـه أدرك أن هذه الأمور لا تُجدي في مناقشة توثيق أشعار أمية ، ولهذا وجد أن أفضل وسيلة إلى ذلك ، أن تدرس هذه الأشعار نفسها ، ومن ثَمَّ جعل يدرس كل قصيده ويقابل بينها وبين القرآن ، ليخرج بعدد من النتائج التي تُوَثّق في رأيه تلك القصائـــد

---

(١) طبقات ابن سلام ١٠٥ ، والعمدة ١ : ٦٨ ، وقوله « بوافٍ » ، يعني بدرهم وثلث .

(٢) Huart, P. 142 - 145

(٣) Huart, P. 145 - 149

الدينية المنسوبة إلى أمية ، وبصورة خاصة تلك القصائد التي وردت في كتاب البدء والتاريخ للمقدسي [١] .

وقد عرض الدكتور طه حسين لآراء هوار ، ولخص نتائجه ، فقال : « وزعم الأستاذ كليمان هوار في فصل طويل ، نشرته له المجلة الآسيوية سنة ١٩٠٤، أنه قد ظفر في ذلك بشيء قيم واستكشف مصدراً من مصادر القرآن . هذا الشيء القيم ، وهذا المصدر الجديد ، هو شعر أمية بن أبي الصلت . وقد أطال الأستاذ هوار في هذا البحث ، وقارن بين هذا الشعر الذي يُنسب إلى أمية بن أبي الصلت، وبين آيات من القرآن ، وانتهى من هذه المقارنة إلى نتيجتين :

الأولى : أن هذا الشعر الذي يُنسب لأمية بن أبي الصلت صحيح ، لأن هناك فروقاً بين ما جاء فيه وما جاء في القرآن من تفصيل بعض القصص ، ولو كان منحولاً لكانت المطابقة تامة بينه وبين القرآن ، وإذا كان الشعر صحيحاً فيجب - في رأي الأستاذ هوار - أن يكون النبي قد استعان به قليلاً أو كثيراً في نظم القرآن .

الثانية : أن صحة هذا الشعر واستعانة النبي به في نظم القرآن قد حملتا المسلمين على محاربة شعر أمية بن أبي الصلت ، ومحوه ليستأثر القرآن بالجدة ، وليصح أن النبي انفرد بتلقي الوحي من السماء » [٢] .

فالأستاذ كليمان هوار يرى أن شعر أمية الديني صحيح كله بعيد عن الاختلاق والنحل ، وذلك لأنه غير متفق مع القرآن تماماً ، وإنما هنالك بعض الاختلاف ، وهذا - في رأيه - دليل على صحة ذلك الشعر . وغرض هوار من ذلك أن يصل إلى أن القرآن قد أخذ عن أمية ، أو ليقول : إن شعر أمية بن أبي الصلت هو المصدر الوحيد للقرآن . وهذه مسألة سنراها في بحثنا الخاص بمعاني شعر

---

(١) Huart, P. 150 - 167

(٢) في الأدب الجاهلي ١٧٨ — ١٨٠ .

أمية ومدى صلتها بالقرآن ، أما الآن فلا يهمنا من آراء كليمان هوار ، إلا قوله بصحة شعر أمية الديني بكامله ورفضه أن يكون في هذا الشعر الديني ، أي أثر للشعر الموضوع المنحول ، وإلى هذا الرأي ذهب كامينيتسكي أيضاً ، ولكنه لم يأت بجديد ، وإنما اتبع منهج كليمان هوار ، وردّد أقوال بعض المستشرقين ممن تقدّمه [١] .

ولكن رأي كليمان هوار لايقل تطرفاً عن رأي تور أندراي ، لأن طريقته في مناقشة الموضوع ليست من المنطق في شيء ، إذ أن وجود بعض الفروق بين ما جاء في الشعر المنسوب إلى أمية وما جاء في القرآن من تفصيل بعض القصص ، لايمكن أن يُتخذ دليلاً على توثيق هذا الشعر كلياً ، بحجة أنه لو كان منحولاً لكانت المطابقة تامة بينه وبين القرآن ، فهذا المبدأ فاسد من أساسه ، لأن مَن يضع شعراً على غرار القرآن ، لا يمكن أن يطابق مطابقة تامة بين هذا وذاك ، وإنما يحاول جهده إيجاد شيء من الاختلاف ، ليخفي حقيقة ما وضعه ، ويوهم أن هذا الشعر صحيح لا أثر للانتحال فيه .

والقول بأن هذا الشعر قد نظم كله على يد شاعر واحد ، لايمكن أن يفسر ما فيه من اختلاف في الأسلوب واللغة والمعاني ، لأن شاعراً فحلاً لا يمكن أن يسف هذا الاسفاف البالغ الذي نراه في بعض الشعر الديني المنسوب إلى أمية ، وهذا الاختلاف في جزالة الأسلوب واللغة والمعاني يفرض أن يكون أكثر من شاعر واحد قد عمل على صياغة هذا الشعر ، ومعنى ذلك أنه لابد من قبول فكرة النحل في الشعر الديني المنسوب إلى أمية ، ولا يمكن بحال أن يُوَثّق هذا الشعر على ما في بعضه من مظاهر الوضع والانتحال .

ولهذا وجدنا الدكتور طه حسين على إعجابه بالمستشرقين وما يخرجون به من

---

(١) Kamenetsky, P. 1 - 4

نتائج مرضية في دراسة أدبنا العربي [١]، يردّ على الأستاذ هوار ، وينعى عليه هذا التعصب ، فيسائله : « من الذي يستطيع أن يقول إن من ينحل الشعر ليحاكي القرآن الكريم ملزم أن يلائم بين شعره وبين نصوص القرآن ؟ أليس من المعقول أن يخالف بينهما ما استطاع ليخفي النحل ، ويوهم أن شعره صحيح لا تكلّف فيه ولا تعمّل ؟ » [٢] .

غير أنّ طه حسين لاينقد آراء هوار ، إلاّ ليقف معه على طرفي نقيض ، فيرى أن هذا الشعر منحول مختلق كله بعد الإسلام ، فهو ينكر هذا الشعر الذي يضاف إلى أمية ، كما ينكر أمثاله من شعر المتحنفين ، ويرى أن المسلمين هم الذين نحلوه ليثبتوا أن للإسلام قُدْمة وسابقة في البلاد العربية ، وذلك في قوله : « ونحن نعتقد أن هذا الشعر الذي يضاف إلى أمية بن أبي الصلت وإلى غيره من المتحنفين ، الذين عاصروا النبي أو جاؤوا قبله ، إنما نُحِل نَحْلا ، نَحَله المسلمون ليثبتوا ـ كما قدمنا ـ أن للإسلام قُدْمَة وسابقة في البلاد العربية . ومن هنا لانستطيع أن نقبل ما يضاف إلى هؤلاء الشعراء والمتحنفين إلاّ مع شيء من الاحتياط والشك غير قليل » [٣] .

فالمسلمون إذن هم الذين نحلوا شعر المتحنفين ليثبتوا أن للإسلام قُدْمَة وسابقة في البلاد العربية ، وأما شعر أمية بن أبي الصلت بالذات ، فهو شعر ضائع في رأي طه حسين ، ولكن المسلمين لم يتعمدوا محوه إلا ما كان منه هجاء للنبي وأصحابه ونعياً على الإسلام ، أما سبب ضياع هذا الشعر في رأي طه حسين ، فيعود إلى أن المسلمين قد سلكوا فيه مسالكهم في غيره من الشعر الذي أُهمل حتى ضاع [٤] .

---

(١) انظر في الأدب الجاهلي ١٨٠ .
(٢) في الأدب الجاهلي ١٨٣ .
(٣) في الأدب الجاهلي ١٨٣ .
(٤) في الأدب الجاهلي ١٨٢ .

ولهذا يرتاب طه حسين ويشك في شعر أمية لمجرد أن هذا الشعر قد وصل إلينا عن طريق الرواية ، فيقول : « وحسبي أن شعر أمية بن أبي الصلت لم يصل إلينا إلاّ من طريق الرواية والحفظ لاشك في صحته ، كما شككت في شعر امرىء القيس والأعشى وزهير ، وإن لم يكن لهم من النبي موقف أمية بن أبي الصلت »(١) .

فمجرد الرواية إذن تكفي عند طه حسين ليشك في شعر أمية ، ثم لايزال هذا الشك حتى يبلغ إنكار هذا الشعر بكامله ، ولا سيما أن أمية كان له موقف عدائي من الإسلام . ولهذا يتابع طه حسين قوله السابق : « ثم إن هذا الموقف نفسه يحملني على أن أرتاب الارتياب كله في شعر أمية بن أبي الصلت ، فقد وقف أمية من النبي موقف الخصومة ، هجا أصحابه وأيد مخالفيه ، ورثى أهل بدر من المشركين . وكان هذا وحده يكفي ليُنْهَى عن رواية شعره ، وليضيع هذا الشعر كما ضاعت الكثرة المطلقة من الشعر الوثني ، الذي هُجِيَ فيه النبي وأصحابه ، حين كانت الخصومة شديدة بينهم وبين مخالفيهم من الوثنيين واليهود »(٢).

فالدكتور طه حسين ينكر شعر أمية لثلاثة أسباب : الأول لأنه يُنكر شعر المتحنفين عامة ، ويرى أن المسلمين نحلوه ليثبتوا أن للإسلام قُدْمَة وسابقة في البلاد العربية . والثاني : لأن هذا الشعر جاء عن طريق الرواية والحفظ ، وهذا يكفي للشك والإنكار في رأيه . والثالث : لأن أمية وقف موقفاً عدائياً من الرسول والإسلام فكان لذلك أن نهى الرسول ـ في رأيه ـ عن شعر أمية فأُهمل حتى ضاع .

ولا بد أن نناقش هذه الحجج واحدة بعد أخرى ، فهو ينكر من الشعر الجاهلي ماكان فيه أثر ديني ولا سيما شعر المتحنفين ، ويرى أن المسلمين هم الذين

---

(١) في الأدب الجاهلي ١٨١ .
(٢) في الأدب الجاهلي ١٨١ .

نحلوا هذا الشعر ليثبتوا أن الإسلام قِدْمَة وسابقة في الجزيرة العربية . وطه حسين هنا لم يأت بجديد ، لأن هذا الرأي تمتد جذوره إلى ماقبل كتابه بزهاء ربع قرن ، ومع ذلك فقد رفضه جماعة من المستشرقين امثال نيكلسون ، وفون كريمر ، والسير تشارلس ليال ، وولهاوزن ، وهم يثبتون جميعاً أن هذه اللمحات الدينية ليست إسلامية ، وإنما هي نتيجة طبيعية لانتشار المسيحية واليهودية في الجزيرة العربية في رأيهم ، وهم يرفضون الرأي القائل بنحلها فيما بعد من قِبَل المسلمين .

وقد لخص نيكلسون آراء هؤلاء المستشرقين جميعاً بقوله : « في وسعنا أن نؤكد أن جماعة كالنابغة ولبيد والأعشى ، قد تأثروا بالثقافة المحدقة بهم . رغم أنها لم تتعمق في حياتهم إلا نادراً . فالمشاعر الدينية ينبغي ألا تُنكر آثارها الهامة في شعر ماقبل الإسلام ، ولكن المقطعات التي نحن بصددها قد ُفسرت سابقاً بأنها ترجع إلى الوضع والانتحال ، غير أن هذا الرأي لم يعد سائداً ، ولا بد من الشكر هنا وبصورة خاصة لأبحاث فون كريمر - Von Kremer ، والسير تشارلس ليال - Sir Charles Lyall ، وولهاوزن - Wellhausen ، لأنها أخذت تعتبر : ١ - أن المشاعر الدينية المذكورة آنفاً ليست في معظمها إسلامية الجرس . ٢ - وأن القصائد التي تضم تلك المشاعر الدينية ليست إسلامية الأصل . ٣ - وأنها النتيجة الطبيعية والضرورية لاتساع انتشار اليهودية ، والمسيحية خاصة ، وإن كان انتشاراً سطحياً بوجه عام »[١] .

وقول نيكلسون يطلعنا على قدم هذه النظرة إلى شعر المتحنفين ومن إليهم ، فهي أقدم من كتاب الدكتور طه حسين بأكثر من ربع قرن[٢] ، ولكن

---

(١) Nicholson P. 139 - 140

(٢) طبع كتاب نيكلسون سنة (١٩٠٤ م) ، وطبع كتاب طه حسين سنة (١٩٢٤ م) .

النتائج التي خرج بها جماعة من المستشرقين كما لخصها نيكلسون لاتكاد تشمل كل ما نُسب إلى المتحنفين من الشعر ، لأن هذا الشعر المنسوب إليهم ليس على سوية واحدة في أسلوبه وتراكيبه ولغته ومعانيه ، فمنه الإسلامي الذي لايخفى نحله ووضعه ، وهذا لاينظر إليه نيكلسون بعين الاعتبار ، ومنه الجاهلي الذي لاينطوي على روح إسلامية في معانيه ولغته وأسلوبه ، وهذا ينطبق عليه قول نيكلسون ، إلا أنه ليس نتيجة « طبيعية وضرورية » لانتشار اليهودية والنصرانية في الجزيرة العربية ، لأن دراسة النوازع الدينية عند عرب ماقبل الإسلام ، تدل على نضجٍ في تفكيرهم الديني بتأثير الحنيفية ، وعمقٍ في نظرتهم إلى الله الخالق ، رغم وجود الأصنام والأوثان ، لأنها لم تكن في نظرهم أكثر من وسائل شفاعة أو تقرب بينهم وبين الله .

ومن هنا لامجال إلى إنكار هذا الجانب من شعر المتحنفين ، بدعوى أن المسلمين نحلوه ليثبتوا أن للإسلام قدمة وسابقة في البلاد العربية ، بل يجب أن نميز بين صنفين من الشعر المنسوب إلى شعراء ماقبل الإسلام ، فإذا كان الشعر ذا طابع إسلامي يَتبدَّى في معانيه ولغته وأسلوبه ، فهو منحول في العصر الإسلامي بتأثير لغة القرآن وأسلوبه ، وإذا كان الشعر ذا طابع ديني عام لايظهر تأثير القرآن في معانيه ولغته وأسلوبه ، وإنما نجد فيه أفكاراً عامة حول التأله ، فهذا لايُستَبعد أن يكون نتيجة طبيعية لوجود الأفكار الدينية في عصر ماقبل الإسلام ، ولا سيما تلك الأفكار التي تتصل بالتوحيد والبعث والحساب وغير ذلك .

وإذا كان المسلمون هم الذين انتحلوا هذا الشعر المنسوب إلى أمية وغير أمية من المتحنفين ، فإننا نجد لكل منهم أخباراً وأشعاراً ثابتة تتناقلها كتب الأدب واللغة والتاريخ والسير ، فهل كانوا جميعاً أشخاصاً ولّدهم خيال المسلمين وانتحل الشعر ونسبه إليهم ليثبت أن للإسلام قدمة وسابقة في البلاد العربية ؟! . وأين كان يصنع ذلك الشعر المنحول ؟! ومن انفرد بخلق هؤلاء الحكماء والشعراء ؟!

وكيف خفيت تلك الحقائق الهامة على كبار النقاد والرواة من القدماء ؟ ![١] .

إن حجة طه حسين في إنكار شعر المتحنفين عامة ، وبالتالي في إنكار شعر أمية بن أبي الصلت جد واهية ، لأنها تُغفِل ما كان في عصر ما قبل الإسلام من أفكار دينية هامة رغم وجود الأصنام . ولكنه في حجته الثانية يكتفي للشك في شعر أمية بمجرد أنه وصل إلينا عن طريق الرواية والحفظ . ومسألة الرواة ونحلهم للشعر هي من أكبر حجج طه حسين في إنكاره وشكـــه وتردده أمام الشعر الجاهلي كله [٢] .

ولا شك أن شعر أمية قد وصل إلينا عن طريق الرواية ، ولكنها تعتمد على رواية أبنائه وأهل بيته وقبيلته وهي كفيلة بالحفاظ على قسم من أشعاره حتى عصر التدوين . ثم إن ثقافة أمية ، وإجماع المصادر على قراءته للكتب ، دليـل على أنه كان يحسن الكتابة ، ولا سيما أن الكتابة كانت موضع فخره بقومه إياد ، ولذلك لا يُستبعد أن يكون أمية قد دَوّن شيئاً من أشعاره ، فكانت المدونات عوناً للرواة من أسرته وقبيلته ، ثم مصدراً من مصادر الرواة في القرن الأول وأوائل القرن الثاني حين صُنع ديوان ثقيف ، وبذلك تكون الرواية والتدوين قد اجتمعا في الحفاظ على قسم من أشعار أمية .

وإذا كان بعض الرواة والقصاص قد أدخلوا في شعر الأوائل ما ليس منه [٣] ، فهذا لا يدعو إلى الشك في شعر أمية عامة ، لأن اعترافنا بوجود المنحول في شعره ، دليل على وجود الأصل ، إذ لا يمكن أن نتصور نحلًا واختلاقاً ، دون أن يوجد أصل يُقاس عليه ، ويُنحَل على غراره . وبهذا لانجد دليلًا يؤيد حجة الروايـــة

---

(١) انظر الشهاب الراصد لمحمد لطفي جمعة ٢٢٤ .

(٢) انظر في الأدب الجاهلي ٢١٣ ـ ٢١٩ .

(٣) انظر طبقات ابن سلام ٦ وما بعدها ، وطبقات الانباري ٦٩ ـ ٧٠ ، والأغاني ٩ : ٩٧ (دار الكتب) ، وأمالي المرتضى ١ : ٩٠ ـ ٩١ (طبعة الجمالي والخانجي) .

والحفظ ، التي اعتمدها طه حسين في إنكار شعر أمية من أوله إلى آخره .

وآخر حجة للدكتور طه حسين في إنكار شعر أمية ، هي موقفه العدائي من الرسول والإسلام ، فقد رأى طه حسين أن موقف أمية من الرسول كان سبباً للنهي عن رواية شعره ، فضاع هذا الشعر بكامله ، وما نجده اليوم منسوباً إليه ، إنما هو شعر مختلق موضوع . وهذه الحجة فيها تعميم واسع لايتفق مع أخبار أمية ، وهي مصدر دراسته بالنسبة إلى موقفه من الرسول ، لأن النهي لم يكن إلاّ في قصيدة واحدة من شعر أمية ، وهي القصيدة التي قالها في رثاء قتلى بدر من المشركين ، وليس ثمة أي إشارة في كل ما رجعنا إليه من مصادر ، تفيد هذا التعميم الذي نقله طه حسين ، فجعل موقف أمية سبباً للنهي عن رواية شعره عامة .

ثم إن هذا النهي عن هذه القصيدة مشكوك فيه ، غير مُسَلَّم به ، فقد نقل البغدادي في حديثه عن قصيدة الأعشى في هجاء علقمة بن علاثة أن الرسول نهى عن روايتها ورواية قصيدة أمية في أهل بدر ، فقال : « قال وكيع في الغرر عن الزهري ، قال : رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأشعار كلها إلاّ هاتين الكلمتين : التي قالها أمية بن أبي الصلت في أهل بدر :

ماذا بِبَدْرٍ فالعَقَنْـ ـقَلِ من مَرازِبَةٍ جَحاجِحْ

والتي قالها الأعشى في علقمة بن عُلاثة :

شاقَتْكَ من قَتْلَةَ أطلالُها بالشَّطِّ فالجِزْعِ إلى حاجر[1] »

وحديث الزهري في الخزانة واضح في نهي الرسول عن رواية قصيدة أمية في أهل بدر ، ولكنه حديث مقطوع السند ، وقد أورده ابن كثير بسند متصل ثم ضَعَّفَه ، فقال : « وقد قال الأموي في مغازيه : سمعت أبي حدثنا سليمان

---

(١) خزانة الأدب ٣ : ٣٦٧ .

ابن الأرقم عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفا عن شعر الجاهلية . قال سليمان : فذكر ذلك الزهري فقال : عفا عنه إلاّ قصيدتين : كلمة أمية التي ذكر فيها أهل بدر ، وكلمة الأعشى التي يذكر فيها الأحوص[١] . وهذا حديث غريب وسليمان بن الأرقم هذا متروك والله أعلم »[٢].

فابن كثير قد ضعّف الحديث لأن أحد رجال سنده متروك لايؤخذ عنه ، ولعل ابن كثير قد استشعر ضعفا فيما يقال عن نهي الرسول عن هذه القصيدة . ومما يؤيد ضعف ذلك الحديث أن ابن هشام وهو أول من روى القصيدة بعد ابن إسحق ، لم يُشر إلى هذا النهي عن روايتها ، ولو علم بوجوده ، لكان أحرص الناس على ذكره ، لِمَا عرفناه من حرصه على التدقيق في رواية شعر السيرة . فمن المحتمل إذن ألاّ يكون النهي عن القصيدة قد صدر عن الرسول عليه السلام، وإنما يمكن أن يكون الناس قد تناهوا عنها لما في القصيدة نفسها من إثارة للمشركين وتعرض للرسول والمسلمين . وحتى لو صح النهي من الرسول عن هذه القصيدة ، فهذا لايعني تعميم ذلك في شعر أمية كله ، ثم هب جدلاً أن هذه القصيدة قد نُهِيَ عنها ، أو تَناهَى الناس عنها ، أليست هذه القصيدة بالذات في سيرة ابن هشام ؟ وإذا كانت القصيدة الوحيدة التي قيل إنّ الرسول نهى عنها ، قد حافظ عليها الرواة ونقلوها ، ثم رواها ابن هشام في السيرة[٣] ، فمن باب أولى ألا يتعمد الرواه محاربة غير هذه القصيدة من شعر أمية .

ثم إن المسلمين لم يحاولوا القضاء على شعر خصومهم من المشركين ، وسيرة ابن هشام أقرب دليل على ذلك[٤] ، فقد أررد كثيراً من الشعر الذي قاله شعراء

---

(١) الأحوص : اراد به علقمة بن علاثة ، والأحوص احد اجداده . انظر الخزانة ١ : ١٧٢ .

(٢) البداية والنهاية ٣ : ٣٤٢ .

(٣) السيرة ٣ : ٣٣ .

(٤) قارن بمحاضرات الشيخ الخضري ٥٠ .

من المشركين واليهود رداً على شعراء المسلمين ، حتى كان يُنهي أخبار كل غزوة أو سَرِيّة بما قيل من شعر فيها ، فيورد شعر المسلمين والمشركين في كل منها على حد سواء .

وقد يكون بعض المتأخرين من أمثال ابن كثير (٧٧٤ هـ) ، والبغدادي (١٠٩٣ هـ) ، قد تحرجوا من رواية بعض أشعار المشركين ، كامتناع ابن كثير عن رواية ردّ سمال اليهودي على شعراء المسلمين في حرب بني النضير[١] ، وتَرْكِ البغدادي لقصيدة للأعشى في هجاء علقمة بن علاثة إذ قال : « لولا أنها في صحابي لأوردت منها أبياتاً »[٢] ، وتَرْكِ البغدادي لقصيدة أخرى للأعشى أيضاً في هجاء علقمة بن علاثة إذ قال : « وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن رواية هذه القصيدة ، ولهذا لم أذكرها كلها »[٣] .

وعلى الرغم من تحرُّج بعض المتأخرين من رواية أمثال هذا الشعر ، فقد نقلوا منه طائفة كبيرة عن الأوائل كالذي نجده في البداية والنهاية لابن كثير نفسه ، وفي خزانة الأدب للبغدادي بالذات . فالمتأخرون ، وإن ظهر لديهم شيء من التحرُّج في رواية الشعر الذي قيل ضد الرسول والمسلمين ، لم يُضربوا عن رواية هذا الشعر إضراباً كاملاً ، بل نقلوه وحافظوا على طائفة كبيرة منه . أما الأوائل من الرواة والمصنفين فقد نقلوا كل ماوقعوا عليه من شعر للمشركين أو المسلمين على حد سواء ، وحسبنا أن ردّ سمال اليهودي على شعراء المسلمين قد أورده ابن هشام في السيرة[٤] ، ولم يتحرج من روايته كما فعل ابن كثير فيما بعد .

---

(١) البداية والنهاية ٤ : ٧٨ — ٧٩ .
(٢) خزانة الأدب ١ : ١٧٢ .
(٣) خزانة الأدب ٣ : ٣٦٦ .
(٤) السيرة ٣ : ٢١٠ ، واثبت المحقق « سَمّاك » ، وقال عن « سمال » إنها تحريف .

والحفاظ على الشعر القديم منوط بطبقة الرواة والمصنفين الأوائل ، وهؤلاء قد نقلوا في مصنفاتهم كل ماوقعوا عليه من شعر ، لافرق لديهم بين شعر المشركين أو شعر المسلمين . وقد نقل طه حسين نفسه أن المسلمين كانوا يتناشدون تلك الأشعار التي تقاذفها المسلمون والمشركون قبل أن يعم الإسلام ، وأن عمر بن الخطاب كان قد نهاهم عن ذلك ثم أذن لهم فيه .

وهذا يعني أن شعر أمية لم يُنْهَ عنه ، وأن المسلمين لم يتعمدوا القضاء عليه ، وبذلك لم يكن ليضيع على بَكْرَة أبيه ، وقد رأينا في الفصل السابق أن شعر أمية ربما أُهمل زيادة على غيره بسبب عاطفة الكره غير الشعوري ، التي كانت تتلامح عند بعض الرواة والمصنفين لموقفه العدائي من الإسلام ، وهذا طبعاً لايكفي لضياع شعره بكامله ، ثم وضع كل مانجده له من مطولات أو مقطعات .

ومما تقدم ندرك أن طه حسين يعترف بوجود أمية ، ولكنه لايكاد يعترف بوجود شعر موثّق له . وهذا من المبالغة بحيث يفوق مارأيناه عند تور أندراي وكليمان هوار ، وهو في معظمه لايعدو أن يكون مبالغة لبعض ما أورده مرغليوث في المجلة الأسيوية [١] . وحجج طه حسين تثير شيئاً من الشك ولكنها لا تكفي للإنكار الكامل . ومبالغة طه حسين هذه ليست إلا حلقة من حلقات كثيرة تطالعنا في كتاب الأدب الجاهلي ، حتى ليدفعنا دفعاً إلى قول القيرواني على لسان أبي الريان في أبي نواس : « لكنه عرض الأنفق ، وأهدى الأوفق ، وخالف فشُهر وعُرف ، وأغْرَبَ فذُكر واستُظرف .. » [٢] .

وحيال هذا الغلو وذاك التعصب ، لايمكننا أن نأخذ برأي طه حسين في إنكار شعر أمية بكامله ، ولا برأي تور أندراي في عدم توثيق شعر أمية الديني

---

(١) ارجع إلى مصادر الشعر الجاهلي ٣٥٢ ـ ٣٦٧ ، وانظر الروائع ص١٣ :
(٢) ١٩٢٧ م .
(٢) أعلام الكلام للقيرواني ٢٢ .

برمته ، ولا برأي كليمان هوار في توثيق شعر أمية الديني كله . وإنما نقف الموقف العلمي الصحيح ، فنحاول التمييز بين ما نجده من شعر موثق لأمية ، وما نجده من شعر متهم منسوب إليه ، أو مضطرب بينه وبين غيره من الشعراء .

ولذلك لابد من دراسة شعر أمية من زاويتين : الأولى دراسة الاضطراب في رواية شعره . والثانية دراسة متن القصائد ونقدها نقداً داخلياً لنفصل بين الصحيح منها والمنحول .

٣ ـ الاضطراب في رواية شعره

إن الاضطراب في رواية الشعر ظاهرة عامة في الشعر الجاهلي والإسلامي[١]، وذلك بسبب وهم الرواة في نسبة الشعر إلى غير أصحابه أحياناً ، أو ترددهم في نسبته إلى أكثر من شاعر واحد ، ولكن صور الاضطراب قد بلغت غايتها في شعر أمية بن أبي الصلت ، وهي تتمثل في رواية المتن أحياناً ، وفي نسبة بعض الأشعار إلى أمية وإلى غيره من الشعراء أحياناً أخرى .

أما الاضطراب في رواية متن الأبيات في شعره فهذا كثير ، ولا يمكن أن يفرد له حديث ، حتى بلغ الأمر ببعضهم أن يروي البيت بصورة لا يهتم فيها بما أصاب جرسه الموسيقي من فوضى ، أو ما أصاب وزنه الشعري من تحطم . وإذا جاز لنا أن نصلح الوزن المختل ، لإيماننا بسلامة الشعر ، فليس الأمر من السهولة أن ننتقي هذه الكلمة دون سواها حين ترد إلينا روايات متعددة بألفاظ متساوية الوزن ، مختلفة في قيمتها الموسيقية والشاعرية ، لأنه ليس في وسعنا أن نجزم

---

(١) انظر كتاب العجاج حياته ورجزه ١٥٦ .

بأي لفظ نطق أمية ، إلا ما يمكن أن نتلمسه عن طريق القرائن وطبائع الشعر في عصر ما قبل الاسلام .

وأما الاضطراب في إسناد بعض القصائد إلى أمية وإلى غيره من الشعراء ، فهو من الكثرة بحيث يتناول طائفة كبيرة من الشعر المنسوب إلى أمية . وفي دراسة ذلك ، نجد أربع طبقات من الشعراء ، لكل منها خصائص متميزة حملت على التداخل بين شعرها وشعر أمية ، وأدّتْ إلى الاضطراب بين الرواة في نسبة هذا الشعر .

وأولى هذه الطبقات أسرة أمية بن أبي الصلت ، إذ وقع شيء من الاضطراب بينه وبين أفراد أسرته ممن عرف بقول الشعر بين الرواة ، ومن ذلك الأبيات التي ذَكَرتْ حادثةَ الفيل ، وأوّلُها :

إن آياتِ ربّنا ثاقباتٌ ... ما يُماري فيهنّ إلاّ الكَفُورُ

فابن إسحق روى الأبيات لأبي الصلت بن أبي ربيعة ، والدِ أمية ، ثم نَبَّه ابن هشام إلى أنها تُروى لأمية بن أبي الصلت نفسه[١] . ومن هنا اختلف الرواة في نسبة الأبيات ، فمنهم من رواها لأبي الصلت والد أمية ، كالجاحظ[٢] ، والأزرقي[٣] ، والمسعودي[٤] ، والبكري[٥] ، ولم يشيروا إلى تنبيه ابن هشام ، ومنهم من رواها لأبي الصلت بن أبي ربعة ثم أشار إلى تنبيه ابن هشام في روايتها لأمية بن أبي الصلت كابن كثير[٦] ، ومنهم من رواها لأمية نفسه دون

---

(١) السيرة ١ : ٦٢ .
(٢) الحيوان ٧ : ١٩٨ .
(٣) أخبار مكة ١٠٣ — ١٠٤ .
(٤) مروج الذهب ١ : ٣٧٥ .
(٥) معجم ما استعجم ٤ : ١٢٤٨ .
(٦) البداية والنهاية ٢ : ١٧٥ — ١٧٦ .

إشارة إلى أبيه ، كابن السكيت[١] ، والأصفهاني[٢] ، والثعلبي[٣] ، وابن عساكر[٤] ، وابن حجر[٥] ، والديار بكري[٦] ، واللسان والتاج[٧] . وهم أقرب إلى الصواب لأن مصدر الاضطراب في رواية الأبيات هو محمد بن إسحق ، إذ رواها لأبي الصلت بن أبي ربيعة والدِ أمية ، ومحمد بن إسحق ليس حجة في رواية الشعر ، وربما توهم في رواية الأبيات لوالد أمية ، لأن أمية نفسه يكنى أحياناً بـ « أبي الصلت » ، وهي كنية أبيه أيضاً ، كما أن التأله لم يُعرف عن والد أمية ، ولم يشر أحد إلى تأثر أمية بأبيه في هذا الأمر ، مما يقوي أن تكون الأبيات لأمية نفسه ، ويمنع أن تكون الأبيات لأبيه . وقد تنبه نيكلسون إلى هذا فترجم الأبيات إلى الانكليزية بعد كلامه عن حادثة الفيل ، ومهد لها بقوله : « والأبيات التالية لأبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي تبعاً لابن إسحق ، وآخرون أكثر صواباً نسبوها لابنه أمية الشاعر المشهور والحنيفي المعاصر لمحمد » ، ثم وضع على عادته عنواناً جانبياً للأبيات ، فقال : « أبيات لأمية بن أبي الصلت »[٨] .

وثمة أبيات أخرى يتنازعها الرواة بين أمية وأبيه ، وهي تلك الأبيات التي نُسبت إلى أمية في مدح سيف بن ذي يزن ، يوم انتصر على الأحباش ، فطردهم من اليمن ، واسترد ملك آبائه ، فسارت إليه وفود العرب وشعراؤها تهنئة بهذا الانتصار العظيم ، وأولها :

ليطلب الثأرَ أمثالُ ابنِ ذي يَزَنٍ   رَيّمَ في البحر للأعداء أحوالا

---

(١) تهذيب الألفاظ ٣٩٠ .
(٢) الأغاني ٣ : ١٨٠ .
(٣) قصص الأنبياء ٣٠١ .
(٤) تاريخ ابن عساكر ٣ : ١٢٤ .
(٥) الاصابة ١ : ١٣٤ .
(٦) تاريخ الخميس ١٩٠ .
(٧) اللسان والتاج مادة « مهو » و « غمس » .
(٨) Nicholson P. 69

وهناك اضطراب واسع حول صاحب هذه الأبيات ، ومنشأ هذا الاضطراب هو ابن إسحق أيضاً ، فقد جاء في السيرة قبل رواية الأبيات ما نَصُّه : « قال ابن إسحق : وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي ، قال ابن هشام : وتروى لأمية ابن أبي الصلت : (الأبيات) » [١] .

فابن إسحق رواها لأبي الصلت والد أمية ، ثم نبه ابن هشام إلى روايتها لأمية نفسه ، ولهذا وُجدت جماعة من الرواة تنسبها إلى أمية ، وجماعة أخرى تنسبها إلى أبي الصلت بن أبي ربيعة والد أمية . وممن نسبها إلى أمية البحتري[٢]، والمقدسي[٣] ، والأصفهاني[٤] ، وابن كثير[٥] ، واليعقوبي[٦] ، وابن عساكر[٧]، وابن الوردي[٨] ، وأبو الفداء[٩] ، والسيوطي[١٠] . وممن رواها لأبي الصلت والد أمية ابنُ قتيبة[١١] ، والطبري[١٢] ، والأزرقي[١٣] ، وابن عبد ربه[١٤]، والبكري[١٥] ، والبلوي[١٦] ، وياقوت[١٧] ، والسيوطي[١٨] . ومنهم من أشار

---

(١) السيرة ١ : ٦٧ .
(٢) حماسة البحتري ١٢ .
(٣) البدء والتاريخ ٣ : ١٩٤ .
(٤) الأغاني ٣ : ١٧٩ ، و١٦ : ٧٦ .
(٥) البداية والنهاية ٢ : ٣٢٩و٤ : ٣٤و٦ : ٢٩٤ .
(٦) تاريخ اليعقوبي ١ : ١٦١ .
(٧) تاريخ ابن عساكر ١ : ٣١١ .
(٨) تاريخ ابن الوردي ١ : ٥٨ .
(٩) تاريخ أبي الفداء ١ : ٧٢ .
(١٠) الاتقان ١ : ١٥٣ .
(١١) الشعر والشعراء ١٠٧ .
(١٢) تاريخ الطبري ٢ : ١٢٠ (الحسينية) .
(١٣) أخبار مكة ٩٩ .
(١٤) العقد الفريد ١ : ٢٦٩ .
(١٥) معجم ما استعجم ٣ : ١٠٠٢ .
(١٦) ألف‌با ١ : ١٤٥ .
(١٧) معجم البلدان ٦ : ٣٠٢ .
(١٨) المزهر ١ : ١٨٣ .

إلى الروايتين معـــاً أمثال ابن كثير أيضاً [١] ، وابن الشجري [٢] ، والهمداني [٣].
وأما المسعودي فقد نسبها إلى أبي زمعة جَدّ أمية بن أبي الصلت [٤].

وحيال هـــذا الاضطراب الواسع لايمكن القطع برأي جازم ، ولكن باب الترجيح قد يميل بالقصيدة إلى أمية بالذات ، وذلك لأسباب منهـا أن ابن إسحق ليس حجة في روايـــة الشعر ، كما أن أمية كان أحياناً يكنى « بأبي الصلت » ، ثم إن دراستنا لحياة أمية تدل على أنه يوم انتصار سيف بن ذي يزن كان في سنٍّ تؤهله للاشتراك في وفود التهنئة بالنصر ، وتسمح له بنظم أبيات في مـدح الأمير العربي . وهذا كله على افتراض أن القصيدة موثوق بهـــا ، ولكن من المرجح أن تكون منحولة من أساسها ، ولا يبعد أن تكون من الشعر المصنوع الذي أدخله محمد بن إسحق في كتاب السيرة .

ولا يقتصر الاضطراب في نسبة بعض القصائد على أمية وأبيـه ، بل امتـد إلى بعض أولاده ، فوجدنا خلافاً بين الرواة حول أبيات ينسبها بعضهم إلى أمية ، وبعضهم ينسبها إلى ابنه القاسم بن أمية ، وأولها :

قَومي ثَـقِيفٌ إن سألتَ وأسرتي وبهم أدافع رُكْـنَ مَنْ عاداني

ومصدر الاضطراب يتبين من قول أبي الفرج : وكان لأمية « أربعة بنين عمرو وربيعة ووهب والقـــاسم وكان القاسم شاعراً وهو الذي يقول ، أنشدنيـه الأخفس وغيره عن ثعلب ، وذكر الزبير أنها لأمية : (الأبيات) » [٥].

فالخلاف إذن بين ثعلب والزبير ، إذ رواها ثعلب للقاسم بن أمية ، ورواها

---

(١) البداية والنهاية ٢ : ١٧٨ .
(٢) امالي ابن الشجري ١٥٠ .
(٣) الاكليل ٨ : ١٧ .
(٤) مروج الذهب ١ : ٣٧٥ .
(٥) الأغاني ٣ : ١٧٩ .

الزبير لأمية نفسه ، وهذا الخلاف امتد إلى سائر المصنفين والرواة ، فمنهم من نسب الأبيات إلى القاسم بن أمية كالجاحظ [١] ، وابن حجر [٢] ، ومنهم من نسبها إلى أمية كابن عساكر [٣] ، وابن كثير إذ قال : « ومن شعر أمية البديع : (الأبيات) » [٤] . وأما الشريشي في شرح المقامات فقد نسبها إلى ابن جُعَيْل [٥] ، وهذا وهم منه لاريب فيه .

فأسرة أمية يمكن أن نجعل منها طبقة من الشعراء ، كان يمكن أن يحدث اضطراب بينها وبين أمية . ويمكن أن يُلحق بهذه الطبقة مَنْ وقع الاضطراب بينه وبين أمية بسبب انتسابه إلى قبيلة ثقيف ، ومن ذلك ماوقع من اضطراب حول بيتين رواهما بشير يموت لأمية [٦] ، وهما :

من كان ذا عَضُدٍ يُدرِكْ ظُلامتَه — إن الذليلَ الذي ليست له عَضُدُ
تنبو يداه إذا ماقَلَّ ناصِرُه — ويأنفُ الضيمَ إن أثرى له عَدَدُ

فقد رواها ابن رشيق في العمدة [٧] ، والجاحظ في الحيوان [٨] والبيان [٩] ، وابن قتيبة في عيون الأخبار [١٠] ، دون أن ينسبوا الأبيات إلى شاعر معين ، وإنما قالوا جميعاً : « قال الثقفي » . ولكن ابن قتيبة رواها أيضاً في الشعر والشعراء [١١] ، ونسبها إلى الأجرد الثقفي ، فقال : « الأجرد هو من ثقيف ،

---

(١) الحيوان ١ : ٦٤ .
(٢) الاصابة ٥ : ٢٢٤ .
(٣) تاريخ ابن عساكر ٣ : ١٢٣ .
(٤) البداية والنهاية ٢ : ٢٢٩ .
(٥) شرح المقامات الحريرية ٣ : ٩٥ .
(٦) مجموعة بشير يموت ٣٠ .
(٧) العمدة ١ : ١٧٢ .
(٨) الحيوان ٣ : ٤٥ .
(٩) البيان والتبيين ١ : ٦٧ و ٣ : ٣٢٥ .
(١٠) عيون الأخبار ٣ : ٢ .
(١١) الشعر والشعراء ٢ : ٧١٢ (طبعة شاكر الثانية) .

وقد وفد على عبد الملك بن مروان في نفر من الشعراء ، فقال له : إنه ما من شاعر إلاّ وقد سبق إلينا شعره قبل رؤيته ، فما قلتَ ؟ قال : أنا القائل: (البيتين) » .

ولا ندري مصدر بشير يموت في روايته الأبيات لابن أبي الصلت ، ولا نعلم إن كان قد نقل روايته عن مصدر يصرح بذلك ، أم نسب الأبيات إلى أمية ، لما رآه في بعض المصادر من روايتها « للثقفي » ، فظن أنه أمية بالذات . غير أن تصريح ابن قتيبة بنسبتها إلى الأجرد الثقفي ، يرجح أن تكون الأبيات للأجرد لا لأمية بن أبي الصلت .

تلك هي الطبقة الأُولى من الشعراء الذين اضطرب شعر أمية معهم ، وهم أفراد أسرته وقبيلته . وثمة طبقة أخرى من الشعراء حدث الاضطراب في نسبة الشعر بينهم وبين أمية بسبب تشابه الأسماء . ومن ذلك بيت رواه السيوطي [١] لأمية ابن أبي الصلت ، وهو :

يظل يَشُبُّ كيراً بعدَ كير ... وينفخ دائباً لهبَ الشُّواظِ

وثمة بيت مشابه لأمية بن خلَف ، رواه العكبري فقال : « قال أمية بن خلف :

يماني يظل يشد كيرا ... وينفخ دائباً لهب الشواظ » [٢]

وفي الصحاح ، واللسان : « قال أمية بن خلف يهجو حسان بن بن ثابت رضي الله عنه :

أليس أبوك فينا كان قيْناً ... لدى القَيْنات ِ فسْلا في الحِفاظِ

يمانيا يظل يشد كيرا ... وينفخ دائباً لهب الشواظ » [٣]

---

(١) الاتقان ١ : ١٥١ ، وتفسير السيوطي ٦ : ١٤٤ .
(٢) شرح التبيان ١ : ٣٤٧ .
(٣) الصحاح ٣ : ١١٧٣ ، واللسان (شوظ) .

وهذه الأبيات تدفع إلى الشك في البيت المَرْويّ لأمية ، إذ ربما كان تحريفاً عن بيت أمية بن خلف[١] ، لأن الوهم سهل بين الشاعرين لتشابه الأسماء ، ولأن بيت ابن خلف يبدو أنه من قصيدة وله مناسبة في هجاء حسان بن ثابت .

ومن ذلك أيضاً ما نجده من اضطراب بين أمية بن أبي الصلت وأمية بن عبد شمس[٢] في نسبة أبيات قيلت في مديح سيف بن ذي يزن ، أولها :

جلبنا النصحَ تحمله المطايا إلى أكوار أجمالٍ ونوقِ

فقد رواها الأزرقي[٣] ، والأصفهاني[٤] ، وابن عساكر[٥] ، وابن كثير[٦] ، لأمية بن عبد شمس . ورواها الهمداني[٧] ، ومحيي الدين بن عربي[٨] ، لأمية بن أبي الصلت . ورواية الأزرقي أقدمها جميعاً ، ومع ذلك لا نجد مجرد القدم دليلاً يكفي هنا للفصل في هذا الموضوع ، وذلك لأن أمية بن عبد شمس لم يُعرف بالشعر عند الرواة ، وثمة أخبار تشير إلى وجوده في وفد قريش الذي هنّأ سيف بن ذي يزن ، وأخبار تشير أيضاً إلى وجود أمية بن أبي الصلت في تلك الوفود ، ولهذا قد

---

(١) أمية بن خلف بن وهب ، من بني لؤي ، وهو احد جبابرة قريش في الجاهلية ومن ساداتهم ، أدرك الاسلام ولم يسلم ، وهو الذي عذب بلالا الحبشي ، وأسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر ، فرآه بلال وحرض الناس عليه فقتلوه .

(٢) أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، جد الامويين بالشام والاندلس ، وكانت له قيادة الحرب في قريش بعد أبيه ، وعاش الى ما بعد مولد الرسول عليه السلام .

(٣) اخبار مكة ٢ . ١٠٢ .

(٤) الاغاني ١٦ : ٧٤ .

(٥) تاريخ ابن عساكر ١ : ٣٦٥ .

(٦) البداية والنهاية ٢ : ٣٣٠ .

(٧) الاكليل ٨ : ٥ .

(٨) محاضرة الابرار ١ : ١١٤ .

يكون من الأرجح أن تكون الأبيات لأمية بن أبي الصلت ، لأن الوهم والتصحيف سهل بينه وبين ابن عبد شمس .

ومن هذا أيضاً ما نجده من اضطراب بين أمية بن أبي الصلت وأمية بن أبي عائذ في هذا البيت :

ألا إن قلبي لفي الظاعنينا حزين فمن ذا يعزي الحزينا

فقد أنشده العيني ، ثم قال : « قاله أمية بن أبي الصلت[١] » ، ولكن هذا البيت جاء في بعض المصادر مطلع قصيدة لأمية بن أبي عائذ الهذلي[٢] ، مما يدل على أن الإمام العيني قد وهم في عزو البيت إلى أمية بن أبي الصلت بسبب تشابه الأسماء .

ومثل ذلك بيت رواه بشير يموت لأمية في أبي الصلت ، وهو :

يُرِنُّ على مُغْزِياتِ العِقاقِ ويقرو بها قفراتِ الضّلالِ

وهذا البيت ورد في المخصص معزواً إلى « أمية » دون تحديد ، إذ تحدث ابن سيده عن الناقة المُغْزِية ، وهي الناقة التي تأخر نتاجها ، ثم قال : « واستعاره أمية للأتن فقال : (البيت) »[٣] ، وهذا يوهم أن البيت قد يكون لأمية بن أبي الصلت ، إلاّ أنه ورد في قصيدة لأمية بن أبي عائذ الهذلي[٤] ، وهو متمكن في موضعه منها ، مما يدل على أنه لأمية بن أبي عائذ وليس لأمية بن أبي الصلت .

ومن هذا أيضاً ثلاثة أبيات نسبها الأب لويس شيخو إلى أمية بن أبي الصلت في كتابه شعراء النصرانية[٥] ، أولها :

---

(١) فرائد القلائد ٥٥ .
(٢) الاغاني ٢٠ : ١١٥ ، والخزانة ٢ : ٣٨١ .
(٣) المخصص ٧ : ١٥ ، ومثله في اللسان (غزا) .
(٤) ديوان الهذليين ٢ : ١٧٧ .
(٥) شعراء النصرانية ٢٣٥ .

أبا مَطَـرٍ هَلُـمَّ إلى صَلاحٍ فتكفيكَ النَّدامَى مِنْ قُرَيْشٍ

فقال الأب شيخو : « ومما روى صاحب لسان العرب لأمية بن أبي الصلت قوله يخاطب أبا مطر : (الأبيات) » . ثم نقل كلٌّ من شولتهيس وبشير يموت هذه الأبيات عن لويس شيخو – فيما يبدو – منسوبة إلى أمية بن أبي الصلت . غير أن الأب شيخو قد وهم في نقله عن اللسان ، لأن عبارة اللسان هي : « قال حرب بن أمية[١] يخاطب أبا مطر الحضرمي ، وقيل هو للحارث بن أمية : (الأبيات)[٢] » . وهذه العبارة رواها حرفياً صاحب التاج[٣] ، مما يدل على أن الأب شيخو قد وهم فعلاً في نقله عن اللسان ، ومما يؤيد ذلك أن الأبيات قد رواها كلها أو بعضها عددٌ من المصنفين . فقال الجاحظ ، والتميمي : « قال حرب بن أمية : (الأبيات)[٤] » . وقال ياقوت : « قال أبو سفيان بن حرب ابن أمية »[٥] ، وقال البلاذري : « قال أبو سفيان بن حرب الحضرمي »[٦] ، وثمة سقط في هذه العبارة ، وقال البكري : « قال حرب بن أمية لأبي مطر الحضرمي ، يدعوه إلى حلفه ونزول مكة »[٧] . وقال الزمخشري : « قال حرب بن أمية لأبي مطر الحضرمي يوم الفجار : (الأبيات) »[٨] . والأبيات فيها دعوة إلى النزول بمكة ، والداعي ينبغي أن يكون قرشياً كحرب بن أمية ، وإلا فلا معنى أن يدعو شاعر من ثقيف رجلاً إلى حلف قريش بمكة . والذي

---

(١) حرب بن أمية بن عبد شمس ، من قريش ، وكان من قضاة العرب في الجاهلية ، وهو جد معاوية بن أبي سفيان ، وكان معاصرا لعبد المطلب بن هاشم ، وشهد حرب الفجار ، وتوفي بالشام والعرب تزعم ان الجن قتلته بثأر حيَّة .

(٢) اللسان مادة (صلح) .

(٣) التاج مادة (صلح) .

(٤) الحيوان ٣ : ١٤١ ، والمسلسل في غريب اللغة ١٦٥ .

(٥) معجم البلدان ٣ : ٤١١ .

(٦) فتوح البلدان ٥٢ .

(٧) معجم ما استعجم ١ : ٢٧٠ .

(٨) أساس البلاغة ٢ : ٢٣ (دار الكتب) .

أوقع الأب شيخو في التصحيف هو تشابه الأسماء فظن بذلك أن الأبيات لأمية ابن أبي الصلت .

وبهذا نكون قد وجدنا طبقة ثانية من الشعراء الذين اختلط شعرهم مع شعر أمية بن أبي الصلت بسبب تشابه الأسماء .

وثمة طبقة ثالثة من الشعراء وقع الاضطراب في نسبة الشعر بينهم وبين أمية بسبب الموضوعات الدينية التي اشتهر بها ، وهم بين جاهلي ومخضرم وإسلامي، ويُلاحظ أن الجاهليين والمخضرمين منهم كانوا في الجاهلية قد عُرفوا جميعاً بنبذ الأوثان بعد أن طلبوا الدين واتجهوا إلى التأله والتحنف كأمية بن أبي الصلت ، ومنهم من كان على دين معين كالنصرانية . ولهذا وقع الخلط والاضطراب بين الرواة في نسبة طائفة من الشعر بين أمية بن أبي الصلت وهذه الطبقة من الشعراء .

وقد مر بنا في حديث الحنفاء أن رأس هذه الطبقة بعد أمية هو زيد بن عمرو بن نُفَيل ، فقد صَدَف عن الأوثان وما ذُبح لها ، وبحث عن الدين ، وآمن بالتوحيد الخالص ، وترك مفاسد عصره ، وجاهر القوم بما هم عليه ، وهذا كله شبيه بسيرة أمية ، ولذلك وقع اضطراب بينهما في أبيات ، أولها :

إلى الله أهدي مدحتي وثنائيا ... وقولا رصينا لايني الدهرَ باقيا

ومصدر هذا الاضطراب هو محمد بن إسحق صاحب السيرة ، إذ قال ابن هشام تمهيداً لرواية الأبيات : « قال محمد بن إسحق : وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً ــ قال ابن هشام هي لأمية بن أبي الصلت من قصيدة له »[1] . فابن إسحق نسب الأبيات إلى زيد بن عمرو بن نفيل ، أما ابن هشام فقد صحح نسبتها إلى أمية بن

(١) السيرة ١ : ٢٤٢ .

أبي الصلت ولهذا انقسم الرواة ، فمنهم من رواها لزيد بن عمرو بن نفيل كالسهيلي[١]، والبلوي[٢] ، وابن كثير في موضع من البداية[٣] ، وفي موضع آخر أشار إلى الروايتين معاً فقال : « وما أحسن ما أورده الإمام محمد بن إسحق بن يسار في أول كتاب السيرة من الشعر لزيـــد بن عمرو بن نفيل في خلق السماء والأرض والشمس والقمر وغير ذلك ، قال ابن هشام : هي لأمية بن أبي الصلت »[٤] ، ومن الرواة من نسبها إلى أمية كالعيني[٥] ، والسيوطي[٦] ، والبغدادي[٧] ، وهم أصحاب الرأي ، لأن ابن إسحق ليس حجة في رواية الشعر ، ولأن ابن هشام : لايُمرّض عبارته ، كأنْ يقول : « وتروى لأمية » ، وإنما كانت عبارته صريحـة الدلالة في أن الشعر لأمية بن أبي الصلت لا لزيد بن عمرو بن نفيل . وهذا كله على افتراض أن القصيدة موثوق بها ، إلا أن دراستها ستشير إلى اتهامها وعدم توثيقها ، وبذلك تكون عبارة ابن هشام دليلًا على وضع هذه القصيدة وأمثالها في عهد مبكر ، قد يعود إلى القرن الهجري الأول .

وفي مجموعة بشير يموت بيتان رواهما لأمية بن أبي الصلت ، وهما[٨] :

أَربّاً واحـِداً أم ألفَ ربٍّ   أَدِينُ إذا تَقسَّمتِ الأُمـورُ

ولكنْ أعبُـدُ الرحمنَ ربّي   ليغفرَ ذَنْبِيَ الربُّ الغَفُورُ

ولا ندري مصدره في نسبة هذين البيتين لأمية بن أبي الصلت ، مع أن ابن

---

(١) الروض الانف ١ : ١٤٨ .
(٢) الف با ٢ : ١٢ و ٢ : ١١٨ .
(٣) البداية والنهاية ٢ : ٢٤٢ .
(٤) البداية والنهاية ١ : ٣٦ .
(٥) المقاصد النحوية ٤ : ٢٤٣ .
(٦) تفسير السيوطي ٥ : ٢٩١ .
(٧) خزانة الادب ١ : ٢٢٦ .
(٨) مجموعة بشير يموت ٣٧ .

هشام قد روى البيتين ضمن قصيدة تقع في اثني عشر بيتاً لزيد بن عمرو نفيل[١] ، ثم نقل ابن كثير هذه القصيدة ونسبها أيضاً إلى زيد بن عمرو بن نفيل[٢] ، وروى ابن دريد البيت الأول مع بيت آخر من قصيدة زيد ثم نسب البيتين إلى زيد ابن عمرو بن نفيل[٣] ، وروى ابن عساكر البيت الأول ضمن ثمانية أبيات من قصيدة زيد ثم نسب القصيدة إلى زيد نفسه[٤] ، وأنشد البيضاوي البيت الأول مع بيت آخر من قصيدة زيد ، وقال قبلها : « قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل »[٥] ، وأنشد أبو حيان البيت الأول وقال قبله : « قال زيد بن عمرو بن نفيل »[٦] . وأنشد الزمخشري البيت الأول وقال قبله أيضاً : « قال زيد بن عمرو ابن نفيل حين فارق دين قومه »[٧] ، ولم ترد إشارة لدى هؤلاء جميعاً تدل على نسبة البيتين إلى أمية ، مما يرجح أن يكونا لزيد بن عمرو بن نفيل ، لا لأمية بن أبي الصلت ، ومن المرجح أن تكون ثمة أبيات منحولة في قصيدة زيد ، وذلك لضعف في أسلوبها ولغتها من ناحية ، ولانتشار الروح الاسلامية فيها من ناحية أخرى .

ويشبه زيدَ بن عمرو بن نفيل شاعرٌ آخر من هذه الطبقة ، هو أبو قيس بن الأسلت ، وهو شاعر جاهلي كان سيد الأوس وشاعرها وخطيبها وقائدها في حروبها ، وكان يكره الأوثان ، ويبحث عن دين يطمئن إليه ، فلقي علماء من اليهود والنصارى ، ثم وُصف له دينُ إبراهيم ، فقال : أنا على مثل هذا . ولما ظهر الإسلام اجتمع بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم تريث في قبول الدعوة ، فمات قبل أن يسلم .

وسيرة ابن الأسلت في التحنف تشبه بعض الشيء سيرة أمية بن أبي الصلت ،

---

(١) السيرة ١ : ٢٤١ .
(٢) البداية والنهاية ٢ : ٢٤٢ .
(٣) الاشتقاق ١٣٥ .
(٤) تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٣ .
(٥) أنوار التنزيل ١ : ٧٧ .
(٦) تفسير البحر المحيط ١ : ٩٩ .
(٧) الكشاف ١ : ٣٩ (المطبعة الشرفية) .

وهذا التشابه أدى إلى اضطراب الرواة بين الشاعرين في نسبة أبيات ذات موضوع ديني تُذكر فيه حادثة الفيل ، وأولها :

ومن صُنْعه يومَ فيل الحُبُو ... شِ إذ كلَّما بَعَثوه رَزَمْ

وفي السيرة « قال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري ثم الخطمي واسمه صفي : (الأبيات) » ، ثم استدرك ابن هشام بعد روايتها فقال : « وهذه الأبيات من قصيدة له ، والقصيدة أيضاً تُروى لأمية بن أبي الصلت »[١] . وعبارة ابن هشام تعني أنه لم يقطع بترجيح نسبة الأبيات إلى واحد من الشاعرين ، ومن ثَمَّ بقيت الأبيات متنازعة بين الشاعرين ، فالشيخ محيي الدين بن عربي رواها لأبي قيس بن الأسلت[٢] ، وكذلك اللسان والتاج إذ نسبا أحد الأبيات إلى أبي قيس بن الأسلت[٣] ، ثم روى اللسان بيتا آخر منها دون أن يعين صاحبه[٤] ، في حين نقل التاج عجز هذا البيت عن أبي زيد في كتاب الهمز فقال : « هو عجز بيت لأمية يذكر حادثة الفيل »[٥] .

ومن هذه الطبقة مَن لم يكن من الحنفاء ، بل كان على دين النصرانية ، ومن هؤلاء ورقة بن نوفل فقد أدرك ما عليه قومه من فساد في تقربهم إلى الأصنام والأوثان ، فبحث عن الدين ، ثم استحكم في النصرانية ، وقرأ الكتب وبَشَّر خديجة بما ينتظر محمداً صلى الله عليه وسلم من أمر السماء حين رأى جبريل لأول مرة . ولهذا وقع اضطراب بينه وبين أمية في بعض ما ينسب إليهما من الشعر ، ومن ذلك البيت المشهور :

سبحانَهُ ثم سُبْحاناً يدومُ له ... وقبلَنا سَبَّح الجُوديُّ والجُمُدُ

---

(١) السيرة ١ : ٦٠ .
(٢) محاضرة الابرار ١ : ١٥١ .
(٣) اللسان والتاج (شرم) .
(٤) اللسان (ثأج) .
(٥) التاج (ثأج) .

فقد رواه لأمية كلٌّ من ابنُ درستويه[١] ، وابن سيده[٢] ، وابن منظور[٣] ، والزبيدي[٤] . ورواه لورقة بن نوفل كلٌّ من الأصفهاني والبلوي والشريشي وياقوت والبغدادي ؛ فالأصفهاني رواه ضمن خمسة أبيات نسبها إلى ورقة بن نوفل[٥] ، ومثله البلوي[٦] ، وياقوت[٧] . ورواه الشريشي يتيماً ونسبه إلى ورقة أيضاً[٨] ، وأما البغدادي فقد رواه ضمن ثمانية أبيات ، نسبها إلى ورقة بن نوفل[٩] . وجماعة ثالثة أشارت إلى الروايتين معاً ، ومنهم السهيلي إذ روى الأبيات وعلّق على الشعر بقوله : « نسبه أبو الفرج إلى ورقة ، وفيه أبيات لأمية بن أبي الصلت »[١٠] ، ونقل ابن كثير الأبيات عن السهيلي وأشار إلى تعليقه ثم قال : « وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يستشهد في بعض الأحيان بشيء من هذه الأبيات والله أعلم »[١١] ، ورواية عمر بن الخطاب للأبيات تمنع أن يكون الشعر منحولاً ، ولكن من الصعوبة أن نرجح إن كان هذا البيت لأمية أم لورقة ، وروايته يتيماً عند بعضهم ، ثم ضمن قصيدة لورقة عند بعضهم الآخر ، لا يتخذ دليلًا على أنه لورقة ، لأن جماعة من المصنفين أشارت إلى وجود أبيات لأمية ضمن هذه القصيدة المنسوبة إلى ورقة بن نوفل .

وثمة إشارة في تفسير البحر المحيط توسع الاضطراب حول نسبة هذا البيت ، إذ نجد أبا حيان الأندلسي يروي هذا البيت دون نسبة في موضع من كتابه[١٢] ،

---

(١) كتاب الكتاب ٤٤ .
(٢) المخصص ١٤ : ٨٦ و ١٧ : ١٦٣ .
(٣) اللسان (سبح) و (جمد) و (جود) .
(٤) التاج (سبح) و (جمد) و (جود) .
(٥) الاغاني ٣ : ١٢١ (دار الكتب) .
(٦) الف با ٢ : ٢٩٢ .
(٧) معجم البلدان ٢ : ١١٦ .
(٨) شرح المقامات الحريرية ٣ : ٧٧ .
(٩) خزانة الادب ٣ : ٣٥٥ .
(١٠) الروض الانف ١ : ١٢٥ .
(١١) البداية والنهاية ٢ : ٢٩٧ .
(١٢) تفسير البحر المحيط ١ : ١٣٨ .

ثم يعزوه إلى زيد بن عمرو بن نفيل في موضع آخر[١] ، ولكن تفرد أبي حيان بهذه الرواية مع تأخره ، يؤكد أنها وليدة وهم ، بسبب ارتباط زيد بن عمرو بن نفيل مع أمية بن أبي الصلت وورقة بن نوفل في التدين والتحنف أيام الجاهلية .

وثمة اضطراب آخر بين أمية بن أبي الصلت وورقة بن نوفل في أبيات ترثي زيد بن عمرو بن نفيل حين قـُتل ، أولها :

رُشدتَ وأنعمت ابن عمرو وإنما تجنبتَ تنورا من النار حاميا

قال ابن هشام : « عن ابن إسحق أنه لما قـُتل زيد بن عمرو بن نفيل قال ورقة ابن نوفل يبكيه : (الأبيات) . قال ابن هشام : يُروى لأمية بن أبي الصلت البيتان الأولان وآخرها بيتا من قصيدة له »[٢] . فابن إسحق روى المقطعة لورقة بن نوفل ، أما ابن هشام فقد فـَرّق بين أبيات لورقة وأبيات لأمية في المقطعة نفسها ، ثم نص على أن أبيات أمية من قصيدة له ، يبدو أنها في رثاء زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً ، ولكنها ضائعة لم نقف لها على أثر غير ما أورده ابن هشام . وعلى الرغم من قول ابن هشام السابق ، فقد روى ابن قتيبة[٣] ، وابن عساكر[٤] ، وابن كثير[٥] ، عدداً من أبيات المقطعة السابقة ونسبوه إلى ورقة بن نوفل ولا سيما البيتين الأولين اللذين نص ابن هشام على أنهما لأمية بن أبي الصلت . ومرد ذلك إلى ابن إسحق الذي خلط بين أبيات الشاعرين ، أو حـُملت إليه الأبيات على هذا النحو ، فرواها كما حملت إليه ، فأوقع في ذلك من جاء بعده .

ويشبه ورقةَ بن نوفل شاعر آخر من هذه الطبقة ، هو عدي بن زيد العبادي ، إذ كان نصرانياً وفي شعره موضوعات دينية مختلفة ، ولهذا تداخلت بعض الأبيات

(١) تفسير البحر المحيط ٥ : ٢٢٤ .
(٢) السيرة ١ : ٢٤٧ .
(٣) كتاب المعارف ١٠٨ .
(٤) تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٠ .
(٥) البداية والنهاية ٢ : ٢٣٨ .

بينه وبين أمية ، وهذه الأبيات هي :

والأرضَ سَوَّى بساطاً ثُمَّ قَدَّرَها   تحتَ السماء بساطاً مثلما ثقلا

وجَعَلَ الشمسَ مِصْراً لا خفاءَ بـه   بين النهار وبين الليل قد فَصَلا

* * *

فلاطَها اللهُ إذْ أغْوتْ خَليفَتَهُ   طولَ اللّيالي ولم يَجْعَلْ لها أجَلا

فقد ذكر جماعة أن هذه الأبيات تروى لأمية ، ورواها جماعة لعدي بن زيد ضمن قصيدة له . وممن رواها لأمية التبريزي والمقريزي وابن سيده واللسان والتاج ، ولكنهم لم يقتصروا في روايتها على أمية ، بل أشاروا أيضاً إلى عدي بن زيد . ففي رواية اللسان للبيت الأول قال : « قال أمية يذكر الخالق تبارك وتعالى : (البيت) ، قال ابن بري : البيت لعدي بن زيد »[١] ، وهذه العبارة نقلها التاج في روايته للبيت[٢] . وفي رواية اللسان للبيت الثالث قال : « ولا طَهُ اللهُ لَيْطاً : لعنَه الله ، ومنه قول أمية يصف الحية ودخول إبليس جوفها : (البيت) »[٣] . وفي رواية التاج للبيت الثالث قال : « ومنه قول عدي بن زيد يصف الحية ودخول إبليس جوفها : (البيت) »[٤] . فاللسان والتاج أشارا إلى أمية وإلى زيد في رواية البيتين الأولين ، ثم اختلفا في رواية البيت الثالث ، إذ رواه اللسان لأمية ، ورواه التاج لعدي بن زيد . أما ابن سيده فقد روى البيت الثاني وأنشده لأمية بن أبي الصلت[٥] . وروى التبريزي البيتين الأول والثاني ، وقال قبلها : « وأنشد لعدي ابن زيد ، ويروى لأمية : (البيتين) »[٦] . وروى المقريزي البيت الثاني ثم قال : « وهذا البيت قائله عدي بن زيد العبادي ، ويروى لأمية بن أبي الصلت

---

(١) اللسان (مصر) .
(٢) التاج (مصر) .
(٣) اللسان (ليط) .
(٤) التاج (ليط) .
(٥) المخصص ١٣ : ١٦٤ .
(٦) تهذيب إصلاح المنطق ١ : ٤١ .

الثقفي ، وهو من أبيـــات »[١] ، ثم رواه المقريزي بعد ذلك ضمن قصيدة نسبها إلى عدي بن زيد ، تقع في أربعة عشر بيتاً ، وهي تتحدث عن خطيئـة آدم ، ودور الحية وإبليس في غوايته ثم مانال الحية من عقاب . وقد رواها الجـــاحظ أيضاً لعدي بن زيد وفيها البيت الثالث من الأبيات السابقـة[٢] ، ولم يشر إلى أمية بن أبي الصلت مطلقاً . كما نقل الطبري ، وابن فارس ، وأبو حيـــان البيت الثاني وأنشدوه لعدي بن زيد[٣] . وكذلك نقل المقدسي البيت الأول والثاني ورواهما لعدي بن زيد أيضاً[٤] . ودراسة القصيدة التي أوردها الجاحظ والمقريزي لعـدي ابن زيد تدل على مدى الارتباط الوثيق بينها وبين الأبيات المتنازعة بين أميـــة وعدي ، وهذا يرجح أن تكون هذه الأبيات لعدي بن زيد ، لا لأميـة بن أبي الصلت .

ومن هذه الطبقة فئـــة من المخضرمين وقع الاضطراب بينهم وبـين أميـة بسبب الموضوعات الدينية ، ونلاحظ أن أفراد هذه الفئة كان معظمهم في الجاهلية من المتألهين الذين عُرفوا بطلب الدين والابتعاد عن الأوثان وما إليها ، ومن هؤلاء لبيد ابن ربيعة العامري ، وهو أحد الفرسان الأشراف في الجاهلية ، وقد أسلم وحسن إسلامه ، حتى قيل إنه ترك الشعر ، وتفرغ لقراءة القرآن وحفظه ، ولذلك وقع اضطراب بينه وبين أمية في بعض ما ينسب إليهما من شعر ، ومن ذلك البيت :

فإن تَسألينا كيفَ نحنُ فإنّـنا   عَصافيرُ من هذا الأنامِ المُسَحَّرِ

فقد رواه المرتضى لأمية بن أبي الصلت[٥] ، ورواه الجـاحظ في البيان

---

(١) خطط المقريزي ١ : ٢٢ .
(٢) الحيوان ٤ : ١٩٨ .
(٣) تفسير الطبري ١ : ١٦٥ ، ومقاييس اللغة ٥ : ٣٣٠ ، وتفسير البحر المحيط ١ : ٤٥٢ .
(٤) البدء والتاريخ ١ : ١٥١ .
(٥) الغرر والدرر ١ : ٥٧٧ .

والتبيين مع بيت آخر للبيد[١] ، ورواه يتيماً في موضعين من الحيوان ونسبه فيها إلى لبيد أيضاً[٢] ، ورواه ابن قتيبة[٣] ، والجوهري[٤] ، وأبو حيان الأندلسي[٥] ، والخطيب الاسكافي[٦] ، واللسان والتاج[٧] ، للبيد بن ربيعة . ولم يشر أحد منهم إلى أمية بن أبي الصلت ، والأرجح أن يكون البيت للبيد لأنه من قصيدة له في ديوانه ، ولأن الجاحظ رواه في مواضع متعددة من كتبه ، ونسبه فيها جميعاً للبيد بن ربيعة ، مما يدل على تأكده من رواية البيت للبيد ، وكذلك لم يشر أحد في سائر المصادر إلى أمية ، وهذا يعني أن المرتضى قد تفرد برواية البيت لأمية ، ولعله قد وهم في تعيين صاحبه لاتصال البيت بالموضوعات الدينية التي غلبت على أمية .

وأورد بشير يموت في مجموعته بيتاً نسبه إلى أمية بن أبي الصلت ، وهو :

فصَلَقْنا في مُرادٍ صَلْقَةً وصُداء أَلْحَقَتْهُمْ بالثَّلَلْ

ولا ندري مصدره في رواية البيت لأمية ، في حين رواه أبو الطيب اللغوي[٨] ، وابن دريد[٩] ، وابن فارس[١٠] ، والجوهري[١١] ، واللسان والتاج[١٢] ،

---

(١) البيان والتبيين ١ : ١٨٩ .
(٢) الحيوان ٥ : ٢٢٩ ، و ٧ : ٦٣ .
(٣) تفسير غريب القرآن ٢٥٦ .
(٤) الصحاح ٢ : ٦٧٩ .
(٥) تفسير البحر المحيط ٦ : ٤٤
(٦) درة التنزيل ٢٦٩ .
(٧) اللسان والتاج (سحر) .
(٨) كتاب الاتباع ٣٤ .
(٩) جمهرة اللغة ١ : ٤٧ ، و ٣ : ٨٤ .
(١٠) مقاييس اللغة ١ : ٣٦٩ ، و ٣ : ٣٠٦ .
(١١) الصحاح ١ : ٥٩ .
(١٢) اللسان (صلق) و (ثلل) و (صدأ) ، والتاج (صلق) و (ثلل) .

للبيد بن ربيعة . وروايته للبيد في هذه المصادر ، وفي مواضع متعددة في بعضها ، يدل على تيقن من نسبته إلى لبيد ، وهذا هو الصواب ، لأن البيت من قصيدة للبيد ، أولها :

إن تَقْوى رَبِّنا خَيْرُ نَفَلْ   وبإذْنِ اللهِ رَيْثي والعَجَلْ

وبعد البيت :

ليلةَ العُرْقوب لمّا غامرَتْ   جَعْفَرٌ تدعى ورهطُ ابن شَكَلْ

ومن المخضرمين أيضاً النابغة الجعدي ، وكان ممن هجر الأصنام في الجاهلية ، ونهى عن الخمر وابتعد عن مفاسد القوم ، ثم وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم فأسلم . وهو من المعمرين في الجاهلية والإسلام ، وتوفي في خلافة معاوية . وثمة اضطراب بينه وبين أمية في هذه الأبيات :

الحمدُ للهِ لا شَريكَ له   مَنْ لم يَقُلْها فنفسَه ظَلَما

* * *

مِن سَبَأ الحاضِرِينَ مَأرِبَ إذْ   يَبْنونَ مِن دونِ سَيْلِه العَرِما

* * *

نُودِيَ قُمْ واركَبَنْ بأَهْلِكَ م   إنَّ اللهَ مُوفٍ للنّاسِ ما زَعَما

فابن هشام روى البيت الثاني فقال : « قال أمية بن أبي الصلت الثقفي : (البيت) ، وهذا البيت من قصيدة له وتروى للنابغة الجعدي »[١] . وابن سلام عرض الخلاف حول صاحب الأبيات فقال : « قلت ليونس : كيف تقرأ (وجئتك من سبأ بنبأ عظيم)[٢] ؟ فقال : قال الجعدي ، وهو أفصح العرب : (البيت الثاني) — وهو على قراءة أبي عمرو ويونس — فجعل يونس القصيدة للجعدي ، وسمعت أبا

---

(١) السيرة ١ : ١٥ .
(٢) سورة النمل ٢٧ : ٢٢ .

الورد الكلابي سأل عنها أبا عبيدة ، فقال : لأمية . ثم أتينا خلفاً الأحمر فسألناه ، فقال : للنابغة وقد يقال لأمية »[1] . ثم أورد ابن سلام خبراً فيه أن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، سأل النابغة الجعدي أن ينشده بعض شعره ، فأنشده :

الحمـــد لله لا شريك له   من لم يقلها فنفسه ظلما

فقال له : « يا أبا ليلى ! ما كنا نروي هذه الأبيات إلا لأمية بن أبي الصلت ! فقال : يابن رسول الله ، والله إني لأول الناس قالها ، وإن السروق من سَرَق أميةَ شعرَه »[2] . وبذلك لم يقطع ابن هشام وابن سلام برأي ، وإنما عرض كل منهما طرفا من الاضطراب في تعيين صاحب الأبيات ، ولكن ابن قتيبة نقل البيتين الأول والثاني ضمن قصيدة النابغة الجعدي ولم يشر إلى أميـــة[3] . وكذلك ابن دريد فقد أنشد البيتين الثاني والثالث للنابغة الجعدي[4] . وعرض المرزباني الخلاف بين الشاعرين ، ثم صحح نسبة القصيدة إلى الجعدي ، فقال في ترجمته : « وهو القائل :

الحمـــد لله لا شريك له   من لم يقلها فنفسه ظلما

وتروى لأمية بن أبي الصلت ، والصحيح أنها للنابغة »[5] .

ثم نقل البغدادي أن النابغة الجعدي كان « يذكر في الجاهلية دين إبراهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر — فيما ذكروا — وقال في الجاهلية كلمته التي أولها : (الحمد لله ..) ، وفيها ضروب من دلائل التوحيد والاقرار بالبعث والجزاء والجنة والنار وصفة بعض ذلك نحو شعر أمية بن أبي الصلت . وقد قيل إن هذا

---

(١) طبقات ابن سلام ١٠٦ .
(٢) طبقات ابن سلام ١٠٧ .
(٣) الشعر والشعراء ٩٨ — ٩٩ (طبعة السقا — ١٩٣٢ م) .
(٤) جمهرة اللغة ٢ : ٢٨٨ .
(٥) معجم الشعراء ١٩٥ (دار إحياء الكتب العربية) .

الشعر لأمية بن أبي الصلت ، ولكنه قد صححه يونس بن حبيب وحماد الراوية ومحمد بن سلام وعلي بن سليمان الأخفش للنابغة الجعدي »[١] .

وإذا كان من الصعب أن نقطع برأي حول الأبيات ، لأن ابن هشام نفسه لم يرجح أحد الوجهين ، وكذلك ابن سلام لم يقطع برأي في الموضوع كما نقل البغدادي ، فالأبيات ذات طابع إسلامي في لغتها ومعانيها ، مما يرجح أن تكون للنابغة الجعدي لأنه شاعر إسلامي ، ولا دليل لمن ذكر أنه قال هذه القصيدة في الجاهلية .

وحديثنا حتى الآن يكاد يقتصر على البيتين الأول والثاني مما أوردناه ، وأما البيت الثالث فقد أورده ابن دريد واللسان والتاج للنابغة الجعدي[٢] ، ورواه البغدادي ثم قال : « وبيت النابغة روي لأمية بن أبي الصلت »[٣] ، إلا أن بشير يموت أورده في مجموعته ضمن قصيدة لأمية على الشكل التالي[٤] :

حتى تَسوَّتْ على الجُودِيِّ راسِيَةً ... بكلِّ ما استَوْدِعَتْ كأنَّها أُطُمُ

* * *

نودي قُمْ واركَبَنْ بأهلِكَ ... إنَّ اللهَ مُوفٍ للناسِ ما زَعَمُوا

والبانَ والزيتَ والسمراءَ أخرَجَها ... هذا الدِّهانُ وهذا النَّقْلُ والأُدُمُ

ومن الواضح أن البيت من (المنسرح) ، وهذه القصيدة من (البسيط) ولم يتنبه بشير يموت إلى هذا التخليط في رواية الأبيات .

---

(١) خزانة الادب ٣ : ١٥٤ ، وانظر المقاصد النحوية ١ : ٥٠٥ ، وشرح شواهد المغني ٢١٠ .
(٢) جمهرة اللغة ٢ : ٣٨٨ ، واللسان والتاج (زعم) .
(٣) خزانة بولاق ٤ : ٣ .
(٤) مجموعة بشير يموت ٥٨ .

ومن هذه الطبقة أبو خراش الهذلي ، وهو شاعر مخضرم ، أسلم وهو شيخ كبير ، وعاش إلى زمن عمر رضي الله عنه ، وقد حدث اضطراب بينه وبين أمية في نسبة هذا البيت :

إنْ تَغْفِرِ اللّهُمَّ تَغْفِرْ جَمّا وأيُّ عَبْـدٍ لـكَ لا أَلَـمَّا

فقد رواه جماعة كثر لأمية بن أبي الصلت ، ولا سيما في حديث وفاته ، ومنهم ابن سلام[١] ، والطبري[٢] ، والأصفهاني[٣] ، والزمخشري[٤] ، والسيوطي[٥] ، وسواهم[٦] . إلاَّ أن بعضهم روى هذا البيت لأبي خراش[٧] ، ولعل السبب يعود إلى خبر نقله الأصمعي ، وفيه أن أبا خراش أنشد هذا البيت مع بيت آخر ، وهو يسعى بين الصفا والمروة .

فابن منظور أنشد بيت أمية وعزاه إلى أبي خراش في موضع من اللسان[٨] ، ثم أنشده في موضع آخر وعزاه إلى أمية ، ثم قال : « قال ابن بري : الشعر لأمية بن أبي الصلت . قال : وذكر عبد الرحمن عن عمه عن يعقوب عن مسلم بن أبي طرفة الهذلي ، قال : مرَّ أبو خراش يسعى بين الصفا والمروة ، وهو يقول :

لا هُمَّ هذا خامِسٌ إنْ تَمَّا أَتمَّه اللهُ ، وقـد أتَـمَّـا
إنْ تَغْفِر اللهمَّ تغفر جَمّـا وأيُّ عبـد لكَ لا أَلَـمَّا »[٩]

وفي هذا الخبر نلاحظ أن ابن بري قد أكد نسبة البيت الثاني إلى أميـة ،

---

(١) طبقات ابن سـلام ٢٢٤ .
(٢) تفسير الطبري ٢٧ : ٦٦ ، ٦٧ .
(٣) الأغـاني ٣ : ١٨٣ .
(٤) الفـائق ٢ : ٣١٠ .
(٥) الاتقـان ١ : ١٦٤ .
(٦) ارجع الى تخريج البيت في آخر الديوان .
(٧) كابن السيد في الاقتضاب ٤٤٢ ، وابن هشام في المغني ١ : ١٩٨ .
(٨) اللسـان (جمم) .
(٩) اللسان (لمم) ، وحديث الأصمعي في شرح شواهد المغني ٢١٣ .

قبل أن ينص على رواية عبد الرحمن عن عمه الأصمعي ، وفيها ما يوهم أن البيتين معاً لأبي خراش ، ولهذا قال البغدادي عن بيت أمية : « وليس هو لأبي خراش ، وإنما هو لأمية بن أبي الصلت ، وقد أخذه أبو خراش وضمه إلى بيت آخر ، وكان يقولها وهو يسعى بين الصفا والمروة ، وهما : لاهم هذا خامس إن تما . الخ »..[١]

وثمة مشكلة أخرى حول بيت أمية نجدها في رواية الإمام العيني ، ذلك لأنه ضم إلى هذا البيت بيتاً آخر ، وعزاهما معاً إلى أبي خراش ، فقد أنشد العيني هذا البيت :

إني إذا ما حَدَثٌ ألَمّا   أقولُ يا اللهمَّ يا اللهمّا

ثم قال : « أقول قائله أبو خراش الهذلي ، وقبله :

إن تغفر اللهم تغفر جمّا   وأي عبد لكَ لا ألمّا

وهي من الرجز المسدس »[٢] . والبيت الأول من شواهد النحاة ، ولم يُنْسَب في أكثر المصادر[٣] ، وقال فيه ابن يعيش : « لا يجتمع (يا) مع (الميم) إلاّ في شعر أنشده الكوفيون لا يُعْرَف قائله ، ويكون ضرورة ، وذلك في قوله : (البيت) »[٤] .

وهذا يشكك في إضافة ذلك البيت المتداول بين النحاة إلى بيت أمية ، وقد تنبه البغدادي على ذلك ، فقال : « وهذا البيت من الأبيات المتداولة في كتب العربية ، ولا يُعْرَف قائله ولا بقيته ، وزعم العيني أنه لأبي خراش الهذلي ، قال : وقبله :

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٥٦ .
(٢) المقاصد النحوية ٤ : ٢١٦ ، وفرائد القلائد ٣١٢ .
(٣) امثال أسرار العربية ٢٣٢ ، والانصاف ١ : ٣٤١ ، وكتاب الكتاب ٣٩ ، وأوضح المسالك ٣ : ٨٤ ، ٨٩ ، وهمع الهوامع ١ : ١٧٨ ، وشرح ابن عقيل ٢ : ١٨٦ ، والخزانة ٢ : ٢٥٦ و ٤ : ٣٥٠ .
(٤) شرح المفصل ١ : ١٨١ .

إن تغفر اللهم تغفر جمّا وأي عبـد لك لا ألمّا

وهذا خطأ ، فإن هذا البيت الذي زعم أنه قبله ، بيت مفرد لا قرين له ، وليس هو لأبي خراش ، وإنما هو لأمية بن أبي الصلت »[١] .

ولا شك أن تشابه الموضوعات بين بيت أمية ، وبيت أبي خراش ، وشاهد النحاة ، كان هو السبب في هذا التداخل ، ولكن ثمة سبباً آخر هو شهرة بيت أميـة ، حتى زعم بعضهم أن أهـل الجاهليـة كانوا ينشدونه وهم يطوفون حول الكعبة[٢] ، ولعل هذه الرواية متأثرة بخبر طواف أبي خراش السابق ذكره ، بل إن شهرة هذا البيت جعلته يدخل في عداد الأحاديث ، إذ نقل الطبري بسنده عن ابن عباس ، قال : « (الذين يجتنبون كبائر الإثم إلاَّ اللمم)[٣] ، قال : هو الرجل يلمُّ بالفاحشة ثم يتوب ، قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : (البيت) »[٤] . وقال البغدادي : « وقـد تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم ، وصـار في جملة الأحاديث ، أورده السيوطي في جامعه الصغير ورواه الترمذي في تفسيره ، وعن الحاكم في الإيمان والتوبة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال المناوي في شرحه الكبير : يجوز إنشاد الشعر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما المحرم إنشاؤه »[٥] .

ولم تقتصر هذه الطبقة على الجـاهليين والمخضرمين ، وإنمـا اتسعت لبعض الاسلاميين ، أمثال الفرزدق ، فقـد وقع الاضطراب بينه وبين أميـة في بيت للفرزدق ، هو :

بالباعثِ الوارثِ الأمواتقد ضَمِنَتْ إياهُمُ الأرضُ في دَهْرِ الدهاريرِ

---

(١) الخزانـــة ٢ : ٢٥٦ .
(٢) أنظر شرح شواهد المغني ٢١٣ .
(٦) سوة النجم ٥٣ : ٣٢ .
(٤) تفسير الطبري ٢٧ : ٦٦ (طبعة البابي الحلبي الثانية) . والحديث في لباب التأويل ٤ : ١٩٤ ، وشرح شواهد المغني ٢١٣ .
(٥) الخزانـــة ٢ : ٢٥٦ .

وهذا البيت من أبيات الشواهد ، وقد رواه ابن جني لأمية بن أبي الصلت[١]، ورواه جماعة دون نسبة[٢] ، ولكن الإمام العيني صحح نسبة البيت إلى الفرزدق ، فقال بعد البيت : « أقول : قد قيل إن قائله هو أمية بن أبي الصلت ، ولا يوجد في ديوانه ، والأكثرون على أنه للفرزدق وهو الأصح »[٣] ، وقال أيضاً : « قاله الفرزدق ، وما قيل إنه لأمية بن أبي الصلت غير صحيح »[٤] ، وهذا هو الرأي لأن البيت من قصيدة للفرزدق لا يمكن فصله عنها ، إذ ورد فيها على هذا النحو[٥] :

إني حلفتُ ولم أحلِفْ على فَنَدٍ   فِناءَ بيتٍ من الساعينَ معمورِ
بالباعثِ الوارثِ الأمواتِ قد ضمنت   إيَّاهم الأرضُ في دهر الدهاريرِ
لو لم يُبَشِّرْ به عيسى وَبيَّنَه   كنتَ النبيَّ الذي يدعو إلى النُّورِ

واشتهار الخوارج بالطابع الديني في شعرهم حمل بعض الرواة على الوهم في في نسبة قصيدة إلى رجل من الخوارج ، مع أنها من أشهر الشعر المنسوب إلى أمية ، ففي الموشح للمرزباني قوله : « أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال حدثني الأصمعي : الناس يروون لأمية بن أبي الصلت القصيدة التي أولها :

مَنْ لم يَمُتْ عَبْطَةً يمُتْ هَرَماً   ألْموتُ كأسٌ فالمَرْءُ ذائقُها

قال : وهذه لرجل من الخوارج . قال : ولا يقال لِلْموتِ كأسٌ . قال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني رحمه الله : وروى الزبير بن بكار عن رجاله أن القصيدة لأمية ، وروى الزبير وغيره أن الحسن البصري قال : هي لأمية »[٦] .

---

(١) الخصائص ١ : ٣٠٧ .
(٢) همع الهوامع ١ : ٦٢ ، وأوضح المسالك ١ : ٦٦ ، وشرح ابن عقيل ١ : ٤٩ و ٥٣ ، والانصاف ٢ : ٦٩٨ .
(٣) المقاصد النحوية ١ : ٢٧٤ .
(٤) فرائد القلائد ٢٨ .
(٥) ديوان الفرزدق ٢٦٤ ، وانظر خزانة بولاق ٢ : ٤٠٩ .
(٧) الموشح ٧٨ .

ولو صح متن القصيدة لأمية ، لكان من المرجح إسنادها إليه ، وذلك لتفرد المرزباني بهذه الرواية التي ينقلها عن الأصمعي (٢١٦ هـ) ، ولا سيما أن هذه الرواية لا تعزو القصيدة إلى شاعر معين ، وإنما تسندها إلى رجل مجهول من الخوارج ، ثم لتعقيب المرزباني بأن الحسن البصري (١١٠ هـ) كان يرويها لأمية ، وكذلك الزبير بن بكار (٢٥٦ هـ) ، وهذا يدل على أن المرزباني لم يأخذ برواية الأصمعي فحسب ، ثم لأن أبياتاً منها وردت عند خلق كثير لم يشيروا في روايتها إلى غير أمية[١] .

فالطبقة الثالثة من الشعراء الذين وقع الاضطراب بينهم وبين أمية ، كانت من الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين ، وذلك بسبب الموضوعات الدينية في أشعارهم ، مع تميز أمية بالطابع الديني في شعره .

وثمة طبقة رابعة من الشعراء ، وقع الاضطراب بينهم وبين أمية بمجرد الوهم أو التصحيف أو ما أشبه ذلك ، دون وجود سبب من الأسباب المتقدمة ، ومن أمثلة ذلك قصيدة أمية :

غَذوتُكَ مولوداً وعُلْتُكَ يافعاً   تُعَلُّ بما أُدني عليكَ وتَنْهَلُ

فقد رواها أبو تمام (٢٢٨ هـ) في الحماسة لأمية بن أبي الصلت[٢] ، غير أن التبريزي (٥٠٢ هـ) عقب عليها في شرح الحماسة بقوله : « وتُروى لابن عبد الأعلى ، وقيل هي لأبي العباس الأعمى ، قال أبو هلال أوردها أبو عبيدة في أخبار العقفة والبررة »[٣] .

---

(١) انظر تخريج الابيات في شرح الديوان .
(٢) حماسة أبي تمام ٢٧٢ ــ ٢٧٣ .
(٣) شرح التبريزي لحماسة أبي تمام ٢ : ١٣٣ .

وبهذا أصبحت القصيدة متنازعة بين عدد من الشعراء ، إلاّ أنه لم نقف على أثر لروايتها لابن عبد الأعلى ، أو لأبي العباس الأعمى ، في غير ما ذكره التبريزي ، وليس من إشارة إليها أو إلى خبر يتصل بالعقوق في ترجمة الأصفهاني لأبي العباس الأعمى[١] ، ولذلك لا نجد سبيلاً إلى مناقشة التبريزي ، ما دام متأخراً ، وما دامت القصيدة مشهورة لأمية منذ مصادر القرن الثاني الهجري ، وهذا مرجح أن تكون لأمية نفسه .

وأما أبو عبيدة (٢٠٩ هـ) فقد أوردها في كتاب « العققة » ، ضمن قصيدة مطولة لأبي عمران الأعمى[٢] يحيى بن سعيد مولى آل طلحة بن عبيد الله ، وأولها[٣] :

ومِن خَبَري أني بُليت بصاحب يلومُ وإنْ لم أجْنِ ذنباً ويَعْذِلُ

وفي هذه القصيدة نجد الأبيات التي نسبها أبو تمام إلى أمية بن أبي الصلت ، ونكاد نرجح أن تكون لأمية على الرغم من رواية أبي عبيدة لها ضمن قصيدة لأبي عمران الأعمى ، وذلك لأسباب ، منها أن دراسة القصيدة التي رواها أبو عبيدة ، تدل على تلفيق حدث بين أبيات أمية وأبيات أبي عمران ، إذ نجد بيتين أو ثلاثة من أبيات أمية ، قد تناثرت في مواضع مختلفة من قصيدة أبي عمران ، وتبدو قلقة في مواضعها لاختلاف في مستوى الأسلوب بينها وبين الأبيات التي تجاورها ، ثم نجد ثمانية أبيات لأمية تلفق مع قصيدة أبي عمران وتربط بفعل « القول » ، على هذا النحو :

---

(١) الأغاني ١٥ : ٥٧ — ٦١ .

(٢) هذا قد يشير الى ان اسم « ابي العباس الاعمى » في قول التبريزي ، ربما كان مصحفاً عن اسم « ابي عمران الاعمى » لشهرة الاول على ألسنة الرواة .

(٣) كتاب العققة والبررة : في المجموعة السابعة من نوادر المخطوطات ٣٥٢ — ٣٥٥ .

فقلتُ له يوماً لأسمع قولَه ... ويَعلَمَ بالتعليم من كان يَجهَلُ

غدوتُكَ مولوداً وعُلتُكَ يافعاً ... تُعَلُّ بما أجني إليك وتَنْهَلُ

ثم توالت سبعة أبيات من أبيات أمية التي رواها أبو تمام ، ولاشك أن الرابط « فقلت له » كان أشبه بوسيلة لإقحام أبيات أمية على أبيات أبي عمران ، سواء على يد أبي عمران نفسه ، أم على أيدي الرواة فيما بعد .

ويؤيد هذه النظرة أمران : الأول أن أبا تمام معاصر أو كالمعاصر لأبي عبيدة، وثقافته في الشعر واسعة جداً ، وما كان له أن يعزو الأبيات إلى أمية وهو يعلم أنها قطعة من قصيدة لأبي عمران الأعمى . والأمر الثاني أن أبياتاً من قصيدة أمية التي رواها أبو تمام ، قد وردت في مصادر كثيرة منذ القرن الهجري الثاني ، ونُسبت إلى أمية بن أبي الصلت دون إشارة إلى شاعر سواه[١] . وهذا يرجح أن تكون القصيدة لأمية ، ويشكك فيما قاله التبريزي أو مانقله أبو عبيدة .

وثمة خبر آخر أورده الشريشي حول الأبيات ، إذ قال : « جابر رضي الله عنه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، يارسول الله إن أبي أخذ مالي . فقال : اذهب فأتني به . فأوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الشيخ عن شيء في نفسه قاله في شأن ابنه ، فلما جاء الشيخ ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما بال ابنك يشكوك ، أتريد أن تأخذ ماله ؟ فقال : سله يارسول الله هل نفقته إلا على نفسي أو على إحدى عماته أو خالاته ؟! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : دعني من هذا ، أخبرني عن شيء قلْتَه في نفسك ماسمعته

---

(١) كتاب سيبويه ١ : ٤٣٩ ، والاغاني ٣ : ١٨٣ ، وديوان المعاني ١ : ١١٠ ، والحماسة البصرية الورقة (٢٢١ / ب) ، والانصاف ١ : ١٨١ ، ومغني اللبيب ١ : ٢٢٦ ، وشرح شواهد المغني ٢٣٩ ، والخزانة ٤ : ٣٨٠ (بولاق) ، والتاج (عول) و (قسر) .

أذناك . فقال : يارسول الله ، مازال اللهم يزيدنا بك يقيناً ، لقد قلت في نفسي شيئاً ماسمعته أذناي ، ثم أنشد يقول :

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً تعل بما أجني عليك وتنهل[١]

قال : فحينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه ، فقال : أنت ومالك لأبيك »[٢] .

وهذا الخبر قد يوسع من الاضطراب حول أبيات أمية ، إلاّ أن ظواهر التلفيق بادية عليه ، فهو أشبه ما يكون بتلك الأحاديث التي وُضِعت وضعاً بقصد الوعظ والارشاد[٣] ، ومما يضعفه أيضاً أن الشريشي (٦١٩ هـ) أندلسي متأخر ، وقد سبقه كثير من المشارقة إلى رواية هذه الأبيات لأمية بن أبي الصلت . وبذلك لا يثير هذا الخبر مشكلة هامة حول أبيات أمية ، وإنما نرجح أن تبقى الأبيات لأمية ، ومن أراد أن يذهب إلى رأي آخر كان مرتهناً بالدليل .

ومن ذلك أيضاً خلاف بسيط حول بيت أمية :

نحن بنينا طـائفـا حصينا نقارع الأبطال عن بنينا

فقد رواه البكري لأمية بن أبي الصلت[٤] ، وروى ياقوت صدر البيت لأبي طالب بن عبد المطلب[٥] . وهذا وهم من ياقوت لا شك فيه ، لأن بناء الطائف

---

(١) انشد مع ستة ابيات أخرى من ابيات امية .
(٢) شرح المقامات الحريرية ٢ : ١٦٨ .
(٣) انظر علوم الحديث ، ومصطلحة ٢٦٩ .
(٤) معجم ما استعجم ٣ : ٨٨٦ ، وشرح مقصورة ابن دريد للتبريزي ١٩٩ .
(٥) معجم البدان ٣ : ٤٩٥ .

كان حول بلد ثقيف ، حتى قيل إنما سُميت طائفاً للحائط الذي كانوا بَنَوه حولها في الجاهلية فحصنوها به[١] . ولهذا لا معنى لمفاخرة شاعر قرشي ببناء الطائف الحصين ، وإنما ينبغي أن يكون ذلك الفخر لشاعر ثقفي كأمية .

وروى بشير يموت قصيدة نسبها إلى أمية بن أبي الصلت ، وفيها بعض التداخل مع معلقة عمرو بن كلثوم ، إذ نجد في القصيدة المنسوبة إلى أمية هذين البيتين :

تُريكَ إذا وقفتَ على خَلاءٍ ... وقد أَمِنَتْ عيونَ الناظرينا
ذراعَيْ عَيْطَلٍ أدماءَ بِكْرٍ ... هِجانِ اللون لم تَقْرأ جَنِينا

وفي معلقة عمرو بن كلثوم[٢] :

تُريكَ إذا دخَلْتَ على خَلاءٍ ... وقد أَمِنَتْ عيونَ الناظرينا
ذراعَيْ عيْطَلٍ أَدْماءَ بِكْرٍ ... هِجانِ اللّونِ لم تَقْرأ جَنِينا

والبيتان في تفسير الطبري لعمرو بن كلثوم[٣] ، والبيت الثاني في مواضع متعددة من اللسان والتاج لعمرو بن كلثوم دون إشارة إلى أمية[٤] ، وإذا صحت القصيدة لأمية ، فلعل ثمة تداخلًا بين القصيدتين من قبل الرواة .

وهذه الطبقة أيضاً لا تقف عند الجاهليين ، بل نجد أكثر شعرائها من المخضرمين ، ومن ذلك ما نجده من اضطراب بين أمية والحطيئة في أبيات تَمْدح عبدالله بن جُدْعان ، أولها :

إن عَمْراً وما تَجشّمَ عَمْرو ... كابْنِ بيضٍ غَداةَ سُدّ السَّبِيلُ

---

(١) شرح المقصورة للتبريزي ١٩٩ ، واللسان (طوف) .
(٢) المعلقات السبع للزوزني ١٤٢ .
(٣) تفسير الطبري ١ : ٩٦ .
(٤) اللسان والتاج (عطل) و (بكر) و (هجن) .

وفي ديوان الحطيئة : « قال الحطيئة لابن جدعان ، وتُروى لأمية بن أبي الصلت ، ولم يروها أبو عبدالله »[١] . وليس في ديوان الحطيئة غير هذه الأبيات في مدح ابن جُدْعان ، ومن الصعب أن نعين صاحبها ، لانعدام الدلائل ، إلاّ ما نعرفه من شهرة الصلة بين أمية وابن جدعان ، وغموض هذه الصلة بين ابن جدعان والحطيئة ، وهي لا تكفي للترجيح بين الشاعرين .

وروى شولتهيس بيتين لأمية بن أبي الصلت[٢] ، ثم رواها بشير يموت لأمية أيضاً[٣] ، ولعل مصدره كان مجموعة شولتهيس بالذات ، وهما :

فما بلَغَتْ كفُّ امرىءٍ مُتَناوَلاً ... مِنَ المجدِ إلاَّ حيثُ مانِلتَ أطْوَلُ
وما بَلَغَ المُثْنونَ في الخَيْرِ مِدْحَةً ... ولو صَدَقوا إلاّ الذي فيكَ أفضَلُ

غير أن هذين البيتين في ديوان الخنساء ضمن قصيدة لها في رثاء أخيها ، مع تغيير طفيف جداً[٤] :

فما بلَغَتْ كفُّ امرىءٍ مُتَناوِلٍ ... مِنَ المجدِ إلاّ حيثُ ما نِلْتَ أطْوَلُ
ولا بَلَغَ المُهدونَ في القَوْلِ مِدْحَةً ... ولا صَدَقوا إلاّ الذي فيكَ أفْضَلُ

وروى العسكري هذين البيتين لأوس بن مغراء في مدح سعيد بن العاص[٥] ، ثم عاد فرواهما للخنساء في موضع آخر[٦] ، ومن الموجح أن يكونا للخنساء لأنهما من قصيدة في ديوانها ، ولأنهما أيضاً قد وردا في عدد من المصادر ، ونُسبا إلى الخنساء

---

(١) ديوان الحطيئة ٥٨ .
(٢) مجموعة شولتهيس ٧١ .
(٣) مجموعة بشير يموت ٤٨ .
(٤) ديوان الخنساء ٦٥ .
(٥) المصون في الأدب ٢٢ .
(٦) المصون في الأدب ٦٣ .

دون إشارة إلى سواها[١] .

وروى بشير يموت بيتا لأمية بن الصلت[٢] ، هو :

لو يَدِبُ الحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّ رِّ عليها لأنْدَبَتْها الكُلُومُ

ولا ندري مصدره في هذه الرواية ، ولكن هذا البيت ورد في عدد من المصادر منسوباً إلى حسان بن ثابت[٣] ، كما ورد في ديوان حسان ضمن قصيدة مطولة قالها في أصحاب اللواء يوم أحد ، وقد ورد البيت في قسم النسيب ضمن أبيات لا يمكن فصله عنها ، وهي[٤] :

هَمُّها العِطرُ والفِراشُ ويَعلُو ها لُجَيْنٌ ولؤلؤ مَنْظُومُ
لو يَدِبُ الحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّ رِّ عليها لأنْدَبَتْها الكُلُومُ
لم تَفُقْها شَمْسُ النهارِ بشَيْ ءٍ غيرَ أنَّ الشَّبابَ لَيْسَ يَدُوم

وموقع البيت على هذا النحو من القصيدة يرجح أن يكون لحسان بن ثابت ، لا لأمية بن أبي الصلت .

ولم يقتصر الاضطراب على ما تقدم من شعر منسوب إلى أمية ، بل نجد شيئاً من الاضطراب في أشهر قصيدة لأمية ، وهي القصيدة التي قالها في رثاء قتلى بدر من المشركين ، وليس موضع ذلك في بيت مغمور منها ، بل في أشهر أبياتها ، وهو :

ماذا ببَدْرٍ فالعَقَنْ قَلِ مِنْ مَرازِبَةٍ جَحاجِحْ

---

(١) العقد الفريد ٣ : ٢٢٠ ، وسرقات ابي نواس ٣٤ ، وشرح المضنون به على غير أهله ١٥٩ ، والكشكول ٢٥٢ .
(٢) مجموعة بشير يموت ٦٠ .
(٣) قراصنة الذهب ٢٠ ، والبديع في نقد الشعر ٢٢٤ ، وزهر الآداب ٤ : ٢١٥ ، وحياة الحيوان ١ : ٣٢٣ ، وتفسير البحر المحيط ٣ : ٢٥٠ .
(٤) ديوان حسان ٣٧٧ .

فقد رواه البكري لأمية بن أبي الصلت في موضع[١]، ثم رواه لعبد الله بن الزبعرى في موضع آخر[٢] ، ولعل هذا الاضطراب من البكري هو الذي أوقع الزمخشري في الأساس[٣] ، إذ روى البيت لعبـــد الله بن الزبعرى ، ولم يشر إلى أمية بن أبي الصلت ، مع أن البيت مشهور النسبة إلى أمية ، وقد نص على ذلك خلق كثير أمثال ابن هشام في السيرة[٤]، والجاحظ في البيان[٥] ، والأصفهاني في الأغاني[٦]، وابن عبد ربه في العقد[٧] ، وغيرهم [٨].

وهكذا كان المخضرمون أكثر شعراء هذه الطبقة ، وأما الاسلاميون فلا نجد منهم غير الشاعر العرجي ، وقد روى شولتهيس لأميـة بن أبي الصلت بيتـاً مشهورة نسبته إلى العرجي ، وهو :

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا   لِيَوْمِ كَرِيهةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ

ثم تبعه بشير يموت فروى البيت لأمية ، ثم قال : « وهذا البيت مشهورة نسبته للعرجي »[٩] ، ولم نجد أحداً ينسب هذا البيت إلى أمية في كل ما رجعنا إليه من مصادر ، فقد ورد البيت في مصادر كثيرة منسوباً إلى العرجي[١٠] ، وجاء في مصادر أخرى ضمن قصيدة للعرجي ، قالها في سجنه[١١] ،وقال البغدادي في حديثه عن العرجي: « مات في حبس

(١) معجم ما استعجم ١ : ٢٣٢ .
(٢) معجم ما استعجم ٣ : ٩٥١ .
(٣) أساس البلاغة ١ : ٧١ .
(٤) السيـــرة ٣ : ٣١ .
(٥) البيـــان والتبيين ١ : ٢٩١ .
(٦) الاغـــاني ٣ : ١٨٠ .
(٧) العقد الفريد ٣ : ٢٤٥ .
(٨) انظر تخريج القصيدة في آخر الديوان .
(٩) مجموعة بشير يموت ٣٧ .
(١٠) مختصر المعاني ٢٤٦ ، ونزهة الألبا ١١٣ ، ودرة الغواص ٦٤ ، وشرح المقامات الحريرية ٣ : ١٨٨ ، وحياة الحيوان ١ : ١٢٨ ، والمزهر ٢ : ٢٩٥ ، والصحاح ١ : ٤٨٢ ، واللسان (سدد) .
(١١) الاغـــاني ١ : ٤١٣ (دار الكتب) ، وشرح درة الغواص ١٥١ ، ونزهـــة الجليس ٢ : ١٧٩ .

محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك وكان والياً بمكة، بعد ضرب كثير وتشهير في الأسواق ، لأنه شبب بأمه ليفضحه لا لمحبة كانت بينه وبينها . وقال في حبسه قصيدته التي منها :

كأني لم أكن فيهم وسيطاً ولم تك نسبتي في آل عمرو
أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسِدادِ ثـَغْرِ »[١] .

فنسبة البيت إلى العرجي في مصادر كثيرة ، ثم روايته ضمن قصيدة له ، وفي خبر يلائم معناه ، يدل ذلك كله على أن البيت للعرجي بالذات ، لا لأمية بن أبي الصلت ، ولا سيما أنه لا يتناسب في معناه مع طبيعة أمية وسيرة حياته[٢] .

وقد وهم شولتهيس أيضاً في روايته هذه العبارة :

عندنا صيد بحر وصيد ساهرة

على أنها بيت لأمية[٣] ، وعزا روايته إلى تفسير الطبري ، ولكن هذا مجرد وهم منه ، لأن ما ورد في تفسير الطبري ، هو قول ابن عباس : « (فإذا هم بالساهرة)[٤] ، قال : على الأرض . قال : فذكر شعراً قاله أمية بن أبي الصلت ، فقال : عندنا صيد بحر وصيد ساهرة »[٥] .

والعبارة في قول ابن عباس ليست شعراً ، ولا هي بالكلام الموزون ، وإنما هي رواية لمعنى هذا البيت :

---

(١) الخزانـــة ١ : ٩٩ .
(٢) وذكر بشير يموت أن في ديوان الخنساء بيتاً منسوباً اليها ، هو :
على صخر وأيّ فتـى كصخر ليـوم كريهـة وسـداد ثغـر
والذي في ديوان الخنساء (طبعة صادر ٤٥ ، وطبعة اليسوعيين ٢٣) :
على صخر وأيّ فتـى كصخر لعـان عـائـل غـلق بـوتـر
(٣) مجموعة شولتهيس ٦٠ .
(٤) سورة النازعات ٧٩ : ١٤ .
(٥) تفسير الطبري ٣٠ : ٣٦ ، وانظر فضائل القرآن ٦٨ .

وفيهـا لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به لهـم مقيم

وهو من قصيدة تنسب إلى أمية ، وفيه كلمة « الساهرة » بمعنى الأرض.

ومن هذا أيضاً رواية شولتهيس هذه العبارة [١] :

عندَ كلِّ بَيْتٍ إيـهِ

فقد زعم أنها من الرجز ، ونسبها إلى أمية ، وعزا روايتها إلى اللسان والتاج، وهذا كله وهم منه ، لأن مانقله ليس شعراً ، وإنما يمكن أن يكون من الرجز إذا رددنا العبارة إلى أصلها في اللسان ، وهو : « فقال عند كل بيت إيـه » ، ولكنها مع ذلك مجرد عبارة نثرية صادف أن جاءت موزونة ، إذ وردت في اللسان على هذا النحو : « تقول للرجل إذا استزدته من حديث أو عمل : إيهِ ، بكسر الهاء. وفي الحديث : أنه أُنشِد شعر أمية بن أبي الصلت ، فقال عند كل بيت إيه » [٢].

وصاحب اللسان بعبارته الأخيرة إنما يشير إلى الحديث الذي رواه مسلم بسنده عن الشريد بن سويد ، قال : « ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت : نعم . قال : هيهِ . فأنشدته بيتاً ، فقال : هيهِ . ثم أنشدته بيتاً ، فقال : هيهِ . حتى أنشدته مائة بيت .. » [٣].

ولهذا فعبارة اللسان تعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال عند كل بيت يُنْشَد له من شعر أمية : هيهِ ، أي إيهِ ، بمعنى زِدْني غيرَه . وليس في

(١) مجموعة شولتهيس ٦١ .

(٢) اللسان (أيه) ، ومثله في التاج (أيه) .

(٣) انظر الحديث في تاريخ ابن عساكر ٣ : ١١٩ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٢٨ ، وحياة الحيوان ٢ : ١٥٤ ، والخزانة ١ : ٢٢٧ . واشارت اليه بعض المصادر كالمزهر ٢ : ٢٠٩ ، والاصابة ١ : ١٣٣ ، و ٨ : ١٥٦ ، وطبقات ابن سعد ٥ : ١ ص ٢٧٦ ، والمعارف ٢٨ ، والف با ٢ : ٥٠٩ ، والعقد ٦ : ١٢٨ .

تلك العبارة أي شعر كما وهم في ذلك شولتهيس .

وهكذا وجدنا الاضطراب شائعاً في رواية الشعر المنسوب إلى أمية وقد دعا إليه أكثر من سبب واحد ، فأهل بيته وأسرته كان لأسمائهم أن تداخلت مع اسمه في بعض ما ينسب إليه من أشعار . والتشابه مع اسمه أدى إلى طبقة ثانية جعلت أسماء رجالها تختلط باسمه على ألسنة الرواة . والموضوعات الدينية التي غلبت على شعره ، كانت سبباً في خلق طبقة ثالثة ممن عُرف بأمثال هذه الموضوعات في شعره ، ولهذا كانت هذه الطبقة أبرز تلك الطبقات لكثرة مانجم عنها من تداخل بين ما يُنسب إلى شعرائها وما يُنسب إلى أمية من شعر . والوهم والتصحيف عند الرواة أدى إلى طبقة رابعة من الشعراء الذين اختلط شعرهم بشعر أمية .

وقد لاحظنا أن هذا الاضطراب لم يكن وقفاً على القدماء ، وإنما تعداه الى المحدثين ، الذين انبروا لجمع شعر أمية وتصنيفه في مجموعات أطلقوا على كلّ منها اسم « ديوان أمية » . كما أن هذا الاضطراب لم يكن بين أمية ومعاصريه فحسب وإنما كان من الاتساع بحيث امتد من الجاهليين إلى المخضرمين فالاسلاميين .

ودراسة هذا التداخل والاضطراب بين شعر أمية وشعر غيره من الشعراء ، قد أفادت كثيراً في غربلة ما نُسب إلى أمية من شعر ، سواء في المصادر القديمة ، أو في المجموعات الحديثة . ودراسة أُخرى لمتن مابقي من شعر منسوب إليه ، يمكن أن تفيدنا في إتمام هذه الغربلة ، لأنها توثق مانجده أهلاً للتوثيق وتبعد عنه ماهو دخيل عليه ، وبذلك يمكن أن نحكم على أمية من خلال مايبقى من شعره الصحيح ، لامن خلال ذلك الخليط العجيب الذي نراه في المجموعات الحديثة ، التي اتخذت كلٌّ منها اسم « ديوان أمية » .

٤ ــ نقد داخلي لشعر أمية :

إن النقد الداخلي لمتن الشعر المنسوب إلى أمية ، ليساعد على تمييز الشعر االمُوثّـق له ، من الشعر الدخيل عليه ، والطريق إلى ذلك شاقة صعبة المساالك ، ولا بـد أن نتخذ لها بعض الصُّوى والأعلام منذ البداية . فإذا لم نجد من الأدلة مايميـــل بالقصيدة إلى الشك والاتهام ، كان لابد من الاقرار بتوثيقها . وإن وجـدنا بعض دواعي الشك فيها ، ملنا بها إلى الشعر المتهم . ودواعي الشك كثيرة أهمها ما نجده في بعض الشعر المنسوب إلى أمية من إغارة على نصوص القرآن في اللغة والتراكيب والمعاني والأساليب معاً ، وهذا لايصدر إلا عن رجل إسلامي ، تعمق في دراسة القرآن لغة وأسلوباً وتفسيراً ، ومن المحال أن يصدر عن رجل بعيد عن الاسلام معاد للرسول مثل أمية ، وكذلك مانلاحظه في هذا الشعر من ركاكة وضعف في اللغة والنسج وأساليب الشعر مما لايتلاءم مع عصر ابن أبي الصلت ، ثم مانجـده أحياناً من آثار شعوبية لاتصدر عن شاعر عربي جاهلي . وعلى الرغم من تعـــدد الأسباب التي تدعو إلى الشك ، فالآثار القرآنية إن وجدت في قصيدة كانت خير دليل على اتهام تلك القصيدة ، ولكن مجرد التشابه في كلمة أو عبارة أو معنى عام لايكفي للشك ، أو الحكم بالتلاقي مع القرآن ، ولهذا لم يكن كامينتسكي على جانب من الصواب أحياناً ، حين كان يكتفي بمثل ذلك في مقارنته بـــين شعر أمية والقرآن ، ذلك لأننا رأينا في التمهيد لهـــذا الكتاب ، أن بعض الأفكار الدينية كانت معروفة لبعض الشعراء قبل الإسلام ، ومن الصعب أن يُفْصل في في بعض العبارات أو المعاني العامة التي تتصل بتلك الأفكار ، إن كانت جاهلية أم إسلامية ، ولهذا لايمكن الشك في شعر امية إلا بظهور آثار قرآنية واضحة تتبدى في عدد من المظاهر كالمعاني والتراكيب والأساليب معاً ومدى الإلحاح عليها في

أبيات القصيدة الواحدة .

والشعر الموثق عند أمية قسمان : الأول شعر غير ديني ، وهو موثق بوجه عام لعدم وجود دلائل لإثارة الشك فيه ، وهذا القسم يتألف من مدائح أمية لعبد الله بن جدعان ، وعدد آخر من الأبيات في مديح بني الديان وغيرهم ، ثم رثائه لقتلى بدر من المشركين ، ورثائه لزمعة بن الأسود ، وقصيدته في عتاب ولده إن صحت له ، وقصيدته التي أورها صاحب الجمهرة في الفخر والنسيب ، وأبيات له يفخر فيها بقومه ونسبه ، وطائفة من الأبيات الفرادى في موضوعات مختلفة كالحكمة والوصف والمديح وغير ذلك ، ولا مجال لإثارة الشك حول هذا القسم من شعره ، لانقطاع الأدلة على احتمال النحل والاختلاق فيه ، ولا يحق لنا أن نثير الشك في أبيات لا دليل في أيدينا يدعو إلى هذا الشك أو يرجح احتمال الوضع أو يقطع بما فيها من تلفيق .

والقسم الثاني من الشعر الموثق ، هو شعر ديني نرجح توثيقه لأننا لانجد فيه من دواعي الشك مايطالعنا في الشعر الديني المتهم ، وإذا وُجدت بعض ملامح الشك في قصيدة من هذه القصائد ، فهي لاتعدو أبياتاً قليلة ، ومناقشة هذه الأبيات لاتقوي الشك فيها ، وإنما قد تثير شيئاً من التردد في قبولها أحياناً ، ولكنها تبقى أقرب إلى التوثيق منها إلى الشك والاتهام ، ولا سيما أن هذا النوع من الشعر بعيد عن صناعة القُصّاص ، وما فيها من ضعف وركاكة في النسج ، وخلوّه من الروح الاسلامية الخالصة التي تبعثَ على الشك والريبة لاحتمال وضعها في العصر الاسلامي.

ومن الشعر الديني الذي نميل إلى توثيقه ، قصيدة أمية في وصف الطوفان وإرسال الحمامة بحثاً عن اليابسة ، وأولها :

جزَى اللهُ الأجلُّ المرءَ نُوحاً … جزاءَ البِرّ ليس له كِذابُ

وهذه القصيدة تتألف من مقاطع متناثرة في البدء والحيوان ونهاية الأرب وغيرها

من كتب اللغة والأدب والتفسير أمثال الصحاح واللسان والتاج والخزانة والفائق وتفسير الطبري [١] . وهي تتحدث عن الطوفان وسفينة نوح ، فتصف أصحاب السفينة وما كانوا عليه من جوع وعري ، ثم تتحدث عن إرسال الحمامة لتبحث عن اليابسة وعودتها وفي منقارها قِطْفٌ دلالة على اليابسة . وهذه القصة وردت في التوراة ضمن حديث الطوفان ، وذلك في آيات الإصحاح الثامن من سفر التكوين : « وحدث من بعد أربعين يوماً أن نوحاً فتح طاقة الفُلْك التي كان قد عملها وأرسل الغراب ، فخرج متردداً حتى نشفت المياه عن الأرض ، ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض ، فلم تجد الحمامة مقراً لرجلها ، فرجعت إليه إلى الفلك ، لأن مياها كانت على وجه كل الأرض ، فمد يده وأخذها وأدخلها عنده إلى الفلك ، فلبث أيضاً سبعة أيام أُخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك ، فأتت إليه الحمامة عند المساء ، وإذا ورقة زيتون في فمها ، فعلم نوح أن المياه قلت عن الأرض ، فلبث أيضاً سبعة أيام أُخر وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أيضاً » [٢] .

والقصيدة تحدثت عن الطوفان ، ثم جمّلت أسطورةَ الحمامة ، وأضفت عليها خيال الشاعر ، فجاءت بحديث عِقْد الحمامة ، وجعلت منه جائزة لها على ما قامت به . ولا يبعد أن يكون أمية قد تأثر في قصيدته بالتوراة ، لما نعرفه من إجماع الرواة على قراءته الكتب ، ومجالسته الرهبان ، ولا يبعد أيضاً أن يكون قد استقى بعض عناصر القصة من أحاديث الناس حولها ، لأنه لو لم تكن شائعة في ذلك العصر ، لما أضرب القرآن عن تفصيلها ، واكتفى فقط بإيراد موضع العبرة والعظة فيها .

(١) انظر تخريج القصيدة في آخر الديوان .
(٢) سفر التكوين ٨ : ٦ ــ ١٢ .

وأسلوب القصيدة تتبدى فيه شخصية أمية ، لعدم اختلافه عن شعر أمية غير الديني ، فهو بعيد عن ذلك الضعف الذي نجده في بعض القصائد المتهمة ، ولا أثر فيه لمعاني القرآن وأسلوبه إلاّ في بيت ألحقناه بالقصيدة من رواية اللسان ، وهو :

بإذن الله فاشتدتْ قواهم   على مَلَكَيْنِ وهْيَ لهم وِثابُ

فعبارته « بإذن الله » وردت في آيات قرآنية كثيرة ، مما قد يثير شيئاً من التردد حول توثيق هذا البيت ، ولكن ذلك لايتعدى إلى سائر أبيات القصيدة ، ولهذا كله نرجح توثيقها لعدم وجود أدلة تميل بها إلى الشك وما يدعو إليه من حذر الوضع والاختلاق .

ومن الشعر الديني الذي لانجد دليلًا يدفعنا إلى الشك فيه ، أبيات أمية التي قالها يوم وفاته ، وأولها :

كلُّ عَيْشٍ وإن تطاولَ دهراً   صائرٌ مرَّةً إلى أن يزولا

وهذه الأبيات تناثرت في عدد من المصادر أمثال طبقات ابن سلام والأغاني والشعر والشعراء والإصابة والبداية والنهاية وتاريخ ابن عساكر وغيرها (١) . ومعاني هذه الأبيات لاتخرج عن بعض المعاني الدينية العامة ، وأهم مافيها فكرة البعث والحساب والموت المحتم ، وقد رأينا أن فكرة البعث والحساب وقضاء الموت وحتمه ، كلها قد عرفها أكثر الجاهليين وآمنوا بها ، ولذلك لانجد مجالاً لاثارة الشك حولها في الأبيات ، ولكن الشك قد يساورنا في بيت ألحقَتْه بعضُ المصادر بها ، وهو :

إنَّ يومَ الحساب يومٌ عظيم   شاب فيه الصغير شيباً ثقيلا

---

(١) انظر تخريج الابيات في آخر الديوان .

وذلك لأنه ضعيف النسج ، ويكاد يكون نظماً للآية : « فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيبا »[١] . ولهذا نرجح أن يكون هذا البيت من تزيُّد بعض الرواة ، أما سائر الأبيات فلا مجال إلى إثارة الشك حولها ، لأن إثارة الشك تحتاج إلى دليل يؤيدها ، ولا نجد هذا الدليل ، مما يدفع إلى الاعتقاد بصحتها وتوثيقها .

ومن الشعر الذي نميل إلى توثيقه قصيدته ، التي أولها :

الحمدُ للهِ مُمْسانا ومُصْبَحنا   بالخير صَبَّحَنا ربِّي ومَسَّانا

وهذه القصيدة جاءت معظم أبياتها في الخزانة ، وطائفة منها وردت في الأغاني والبدء والتاريخ ، وثمة أبيات منها تناثرت في عدد من المصادر أمثال كتاب سيبويه والحيوان والاصابة والاتقان والصحاح واللسان والتاج وتفسير الطبري وتفسير السيوطي وغيرها[٢] ، وفي هذه القصيدة يتحدث عن الحنيفية ، ثم يتساءل عن نبي يخبر الناس عن المَدَى الفاصل بين ولادة المرء ووفاته ، ثم ينطق بعدد من الحكم حول حتمية الموت وقضائه ، وتظهر لديه فكرة الحج إلى البيت بمكة، ويصف الحجيج بقوله : « مُسلِّمين إليه عند حجهم » ، ومن ثم يتحدث عن النصارى وما زعموه من ألوهية السيد المسيح ولقائه إياهم يوم القيامة . وهذه المعاني تكاد تكون أدلة على توثيق القصيدة ، لأن مثل هذه المعاني لايمكن أن يفطن إليها واضع ملفِّق ولا سيما أن تساؤل رجل عن نبي يخبره بالغيب ، لايمكن أن يصدر عن رجل مسلم ، ولكنه يمكن أن يظهر على لسان رجل متأله متحنف في الجاهلية على الشكل الذي بسطناه فيما سبق . وكذلك قوله : « أيام يلقى نصاراهم

---

(١) سورة المزمل ٧٣ : ١٧ .
(٢) انظر تخريج القصيدة في آخر الديوان .

مسيحهم » ، وقوله : « هم ساعدوه كما قالوا إلههم » ، فقد رأينا في بحث عقيدة أمية أن هذه العبارات لايمكن أن تصدر عمن آمن بالمسيحية ، وهي كذلك ربما لا تصدر عن واضع مسلم ، لأن المسلم لاتهمه مثل هذه الأفكار ، وله مندوحة عنها لو أنه أراد التلفيق والاختلاق ، ولهذا فالأبيات ينبغي أن تكون لرجل متأله متحنف كأمية ، ويؤيد ذلك أن أسلوبها لايختلف عن أسلوب أمية في غيرها من شعره الموثق الديني أو غير الديني .

وتبقى في القصيدة مواضع قليلة ربما كانت تدعو إلى شيء من التردد ، ولكنها لاتبلغ بنا أن نشك في القصيدة أو نبعدها عى الشعر الموثّق ، ومن ذلك أنها بدأت بقوله « الحمد لله » ، وهذه العبارة قد توحي بأنها إسلامية محضة ، لأن عدداً من السور بدأ بها[1] ، وقد يُظَن أن العجاج وأبا النجم كانا من أوائل الشعراء الذين بدأوا قصائدهم بمثل هذه العبارة في العصر الاسلامي ، ولكن هذا مجرد ظن فحسب ، إذ ليس من دليل فَصْل يحدد تاريخ استعمال هذه العبارة ، ولا يبعد أن تصدر هي ونظائرها عن شاعر متأله متحنف ، آمن بالله الواحد ، ونبذ الشرك ، وتطلع إلى دين إبراهيم .

وثمة فكرة أخرى تلفت النظر في القصيدة ، هي فكرة الحج إلى البيت بمكة ، ووصف الحجيج بقوله « مُسلـِّمين إليه عند حجهم » ، إلاّ أن هذه العبارة لاتكفي ألفاظها للحكم عليها بأنها إسلامية ، ذلك لأن أمر الحج كان يرتبط بدافع ديني قوي عند العرب ، ولم يكن يُقصد منه إرضاء الأصنام أو الأوثان ، وإنما كان يُقصد منه إرضاء الله الخالق ، وهو ربُّ إبراهيم وإسماعيل في عقيدة

---

(١) سورة الانعام ٦ : ١ ، والكهف ١٨ : ١ ، وسبأ ٣٤ : ١ ، وفاطر ٣٥ : ١ .

الحنيفية ، التي كانت آثار عقائدها ما تزال تسيطر على العرب رغم وجود الأصنام، ولهذا يمكن لشاعر جاهلي متحنف أن يصف الحجيج بأنهم « سلّموا » أمرهم إلى الله الخالق أثناء حجهم إلى بيت إبراهيم وإسماعيل .

وهنالك بيت في القصيدة ربما أوحى بشيء من الشك ، وهو قوله :

والناسُ راثَ عليهم أمرُ ساعتهم　　فكلُّهم قائلٌ للدِّينِ أيّانا

وذلك لأن كامينتسكي قد وقف عليه [1] ، وقابله بالآية : « يسألون أيان يومُ الدين » [2] ، والآية : « يسألونك عن الساعة أيان مُرْساها » [3] . وقد جاءت تسمية يوم القيامة باسم « الساعة » في آيات كثيرة [4] . ووُصف يومُ القيامة بأنه « يوم الدِّين » في آيات كثيرة أيضاً [5] . وهذا كله قد يوحي بأن البيت متأثر بالقرآن ، وهو بالتالي إسلامي خالص ، بمعنى أنه منحول على أمية .

ولكن هذا البيت إذا ما قورن بالإنجيل تلاشى الشك من حوله ، لأننا لا نجد فيه أثراً إسلامياً ، وإنما نجد أثراً من اثار ثقافة أمية الدينية . فإذا فهمنا قوله « أمر ساعتهم » بمعنى نهايتهم ، وجدنا هذا المعنى في مواضع متعددة من الإنجيل ، كالآية : « قال لها يسوع : مالي ولك يا امرأة ، لم تأت ساعتي بعدُ » [6] ، وإذا فُسّرت « الساعة » في البيت بمعنى القيامة ، وجدنا أن فكرة ارتباط « اليوم »

---

(١) Kamenetsky, P. 19

(٢) الذاريات ٥١ : ١٢ .

(٣) الاعراف ٧ : ١٨٧ ، والنازعات ٧٩ : ٤٢ .

(٤) انظر الانعام ٦ : ٣١ ، ويوسف ١٢ : ١٠٧ ، والحجر ١٥ : ٨٥ ، والنحل ١٦ : ٧٧ ، والكهف ١٨ : ٢١ ، وطه ٢٠ : ١٥ ، والانبياء ٢١ : ٤٩ ، والحج ٢٢ : ١ ، ٧ ، ٥٥ ، والفرقان ٢٥ : ١١ ، وغيرها .

(٥) انظر الصافات ٣٧ : ٢٠ ، وص ٣٨ : ٧٨ ، والمعارج ٧٠ : ٢٦ ، والانفطار ٨٢ : ١٥ – ١٨ ، والمطففين ٨٣ : ١١ ، وغيرها .

(٦) انجيل يوحنا ٢ : ٤ ، وانظر انجيل لوقا ٢٢ : ٥٣ .

و « الساعة » بوقت القيامة ، قد ورد أيضاً في الإنجيل ، ومن ذلك الآية : « خافوا الله وأعطوه مجداً لأنه جاءت ساعة دينونته »[١] ، ولكن الإنجيل قد ربط بين يوم القيامة وعودة السيد المسيح إلى الأرض ، وجعل تلك العودة إيذاناً بذلك اليوم العظيم[٢] ، ولهذا كان « يوم » عودته ، أو « ساعة » عودته ، بمنزلة يوم القيامة أو ساعتها في كثير من آيات الإنجيل ، ومن ذلك الآية : « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلاّ الآب »[٣]. وإذا كانت عودة السيد المسيح إيذاناً بالنهاية وانقضاء الدهر[٤] ، فالناس ينتظرونها ، ولا سيما أن الإنجيل قد دعاهم إلى السهر والاستعداد لها ، فقال : « فاسهروا إذن لأنكم لا تعرفون اليوم والساعة التي يأتي فيها ابن الانسان »[٥] .

وابن الانسان هو السيد المسيح ، وهذا المعنى في الآية الأخيرة أقرب ما يكون إلى بيت أمية ، فالناس ينتظرون تلك الساعة التي يعود فيها ابن الانسان إلى الأرض ، وقد أبطأتْ عليهم فراحوا يتساءلون عنها ، ومما يؤيد هذا المعنى في البيت ، أنه أتبعه في الأبيات اللاحقة بما يكمله ويوضحه ، فذكر أن تلك الساعة هي موعد التقاء النصارى بمسيحهم عليه السلام ، فقال :

والناسُ راثَ عليهم أمرُ ساعتهم ... فكلُّهم قائلٌ للدِّين أيّانا
أيامَ يلقى نصاراهم مسيحَهُمُ ... والكائنين له وُدّاً وقربانا
هم ساعدوه كما قالوا إلههم ... وأرسلوه يَسُوفُ الغيثَ دُسْفانا

وبهذا نوثق بيت أمية ، لأنه متأثر بالإنجيل ، وذلك من آثار ثقافة أمية ،

---

(١) رؤيا يوحنا ١٤ : ٧ ، وانظر رسالة يوحنا الاولى ٢ : ١٨ .
(٢) انظر انجيل متى : الاصحاح ٢٤ .
(٣) انجيل مرقس ١٣ : ٣٢ ، وانظر انجيل متى ٢٤ : ٣٦ .
(٤) انظر انجيل متى ٢٤ : ٣ .
(٥) انجيل متى ٢٥ : ١٣ ، وانظر انجيل لوقا ١٢ : ٣٩ .

وقراءته الكتب ، ومجالسته الرهبان ، ومن ثم لا نجد دليلًا قوياً لإثارة الشك حول هذه القصيدة ، وإنما تبقى من الشعر الذي نميل إلى توثيقه .

ومن الشعر الذي نميل إلى توثيقه قصيدة أمية :

ألا كلُّ شيءٍ هالكٌ غيرَ ربِّنا　　　ولله ميراثُ الذي كان فانيا

وهذه القصيدة وردت معظم أبياتها في الحيوان والخزانة ونهاية الأرب ، وانفرد المقدسي برواية بيتين في البدء والتاريخ ، وتناثرت أبيات منها في عدد من المصادر أمثال السيرة والخصائص واللسان وغيرها[١] . والقصيدة تبدأ بعدد من الحكم حول قدرة الله تعالى وخلوده وفناء الخليقة ، ثم تتحدث عن الطوفان وسفينة نوح ، وتقص أسطورة الحمامة وبحثها عن اليابسة ، ثم تنتهي بالحديث عن أسطورة الديك والغراب .

وهذه كلها يمكن أن تصدر عن أمية ، ولا مجال إلى الشك فيها ، لأنها بعيدة بأسلوبها ومعانيها عما يثير الشك بوجه عام ، إلا أن البيت الأول من هذه القصيدة ، يستوقفنا قليلًا ، لأن كامينتسكي قد وقف عليه[٢] ، وقابل بينه وبين الآية : « كل شيء هالك إلا وجهه » ، والآية : « ونحن الوارثون » ، وأشار إلى آيتي الرحمن والحجر . ولا شك أن في البيت فكرتين : الأولى خلود الله دون سواه ، وقد وردت في آيات كثيرة ، منها الآية : « لا إله إلا هو ، كلُّ شيء هالك إلا وجهَه »[٣] ، والآية : « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام »[٤] . والفكرة الثانية وراثة الله الأرضَ ومن عليها ، وقد وردت في عدد من الآيات ،

---

(١) انظر تخريج القصيدة في آخر الديوان .
(٢) Kamenetsky, P. 15
(٣) سورة القصص ٢٨ : ٨٨ .
(٤) سورة الرحمن ٥٥ : ٢٦ — ٢٧ .

مثل الآية : « وإنّا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون »[١] ، والآية : « إنّا نحن نرث الأرض ومن عليها »[٢] ، والآية : « ولله ميراث السموات والأرض »[٣] .

وهذا كله يدعو إلى الشك في البيت لولا أن كلاً من الفكرتين قد وردت أيضاً في التوراة والإنجيل ، فالفكرة الأولى من الأفكار الدينية العامة التي ألحت عليها الكتب المقدسة جميعاً ، ففي التوراة نجد الله خالداً وكلّ شيء سواه إلى الفناء ، ومن ذلك الآيات : « من قِدَم أسست الأرضَ ، والسمواتُ هي من عمل يديك ، هي تبيد ولكن أنت تبقى ، وكلها كثوب تبلى ، كرداء تغيرهنّ فتتغيّر ، وأنت هو وسنوك لن تنتهي »[٤] ، وفي الإنجيل وردت آيات مشابهة أيضاً : « وأنت يا رب في البدء أسست الأرض ، والسمواتُ من عمل يديك ، هي تبيد ولكن أنت تبقى ، وكلها كثوب تبلى ، وكرداء تطويها فتتغير ، ولكن أنت وسنوك لن تفنى »[٥] .

والفكرة الثانية وردت أيضاً في التوراة والإنجيل ، ففي التوراة آيات كثيرة تجعل الشّعبَ ميراثَ الله ، كقول موسى عليه السلام : « وصلّيتُ للرب وقلتُ يا سيد الربّ ، لا تُهلك شعبَك وميراثَك الذي فديتَه بعظمتك »[٦] ، وثمة آيات أخرى تجعل الأرض وخيراتها ميراثاً لله ، كالآية التي يقول فيها الربّ : « وأتيتُ بكم إلى أرض بساتين ، لتأكلوا ثمرها وخيرها ، فأتيتم ونجستم أرضي

---

(١) سورة الحجر ١٥ : ٢٣ ، وانظر القصص ٢٨ : ٥٨ .
(٢) سورة مريم ١٩ : ٤٠ .
(٣) سورة آل عمران ٣ : ١٨٠ ، وسورة الحديد ٥٧ : ١٠ .
(٤) سفر المزامير ١٠٢ : ٣٥ – ٣٧ .
(٥) الرسالة الى العبرانيين ١ : ١١ ، وانظر انجيل يوحنا ١٢ : ٣٤ .
(٦) سفر التثنية ٩ : ٢٦ ، وانظر سفر الملوك الاول ٨ : ٥٠ – ٥١ ، وسفر المزامير ٢٨ : ٩ ، ٦٨ : ٩ ، ٧٤ : ٢ ، ٧٨ : ٦٢ ، ٧٩ : ١ ، وسفر اشعيا ١٩ : ٢٥ ، ٤٧ : ٦ ، ٦٣ : ١٧ ، وسفر يوئيل ٢ : ١٧ ، ٣ : ٢ ، وغيرها .

وجعلتم ميراثي رجساً »[١] ، وثمة آية تجعل الله يرث يهوذا أيضاً : « والربُّ يرث يهوذا في الأرض المقدسة »[٢] . ثم وردت هذه الفكرة في آيات من الإنجيل أيضاً ، ومن أقرب الآيات إليها قوله : « الله بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء »[٣] . ولا شك أن نظرة الإنجيل إلى الطبيعة الإلهية في السيد المسيح عليه السلام ، هي التي جعلته كالربّ في التوراة وارثاً كلّ شيء .

ومن هنا لا نجد مجالاً للشك في بيت أمية ، أو الوقوف للمقابلة بينه وبين القرآن كما فعل كامينتسكي ، لأن معاني البيت ربما كانت متأثرة بثقافة أمية واطلاعه على التوراة والإنجيل ، ولا سيما أن هذه المعاني من الأفكار الدينية العامة في تلك الكتب المقدسة .

وحديث الطوفان والحمامة وجدناهما في قصيدة سابقة ، ورجحنا أن مثل هذا الحديث لا يُستبعد أن يصدر عن أمية ، ما دام بعيداً عن الطابع القرآني ، ولكننا نلمس في هذه القصيدة إشارة إلى التنور الذي كان علامة لبدء الطوفان ، وهو مما لم تشر إليه التوراة في حديث الطوفان وإنما جاء ذكره في القرآن فقط[٤] ، وهذا ربما أوحى بأن تلك الإشارة إلى التنور وجعله علامة للطوفان في القصيدة ، هي من وحي القرآن الكريم ، وبذلك يثار الشك حول البيتين اللذين رواهما صاحب البدء والتاريخ[٥] ، دون أن يُقطَع بنحلها ، لأنه لا يُستبعد أن يكون

---

(١) سفر ارميا ٢ : ٧ .
(٢) سفر زكريا ٢ : ١٢ .
(٣) الرسالة الى العبرانيين ١ : ١ — ٢ .
(٤) في سورة هود ١١ : ٤٠ : « حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين » . وفي سورة المؤمنين ٢٣ : ٢٧ : « فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين » .
(٥) البيتان (٦ — ٧) من القصيدة ، وهما في البدء والتاريخ ٣ : ٢٤ .

حديث التنور قد استقاه أمية من مصادر أخرى غير التوراة ، منها أحاديث الرهبان والأحبار ، وما يمكن أن يصدر فيها من شروح حول نصوص العهد القديم ، ولا يُستبعد أيضاً أن تكون قصة الطوفان قد انتقلت من الطابع الديني في التوراة إلى الطابع الشعبي فرُسِمت على أفواه بعض الساميين بإضافات مختلفة منها حديث التنور الذي ورد في البيتين .

ومع ذلك فإذا صح أن نشك في البيتين اللذين انفرد بروايتها صاحب البدء ، فهذا الشك لا يمتد إلى سائر أقسام القصيدة ، لأنها تبتعد كل البعد عن الطابع القرآني ، وتأتي بتفصيلات لا وجود لها في الكتب المقدسة ، وإنما تعتمد على الخيال الشعري وحده في رسم المشاهد والصور ، ثم تمتاز بأسلوب قوي اللغة متين النسج بوجه عام .

أما أسطورة الديك والغراب في القسم الأخير من القصيدة ، فهي أسطورة معروفة في أحاديث العرب ، إذ قال الجاحظ : « وفي كثير من الروايات من أحاديث العرب أن الديك كان نديماً للغراب ، وأنهما شربا الخمرَ عند خمّار ولم يعطياه شيئاً ، وذهب الغراب ليأتيه بالثمن حين شرب ورهن الديك ، فخاس به ، فبقي محبوساً »[١] والقصيدة تـفصِّل أمر هـذه الأسطورة ، ولا نجد فيها مجالاً للشك ، مما يرجح توثيق القصيدة عامة .

وبالإضافة إلى هذه القصائد التي وثقناها من شعره الديني ، ثمة أبيات فرادى ومقطعات قليلة لا مجال إلى مناقشتها جميعاً ، لأنها تشترك في خصائص عامة ، هي من المقومات التي بنينا عليها توثيق ما تقدم من قصائد ، فهي ذات طابع ديني عام لا أثر فيها للإغارة على أسلوب القرآن ومعانيه ، ولا مجال فيها للطعن أو الشك لانقطاع الأدلة،ولهذا تضاف إلى الشعر الذي رجحنا توثيقه ، ويمكن أن تتميز من الأبيات المتهمة ،

---

(١) الحيوان ٢ : ٣٢٣ . وخاس به : غدر به .

حين نتحدث عن الأبيات التي نجد فيها مواطن للشك وعدم التوثيق ، وذلك لقلة هذه الأبيات المتهمة بالنسبة إلى ما عثرنا عليه من أبيات مُوثَّقة ، ليس من دليل على الشك فيها .

وقبل أن ننقل الحديث إلى الجانب الآخر من الشعر المنسوب إلى أمية ، ينبغي أن نعترف بأن ما رجحنا توثيقه ، قد يكون انقطاع الدليل في بعضه مجرد حذق من واضع أو ملفق . ولكننا مع ذلك نُبقي على توثيق ما تقدم من شعره ، لاعتقادنا أن شهرة الرجل قامت على الشعر الديني ، ولا بد من بقاء شيء من شعره الديني الأصيل ، الذي عمل الرواة فيما بعد على خلطه بشعر منحول كثير لا بد من الوقوف عنده للكشف عنه وتمييزه من شعر أمية الصحيح .

وفي دراسة ما بقي لدينا من شعر أمية الديني أو غير الديني ، نجد تدرجاً فيه من الشك إلى القطع بنحله ، فهنالك قصائد تنطوي على إشارات تثير الشك حولها ، ولكننا لا نستطيع أن نقطع بنحل أبياتها جميعاً ، ولا نستطيع أيضاً أن نميز المنحول فيها من الصحيح إن وُجد ، ولهذا نشك في القصيدة دون أن نقطع بنحل أبياتها جميعاً ، وثمة قصائد فيها مواطن للشك كثيرة مما يجعلنا نرجح وضعها بأكملها ، وثمة قصائد أخرى نقطع بنحلها قطعاً لا يقبل الترجيح مطلقاً ، لأن الأدلة على نحلها أقوى من كل ترجيح ، ثم نجد أبياتاً فرادى منها ما نشك فيه مجرد شك ، ومنها ما نرجح وضعه لسبب من الأسباب .

ونبدأ بالقصائد التي نشك فيها لوجود إشارات تثير الشك حولها ، ولا نجد أدلة لتمييز ما فيها من منحول . ومن هذا الشعر قصيدة تتحدث عن الله والسماء والأرض والنجوم والملائكة ، أولها :

اعلمْ بأنّ اللهَ ليسَ كصُنْعِهِ   صُنْعٌ ولا يَخفَى عليه مُلْحِدُ

وهذه القصيدة وردت أجزاء منها في الحيوان ، وأخرى في البدء والتاريخ ،

وثالثة في الحماسة البصرية ، ثم تناثرت بعض أبياتها في عدد من المصادر كالشعر والشعراء وجمهرة اللغة والمعاني الكبير والعقد الفريد والأغاني والإصابة والصحاح والمخصص وحياة الحيوان والبداية والنهاية واللسان والتاج وغيرها[١] ، والقصيدة تضم عدداً من المقاطع يمكن أن تصدر عن أمثال أمية ، وذلك كحديثه عن قدرة الله وعلمه بخفايا الأمور ، وحديثه عن الأرض وبناء السموات السبع ،وحديثه عن العرش وما فيه من وصف مادي ، وكذلك حديثه عن القمر والشمس وسائر النجوم الأخرى ، وأهم مافي حديثه بالنسبة إلى القمر والنجوم أنها تجري لمواعد ، وأن بين ظهور القمر هلالاً واختفائه محاقاً أجلًا يُمكِّنُ الناسَ من الحساب والتوقيت ، وهذه الفكرة قد يُظن أنها إسلامية الطابع ، لكثرة ورودها في القرآن ، مثل آية الرعد : « وسَخّر الشمس والقمر كلٌ يجري إلى أجل مسمى»[٢] ، وقد وردت هذه الآية في سور أخرى[٣] ، مما يدل على اهتمام القرآن بما يرافق النجوم من توقيت ومواعيد محددة .

ولكن هذا الاهتمام بمواعيد النجوم وارتباطها بفكرة التوقيت ، ثم بوصفها وتحديد مواقعها ، أمر لا يستغرب من جاهلي إذا تحدث عنه ، لأن هذه الأمور من أهم مستلزمات حياة العرب قبل الإسلام ، حتى وجد القرآن القسم بمواقع النجوم قسماً عظيماً لا يستهان به[٤] ، ولولا اهتمام العرب بهذا الموضوع وارتباطه بحياتهم ، لما أقسم القرآن به ونبه أسماعهم على أنه قسم عظيم . ولم يكن أمر النجوم وربطها بالتوقيت وقفاً على العرب ، بل نجد ذلك من مستلزمات الأمم السامية كلها ، بسبب حياتها البدوية الأولى ، حتى إن التوراة جعلت السبب في خلق الشمس والقمر وسائر النجوم ، أنَّ الله أراد منها أن تفصل بين النهار والليل ، وتكونَ

(١) ارجع الى تخريج القصيدة في آخر الديوان .
(٢) سورة الرعد ١٣ : ٢ .
(٣) لقمان ٣١ : ٢٩ ، وفاطر ٣٥ : ١٣ ، والزمر ٣٩ : ٥ .
(٤) في سورة الواقعة (٥٦ : ٧٥ ــ ٧٨) : « فلا أقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم ، انه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون » . وقوله (فلا أقسم) : لا زائدة ، أي أقسم بمواقع النجوم .

آيات لقدرته ومواعيدَ للأوقات والأيام والسنين[١] .

ولهذا لا نجد في حديث النجوم وربطها بفكرة التوقيت ما يثير الشك في الأبيات ، ولا سيما أن أسلوبها لا يختلف عن أسلوب أمية فيما تقدم من شعره الموثّق ، ولكن في الأبيات إشارة إسلامية خالصة لا يمكن أن تصدر من شاعر جاهلي ، وهي الحديث عن رَمْي الشياطين بالكواكب في الأبيات :

وترى شياطيناً تَروغُ مُضافةً ورَواغُها شَتّى إذا ما تُطْرَدُ
تُلقَى عليها في السماء مَذَلّةٌ وكواكبٌ تُرْمى بها فتُعَرِّدُ

ومثل ذلك الحديث عن إحكام بناء السماء حتى لا تستطيع الشياطين أن ترد إليها :

فأتمَّ سِتّاً فاستَوتْ أطباقُها وأتى بسابعة فأنّى تُورَدُ

ورَمْي الشياطين بالكواكب فكرة إسلامية خالصة لم تكن معروفة لعرب ما قبل الإسلام ، يدل على ذلك ما جاء في تفسير الطبري للآية الأولى من سورة الجن ، إذ قال بسنده : « ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم ، انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، عامدين إلى سوق عكاظ ، قال : وقد حِيلَ بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأُرسلت الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟ فقالوا : حِيلَ بيننا وبين خبر السماء ، وأُرسلت علينا الشهب . فقالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلاّ شيء حدث . قال : فانطلق النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنَخْلَة ، وهو عامد إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر . قال : فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء . قال : فهنالك حين رجعوا إلى

---

(١) ارجع الى سفر التكوين ١ : ١٤ — ١٨ .

قومهم فقالوا : يا قومنا (إنّا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي إلى الرشد فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا) قال : فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : (قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن ..) ، وإنما أوحي إليه قول الجن »[١] . وقال الطبري أيضاً بسنده : « لم تُحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد ، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم حُرست السماء الدنيا ، ورُميت الشياطين بالشهب »[٢] .

وفي سورة الجن يَنْطِق الجنُّ بما حدث لهم يوم بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد راموا استراق السَّمْع ، فوجدوا السماء قد مُلئت حرساً من الملائكة شديداً ، وشُهباً من النجوم محرقة ، مع أنهم كانوا قبل ذلك يقصدون من السماء مقاعد يستمعون فيها ، أما الآن فمن يَقترِبْ ليستمع شيئاً يَجِدْ له شهاباً معداً ليُرمى به : « .. وأنّا لَمَسنا السماءَ فوجدناها مُلئت حرساً شديداً وشهبا ، وأنّا كنا نقعد منها مقاعد للسَّمْع ، فمن يستمع الآن يَجِدْ له شهاباً رَصَداً ، وأنّا لا ندري أشرٌ أُريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربُّهم رَشَدا »[٣] .

ولو كان العرب قبل الإسلام يعرفون فكرة رمي الشياطين بالشهب ، لما تحدث القرآن هذا الحديث الصريح في أن الجن قد حيل بينهم وبين السماء ، وأُرصدت لهم الشهب ، بعد نزول الوحي . ولهذا لا يساورنا أدنى تردد في القول بنحل الأبيات السابقة على أمية ، ولكن الشك ينبغي ألاّ يقف عند هذه الأبيات ، لأن الأبيات التي تتحدث عن خلق السماء ، والأبيات التي تتحدث عن الملائكة ، تكاد تكون مترابطة إلى حد ما ، رغم أنها متفرقة في مصادر عدة ، ولهذا لا بد من الشك في هذه المقاطع من القصيدة ، وكذلك لا يمكن توثيق المقاطع الأخرى ،

---

(١) تفسير الطبرى ٢٩ : ١٠٢ – ١٠٣ (طبعة البابي الحلبي الثانية) . والحديث أورده السيوطي بسنده عن ابن عباس في أسباب النزول ٧٦٣ (على هامش الجلالين) .
(٢) تفسير الطبري ٢٩ : ١٠٣ .
(٣) سورة الجن ٧٢ : ٨ – ١٠ .

لأنها تختلط بها في أكثر المصادر ، ولهذا نشك في القصيدة عامة دون أن نوثق أبياتاً منها دون أبيات ، وذلك لصعوبة التفريق بين المنحول والصحيح من ناحية ، ولوجود المنحول في القصيدة من ناحية أخرى ، وإذا كان أسلوب القصيدة يشاكل أحياناً أسلوب أمية ، فهذا لايكفي للبرهنة على توثيقها ، لأنه قد يكون حِذْقاً ومهارة من الواضع نفسه .

وثمة قصيدة أخرى تشبه هذه القصيدة ، وأولها :

لكَ الحمدُ والنَّعْماءُ والمُلْكُ ربَّنا   فلا شيءَ أعلى منك جَدّاً وأمْجَدُ

وهي في شعراء النصرانية تَعُد (٣٨) ثمانية وثلاثين بيتاً ، ونقلها عنه شولتهس في مجموعته ، ثم نقلها بشير يموت وأضاف إليها أربعة أبيات ، أحدها ورد في القصيدة السابقة محرفاً بشكل يتلاءم مع وزنها . وأول مصدر للشك فيها أنني لم أعثر فيما رجعت إليه من مصادر إلاّ على (١٣) ثلاثة عشر بيتاً منها ، متفرقة غير متتالية في مصدر واحد ، ولا يزال هذا الشك قائماً حتى نقف على مصدر الأب لويس شيخو ، وذلك خوفاً أن يكون هنالك بعض صور الوهم أو الاضطراب ، كالتي رأيناها في البحث السابق .

والقصيدة تكاد تنقسم إلى قسمين : الأول يتحدث عن العرش وما يحيط به من نور وملائكة ، ثم يتحدث عن قدرة الله واتساع سلطانه ، ثم ينتهي بالحديث عن وحدانية الله حديثاً أشبه مايكون بالحديث الإسلامي الخالص (الأبيات ١ — ٢٧). والثاني يعاتب فيه صاحب الأبيات قلبَه المقيم على الهوى مع أن الحياة لاتدوم لإنسان ، وهي دنيا غرور بأهلها ، والأحرى به أن يتعظ بمن مضى قبله من الناس (٢٨ — ٣٩) ، وأخيراً نجد إشارة في أبيات بشير يموت إلى « وثاق الله » وما فيه من أنباء القرون الخالية ، وإشارة أخرى إلى أهل الكهف .

وحديث الأبيات عن توحيد الله يلامس الفكرة الاسلامية حتى ليكاد يثير الشك في هذه الأبيات التي تتحدث عنه ، لولا أن هذا التوحيد قد وجدنا أمثلة عليه عند الحنفاء جميعاً ، ولو لم يكن في شعر أمية ما يماثل هذه الأبيات لما قال الرسول عليه السلام عن أمية : « آمن لسانه وكفر قلبه » أو « كاد ليسلم » ، فمثل هذا الحديث في الأبيات يجعلنا في حيرة من أمرها ، وكذلك حديثه عن قلبه المقيم على الهوى وحثه على ترك الدنيا وما فيها من تقلب وخداع ، فهو حديث قد يصدر عن كل متأله ، ومثل هذا ما بدأ به القصيدة من الحديث عن الملائكة ، فهذا التفصيل الذي أورده لا أثر فيه للقرآن الكريم .

ولكن في القصيدة بعض الاشارات التي تبعث على الشك والريبة وتبعد القصيدة عن التوثيق المطلق ، ومن ذلك أنه في حديثه عن الملائكة يجعل من « جبريل » أميناً للوحي ، فيقول :

وسِبْطٌ صُفوفٌ يَنْظرون قضاءه ... يُصيخونَ بالأسماعِ للوحي رُكّدُ
أمينٌ لوحي القُدْسِ جبريلُ فيهم ... وميكالُ ذو الرُّوح القويُّ المُسدَّدُ

وكلاهما من الأبيات التي لم أعثر عليها فيما رجعت إليه من مصادر قديمة . ونسبة الوحي إلى جبريل إسلامية خالصة ، لأن جبريل لم ينزل بالوحي إلاّ على محمد صلى الله عليه وسلم ، أما في التوراة فلا يظهر جبريل إلا في تفسير رؤيا دانيال، التي أنبأت بالخراب والدمار الذي حل باليهود وبيت المقدس [١] . ولهذا كان اليهود يناصبونه العداء ، ففي السيرة أن نفراً منهم جاؤوا إلى الرسول فسألوه عن أربع حتى يصدقوه ويؤمنوا به ، وآخر ما سألوه أنهم قالوا : « فأخبرنا عن

---

(١) انظر سفر دانيال : الاصحاح الثامن والتاسع ، وخاصة الآيات ٢٠–٢٧ من الاصحاح التاسع .

الروح ؟ قال أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمونه جبريل ، وهو الذي يأتيني ؟ قالوا : اللهم نعم ! ولكنه يا محمد لنا عدو ، وهو مَلَك إنما يأتي بالشدة وبسفك الدماء ، ولولا ذلك لاتّبعناك »[١] . ولذلك أنزل الله في كتابه : « قل : مَن كان عدواً لجبريل ، فإنه نَزّله على قلبكَ بإذن الله مُصَدِّقاً لما بين يديه وبشرى للمؤمنين . مَن كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريلَ وميكالَ فإنّ اللهَ عدوٌّ للكافرين »[٢] .

فالمسلمون هم أول من أثنى على جبريل لنزوله بالوحي على الرسول ، وهم أول من وصفه بأمين الوحي ، ولهذا ينبغي أن يكون البيت الذي تحدث عن جبريل إسلامياً ، عَبّر فيه واضعه عما يجده من خير في جبريل فربط بينه وبين أمانة الوحي على أساس الفكرة الاسلامية ·

وهذا البيت يبعث على الشك في أبيات أخرى ، لانستطيع تحديدها لانقطاع الأدلة ، ولكنه لا يبعد أن تكون الأبيات التي تتحدث عن الملائكة منحولة أيضاً ، وكذلك الأبيات التي تتحدث عن وحدانية الله وعدم استواء الخالق مع خلقه ، والأبيات التي تتحدث عن فناء الناس وبقاء الله الواحد ، والأبيات التي تتحدث عما يسبح الله من طير ورعد وأشجار ووحش وحوت وبحر .. لايبعد أن تكون هذه الأبيات منحولة كلها أو بعضها ، لأنها قد تكون موضوعة من وحي ماجاء مجملًا حولها في القرآن ، ولا سيما أن بعض الأبيات تلتقي مع آيات من الكتاب الكريم[٣] ، وقد أثبتنا هذه الآيات في شرح الأبيات ليتبين التقابل

---

(١) السيرة ٢ : ١٩٢ ، وثمة أحاديث أخرى تشير الى عداء اليهود لجبريل أوردها السيوطي في أسباب النزول ص ٢١ ـ ٢٢ (حاشية على تفسير الجلالين) .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٩٧ ـ ٩٨ .

(٣) أمثال سورة الكهف ١٨ : ٩ ، ١٨ ، وطه ٢٠ : ١١١ ، والأنبياء ٢١ : ١٩ ـ ٢٠ ، والنور ٢٤ : ٤١ ، وص ٣٨ : ١٧ـ١٩ ، والحشر ٥٩ : ٢٣ ، والتغابن ٦٤ : ١ .

وقد تكون الأبيات بوجه عام متأثرة بأسلوب القرآن في لفت الأنظار إلى الطبيعة لتبيّن قدرة الله وحكمته ، ولكنه بالمقابل ليس من دليل قاطع على نحلها جميعاً ، ولهذا وقفنا من القصيدة كلها موقف الشك فحسب .

وثمة بيت أورده بشير يموت في آخر القصيدة ، وهو :

وليس بها إلاّ الرقيمُ مُجاوراً ... وَصيدَهُمُ والقومُ في الكهف هُجَّدُ

وهو منقطع عن سائر أبيات القصيدة ، والضمير في قوله « بها » غامض يبدو أنه يتصل بأبيات ضائعة . وهذا البيت أشبه بنقل عن سورة الكهف للرقيم والوصيد[١] ، ولعل الناظم قد تأثر أيضاً بما دار حول « الرقيم » من خلاف في تفسيره . حتى ذكر عكرمة عن ابن عباس أنه قال : « ما أدري ما الرقيم أكتاب أم بنيان ، يعني أصحاب الكهف والرقيم »[٢] ، ولو كان الرقيم معروفاً في كلام العرب ، لما وقع الخلاف حول تفسيره بهذا الشكل . فالبيت ينبغي أن يكون أسلامياً نقَل الرقيم والوصيد من سورة الكهف ، ثم تأثر بالخلاف حول تفسير الرقيم فجعله بناء يجاور الوصيد . وهذه إشارة أخرى إلى وجود النحل في القصيدة ، وهي تؤيد ما ذهبنا إليه من الشك في القصيدة عامة ، لعدم إمكان التمييز بين المنحول فيها والصحيح إن وجد ، وذلك لانقطاع الأدلة التي يمكن أن توثق جانباً من القصيدة دون الجانب الآخر .

وثمة قصائد أخرى يمكن أن نميز فيها بين شعر متهم ، وشعر أقرب مايكون إلى التوثيق ، وذلك بسبب مافيها من اختلاف في مستوى الأسلوب والمعاني ، مما

---

(١) سوة الكهف ١٨ : ٩ و ١٨ . وقيل في شرح الرقيم انها الجبل الذي كان فيه الكهف ، وقيل اسم القرية التي خرجوا منها ، وقيل اسم كلبهم ، وقيل هي لوح رصاص كتبت فيه اسماؤهم وانسابهم وقصصهم وبما فروا . والوصيد : فناء الدار .

(٢) اللسان (رقم) .

يدل على أنها ليست لصانع واحد ، فالأقسام الضعيفة فيها غير موثقة على الأرجح، لأنها لاتشاكل سائر أقسام القصيدة ، ولا تماثل أسلوب أمية عامة . وأما الأقسام القوية فهي بين احتمالين ، إما أن تكون لأمية ثم لفق لها الرواة أبياتاً منحولة أضيفت إليها فيما بعد ، وإما أن تكون لواضع آخر غير واضع تلـــك الأقسام الضعيفة ، وعلى هذا الاحتمال تكون القصيدة ملفقة على أيدي عدد من الرواة ، بعضهم وُفق إلى مشاكلة شعر أمية ، وبعضهم لم يُوفق ، فجاءت القصيدة مختلفة في مستوى الأسلوب . ولا يمكن الترجيح بين هذين الاحتمالين إلا بالعودة إلى مصادر القصائد نفسها ، والنظر إلى مدى ترابط أقسامها المختلفة في تلك المصادر ، لأننا حين نقول « قصائد » ، فذلك من قبيل التجوز ، وحسب تصنيفها لدى أصحاب المجموعات الحديثة لشعر أمية ، وهـذا التصنيف لم يكن يعتمد في الغالب إلاّ على ما استشعروه من ترابـط في الأصل من حيث الوزن والموضوع ، إذ أن تلك القصائد في حقيقتها عبارة عن أشتات متفرقة في المصادر القديمة ، بعضها أشار القدماء إلى ترابطه ، وبعضها الآخر لم نجـد إشارة لدى القدماء تـدل على ترابطـه ضمن قصائد معينة .

ومن هنا يمكن أن نقسم هذا النوع من القصائد إلى قسمين : الأول قصائد صنفها المحدثون وليست على مستوى واحد في الأسلوب والمعاني ، ولا نجد دليلًا على ربط أقسام كل منها في قصيدة واحدة ، وبذلـك يمكن الفصل بسهولة بين المُوثّق منهـا وغير الموثق ، والثاني قصائد صنفها المحدثون وليست على مستوى واحد في الأسلوب والمعـاني ، وثمة دلائل عند القدماء تشير إلى ترابط أقسام كل منها في رأيهم ، ولا سيما أن عدداً من المصادر أوردها بأقسامها المختلفة ، مما يجعل من المحال فصل أقسام منها عن الأقسام الأخرى ، ولذلك لا بد من إبقائها كما وردت في تلك المصادر ، مع ترجيح الانتحال في بعض أقسامها ، والشك في الأقسام الأخرى مجرد شك فحسب .

ومن النوع الأول قصيدة صنفها بشير يموت في واحد وعشرين بيتاً ، أولها :

والطوطَ نزرعه فيها فنلبسه والصوف نجتزه ما أردف الوبر

ونجد في هذا التصنيف انقطاعاً في موضعين ، بعد البيت(٤) وبعد البيت(١٦)، وتظهر شخصية أمية وأسلوبه في الأبيات (١ — ٤) و (١٧ — ٢١) وفي هذه الأبيات يتحدث عن الأرض وفضلها على الناس وقدرة الله وخلوده وفناء الناس وحتم الموت عليهم . وأما الأبيات (٥ — ١٦) فهي تتحدث عن يوم الحشر وأصحاب النار ومن يقوم بينهم على الأعراف ، وهذه الأبيات من المرجح نحلها ، لما فيها من إلحاح على أوصاف القرآن الكريم لأهل الجنة وأهل النار وأهل الأعراف ، ولا سيما أن هذه الأوصاف القرآنية ، لا أثر لها في التوراة ، لأن صورة الجنة في التوراة تختلف كلّ الاختلاف عن صور الجنة في القرآن[١]، ثم إن القرآن قد تفرد في الاعتماد على المقارنة في تصوير أهل الجنة وأهل النار ، إذ يعرض مشاهد هؤلاء مقابل مشاهد أولئك ، وهو الأسلوب الذي جرت عليه القصيدة . والأبيات من جهة أخرى أشبه بترجمة ونظم لكثير من الآيات القرآنية[٢] ، ولا سيما سورة القمر ، التي امتازت بين المكيات بوقع خاص من حيث الإيقاع والتصوير ، ولكن الناظم لم يتأثر بهذه السورة فحسب وإنما أخذ من كل سورة بطرف ، فجاءت الأبيات نظما لآيات من سور كثيرة[٢] ، وقد أثبتنا هذه الآيات في شرح الأبيات لبيان التقابل الواضح . ولو أن أمية أخذ عن القرآن وأراد التحدي ، لكان ابتعد عن التقابل بينه وبين القرآن ما استطاع، وأتى بشيء يبدو جديداً ، ولا تظهر فيه آثار الأخذ الصريح عن القرآن . ولو أن القرآن أخذ عن أمية ، لكان أمية نفسه قد انبرى ينافح عن شعره ومعانيه، لما في نفسه من حقد وحسد للرسول والإسلام ، وهذا أمر تفصيله في حديثنا القادم

---

(١) انظر صورة الجنة في التوراة : سفر التكوين ٢ : ٨ — ١٤ .

(٢) أمثال سورة القمر ٥٤ : ٦ — ٨ ، ٥٢ ، والتغابن ٦٤ : ٩ ، والكهف ١٨ : ٨ والشورى ٤٢ : ١٧ ، والقارعة ١٠١ : ٦ — ١١ ، والملك ٦٧ : ٨ — ١١ ، والأحزاب ٣٣ : ٦٦ — ٦٨ ، والدهر ٧٦ : ٤ ، والاعراف ٧ : ٤٥ — ٤٨ .

عن معاني أمية وما قيل عن علاقتها بالقرآن الكريم ، أما الآن فحسبنا وجود هذا الإلحاح على القرآن حتى نرجح وضع الأبيات ونحلها ، لعدم إمكان أخذ أمية عن القرآن ، ولعدم أخذ القرآن عن أمية حتماً .

وإذا عدنا إلى مصادر القصيدة ، وجدنا أن الأبيات التي رجحنا نحلها وعدم توثيقها ، قد انفرد بروايتها صاحب البدء والتاريخ ، وهو غير ثقة فيما يرويه من أشعار ، وأما سائر أبيات القصيدة فقد جاءت متناثرة في الحيوان وتأويل مشكل القرآن ومختصر جامع بيان العلم والمخصص واللسان وغيرها ، ولم ترد في هذه المصادر إشارة تدل على ارتباط أبياتها بما أورده صاحب البدء والتاريخ ، وكذلك لم ترد في البدء والتاريخ إشارة تدل على ارتباط أبياته بما أوردته تلك المصادر ، ولهذا لا نجد مبرراً للجمع بين القسم المُوثَّق ، والقسم المنحول في قصيدة واحدة لمجرد الاتفاق في الوزن ، وإنما الأحرى أن نفصل بين القسمين ، ونجعل كلا منهما مستقلاً عن الآخر في قصيدة خاصة به .

وتشبه هذه القصيدة ، قصيدة أخرى أوردها شولتهيس في أربعين بيتا ، ثم أوردها بشير يموت في واحد وأربعين بيتا ، أولها :

مَجِّدوا اللهَ فَهْوَ للمَجْدِ أهْلٌ   ربّنا في السماء أمسى كبيرا

وهي تتألف من مقاطع متناثرة في عدد من المصادر ، دون إشارة إلى ترابطها في قصيدة واحدة ، مما يسمح بإفراد ما نُوثّقه من أقسامها ، إن وجدنا إلى ذلك من سبيل . وفي ترتيب مقاطع القصيدة شيء من الاضطراب في مجموعة شولتهيس ومجموعة بشير يموت وسائر المصادر ، وقد رأينا أن نرتبها على الشكل الذي أوردناه في الديوان ، ليستقيم ترابط الأبيات ومعانيها قدر الإمكان .

وبهذا الترتيب فالقصيدة تتحدث عن قدرة الله في خلقه ، ثم تنتقل إلى فرعون وهلاكه ، ثم إلى ثمود وعقرهم ناقة صالح ، وقد أنهاها شولتهيس وبشير يموت

بالأبيات التي تتحدث عن نار الاستمطار في الجاهلية الأولى عند العرب .

والمقطع الأول ورد قسم من أبياته في البدء والتاريخ ، وقسم آخر في كتاب الحيوان ، وتناثرت بعض أبياته في عدد من المصادر ، وهذا المقطع يتحدث عن قدرة الله تعالى تعالى ، ويمتاز بلفت الأنظار إلى الطبيعة ، لأنه يُعدّد ما خلقه الله تعالى من بعض النبات والحيوان كالنخيل والتماسيح والنعام والأسود وغيرها ، ويجعل منها آيات تدل على قدرة الله وحكمته فيما خلق ، وهذا الأسلوب في لفت الأنظار إلى الطبيعية على هذا النسق بالذات ، يشبه أسلوب القرآن في سوره المكية بوجه عام ، وهذا يدفع إلى الشك في أبيات هذا المقطع ، ولا سيما أن الأبيات التي تلفت النظر إلى الطبيعية أشبه بالشعر التعليمي ، لخلوها غالباً من نفحة الخيال الشعري ، وما تبعث في الشعر عادة من روائع الصور أو خلجات العواطف .

والمقطع الثاني ورد قسم من أبياته في البدء والتاريخ ، وقسم آخر في الحيوان ، وقسم ثالث في تفسير الطبري ، وهو يطالعنا بالحديث عن فرعون وهلاكه في البحر وضياع بني إسرائيل في التيه ، ثم يشير إلى ما أصاب آل فرعون من هلاك بالذر والجراد والسنين . وقد يتراءى للوهلة الأولى أن أبيات هذا المقطع ينبغي أن تُوثّق ، لأن قصة فرعون وهلاكه في البحر قد وردت مفصلة في التوراة[١] ، وخروج بني إسرائيل من مصر وضياعهم في التيه قد احتل سفراً خاصاً في التوراة ، عُرف بسفر الخروج ، وهو يضم أربعين إصحاحاً . إلاّ أن هذه الأبيات لا تسير في ظل التفصيلات التي وردت في التوراة ، ولو كان الناظم متأثراً بالتوراة فعلاً لانزلق على لسانه بعض تلك الأمور الجزئية التفصيلية التي جاءت في سفر الخروج ، ولكن الأبيات تظهر فيها آثار القرآن ، لأنها تسير وفق بعض المعاني الموجزة العامة التي

---

(١) انظر تفصيل ذلك في سفر الخروج الاصحاح الرابع عشر .

وردت في القرآن حول قصة فرعون وخروج بني إسرائيل[١] ، ولا يكاد الناظم يضيف إليها شيئاً غير ما رآه مجملاً في القرآن ، وهذا يدل على أن ناظم الأبيات إسلامي لا جاهلي .

والمقطع الثالث وردت أبياته جميعاً في كتاب البدء والتاريخ ، وهذا المقطع يتحدث عن هلاك ثمود وعقرهم ناقة صالح ، وهو أيضاً من الأبيات التي قد يتراءى للمرء أن يُوثِّقها لأول وهلة ، لأن قصة ثمود كانت معروفة للجاهليين ، وقد وردت إشارة إليها في الشعر الجاهلي الموثوق به [٢] . إلاّ أن هذه الأبيات تأخذ عن القرآن أيضاً ، فإذا تحدثت عن ثمود جعلتها « تفتك بالدين عِتِيّاً » ، وفي سورة الأعراف : « فعقروا الناقة وعَتَوا عن أمر ربهم »[٣] ، وفي سورة الذاريات : « فعَتَوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة »[٤] ، وإذا تحدثت عن الناقة جعلتها « تنتاب حول ماء مدبرا » ، وفي سورة الشعراء : « قال هذه ناقة لها شِرْبٌ ولكم شِرْبُ يوم معلوم »[٥] ، وإذا تحدثت عن صرخة السَّقْب[٦] جعلتها صَعْقَةً مدمرة لهم ، وفي سورة فصلت : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون »[٧] ، الى غير ذلك من الآيات التي أملت على الشاعر بعض معانيه[٨] . وهذا الأثر القرآني

---

(١) قارن مثلا بسورة البقرة ٢ : ٤٩ ـ ٥٠ ، وسورة الاعراف ٧ : ١٠٣ ـ ١٤١ ، وسورة الشعراء ٢٦ : ١١ ـ ٥٣ وسورة يونس ١٠ : ٧٥ ـ ٩٠ ، وغيرها من السور التي أشارت الى قصة فرعون .

(٢) كقول زهير بن أبي سلمى :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم   كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

اراد كأحمر ثمود ، وهو عاقر الناقة قُدَار بن سالِف .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ٧٦ .

(٤) سورة الذاريات ٥١ : ٤٤ .

(٥) سورة الشعراء ٢٦ : ١٥٥ .

(٦) السَّقْب : ولد الناقة .

(٧) سورة فصلت ٤١ : ١٦ .

(٨) انظر مثلا سورة القمر ٥٤ : ٢٣ ـ ٣١ ، والأعراف ٧ : ٧٢ ـ ٧٩ .

يدل على خيال قصاص ، أخذ المعاني من القرآن ، ثم أضاف إليها كثيراً من التفصيلات ، التي تذكرنا بما وضعه القصاص من أحاديث مكذوبة في العصر الإسلامي .

وهذه الأقسام جميعاً لم ترد في مصدر واحد ، ولا ربطها أحد المصنفين القدامى في قصيدة واحدة ، ومع ذلك لا يستبعد أن تكون قصيدة واحدة في الأصل ، لأن المقطع الثاني يبدأ بقوله « ولفرعون » ، وهو يشير إلى ارتباطه بحديث سابق ينبغي أن يكون من جنس موضوعه ، والمقطع الثالث يبدأ بقوله « كثمود » ، وهو يشير أيضاً إلى اتصاله بحديث سابق ينبغي أن يكون من جنس موضوعه القصصي حول مصارع الأمم التي كذبت بآيات ربها فجاءتها الرجفة فكانت من الغابرين .

وإذا صح أنها قصيدة واحدة ، فهي تمثل أسلوب السورة المكية عامة ، إذ بدأت بالحديث عن قدرة الله تعالى ، ثم ضربت الأمثال بلفت النظر إلى الطبيعة ، ليرى الانسان حكمة الله وقدرته في خلقه ، ثم انتقلت إلى عرض مشاهد من مصارع الأمم السالفة التي كذبت بالرسل ، فتحدثت عن فرعون وضياع بني إسرائيل ، وقوم ثمود وعقرهم ناقة صالح . ولا يُستبعد أن تكون هنالك مقاطع أخرى ضائعة ، تناول فيها الواضع قوم نوح ، أو قوم لوط ، أو قوم شعيب ، وهي من الأمم التي أشارت إليها السور المكية بكثرة ، وقصت أطرافاً من أخبار مصارعها لتكون عظة وعبرة للمشركين من قريش وسائر العرب . وهذا كله يرجح نحل هذه المقاطع جميعاً ، وتصنيفها في الشعر المتهم الذي يُنسب إلى أمية بن أبي الصلت .

وبعد هذه المقاطع صنّف أصحاب المجموعات الحديثة لشعر أمية ، مقطعاً رابعاً أنهوا به القصيدة لاتفاقه معها في الوزن فحسب ، مع أن أحداً من القدماء لم يشر إلى ترابطه معها ، وكذلك ليس من دليل في الأبيات يشير إلى ارتباط هذا المقطع بالأقسام السابقة .

وأبيات هذا المقطع تتحدث عن نار الاستمطار عند العرب ، وهي نار كانت معروفة عندهم ، قال الجاحظ في حديثه عن نيران العرب في الجاهليـة : « ونار أخرى وهي النار التي كانوا يستمطرون بها في الجاهلية الأولى ، فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات وركد عليهم البلاء ، واشتد الجدب ، واحتاجوا إلى الاستمطار ، اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر ، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السَّلَع والعُشَر[1] ثم صعدوا بها في جبل وعر ، واشعلوا فيهـا النيران وضجوا بالدعاء والتضرع ، فكانوا يرون أن ذلك من أسباب السُّقيا . ولذلك قال أمية : الأبيات »[2].

وقد وردت هذه النار في شعر غير أمية ، ومن ذلك قول الورل الطائي[3] :

لا دَرَّ دَرُّ رجالٍ خابَ سَعْيُهُمُ   يستمطرونَ لدَى الأزَماتِ بالعُشَرِ
أجاعلٌ أنتَ بَيْقُوراً مُسلَّعَةً   ذَريعــةً لكَ بينَ الله والمطرِ

ولهذا نجد وَلُوعَ أمية بالأساطير يمكن أن يملي عليـه صياغة أسطورة هذه النار في قصيدة ، ولا سيما أن هذه النار لم تكن تجري زمن أمية ، وإنما كانت على قول الجاحظ « في الجاهلية الأولى » ، ولهـذا كانت إلى الجانب الأسطوري أقرب منها إلى الواقع في مجتمع أمية . وما فيها من طرافة أسطورية يمكن أن يحمل مثل أمية على الاتجاه إليها في شعره ، ولهذا نثق بموضوع الأبيات ، ولا نراه أهلا للشك فيه .

وكذلك الأمر بالنسبة إلى أسلوب الأبيات ، فهي تبتعد ابتعاداً كلياً عن أسلوب سائر أقسام القصيدة ، وتشاكل أسلوب أمية في غيرها مشاكلة تبعث على

(١) السلع والعشر : ضربان من الشجر .
(٢) الحيوان ٤ : ٤٦٦ — ٤٦٧ ، وقد أشار اليها خلق كثير .
(٣) الحيوان ٤ : ٤٦٧ ، وعيار الشعر ٣٧ ، ورسالة النيروز لابن فارس : نوادر المخطوطات مج ٥ : ٩١ ، والازمنة والامكنة ٢ : ١٢٤ ، ٣٤٦ ، وشرح نهج البلاغة ١٩ : ٣٨٢ ، واللسان (بقر) . ونسبت في اللسان (سلع) والتاج (بقر) الى الودك الطائي ، ونسبت في التاج (سلع) الى ودّاك الطائي ، ونسبت في نهاية الأرب ١ : ١١٠ الى الوديك الطائي .

الاطمئنان إليها وعدم الشك فيها ، ففي الأقسام السابقة كنا نجد ضعف النسج وركاكة الأسلوب ، واعتماد الأبيات على كثير من اللغو حتى تبلغ القوافي ، أما في هذه الأبيات فلا نجد غير القوة والجزالة فكرة وأسلوباً ، ولا نجد بيتاً يتوكأ على عبارة تخرج عن إطار صورته ومعناه . ولهذا لا دليل على الشك في هذه الأبيات ، سواء من حيث المعاني والموضوع ، أم من حيث الأسلوب واللغة ، ولذلك نميل بها إلى شعر أمية المُوثّق ، ونَفْصِل بينها وبين الأقسام السابقة ، لأنه لا دليل أيضاً على إقحام هذه الأبيات مع تلك الأقسام في قصيدة واحدة .

ومثل ذلك أيضاً قصيدة صنفها شولتهيس في ثلاثة عشر بيتاً ، ثم أضاف إليها بشير يموت بيتين فرواها في خمسة عشر بيتاً ، أولها :

والحيةُ الحَتْفَةُ الرقشاءُ أخرجها من جُحْرها آمناتُ الله والقَسَمُ

وبهذا التصنيف نميز في القصيدة بين مقطعين ، الأول يضم الأبيات (١ — ٨)، وقد ورد في كتاب الحيوان ، وجاءت بعض أبياته في مصادر أخرى ، والثاني يضم الأبيات (٩ — ١٣) ، وجاء في الخزانة ، ووردت بعض أبياته في اللسان والتاج[١] .

والمقطع الأول يتحدث عن رقى الحيات ، إذ تخرج الحية من جحرها طائعة الراقي متى سمعت منه اسم الله ، مع أنها لو لم تسمع ذلك لما خرجت بل ثبتت في مكانها لقوتها ومنعتها ، ثم تَرُدُّ الأبيات إطاعةَ الحية إلى ما بلته من عقاب الله يوم ساعدت إبليس على غواية آدم ، ومثل هذا الموضوع قديم لا يُستبعد أن يصدر عن أمثال أمية ، لأن دور الحية في خطيئة آدم قصّته التوراة[٢] ، وجاء ذكره في بعض الشعر الجاهلي[٣] ، ثم إن فكرة الأبيات تخالف ما كان يقال في العصر الإسلامي

---

(١) انظر تخريج الأبيات في آخر الديوان .
(٢) أرجع الى سفر التكوين الاصحاح الثالث .
(٣) انظر أبيات عدي بن زيد في الحيوان ٤ : ١٩٧ .

عن رقى الحيات وصلتها بالعُمّار ، ولهذا قال الجاحظ : « وقد قالت الشعراء في الجاهلية والاسلام في رقى الحيات ، وكانوا يؤمنون بذلك ويصدقون به ، ومنهم من زعم أن إخراج الحية من جحرها إلى الراقي ، إنما كان للعزيمة والإقسام عليها ، ولأنها إذا فهمت ذلك أجابت ولم تتمنع ، وكان أمية لا يعرف قولهم في أن العُمّار هم الذين يجيبون بإخراج الحيات من بيوتها[١] » ، وهذا كله يدفع إلى توثيق أبيات هذا المقطع ، ومما يزيدها توثيقاً أنها تبتعد عن الأسلوب القرآني أو الطابع الاسلامي ، ولا تختلف في أسلوبها عن أسلوب أمية في غيرها من الشعر المُوَثّق .

وأما المقطع الثاني ، فيبدأ بقوله :

عَرفتُ أن لن يفوتَ الله ذو قِدَم   وأنه مِنْ أميرِ السوء يَنْتقمُ

وهو يتحدث عن قدرة الله تعالى ، ويشير إلى الطوفان وسفينة نوح عليه السلام ، ومثل هذا الموضوع ملنا إلى توثيقه في بعض القصائد السابقة ، ولكن الأمر هنا يختلف بسبب كثرة الإلحاح على معاني القرآن والجزئيات الدقيقة التي وصف بها سفينة نوح ، ولهذا كانت قدرة الله تتجلى في « تسخيره » الفُلْك للناس ، وكانت السفينة « مشحونة » بالخلائق ، وتسير ودخان الموج يرفعها ، ولعله جاء بهذه الصورة لأنه لم يستطع أن ينظم الآية : « وهي تجري بهم في موج كالجبال[٢] » ، وأخيراً تستوي السفينة على « الجودي » ، وهذه المعاني أو الصور كلها قرآنية خالصة ، وقد وردت في آيات كثيرة أوردنا بعضها في شرح الأبيات ليتضح التقابل[٣] ، ولا يمكن أن تجتمع هذه المعاني والصور مصادفة في أبيات قليلة لو لم يكن صاحبها متأثراً

---

(١) الحيوان ١ : ١٨٧ .
(٢) سورة هود ١١ : ٤٢ .
(٣) أمثال سورة هود ١١ : ٤٤ ، وابراهيم ١٤ : ٣٢ ، والشعراء ٢٦ : ١١٩ ، ويس ٣٦ : ٤١ ، والصافات ٣٧ : ١٤٠ ، والجاثية ٤٥ : ١١ .

بمعاني القرآن وصوره ، ولا سيما أن هذه المعاني والصور لم ترد في التوراة ، بل إن التوراة لم تشر إلى « الجودي » الذي ورد في القرآن[١] ، وإنما ذكرت أن السفينة استقرت بعد الطوفان على « جبال أراراط »[٢] . وهذا كله يدفع إلى الشك في أبيات هذا المقطع ، وترجيح انتحالها على أمية ، ولهذا كان لا بد من الفصل بينها وبين أبيات المقطع الأول ، لأنه ليس من دليل على ارتباط هذه الأبيات بتلك في مصادرها القديمة ، وليس من جامع بينها اللهم إلا الوزن فحسب .

وثمة بيتان آخران ورد أحدهما في المخصص ، والثاني في اللسان والتاج ، ويبدو أنهما من أشتات قصيدة هذا المقطع أو ذاك ، ولا دليل على الشك فيهما ، ولهذا ألحقناهما بقصيدة المقطع الأول .

ومثل ذلك أيضاً قصيدة صنفها شولتهيس في اثنين وثلاثين بيتاً ، ثم أضاف إليها بشير يموت بعض الأبيات فرواها في أربعين بيتاً ، أولها :

جَهَنَّمُ تلكَ لا تُبْقي بغيّاً وعَدْنٌ لا يُطالِعُها رَجيمُ

وبهذا التصنيف نميز في القصيدة بين قسمين : الأول يتحدث عن أوصاف الجنة والنار ، وقد انفرد بروايته كاملاً صاحب البدء والتاريخ ، وهو يحتل معظم أبيات القصيدة (١ — ٢٤) ، والقسم الثاني يمكن أن نميز فيه بين عدد من المقاطع ، منها ما يماثل أبيات القسم الأول ، ومنها ما يتحدث عن موضوعات عامة في التأله والحكمة وطلب الدين المعروفة عن أمية .

والقسم الأول من القصيدة لا بد من ترجيح نحله ، لما ينطوي عليه من إسفاف سواء في أسلوبه أو لغته ، ثم لما فيه من إغارة على القرآن في ألفاظه وتراكيبه

(١) سورة هود ١١ : ٤٤ .
(٢) سفر التكوين ٨ : ٤ .

وأسلوبه ومعانيه ، ويكفي أن نقف عند ما في الأبيات من إلحاح شديد على معاني القرآن وأسلوبه وصوره ، حتى نجد الدليل على أنها من صنع واضع إسلامي ، إذ يبرز الأخذ من القرآن واضحاً لاخفاء به في أي بيت من الأبيات ، فجهنم تشب وتفور ، والجنة دانية القطوف ، وفيها حور العين نواعم على الأرائك ، وأهل الجنة على سرر متقابلات ، وعليهم الديباج والسندس ، وهم « يُحَلَّون من أساور من لُجَيْن » ، واللجين أتت مكان الفضة للوزن ، كما نجد اللغو إلى جانب التأثيم ، والخمرَ التي لا تصدع شاربها ، إلى غير ذلك من الأوصاف القرآنية التي نُقلت بأمانة إلى الأبيات ، حتى كانت الأبيات نظماً لآيات القرآن التي تحدثت عن أوصاف الجنة والنار ، بل إنها لم تقف على آيات سورة واحدة فحسب ، وإنما كانت نظماً لآيات كثيرة من سور متعددة[١] .

وقد أثبتنا هذه الآيات في شرح الأبيات حتى يتضح مدى الإغارة على نصوص القرآن ، وفي ذلك أقوى دليل على أن الأبيات من صنع واضع إسلامي ، نظم فيها ماجاء في القرآن من أوصاف الجنة والنار ، ولاسيا أن هذه الأوصاف لا أثر لها التوراة والإنجيل ، لأن الجنة في سفر التكوين مثلاً لا تعدو أن تكون قطعة خصبة من الأرض تقع على نهر دجلة والفرات وسيحون وجيحون[٢] ، ولهذا فتلك الأوصاف لم تُعْرَف قَبْلَ القرآن ، وإذا وُجدت في هذه الأبيات ، فقد نُقلت إليها من القرآن نَقْلاً يحمل على ترجيح نحلها في عصر إسلامي .

---

(١) سورة الملك ٦٧ : ٥ و ٧ ــ ٨ ، وسورة الحجر ١٥ : ١٧ ــ ١٩ ، وسورة الجن ٧٢ : ١٥ ، وسورة الحاقة ٦٩ : ٢٣ ــ ٢٤ ، وسورة الانسان ٧٦ : ١٤ ــ ١٥ و ٢١ ، وسورة النازعات ٧٩ : ١٤ ، وسورة الرحمن ٥٥ : ٧٢ ، وسورة الطور ٥٢ : ٢٠ و ٢٣ ، وسورة الدخان ٤٤ : ٥١ ــ ٥٤ ، وسورة فاطر ٣٥ : ٣٣ ، وسورة الكهف ١٨ : ٣١ ، وسورة مريم ١٩ : ٦٢ ، وسورة الواقعة ٥٦ : ٢٥ و ١٦ ــ ١٩ ، وسورة النبأ ٧٨ : ٣٥ ، وسورة الصافات ٣٧ : ٤٧ ، وسورة الغاشية ٨٨ : ١٢ ــ ١٥ ، وغيرها .

(٢) سفر التكوين ٢ : ٨ ــ ١٤ .

وأما القسم الثاني من القصيدة ، فهو يتألف من أبيات ومقطعات وردت في عدد من المصادر ، ومنها ما نشك فيه ونلحقه بأبيات القسم الأول ، وذلك لتشابهه معها في الأسلوب أو المعاني ، أو لاختلاطه بها في عدد من المصادر[١] ، بحيث لا يمكن فصله عن الأبيات المتهمة . ومن أبيات هذا القسم ما لا نشك فيه لعدم وجود أدلة تبعث على الشك ، وهو سبعة أبيات رواها ابن سلام والزمخشري والسيوطي ، وهي تمتاز بطابعها الديني العام ، الذي لا يبعد أن يصدر عن أمية ، وفي أسلوبها شيء من القوة والجزالة وخاصة في الأبيات التي رواها ابن سلام ، ولهـذا فهي تختلف عن سائر أقسام القصيدة في أسلوبها ومعانيها ، وتماثل بالمقابل أسلوب أمية وموضوعات شعره ، وليس من دليل على ارتباطها بالأقسام السابقة غير وحدة الوزن ، وهذا لا يكفي لتصنيفها في قصيدة واحدة ، لأننا لم نعثر على إشارة تدل على ترابط هذه الأبيات مع تلك الأقسام ، وبذلك لا نجد مبرراً لإقحامها على تلك الأقسام المتهمة ، بل نجد الأفضل أن نفصلها ونصنفها في قصيدة مستقلة .

فالنوع الأول من الشعر الذي نميز في قصيدته بين أبيات موثقة وأبيات متهمة ، استطعنا فيه أن نفصل بين هذه الأبيات وتلك ، ولكن النوع الثاني نميز في قصيدته بين الموثق والمتهم ، ولكننا لا نستطيع فصل هـذا عن ذاك في تصنيف أبيات القصيدة ، ويمثل هذا الجانب قصيدة أولها :

اقتربَ الوَعْدُ ، والقلوبُ إلى اللّهْـ ... وِ وحُبُّ الحيـاةِ سائِقُهـا

وهي في مجملها عبارة عن نظرات لا يُستغرب صدورها عن أمية ، لأنها تتحدث عما ينتظر الانسان من موت ومفارقة لما أعجبه في الحياة الدنيا ، فهي عبارة عن تأملات في الحكمة والتأله ، وأسلوبها ومعانيها لا تختلف عن أسلوب أمية ومعانيه ،

---

(١) كالمقاصد النحوية ٢ : ٣٤٦ ، وتاريخ ابن عساكر ٣ : ١٢٤ ، والأبيات المتهمة من هذا القسم وردت في عدد من المصادر أمثال البخلاء واللسان والتاج والاتقان وغيرها . انظر تخريج القصيدة في آخر الديوان .

إلاّ في البيت الأول والأبيات الخمسة الأخيرة ، فهذه الأبيات تختلف اختلافاً واضحاً عن سائر أبيات القصيدة في لغتها وأسلوبها ، إذ نجد فيها كثيراً من الحذف والتكلف والغموض الناجم عن ضعف النظم والتركيب ، لأن الناظم على ضعفه في صياغه الشعر كان يحاول نظم عدد من المعاني القرآنية محافظاً على نمط صياغتها في القرآن أحياناً ، حتى كانت هذه الأبيات أشبه بنظم سقيم لعدد من الآيات في سور كثيرة[١] ، وقد أثبتنا هذه الآيات في شرح الأبيات ، وهذا الإلحاح على آيات القرآن ، دليل على أن الأبيات إسلامية لا يمكن أن تصدر عن جاهلي ، ويؤيد ذلك ما لاحظناه من اختلاف عن سائر أبيات القصيدة ، إذ تبدو هذه الأبيات وكأنها مقحمة اقحاماً على القصيدة ، لما فيها من ركالة وغموض وألفاظ فائضة دعت إليها ضرورة الوزن .

ولذلك كله نرجح أن تكون هذه الأبيات منحولة على أمية ، موضوعة في عصر إسلامي ، وأما سائر أقسام القصيدة فتبقى في حيز الشك ، لارتباطها بهذه الأبيات المنحولة وعدم إمكان الفصل بينها ، لأن من القدماء من رواها ضمن قصيدة واحدة كابن عساكر وابن كثير[٢] ، ومنهم من نبه على أنها قصيدة واحدة كالعيني ، إذ نقل البيت السابع ثم عقب عليه بقوله : « أقول : قائله هو أمية بن أبي الصلت الثقفي شاعر جاهلي ، وقال صاعد هو لرجل خارجي قتله الحجاج . والأول أصح وهو من قصيدة هائية وأولها هو قوله : (الأبيات ١ — ٢ و ٤ — ٨) »[٣] . ويفهم من كلام العيني أنه لم ينقل أبيات القصيدة كلها ، بل نقل عدداً من أبياتها .

وفي القصائد الأربع السابقة أمكننا أن نميز بين أبيات موثقة وأبيات متهمة

---

(١) امثال سورة المائدة ٥ : ١٠٣ ، والرعد ١٣ : ١٧ ، والزمر ٣٩ : ٩ والحشر ٥٩ : ٢٠ ، والكهف ١٨ : ٢٩ ، والمطففين ٨٣ : ٢٢ — ٢٣ ، والغاشية ٨٨ : ١٣ — ١٥ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ٣ : ١٢٥ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٢٤ .

(٣) المقاصد النحوية ٢ : ١٨٧ .

داخل القصيدة الواحدة حسب تصنيفها على أيدي القدماء أو المحدثين ، ولكننا نجد نوعاً آخر من الشعر المنسوب إلى أمية ، نرجح فيه أن يكون منحولاً بكل ما فيه من قصائد ، ومن ذلك قصيدة أولها :

سَمِعَ اللهُ لابن آدمَ نُوحٍ ... ربُّنا ذو الجَلالِ والإفْضالِ

وهذه القصيدة وردت معظم أبياتها في نهاية الأرب والحيوان وتاريخ الطبري وقصص الأنبياء والبدء والتاريخ والخزانة ، وتناثرت أبيات منها في عدد من المصادر أمثال اللسان والتاج والأساس والمُعرَّب والاشتقاق وغيرها[١] . والقصيدة تتحدث عن قصة نوح وتذكر الحمامة والطَّوْق ، ثم تتحدث عن إبراهيم ونذره ذبح ولده إسماعيل ، وتصف محاولة إبراهيم أن يفي بنذره ، وتعتمد في هذا الوصف على الحوار بين إبراهيم وإسماعيل ، وأخيراً تشير إلى داود وهود وموسى وفرعون وسليمان ضمن أبيات متفرقة . وأبيات القصيدة لا تجتمع في مصدر واحد ، بل تناثرت أبياتها في مصادر مختلفة وإذا قلنا « قصيدة » فذلك بعد جمع أبياتها وضمها إلى بعض ضمن قصيدة يبدو أنها على هذا النسق في الأصل .

وموضع الشك في القصيدة لا يختلف عن مواضع الشك في القصائد السابقة ، فالأبيات التي تصف سفينة نوح ودور الحمامة في البحث عن اليابسة ، لا تشاكل شعر أمية المُوثَّق ، الذي وردت فيه أوصاف الطوفان والحمامة ، لأن هذه الأبيات تمتاز بالركالة في الأسلوب ، حتى لَكأنَّ صاحبها يتوكأ على الألفاظ تَوَكُّؤاً حتى يبلغَ من البيتِ قافيتَه ، فإذا ذكر الله في صدر أحد الأبيات ، لم يجد من القول في عجزه إلا « ربُّنا ذو الجلال والإفضال » ، ولولا القافية لقال : ربنا « ذو الجلال والاكرام » كما وردت في سورة الرحمن[٢] ، وإذا أراد أن يذكر الحمامة ، عبر

(١) أنظر تخريج القصيدة في آخر الديوان .
(٢) في سورة الرحمن (الآية ٢٧) : « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » . و (الآية ٧٨) : « تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام » .

عنها بألفاظ كثيرة حتى يتم له الوزن فقال : « رسولاً من خفاف الحمام كالتمثال » ، وإذا قال إنها أتت نوحاً بقِطـْف ، لم يجد لضرورة القافية إلاَّ أن يصفه بأنـــه « عِثـْكال » ، مـع أن الحمامـة ليس في وسعها أن تحمل العثكال أو شيئاً يماثل العثكال[1] ، ثم يتحدث في أحد الأبيات عما كان في سفينـة نوح من خلائق ، فلا يجد خلاصاً من مستلزمات الوزن والقافية سوى أن يختم البيت بقوله : « مَعْ قـَوِيّ السباع والأفيال » ، وبالإضافة إلى هذه الركالة ثمة كثير من الغموض الذي يُحوج إلى تـكلف واسع في التقدير أمثال قوله « حابساً جوفـه عليه رسولاً » ، وقوله « حين أوفى بذي الحمامة » ، وهذا لا يتلاءم مع عصر أمية ، ولا نجـده في شعره المُوثـّق ، مما يحمل على الشك في هذه الأبيات وترجيح نحلها على أمية .

وأما سائر أبيات القصيدة التي تتحدث عن إبراهيم ونذره ، فموضع الشك فيها لا يقف عند الركالة والاسفاف في صياغة الأبيات فقط ، وإنما يتعداه إلى ما يتضح فيها من الإلحاح على أسلوب القرآن ومعانيه . وذلك يتضح من طريقة الحوار بين إبراهيم وولده إسماعيل ، وهي على نسق القرآن الكريم نفسه ، إلاَّ أن آثار القرآن قد امتدت إلى اللغة والتراكيب والمعاني وبعض خصائص الأسلوب ، فظهرت في الأبيات آثار عدد من الآيات في سور متعددة[2] ، وقد أثبتنـا بعض هذه الآيات في شرح الأبيات حتى يتضح موضع التشابه . وهذا كله يبعث على الشك في القصيدة كلها ، ويرجح أن تكون منحولة بكل ما فيها من أبيات .

ويشبه ذلك قصيدة أخرى أولها :

إلهُ العالـَمينَ وكلّ أرض ورب الراسيات من الجبال

(١) العثكال : العذق بشماريخه . وفي التوراة أن الحمامة جاءت بورقـة زيتون خضراء ، وهذا يتناسب مع ما تستطيع الحمامة عليه ، ولا يفسد المعنى لو أن الناظم وقف عنـده .

(٢) سورة النجم ٥٣ : ٣٧ ، والبقرة ٢ : ١٢٤ ، والصافات ٣٧ : ١٠١ — ١٠٧ ، والنحل ١٦ : ٥٢ ، وغيرها .

وقد رواها الأب لويس في شعراء النصرانية[١]، ثم نقلها عنه شولتهيس ، ويبدو أن بشير يموت قد نقلها عن أحدهما ، ولم أعثر عليها في كل ما رجعت إليه من مصادر ، وهذا أول باعث على الشك ، لأننا لا نعرف المصدر الذي نقل عنه الأب شيخو ، إذ قد يكون هنالك شيء من التحريف أو الاضطراب الذي رأينا صوراً منه عند القدامى والمحدثين ، ولا سيما أننا رأينا الأب شيخو نفسه قد وهم وصَحَّف في بعض الأبيات ، فأوقع في الوهم والاضطراب من جاء بعده .

ومن المرجح أن تكون القصيدة منحولة من أساسها ، لأن أبياتها تمتاز بسطحية المعاني وكثرة الحشو ، وتسودها روح إسلامية واضحة ، وتظهر فيها ملامح التوليد ، ممـــا لا يمكن أن يصدر عن شاعر جاهلي أبـــداً . وأهم ما نقف عنده هو ذلك الإلحاح الشديد على تراكيب القرآن وصوره ، فهي تستمد من القرآن كلاً من المعنى واللفظ والصورة والأسلوب ، حتى كانت أشبه بنظم متعمد لآيات كثيرة من سور القرآن[٢] ، وقد أثبتنا هذه الآيات ليظهر مدى ما أخذته الأبيات من المعاني وأساليب الصياغة ، فهي تأخذ العبارة كاملة من القرآن ، إذا أسعفهـا الوزن ، أو تأخذ جزءاً منها إذا لم يسعفها الوزن ، وحينئذ تلفق عدداً من الألفاظ أو المعاني القرآنية في شطر واحد ، وأوضح ما يظهر ذلك في وصفها لأصحاب الجنة والنار ، إذ لا تخرج أبداً عن السير في ظلال القرآن ومن المعاني ما قطعنا من قبل بأنه إسلامي محض لم يعرفـــه الجاهليون قبل الإسلام ، وهو فكرة رَمْي الشياطين بالكواكب ، وقد وردت هذه الفكرة في وصف الشهب بأن « مراميها أشد من النصال » ، ومثل هذا الوصف لا يمكن أن يصدر عن رجل جاهلي ، بل يصدر عن رجل

(١) شعراء النصرانية ٢٢٦ ــ ٢٢٧ .

(٢) سورة النبأ ٧٨ : ١٢ ، وسورة فصلت ٤١ : ٩ ــ ١٢ ، وسورة نــوح ٧١ : ١٤ ــ ١٥ ، وسورة الحجر ١٥ : ١٦ ، وسورة الملك ٦٧ : ٥ ، وسورة الصافات ٣٧ : ٦ ــ ١٠ ، وسورة القمر ٥٤ : ١٢ ، وسورة يس ٣٦ : ٣٤ و ٥٥ ــ ٥٧ ، وسورة الرحمن ٥٥ : ٢٦ــ٢٧ ، وسورة مريم ٩ : ٨٦ ، وسورة الحج ٢٢ : ١٩ــ٢١ ، وسورة ابراهيـــم ١٤ : ٤٩ ، وسورة الغاشيـــة ٨٨ : ٢ ــ ٤ ، وسورة النســـاء ٤ : ٥٦ ، وغيرها .

إسلامي تأثر بالقرآن في هذا الموضوع . وهذا كله يرجح أن تكون القصيدة منحولة على أمية في عصر إسلامي .

وأورد صاحب البدء والتاريخ قصيدة نسبها إلى أمية ، حول قصة مريم ، أولها :

وفي دينكم من ربّ مريم آية   منبئة والعبدِ عيسى بن مريم

وفي هذه القصيدة نجد الأسلوب المتردد بين الضعف والاعتدال ، إلا أن الركاكة هي الطابع الغالب على القصيدة ، لأن صاحبها كان في أكثر الأبيات عبداً للوزن فحسب ، ويُلاحظ في القصيدة أن صاحبها يبدأها بقوله : « وفي دينكم » ، وهذا يبعث على التساؤل عمن أراد بذلك الخطاب « دينكم » ، أملة الإسلام أراد أم النصرانية أو اليهودية ؟ ! إن أمية لم يسلم أبداً ، ولم يكن نصرانياً ولا يهودياً ، ولا يسعه أن يخاطب جماعة من هؤلاء ، لأنه كان متحنفاً ، والحنفاء ليس لهم شريعة ثابتة محددة المعالم ، وبذلك لايستطيع أن يجعلهم أصحاب دين يساوي تلك الأديان ، ويخاطبهم بهذا الخطاب ، ولهذا نجد من المحال على أمية أن ينطق بمثل ذلك ، في حين نجد جو الأبيات ومعانيها ، يشير بصراحة إلى مجتمع المسلمين ، مما يدل على أن الخطاب موجه إليهم ، وأن صانعه رجل إسلامي ، لا رجل جاهلي كأمية .

وفي هذا البيت ما يدل دلالة قاطعة على أنه بيت إسلامي ، وذلك في قوله : « والعبد عيسى بن مريم » ، فهو يمثل مذهب القرآن والمسلمين في أمر السيد المسيح عليه السلام ، إذ أن شخصية أي نبي في القرآن لاتخرج عن كونه « عبداً » لله تعالى ، ولذلك كان المسيح في القرآن « عبداً » لربه فحسب ، دون أن تكون له صفة من صفات الألوهية ، ففي سورة مريم : « قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً »[1] ،

(١) سورة مريم ١٩ : ٣٠ .

وكان القرآن يجادل أهل الكتاب ويرد على مذهبهم في تأليه السيد المسيح ورفعه عن منزلة العبودية لله[١] ، ومن ذلك ما جادلهم به في سورة النساء ، ثم قال : « لن يَستنكف المسيحُ أن يكون عبداً لله »[٢] ، بمعنى لا ينبغي لكم أن تستنكفوا أنتم له من ذلك ، فلو كان موضع استنكاف لكان هو أولى بأن يستنكف ، ولم يفعل كما ورد في آية سورة مريم السابقة وغيرها . وهذا الجدل لم يكن قبل الاسلام ، مما يدل على أن واضع البيت قد استمد معانيه من الفكر الإسلامي نفسه .

ولا تقف القصيدة عند هذه المعاني القرآنية فحسب ، وإنما تأخذ بإلحاح من معاني القرآن وألفاظه ، وهذا أمر لا يُقدم عليه رجل ينظر إلى القرآن من بعيد ، بل يقدم عليه من آمن بالقرآن فوعى كل ما فيه من المعاني والأساليب ، حتى كانت الأبيات أشبه بنظم لكثير من الآيات التي قصّت خبر مريم ابنة عمران ، وأحياناً يبرز في الأبيات نقل حرفي لبعض التراكيب القرآنية ، يدل على ذلك مقارنتها بسورة مريم[٣] ، وسورة آل عمران[٤] ، ومثل هذه المقارنة تكفي لبيان هذا النقل المشوه لآيات الكتاب المبين ، ثم المحافظة على ألفاظه وتراكيبه أحياناً . ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل نجد في الأبيات نزعة إلى تفسير بعض الآيات القرآنية ، ومن ذلك قول صاحبها :

فسبَّحَ ثم اغترَّها فالتقتْ به غلاماً سَوِيَّ الخَلْقِ ليس بتَوأمِ
بنَفْخته في الصَّدْرِ من جَيْبِ دِرْعِها وما يَصْرِمِ الرَّحمنُ مِلأمْرِ يُصْرَمِ

فهذا ليس نقلا عن القرآن ، وإنما هو تفسير لمعنى قوله تعالى : « ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها ، فنفخنا فيه من روحنا ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه

---

(١) انظر سورة النساء ٤ : ١٧١ ، ومريم ١٩ : ٣٥ ، ٨٩ — ٩٤ ، وغيرها .
(٢) سورة النساء ٤ : ١٧٢ . ولن يستنكف : لن يتكبر ويأنف ويمتنع .
(٣) سورة مريم ١٩ : ١٥ — ٢٠ .
(٤) سورة آل عمران ٣ : ٣٦ — ٤٧ .

وكانت من القانتين »[1] . فناظم الأبيات لا يكتفي بالنقل عن القرآن ، وإنما يحاول تفسير بعض آياته ، ولو فرضنا جدلاً أن أمية تأثر بالقرآن ، فهذا التأثر لا يمكن أن يمتد إلى التفسير والتأويل ، ولهذا لا يمكن أن تكون هـذه الأبيات لشاعر جاهلي كأمية ، ولا سيما أنهـا لا تقف عند آيات معينة من سورة آل عمران ، بـــل نجد فيهـا آثار كثير من الآيات الأخرى في سور متعـــددة أمثال سورة التحريم ، وسورة المؤمنين[2] ، وسورة المائدة[3] ، وغيرها من السور التي أشارت إلى قصة مريم .

ولئن وجدنا في القصيدة أمثال قوله « يأتيك بابنم » ، لا تخدعنا الألفاظ بأنها من آثار القِدَم ، بل خبرها عند حماد وصحبه ، لأنهم إن لم يقولوها بهذا الشكل ، فكيف يمكن للناس أن يعجبوا بها ، ويصدقوا أن القصيدة من عصر جاهلي ؟ فالناظم خضع للوزن في قوله « ابنم » ، ثم رضي بذلك لما فيه من نفحة توحي بالقدم ، وهذا كله من بواعث الشك في القصيدة ، فهي منحولة على الأرجح موضوعة على أمية في عصر إسلامي .

وأورد صاحب البدء والتاريخ قصيدة أخرى نسبها إلى أمية ، وهي في قصة لوط عليه السلام ، أولها :

ثم لوطاً أخا سَدُومَ أتاها إذْ أتاها بِرُشْدِها وهُداها

ودراسة هذه القصيدة تبعث على الشك فيها ، وتجعل من السهل أن نرجح وضعها بتمامها وانتحالها على أمية ، وذلك لما فيها من إلحاح على القرآن في ألفاظها وتراكيبها

---

(١) سورة التحريم ٦٦ : ١٢ .
(٢) سورة المؤمنين ٢٣ : ٥١ .
(٣) سورة المائــدة ٥ : ١٩ .

ومعانيها ، ثم لما في أسلوبها وعرض أفكارها من إسفاف وركاكة ومخالفة لأسلوب أمية في شعره المُوثّق .

فالألفاظ والتراكيب قرآنية ما في ذلك شك ، أمثال « راودوه عن ضيفه » ، و « أجمع القوم أمرهم » ، و « أرسل الله عذاباً »و«رماها بحاصب » ، و « فارتنوره » ، و « قيل للعبد » ، و « أخو سدوم » ، و « قيل فاهبط » ، وهذه العبارات وما إليها في القصيدة ، لا تدل على تأثر سطحي بالقرآن ، لأنها لا ترد في مكان معين منه ، وإنما هي أسلوبه الذي لا يفارقه مطلقاً ، وقد وردت في آيات كثيرة أثبتنا بعضها في شرح الأبيات[1] ، ولو زعمنا أن أمية قرأ القرآن ، فإنه قد يتأثر بأفكاره أو موضوعاته ، ولكن إتقان هذه الدقائق ، لا يمكن أن يتم إلا لباحث متعمق في أسلوب القرآن ولغته ، مما يدل على أن هذه الأبيات لناظم إسلامي ، جرى على لسانه أمثال تلك العبارات ، بعد اطلاع واسع على القرآن ، ودراسة متعمقة له ، حتى رسخت تراكيبه ولغته في مخيلته وذاكرته ، فجاءت أبياته وكأنها نظم لما جاء في القرآن من قصة لوط ، ثم تأثر هذا النظم بعدد من الجزئيات الأسلوبية الخاصة بالقرآن الكريم .

ولكن هذه الأبيات لم تتأثر بالقرآن إلا في المعاني وبعض الجزئيات الأسلوبية فحسب ، أما في صياغتها الشعرية ، فقد جاء الأسلوب سقيماً مسفاً ، يعلن من ذاته أنه من صنعة واضع أو قَصّاص ، ذلك لأننا لانجد شعراً في هذه الأبيات إذا كان الشعر خيالاً وعاطفة ، قبل أن يكون ألفاظاً وأوزاناً فحسب . وهذا كلُّه يرجح أن تكون القصيدة منحولة على أمية في عصر إسلامي .

---

(١) سورة هود ١١ : ٤٠ ـ ٤٨ ، ٧٧ ـ ٨٤ ، وسورة القمر ٥٤ : ٣٧ ، وسورة المؤمنون ٢٣ : ٢٧ ، وقارن بسورة الأعراف ٧ : ٧٩ـ٨٣ ، والشعراء ٢٦ : ١٦٠ـ١٧٤ ، والنمل ٢٧ : ٥٤ ـ ٥٨ ، وغيرها .

وثمة قصيدة أخرى نُسبت إلى أمية في عدد من المصادر أقدمها سيرة ابن هشام [١] ، وأولها :

إلى اللهِ أُهدي مِدْحَتي وثَنائيا وقَوْلاً رَصيناً لايَني الدَّهْرَ باقيا

وهي تتحدث عن التوحيد والتأله والتحذير من الموت وما يليه من بعث وحساب ، ثم تقص خبر موسى وتكليم الله له ، وأمره إياه بالتوجه إلى فرعون ، وهو حديث لاشك في طابعه الإسلامي الخالص ، ومن ثم نجد أبياتاً تتحدث عن يونس وخبره مع الحوت .

وفي القصيدة منافذ متعددة للشك وترجيح نحلها على يد شاعر إسلامي ، ففي الأبيات الأولى نجد قوله : « وأشهدُ أن اللهَ لا شيءَ فوقَه » ، وكلمة « أشهد » لعلها لم تستعمل بهذا المعنى قبل الشهادة في الإسلام ، ولعل البيت مجرد نظم لهذه الشهادة ، ثم يأتي البيت التالي « ألا أيها الانسان .. » وفيه معنى جاهلي وإسلامي متداول لانقف عنده وإن كان يتشابه مع بعض الآيات ، ولكن البيت الذي يليه يكاد يقرع كالناقوس مشيراً إلى وسوسة الشك والريبة ، وذلك في قوله : « فإن سبيل الرشد أصبح باديا » ، وهذا يبعث على التساؤل عن هذا السبيل ، ومتى أصبح بادياً للعيان ، وجواب هذا التساؤل ينبغي أن يكون ذلك بعد الإسلام ، لأنه لامعنى لاستعمال الفعل « أصبح » في دين قديم كالنصرانية أو اليهودية ، لأن استعمال هذا الفعل يدل على قرب عهد الشاعر بهذا السبيل الجديد، ومعنى ذلك أنه قول إسلامي ، لايمكن أن يصدر عن أمية بن أبي الصلت الذي يمر بصاحبه عمرو بن زيد بن نفيل ، وكان عمرو قد طلب الدين في الجاهلية ، فيقول

---

(١) انظر تخريج القصيدة في آخر الديوان .

له أمية : « ياباغي الخير هل وجدت ؟ »[١] ، ومن دلائل ذلك أيضاً أننا نجد بيتاً مشابهاً لأبي قيس بن الأسلت ، وهو شاعر إسلامي ، والبيت من قصيدة له يذكر فيها ما أكرمهم به الله من الإسلام ، وما خصهم به من رسوله عليه السلام[٢] :

بذلنا له الأموالَ من جُلّ مالنا ... وأنفسنا عند الوغَى والتآسيا
نُعادي الذي عادَى من الناس كلّهم ... جميعاً ولو كان الحبيبَ المواسيا
ونعلم أن الله لاشيء غيره ... وأن كتاب الله أصبح هاديا

وقوله « أصبح هادياً » يتناسب مع « كتاب الله » وهو القرآن ، الذي كان قريب العهد من صاحب الأبيات الإسلامي ، وهو جديد بالنسبة إليه ، ولذلك جاز أن يستعمل معه الفعل « أصبح » ، أما في البيت المنسوب إلى أمية، فسبيل الرشد لايمكن أن يكون المقصود منه دينا قديماً كالنصرانية أو اليهودية ، فذلك ينقضه استعمال الفعل « أصبح بادياً » ، ولهذا ينبغي أن يكون سبيل الرشد هذا هو الإسلام بعينه ، إذ أنه جديد بالنسبة إلى العرب آنئذ ، ولم يمض على ظهوره إلاّ عهد يسير يسمح باستعمال الفعل « أصبح » ، فهي عبارة قد انزلقت عن لسان الواضع بدافع من عاطفته الدينية دون أن يتنبه على مدلولها الذي بيّنّاه.

وبعد ذلك تأتي الأبيات التي تتحدث عن موسى عليه السلام ، وهي ذات طابع قرآني خالص ، لأنها أبعد ماتكون عن التوراة فيما تناولته من المعاني ، اذ أن التوراة لم تتعرض لما أورده القرآن من حوار وجدل كلامي بين موسى وفرعون ، وإنما أوردت أموراً أخرى جعلتها من وسائل موسى في إقناع فرعون على خروج بني إسرائيل من مصر ، وهي عدد من المعجزات ، كالتقاف عصاموسى ماصنعه سحرة فرعون،

---

(١) طبقات ابن سلام ٢٢٠ .
(٢) البداية والنهاية ٣ : ٢٠٤ .

وتحويل مياه مصر إلى دم ، وإصعاد الضفادع إلى أرض مصر ، ونشر البعوض ، وإرسال الذباب ، وغير ذلك مما فصلته التوراه في سفر الخروج[١].

وهذا كله لا تفصيل لأمره في القرآن ، إلاّ ما ورد من تفصيل موجز لعصا موسى ، وما ورد من إشارات إلى بعض معجزات موسى في سورة الأعراف[٢] . وذلك لأن القرآن لا يذكر من أمثال هذه القصص إلا موضع العبرة والموعظة فحسب ، ولهذا برز في القرآن عنصر الاقناع الكلامي عن طريق الحوار والجدل ، وقد أشار القرآن إلى هذه الوسيلة في الاقناع فقال تعالى مخاطباً موسى عليه السلام : « إذهبا إلى فرعون إنه طغى ، فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى »[٣] ، وظهر ذلك واضحاً في آيات سورة طه التي تتحدث عن التقاء موسى وهارون بفرعون : « قال : فمن ربُّكما يا موسى ؟ قال : ربُّنا الذي أعطى كلّ شيءٍ خَلْقَه ثم هدى . قال : فما بالُ القرون الأُولى ؟ قال عِلْمُها عند ربِّي في كتاب لا يَضِلُّ ربي ولا ينسى ، الذي جعل لكم الأرضَ مَهْداً ، وسَلَك لكم فيها سُبُلًا ، وأنزل من السماء ماء ، فأَخْرَجْنا به أزواجاً من نبات شتّى ، كُلُوا وارْعَوْا أنْعامَكم ، إنّ في ذلك لآياتٍ لأُولي النُّهَى ، منها خلقناكم ، وفيها نُعيدُكم ، ومنها نُخْرِجكم تارة أخرى ، ولقد أريناه آياتِنا كلَّها فكذَّب وتولّى »[٤] .

ومعاني الأبيات تكاد تكون نظماً لهذه الآيات من سورة طه ، مع شذرات أسلوبية من سور أخرى[٥] ، إلا أن الناظم صاغها بأسلوب يعتمد على الحوار اعتماداً

---

(١) سفر الخروج الاصحاح ٧ : ١٢ .
(٢) سورة الأعراف ٧ : ١٣٢ .
(٣) سورة طه ٢٠ : ٤٣ ـ ٤٤ .
(٤) سورة طه ٢٠ : ٤٩ ـ ٥٦ .
(٥) أمثال الانعام ٦ : ١٠٠ ـ ١٠٢ ، والرعد ١٣ : ٢ ، والنحل ١٦ : ٦٠ ، والإسراء ١٧ : ٢٢ ، ٣٩ ، والروم ٣٠ : ٢٧ ، ولقمان ٣١ : ١٠ ، والصافات ٣٧ : ١٤٢ ـ ١٤٦ ، والمؤمن ٤٠ : ١٦ ، والقلم ٦٨ : ٤٨ ـ ٥٠ ، والحاقة ٦٩ : ١٨ ، والنازعات ٧٩ : ١٧ ، والأعلى ٨٧ : ١ ، والليل ٩٢ : ٢٠ .

كلياً ، وهو بذلك متأثر بما جاء في القرآن من قصة موسى مع فرعون سواء في سورة طه أو في غيرها من السور[١] ، وكلها تجعل من الحوار عنصراً فنياً هاماً في بنية الأسلوب .

وكذلك نجد الأبيات الأولى من القصيدة لا تخرج عن معاني الآيات الأولى من سورة طه : « له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، وإنْ تَجْهَر بالقول فإنه يعلم السِّرَّ وأخفَى ، اللهُ لا إله إلاّ هو له الأسماءُ الحسنى »[٢] .

وبالإضافة إلى ذلك فالأبيات ترسم العلاقة بين موسى وهارون على أساس قرآني ، فتجعل هارون مُعيناً لموسى فحسب ، وفي سورة القصص : « وأخي هارونُ هو أفصحُ مني لساناً ، فأَرْسِلْه معي رِدءاً يُصَدِّقُني ، إني أخافُ أنْ يُكذِّبون »[٣] . وفي سورة طه : « واجْعَلْ وزيراً من أهلي ، هارونَ أخي ، أُشْدُدْ به أزري ، وأشرِكْه في أمري »[٤] . فالعلاقة بين موسى وهارون في القرآن لا تتجاوز العون والمساعدة ، أما في التوراة فالصلة التي بينهما تشبه هذه الصلة التي وردت في القرآن ، ثم لا تلبث أن تتحول إلى تأليه موسى وجعل هارون نبياً له ، ففي سفر الخروج : « فقال الربُّ لموسى : انظر أنا جعلتك إلهـا لفرعون ، وهارون أخوك يكون نبيك »[٥] ، وجاءت آية أخرى بهذا المعنى تخاطب موسى وتحدثه عن هارون : « وهو يكلم الشعب عنك ، وهو يكون لك فماً ، وأن تكون له إلهاً »[٦] . فالصلة بين موسى وهارون في القرآن تختلف عنها في التوراة ، وأبيات القصيدة تجعل الصلة بينهما على أساس ما ورد حولها في القرآن ، لا ماورد في التوراة .

---

(١) امثال الأعراف ٧ : ١٠٣ ـ ١٥٥ ، والشعراء ٢٦ : ٩ ـ ٣٤ ، والقصص ٢٨ : ٣ ـ ٧٦ .
(٢) سورة طـه ٢٠ : ٦ ـ ٨ .
(٣) سورة القصص ٢٨ : ٣٤ .
(٤) سورة طـه ٢٠ : ٢٩ ـ ٣٢ .
(٥) سفر الخروج ٧ : ١ .
(٦) سفر الخروج ٤ : ١٦ .

والقرآن يجعل موسى هو الذي يطلب من الله أن يجعل هارون معيناً له ، وأمـا التوراة فتجعـل الرب هو الذي يعرض على موسى أمر هارون ، فالتوراة تذكر أن موسى رفض الذهاب إلى فرعون لأنه ليس بصاحب كلام ، فقال للرب : « استمع أيها السيد ، أرسل بيد من ترسل . فحمي غضب الرب على موسى ، وقال : أليس هارون اللاوي أخاك ؟ أنا أعلم أنه هو يتكلم ، وأيضاً ها هو خارج لاستقبالك، فحينما يراك يفرح بقلبه ، فتكلمه وتضع الكلمات في فمه وأعلمكما ماذا تصنعان »[١] . والقصيدة تجعل موسى هو الذي يطلب من الله أن يجعل هارون معينـاً له ، وهذا يعني أنها اقتبست ذلك عن القرآن لا عن التوراة .

وفي القصيدة إشارة إلى أن الله بعث إلى موسى « رسولاً منادياً » ، وقـد تكون هذه العبارة إنما جاءت بدافع الوزن والقافية فحسب ، وقد تكون أثراً من آثار الإسرائيليات التي اشتهر بها بعض المحدّثين ، لأن في التوراة إشارة عابرة ربمـا كانت تماثل تلك العبارة ، ففي الاصحاح الثالث من سفر الخروج : « وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان ، فساق الغنم إلى وراء البرية ، وجاء إلى جبل الله حوريب ، وظهر إليه ملاك الرب بلهب نار من وسط عُلّيْقـة ، فنظر وإذا العُلّيْقة تتوقد بالنار والعُلّيْقة لم تكن تحترق . فقال موسى : أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم ، لماذا تحترق العُلّيْقة . فلما رأى الربُّ أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة ، وقال : موسى موسى .. »[٢] ، فهـذه إشارة إلى « ملاك الرب » فحسب ، ولكن المنادي في التوراة هو الله نفسه كالذي في القرآن وأغلب الظن أن عبارة القصيدة « رسولاً منادياً » ليست أثراً لعبارة التوراة ، بل جاءت تكملة للوزن ، إذ أنها تخالف القرآن والتوراة معاً حين تجعل الرسول هو المنادي ، وذلك لأن الوزن والقافية قد استدعيا هذه العبارة بكاملها ، ولا سيما

(١) سفر الخروج ٤ : ١٣ ــ ١٥ .
(٢) سفر الخروج ٣ : ١ ــ ٤ .

أن القصيدة لا تخلو من الركاكة أحياناً كقوله: « وأنت إلهي ربنا ورجائيا » بهذه الضمائر المختلفة، وقوله: « أدين إلها غيرك الله ثانيا »، و « إلى الله فرعون الذي كان طاغيا » مع أن المعنى والسياق كان يتطلب أن يقول « فادعُوَا فرعونَ الطاغي »، ولكن الوزن كان أقوى من المعنى في السيطرة على ناظم الأبيات.

ومن كل ما تقدم يتضح لنا أن الأبيات قرآنية الأسلوب والمعاني، ولا يمكن أن تصدر عن شاعر جاهلي، وهي أقرب ما تكون إلى سورة طه في معظم أبياتها، ولكنها لم تقتصر في تأثرها على هذه السورة فحسب، ولهذا لا بد من ترجيح نحلها في عصر إسلامي، لا يتجاوز القرن الهجري الأول.

ونسب الطبري وأبو حيان إلى أمية هذه الأبيات [1]:

لم تُخلق السماءُ والنجومُ — والشمسُ مَعْها قمرٌ يعومُ

قدّره المهيمنُ القيُّومُ — والحَشْرُ والجنةُ والجحيمُ

إلاّ لأمر شأنُه عظيمُ

وهي إسلامية في ألفاظها ومعانيها، لأنها تتأثر بمعاني القرآن وتراكيبه، بل تكاد تكون نظماً لعدد من آياته [2]، وقد أثبتنا بعض هذه الآيات في شرح الأبيات لبيان التقابل، ولهذا نرجح أن تكون الأبيات منحولة على أمية.

وثمة أبيات نُسبت إلى أمية في كتاب قصص الأنبياء والإصابة وجمهرة أشعار العرب، وهي في التأله عامة، وأولها:

عند ذي العَرْش يُعْرضونَ عليه — يعلم الجَهْرَ والكلامَ الخَفيّا

---

(١) تفسير الطبري ٥ : ٣٨٨، وتفسير البحر المحيط ٢ : ٢٧٧.

(٢) انظر سورة البقرة ٢ : ٢٢٥، وآل عمران ٣ : ٢، ويونس ١٠ : ٥، وطه ٢٠ : ١١١، والأنبياء ٢١ : ١٦، ٣٣، ويس ٣٦ : ٤٠، وص ٣٨ : ٢٧، والدخان ٤٤ : ٣٩، والحشر ٥٩ : ٢٣.

ومن المرجح أن تكون منحولة على أمية لما فيها من طابع قرآني لا يفارق بيتاً من أبياتها ، حتى لكأنها نظم لعدد من آيات سورة مريم ، فتارة تنقل المعاني فنجد في الأبيات : « يوم نأتيه مثلما قال فردا » ، وفي سورة مريم : « وكلُّهم آتيه يومَ القيامة فَرداً »[١] ، وفي الأبيات : « سوف ألقى من العذاب فَريـّا » ، وفي سورة مريم : « قالوا : يا مريمُ لقد جئت شيئاً فَرِيّا »[٢] ، وفي الأبيات : « وكن ربٌّ بي رؤوفا حَفِيّا » ، وفي سورة مريم : « إنه كان بي حَفِيّا »[٣] . وتارة تنقل جزءاً من الآية بلفظه إذا أسعفها الوزن ، فنجد في الأبيات : « إنه كان وعدُه مَأتيّا » ، وفي سورة مريم : « جنات عَدْنٍ التي وَعَدَ الرحمنُ عبادَه بالغيب ، إنَّه كان وَعْدُهُ مَأتِيّا »[٤] . وأحياناً تنقل المعنى بلفظ القرآن ثم لا يسعفها الوزن في استيعاب ألفاظ الآية كلها ، فنجد شيئاً من التصرف بألفاظ الآية حتى يستقيم الوزن ، ففي سورة مريم : « وإنْ منكُمْ إلاّ واردُها ، كان على ربِّكَ حَتْماً مَقْضيّا »[٥] ، ومعنى الآية أن ليس من أحد إلا سيدخل جهنم ، حتَمَ اللهُ ذلك وقضى به لا يتركه . وهذا المعنى نظمه صاحب الأبيات بما أمكنه أن يستعمل من ألفاظ الآية ، فجاء بنظم سقيم لها في قوله :

ربٌّ كُلاًّ حَتَّمتَه واردَ النا ... رِ كتاباً حَتَّمتَه مَقْضِيّا

ولكن ناظم الأبيات لا يقف عند سورة مريم فحسب ، رغم كل ما اقتبسه منها ، وإنما يتأثر بأسلوب القرآن ولغته وأوصافه عامة ، فإذا ذَكر الله قال « عند ذي العرش » وهو تعبير قرآني ورد في عدد من الآيات[٦] ، وإذا ذكر الحساب

---

(١) سورة مريم ١٩ : ٩٦ .
(٢) سورة مريم ١٩ : ٢٧ .
(٣) سورة مريم ١٩ : ٤٧ .
(٤) سورة مريم ١٩ : ٦١ .
(٥) سورة مريم ١٩ : ٧١ .
(٦) الإسراء ١٧ : ٤٢ ، وغافر ٤٠ : ١٥ ، والتكوير ٨١ : ٢٠ ، والبروج ٨٥ : ١٥ .

قال « يعرّضون عليه » وهو تعبير قرآني أيضاً ورد في بعض الآيات[١] ، وإذا أراد أن يتحدث عن قدرة الله وعلمه تعالى بخفايا الناس قـرَن الجَهْرَ بالكلام الخفي على أسلوب القرآن في مواضع متعددة ، كقوله تعالى : « إنه يعلم الجَهْرَ من القَول ويعلم ما تكتمون »[٢] ، وقوله : « إلا ماشاء الله إنه يعلم الجهْر وما يَخْفَى »[٣] ، وقوله تعالى : « وإن تَـجْهَرْ بالقول فإنه يعلم السرّ وما أَخْفَى »[٤] .

فالأبيات إذن مجرد نظم لبعض آيات سورة مريم ، مع اقتباس من سور القرآن الأخرى ، وهذا ما يدفع بالقصيدة إلى ترجيح نحلها على أمية في عصر إسلامي .

وهنالك قصيدة مشهورة في مصادر شعر أميه على اختلافها ، وهي الأبيات التي نُسبت إلى أمية بن أبي الصلت في مديح سيف بن ذي يزن بعد انتصاره على الحبشة ، وأولها :

لِيَطلُبِ الثأرَ أمثالُ ابنِ ذي يَزَنٍ رَيَّمَ في البحر للأعداءِ أحوالا

وهي تمدح سيف بن ذي يزن ، ثم تذكر استعانته بقيصر الروم وامتناع قيصر عن مساعدته ، ومن ثَمَّ تذكر انتقاله إلى كسرى ملك فارس ، وتلبية كسرى طلب ابن ذي يزن ، إذ أرسل معه قوة من الفرس بقيادة وهرز ، وهنا تقف معظم الأبيات على الإشادة بهؤلاء الفرس وتمجيد بطولاتهم وصبرهم على القتال وخبرتهم فيه ، وأخيراً تعود إلى ابن ذي يزن لتهنئه بالنصر ، وتنتهي بجملة على الألبان التي كانت تمثل القيم العربية في نظر الشعوبية .

وقد رأينا في بحث الاضطراب في شعر أمية مدى الخلاف حول نسبة هذه

---

(١) سورة هود ١١ : ١٨ .
(٢) سورة الأنبياء ٢١ : ١١٠ .
(٣) سورة الأعلى ٨٧ : ٧ .
(٤) سورة طه ٢٠ : ٧ .

الأبيات إلى أميه بن أبي الصلت أو إلى أبيه أبي الصلت بن أبي ربيعة ، ولعل هذا الخلاف من الأصل يعود إلى أن الأبيات منحولة من أساسها ، ثم اختلف الرواة في إلحاقها بشاعر معين ، وقد أشار الهمداني (٣٤٤ هـ) إلى ذلك حين أورد منها أبياتاً في حديثه عن قصر غمدان ، فقال : « وقال فيه أمية بن أبي الصلت ، ويقال بل أبو الصلت ، ويقال إنها مصنوعة ، وإنه لم يقل منها إلاّ ثلاثة أبيات أو أربعة »[١] .

وقد اتخذ الدكتور طه حسين من هذه القصيدة نموذجاً لما وضعه الموالي من الفرس على ألسنة العرب ، وذهب إلى أن تقديم الفرس على الروم في أول الشعر وعلى العرب في سائره دليل على ذلك ، ثم روى أبياتاً لإسماعيل بن يسار ، وهو من أوائل شعراء الشعوبية ، يفخر فيها بالفرس ، ورأى أن بين القصيدتين من التشابه ما يحمل على الريبة[٢] .

والواقع أن القصيدة قد تخدع بما فيها من ألفاظ وتراكيب تبدو جاهلية لا إسلامية ، وخاصة أن بعض أبياتها قد رواه عدد من الثقات الذين تَنَبَّهوا على الشعر المنحول وأشاروا إليه أمثال ابن سلام وابن هشام والأصفهاني وسواهم ، ولم يشر أحد منهم إلى نحل هذه القصيدة أو نحل عدد من أبياتها غير ما وجدناه عند الهمداني . ولكن سكوت ابن هشام وغيره من الثقات عن ذلك ، لا يعني أن الشعر الذي لم ينبهوا على نحله أو اختلاقه هو مُوثَّق دائماً ، فالجماعة قد عملوا جهدهم على نقد ما بلغهم من من الأشعار المنسوبة إلى الجاهليين ، ولكنهم مع ذلك أوردوا طائفة من الشعر يمكن للباحث أن يجد فيها منافذ إلى الشك . ولعل هذه القصيدة قد نجت من الشك عند أوائل النقاد لما فيها من ألفاظ بدوية وأسلوب يتقرب من عصر الجاهلية،

---

(١) الاكليل للهمداني ٨ : ١٧ .
(٢) في الأدب الجاهلي ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

ثم لارتباطها بحادثة معينة من تاريخ اليمن قبل الإسلام .

وإذا عدنا إلى كلام الهمداني : « ويقال إنها مصنوعة وإنه لم يقل منها إلاّ ثلاثة أبيات أو أربعة » ، فليس من السهل تحديد هذه الأبيات الثلاثة أو الأربعة، وإنما نجد الشك يساورنا في الأبيات جميعاً ، لأنها أشبه بنتاج للمعركة الشعوبية التي بدأت منذ أواخر القرن الهجري الأول واستشرت بالتدريج منذ القرن الثاني الهجري . ولو كان صاحبها عربياً جاهلياً لكان أولى به أن يخص سيف بن ذي يزن بمدحه ، وذكر صفاته ومزاياه وشجاعته وقتاله مع الأحباش ، فهذه المعاني أقرب إلى مدح ابن ذي يزن أثناء تهنئته بالنصر لو أن القصيدة قيلت فعلًا لهذا الغرض ، ولكن ابن ذي يزن لم يظفر بغير بيت في أولها وبيت أو بيتين في آخرها ، بينما انصرفت أبيات القصيدة كلها إلى وصف أصالة الفرس ، وشجاعتهم وثباتهم في الحرب ، ومهارتهم في القتال ، وتقديمهم على الناس جميعاً ، وجعلهم فوق العنصر العربي نفسه ، ثم إلى الحط من شأن هرقل ملك الروم ، وتقديم كسرى ملك الفرس وجعله ملك الملوك الذي لايضارعه أحد ، وذلك لما بين الروم والفرس من وقائع وحروب مشهورة حتى وردت في القرآن الكريم [1] .

وهذا كله لايمكن للأنفة العربية في عصر ما قبل الإسلام أن تُقْدِم عليه ، وكذلك لايمكن أن يُخاطَب ملك بمديح غيره ، مما يدل على أن الأبيات ليست من صنع رجل عربي ، وإنما هي من صنع رجل فارسي شعوبي نحلها أحدَ شعراء الجاهلية ، ليثبت « أن العرب أنفسهم كانوا قبل أن يتيح لهم الإسلام هذا التغلب يعترفون بفضل الفرس وتقدمهم ، ويقولون في ذلك الشعر يتقربون به إليهم ويبتغون به المثابة عندهم ، ولا سيما إذا كانت الحوادث التاريخية والأساطير

---

(١) سورة الروم ٣٠ : ١ ــ ٤ .

تعين على ذلك وتدني منه »[١] .

ومما يؤيد ذلك أن ثمة بيتاً في آخر القصيدة ، أشبه بالتعقيب عليها[٢] ، وفي هذا البيت شيء من أشد وسائل الشعوبية في التشنيع على العرب ، فقد كان اللبَّن في نظر الشعوبية يمثل القيم العربية نفسها ، ولهذا نجد في البيت حملة على اللبَّن ، إذ يجعل من المكارم الحقة ما قام به سيف بن ذي يزن ، أو بالأحرى ما قام به الفرس من وراء سيف ، وليست المكارم فيه أن يجود المرء باللبن الذي خلط بالماء حتى صار كالأبوال ، ومثل هذا التهجم على العرب من خلال اللبن معروف بكثرة عند شعراء الشعوبية ، ولا سيما أبو نواس ، ومن ذلك قوله :

إذا رابَ الحليبُ فَبُلْ عليه ولا تَتَحَرَّجْ فما في ذاكَ حُوبُ[٣]

وقوله أيضاً من هذه القصيدة :

فهذا العَيْشُ لا خِيَمُ البوادي وهذا العيشُ لا اللبَّنُ الحليبُ[٤]

ومن الواضح أن حملة أبي نواس على اللبن والحليب والتشنيع عليه بقوله « فَبُلْ عليه » ، يُشْبه ما في البيت المنسوب إلى أمية من حملة على اللبن المشوب بالماء وتشبيهه بالأبوال أيضاً ، وهذا التشابه يدل طبعاً على تشابه نفسي بين أبي نواس وصانع هذه الأبيات ، ومعنى ذلك أنهما من اتجاه واحد هو الحركة الشعوبية ، التي قامت تحارب العرب بكل مالهم من مقومات . ولهذا نرجح أن تكون القصيدة منحولة على أمية ، لأنها من انتاج رجل إسلامي شعوبي .

وإذا كنا في القصائد السابقة نعمد إلى صيغ الترجيح والاحتمال في القول

---

(١) في الأدب الجاهلي ٢٠٦
(٢) ويروى هذا البيت للنابغة الجعدي أيضاً ، ارجع الى تخريج القصيدة .
(٣) ديوان أبي نواس ١١ ، والحوب : الإثم .
(٤) ديوان أبي نواس ١٢ .

بنحلها وعدم توثيقها ، فهنالك قصيدة لايساورنا أدنى شك في وضعها وانتحالها ، وقد زعموا أن أمية مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم وأقبل عليه بها ليسلم ، ولكن قريشاً منعته وحالت بينه وبين الإسلام ، وقد انفرد بروايتها البغدادي في الخزانة وأولها :

لكَ الحمدُ والمَنُّ ربَّ العبـــا دِ أنتَ المَليكُ وأنتَ الحَكَمْ

وقد قلنا في بحث سابق بوضع هذه القصيدة ونحلها على أمية ، وهنا لا نجد حاجة إلى صيغ الترجيح أو الاحتمال ، بل نعود إلى تأكيد براءته من هـــذه القصيدة لأسباب كثيرة ، منها لهجة القصيدة ومعانيها إذ لاتدل على ذلـــك الرجل الغريب ، الذي جـــاء من بعيد ليسلم ، وإنمـــا تدل على مسلم خَبِرَ هـذا الدين فوعاه عقله ، وانطوى عليه قلبـــه ، فراح يتحدث عنه حديثاً إسلامياً خالصاً يطالعنا فيه : التقى ، والهدى ، وأهل الحَرَم ، وصِدْق الحديث ، وخاتم الأنبياء ، ووصل الرحم ، وحب الصلاة ، وغيرها مما تناثر في آيات كثيرة جداً[1] ، أوردنا بعضها في شرح الأبيات ، وهذه الأمور لا يمكن أن تسيل على لسان رجل لم ينتسب بعد إلى جماعة المسلمين ، ولم يتفقه بعدُ بمذهب القوم . ولكنها ترد بسهولة على لسان رجل مسلم ، خَبِر هذا الدين بعاطفته وعقله . ولو أن هذا المديح يصدر عن رجل مشرك جاء إلى الرسول ليسلم ، لكانت معانيه لا تخرج عن معاني المديح الجاهلي مع إضافة ما يمكن أن يقال للرسول كإعطائه نافلة القرآن ، أو أنه سيف من سيوف الله ، وأنه جاء لهداية العرب ، واتصف بالبر والوفاء ، وقد يتعدى ذلك إلى مدح قريش عصبة النبي ، وقد يتناول هـذا

(١) مثل سورة النساء ٤ : ٢ ، ٥ ، ٩ ، ٦٣ ، والمائدة ٥ : ٩٥ ، والأنعام ٦ : ٥٦ ، ١١٤ ، والأعراف ٧ : ٨٦ ، والتوبة ٩ : ٣٤ ، وهود ١١ : ٤٥ ، والحجر ١٥ : ٩٩ ، والإسراء ١٧ : ٩٣ ، والنور ٢٤ : ٥٤ ، والجاثية ٤٥ : ١٧ ، والفتح ٤٨ : ٢٨ ، والقمر ٥٤ : ٥٥ ، والصف ٦١ : ٩ ــ ١٠ ، والضحى ٩٣ : ٦ ــ ٨ ، والعلق ٩٦ : ٣ ــ ٤ .

المديح بعض ما دار بين الرسول وأحياء العرب من أحداث ، ولا بد للشاعر من الاعتذار عما أسلف من عداء قبل أن يهتدي إلى الإسلام . وأمثلة ذلك كثيرة في شعر أولئك الشعراء الذين حاربوا الرسول بشعرهم وناصبوه العداء ثم جاؤوا إليه معتذرين مسلمين أمثال كعب بن زهير[١] ، وأسيد بن أبي أناس بن زنيم[٢] ، وغيرهم .

والقصيدة تعليمية واعظة أكثر منها مادحة مثنية ، وهذا يدل على أنها وضعت في عصر يسود فيه الوعظ والإرشاد ، ولم توضع أوائلَ صدر الإسلام لمدح الرسول ، والتقرب من المسلمين . وفي القصيدة أدلة تجعلنا لا نشك في أنها قيلت بعد وفاة الرسول ، وذلك في الأبيات :

بهِ خَتمَ اللهُ مَن قَبْلَهُ ومَن بعدَه مِن نَبِيٍّ خَتَمْ
يَموتُ كما ماتَ مَنْ قد مَضَى يُرَدُّ إلى اللهِ باري النَّسَمْ
معَ الأَنبِيا في جِنانِ الخُلودِ هُمُ أهلُها غيرَ حِلِّ القَسَمْ

وهذه الأبيات لا يمكن أن تقال في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، إذ لا يمكن أن يُمدح الرسول ، فيخاطب بأنه سيموت كما مات من مضى قبله من الناس ، ثم يقفز الشاعر فيراه في جنات الخلود مع سائر الأنبياء ، فهذا لا يستسيغه ذوق شاعر ، ومن سوء الأدب لو أنه حدث فعلاً ، وما كان لأمية أن يُقدم عليه وهو داهية ثقيف . ثم نجد هذه الأبيات تنطق بعدد من الآيات القرآنية حول هذا الموضوع ، وهي من أهم الآيات التي تحدد شخصية الرسول في القرآن ، ففي سورة الأحزاب : « ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ، ولكنْ رسولَ الله وخاتَمَ النَّبيِّين ، وكان اللهُ بكل شيء عليما »[٣] ، وفي سورة آل عمران : « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد

(١) انظر قصيدته اللامية في ديوانه ٦ ـ ٢٥ (طبعة دار الكتب) .
(٢) انظر قصيدته في أسد الغابة ١ : ٨٩ ـ ٩٠ .
(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٤٠ .

خلت من قبله الرسلُ ، أفئن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن ينقلبْ على عقبيه فلن يضر اللهَ شيئاً ، وسيجزي اللهُ الشاكرين »[١] . وفي سورة الأنبياء : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخُلْدَ ، أفئن متّ فهُمُ الخالدون ؟ ! »[٢] . والبيت الثالث تفسير وتلخيص لآية مريم : « وإن منكم إلاّ واردُها ، كان على ربّكَ حتْماً مقضيّا ، ثم نُنجّي الذين اتّقَوا ، ونذَرُ الظالمين فيها جثيّا »[٣] . ومعنى الآية أن الناس جميعاً دون تمييز سيدخلون جهنم ، ثم ينجي الله الذين اتقوا . وفي حديثه عليه السلام : « لا يموت لمؤمن ثلاثة أولاد فتمسه النار إلاّ تحِلّةَ القَسَم » ، ومعنى قوله « تحلة القسم » قول الله عز وجل : « إنْ منكم إلاّ واردها » ، فإذا مسته وجاز جهنم ، فقد أبرّ اللهُ بقسمه في الآية ، ومعنى البيت أن الأنبياء هم أهل الجنة خالدين فيها إلا ما يحل به قسم الله من مرهم بجهنم وجوازهم إياها ، وهذا المعنى عبارة عن تفسير للآية على ضوء الحديث السابق ، مما يدل على أنه من صنع رجل إسلامي تعمق في دراسة القرآن والحديث معاً ، وكل ما تقدم من دلائل ، يجعلنا لا نتردد في الجزم بنحل القصيدة واختلاقها على أمية من قِبَل راوية أو قصاص إسلامي ، تأثر في نظمها بالقرآن والحديث وما يحيط به من روح الوعظ والارشاد .

وهنالك قصيدة أخرى لا نتردد أيضاً في القول بنحلها واختلاقها على أيدي بعض القُصّاص أو رواة الأخبار ، ومنها أبيات نُسبت إلى أمية في اللسان والتاج ، وهذه الأبيات هي :

بَلغَ المَشارقَ والمغَاربَ يبتغي أسبابَ أمْرٍ من حكيم مُرشدِ
فأتى مغيبَ الشمس عند مآبها في عَيْنِ ذي خُلُبٍ وثَأْطٍ حَرْمَدِ

---

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٤٤ .
(٢) سورة الأنبياء ٢١ : ٣٤ .
(٣) سورة مريم ١٩ : ٧٢ — ٧٣ .

وأُضيف إليها بيتان آخران في المجموعات الحديثة لشعر أمية ، وهذه الأبيات جميعاً تقع ضمن قصيدة أوردها صاحب التيجان لتبع الحميري في واحد وخمسين بيتا[١] ، ثم أورد الطبري ثلاثة وعشرين بيتاً منها لتبع أيضاً ، مع اختلاف أحياناً في رواية متن الأبيات[٢] . وثمة اضطراب واسع في نسبة تلك الأبيات إلى أمية بن أبي الصلت أو إلى تبّع الحميري ، مع أن دراسة القصيدة التي وردت في التيجان وفي تاريخ الطبري ، تدل على أن القصيدة منحولة من أساسها .

فإذا نظرنا إلى الأبيات التي أورها الطبري مثلًا ، وجدناها تتميز بضعف النسج، وسطحية المعاني ، وركاكة الأسلوب ، وكثرة الإقواء بالرفع فيها ثماني مرات . وإذا كثر الاقواء فلأحد أمرين : إما أنه لضعف لدى ناظم الأبيات على الأغلب ، وإما لأن واضع الأبيات يبغي إيهام القارىء بذلك القدم الذي يمكن أن يعود بالأبيات إلى تبع الحميري . ومع ذلك فهو لا يخدعنا لأننا لا نكاد نعلم اللغة التي نطق بها تبع على وجه اليقين ، فكيف نسلم له بنظم الشعر العربي بأوزانه وقوافيه ولغته الأدبية التي نزل فيها القرآن ؟ ! .

والقصيدة تُروى في كتب التاريخ والسيرة في حديث تُبّع ، الذي سار إلى مكة ليدمرها ، بعد أن أغراه بذلك رجال من هذيل ، يريدون بذلك هلاكه ، لأنه ما من أحد أراد غزو الكعبة إلا أهلكه الله ، ولكن حبرين من اليهود أخبراه بأمر الرسول المنتظر ، فأمر بتطهير البيت وكان أول من كساه . ولهذا جاءت القصيدة نظماً لتلك الأحداث التي ذكرها أهل الأخبار حول حديث تبع . وهي تشير في بعض أبياتها إلى أن مكة سيكون من أهلها نبي اسمه « محمد » ، وتشير في حديث الحبرين إلى أن يثرب ستكون مهاجر نبي يبعث من قريش أهـــل

---

(١) التيجان في ملوك حمير ١١٤ .
(٢) تاريخ الطبري ١ : ٥٣٣ .

مكة . وهذه الأمور كلها لا يلفقها أهل الأخبار وأصحاب القصص إلا ليثبتوا أن النبي كان منتظراً معروفاً أمره منذ ذلك الحين ، وكأن الإسلام وصدق رسالته لايُبَرْهَن عليه إلا بأمثال هذه الأساطير الملفقة ، مع أن الرسالة الإسلامية أعلى من ذلك كله ، وما فيها خير برهان عليها ، وهي في غير حاجة إلى أمثال هذه الأباطيل ، وإلا فكيف ساغ لصاحب بلوغ الأرب أن يتحدث عن إيمان تبع بالرسول قبل بعثته بسبعمائة سنة [١] ؟! ولنفرض أنه نقل عن القدماء ، أما كان أحرى به أن يسائل نفسه عمن نقل هذا الخبر من ذلك العهد السحيق ، ونحن لانكاد نجد من الأخبار مايضيء لنا جوانب القرن الأول أو الثاني قبل الإسلام ؟! .

إن من الصعب التسليم لخيال القُصّاص وأهل الأخبار في هذا الصدد ، لأنهم لم يدققوا فيما نقلوه حول هذه الأخبار ، مادامت ترضي العامة ، ولا تقدح في الدين . بل ربما شعروا بشيء من الراحة النفسية ، وهم يختلقون مايؤيد صدق الرسالة الاسلامية ، ولا يُستغرب أن يكون للعصبية أثر في هذا الاختلاق ، لأن اليمني القحطاني قد يهمه أن يثير إيمان تبع بالرسول قبل بعثته بسبعمائة سنة ، لأن في ذلك مفخرة له على الحجازي العدناني ، ولا سيما أن العصبية كان لها نصيب وافر في ميدان الوضع والانتحال .

ولهذا كله لانجد مبرراً لصيغ الترجيح أو الاحتمال في حكمنا على هذه القصيدة ، فهي منحولة مصنوعة سواء على تبع أو على أمية فيما يُنْسب إليه منها ، وذلك لأننا لانكاد نعلم اللغة التي نطق بها تبع على وجه اليقين ، ثم لما نجد في القصيدة من روح إسلامية تحاول التبشير بالرسول العربي ، وأخيراً لما في القصيدة

---

(١) بلوغ الارب ١ : ١٧٨ ، و ٢ : ١٧٠ .

من ضعف في اللغة والأسلوب والمعاني ، وهذا كله يمنع توثيق القصيدة ويؤكد نحلها وتلفيقها في عصر إسلامي .

تلك كانت القصائد والمقطعات من الشعر المتهم المنسوب إلى أمية بن أبي الصلت ، وثمة طائفة من الأبيات الفرادى نشك فيها للأسباب التي ذكرناها في نقدنا للقصائد المتهمة ، إذ أن أغلب هذه الأبيات يتشابه مع آيات من القرآن حتى ليبلغ الأمر ببعضها أن يكون نظماً سقيماً لبعض الآيات ، وفيما يلي سنورد منها ما وجدنا فيه دليلًا على عدم توثيقه ، فإذا أوردنا غير المُوثّق من الأبيات ، فهذا إرهاص بتوثيق سواها من الأبيات الفرادى في الديوان .

ففي اللسان والتاج نُسِبَ إلى أمية هذا البيت [١] :

قالت لأُختٍ له قُصِّيه عن جُنُبٍ وكيف تقفو بلا سَهْلٍ ولا جَدَدِ

وهو يشير إلى قصة موسى عليه السلام ، والتقاطِ آل فرعون له من النهر ، ثم تَتبُّعِ أختِه له عن بُعْد وهم لايشعرون . وبهذا المعنى واللفظ يبدو نظماً لآية سورة القصص : « وقالت لأُخته : قُصِّيه ، فبَصُرَتْ به عن جُنُب ، وهم لايشعرون » [٢] . ولذلك نشك في البيت ونرجح نحله على أمية .

ونسب أبو حيان الأندلسي إلى أمية هذا البيت [٣] :

وبثَّ الخَلْقَ فيها إذ دحاها فهم سكانها حتى التنادي

وهو بيت إسلامي خالص ، لأن صاحبه قد حشد فيه عدداً من المعاني القرآنية الصرفة ، فبَثُّ الخَلْقِ في الأرض جاء في آيات كثيرة جداً ، منها الآية :

---

(١) اللسان والتاج (قصص) .
(٢) سورة القصص ٢٨ : ١١ .
(٣) تفسير البحر المحيط ٦ : ٤٦٤ ، و ٨ : ٤١٨ .

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نَفْس واحدة ، وخَلَق منها زوجَها ، وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً »[١] ، والآية : « فأحيا الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة »[٢] . ودَحْو الأرض بمعنى بَسْطها ورد في الآية : « والأرضَ بعد ذلك دحاها »[٣] . وتسمية يوم القيامة بيوم التنادي ورد في الآية : « وياقوم إني أخاف عليكم يوم التنادِ »[٤] . وبذلك نجد البيت يستمد معـانيه من آيات متعددة من القرآن ، مما يدل على أنه من وضع رجل مسلم قد وعى هذه المعاني بدقة ، ولهذا نرجح أن يكون البيت منحولاً على أمية .

ومثل ذلك بيت آخر أنشده أبو حيان لأمية [٥] ، وهو :

خَلَق البريةَ من سلالة منتن   وإلى البرية كلّهـا ستعودُ

وهذا البيت يكاد يكون نظماً للآية : « ولقد خلقنـا الإنسان من سلالة من طين »[٦] ، وأما وصفه الطينَ بأنه « منتن » ، فهو متأثر بـآيات أخرى ، منها قوله تعالى : « قال يا إبليس مالك ألاّ تكون مع الساجدين ؟ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقتَه من صَلْصال من حَمَإٍ مسنون »[٧] ، وبذلك نرجح أن يكون البيت منحولاً على أمية .

ونسب أبو حيان والسيوطي إلى أمية هذا البيت [٨] :

---

(١) سورة النساء ٤ : ١ .
(٢) سورة البقرة ٢ : ١٦٤ ، وانظر لقمان ٣١ : ١٠ ، والشورى ٤٢ : ٢٩ ، والجاثية ٤٥ : ٤ ، وغيرها .
(٣) سورة النازعات ٧٩ : ٣٠ .
(٤) سورة غافر ٤٠ : ٣٢ ، وانظر سورة ق ٥٠ : ٤١ .
(٥) تفسير البحر المحيط ٦ : ٣٩٣ .
(٦) المؤمنون ٢٣ : ١٤ ، وانظر السجدة ٣٢ : ٨ . والسلالة : من سللت الشيء من الشيء اذا استخرجته منه .
(٧) سورة الحجر ١٥ : ٣٢ — ٣٣ . والصلصال : الطين اليابس ، والحَمَأ : الطين الاسود المنتن ، والمسنون ، قيل : المتغير المنتن .
(٨) تفسير البحر المحيط ٨ : ٢٠١ ، وتفسير السيوطي ٦ : ١٥٧ ، والاتقان ١ : ١٥٨ .

إن الحدائقَ في الجنان ظليلةٌ فيها الكواعبُ سِدْرُها مَخْضُودُ

وفيه عدد من الصور القرآنية للجنة ، فالجنان الظليلة ، والسدر المخضود ، وردت في الآيات : « وأصحاب اليمين ، ما أصحاب اليمين ، في سِدْرٍ مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود »[١] ، والكواعب جاء ذكرها في حديث الجنة والحدائق في الآيات : « إن للمتقين مفازا ، حدائق وأعنابا ، وكواعبَ أترابا »[٢] ، وبذلك فالبيت يجمع بين عدد من الصور القرآنية للجنة ، وهذا يدعو إلى الشك فيه وترجيح نحله على أمية ، لأن جمع هذه الصور في بيت واحد لايتأتى إلاّ لشاعر إسلامي ، وعى تلك المعاني والصور وعياً جعله يحسن صياغتها في بيت واحد من الشعر .

ونسب ابن فارس إلى أمية جزءاً من بيت هو[٣] :

الخالقُ البارىءُ المصورُ

وهذا الجزء نظم حرفي للآية : « هو الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى »[٤] ، وقد وردت هذه المعاني بكثرة في القرآن[٥] ، وبذلك فالبيت منحول على أمية .

ونسب الرازي بيتين إلى أمية[٦] ، أحدهما :

---

(١) سورة الواقعة ٥٦ : ٢٧ ــ ٣٠ .
(٢) سورة النبأ ٧٨ : ٣١ ــ ٣٣ .
(٣) مقاييس اللغة ١ : ٢٣٦ .
(٤) سورة الحشر ٥٩ : ٢٤ .
(٥) انظر مثلاً سورة البقرة ٢ : ٥٤ ، والأنعام ٦ : ١٠٢ ، والرعد ١٣ : ١٦ ، وغافر ٤٠ : ٦٤ ، والتغابن ٦٤ : ٣ ، والأعراف ٧ : ١١ .
(٦) مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير ٤ : ١٩٠ .

وبإذنه سجدوا لآدم كلهم إلاّ لعيناً خاطئاً مدحورا

والآخر :

وقال لإبليسَ ربُّ العبادِ أنِ اخْرُجْ دَحيراً لعيناً ذؤوما

وهما أشبه بنظم لعدد من الآيات التي تحدثت عن خبر إبليس وعدم سجوده لآدم ثم طرده ولعنته ، ومن ذلك قوله تعالى : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلاّ إبليس لم يكن من الساجدين »[1] ، وقوله تعالى : « قال اخرجْ منها مذؤوماً مدحوراً ، لـمَنْ تبعكَ منهم لأملأنَّ جهنمَ منكم أجمعين »[2] ، وقوله : « قال فاخرجْ منها فإنك رجيم ، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين »[3] ، وهذا كله يتهم البيتين ، ويؤيد أن يكونا منحولين على أمية .

ونسب السيوطي إلى أمية هذا البيت[4] :

من يَطْمِسِ اللهُ عينيهِ فليس له نُورٌ يُبيِّنُ به شمساً ولا قمرا

وهذا البيت يبدو إسلامي المعنى ، لأنه يكاد يكون نظماً للآية : « ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصِّراطَ فأنّى يُبْصِرون »[5] ، وهذا يرجح أن يكون البيت منحولاً على أمية .

---

(١) الأعراف ٧ : ١٠ ، وانظر البقرة ٢ : ٣٤ ، والاسراء ١٧ : ٦١ ، والكهف ١٨ : ٥٠ ، والحجر ١٥ : ٣٠ ، وطه ٢٠ : ١١٦ ، و ص ٣٨ : ٧٣ .
(٢) الأعراف ٧ : ١٧ .
(٣) الحجر ١٥ : ٣٤ — ٣٥ ، وانظر سورة ص ٣٨ : ٧٧ — ٧٨ .
(٤) تفسير السيوطي ٢ : ١٦٨ .
(٥) سورة يس ٣٦ : ٦٦ .

ونسب ابن الأنباري إلى أمية هذين البيتين [١] :

الحمدُ لله الذي لم يَتّخذ ولداً وقَدَّرَ خلْقَه تقديرا

وعنا له وجهي وخَلْقي كلُّه في الخاشعين لوجهه مشكورا

وقد انفرد الأب لويس شيخو برواية « لم يتخذ سنداً » ، وأشار إلى تفرده في ذلك كل من شولتهيس وبشير يموت ، ولعله تعمد تحريف رواية البيت ، ليبعد عنه ما يبدو من مخالفة لمبدأ النصرانية في « الآب والابن والروح القدس » ، وذلك لأن الأب شيخو قد جعل من أمية شاعراً نصرانياً ، ولكنه لم يتنبه على أن التوحيد في هذين البيتين توحيد إسلامي خالص ، لأن التوحيد لم يكن يُعرف على هذا النحو عند متألهي الجاهلية ، فهم إذا أرادوا الحديث عن التوحيد ، هاجموا الأصنام ، ثم انطلقوا إلى الله الخالق ، دون أن يجادلوا أهل الكتاب أو المشركين في فكرة اتخاذ الله ولداً أو شركاء في الألوهية ، وهذه الفكرة وقف القرآن عليها في مواضع كثيرة ، وجادل فيها المشركين وأهل الكتاب ، ونزّه الله تعالى أن يكون له ولد أو أنداد أو شركاء [٢] ، ومن هنا كان مبدأ التوحيد في الأبيات مبدءاً إسلامياً خالصاً ، بل كانت الأبيات أشبه بنظم لآيات معينة ، مثل آية الإسراء : « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً » [٣] ، وآية الفرقان : « الذي له مُلْكُ السموات والأرض ، ولم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، وخلَق كلّ شيء فقدره تقديراً » [٤] ، وآية طه : « وعنت الوجوه

---

(١) الأضداد لابن الانباري ٦٦ .

(٢) انظر سورة البقرة ٢ : ٢٢ ، ١٦٥ ، والأنعام ٦ : ١٠٠ — ١٠٣ ، والكهف ١٨ : ٤ — ٥ ، ومريم ١٩ : ٨٩ — ٩٤ ، والانبياء ٢١ : ٢٥ — ٢٩ ، والاخلاص ١١٢ : ١ — ٤ ، وغيرها .

(٣) الاسراء ١٧ : ١١١ .

(٤) الفرقان ٢٥ : ٢ .

للحي القيوم »[١] . وهذا يؤكد أن يكون البيتان قد نحلا على أمية في عصر إسلامي ، تأثر فيه صاحبهما بالقرآن الكريم والمبادىء الأساسية في العقيدة الإسلامية .

وفي جمهرة أشعار العرب نُسب إلى أمية هذا البيت[٢] :

كيف الجحودُ وإنما خُلِق الفتى   من طين صَلْصال له فَخّارُ

والحديث عن « الجحود » كثير في القرآن ، وصدر البيت أقرب مايكون إلى آية سورة النحل : « أفبنعمة الله يجحدون ؟! »[٣] ، فهي تنطوي على ذكر الجحود ، وعلى الاستفهام الانكاري الذي ورد في البيت ، وأما عجز البيت فهو ظل لآية سورة الرحمن : « خُلِق الانسانُ من صَلْصال كالفخار »[٤] ، ولعله لم يستطع للوزن أن يقول « كالفخار » ، فقال : « له فخار » . ومن ثمّ نشك في هذا البيت ونرجح نحله على أمية .

ونسب الطبري إلى أمية هذا البيت[٥] :

يَدْعون بالويلِ فيها لاخَلاقَ لهم   إلاّ سَرابيلُ من قِطْرٍ وأَغْلالُ

ثم رواه السيوطي ونسبه إلى أمية أيضاً[٦] . والغريب أن الطبري والسيوطي يستشهدان بالبيت على لغة القرآن ، مع أن البيت من المرجح نحله ، لما فيه من إلحاح على معاني القرآن وأسلوبه ، ففي صدره إخبار عما يقوله أصحاب النار كما ورد في آيات كثيرة ، وفي سائر البيت اقتباس واضح من آيات متعددة أخرى ،

---

(١) طه ٢٠ : ١١١ .
(٢) جمهرة اشعار العرب ١٣ .
(٣) سورة النحل ١٦ : ٧١ .
(٤) سورة الرحمن ٥٥ : ١٤ .
(٥) تفسير الطبري ٢ : ٤٥٤ .
(٦) تفسير السيوطي ١ : ١٠٣ ، والاتقان ١ : ١٥٥ .

ففي سورة الأنبياء : « قالوا : ياوَيْلَنا إنا كنا ظالمين »[١] ، وفي سورة الصافات : « وقالوا : ياويلنا هذا يوم الدّين »[٢] ، وفي سورة القلم : « قالوا : ياوَيْلَنا إنّا كنا طاغين »[٣] ، وفي سورة البقرة : « فمن الناس من يقول ربّنا آتنا في الدنيا ، وماله في الآخرة من خَلاق »[٤] ، وفي سورة إبراهيم : « سرابيلهم من قِطْران وتغشى وجوهَهم النارُ »[٥] وقرأها ابن عباس « من قِطْرٍ آنٍ » ، أي من نحاس انتهى حرُّه . وهذا كله يبعث على الشك في البيت ، ويرجح نحله، لأنه يبدو من صُنْعِ رجل إسلامي تشبع بروح القرآن ولغته وأسلوبه ومعانيه .

وفي اللسان نُسب إلى أمية هذا البيت[٦] :

الخَيْطُ الأبيضُ ضَوْءُ الصبحِ مُنفلِقٌ والخيطُ الأسودُ لونُ الليلِ مَرْكوم

وقد أنشده السيوطي ونسبه إلى أمية[٧] ، ثم أنشده صاحب التاج ونسبه إلى أمية أيضا[٨] . والبيت منحول حتماً لأنه مجرد نظم لتفسير الآية : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود من الفجر »[٩] . وفي الحديث أن عدي بن حاتم أخذ حبلًا أسود وحبلًا أبيض ، وجعلهما تحت وساده ، لينظر إليهما عند الفجر ، وجاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فأعلمه بذلك ، فقال : إنك لعريض القفا ، ليس المعنى ذلك ، ولكنه بياض الفجر في سواد الليل .

---

(١) سورة الانبياء ٢١ : ١٤ .
(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٢٠ .
(٣) سورة القلم ٦٨ : ٣١ .
(٤) سورة البقرة ٢ : ٢٠٠ .
(٥) سورة ابراهيم ١٤ : ٥٠ .
(٦) اللسان (خيط) .
(٧) تفسير السيوطي ١ : ١٩٩ ، والاتقان ١ : ١٥٩ .
(٨) التاج (خيط) .
(٩) سورة البقرة ٢ : ١٨٧ .

ونلاحظ أن البيت مجرد نظم لتفسيره عليه السلام ما جاء في الآية ، ولهذا جزمنا بنحله على أمية ، رغم استشهاد السيوطي به على وجود معان قرآنية في الشعر القديم ، لأن أغرب ما نجده عند قدامى المصنفين ، أنهم يستشهدون أحياناً بالشعر المنحول بعد الإسلام على كتاب الله وما فيه من لغة وأسلوب ، مع أن هذا الشعر صُنِع متأثراً بلغة القرآن وأسلوبه ، وذلك لأن مثل هذا الشعر قد جاز عليهم ولم يتنبهوا على انتحاله .

وفي جمهرة أشعار العرب نُسب إلى أمية هذا البيت [١] :

لَقِيتَ المهالكَ في حَرْبنا وبَعْد المهالكِ لاقَيْتَ غَيّا

والغَيُّ : الضلال أو الفساد ، وبهذا المعنى لا دليل على الشك في البيت ، إلا أن صاحب جمهرة أشعار العرب قد عَيّن المراد منه ، فذكر أن الغي : وادٍ في جهنم ، وبهذا المعنى لابد من الشك في البيت ، لأنه متأثر بالآية : « فخَلَفَ مِن بَعْدهم خَلْفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يَلقَون غَيّا »[٢] ، والغَيُّ في الآية وادٍ في جهنم ، وسوف يلقونه بمعنى سوف يقعون فيه .

وفي مجموعة بشير يموت نُسب إلى أمية هذا البيت [٣] :

ولا يومَ الحساب وكان يوماً عبوساً في الشدائدِ قَمْطَرِيرا

وأول مصدر للشك فيه هو عدم وقوفنا على مصدره القديم ، لأن في ذلك عوناً على إيجاد بعض الأدلة ، التي تساعد أحياناً على تحديد حقيقة الشعر المنسوب إلى أمية ، كالذي رأيناه في بحث الاضطراب في شعره ، أو في دراسة بعض القصائد

---

(١) جمهرة أشعار العرب ١٤ .
(٢) سورة مريم ١٩ : ٥٩ .
(٣) مجموعة بشير يموت ٣٧ .

المتهمة ، والمصدر الثاني للشك في البيت ، وهو المصدر الهام في نقدنا له وترجيحنا لانتحاله ، وهو أن البيت يلتقي في لغته وأسلوبه التقاء كليا مع الآية : « إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا »[1] ، وهذا يكفي لإثارة الشك حول البيت ، وترجيح نحله على أمية .

وبذلك نكون قد وقفنا على ما أضيف إلى أمية من أشعار منتحلة عليه . وإذا كنا قد وثقنا طائفة من شعره ، فهي لاتخلو من قصائد ومقطعات وأبيات يمكن للباحث أن يثير بعض الشك حولها ، ولكننا لم نجد من الأدلة مايحمل على تثبيت هذا الشك ، ومجرد إثارة الشك دون دليل واضح عليه ليس من الأسلوب العلمي في شيء ، ومع ذلك فقد يكون انقطاع الأدلة ناتجاً عن حذق الواضع ومهارته في محاكاة أساليب الشعراء ، ولكننا لانستطيع أن نجعل هــذا الاحتمال وسيلة من وسائل اليقين في الشك وعدم التوثيق .

ومن هنا نخرج إلى أن الشعر المنسوب إلى أمية بن أبي الصلت ، وخاصة الشعر الديني منه ، لايمكن أن يتهم بكل مافيه ، ولا يمكن أن يُقبل على علاته ، وإنما فيه الشعر الموثق الذي يُطمأن إليه ، وفيه الشعر المنحول الذي نجزم بانتحاله ،وفيه الشعر المتهم الذي نشك فيه ونرجح انتحاله ، ولهذا كنا على خلاف مع تور أندراي في إنكاره شعر أمية الديني بكامله ، وكليمان هوار في توثيقه لشعر أمية الديني برمته ، ثم طه حسين في إنكاره شعر أمية عامة . فهذه الآراء جميعاً لاتخلو من غلو ومبالغة في نظرتها إلى ذلك الشعر ، وإذا كان بعضها قد بالغ في الشك ، حتى أنكره أو أنكر باباً كاملاً منه ، فإن مجرد الشك لاينبغي أن يقف بالباحث عند الرفض والانكار فحسب ، وإنما يجب أن يكون الشك دافعاً إلى دراسة ذلك الشعر وتحليله ثم غربلته لبيان فاسده من صحيحه .

---

(١) سورة الدهر ٧٦ : ١٠ .

الفصل الرابع

موضوعات شعر أمية

١ ـ الشعر الديني

إن شهرة أمية تقوم بوجه خاص على شعره الديني ، لأنه أتى بمعان وموضوعات جديدة بالنسبة إلى عامة الشعراء ، وإن وجدنا بعض هذه المعاني قد وردت عند غيره من الجاهليين ، ولا سيما عند أولئك الشعراء الذين عُرفوا بالتحنف وطلب الدين ، فإن أمية قد تميز بالاكثار من هذا الشعر ، وجعله الموضوع الرئيسي بين أغراض شعره المختلفة ، ثم أضفى على هذا اللون من الشعر شيئاً من ذاتيته ونمط حياته ، فأصبح لشعره الديني طابع خاص يميزه من غيره في بعض الأحيان ، ويقاس عليه ما يماثله من شعر ديني لغيره من الشعراء أحياناً أخرى ، وقد رأينا ابن كثير حين تحدث عن أبيات يائية لأبي قيس بن الأسلت يقول : « وأبو قيس بن الأسلت هذا ذكر له ابن إسحق أشعاراً يائية حسنة تقرب من أشعار أمية بن أبي الصلت »[١] . ومرّ بنا قول الأصمعي : « وكل ماقيل في الزهد فقد غلب عليه أمية بن أبي الصلت »[٢]. وبعضهم جعل أمية أشعر الناس لأنه طرق معظم أغراض الشعر القديم ، وزاد عليها موضوعات أخرى لم يتطرق إليها عامة الشعراء ، ولذلك قال الكميت : « أمية أشعر الناس ، قال كما قلنا ولم نقل ما قال »[٣] .

---

(١) البداية والنهاية ٣ : ١٥٣ .
(٢) تاريخ ابن عساكر ٣ : ١٢٢ .
(٣) الاغاني ٣ : ١٨٠ .

وفي شعره الديني الموثّق يطالعنا عدد من الموضوعات والمعاني ، وأبرز هذه الموضوعات الحَديثُ عن التوحيد ، وهذا الحديث يتخذ لديه طابع التوحيد الخالص والجدل أو مايشبه الجدل حوله :

إذا قيل مَن ربُّ هذي السما   فليس سواه له يضطرِبْ
ولو قيل ربٌّ سوى ربِّنـــا   لقال العبادُ جميعـــاً كَذِبْ

ذلك لأن الله رب الخلائق جميعاً من الإنسان إلى الحيوان :

لله نِعمتُنا تبارك ربُّنـــا   ربُّ الأنام وربُّ من يَتأَبّدُ

وأمية يكثر من الحديث عن الإيمان بالله ، ويدعو الله بلهفة أن يثبت هذا الإيمان في قلبه وكلّ جزء من جوارح جسده مادام إنساناً على قيد الحياة :

ياربِّ لاتَجعلنِّي كافراً أبـــدا   واجعلْ سريرةَ قلبي الدهرَ إيمانا
واخلِطْ به بنيتي واخلطه بَشَري   واللحمَ والدَّمَ ماعُمِّرتُ إنسانا

ومن تلك الموضوعات أيضاً حديث الموت وحتميته على الناس ، فكل الخلائق إلى الفناء ، ولا مفر لأحد من الموت ، ولو كان لأحد أن ينجو منه ، لكان أحرى الناس بذلك أولئك القساوسة الذين يحملون الزُّبُر في أيديهم :

وليس يبقى لوجـه الله مُختَلَقٌ   إلاَّ السماءُ وإلاَّ الأرضُ والكَفَرُ
لو كان مُنْفلتٌ كانت قَساقسةٌ   يُحييهِمُ اللهُ في أيديهم الزُّبُرُ

ولكن تلك الزبر لاتدفع الموت عنهم ، لأنه حتم على كل مخلوق ، وأظفاره سوف تنال أقوى مخلوق كالأسود ، وأضعف مخلوق كالقُرّاد ، ولن ينجو منه حيوانٌ معتصمٌ في قُلّة جبل أو شاردٌ في قفر أو فلاة ، فالموت ينال الوعل في أعالي الجبال ، ويصيب الظبي في شتى القفار :

كلُّ عيش وإنْ تطاول دَهْراً صائرٌ مرةً إلى أن يزولا
فاجْعَلِ الموتَ نُصْبَ عينيكَ واحذَرْ غَوْلةَ الدهرِ إنَّ للدهرِ غُولا
نائلًا ظُفْرُها القساورَ والصّدْ عانَ والطِّفْلَ في القِفارِ الشّكيلا
وبُغاثَ النِّيافِ واليَعْفُرَ النّا فِرَ والعَوهَجَ البُرامَ الضّئيلا

ويتصل بهذه الفكرة موضوع آخر في شعر أمية الديني ، هو فكرة الخلود، إذ يرى أن الخلائق جميعاً سوف تفنى ، ولن يخلد غير الله الخالق فحسب ، ولن يبقى لوجه الله إلاّ السماءُ والأرض والتراب ، وأما الناس فكلهم إلى الموت ، ولله ميراثهم جميعاً ، ولا شيء يخلد مهما طالت به الحياة أو امتد به العمر :

ألا كلُّ شيءٍ هالكٌ غيْرَ ربّنا ولله ميراثُ الذي كان فانيا
وليٌّ له مِنْ دون كلِّ ولايَةٍ إذا شاءَ لم يُمْسوا جميعاً مَواليا
وإنْ يكُ شيءٌ خالداً ومُعَمَّراً تأمّلْ تَجِدْ مِن فوقه اللهَ باقيا

وإذا تحدث عن الموت والخلود ، كان لابد أن يتحدث غالباً عن فكرة البعث والحساب ، فالناس لابد أن يقفوا للحساب يوم القيامة ، فمنهم من يكون شقياً ذلك اليوم ، ومنهم من يكون سعيداً :

يُوقف الناسُ للحساب جميعاً فشقيٌّ مُعَذَّبٌ وسَعيدُ

ذلك لأن كل امرىء سوف يُجزى ذلك اليوم بما قدمته يداه في الحياة الدنيا من أعمال :

لا تَخلِطنَّ خَبيثاتٍ بطيبة واخلعْ ثيابكَ منها وانجُ عُرْيانا
كلُّ امرىءٍ سوف يُجْزَى قرضَه حَسناً أو سيئاً ومَدِينا كالذي دانا

ونجد في الشعر الديني بعض الموضوعات التي يدعو إليها التأمل والتفكر في طبيعة الكون ، فنرى عند أمية شيئاً من لفت الأنظار إلى الطبيعة ، فنراه ينظر

إلى الأرض فيرى الأمطارَ وما تبعث من خصب ، والنباتَ وما يستفاد منه ، والحيوانَ وما فيه من تنوع واختلاف في اللغات ، فيرى ذلك كله من دلائل حكمة الله وقدرته فيما خلق :

والطُّوطَ نزرعُه أغَنَّ جِراؤه ... فيه اللِّباسُ لكلِّ حَوْلٍ يُعْضَدُ
فاسْمَعْ لسانَ الله كيفَ شُكولُهُ ... عَجَبٌ ، ويُنْبيكَ الذي تَسْتَشْهِدُ
والوحشَ والأنعامَ كيفَ لغاتُها ... والعِلْمُ يُقْسَمُ بَيْنَهمْ ويُبَدَّدُ
لِلّهِ نِعْمَتُنا تباركَ ربُّنــا ... رَبُّ الأنامِ وربُّ مَنْ يَتَأَبَّدُ

وأهم مانلاحظه في شعره الديني انتشار الحكمة والروح القصصية أو الأسطورية فيه . فالحكمة تؤلف عنصراً هاماً في هذا الشعر ، لأنها تكثر في أضعاف القصائد الدينية ، وأحياناً تأتي في خاتمة القصيدة لتكون نتيجة عامة للحديث الديني فيها .

وأما الأسطورة والقصة الدينية ، فهي مما يضفي على قصيدته شيئاً من الحيوية والتنويع ، إلاّ أن هذه الخاصة جعلت من شعره ميداناً للنحل والاختلاق ، وقد رأينا أكثر الشعر المتهم قد امتاز بالطابع القصصي ، الذي يتحدث عن مصارع الأمم الغابرة ، ولم نكد نجد لأمية مايوثق به في هذا الموضوع غير حديثه عن قصة الطوفان في بعض القصائد التي ملنا إلى توثيقها ، وهو في ذلك يصف السفينة ومن عليها من خلائق تعاني الجوع والظمأ والعري عشية أُرسل الطوفان ، ثم يصف الأمواج وإذا بها تشبه أمواج البحر لكثرتها وارتفاعها ، ثم يقص أسطورة الحمامة وإرسال نوح إياها بحثاً عن اليابسة ، ولا ينسى أن يُجَمِّل الأسطورة بالحديث عما يُرَى شِبْهَ الطَّوق في عنق الحمامة ، إذ يجعلها تطلب ذلك الطوق جائزة لها ، على أن يبقى إرْثاً في أبنائها من الحمام .

وأما الأساطير فهنالك طائفة مقبولة منها ، أمثال إشارته إلى ماتال الحيةَ

من عقاب يومَ أطاعت إبليس فساعدته على غواية آدم ، ولهذا أصبحت في رأي أمية قطيع الراقي متى عزم عليها بالقسم وأسماء الله ، ولولا أنها ذاقت عقاب الله لما أطاعت الحاوي وخرجت من جحرها وهي تمتلك من القوة ما يساعدها على البقاء والتمنع :

واليةُ الحتْفَةُ الرقشاءُ أخرجها من جُحْرِها آمناتُ اللهِ والقَسَمُ
إذا دَعَا باسمها الإنسانُ أو سَمِعتْ ذاتَ الإلهِ بدا في مَشْيِها رَزَمُ
مِن خَلْفِها حِمّةٌ لولا الذي سَمِعتْ قد كان ثَبَّتَها في جُحْرِها الحِمَمُ
وقد بَلَتْه فذاقَتْ بعضَ مَصْدَقِه فليس في سَمْعِها مِن رَهْبَةٍ صَمَمُ

ومن ذلك أيضاً أسطورة الغراب والديك حين شربا الخمر عند خمار وليس لديهما ثمن لذلك ، فخدع الغرابُ صاحبَه الديك ، واستعار جناحه ، ورهنه عند الخمار ليرجع بالثمن ، ولكنه غدر به ، فبقي الديكُ حبيساً عند الخمار ، يصيح كلَّ يوم عسى أن يسمعه الغراب ، فيعود إليه بجناحيه ، ليصبح حراً طليقاً ، وهي قصيدة مطولة أولها :

ولا غَرْوَ إلاَّ الدِّيكُ مُدْمِنُ خمرةٍ نَدِيمُ غُرابٍ لا يَمَلُّ الحَوانيا

والشعر الديني عند أمية هو موضع الطعن والتشنيع عليه ، إذ لا نجد على ألسنة المُحدَّثين غير ألفاظ السخف والركالة وضعف الأسلوب وهلهلة النسج ونبو القافية ، إذا ما تحدثوا عن هذا الجانب من شعره . فعبد المنعم خفاجي لا يراه إلاَّ « قلق اللفظ سخيف النسج نابي القافية »[١] ، ومثل ذلك ما يقوله الزيات : « ورواة الشعر يعدونه في الطبقة الأولى ، ولكن ما بين أيدينا من شعره لا يؤيد هذا الرأي ، فإن أكثره قلق اللفظ سخيف النسج نابي القافية »[٢] ، ويرى محمد هاشم

---

(١) الشعراء الجاهليون ١٠٦ .
(٢) تاريخ الأدب العربي ٧٢ .

عطية أنه : «سهل لين الأسلوب ، ولكنه قليل الحلاوة ، يكاد يشبه من بعض الوجوه منظومات العلوم »[١] .

وهذه الآراء جميعاً لا تضع إلى جوارها الدليل والبرهان ، وإنما تلقي الكلام على عواهنه ، وإلا فهل من الحق فعلاً أنّ شعر أميـة الديني قلق اللفظ سخيف النسج نابي القافية ؟ ! وهل صحيح أنه قليل الحلاوة يشبه منظومات العلوم ؟ ! .

إن قلق اللفظ وسخف النسج ونبو القوافي لا وجود له في شعر أمية الموثق ، وإنما نقع عليه بكثرة في ذلك الشعر المنحول المضاف إلى أمية ، أما شعر أميـــة الديني الصحيح فمن الصعوبة لهذه الأوصاف أن تنطبق عليه تماماً ، وإذا تلامح في هذا الشعر الموثق شيء بسيط جداً من ذلك ، فهو نتيجة التحريف أو التصحيف على أيدي الرواة أو المصنفين ، ومواطن التحريف لا تُتخذ دليلًا على ما سلم من ذلك ، لأن لهذه المواطن حكمها ، ولذلك الشعر السليم حكمه .

وهذه حمامة نوح نضربها مثلًا لقصص أمية وأساطيره الدينية ، التي تمتاز عامة بإحكام هذا الفن ودقة تصويره للجانب النفسي والموضوعي في عرض مشاهده وصوره ، فأصحاب الحمامة لم يكونوا على خوف غداة انطلقت حمامتهم رسولاً تجوب الآفاق ، عسى أن ترى اليابسة فتعود بالخبر اليقين ، ولماذا يخافون والأمر يومئذ لله ، فهو الذي سيهديها إلى التراب واليابسة بعد الطوفان :

وما كان أصحابُ الحمامةِ خيفَةً   غَداةَ غدتْ منهم تَضُمُّ الخَوافيا
رسولاً لهم واللهُ يُحْكِمُ أمرَه   يُبيِّنُ لهم هَلْ يؤنسُ التُّرْبُ باديا

ثم تعود بقضيب الزيتون وعليه الطين آيةً لما وقعت عليه من يابسة ، وإذا بالطين قد أهدى صفرة الزعفران إلى منقارها ، ولكنها لا ترضى بهذا العطاء ، وإنما

---

(١) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ٣٥١ .

تطالب بما وُعِدَت بـه ، فتدل على القوم ، وتستوهب طوقـاً خالداً في عنقهـا ، وهي حمامة ذكية حكيمة كالشاعر الذي يُنْطقها ، ولهذا لا تريد لذلك الطوق أن يكون ذهباً ، لأنها تخاف نِبالَ الناس ، ورغبتهم فيه ، وهي إنما تريـد لطوقها أن يبقى إرثاً خالداً لأولادها من الحمام :

فجاءَتْ بقِطْفٍ آيَةً مُسْتَبِينَةً ... وأصبحَ منها مَوْضِعُ الطينِ جادِيا

على خَطْمِها ، واستوهَبَتْ ثَمَّ طوقَها ... وقالَتْ ألا لا تَجْعَلِ الطَّوْقَ باليا

ولا ذَهَباً إنّي أخافُ نبالَهُم ... يَخالونَه مالي وليسَ بِماليا

وزِدْني على طوقي مِنَ الحَلْيِ زينَةً ... تُصيبُ إذا أتبعتَ طوقي خِضابيا

وزِدْني لِطَرْفِ العَيْنِ منكَ بنعمةٍ ... وورِّثْ إذا ماميتُّ طوقي حَماميا

يكونُ لأولادي جَمالاً وزينةً ... ويَهْوَيْنَ زَيْني زينَةً مِنْ تُرابيا

فإذا تأملنا هذه القطعة وجدناها غنية من كل جانب ، لقد رسمت أصحاب الحمامة ، كما صورت العنصر الديني في الموضوع ، ثم أخذت تحلل نفسية الحمامة ، وتقارنها من طرف خفي بنفسية الناس أصحاب النبال ، وإذا بنا نجد المثل والعبرة إلى جانب النكتة والطرافة .

والأبيات لاتخلو من الدقة في التصوير ، فأصحاب الحمامة لم يكونوا على شيء من الخوف حين أرسلوا مَنْ يبحث عن اليابسة ، والحمامة غدت تضم الخوافي ، والقِطْف عليه الطين ، وهذه كلها من العناصر الموحية ، التي تساعد على مـد الأفق أمام الخيال ، ليمضي بعيداً ، ويعيش هناك في طوفان نوح .

وإذا عدنا إلى تأمل الأبيات ، فإننا لانقع على سخف النسج ، وإنما نجد قوة الأسر وجزالة التركيب ، ولو نظرنا إلى الألفاظ ، فإننا لانجد القلق ، وإنما نجد أكثر الألفاظ لايمكن أن تحُل مكانها ألفاظ أخرى ، وأمـا القوافي فليس من

قافية نابية تعاني القلق في مكانها ، وليس من قافية في وسعنا أن نضع مكانها خيراً منها .

إلاّ أن بعض هذه الأبيات وردت بروايات أخرى ، فكانت ميداناً للغموض أو قلق الألفاظ أو اضطراب القوافي ، ولكن ذلك كله لايعدو أن يكون وليد تحريف أو تصحيف أصاب تلك الروايات ، وحتى هذه الرواية التي أثبتناها ربما كانت بعض أبياتها لاتخلو من تحريف أيضاً ، أمثال البيت الثاني والبيت الأخير ، ومع ذلك فهي تخالف كل ماوُصِفَ به شعرُ أمية الديني من أمثال الركاكة والضعف وما إليه .

فإذا وقفنا على شعر أمية الديني الذي خلا من عوامل التحريف ، لم نجد غير قوة الأسلوب ، ومتانة النسج ، وبراعة التصوير ، وسهولة التعبير ، ودقة الوصف ، وتناسق التراكيب ، وإحكام الألفاظ . وأما شعر أمية غير الديني ، فلا خلاف في جودته وقوة أسلوبه وفحولة صاحبه ، وقد تناول فيه معظم الموضوعات الجاهلية كالحكمة والمدح والرثاء والعتاب والنسيب والفخر والوصف ، وأخضع هذه الموضوعات جميعاً لطبيعته الخاصة ، فأعطاها طابعاً خاصاً من ذاتيته ، ولهذا لانجد كبير عناء في تلمس خصائصها ، بعد كل ماعرفناه عن أمية في الأبحاث المتقدمة .

٢ ـ الحكمة

ليست الحكمة موضوعاً مستقلاً في الشعر الجاهلي ، إذ لا نجد فيه قصائد خاصة بها ، كالذي نجده عند بعض شعراء الزهد في العصر العباسي كأبي العتاهية ، وإنما كان من عادة الشاعر الجاهلي أن ينثر بعض المعاني التهذيبية العامة في أضعاف موضوعاته المختلفة . وإذا قدمنا موضوع الحكمة عند أمية فذلك لاتصاله الوثيق بما قدمناه من شعره الديني ، ولأن موضوع الحكمة قد غلب على أكثر شعره

لما فيه من اتصال وثيق أيضاً بطبيعة تفكيره واتجاه حياته .

والحكمة الجاهلية ليست وليدة الفلسفة والمنطق ، وإنما هي وليدة اختبارات القوم وتجاربهم . فزهير بن أبي سلمى ما كان له أن يقول أبيات الحكمة في المعلقة، لولا أنه عاش في ذلك المجتمع الدامي ، وتمنى من أعماق نفسة لو خرج بهذا المجتمع إلى مجتمع ينعم بالهدوء والسلام بين القبائل ، فحكمته نتيجة طبيعية لتجربة الحرب التي نشبت بين عبس وذبيان . وكذلك طرفة بن العبد ، إذ لم ينطق بالحكمة الخالدة حول ظلم ذوي القربى ، إلا بعد أن أحس بمرارة هذا الظلم فعلا ، فقال :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند[1]

أما أمية بن أبي الصلت فكانت حكمته تلتقي بحكمة هؤلاء حين تعتمد على تجاربه الذاتية،وهذه التجارب كثيرة متنوعة رافقت تنقلاته وأسفاره بين الشام واليمن ، ثم تختلف حكمة أمية عن أمثال زهير ، وتلتقي بحكمة عدي بن زيد وورقة بن نوفل وأمثالها ، حين تعتمد على وَلُوع أمية بالدين وقراءة الكتب واتصاله بأخبار الأديان والأمم الغابرة.ولذلك كانت حكمة أمية أصيلة غنية تجتمع فيها روافد التجربة والثقافة معاً ، ولهذا كانت تمتاز بالعمق والحيوية وعدم الجمود في قوالب وألفاظ جافة ، وذلك لأنها من نتاج تجارب صادقة من ناحية ، ولأنها تصدر عن إحساس عميق بهذه التجارب . فإذا وقف عليها المرء لم يجد نفسه أمام واعظ ، بل يجد هذه الحكمة وكأنها تنبع من ذاته ، وتُلقى إليه من قرارة نفسه .

وحكمة أمية ترد في مواطن متعددة من القصيدة ، فقد يبدأ بها بعضَ المقطعات والقصائد أمثال أبياته التي قالها يوم وفاته ، إذ بدأها بقوله :

كلُّ عيشٍ وإنْ تطاول دهراً صائرٌ مرّةً إلى أن يزولا

(١) شرح المعلقات السبع ٧٧ .

ومثل ذلك قصيدته اليائية ، إذ بدأها بقوله :

ألا كلُّ شيءٍ هالكٌ غيرَ ربِّنا   ولله ميراثُ الذي كان فانيا

ولعل من ذلك أيضاً قوله :

يانفسُ مالكِ دونَ اللهِ مِنْ واقِ   وما على حَدَثانِ الدهرِ مِنْ باقِ

إن صح أنه مطلع لقصيدة ضائعة [١] . فهذه القصائد إن صح أنه بدأها بهذه الأبيات ، ولم يعف الزمن على مقدمات ضائعة لها ، فهي دليل على أن غلبة هذا الموضوع على أمية ، جعلته يتخذ من الحكمة بداية لقصائده مخالفاً في ذلك سنة الشعراء الجاهليين في بدء القصائد بالنسيب والوقوف على الأطلال . وإذا صح هذا من أمية ، فذلك يعني أن ثورة بعض الشعراء في العصر العباسي على منهج القصيدة، لها جذور تمتد إلى العصر الجاهلي نفسه ، ولا سيا في ثورة أبي تمام والمتنبي على الأطلال في مطالع القصائد واستبدالها بموضوع الحكمة في أغلب قصائدهم .

فتقديم أمية للحكمة في أول القصيدة أمر هام بالنسبة إلى منهج القصيدة الجاهلية ، لأنه في ذلك متفرد عما عُرفت عليه مواطن الحكمة في قصيدة ذلك العصر . إلا أن حكمة أمية قد جارت مواطن الحكمة عند غيره من الشعراء ، فجاءت أيضاً في أضعاف القصيدة ، ثم وردت تعقيباً على بعض الموضوعات .

فمن خصائص الحكمة الجاهلية أن تنثر هذه المعاني المطلقة ، التي نسميها بالحكم ، في أضعاف قصيدة الشاعر ، فتزدان بها معانيه ، وتحلو بها أبياته ، وتثبت فكرته في الأذهان ، وربما ذهبت أمثولة بين الناس أحياناً ، ولا سيا إذا جاءت عفوية لاتكلف فيها أو تصنع . وهذا مانراه في شعر أمية فإذا تحدث عن

---

(١) ورد البيت يتيما في تفسير الطبري ٢ : ٤٨٩ ، واغلب الظن انه مطلع لقصيدة ضائعة ، وقد عثرنا على بيت آخر منها في المخصص ١٣ : ١٨٠ .

فكرة الموت في بعض قصائده ، وقف يتساءل عن رسول يخبر الناس عما يفصل بين ولادة المرء وموته ، ثم جعل يطلق حكماً عامة حول حتمية الموت ، إذ لامفر لأحد منه ، ومن العجب أن يبكي الأحياء أمواتهم ماداموا جميعاً بين سابق ولاحق :

ألا رسولَ لنا منّا فيُخبرَنا ما بُعْدُ غايَتِنا من رَأسِ مُجْرانا
بَينَا يُرَبِّبنا آباؤنا هَلكوا وبينما نقتني الأولادَ أفنَانا
وقد عَلِمْنا لوَ انّ العِلْمَ ينفعُنا أنْ سوف تَلْحقُ أُخْرانا بأُولانا
وقدعجبتُ وما بالموتِ من عَجَبٍ مابالُ أحيائنا يَبكونَ مَوتانا

ومن خصائص الحكمة الجاهلية أيضاً أن تأتي تعقيباً على موضوع الشاعر ، لتصوغ ماتقدم في قالب النتيجة أو ما يشبه القانون ، كما يتضح من معلقة زهير ، وهذا ما نلاحظه بجلاء في شعر أمية ، فهو يطيل مثلاً في قصة الغراب والديك ، ويشير إلى غدر الغراب بصاحبه ، ثم يعقب على أبياته بهذه الحكمة الاجتماعية :

فذلك مما أَسهَبَ الخَمْرُ لُبَّه ونادَمَ نَدْماناً من الطيرِ عاديا

ولأمية طائفة من الحكم وردت في أبيات فرادى أو مزدوجة جاءت متناثرة في بعض المصادر . فمن ذلك أن يكون المرء وسطاً بين التريث والعجلة ، ولا بأس عليه من السؤال ، لأنه ربما زاده تجربة ، وأفاده بأخبار يستريح إليها :

لايَذْهبَنَّ بكَ التفريطُ مُنتَظِراً طولَ الأناةِ ولا يَطْمَعْ بكَ العَجَلُ
فقد يَزيدُ السؤالُ المرءَ تَجْرِبَةً ويَستريحُ إلى الأخبارِ مَنْ يَسَلُ

وإذا كان السؤال مفيداً في معرفة الحقائق ، فالمعاينة أدعى إلى الوقوف على حقيقة مانجهل :

وقد يَقتلُ الجهلَ السؤالُ ويشتفي إذا عاينَ الأمرَ المُهِمَّ المعايِنُ
وفي البحث قِدْماً والسؤالِ لذي العَمَى شِفاءٌ وأشفَى منهما ما تُعايِنُ

تلك هي الحكمة في شعر أمية ، إما أن ترد في بداية مقطعاته ، وإما أن ترد في تضاعيف قصائده ، أو تأتي تعقيباً على القصيدة كلها . وهي ذات طابع ديني بوجه عام ، لأنها لاتخرج عن معاني التأله والدين ، إلا إلى ما يتصل بذلك من بعض المعاني الاجتماعية أو الانسانية العامة .

٣ ـ المديح والرثاء

أما المديح فلا نجد في شعر أمية منه ما نجده لدى الأعشى والنابغة وحسان وأمثالهم من تعرض للتكسب وإلحاح في طلب العطاء ، يقرب أحياناً من إراقة ماء الوجه ، فالنابغة وحسان قد اتخذوا من الشعر وسيلة للتكسب في بلاط المناذرة أو الغساسنة ، وذلك بالإضافة إلى ماتميز به النابغة من غرض آخر هو رعاية شؤون قبيلته في بلاط الحيرة أو بلاط الشام [١] . وأما الأعشى فما ترك أعجمياً ولا عربياً يمكن أن يُعطي إلاّ جرى إليه ومدحه ، حتى قيل : « إنه أول من سأل بشعره » [٢] . ولسنا الآن في مناقشة هذا القول ، ولكن مما لاريب فيه أن شعراء كثيرين ، قد تقدموا الأعشى وتكسبوا ، أمثال علقمة الفحل والنابغة الذبياني والمنخل اليشكري وسواهم . وكل مايهمنا أن أمية بن أبي الصلت قد تكسب بشعره ، ولكن تكسبه لم يكن من طراز هؤلاء جميعاً ، وإنما كان متلطفاً ، يمدح على استحياء ، وينال على خجل ، دون أن يريق ماء وجهه لأحد .

ومعظم مديح أمية قد أصفاه رجلاً ممن كانت تضرب الأمثال بثرائهم وجودهم ،

---

(١) ارجع الى العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ٢٨١ .
(٢) طبقات ابن سلام ٥٤ .

وهو عبد الله بن جُدْعان وكان من سادات قريش وأشرافهم [١] . إلا أنه كان في بداية أمره فقيراً كثير الشر ، يقوم بالجناية تلو الجناية ، ويكلف والده وعشيرته غرم ذلك كله ، حتى أبغضه قومه وطرده أبوه ، فخرج يريد أن ينتحر ، فوقع على كنز وتحولت به الحال إلى ذروة المجد والكرم في قبيلته ، فأصبحت جفنته يأكل منها الراكب على بعيره ، وبها يستظل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة[٢] ، وجعل يشرب ابن جُدْعان في إناء من ذهب ، حتى ضُرب به المثل فقيل « أقوى من حاسي الذهب » ، ولهذه المنزلة الرفيعة أصبح ابن جدعان أحد قضاة العرب في الجاهلية[٣] ، ولتقدمه في قومه نجده في وفد قريش إلى تهنئة سيف ابن ذي يزن بالنصر على الأحباش وطردهم من اليمن[٤] ، كما نجد داره ندوة لقريش أحياناً ، وفيها عُقد حلف الفضول[٥] ، وقد شهد رسول الله هذا الحلف ، وفيه يقول عليه السلام : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أُحب أن لي به حُمْر النعم[٦] ، ولو أُدعى به إلى الاسلام لفعلت »[٧] .

ومعنى ذلك أن أمية أمام رجل في غاية المجد والرياسة ، ولا ضير عليه وهو ذو الحاجة إن أصفاه جلّ مديحه ، ما دام سؤاله في نظر أمية لا يشين المادح كما يشين سؤال غيره من الناس :

عطاؤكَ زَيْنٌ لامرىء إنْ حَبَوْتَه بخير وما كلُّ العطاء يَزِينُ
وليس بشَيْنٍ لامرىء بَذْلُ وَجْهِه إليكَ كما بعضُ السؤالِ يَشِينُ

(١) قال ابن كثير : أما عبد الله بن جدعان « فسيد بني تميم وهو ابن عم والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه » . وفي عبارته تحريف ، والاصل « سيد بني تيم » أحد بطون قريش . البداية والنهاية ٢ : ٢١٧ .
(٢) ارجع الى البداية والنهاية ٢ : ٢١٧ ـ ٢١٨ .
(٣) انظر تاريخ اليعقوبي ١ : ٢١٤ ـ ٢١٥ .
(٤) تاريخ ابن عساكر ١ : ٣٦١ ، والبداية والنهاية ٢ : ٣٢٩ .
(٥) السيرة ١ : ١٤١ .
(٦) أي لا أحب أن انقضه ولو دفع لي حُمْر النعم في مقابل ذلك .
(٧) السيرة ١ : ١٤١ ـ ١٤٢ ، وللحديث وجوه أخرى في البداية والنهاية ٢ : ٢٩١ .

وهو لا يلح على عبد الله بن جدعان ، ولا يحدثه بفقره وإملاقه ، بل يسأله بكل تلطف : أأذكر حاجتي أم أن حياءك قد كفاني مؤونة ذلك ؟ بلى ! فأنت عالم بالأمور كريم لا تغيره أوقات النهار عما ألف من البر والجود ، وعطاؤك فوق كل عطاء ، لأن المرء يكفيه أن يصل إليك ثناؤه ، حتى تنيله من إحسانك ، وتسد حاجته من جودك وفضلك :

أأذكرُ حاجتي أم قد كفاني ... حياؤكَ إنَّ شيمَتكَ الحياءُ
وعلمُكَ بالأمور وأنتَ قَرْمٌ ... لكَ الحَسَبُ المهذَّبُ والسناءُ
كريمٌ لا يغيرُه صَباحٌ ... عن الخُلُقِ السَنيِّ ولا مساءُ
تُباري الريحَ مَكرُمةً ومجداً ... إذا ما الكلبُ أَجْحَرَه الشتاءُ
إذا أثنى عليكَ المرءُ يوماً ... كفاه من تعرُّضِه الثَّناءُ
فأرضُكَ كلُّ مكرمَةٍ بناها ... بنو تَيْمٍ وأنتَ لهم سَماءُ

وهي قصيدة رائعة كان القدماء يعجبون بها ، حتى قالوا بسببها إن امية أول من تلطف في المديح ، وقد رواها ابن رشيق ثم قال : « فأنت ترى هذا الاقتضاء ، كيف يلين الصخر ويستنزل القطر ويحط العُصْم إلى السهل »[1] ، وذلك لما فيها من صور رائعة عرض فيها جود ابن جدعان . ومعاني المديح فيها متلطفة حينا مهذبة حيناً آخر ، فهي تشمل حياءَ الممدوح من السؤال أو المديح ، وفضائله كالحسب المهذب والسناء والجود ، ثم تعتمد على مقارنة الرجل بقومه والمفاضلة بينه وبينهم في العلى والمكارم ، وكلها معان مستظرفة لطيفة لا تبدو فيها إراقة ماء وجه أبدا .

وهذه المعاني وليدة العصر الجاهلي والبيئة التي يعيش فيها الممدوح نفسه ، فهي من المعاني البدوية في المديح ، إذ لا تبدو عليها مسحة المعاني الحضرية التي تطالعنا

---

(١) العمدة لابن رشيق ٢ : ١٢٧ .

في مدائح النابغة وحسان وغيرهما ممن اتصل ببلاط المناذرة والغساسنة ، وتأثر بما يروق الأمراء فيها من أوصاف .

وهذه المعاني البدوية تظهر أكثر وضوحاً في قصيدة أخرى يمدح فيها ابن جدعان ، إذ لا نجد غير حديث القدور تكركر بفناء الممدوح ، وتغلي فيجاوب بعضها بعضاً ، وكأنها ضرائر في التسابق إلى الصياح ، والتنافر بما فيهن من طعام :

عَلِمَ ابنُ جُـدْعانَ بنِ عَمْـ	ـرٍو أنَّـه يومـاً مُسافِرْ
ومُسافِـرٌ سَفَراً بعيـ	ـداً لا يؤوب به المُسافِرْ
فقُـــدورُه بفنـــائِـهِ	للضَّيْفِ مُتْرَعَةٌ زَواخِرْ
تبدو الكُسُورُ مِنِ انْضِرا	جِ الغَلْيِ فيها والكَراكِرْ
فكأنَّهُنَّ بِـــا حَمِيـــ	ـنَ وما شُحِنَّ به ضَرائِرْ

وهذه الأبيات تُغرق في تصوير الواقع ، لأنها تقف عند الأمور الحسية الخالصة التي يمكن لكل إنسان أن يقع عليها عند ابن جدعان ، وهي القدور التي تغلي بأعضاء الإبل . وربما كانت هذه الأبيات قد صدرت عن بديهة وارتجال ، حين دخل أمية على عبد الله بن جدعان وهو يجود بنفسه ، فسأله أمية : كيف تجد يا أبا زهير ؟ فقال : إني لمدابر ، أي ذاهب . فقال أمية أبياته هذه[1] .

ولم يقتصر مديح أمية على عبد الله بن جدعان ، وإنما يبدو أنه مدح غيره من سادات العرب ، وقد أشرنا إلى مديحه لبني الديان في غير هذا الموضع ، ونجد له بعض المقطعات والأبيات الفرادى ، وهي لا تُعرف فيها شخصية الممدوح ، ولا ندري إن كانت في عبد الله بن جدعان أو في أحد سواه ، ومن ذلك قوله :

---

(١) الأغاني ٨ : ٤ .

والناسُ تحتكَ أقدامٌ وأنتَ لهُمْ ... رأسٌ وهل يتساوى الرأسُ والقدَمُ
إنّا لنَعْلَمُ أنّا مابقيتَ لنا ... فينا السَّماحُ وفينا العزُّ والكرَمُ
وحَسْبُنا من ثَناء المادحينَ إذا ... أثنَوْا عليكَ بأن يُثْنوا بما عَلِموا

وهو لا يبعد في هذه الأبيات عن معانيه السابقة في مديح ابن جدعان ؛ ويبدو أن الممدوح فيها لا يبتعد عن قبيلة أمية في ثقيف ، أو قبيلة أخواله في قريش ؛ يدل على ذلك قوله : « وحسبنا من ثناء المادحين » .

وأما الأبيات الفرادى فهي كثيرة ، ومن المحال تحديد شخصية الممدوح فيها وربما كانت جميعاً من قصائد ضائعة تدل على احتمال كثرة المديح في شعر أمية قبل أن تذهب بمعظمه يد الزمن . ولكن ما بقي من هذه القصائد رسم لنا اتجاه أمية في المديح ، فلا استجداء لديه ولا إراقة لماء وجه ، إذ يتلطف إن كان بحاجة ، ولكنه لا يصور حاله من الفقر والعوز ، ولا يذكر الكرم ليتخذ منه مطية إلى السؤال ، بل يذكره ضمن فضائل الممدوح ، فلا نجد لديه غير العفة والتعاطف مع من يمدح ، حتى ليبدو ذلك المديح أشبه بوصف لإنسان فاضل أو شكر لإنسان أسدى إليه معروفاً ، فاستحق أن يقول فيه شعراً من ثناء أو مديح .

وهذه الخصائص في مديحه قد أملاها عليه مافي طبعه من عفة وتأله ، ولذلك صَدَف عما يقابل المديح عادة من هجاء الناس والنيل منهم ، فلم يتخذ من الهجاء وسيلة للتكسب على طريقة الحطيئة ، ولم يشترك في الصراع القبلي الجاهلي كالذي كان مثلاً بين حسان بن ثابت وقيس بن الخطيم ، ولم نجد له غير أبياته في مديح بني الديان والتعريض بعبد الله بن جدعان ، وهي :

ولقد رأيتُ القائلينَ وفعلَهُمْ ... فرأيتُ أكرمَهُمْ بني الديّانِ
ورأيتُ من عَبْدِ المَدان خلائقاً ... فَضَلَ الأنامَ بهنَّ عَبْدُ مَدانِ

البُرُّ يُلْبَكُ بالشِّهادِ طعامُهُمْ   لا ما يعلِّلُنا بنو جُدْعـانِ

وهو تعريض فني خالص يبتعد عن قذف المحصنات ، أو نهش الأعراض ، أو تصوير المهجو على شكل مضحك يجعله سخرية على كل لسان . وربما كان مدفوعاً إلى ذلك بجفوة بينهما أو بسبب مجهول لم تحفظه لنا أخبار الرواة .

وثمة قصيدة واحدة لأمية تعرّض فيها إلى شيء من الهجاء ، وهي القصيدة التي قالها يوم بدر ، ولكنها لا تعتبر قصيدة هجاء مطلقاً ، لأنه لم ينتقص المسلمين فيها إلا في بيتين أسقطهما ابن هشام ، ولم نقف على أثر لهما ، وأما سائر الأبيات فهي مجرد رثاء لقتلى قريش وتحريض على الانتقام فحسب . والدافع إلى نظم هـذه القصيدة ما نعرفه من حسد أمية للرسول صلى الله عليه وسلم .

فالهجاء نادر في شعر أمية ، لأنه يتنافى مع طبعه وأخلاقه ، وبعيد عن الظن أن يقال إنّ هجاءه قد ضاع ، لأن مديحه قد نُقل إلينا ، ولو أن أمية كان قد اتخذ من الهجاء غرضاً بارزاً في شعره ، لحُفظ لنا طائفة منه ترافق ما حُفظ من المديح ، ولا سيما أن طبيعة التأله لاتتفق بحال مع الهجاء وما فيه من تعرض للناس على شكل من الأشكال .

ولهذا جاء الرثاء في شعر أمية ذا طابع خاص أيضاً . والرثاء ليس فرعاً من المديح ، ولا هو مدح للميت ، كما ذهب إليه بعضهم[1] ، وإلاّ فأين حديث العاطفة الحزين ، وأين الحرقة واللوعة الصادقة ، وأين البكاء والنحيب الذي ينبعث من أعماق نفس جريح ! إن الرثاء لم يتطور عن المديح ، » وإنما هو تطور عن تعويذات كانت تقال للميت وعلى قبره حتى يطمئن في لحده . وبمر الزمن تطور الرثاء عندهم إلى تصوير حزنهم العميق إزاء ما أصابهم به الزمن في فقيدهم ، فتلك التعويذات

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ١ : ٨٦ ، وقارن بالعمدة ٢ : ١١٧ — ١١٨ .

أصبحت وخاصة عند نسائهم بكاء ونواحاً وندباً »[١] . وإذا وجدنا ضرباً من الرثاء يشيد بفضائل الميت وصفاته ، فهو إما أن يكون وليد حزن ولوعة تحيل الماضي إلى حقيقة ماثلة أمام عين الشاعر ، كرثاء الخنساء أخويها صخراً ومعاوية ، ورثاء المهلهل بن ربيعة أخاه كليباً ، وإما أن يكون ذلك الرثاء مجرد سرد لصفات الفقيد ، دون أن يلمس جانب الحزن واللوعة في نفس الشاعر ، وهو بذلك قد يقترب من المديح ، ولكنه يبتعد عن أصالة الرثاء الحقيقي ، ومن النوع الثاني رثاء أمية بن أبي الصلت .

فأمية في رثائه لايعاني شيئاً من اللوعة والحزن أو الألم أو ما أشبه ذلك مما تبعثه في النفس تجربة صادقة بفقد إنسان عزيز . ففي قصيدة بدر تكثر الألفاظ الغريبة والجرس الخشن المفحوح ، ويختفي وراء ذلك جمود في عاطفة الرثاء ، وذلك لأنه لايندفع بإحساس عميق بالفاجعة ، ولا يصدر عن تجربة صادقة في رثاء قتلى بدر من المشركين ، إذ ماكان يهمه قتلى بدر بقدر ماكان يهمه التحريض على قتال الرسول ، ولهذا عمد إلى ألفاظ التهويل والإثارة ، لا إلى ألفاظ الحزن والأسى ، يتضح ذلك من هذه الأبيات :

ماذا بِبَدْرٍ فالعَقَنْـ ... قَلِ مِن مَرازِبَةٍ جَحاجِحْ
فمَدافِعِ البَرْقَيْنِ فالْـ ... حَنَّانِ من طَرَفِ الأواشِحْ
شُمْطٌ وشُبَّانٌ بَهَا ... لِيلٌ مَغاوِيرٌ وَحَاوِحْ
ألاَ تَرَوْنَ كما أرَى ... ولقد أبانَ لكلِّ لامِحْ
أنْ قد تَغَيَّرَ بَطْنُ مكـ ... ـةَ فهْيَ موحِشَةُ الأباطِحْ
مِن كُلِّ بِطْرِيقٍ لبِطْـ ... ـرِيقٍ نَقِيِّ اللونِ واضِحْ
دُعْموصِ أبوابِ المُلو ... كِ وجائِبٍ للخَرْقِ فاتِحْ

---

(١) العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ٢٠٧ ، وانظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١ : ٤٧ ـ ٤٨ .

ومِن السراطِمَةِ الخَـلا ... جِمَةِ المَلاوثَةِ المَناجِحْ

وهو في بداية القصيدة يدعو إلى البكاء على القتلى ، ولكنه لايذرف دمعة عليهم ، وأما في سائر أبياتها ، فيعدد أوصافاً يمكن أن تقال فيهم وفي غيرهم على السواء ، لأنها مجموعة من الأوصاف العامة ، تجمع بين الشجاعة والاقدام والغنى والجود . وهو مع ذلك لايصور عاطفة حزينة ، وإنما يعبر عن عاطفة الاستثارة والحقد والحض على الانتقام والقتال .

وإذا سكت لسان مثل هذه العاطفة ، لم نجد غير معان جافة ليس فيها غَناء ، وذلك في رثائه زمعة بن الأسود وقتلى بني أسد يوم بدر ، وكان زمعة من سادات قريش ، وأحد المحرضين على قتال المسلمين ، وفيها يقول :

فعلى مِثْلِ هُلْكِهِمْ خَوَتِ الجَوْ ... زاءُ ، لاخانَةٌ ولا خَدَعَهْ
وهُمُ الأسرَةُ الوَسيطَةُ من كَعْـ ... ـبٍ وفيهِمْ كذِرْوَةِ القَمَعَهْ
أنبتُوا مِن مَعاشِرٍ شَعَرَ الرَّأْ ... سِ وهُمْ ألحقوهُمُ المَنَعَهْ
فَبَنُو عَمِّهِمْ إذا حضَرَ البَأْ ... سُ عليهمْ أكبادُهُمْ وَجِعَهْ
وهُمُ المطعِمونَ إذْ قَحِطَ القَطْـ ... ـرُ وحالَتْ فلا تَرَى قَزَعَهْ

وتركيب هذه الأبيات مع هذه القوافي الخشنة ، يدل على عدم هياج عاطفة الرثاء لديه ، لأنها لاتبعث في النفس أي تعاطف مع الموضوع ، ولا تحدث شيئاً من عاطفة الحزن والأسى ، ولاتثير إحساسا بجلل الخطب أو المصاب ، ومجرد مقارنتها بأبيات قالها الأسود بن عبد يغوث والد زَمَعَة يرثيه بها ، يدل على الفارق الكبير بين عاطفة القصيدتين [1] . ويزداد الأمر وضوحاً حين نقارن قصيدتي أمية بقصيدة قالتها قُتَيلة بنت الحارث أخت النضر بن الحارث ترثي فيها أخاها النضر،

---

(١) أنظر أبيات الأسود بن عبد يغوث في تاريخ الطبري ٢ : ١٦١ .

بعد أن أسر في معركة بدر ، وضربت عنقه لما أسلفه من إيذاء الرسول والمسلمين[١]. ففي هذه القصيدة تجربة حزن وألم عميق تصدر عنها الأبيات جميعاً ، وإذا بها تجمع بين اللوعة والعتاب والرجاء ، فلا تترك منفذاً إلى نفس السامع إلاّ دخلت منه ، لتثير فيه عواطف شتى من الحزن والشفقة والثورة بقاتل أخيها . أما رثاء أمية لقتلى قريش أو قتلى بني أسد فلا نجد فيه غير الجمود ، ولعل سبب ذلك أن مزاج أمية كان لايتلاءم مع موضوع الرثاء ، لأن من العجب لديه أن يبكي الأحياء أمواتهم :

بينا يُربّبُنا آباؤنا هلَكوا   وبَينَما نَقْتَني الأولادَ أفنانا

وقد عَلِمْنا لوَ انّ العِلْمَ يَنفعُنا   أنْ سوف تَلحَقُ أُخرانا بأُولانا

وقدعجبتُ وما بالموتِ من عجَبٍ   مابالُ أحيائنا يبكون مَوْتانا

فمصدر العجب لديه أن الموت لامفر منه لأحد ، فآباؤنا هلكوا عنا ، ونحن هالكون عن أبنائنا ، وقد علمنا يقيناً أن الناس إلى الموت لامحالة . ومثل هذه المعاني التي وردت مراراً في شعره ، قد تكون هي السبب في كل مالاحظناه من مقومات رثائه .

٤ ـ موضوعات مختلفة

وفي شعر أمية عدد من الموضوعات الأخرى كالنسيب والفخر والعتاب والوصف . وفي النسيب لانقع عند أمية على غزل طرفة بن العبد أو امرىء القيس ، وكل ماتنقله كتب الأدب من غزله يبدو وكأنه من آثار شبابه الأول ، ومن ذلك قوله في تصوير ليلة قصيرة :

---

(١) انظر قصيدة قتيلة بنت الحارث في عيون الأثر لابن سيد الناس ١ : ٢٩١ ـ ٢٩٢ ، وزهر الآداب ١ : ٢٧ ـ ٢٨ .

ياليــلةً لم تــبِـنْ من القِصَرِ كأنّها قُبْلَةٌ على حَـذَرِ
لم تـكُ إلاّ كلا ولا ومَضَتْ تَدْفَعُ في صدْرِها يَدُ السَّحَرِ

وهي ليست بشيء إذا ماقيست بالغزل المادي الماجن عند طرفة وامرىء القيس . ونجد لأمية بيتاً آخر يتحدث فيه عن « ليلى » وما يلقاه من تباريح الشوق والهوى :

وإنّي بليلى والدّيارِ التي أرَى لـكالمُبتلى المعنّى بشوق موكّلِ

وفي مجمهرة أمية نجده يبدأ القصيدة بوصف الأطلال في خمسة أبيات ، فيشير في مطلعها إلى « زينب » ، ثم يشير في آخرها إلى « لبينى » في إحدى الروايات ، وتستقل أبيات الأطلال بالحديث عما أحدثته بها الرياح العاصفات ، وما أبقته من طلول بالية مهدمة ، دون أن تبعث هذه الأطلال شيئاً من الصبابة والشوق والهوى ولا سيما بعد أن نسبها إلى « زينب » أيامَ كانت تسكنها قبل الرحيل ، ومع ذلك لانجد أثراً للحديث عن زينب ، فلا وصف لمحاسنها ، ولا تصوير لحالة نفسية تتصل بها ، مما يدل على أن أمية لم يذكر زينب وأطلالها إلاّ لتكون مقدمة تقليدية لموضوع الفخر في القصيدة ، ولو أن هنالك تجربة شعورية ترتبط بأطلال زينب ، لشدته حتما إلى بعض الاستطالة في هذا الموضوع لتصوير بعض جوانب الماضي وذكرياته ، كالذي نجده في تصوير زهير لأطلال أم أوفى ثم انتقاله إلى رسم شريط من الصور والمشاهد ، بعد أن استحال الوهم إلى مايشبه الحقيقة ، فدعا خليله أن يتبصر هذه المشاهد بعينه لا أن يتخيلها بعقله ، وذلك لأن زهيراً كان يرتبط بتلك المشاهد فعلاً أيام كانت الدار مأهولة بساكنيها ، وكان حبله مازال بأم أوفى موصولاً .

وهذا يشير إلى أن أمية ربما كان لايعدد هذه الاسماء مثل زينب ولبنى وليلى إلا جرياً وراء الأسلوب التقليدي ، دون أن يكون وراءها نساء معينات ، أو دون

أن يكون وراءها امرأة معينة يكني عنها بأسماء متعددة ، وذلك لأننا لانعثر في هذه المقدمة التقليدية على إشارة تثير في الأبيـات بعض ماينبغي أن يتوفر لتصوير تجربة حية في الغزل .

ولكن ثمة قصيدة أوردها بور Power لأمية عن مخطوطة للجمهرة في المتحف البريطاني[1] ، وهي إن صحت لأمية بن أبي الصلت فعلاً ، كان لهـا أن تغير ذلك الحكم في غزله ، لأن موضوع النسيب فيها يحتل ثمانية عشر بيتاً ، منهـا هذه الأبيات :

غـدا جِيرانُ أهلكَ ظاعِنينـا ... لدارٍ غَيْرِ ذلـكَ مُنْتَوينا

وشاقَكَ للحُدوجِ حُدوجِ سَلمَى ... وقد بَكَرَ الخَليطُ مُجاورينـا

رَمَيْتَهم بعَيْنَـكَ والمطـايا ... خَواضِعُ في الأزِقّةِ يَعْتَلينـا

فهيَّجَ مِن فؤادِكَ طُولَ شَوْقٍ ... فراقُ الجِيرَةِ المُتَصدِّعينـا

أرَى الأيامَ قد أحدَثْنَ بَيْناً ... بسلمى بَغْتَةً ونَوىً شَطُونا

فإنْ تَكُنِ النَّوَى شَطَّتْ بسلمى ... وكنتَ بقُرْبِها وبها ضَنينـا

لقد كُنّا نَرَى بألذِّ عَيْشٍ ... وأفضَلِ غِبْطَةٍ مُتَجاورينـا

لَيـاليَ تَسْتَبيكَ بمُسْبكِرٍ ... لها منه الغَدائِرُ يَنْثَنينـا

على مَتْنَيْ مُنَعَّمَةٍ حَصانٍ ... يَرُوعُ جمالُهـا المُتأمِّلينا

أفي سلمى يُعاتِبُني أبوهـا ... وإخوتُها وهُمْ لي ظالمونـا

فهذه الأبيات سهلة التراكيب نسبياً ، متدفقة العواطف ، مما يدل على صلتها بقلب صاحبها ، ولا سيما أن اسم « سلمى » يتكرر مرة بعد أخرى ، والأسلوب يتقلب من لون إلى لون ، وتكثر الصور الموضوعية فنرى شَعَر سلمى وغدائرها

(١) E. Power in MFO v (1922) , P. 153

ومتنيها وذراعيها ولونها وعفتها ، ثم يقف عند تصوير جانب ذاتي آخر فنرى عتاب أبيها وإخوتها ، ولو سرنا مع أبيات القصيدة لا ستوقفتنا مقابلات أخرى بين حاله وقد لان فؤاده ، وحالها وقد غلظت عليه . وهذا كله يدل بلا ريب على أصالة الغزل في هذه الأبيات ، وهي إن صحت لأمية ، فهي تدل على أصالة الغزل في شبابه ، وبذلك تنقض بعض ما رأيناه في شعر أمية الموثق من أحكام تتصل بموضوع الغزل .

فشعر أمية الشاب لا يخلو من الغزل والنسيب ، وكذلك لا يخلو من التمدح بخصال الآباء ، وذلك لمكانته في ثقيف ، ومكانة أخواله بني عبد شمس في قريش ، ولهذا فالفخر ينبغي أن يكون وفيراً في شعره ، ولكننا مع ذلك لا نجد إلاّ قصيدته المجمهرة ثم أبياتاً متفرقة يبدو أنها بقايا من قصائد ضائعة ، وهي جميعاً من آثار شبابه الأول .

وفي أبياته المتفرقة جميعاً لا يخرج عن الفخر بقومه ثقيف ، فهو يفخر حينا بثقيف وعزها المنيع ، وحينا يفخر بدار قومه المرتفعة بالطائف ، وحيناً آخر يفخر بقومه إياد الذين ارتحلوا إلى العراق واشتهروا فيها بالخط والكتابة ، وهو في ذلك كله لا يتحدث عن نفسه مطلقاً ، وإنما ينطق دائماً بلسان قومه أو قبيلته ، ولا تخلو هذه الأبيات من حماس الشباب وإقدامه على التبجح أحياناً .

وهذه الخصائص تبدو واضحة في مجهرة أمية ، فليس فيها أثر لروح أمية الشيخ ، ولا يظهر الأسلوب الهادىء الرصين الذي رأيناه لشعره فيما بعد ، وإنما نجد سمات الشباب واضحة في مثل هذه الأبيات :

وأرصدنا لرَيْبِ الدهرِ جُرْداً ... لَتهاميمـــاً وماذِيّــاً حَصينا
وخَطيّاً كأَشْطانِ الرَّكايـا ... وأسيافاً يَقُمْنَ ويَنْحنينـــا
وتُخبِرُكِ القبائلُ مِنْ مَعـدٍّ ... إذا عَدُّوا سِعايَـةَ أَوَّلينا

بأنَّا النازلونَ بكلِّ ثغرٍ ... وأنَّا الضاربونَ إذا التقينا
وأنَّا المانعونَ إذا أردْنَا ... وأنَّا العاطِفونَ إذا دُعينا
وأنَّا الحاملونَ إذا أناخَتْ ... خُطوبٌ في العَشيرةِ تَبتَلينا
وأنَّا الرافعونَ على مَعَدٍّ ... أكُفّاً في المكَارِمِ ما بَقِينا
أكُفّاً في المكارم قَدَّمَتْها ... قُرونٌ أورثَتْ مِنّا قُرونا
نُشرِّدُ بالمَخافةِ مَن نآنا ... ويُعْطِينا المَقادَةَ مَنْ يَلِينا

فالقصيدة أشبه بميدان لخيل ملهبات في جري سريع ، وبما أن الشاعر في أول أمره يسعى إلى التقليد والمحاكاة ، فلذلك اتخذ أمية من معلقة عمرو بن كلثوم مطية لقصيدته في بحرها ورويها وأسلوبها وكثير من معانيها وتراكيبها وأشطارها ، إذ كانت معلقة ابن كلثوم ملحمة بني تغلب في ذلك الحين .

وفي القصيدة نجد نموذجاً حياً لبعض مناحي الفخر الجاهلي عامة ، إذ نقع على شخصية أمية في بداية فخره ، ثم لا يلبث أن ينقلب ضمير المفرد إلى ضمير الجمع ، ويختفي وجه أمية ، لنرى وجه قومه من نزار ، ثم تنطلق أحاديث المجد والشجاعة ، لتكون جسراً يمتد بشاعرنا إلى تمجيد نزار وما أعدته للحروب ، وما أرصدته لريب الدهر ، وهنا نجد معاني القوة والهيبة والسيطرة والمكارم ، وكلها تتحدث عن القوم جميعاً ، دون ذكر للأفراد ، حتى ولا لأمية نفسه .

وقد لاحظنا فيما أنشدناه من أبياتها تلك المعاني التي يعمد إليها في فخره ، وهي من المعاني الجاهلية المألوفة ، كما أنها تعتمد على أسلوب الجاهليين نفسه في المقارنة والمقايسة بين القبائل ، وهو من أبرز الأساليب الجاهلية في الفخر والمدح والهجاء .

إلا أن فخر أمية يخلو تماماً من بعض المعاني التي لا تتلاءم مع طبعه وما عُرف عنه من تحنف وابتعاد عن مفاسد ذلك العصر ، فأمية قد صدَّ عن الأوثان والخمرة والميسر والقداح ، ولهذا لانجد في فخره شيئاً من المعاني التي تتصل بمثل هذه الموضوعات ،

فلم يفخر بحضور الميسر والمقامرة ، مع أن أكثر الجاهليين كانوا يفاخرون بذلك ويرون فيه ضرباً من الجود والكرم ، أما الامتناع عنه فكان ضرباً من اللؤم في نظرهم[١] . ومثل ذلك الخمر ، إذ كانت هي الأخرى موضع فخر الجاهليين ، فهم يفخرون بشرب الخمرة ، وإهانة المال في سبيلها ، ويفخرون بتقديمها للندامى ، وقد يصفون الخمرة وأدوات صنعها أحياناً ، وقد يصفون الساقي أو الساقية وطرائقهم في شراء الخمرة من الخمار[٢] ، وهذا كله لا وجود له فيما بلغنا من فخر أمية ، وقد يذهب الظن إلى أن ذلك قد يعود إلى ضياع قسم من أشعاره لم يصل إلينا ، ولكن مثل هذا الظن يمكن أن يدافعه طبع أمية وميله عن الخمرة واللهو عامة .

وفي شعر أمية شيء من العتاب ، إلا أنه ليس عتاباً للمدوح أو اعتذاراً له شأن النابغة مع النعمان ، لأن ذلك لاسبيل له إلى لسان أمية بعد ما عرفناه من أمره ، ولكن الأهل قد تدب بينهم الشحناء ، فيأتي العتاب بلسما يرأب الصدع ويلم ما تشتت من أواصر ، فإذا بَدَر من أبناء العم ما يسوء قام يعاتبهم طرفة بن العبد[٣] والحارث بن حلزة[٤] ، وإذا ظهر من الأبناء عقوق قامت أم ثواب تصور ما نالها من عقوق ولدها بعد أن زوجته[٥] ، ونهض معن بن أوس يلخص هذه الظاهرة بقوله في ابن أخته :

أعلمُه الرمايــــةَ كلَّ يومٍ فلما اشتدَّ ساعدُه رماني[٦]

ولكن أمية بن أبي الصلت قد رسم صورة حية لهذه الحالة الاجتماعية ، التي قد تظهر حيناً بعد حين ، وهي عقوق الأبناء أحياناً ، ورميهم آباءهم بالحمق والخرف

---

(١) انظر أدب الكاتب لابن قتيبة ٢٩٢ ، والاقتضاب ٤٤٦ .
(٢) ارجع الى العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ٣٣٣ وما بعدها ، وطبقات ابن الانباري ٤٤ ، وانظر الفخر في معلقة لبيد ، ومعلقة عمرو بن كلثوم .
(٣) ارجع الى معلقته : المعلقات السبع ٧٦ — ٧٧ .
(٤) ارجع الى أمالي ابن الشجري ١ : ٧ .
(٥) ارجع الى حماسة أبي تمام ١ : ٢٧٣ — ٢٧٤ .
(٦) الوشاح لابن دريد ٥٢ .

وما إليه ، مع أن الآباء لا يقابلون ذلك بغير الاشفاق دون أن يقسو منهم قلب أو لسان ، ولهذا تحدث أمية بألفاظ ما يزال يقولها كل شيخ إن رماه الزمن بالولد العاق ، فقال معاتباً ولده :

غذوتـُكَ مولوداً وعُلتُكَ يافعـاً تـُعَلُّ بما أُدْني عليكَ وتَنْهَلُ
إذا ليلةٌ نابتْكَ بالشكوِ لم أَبِتْ لشكواك إلاّ ساهراً أتململُ
كأني أنا المَطروقُ دونَكَ بالذي طُرِقْتَ به دوني فعَيْناي تَهمُلُ
تَخافُ الردى نفسي عليكَ وإنّها لتَعلمُ أنَّ الموتَ حَتْمٌ مؤجّلُ

إن أمية يستعيد صور الماضي منذ أن كان ذلك الولد العاق طفلاً ، وبهذا الشريط من الصور ، بدأ عتابه لولده ، لقد ربيتك صغيراً وعلتك كبيراً ، فإن أصابك ليلاً ما يسوء ويؤذي ، بتُّ ساهراً أتقلب على الجمر لشكواك ، وكأن ما أصابك قد أصابني من دونك ، بل كنت أخاف الردى عليك ، وإن كنتُ أعلم علم اليقين أن الموت على الناس محتوم بآجال محددة .

وبعد أن رسم صورة الوالد الحدب الشفوق ، راح يصور ذلك الولد العاق ، في شريط آخر من الصور التي تجنح إلى الرقة والعتاب ، لا إلى القسوة والانتقام :

فلما بلغتَ السِّنَّ والغايةَ التي إليها مَدى ما كنتُ فيكَ أُؤمّلُ
جعلتَ جزائي منكَ جَبْهاً وغِلْظَةً كأنكَ أنتَ المُنعِمُ المُتفضِّلُ
وسَمّيْتَني باسمِ المُفَنَّدِ رأيُهُ وفي رأيكَ التفنيدُ لو كنتَ تَعْقِلُ
فليتَكَ إذ لم تَرْعَ حَقَّ أُبوتي فعلتَ كما الجارُ المُجاورُ يَفْعَلُ
تَراهُ مُعِدّاً للخلافِ كأنّهُ بِرَدٍّ على أهْلِ الصوابِ مُوَكّلُ

وهو في هذه الابيات لا يقسو على ولده ، وإنما يخاطبه بكل رفق ، ليقيم شيئاً من المقارنة بين حاله وحال ذلك الولد العاق ، وبذلك يقابل بين حالتين ،

الأولى ما أسلفه لولده من رعاية وتربية ، والثانية ما جزاه به ولده من جحد واتهام وعقوق ، ولهذا يركز على الجانب الثاني في عتابه مخاطباً ولده : فلما بلغت سن الرجال ، وهذا ما كنت أرجوه لك ، كان جزائي منك غلظة وعقوقاً ، وكأنك أنت صاحب الفضل عليّ ، ونسبتني إلى التفنيد والخَرَف ، مع أن التفنيد في رأيك أنت ، إذ لو كنتَ عاقلاً لميزت بين الخير والشر ، فليتك إذ لم تعاملني معاملة الابن لأبيه ، كنتَ عاملتني معاملة الجار لجاره ! .

وبهذا الأسلوب الذي يستل مكنون الضغائن ، عاتب ولده ودلّه على الطريق القويم ، فجاءت أبياته مطبوعة النظم ، سهلة الأسلوب ، رصينة العبارة ، جزلة الألفاظ ، دقيقة الصور ، وإذا بالقصيدة تحيي تجربة أمية ، وتجعل منها نموذجاً لظاهرة اجتماعية قد تظهر بين حين وآخر .

ومن خلال تلك الموضوعات المختلفة يبرز موضوع الوصف في شعر أمية ، إذ أن الوصف عند الجاهليين لا يستقل غالباً في قصائد خاصة به ، وإنما يرد عَرَضاً ضمن موضوعاتهم المختلفة في القصيدة ، ولا سيما في مقدماتهم التي تصف الأطلال وما حل بها بعد ترحل أصحابها ، وقد يعمد الشاعر إلى وصف ناقته والطريق أثناء ترحله ، وغالباً ما يشبه تلك الناقة بالظليم أو الثور أو حمار الوحش ، ومجرد هذا التشبيه قد يدعوه إلى وصف حمار الوحش أو الثور ، وقد يمتد الوصف إلى مطاردة بينه وبين الصياد ، وإذا ورد حديث الصيد كان باباً إلى وصف الفرس السريع والكلاب المدربة والصُّحْب قبل الصيد وبعده ، وهكذا نجد الوصف يتخلل موضوعات الجاهليين دون أن تنفرد له قصيدة خاصة به[1] .

ولهذا لانتوقع عند أمية قصائد أو مقطعات خاصة بالوصف على نحو مانجده

---

(١) ارجع الى العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ٢١٤ ــ ٢١٧ .

في الأدب الأندلسي أو لدى بعض شعراء العصر العباسي أمثال الشاعر الصنوبري ، وإنما نجد الوصف في تضاعيف موضوعات أمية المختلفة . وفي وصفه قد تناول جانباً من الطبيعة المتحركة ، وجوانب متعددة من الطبيعة الصامتة ، ففي قصائده الدينية يتعرض لوصف الطوفان والسفينة والحية والحمامة وبعض مظاهر الطبيعة كالنجوم والنبات والحيوان ، وفي قصائده غير الدينية نجد أوصافاً للأطلال والحمّام وأيام القحط وقدور الممدوح وغير ذلك . وهنالك أبيات فرادى تدل على أن أمية قد تناول بالوصف أموراً أخرى لانجدها في تلك القصائد ، ومن ذلك بيت في وصف مطر شديد :

لهُ نَفَيانٌ يَحفِشُ الأُكْمَ وقعُه تَرى التُّرْبَ منه مائِراً يَتَثَلَّلُ

ومنها بيت في وصف فرس :

كُميتٌ بَهيمُ اللَّونِ ليس بفارضٍ ولا بخَصيفٍ ذاتِ لونٍ مُرَقَّمِ

وأمثال هذه الأبيات لايبعد أن تكون بقايا من قصائد ضائعة ، مما يدل على أصالة هذا الموضوع في شعر أمية ، وعلى تنوع الموضوعات التي وصفها في شعره .

وأمية في وصفه قد يقف عند الأمور الذاتية الداخلية ، فيصورها تصويراً يبرزها في أنفسنا حتى لكأنها تمثل في مشاعرنا ، وبذلك نتعاطف معها ، وكأنها تجربة شعورية قد خبرناها بأنفسنا وليست مما يتلى علينا ، ومن ذلك قصيدته في عتاب ولده التي سبق أن أشرنا إليها .

وأمية في هذه القصيدة مصور بارع ، لأنه رسم تلك العواطف الداخلية ، المتباينة في صور تبرزها واضحةً ، قريبةَ المتناول ، سهلة التأثير ، فقد عرض

أبرز صورة تمثل الحنان الأبوي ، إذ وضع طفلاً مريضاً وأبا تذهب نفسه حسرات عليه ، وكأنه هو المريض بالذات ، والخوف يملأ نفسه أن تمتد يـــد المنون إلى طفله ، ثم لم يكتف أمية برسم هذه الصورة العامة ، بل حدد لها زمـانـاً يضفي عليها ظلالاً خاصة ، فجعل ذلك ليلاً ، والليل يدعو إلى بعض التفصيلات المثيرة كالسهر والتقلب على الفراش ، فتم له تصوير عواطفه الداخلية تصويراً رائعاً يقربـه من كل نفس . ثم مالبث أن قلب المشهد ليقيم مفارقة فنيه رائعـة ، إذ كبر الابن وهرم الأب ، وأصبحنا نتوقع أن يرد على أبيه بعض فضله ، وإذا به عاق يسخر من ذلك الشيخ ، ويرميه بالتفنيد والخرف ، ولا يجزيه بما أسلف إليه إلاّ عقوقاً وغلظة في وقت هو أدعى مايكون فيه إلى العون والمساعدة .

وبهذه المفارقة الفنية استطاع أمية أن يصور مافي نفسه من عواطف ، وما في نفس ولده من عواطف مخالفة ، ثم قابـل بين الصورتين ، ليُظهر العقوقَ في أجلى معانيه ، وبذلك أقنـع النفس الانسانية بحقه ثم راح يطالبها بأن تحكم له على ذلك الولد العاق .

وفي شعر أمية أمثلة كثيرة لهذا الجانب الفني من الوصف ، فإذا تحدث عن الحمامة لم يكتف ببعض أوصافها الموضوعية الخارجية ، وإنما تسرب إلى داخلهـا ، فراح يصور مايمكن أن يختلج في نفسها من عواطف ، ولذلك عمد إلى التجسيم ، فجعل الحمامة أشبه بالانسان تماماً ، فهي تظهر الجرأة والاقدام على الصعـــاب في إحدى القصائد ، وفي قصيدة أخرى تظهر كالانسان الذكي الذي يبحث ويتفكر في نتائج الأمور ، وبذلك تغلغل أمية في نفسية الحمامة ، وعقد مقارنة بين مايختلج في نفس حمامته ، ومـا يختلج في صدور الناس ، فهي تحب السلم لها ولأبنائها ، وهم يتصفون بالعدوان طلباً للسلب والنهب ، وهي تدرك ذلك منهم ، ولهـــذا تطلب ألا يكون طوقها من ذهب خوفاً أن تقتلها نبال الناس بسببه :

فجاءَت بقِطْفٍ آيَةً مُسْتَبينةً فأَصْبَحَ مِنها مَوْضِعُ الطِّينِ جادِيا
على خَطْمِها واستَوهبتْ ثَمَّ طوقَها وقالتْ ألا لاتجْعَلِ الطَوْقَ باليا
ولا ذَهَباً إنِّي أخافُ نبالَهُمْ يَخالونَهُ مالي وليس بماليا

وفي أسطورة الديك والغراب نجد وصفاً رائعاً في مفارقات بديعة بين عنصرين مختلفين ، الأول طيب السريرة يمثله الديك ، والثاني مخادع ينطوي على الشر ويمثله الغراب ، فهما صديقان يجمع الشراب والإدمان بينهما ، وقد شربا عند خمار هذه المرة وليس لديهما ثمن لذلك ، ولهذا يستعير الغراب جناح الديك ، ثم يدع الديكَ رهينة عند الخمار ويمضي ليأتي بالثمن ، وقبل أن يخفق بجناحيه لابد أن يختلج بعض العواطف في نفسية الديك ، ولا بد من مشاعر خاصة تقفز إلى جنانه ، ولذلك بدأ أمية بتصوير هذه العواطف وتلك المشاعر ، وإذا بالديك يَدِلُّ على صاحبه ويثق به ، ولكنه لايلبث أن يَظْهر عليه الشك ، فيخاطب الغراب قائلًا إني كما تراني رهينة عند الخمار ، فخذ جناحي وعد سريعاً ولا تمكث ساعة أو بعض ساعة ، ولا تبْقَ حتى طلوع الشمس ، فإني أخاف ان يستحق علي الرهن وأبقى أسيراً عند الخمار :

أَدَلَّ عليه الدِّيكُ إنِّي كما تَرَى فأَقْبِلْ على شَأْني وهاكَ رِدائيا
أَمِنْتُكَ لاتَلْبَثْ مِنَ الدَّهر ساعةً ولا نِصْفَهـا حتى تَؤوبَ مآبِيا
ولا تُدْرِكَنْكَ الشمسُ عندَ طلوعها فأَغْلَقَ فيهمْ أو يَطولَ ثَوائيا

هذه صورة ذاتية تحاول أن ترسم حالة نفسية كان يعانيها الديك حين تخلى عن جناحيه ، ورضي أن يبقى رهينة عند الخمار . أما الغراب فكان كاذباً فيما وَعَدَ به ، ولم يكن في نيته أن يعود ولا سيما بعد أن أخذ جناحاً قوية على التحليق البعيد ، ولهذا أخذ أمية بتصوير الخديعة في كلام الغراب ، إذ أنطقه بعدد من الأدلة الواهية على عودته وهي تمتاز بالمَلَق والمراوغة فحسب :

فرَدَّ الغرابُ والرداءُ يَحوزُه إلى الديكِ وَعْداً كاذباً وأمانيا

بأيَّةِ ذنبٍ أم بأية حُجَّـةٍ أدَعْكَ فلا تدعو عليَّ ولا ليا

فإني نَذَرتُ حِجَّةً لن أعُوقَها فلا تدعوَنِّي دَعْوةً من ورائيا

تطيرتُ منها والدعاءُ يَعُوقُني وأزمعتُ حجاً أنْ أطيرَ أماميا

فلا تَبْتئِس إني مع الصُّبحِ باكراً أُوافي غداً نحو الحَجيجِ الغواديا

لحبِّ امرئٍ فاكهتُه قبلَ حِجّتي وآثرتُ عَمْداً شأنَه قبلَ شانيا

وإذا تابعنا القصيدة وجدنا أمية قد عاد مرة أخرى إلى تصوير نفسية الديك حين شعر بمرارة الأسر الدائم ، إذ انكشفت له خديعة الغراب وغدره به . وهذا كله تصوير بلا شك لعواطف ذاتية محضة ، أبرزها من خلال التجسيم والحوار معاً، وكأنه أراد من ذلك أن يمثل بالديك إنساناً طيب القلب صافي السريرة حسن النية ، ومثل هذا الانسان من السهولة أن يقع في ربقة أي مخادع مراوغ ، وبالمقابل كان الغراب يمثل إنساناً مخادعاً مراوغاً يسعى بالحيلة إلى اصطياد البسطاء والإيقاع بهم . وصحيح أن حديث الديك والغراب عبارة عن أسطورة تعرفها العرب[١] . إلا أن هذا التصوير الذاتي ، هو الذي يعطي الأبيات قيمتها الفنية ، لما فيه من مهارة وإبداع ، سواء في تصوير جزئيات تلك الخلجات النفسية ، أو في الإطار العام الذي استطاع أن يخرج الأسطورة فيه .

ورغم ذلك كله فمثل هذا التصوير الذاتي الداخلي في وصف أمية ، لايمكن أن يسمى تحليلاً نفسياً ، لأنه سريع التنقل من صورة إلى صورة ، وغالباً مايصور الحالة الشعورية كلها بصورة جزئية في بيت من القصيدة أو في جزء من البيت ، مع أنه لو أراد التحليل الفعلي لوجد مجالاً واسعاً لايمكن استيعابه بهذا التنقل

---

(١) الحيوان ٢ : ٣٢٠ .

السريع ، ومثل ذلك لا يلام عليه أمية ولا غيره من الشعراء ، لانه سمة عامة في الشعر العربي القديم ، وذلك لأسباب متعددة أهمها شكل القصيدة العربية ، واستقلال البيت فيها ، ثم قد يكون للبيئة الجاهلية وما فيها من بساطة وتنقل سريع أثر في إبعاد القوم عن الوقوف طويلا عند مثل هذا الموضوع .

ولا يقتصر الأمر على الوصف الذاتي الداخلي عند أمية ، وإنما يتعداه إلى الوصف الموضوعي الخارجي ، وهو في ذلك مصور بارع ، يُقلّب النظر في موصوفه ، ثم يتجه إليه بعينه وأذنه وكل حواسه فيأتي بصور متعددة له ، تمتاز بالتنويع والحيوية ، ومن ذلك مثلا حديثه عن الأطلال :

عرفت الدارَ قد أقْوَتْ سنينا ... لزينبَ إذ تَحُلُّ بها قَطِينا
أذعَنَ بها جوافِلُ مُعْصِفاتٌ ... كما تُذْري المُلَمْلَمةُ الطحينا
وسافَرَتِ الرياحُ بهنَّ عصراً ... بأذيالٍ يَرُحْنَ ويَغتَدينا
فأبقَيْنَ الطُّلولَ ومَحنياتٍ ... ثلاثاً كالحمائمِ قد صُلينا
وآرِيّاً لِعَهْدٍ مُرْبَتاتٌ ... أطَلْنَ به الصُّفونَ إذا افتُلينا

فهو يتحدث عما يراه في الأطلال ، وما كان يراه فيها أيام كانت عامرة بزينب ، ثم يتحدث عما أحال الأطلال إلى ماهي عليه ، وهنا تظهر صورة الرياح ، وإذا به يصفها وصفاً لايخلو من التنويع والجدة لما جمعه من أطراف صورتها وحركتها وأصواتها وآثارها ، فهي سريعة تطرد التراب من الأرض ، وهي عاصفة يمكن للأذن أن تسمع صوتها ، وهي تهب مراراً وتكراراً فتخلف وراءها مايشبه الأذيال من الغبار والتراب ، وبذلك استطاع أمية أن ينوع في تصويره لهذه الرياح ، ولكنه في تخيله صورة الأطلال أيام كانت عامرة بأهلها ، مأنوسة بساكنيها ، لم يبلغ ما بلغته أبيات زهير في معلقته .

ومثل هذا التنويع يمكن أن يعرض لنا في معظم ما رسمه أمية في أوصافه المختلفة ، ونجده يبرز بوضوح في تصويره لقتلى بدر ، وفي مدائح عبد الله بن جدعان، ومنه أيضاً هذه الأبيات في تصوير سنة مجدبة شديدة :

سَنَةٌ أَزْمَةٌ تَخَيَّلُ بالنَّـا ... سِ تَرَى للعِضاهِ فيها صَرِيرا

لا على كَوْكَبٍ يَنُوءُ ولا رِيـ ... حِ جَنُوبٍ ولا تَرَى طُخْرورا

إذْ يَسَفُّونَ بالدَّقِيقِ وكانوا ... قَبْلُ لا يأكلونَ شيئاً فَطِيرا

فهو يعمد إلى رسم صورة واضحة لهذه السنة الشديدة التي تثقل على الناس ، حتى لكأنها وحش يعض عليهم بالأوازم ، وهي الأنياب ، وفي صورته هذه يحاول أن يجمع كل عنصر يوحي بالعسر والشدة ، فهي سنة مجدبة ولكنها لا تُظهر الجَدْبَ للناس ، وإنما تخدعهم فيظنون بها الخير ولا خير فيها ، وهذا أدعى إلى شدة العسر عليهم بعد أن تنكشف لهم حقيقة السنة من الجَدْب ، وهذه السنة باردة شديدة الريح ، يبدو ذلك من هذا الصرير المنبعث من شجر العضاه ، ولا يكتفي أمية بهذين العنصرين ، وإنما يجيل طرفه في كل ناحية حتى ينفي كل بارقة خير عن هذه السنة ، فلا كوكب يمكن أن ينوء بالمطر ، ولا ريح جنوب يمكن أن تأتي بالخصب ، ولا من سحاب يمكن أن يبشر بالغيث ولو كان سحاباً رقيقاً متفرقاً . وأما الناس فهم في أسوأ حال ، إنهم يستفون الدقيق غير المعجون لشدة الجوع ، مع أنهم قبل هذه الشدة كانوا لا يأكلون الخبز ما لم يختمر .

وهذه العناصر الموحية جميعاً قد بعثها أمية لتوحي بمشهد السنة المجدبة المعسرة ، فكان إطار الصورة واحداً ، إلا أن عناصرها متنوعة متضافرة ، منها ما هو سمعي كالصرير المنبعث من العضاه ، ومنها ما هو فني تحليلي يقوم على شيء من الموازنة بين حالين متناقضتين ، حال القوم قبل الأزمة ، وحالهم بعد الأزمة ،

وبذلك تنشأ مقارنة فنية تبعث في النفس آخر شحنة عاطفية حول هذا المشهد.

والواقع أن أمية في صوره لايعتمد على البصر وحده ، وإنما يستمد بما يراه بعينه ، وما يسمعه بأذنه ، وما يتحسسه بقلبه ، ثم يدقق النظر ويرهف السمع ، ليرصد كل ما في المشهد من جزئيات تحدده في مخيلة الناس ، وتقربه من أنفسهم ، وكأنه ماثل أمامهم فعلًا . ومن ذلك وصفه للطوفان وسفينة نوح :

جزَى اللهُ الأجلُّ المرءَ نوحاً ... جَزاءَ البِرِّ ليس له كِذابُ
بما حَمَلَتْ سفينَتُه وأَنجَتْ ... غداةَ أتاهُمُ الموتُ القُلابُ
وفيها من أرومَتِه عُراةٌ ... لدَيْه لا الظِّماءُ ولا السِّغابُ
وإذ هُمْ لاالبَوسَ لهُمْ تَـقيهم ... وإذ صَخْرُ السِّلامِ لهُمْ رِطابُ
عشيةَ أرسلَ الطوفانُ تجْري ... وفاضَ الماءُ ليس له جِرابُ
على أمواجِ أخضَرَ ذي حَبيكٍ ... كأنَّ سُعارَ زاخِرِهِ الهِضابُ

ففي وصف السفينة دقق النظر فيها فرسم الإطار العام لها في البيت الثاني ، ثم جعل يجيل الطرف لينقل كل مايراه من جزئيات هامة في هذا المشهد يمكن أن تستثير شيئاً من التعاطف معه ، فأشار إلى أوصاف جماعات من الخلائق فيها ، فهؤلاء عراة على إحدى الرويات ، وهؤلاء ظماء ، وأولئك سغاب جائعون . وفي وصف الطوفان لم ينس أن يحدد الزمان « عشية أرسل الطوفان » ، وفي تحديد هذا الزمن بالذات إشارة فنية إلى شدة ذلك « الموت القلاب » ومداهمته للناس على حين غرة . ولم ينس أن يحدد بعض الألوان أيضاً فجعل البحر « أخضر » اللون ، لأن هذا اللون بالذات يحمل على تخيل كثرة الماء وعمقه وشدة بأسه معاً . وكذلك دقق النظر في جزئيات أخرى حين جعل السفينة تجري على أمواج أخضر « ذي حَبيك » ، فأشار بذلك إلى مايُرى على الماء من حروف إذا مرت به

الريح ، وكأنه يريد أن يشعرنا بالرياح من خلال آثارها في هذه الصور ، وذلك ليبعث مزيداً من الحركة في صوره ، فلا نجد جموداً فيها ، بل نجد الحياة تعمرها وتملأ رحابها .

وقد استمد عناصر الحركة من وصف السفينة وهي تتحرك وتجري على أمواج البحر ، ومن وصف الطوفان متحركاً أيضاً ، إذ أتاهم في الغداة ، وأرسل في العشية ، وفاض ماؤه حتى لم تعد له حدود لاتساعه وكثرته ، وبهذا أمكن للأفعال أن تبث شيئاً من الحركة في المشهد ، ولا سيما الأفعال المضارعة أمثال « تقيهم » و « تجري » ، فهي تثير الحركة وتقرب الصورة من الماضي إلى الحاضر ، فتجعل الماضي شاخصاً في مخيلة السامع ، وكأنه يراه رؤيا العين لا رؤيا الخيال ، وبذلك تساعد هذه الأفعال على إحياء الصورة من طرف خفي ، وقد أكثر أمية من الاعتماد عليها في مشاهد الوصف عامة ، وقد مر بنا طائفة منها فيما أنشدناه من شعره .

ويُلاحظ في وصف أمية أنه لايعتمد على التشبيه اعتماداً كلياً في إبراز صوره ، وفي الأمثلة السابقة لم يكن للتشبيه غير نصيب ثانوي في رسم تلك الصور الفنية ، إذ لم نقع عليه إلا في قوله : « ومحنيات ثلاثاً كالحمائم قد صُلينا » ، وقوله : « كأن سعار زاخره الهضاب » ، ولكنه اعتمد في ذلك على اختيار اللقطات المناسبة من الموصوف ، ثم على ما توحي به الألفاظ نفسها في التعبير عن تلك اللقطات الموفقة ، وهذا يتضح أيضاً في بعض الأبيات الفرادى التي أنشدناها منذ حين ، ومنها قوله في وصف مطر شديد :

لهُ نَفَيانٌ يَحفِشُ الأُكْمَ وَقْعُهُ ‏ ‏ ‏ ‏ تَرَى التُّرْبَ منه مائراً يَتَثَلَّلُ

فقد اعتمد في وصف المطر على اختيار لقطتين هامتين من مشهده ، الأولى

هي المطر النازل بشدة وقد ملأ الهضاب لكثرته ، والثانية هي تحرك التراب وتموجه لكثرة ما يقع عليه من المطر ، وفي تصوير هاتين اللقطتين لم يعتمد على التشبيه أو الاستعارة ، وإنما اعتمد على الألفاظ نفسها التي تعبر عن هذه المعاني ، وتوحي بها ، فاختار منها وسيلته المفضلة في رسم صورة المطر .

ومن ذلك أيضاً قوله في وصف فرس :

كُمَيْتٍ بَهِيمِ اللونِ ليس بفارضٍ ولا بخَصِيفٍ ذاتِ لونٍ مُوَقَّمِ

فقد اعتمد في وصف الفرس أيضاً على اختيار لقطتين منه ، الأولى هي لونه الكميت الذي لا يخالطه لون آخر ، والثانية هي عمر الفرس وقد جاءت ثانوية بالنسبة للأولى ، ولا يبعد أن يكون قد تحدث عن أمور أخرى في أبيات ضائعة . وفي تصوير لون الفرس لم يعتمد على غير الألفاظ ، فهو « كميت » لونه بين السواد والحمرة ، و « بهيم » لا يخالط لونه لون آخر ، وليس « بخصيف أو مرقم » ، والخصيف ما اجتمع فيه لونان ، والمرقم هو المخطط . فأمية في هذا البيت أشبه برسام يدقق النظر في لون هذا الفرس ، ثم يرسمه بدقة دون أن يغفل لوناً أو خطاً ، ولكنه لا يعتمد في رسم ذلك كله إلا على الألفاظ المعبرة الموحية فحسب .

وهذه الظاهرة هامة جداً بالنسبة إلى الصورة في الأدب الجاهلي ، لأن التشبيه ربما كان طوراً متقدماً على سائر الوسائل الفنية في رسم الصورة الأدبية ، حتى كان خاصة مميزة لشعر امرىء القيس ، إذ عُرف بكثرة التشبيه وتلاحقه في رسم صوره[1] . ثم كانت الاستعارة طوراً متأخراً عن التشبيه لما فيها من تركيز وتخفف من وسائل التشبيه وأركانه والاكتفاء بواحد منها فحسب ، لأن في ذلك قوة للمعنى وتثبيتاً له . وربما كان الاعتماد على الألفاظ يمثل طوراً ثالثاً في مضمار الصورة الأدبية ،

---

(١) العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ٢٦١ ــ ٢٦٣ .

لأن الفن يحتاج إلى وقت طويل حتى يقنع عقل الشاعر بالابتعاد عن زخرف التشبيه والاستعارة والاعتماد على تعبير الكلمة وما فيها من إيحاء ، ولا سيما أن الاعتماد على تعبير الكلمة نفسها يحتاج إلى جهد ومهارة أكثر مما يحتاج إليه الاعتماد على التشبيه نفسه .

ومثل هذه الملاحظة تحتاج إلى مزيد من الاستقصاء في أدب الجاهلية ، حتى يرصد الاتجاه الفني لصياغة الصورة الأدبية فيه ، ولكن مما لا ريب فيه أن الاعتماد على الألفاظ الموحية قد جاء بكثرة في صور النابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى بالاضافة إلى شيء من التشبيه أو الاستعارة ، كما أن أمية لم يتخل عن التشبيه في شعره ، ولكن التشبيه جاء قليلاً نسبياً ، إذا ما قورن بغيره من الشعراء أمثال امرىء القيس وطرفة بن العبد ، ثم كانت الاستعارة لديه أكثر نسبياً من التشبيه ، ومن أمثلتها قوله في وصفه الحية :

نابٌ حَديدٌ وكَفٌّ غيرُ وادِعَةٍ   والخُلُقُ مُخْتَلِفٌ والقَولُ والشِّيَمُ
إذا دُعِينَ بأسماءٍ أجَبْنَ لها   لنافِثٍ يَعْتَريهِ اللهُ والكَلِمُ
لولا مخافةُ رَبٍّ كان عَذَّبَها   عَرْجاءَ تَظْلَعُ في أنيابِها عَسَمُ
وقد بَلَتْه فذاقَتْ بَعْضَ مَصْدَقِهِ   فليس في سَمْعِها مِنْ رَهْبَةٍ صَمَمُ
فكيفَ يأمنُها أم كيفَ تألفُه   وليس بينَهُما قُرْبى ولا رَحِمُ

فالحية لها كف غير وادعة ، ولها خُلُق وقول وشيم ، وهي تجيب لأسماء الله ، وتخاف عذاب الله ، بعد أن بلته وذاقته لمّا مُسِخت إلى صورتها بعد أن كانت كالجَمَل في هيئتها[1] ، وهذه كلها استعارات تولدت في القصيدة من فكرة التجسيم الذي أضفاه على الحية في أبيات القصيدة كلها ، وقد رأينا أشباهاً لذلك فيما أنشدناه من شعر أمية .

---

(١) انظر الحيوان ٤ : ١٩٧ .

فالاستعارة أوضح من التشبيه في شعر أميـة ، إلا أن التصوير من خلال إيحاء الألفاظ واختيار اللقطات المناسبة من الموصوف ، هي الظاهرة المميزة لمعظم صوره ، مما يدل على أن الصورة الأدبية لديه كانت عملاً فنياً له أصول ومقومات ، ولكن شعره الباقي لا يكاد يساعد على تحديد هذه الأصول تحديداً جيداً كالذي نجده في شعر غيره من فحول الجاهلية

ذلك هو موضوع الوصف عند أمية ، وقد مرت بنا تلك الموضوعات التي جاءت في شعره ، إذ تناول معظم الموضوعات الجاهليـة ، ولم يتخل إلاّ عن الموضوعات التي لا تنسجم والاتجاه الديني الذي استَنّه لنفسه في التأله والتحنف ، وقد أكثر من الموضوعات الدينية ، حتى اشتهر بها ، وكان مقدماً عند كثير من النقاد بسبب ما تناوله من معان دينية ، أو بما أضفاه من جدّة على بعض المعاني .

* *

الفصل الخامس

الخصائص الفنيـة في شعر أميـة

لاشك أن حديثنا عن الوصف في شعر أمية كان ينطوي على بعض الخصائص الفنية في شعره ، إذ بيّنا اتجاه أمية في الوصف ، وطريقته في رسم الصورة ، وأسلوبه في التقاط المشاهد ، وهي من أبرز الخصائص الفنية ، إلا أنها أدخل في بحث موضوع الوصف ، ولذلك سلكناها في الفصل السابق ، وأما في هذا الفصل فسوف نقصر القول على الخصائص المعنوية والخصائص اللفظية في شعر أمية .

١ ــ الخصائص المعنويـة

إن أول مانلاحظه في معاني أمية هو ذلك الوضوح الذي لمسناه فيما أنشدناه له من شعر ، فكل ما مر بنا في دراسـة أغراضه الشعرية واضح المعنى لاتعقيـد فيه ولا تمحل ، وكل ما يستوقفنا أحياناً هو بعض الألفاظ الغريبة في أغراض معينة ، فإذا وقفنا على دلالة هذه الألفاظ لم نجد في معانيه شيئاً من الاستغلاق الذي يحوج عادة إلى جهد لفهم هذا المعنى أو ذاك ، فمثل هذا الاستغلاق الذي نجـده أحياناً عند بعض شعراء العصر العباسي كأبي تمام والمتنبي ، لا وجود له في شعر أمية بن أبي الصلت ، ولا في شعر غيره من الجاهليين عامة ، لأن أبا تمام كان يستمـد المعاني من عقله الصناع لا مما يراه بعينه أو يسمعه بأذنه ، فهو متعمق يجري وراء توليد المعاني ، وبنائها بناء عقلياً معقداً ربمـا أحوج إلى كثـير من التنبـه والعناء

الفكري في سبيل فهمه وجلاء أمره .

ومثل هذا العناء ما كان له أن يتحقق فى الشعر الجاهلي ، وإذا كان بعضهم قد ثقف شعره وأعاد النظر فيه وعانى في سبيل تهذيبه ، كالذي عُرف عن زهير وغيره من أصحاب المدرسة الأوسية ، حتى عُرفوا عند بعض النقاد بعبيد الشعر ، فعناء هذه الطبقة من شعراء الجاهلية كان ينصرف إلى تحسين المعنى وتوضيحه وإجادة التشبيه والتدقيق في الموصوف ، حتى يخرج شاعرهم بصورة فنية رائعة . أما ذلك العمل الفني الذي عُرف به أمثال أبي تمام في العصر العباسي ، فلا وجود له في أدب الجاهلية ، لأن شعراء هذا العصر ، كانوا لا يمتحون المعاني من التوليد العقلي والغوص وراء ما يُستصعب منها ، وإنما كانت البيئة والحياة البدوية هي التي تمدهم بالمعنى ، وليس لخيالهم وعقلهم إلا أن يخرجه في تشبيه رشيق ، أو استعارة طريفة ، أو ألفاظ معبرة موحية ، أو لقطات موفقة ، أو ما أشبه ذلك .

والحياة الجاهلية بطبيعتها كانت تتصف بالبساطة وعدم التعقيد الذي تصطنعه المدائن وتكلف به ، والبيئة الجاهلية كانت كذلك تتصف بالبساطة والوضوح وعدم التعقيد ، ولما كان مورد الشاعر هو هذه البساطة في البيئة والحياة ، فلذلك كان طبيعياً أن تتصف معاني الجاهليين بالوضوح والسهولة وعدم الإغراب أو الخروج عن المألوف إلا فيما ندر . ومعنى هذا أن الوضوح الذي نجده في معاني أمية ، هو صفة مميزة للشعر العربي في تلك الفترة .

إلا أن أكثر الباحثين يرمون أمية بغموض المعاني ، لأنهم لايفرقون بين شعر أمية ، والشعر المضاف إليه . وغموض المعاني إنما يطالعنا في الشعر المنحول على أمية ، أما في شعره الموثّق فالصفة العامة هي الوضوح ، وقد نجد فيه أمثلة للغموض ، ولكنها لاتعدو أن تكون أمثلة فحسب ، ومعظمها جاء نتيجة لتحريف الشعر على أيدي الرواة أو المصنفين ، ومن ذلك هذا البيت كما ورد في حيوان الجاحظ :

تـَلمّسُ هل تَرَى في الأرض عَيْناً وغايَتُه من المـــاء العُبابُ[١]

وهو غامض المعنى في الشطر الثاني ، لأن الحديث في الأبيـات منصب على الحمامة ، في حين نجد الضمير في قوله « وغايته » لايعود إلى الحمامة ، وإنما يعود إلى مُذكـّر . ولم تخل أيّ رواية للبيت من هذا الغموض ، فقد أورده الجاحظ مرة أخرى في الحيوان بهذه الرواية :

تـَلمّسُ هل تَرَى في الأرض عَيْناً وعاينه بهـا الماء العبـــاب[٢]

وهي أكثر غموضاً واستغلاقاً من الرواية الأولى . ورواه صاحب البـــدء والتاريخ : « وغايته به تيبس أو اضطراب »[٣] ، وهي رواية غامضة المعنى غـير مستقيمة الوزن ورواه النويري : « وغايته بها الماء العباب »[٤] ، وهي غامضة أيضاً لاوضوح فيها ولا جلاء ، مما يدل على تحريف في البيت مادام كل مصدر قد انفرد برواية غامضة له ، وهذا التحريف هو الذي ولـّد مافيـه من غموض ، ولو أجرينا شيئاً من التعديل في صياغة الرواية الأولى للجاحظ ، لاستطعنا أن نعيـد البيت إلى مايشبه أن يكون أصلاً له ، وذلك بجعل الضمير للحمامة في قوله « وغايته » ، وبذلك تصبح « وغايَتُها من الماء العُبابُ » ، لأنها إن وَصلَت إلى عباب الماء ، أمكنها أن تجد اليابسة ، لأن من معاني « العباب » أنه أوّلُ كلّ شيء ، ولهذا فمعناه في البيت الشاطىء الفاصل بين الماء واليابسة .

وقد نجد الغموض بسبب التحريف وفساد الضبط معاً ، ومن ذلك هذا البيت كما أورده شولتهيس :

---

(١) الحيوان ٢ : ٣٢١ .
(٢) الحيوان ٤ : ١٩٦ .
(٣) البدء والتاريخ ٣ : ٢٥ .
(٤) نهاية الأرب للنويري ١٠ : ٢٧٨ .

فسقاها نشاطَه واكفُ النبْـ ... تِ مُنَهٍّ إذ وادعوه الكبيرا

وهو غامض جداً لايؤول على وجه من الوجوه ، وذلك لكثرة مافيه من تحريف ، ولفساد ما اختاره شولتهيس من وجوه ضبطه ، ثم نقله بشير يموت بهذه الرواية على مافيها من فساد . ولو عدنا إلى أصل رواية البيت عند الجاحظ لوجدناه يخلو من هذا الغموض ، وهو يجري فيه على هذا النحو :

فسقاها نَشاصُه واكفَ الغَيْـ ... ثِ مُنَهٍ إذ رادعوه الكبيرا(١)

ومعناه أن السحاب قد سقى أرضهم مطراً غزيراً ، إذ كفوا عما بهم من إثم ، فكف المطر عن الانحباس والتشديد عليهم . ولا إشكال في رواية الجاحظ غير قوله « مُنَهٍّ » وأقرب سبيل إلى إعرابها أن تكون حالاً من « نشاصه » ، بمعنى « فسقاها نَشاصُه بالغاً نهايتَه » ، وكان حقُّها أن تكون « مُنْهِيّاً » ولكنه حذف الياء ضرورة كحذفها في الرفع والجر ، وقد أخل أمية بهذه القاعدة في قوله : « فوق سبع سمائيا » ، وسوف نفصل ذلك في بحث قادم . وبهذا لا نجد غموضاً في رواية الجاحظ ، وإنما الغموض في رواية شولتهيس لما فيها من تحريف وضبط فاسد .

وقد يتبادر الغموض إلى الذهن بسبب المنهج الذي اتبعه بعض أصحاب المجموعات الحديثة لشعر أمية ، فهم ينقلون قصائد تبدو محكمة النسج في ظاهرها ، مع أنها في الأصل أشتات جُمعت من مصادر مختلفة ثم لُفقت في إطار هذه القصائد ، وما دامت أشتاتاً ملفقة إلى جوار بعضها ، فمن الطبيعي أن تكون بينها فجوات يتألف من أبيات ضائعة . فإذا نظر الباحث إلى القصيدة كما يراها في

---

(١) الحيوان ٤ : ٤٦٨ . والنشاص : السحاب المرتفع ، والواكف : الهاطل ، ومُنَهٍ . فاعل من نهّى الشيءُ وانتهى وتناهى ، اذا بلغ نهايته .

مجموعة بشير يموت مثلاً ، ربما أعياه فهم بعض الأبيات حين يحاول ربطها بما تقدمها من أبيات أخرى ، ولو أشير إلى مابينها من انقطاع ، لما حكم على بيت بالغموض بسبب ضياع القرائن التي تعين على فهمه ، ومثل هذا البيت له حكم خاص ، ولا يُتخذ دليلاً على غموض شعر أمية عامة .

على أن هنالك أمثلة يسيرة فيها بعض الغموض الناجم عن أسلوب أمية نفسه ، وذلك حين يلجأ أحيانا إلى شيء من الحذف والإيجاز في صياغة بعض الأبيات ، ومن ذلك قوله :

سَنَةٌ أَزْمَةٌ تَخَيَّلُ بالنّـا ... سِ تَرَى للعِضاهِ فيها صَرِيرا

لا على كَوكَبٍ ينوءُ ولا رِيـ ... ـحِ جَنُوبٍ ولا تَرَى طُخْرُورا

فالبيت الثاني قد نلمس فيه شيئاً يسيراً من الغموض لحذف متعلَّق « على كوكب » ، ولكنه ليس بالغموض المستغلق ، لأن من اليسير أن نقدر المعنى بأن القحط كان شديداً حتى إن الإنسان لايقع على كوكب ، بمعنى لايرى كوكباً ، والذي سوغ لأمية هذا الحذف ما ورد في آخر البيت من توضيح له في قوله « ولا ترى طخرورا » .

ومثل ذلك أيضاً قوله في القصيدة نفسها :

سَلَعٌ ما ومِثْلُه عُشَرٌ ما ... عائِلٌ ما وعالَتِ البَيْقُورا

فقد رواه ابن هشام شاهداً على زيادة (ما) ثلاث مرات في البيت ، ثم قال : « قال عيسى بن عمر : لا أدري ما معناه ، ولا رأيت أحداً يعرفه »[١] ، وهذا القول فيه شيء من المبالغة ، لأن البيت ليس في غاية الغموض ، فهو يشير إلى

---

(١) مغني اللبيب ٢ : ١١ .

كثرة السلع والعشر والأبقار المثقلة بها ، فكأنه قال : ثمة سَلَع كثير وعُشَر كثير وأبقار مثقلة كثيرة ، طلباً للسقيا . ولهذا أشار ابن قتيبة إلى قول عيسى ابن عمر ، ثم قال : « ومعنى البيت أنهم كانوا يستمطرون بالسَّلَع والعُشَر ، وهما ضربان من الشجر ، فيعقدونها في أذناب البقر ويضرمون النار . وقوله : وعالت البيقورا ، يعني سنةُ الجدب أثقلت البقر بما حُمِّلت من الشجر والنار فيها »[1] .

ومن ذلك حذف جواب « لولا » في قوله :

لولا مخافةُ ربٍّ كان عَذَّبَها ... عَرْجاءَ تَظْلَعُ في أنيابها عَسَمُ
وقد بَلَتْه فذاقَتْ بعضَ مَصْدَقِهِ ... فليس في سَمْعِها مِن رهبةٍ صَمَمُ

فإن لم يكن جواب « لولا » في بيت ضائع ، فإن أمية قد انصرف إلى بيان ما نال الحية من عقاب دون أن يعطي جواب لولا ، ذلك لأن في حديثه عما نالها من عقاب الله غناء عن الجواب ودلالة عليه ، فالمعنى أنها لولا خوفها من الله لما أجابت الحاوي .

وليس في مثل هذه الشواهد من غموض فعلي ، لأن من السهولة أن يُكشف عن المعنى المراد ، فالحذف عند أمية لا يؤلف جانباً هاماً بالنسبة إلى ما رأيناه من أمر التحريف أو فساد الضبط أو عدم المنهجية في جمع القصائد . على أن مظاهر الغموض لهذه الأسباب جميعاً لا تعدو أن تقف عند أمثلة محدودة في شعر أمية ، أما عامة شعره فلا يخرج عن الجلاء والوضوح تماماً ، لأن الشاعر الجاهلي بطبعه وحكم بيئته كان مدفوعاً إلى وضوح المعنى ما دام يستمده من واقعه وحياته وبيئته .

وهذه البيئة التي تدعوه إلى وضوح المعنى ، كانت تدعوه أيضاً إلى عدم

---

(١) تأويل مشكل القرآن ٦٩ .

المبالغة في معانيه ، ولذلك لا نجد في مديح أمية أثراً للغلو أو المبالغة في وصف الممدوح ، وكذلك الأمر في رثائه وفخره ، وكل ما وجدناه من آثار المبالغة لديه قوله في رثاء قتلى بني أسد :

فعلى مِثْلِ هُلْكِهِمْ خَوَتِ الجَو زاءُ لا خانَةٌ ولا خَدَعَهْ[1]

وهي ليست من المبالغة التي تمجها النفس ، لأنها لا تبلغ حد الغلو ، ولعله أوردها في قصيدته ، لما فيها من رثاء متكلّف لا تنبض فيه خلجات قلب حزين .

فأمية في دلك كله لا يخرج عن طريقة غيره من شعراء الجاهلية ، فوضوح المعنى لديهم وعدم الإغراب أو الغلو فيه ، كان من نتائج الاعتماد على البيئة المادية ، منها يستمدون معاني شعرهم ، ومنها يستمدون بعض أركان صوره ، ولدلك جاء التشبيه لديهم حسياً مادياً منتزعاً من البيئة المادية نفسها . ولهذا كان أمية على قلة التشبيه لديه ، لا يخرج فيه عن الإطار الحسي المادي ، فإذا تحدث عن عطايا ابن جدعان وكرمه ، جعله أشبه بالنِّهْي ، وهو الغدير وكل موضع يجتمع فيه الماء ، وجعل العطايا كالإبل تأتي قادمة من وراء النِّجاد ، وزاد على ذلك فجعل الكلام الذي لا يُقنع أشبه بمن يتصف بالظمأ والعطش :

ومالي لا أُحيِّيهِ وعندي مَواهِبُ يَطَّلِعْنَ مِنَ النِّجادِ
إليَّ وإنَّه للناسِ نِهْيٌ ولا يَعْتَلُّ بالكَلِمِ الصَّوادي

وابن جدعان سماء لبني تيم ، ومكارمهم له بمنزلة الأرض :

فأرْضُكَ كلُّ مكرمة بناها بنو تَيْمٍ وأنتَ لهم سماء

وقدور ابن جدعان حين يشتد بها الغلي ، تصبح أشبه بالضرائر :

(١) خوت : سقطت وتهدمت .

فقُدورُه بفِنائِه ... للضّيفِ مترعَةٌ زَواخِرْ
تبدو الكسورُ مِنِ انْضِرا ... جِ الغَلْيِ فيها والكَراكِرْ
فكأنَّهُنَّ بما حَميـ ... ـنَ وما شُحِنَّ به ضَرائِرْ

وإذا تحدث عن الرماح جعلها كحبال البئر التي يُستقى بها :

وأرْصَدْنا لرَيْبِ الدهرِ جُرْداً ... هلاميماً وماذِيّاً حَصينا
وخَطّيّاً كأشْطانِ الرَّكايـا ... وأسيافاً يَقُمْنَ وينْحنينا

وكلها صور حسنة تنتزع التشبيه من بيئتها وتبنيه بناء حسياً مادياً ، يمكن أن يتمثل للعين أو لأي حاسة أخرى ، وأمية في ذلك لا يخرج عن طريقة الجاهليين ، لأن التشبيه الحسي الذي جعله الدكتور طه حسين من خصائص المدرسة الأوسية[١] ، يكاد يكون خاصة يشترك فيها شعر الجاهلية كله .

ومن الملاحظ في هذه الصور أنها ليست جديدة في إطارها العام ، وإنما هي معروفة متداولة بين الشعراء ، فتشبيه الممدوح بالسماء ومقارنته بأعدائه أو أنداده أو قومه معروفة ، ومنها قول النابغة :

فإنّكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعَتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ

وتشبيه الرماح بأشطان البئر ورد أيضاً في قول عنترة :

يدعونَ عنترَ والرماحُ كأنها ... أشطانُ بئرٍ في لَبانِ الأدْهَمِ

والظاهر أن اعتماد الشعراء على مصدر واحد هو البيئة الحسية المادة ، دفعهم إلى معان واحدة لا يخرجون عنها ، فهذه الحسية فيهم « جعلتهم لا يتسعون بمعانيهم ، بل جعلتهم يدورون حول معان تكاد تكون واحدة ، وكأنما اصطلحوا على معان

---

(١) انظر الأدب الجاهلي للدكتور طه حسين ٣٣٦ وما بعدها .

بعينها ، فالشعراء لا ينحرفون عنها يمنة ولا يسرة ، فما يقوله طرفة في الناقة يقوله فيها غيره ، وما يقوله امرؤ القيس في بكاء الديار يقوله جميع الشعراء ، واقرأ حماسية كمعلقة عمرو بن كلثوم فستجد الشعراء الحماسيين لا يكادون يأتون بمعنى جديد . وقل ذلك في غزلهم ومديحهم ورثائهم ، فالشعراء يتداولون معاني واحدة وتشبيهات وأخيلة واحدة ، ومن ثم تبدو في أشعارهم نزعة واضحة المحاكاة والتقليد ، وجنى عليهم ذلك ضيق واضح في معانيهم ، غير أنه من جهة ثانية أتاح لهم التدقيق فيها وأن يجلوها ويكشفوها أتم كشف وجلاء»[1] .

ولهذا نجد معاني أمية المطروقة لا تختلف في إطارها العام عن معاني غيره من الشعراء ، فهو في المديح مثلاً يطلق على ابن جدعان كل ما يتصوره من فضائل وصفات ينبغي أن تكون في الإنسان المثالي الفاضل ، إذ يجعل من ابن جدعان سيد قومه والمقدم عليهم جميعاً ، حتى لكأنهم أرض وهو لهم سماء ، ثم يصفه بالرفعة والحسب المهذب والكرم الدائم ومباراة الريح في الجود أيام القحط والشدائد، ثم يجعله وفياً لا يتعّق ولا يخون ، ولا يتغير بين حين وآخر ، وربما عدّد من خلال ذلك آباء الممدوح ليشير إلى وراثته المجد كابراً عن كابر ، ولا ينسى في بعض أبياته أن يجعل المادحين لا يتحدثون إلا بما عرفوه فيه من صفات ، فهم صادقون لا تمحل في مديحهم ولا كذب .

ولا يختلف الأمر في الرثاء عن المديح ، فمعاني الرثاء لديه لا تكاد تختلف عن معاني المديح إلا بما يدعو إليه الحديث من ألفاظ البكاء أحياناً ، وذلك لما رأيناه من جمود عاطفة الرثاء لديه ، فإذا تحدث عن قتلى قريش جعل الذي يبكيهم إنما يبكي لحزن في نفسه ، ومَن يمدحهم فإنما يمدحهم عن صدق لما يتصفون به من فضائل ، وهم سادة في قومهم ، شجعان في القتال ، يتصفون بالقوة والبأس ،

---

(١) العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ٢٢١ .

وهم قادة خبروا الحرب والقتال ، ولهم منزلة عند الملوك ، ومن صفاتهم طول الأجسام ، وبلاغة الكلام ، والمغالاة في الجود والكرم .

وكذلك الأمر في الفخر ، فقد يستهل الفخر بتوجيه الحديث إلى امرأة معينة على عادة الشعراء الجاهليين ، وكأن شاعرهم يضع هذا الفخر بين يديها ليكون ذلك رابطاً موفّقاً بين حديث الأطلال التقليدي وموضوع الفخر والحماسة ، ثم يعدد أمية آباءه مفاخراً بما لهم من أحساب وأمجاد ، ومن ثم ينطلق إلى الحديث عن وراثة المجد عن الآباء وتوريثه للأبناء ، ثم يَدِلُّ بغلبة قبيلته على القبائل أجمع ، وهذا يدفعه إلى الحديث عن قوة قبيلته وما أعدته من عدة للمستقبل ، لتذود عن حقيقتها ، وترد من يعتدي على حومتها ، فهم يُعِدون السيوف والرماح والدروع والخيول ، وقد يشير إلى بعض الأيام أو الأحداث التي كانت لقبيلته كقتل أبي رغال على يد جد ثقيف قَسِيٍّ بن مُنبِّه ، ورَدِّ تُبَّعَ في قُدَيْد ، وما إلى ذلك .

وهذه المعاني سواء كانت في المديح أم الرثاء أو الفخر أو ما إليها من موضوعات أخرى ، ليست وقفاً على أمية ، بل هي عامة بين شعراء الجاهلية ، وليس لأحدهم إلاَّ التدقيق في تحسين المعنى العام ، وإخراجه في صورة خاصة ، تستمد حياتها وإبداعها من ذاتية الشاعر ، ودقته في اختيار اللقطة المناسبة من الموصوف ، أو اختياره الجانب الموفق من المعنى العام .

ولهذا وجدنا أمية يفتنُّ فيخرج بشيء من الجدة والطرافة في بعض معانيه ، ومن ذلك إبداعه في بعض معاني المديح ، فالمعاني العامة التي مدح بها عبدالله ابن جدعان ليس فيها من جديد ، ولكن الجدة في أسلوبه ومعانيه إنما تبدو في التلطف وعرض حاجته دون أن تريق له ماء وجه ، أو تنم له عن مهانة نفس ، وهي مع ذلك تستثير حمية الممدوح ، وتبعث فيه كل أريحية ، وتدفعه إلى تحقيق ما يُطلب إليه في أبيات أمية :

أأذكُرُ حاجتي أم قَدْ كفاني حَياؤكَ إنَّ شيمَتَكَ الحَياءُ
وعلمُكَ بالأُمورِ وأنتَ قَرْمٌ لكَ الحسبُ المهذّبُ والسَّناءُ

إلى أن قال :

إذا أثنَى عليكَ المرءُ يوماً كفاه مِن تَعَرُّضِه الثَّناءُ

ومثل هذا المعنى جعل النقاد القدامى يعتبرون أمية أولَ من تلطف في المديح ، وكانوا يعجبون بهذا التلطف ، حتى قال ابن رشيق بعد روايته الأبيات : « فأنت ترى هذا الاقتضاء كيف يلين الصخر ويستنزل القطر ويحط العصم إلى السهل »[١] . وقد اشتهر هذا المعنى عن أمية وذهب صيته إلى العصر العباسي ، إذ قال ابن عساكر : « قال أبو عاصم : اشترى أخ لشعبة من طعام السلطان ، فحُبس هو وشركاؤه ، وحُبس هو بستة آلاف دينار بحصته ، فخرج شعبة إلى المهدي ليكلمه فيه ، فلما دخل عليه ، قال : يا أمير المؤمنين أنشدني قتادة وسماك بن حرب لأمية ابن أبي الصلت في مدح عبدالله بن جدعان . فقال : يا أبا بسطام لا تذكرها ، قد عرفنا حاجتك وقضيناها لك ، ادفعوا إليه أخاه لا تلزموه شيئاً »[٢] .

وقد سار هذا المعنى على ألسنة عدد من الشعراء ، فأخذه أبو تمام في قوله :

وإذا الجودُ كان عَوْني على المَرْ ءِ تقاضَيْتُه بتركِ التقاضي

ونقله المتنبي في قوله :

وفي النفس حاجاتٌ وفيكَ فَطانةٌ سكوتي بيانٌ عندها وخِطابُ

وأخذه أبو بكر الخوارزمي في قوله :

وإذا طلبتَ إلى كريم حاجَةً فلقاؤه يكفيكَ والتّسليمُ

(١) العمدة لابن رشيق ٢ : ١٢٧ .
(٢) تاريخ ابن عساكر ٣ : ١٢٣ .

فإذا رآكَ مُسلِّماً عرَف الذي ... حمَّلْتَه وكأنه مَلْزومُ

ولا شك أن تلاقي عدد من الشعراء على هذا المعنى لأمية ، إنما يدل على مدى إبداعه وشهرة معانيه ، وهذا الابداع يتجلى أيضاً في أبيات أخرى من قصيدته الهمزية التي مدح بها ابن جدعان ، إذ قال أمية :

فأرضُكَ كُلُّ مكرمةٍ بناها ... بنو تَيْمٍ وأنتَ لهُمْ سماءُ

فأخذ أيمن بن خريم هذه المقابلة الفنية ، فقال يمدح بني هاشم :

نهارُكُمُ مكابَدةٌ وصَوْمٌ ... وليلُكُمُ صلاةٌ واقتِراءُ

أأجعلكُمْ وأقواماً سواءً ... وبينكُمُ وبينَهُمُ الهواءُ

وهُمْ أرضٌ لأرجلكُمْ وأنتُمْ ... لأعينِهِمْ وأرؤسِهِمْ سَماءُ

وقال أمية أيضاً :

فأبرِزْ فَضْلَهُ حقاً عليهِمْ ... كما بَرَزَتْ لناظرِها السماءُ

فهل تخفى السماءُ على بصيرٍ ... وهل بالشمسِ طالعةً خَفاءُ

فأخذ السيد الحميري هذا المعنى ، وقصَّر عن أمية ، فقال :

تشبَّه وجهه قمراً منيراً ... يضيءُ له إذا طلع السناءُ

فلا يخفى على أحدٍ بصيرٍ ... وهل بالشمس ضاحيةً خفاءُ

ومن معاني أمية التي لا تخلو من جدة وإبداع ، تلك المفارقات التي بناها بين عطاء ممدوحه وعطاء غيره ، في قوله :

عطاؤكَ زَيْنٌ لامرىءٍ إنْ حبَوْتَه ... ببذلٍ وما كلُّ العطاء يَزِينُ

وليس بشَيْنٍ لامرىءٍ بَذْلُ وجهِه ... إليكَ كما بعضُ السؤال يَشِينُ

وقد حظي هذا المعنى بشهرة لا تقل عن شهرة المعنى الأول ، إذ نقل أبو

هلال العسكري أن أعرابياً « دخل على المنصور ، فتكلم فأُعجب بكلامه ، فقال له : سَلْ حاجتَك . فقال : يبقيك الله ويزيد في سلطانك . فقال : سل حاجتك فليس في كل وقت تؤمر بذاك . قال : ولِمَ يا أمير المؤمنين ، فوالله ما استقصر عمرك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغتنم مالك ، وإن سؤالك لشرف ، وإن عطاءك لزين ، وما بامرىء بذل وجهه إليك نقص ولا شين »[١] .

وقد سار هذا المعنى أيضاً على ألسنة عدد من الشعراء ، فنقله ابو تمام في قوله :

تُدعى عطاياه وَفْراً وهْيَ إن شُهرتْ كانت فخاراً لمن يعفوه مُؤْتَنَفَا
مازلتُ منتظراً أعجوبةً زمناً حتى رأيتُ سؤالا يُجْتَنَى شَرَفا

ثم نقله المتنبي أيضاً في قوله :

وقبضُ نوالِهِ شَرَفٌ وعِزٌّ وقبضُ نوالِ بعضِ القومِ ذامُ

وأخذه البحتري أيضاً ، وقصر عن أمية ، فقال يمدح الفتح بن خاقان :

عالي المحلّ أنالني بسؤاله شرفاً أطلّ على النجوم مُنيفُه

وقال ابن الأثير : « فأمية أتى بمعنيين اثنين : أحدهما أن عطاءه زين ، والآخر أن عطاء غيره شين ، وأما البحتري فإنه أتى بالمعنى الواحد لاغير »[٢] .

ومن المعاني التي أبدع فيها أمية قوله في المديح :

والناسُ تحتَكَ أقدامٌ وأنتَ لهُمْ رأسٌ وكيف تسوّى الرأسُ والذّنبُ

وهذه المقابلة الفنية بين الممدوح وغيره من الناس ، وجعلِها بمنزلة المقابلة

---

(١) كتاب الصناعتين ٣٠ .
(٢) الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان ٦٦ .

بين الرأس والقدم ، قد تأثر بها الحطيئة ، ونقلها في مدحه بني أنف الناقة فقال :

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهُمُ ... ومَن يُسوّي بأنف الناقةِ الذّنبا

ثم نقل ابن الرومي هذه الصورة أيضاً ، فقال :

قومٌ يَحلّونَ مِن مَجدٍ ومِن شَرفٍ ... ومن غَناءٍ مَحلّ البَيْضِ واليَلَبِ[1]

حلّوا مَحلّها مِن كلّ جُمجمةٍ ... نفعاً ورفعاً وإطلالاً على الرُّتَبِ

قومٌ هُمُ الرأسُ إذ حسادُهُمْ ذَنَبٌ ... ومَن يُمثل بين الرأسِ والذَّنَبِ

فمعاني أمية لاتخلو من جدة وإبداع ، وقد رأينا بعض الخصائص المعنوية التي تشترك فيها موضوعات شعره كافة ، إلا أن هنالك مشكلة تتصل بمعاني شعره الديني ، وهي ما أثير حول صلة هذه المعاني الدينية بالقرآن الكريم .

وقد رأينا في التمهيد لهذا البحث شيئاً من الاتجاهات الدينية في الجزيرة قبيل الإسلام ، وبصورة خاصة أولئك الأفراد الذين قاموا يحاولون البحث عن دين إبراهيم الصحيح ، وينادون بالتوحيد المجرد ، والتخلي عن تلك المفاسد السائدة كالأصنام والأنصاب وما يتصل بعبادتها أو بالتقرب منها ، فكان من هؤلاء جماعة « الحنفاء » ، وهي شبه حركة إصلاحية غير منتظمة قامت في وجه الفساد المنتشر في قبائلها ، ومثل هذه الحركة لايضير الإسلام في شيء ، غير أن بعض المستشرقين تحملهم فكرة التعصب على القول بأن القرآن من صنع محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يحاولون إثبات ذلك بأي وسيلة ، ولهذا تراهم يقفون على حركة الحنفاء ، وأمية ابن أبي الصلت منهم ، وذلك ليثيروا شيئاً من الشك ، وليزعموا أن القرآن قد استمد معينه من هذه الجماعة ، أو أنه استمد وإياهم من مصادر واحدة . ولا بأس

---

(١) البيضه : من حديد تلبس في الرأس . واليلب : قيل هي البَيْض تصنع من جلود الإبل .

أن نعرض ماقيل من آراء حول هذا الموضوع ، ثم ننتهي إلى تفنيدها والرد عليها.

إن نيكلسون يتحدث عن حنيفية أمية وبعض الجاهليين ، ثم ينتهي إلى أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، لم يبتدع شيئاً وإنما كان كل شيء في الجزيرة معداً له ومهيئاً للنسج على غراره . ولا يلبث أن يعقب على بعض أبيات أمية ، فيصرح بأخذ القرآن عن الحنفاء عامة ، لأن معظمهم عاصر محمداً ، وكانوا ينتمون إلى الحجاز خلا واحد منهم . وحجة نيكلسون تقوم على نقاط التشابه بين ما رواه من أبيات منسوبة إلى أمية ، وبين نصوص القرآن ولا سيما الأحكام التي وردت في سوره المكية الأولى (١) .

وهذا الراي سبق إليه كليمان هوار ، إذ حقق كتاب البدء والتاريخ للمقدسي ونشره مع ترجمة فرنسية في باريس سنة (١٨٩٩ م) ، وهو كتاب مليء بالشعر الديني المنسوب إلى أمية ، ولهذا رأينا كليمان هوار يزعم أنه اكتشف مصدراً جديداً من مصادر القرآن ، وهذا المصدر هو شعر أمية بن أبي الصلت ، ثم يقارن بين شعر أمية وما فيه من أقاصيص دينية ، وبين نصوص القرآن ، وينتهي إلى أن النبي قد استعان بشعر أمية في نظم القرآن (٢) .

وممن أيد كليمان هوار وذهب إلى أخذ الرسول عن أمية المستشرق بور Power ، فقد زعم أن مواطن التشابه بين شعر أمية والقرآن ، دليلٌ على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اعتمد في القرآن على أشعار أمية ، لأن أمية أقدم من الرسول عليه السلام تاريخياً (٣) .

---

(١) Nicholson, P.150

(٢) عرض رأيه طه حسين في كتاب الادب الجاهلي ص ١٧٩ – ١٨٠ وقد أوردناه في بحث سابق .

(٣) انظر مقالة بور حول اشعار امية « إضافات واقتراحات وتصويبات » في : MFO,v (1912) , P. 145-95

وارجع الى تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي ٥ : ٣٨٧ .

غير أن شولتهيس قام بجمع طائفة من شعر أمية ، ثم طبعها في ليبزيغ سنة (١٩١١ م) مع مقدمة بالألمانية عرض فيها آراءه حول هذا الموضوع ، فأنكر رأي كليمان هوار في أن محمداً قد استعان بشعر أمية بن أبي الصلت ، ورأى أنهما اشتركا في ثقافة واحدة ، ونقلا عن مورد واحد . واستند في ذلك على ورود بعض الألفاظ في القرآن والحديث وكتب التفسير ، ووجد فيها دليلاً على أن الرسول لم يكن « أمّياً » بل كان قارئاً كاتباً . ولكنه لم يحدد ذلك المورد بالإنجيل والتوراة ، بل ذهب إلى أنه « مجلة » أو « صحيفة » تتضمن أحاديث وتفاسير وقَصَصاً دينياً قديماً ، وبذلك رفض فكرة الوحي ، ورأى أن نشأة القرآن عن طريق الوحي كما يعتقد المسلمون من الأساطير التي تعد من الغرابة بمكان [١] .

ثم عرضت دائرة المعارف الإسلامية لهذا الموضوع ، فرأت أن أساطير أمية وأفكاره ووسائل التعبير لديه تجعل شعره يتلاقى تلاقياً كاملاً مع القرآن ، وهذا التلاقي ربما كان في بعض المواطن عبارة عن تماثل حرفي ، ولهذا طُرح على بساط البحث – كما تقول دائرة المعارف – مسألة أخذ أحد الطرفين عن الآخر .

ثم أشارت دائرة المعارف إلى رأي كليمان هوار ، الذي يرى في قصائد أمية المستمدة من الأساطير المقدسة ، والمذكورة في كتاب البدء والتاريخ ، أنها هي الأصيلة ، وهي الينابيع المباشرة للقرآن ، أما أن يكون أمية هو الذي أخذ عن القرآن وجعله نموذجاً لمحاكاته ، فإن كليمان هوار يرفض ذلك ويراه مستحيلاً من الوجهة التاريخية .

وبعد أن عرضَتْ رأي كليمان هوار ، إذا بها تنحو إلى مايقارب آراء

(١) schulthess,P.7 ، وانظر جواد علي ٥ : ٣٨٩ ، والادب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي لعبد المنعم عطية ٣٥٢ .

المستشرقين الآخرين ، فترى أن مسألة التلاقي بين أمية والقرآن ، يمكن أن تفسر بالأولى تفسيراً آخر لامجال إلى رده ، وهو أنه في حوالي الفترة التي دخل فيها محمد مسرح التاريخ ، وقبيل ذلك بشيء من الزمن ، كانت التيارات الدينية والروحية على نمط الحنيفية قد بلغت الأوساط الحضرية ، ولا سيما في مكة والطائف وقد ساعد على بسطها الأساطير اليهودية الهجادية والنصرانية .

وبذلك تفسر دائرة المعارف الاسلامية التلاقي بين القرآن وأمية ، فترى أن كلا منهما قد أخذ عن مصادر مشتركة ، إما مكتوبة كما يعتقد شولتهيس أو شفوية كما يعتقد نولدكه [١] .

وبعد هذا يمكن أن نرد آراء المستشرقين جميعاً إلى قسمين : رأي يجعل من شعر أمية خاصة المصدر الأساسي للقرآن ، ورأي آخر يجعل شعر أمية ونصوص القرآن قد اعتمدا على مصادر واحدة إما مكتوبة أو شفوية .

أما نقادنا نحن فمنهم من وقف حائراً بين هذه الآراء ، ومنهم من قطع بأخذ أمية عن القرآن . فمحمد الخضر حسين يرى أن أمية نظم تلك القصص تحديا للرسول ودعوته ، ولذلك يقول : « ومعروف لكل مؤدب أن أمية بن أبي الصلت كان جاهلياً معاصراً للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد وصل إليه شيء من قصص التوراة عن ثمود ، فنظم ذلك في عرض هجائه للنبي صلى الله عليه وسلم تحدياً لدعوته » [٢] .

ولكن عبد المنعم خفاجي لايقطع برأي في الموضوع ، وإنما يقول : « إن شعر أمية بن أبي الصلت جدير بأوفر عناية وأدق درس ، لأنه وقد ذكر ما

---

(١) Encyclopéde de Islam Vol. IV,P.1051 - 52

(٢) الشعر الجاهلي والرد عليه ٩٤ .

ذكر من أنباء الرسل لايعدو واحدة من اثنتين : إما أن يكون قد قيل قبل نزول القرآن ، أو بعده وفي أثنائه . فإن كانت الأولى ، فهو وثيقة فريدة في الأدلة على ماعَرف بعضُ العرب لذلك العهد من الشؤون . وإن كانت الثانية ، فقد أراد به صاحبه لامحالة معارضة القرآن فانقطع وتخلف ولم يستطع الكفار أن يشغبوا به »[1] .

وذهب محمد هاشم عطية إلى أخذ أمية عن القرآن ، فقال : « وقد سمع أمية القرآن وحكى شيئاً مما فيه من القصص ، واقتبس من كلماته أو من أسلوبه»[2]. وقال أيضاً : « وسترى من هذه الناحية وفي شعره القصصي مبلغ تأثره بالأسلوب القرآني واقتباسه من ألفاظه وعباراته كما قدمنا »[3] .

وهكذا نجد معظم نقادنا يذهبون إلى أخذ أمية عن القرآن تحدياً أو اقتباساً ، وقد أشار شولتهيس إلى مثل هذا الرأي ، إذ لوّح باحتمال أخذ أمية عن بعض الآيات التي كانت منزلة يومئذ ونظمها في شعره ، ولكن شولتهيس قد أصر على اشتراك الرسول وأمية في النقل عن مصدر مشترك واحد .

وبهذا أصبح لدينا ثلاثة آراء مختلفة : الأول أن أمية هو الذي أخذ عن القرآن . والثاني أن القرآن هو الذي أخذ عن أمية ، وأمية هو المصدر الرئيسي له . والثالث أن أمية والقرآن قد أخذا عن مصادر واحدة تعود إلى الأفكار الدينية التي كانت سائدة قبيل الإسلام .

والواقع أن هذه الآراء جميعاً لا تعتمد على دليل ثابت أو علمي مطلقاً ، وكل ما تقوم عليه ضرب من الظن أو الاحتمال ، وليس هذا من الأدلة العلمية في

(١) الشعراء الجاهليون ١٠٥ .
(٢) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ٣٥١ .
(٣) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ٣٥٦ .

شيء . فأصحاب الرأي الأول يفترضون أن أمية عارض القرآن متحدياً أو مقتبساً، ولكن رجلاً يحاول الاقتباس أو محاكاة كتاب معين ، لا يمكن أن ينطق بمادته وأسلوبه ودقائق عباراته في سرقة واضحة مكشوفة .

وإذا كان في الشعر المضاف إلى أمية إغارة واضحة على أسلوب القرآن ولغته ومعانيه ، وفيه نقل صريح لبعض الآيات ، أو نظم لأقسام منها ، فهذا يشير إلى أن هذا الشعر ليس من نظم شاعر يحاول التحدي والاقتباس ، وإنما هو من صنع راوية أو قصّاص يقتبس من القرآن إرضاء لمشاعر العامة من الناس دون أن يخشى من يشنع عليه في ذلك .

وأمية توفي في السنة الثانيه للهجرة ، ومعنى ذلك أنه لم يسلخ من الوقت بعد ظهور الإسلام ما يسمح له أن يتعمق في قراءة ما نزل من القرآن ، واستيعاب ما فيه من خصائص في أسلوبه وتراكيبه ومعانيه ، ولا سيما أنه لم يؤمن بالإسلام ولم يكن ليجالس المسلمين ، ويأخذ عنهم ما يتنزل من أيات الكتاب المبين ، ولهذا كان وجود كثير من العبارات القرآنية والتفصيلات والتفاسير الاسلامية في القصائد التي تتشابه مع القرآن ، إنما يدل على أنها وُضعت في عصر إسلامي ، ويشير إلى أن واضعها رجل يؤمن بالقرآن إيماناً جعل هذا الكتاب جزءاً من حياته وثقافته الجوهرية .

ولنفرض جدلاً أن أمية حاول أن يقاوم الرسول بقصائد تماثل ما في القرآن من المعاني والقصص ، فهذا يعني أن على أمية أن يأتي بأساليب أروع مما في شعره الآخر ، ذلك لأن القرآن قد قرع آذان العرب متحدياً أن يأتوا بسورة أو بعشر سور ولو كانت مفتريات[1] ، ومع ذلك وقف أرباب الشعر وأصحاب البيان

(١) انظر سورة البقرة ٢ : ٢٣ – ٢٤ ، وسورة يونس ١٠ : ٣٨ ، وسورة هود ١١ : ١٣ .

وكأن على رأسهم الطير لا يحيرون جوابا . والذي أعجزهم في القرآن هو أسلوبه وموسيقاه وتصويره ، حتى كان له في نفوس العرب ما كان لعصى موسى في آل فرعون .

ومثل هذا الأسلوب لا يخفى على شاعر ثقيف ، وإذا استنهض نفسَه لمعارضته ، كان ينبغي أن نتوقع منه أسلوباً إن لم يكن يجاريه ، فهو على الأقل لا يتدنى عن أسلوبه في غير هذه المعارضة . إلاّ أن الشعر الذي تظهر فيه آثار التلاقي مع القرآن ، لا نجد فيه غير الركالة والضعف والتفكك في معظم الأحيان ، مما يدل على أنه من صنع رجل غريب عن فحولة الشعر ، لا يدرك منها غير سَلْك الألفاظ على أي وجه يمكن أن يتم به الوزن . وهذا معناه أن مثل هذا الشعر ينبغي أن يكون مصنوعاً مضافاً إلى أمية ، لا أن يكون هو الذي نظمه متأثراً بالقرآن .

ثم إن أمية كانت علاقته بالاسلام هي العناد والمكابرة واستصغار شأن محمد صلى الله عليه وسلم ، ورجل هذا أمره قد يجد من الغضاضة أن يستقي مادة شعره من أقوال « غلام من بني عبد مناف » على حد تعبيره[1]. ولو أراد أن يتحدى ويشنع على صاحب الرسالة ، لما نظم شيئاً من القرآن في شعره ، وإنما عمد إلى سلاح أقوى وأشد ، وذلك إن عمل تحت لواء شهرته وساير القوم على القول : « إنْ هذا إلاّ أساطير الأولين » . ولهذا كله نستبعد أن يكون أمية قد أخذ شيئاً عن القرآن في شعره .

وأما الرأي الثاني الذي يجعل من أمية مصدراً رئيسياً للقرآن ، فيزعم أن الرسول أخذ عن أشعار أمية بن أبي الصلت ، فهذا الرأي لا يقوم على أساس علمي ، لأنه لا يمكن التسليم به إلا بعد إثبات أن ذلك الشعر الذي يلتقي مع القرآن صحيح النسبة إلى أمية ، وأنه أسبق منه تاريخياً . غير أن هذا الشعر ليس من الثابت أنه لأمية ، ودراسته تدل على أنه موضوع في عصر إسلامي متأخر عن زمن نزول الوحي وعن أمية معاً ، وقد سبق بيان ذلك .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٣ : ١١٩ ، والاصابة ٥ : ٢٢٤ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٣٤ .

وعلى الرغم من دراسة كامينتسكي للصلة بين أشعار أمية والقرآن[١] ، فقد لاحظ أن بعض الأشعار المتأثرة بالقرآن يمكن أن تكون من صنع شاعر إسلامي قديم ، لأنها تتناسب مع الفترة الأولى للإسلام[٢] . وهذا يشبه موقف نولدكه من بعض الأشعار المنسوبة إلى زيد بن عمرو بن نفيل ، إذ رآها تحمل آثار واضع إسلامي ، استمد أجزاءها من القرآن ، وكان واضعها يهدف إلى إيضاح أن الاسلام تكملة منطقية لدين إبراهيم[٣] .

ثم إن موقف أمية من الاسلام لا بد أن يدفعه إلى الذود عن شعره ، والقول بأن الرسول يسرقه ويأخذ عنه ، وكذلك قريش لن تعقد اللسان عن هذا الأمر ، فلو علمت أن لأمية شعراً يأخذ عنه الرسول ، لملأت الدنيا بالتشنيع عليه ، ولو أن شيئاً من هذا قد صدر عن أمية أو قريش ، لما أغفله الرواة وأهل الأخبار ، لأنه قد ثبت لنا في غير هذا الموضع أن الرواة لم يحاولوا القضاء على مثل هذه الأخبار لو أنها حدثت فعلاً . ولهذا نجد تلك المزاعم لا تستند على أدلة منطقية أو تاريخية معقولة ، وهي لا تعدو أن تكون وليدة تعصب حمل كليمان هوار على عدد من المغالطات والأوهام في بناء مثل هذا الرأي .

وأما الرأي الثالث الذي ردَّ التشابه بين نصوص القرآن والشعر المضاف إلى أمية ، إلى أخذ الاثنين عن مصادر مكتوبة مشتركة على رأي شولتهيس ، أو عن مصادر شفوية مشتركة على رأي نولدكه أو شبرنجر[٤] ، فهذا الرأي هو الآخر لا يستند على أدلة منطقية علمية ، لأن تلاقي المعاني الدينية مع القرآن ، لا وجود له في شعر

---

(١) Kamenetsky,P.36 - 48

(٢) Kamənetsky,P.39 - 40

(٣) Hnart, P.132

(٤) انظر : Huart, P. 132

أمية الموثق ، وإنما هو في الشعر المضاف إليه ، وبهذا تنتقض مسألة البحث عن الأصل المشترك من أساسها ، إذ لا يمكن البحث عن الأصل المشترك إلا إذا سلّمنا بأن هذا الشعر صحيح النسبة إلى أمية أولاً ، ثم أنه لم يُنظم على يد رجل إسلامي ثانياً . إلا أن دراسة هذا الشعر تدل على نظمه في فترة متأخرة عن زمن نزول القرآن ، وتؤكد أنه ُوضع وضعاً على يد جماعة من الرواة أو القصاص ، أخذوه عن القرآن ، فجاء نظماً لبعض آياته أو سوره ، ولهذا يفسد الأساس الأول لهذه النظرية التي تحاول البحث عن المصادر المشتركة لهذا الشعر والقرآن .

وأما القول بأخذ القرآن من مصادر مكتوبة أو أحاديث شفوية ، فهذا لا دليل عليه لدى شولتهيس ونولدكه وغيرهما سوى الاحتمال والافتراض ، وهذا ليس من أدلة العلم في شيء ، لأن العلم لا ينهض إلا بالدليل الثابت والبرهان القوي ، ولهذا يبقى مثل ذلك الرأي مرتهناً بالدليل وأنى له بذلك ! .

والغريب أن شولتهيس لا يؤمن بأُمِّيّة الرسول ، ولا بفكرة الوحي ، ويرى ذلك من أغرب الأساطير ، مع أنه يؤمن بخوارق الأديان الأخرى على ما فيها من غرابة أحياناً . وإذا كان شولتهيس يرى في الوحي خرافة لا تُصدّق ، فلماذا لا تستوي الأديان جميعاً لديه ، والخوارق فيها على حد سواء ؟ ! إن التعصب هو الذي يستثير تلك المزاعم وما تحاوله من بحث عن مصادر القرآن ، ولو كانت الحقيقة هي التي تدفع إلى ذلك ، لكان من الأدلة ما يكفي للكشف عنها والوقوف عندها .

وقد لاحظنا أن هذه الآراء جميعاً قد بنيت على أساس التلاقي بين القرآن وأمية في القصص والمعاني الدينية وبعض الألفاظ ، وهم في ذلك لا يميزون بين شعر أمية ، والشعر المصنوع المضاف إليه ، ولو فرقوا بين هذا وذاك ، لانتقضت آراؤهم

جميعاً ، لأن التلاقي في القصص والمعاني الدينيـة والألفاظ لم يكن إلا في الشعر الموضوع المضاف إلى أمية لا في شعره المُوثـّق .

وأما بعض القصص في الشعر الموثوق به ، كحديثه عن الطوفان ، فهذا بعيد في أسلوبه عن القرآن ، ولا تظهر فيه روح التراكيب القرآنية ، ولا نجد إسفافاً في أسلوب أبياته ، ولا يُستبعد أن يكون قد تأثر فيه بالتوراة أو بأحاديث شفوية وأساطير شعبية كانت شائعة في عصره وأما المعاني الدينية في هذا الشعر الموثق ، فهي من المعاني العامة في التأله ، ومعظمها ورد في شعر جاهلي موثوق به لغير أميـة . وأما الألفاظ فلا تُتخذ دليلاً على التلاقي إلا إذا رافقتها آثار أسلوبية تدل على تأثير القرآن في هذا الشعر ، ومتى وُجد ذلك كان دليلاً على نحل الأبيات وإضافتها إلى أمية ، أما إذا جاءت بعض الألفاظ في القرآن وفي شعر أمية الصحيح ولم ترافقها آثار أسلوبية أخرى ، فهي لا تؤيد أياً من الآراء المتقدمة ، لأن القرآن نزل باللغة الأدبية المثالية ، التي درج عليها الشعراء الجاهليون على اختلاف قبائلهم وتنوع لهجاتهم .

فاللغة العربية المثالية التي نزل بها القرآن ، هي لغة الشعراء جميعاً في ذلك العصر ، ومن هنا ينبغي الحذر ، لأن مجرد التشابه في الألفاظ لا يكفي للبرهان على أيّ من الآراء المتقدمة ، فإذا وجدنا تشابهاً من هذه الناحية بين أبيات جاهلية وآيات من القرآن ، ولم يكن هنالك إلحاح ظاهر على الاقتباس من القرآن لفظاً ومعنى وأسلوباً، فعلينا ألا نسارع إلى الحكم بوضع هذه الأبيات ، أو الحكم بتأثر صاحبها بالقرآن ، أو تأثر القرآن بصاحبها . وفي دراستنا لتوثيق شعر أميـة لم نحكم بعدم التوثيق إلاّ على الأبيات التي ظهر فيها التشابه مع القرآن في الألفاظ والأسلوب وطريقة التركيب وما في ذلك كله من روح قرآنية واضحة .

وبذلك نخرج إلى أن شعر أمية المُوثـّق لا صلة بينه وبين القرآن ، ومعانيه الدينية لا أثر للروح القرآنية فيها ، وهي في خصائصها الأسلوبية لا تختلف بشيء

عن خصائص المعاني في شعر أمية غير الديني ، وكل ما يلاحظ فيها أحياناً هو الأساطير الموجزة ، مما يجعل فهم الأبيات مرتهنا بفهم هذه الأساطير ، وكأنّ أمية قد تشبع بالأساطير الشعبية والدينية ، فغدا يطلقها بإيجاز وكأنها من الأمور البدهية بالنسبة إليه ، ولا يبعد أن تكون هذه الأساطير في عصر أمية شائعة معروفة لا تُحوج إلى شرح أو تفصيل .

٢ ـ الخصائص اللفظية

إن أول ما نلاحظه في شعر أمية من خصائص لفظية هو اختيار اللفظ لما يناسب موضعه من البيت ، فليس من كلمة قلقة في موضعها ، وليس من كلمة تنفر من جاراتها ، أو تقحم على البيت إقحاماً ليتم وزنه ، وهذا يشير إلى عناية أمية بألفاظه ، ولكن هذا الاهتمام ربما كان فيه بعض الاختلاف البسيط بين شعره الديني وشعره غير الديني .

ففي الشعر غير الديني يبدو أن أمية كان يعنى بالألفاظ والمعاني على السواء ، فلا يغفل ما ينبغي أن يتوفر للفظ من جزالة وسهولة أو غرابة تتناسب مع الغرض الذي يهدف إليه من القصيدة ، ولا يفوته أيضاً ما ينبغي أن يتوفر للمعنى من وضوح وجلاء وجدة أحياناً ، وبذلك كانت عملية التجويد لديه تنصرف إلى اللفظ والمعنى ، فيخرج العمل الفني متكاملاً لا نقص فيه ، إلا ما نجده من بعض آثار التحريف أو الضياع .

وأما في شعره الديني ، فربما كان اهتمامه منصرفاً إلى المعاني أكثر من الألفاظ ، لأن قسماً من هذا الشعر لا يعدو أن يكون صياغة لبعض الأساطير أو الأمور الدينية التي وقف عليها بثقافته المتنوعة ، فهو في ذلك أشبه بالمترجم الذي يعنى

بالمعاني ويحاول جهده أن ينقلها بدقة ، ولهذا نجد أحياناً في صياغة بعض هذه الموضوعات تدقيقاً في نقل المعنى ، وربما وقع لذلك في شيء من المعاظلة وتراكب الكلام كقوله :

فاشتوتْ كلُّها فهاجَ عليهِمْ ... ثُم هاجتْ إلى صَبيرٍ صَبيرا [1]

فقد أكثر من الحذف في هذا البيت ، ثم عاظل بين الكلام ، لينقل المعنى والصورة في قالب لفظي واحد ، فأوقع في الغموض واللبس ، وتقدير كلامه : فهاج السحاب عليهم صَبيراً ، ثم هاجت السماء أو الأبقار إلى صَبيرٍ آخر .

وهذا الكَلَف بالمعنى ربما قاده أيضاً إلى الخروج على اللغة أحياناً كقوله :

له ما رأتْ عينُ البصير وفوقَهُ ... سَماءُ الإلهِ فوقَ سبعِ سمائيا

وكان النحاة يرون في قوله « سمائيا » شذوذاً من ثلاثة أوجه : الأول أنه جمع سماء على « سمائي » بزنة « فعائل » مع أن وزنها المعروف « سُمُيٌّ » على وزن « فُعول » . والثاني أنه أقر الهمزة العارضة في الجمع مع أن اللام معتلة ، وكان ينبغي أن تحذف كما حذفت في خطايا جمع خطية . والثالث أنه فتح الياء في موضع الجر ، مع أنه اسم منقوص وحقه في هذه الحالة أن تُحذف الياء ويُدخل التنوين كما يقال : مررت بقاضٍ ، وهذا قاضٍ ، ورأيت قاضياً . وقد وقع أمية في ذلك كله لأن المعنى كان يضطره إلى ذلك ، إذ لابد أن يضع عرش الإله فوق السموات جميعاً ، ولا يستقيم له البيت والمعنى إلا بوضع « سمائيا » ، ولذلك قال ابن جني : « فإن كان ترك زيغ الإعراب يكسر البيت

---

(١) هاج السحاب : كثر واجتمع ، وهاجت السماء : غيمت وكثرت ريحها ، وهاجب الإبل والبقر : عطشت . والصبير : السحاب يثبت يوما وليلة لا يبرح كأنه يتصبر ، أي يتحبس .

كسراً ، لا يزاحفه زحافا ، فإنه لابد من ضعف زيغ الإعراب ، واحتمال ضرورته ، وذلك كقوله « سماء الإله فوق سبع سمائيا » ، فهذا لابد من التزام ضرورته ، لأنه لو قال « سمايا » لصار من الضرب الثاني إلى الثالث ، وإنما مبنى هذا الشعر على الضرب الثاني لا الثالث »[١] .

ومن ذلك أيضاً قوله — إن لم يكن فيه تحريف :

فسقاها نشاصُه واكفَ الغَيْـ ـثِ مُنتَهٍ إذ رادعوه الكبيرا

فقوله « مُنتَهٍ » أقرب إعراب له أن يكون حالاً من « نشاصه » ، وحقه أن يكون « مُنتَهِياً » ، لأنه اسم منقوص ينبغي أن تفتح ياؤه وتثبت في حالة النصب ، ولكن الضرورة التي جعلته يثبت الياء حيث ينبغي أن تحذف في البيت السابق ، جعلته في هذا البيت يحذفها حيث ينبغي أن تثبت .

وهذه شواهد معدودة في شعر أمية ، وهي قد تشير مجرد إشارة إلى اهتمامه بالمعنى في مثل هذه الموضوعات ، ولكن ذلك لايعني أنه أهمل الألفاظ إهمالا تاماً في عمله الفني ، لأن شعره الديني إذا خلا من هذه الأبيات المعدودة ، فهو لايختلف في صياغته عن شعره غير الديني ، وما نلاحظه من اختيار اللفظ وتهذيبه وإحكام موضعه في الشعر العادي لديه ، نجده أيضاً في الشعر الديني باستثناء بعض الأبيات القليلة التي لايقاس عليها شعره بوجه عام .

وأمية يختار لكل موضوع ما يلائمه من ألفاظ ، أو ما يلائم غرض أمية من خلال هذا الموضوع ، لذلك نميز في شعره بين موضوعات تسودها الألفاظ المأنوسة كالمديح والفخر والعتاب والنسيب والحكمة والشعر الديني بوجه عام ، وموضوعات

---

(٢) الخصائص ١ : ٣٣٣ .

تظهر فيها بعض الألفاظ الغريبة كأبياته القليلة التي تحدث فيها عن الأطلال ، وهو في مثل هذا الموضوع لايختلف عن شعراء الجاهلية ، فإذا عدنا إلى المعلقات أو المفضليات مثلاً أمكننا بسهولة أن نميز في كل قصيدة تقريباً بين طائفتين من الألفاظ ، ألفاظ مأنوسة مألوفة في الموضوعات التي لم تنقطع صلتنا بها وأبرزها الموضوعات الذاتية ، وألفاظ غريبة في الموضوعات التي انقطعت الصلة بيننا وبينها ، وهي ما اتصل بوصف الأطلال والطريق والصحراء وما فيها من حيوان كالناقة والفرس والثور والظليم والحمار الوحشي وما إليها ، ومثل هذه الموضوعات لايقاس الإغراب فيها بالنسبة إلينا ، وإنما يقاس بالنسبة إلى أصحابها في ذلك العصر ، وبذلك لايحكم عليها بغرابة اللفظ ، مادامت ألفاظها مأنوسة للجاهليين أنفسهم .

ولكن ما يُستغرب من أمية أنه في ألصق الموضوعات ذاتية ، وهو الرثاء ، جاء بألفاظ في غاية الغرابة ، ليس بالنسبة إلينا ، وإنما بالنسبة إلى مقارنتها برثاء غيره من الجاهليين كرثاء المهلهل والنابغة والخنساء ومن إليهم . ففي رثائه قتلى قريش يوم بدر يطالعنا بأمثال : « السَّراطِمَة » و « الخَلاجِمَة » و « المَلاوِثَة » و « المَناجِح » و « الوَحاوِح » و « السَّلاطِح » و « الأنافِح » و « الرَّحارِح » و « الجحاجِح » وما إلى ذلك . وفي رثاء زمعة بن الأسود وقتلى بني أسد تعمد بعض الألفاظ الغريبة أمثال : « الدَّفَعَة » و « القَمَعَة » و « الفَزَعَة » و « الخانَة » جمع خائن ، و « الخَدَعَة » جمع خادع . وأمية في مثل هذا الموضوع لايتفق مع شعراء عصره ، لأن الرثاء عندهم كان يمتاز عامة بسلاسة الألفاظ وألفتها وقربها من النفس . ولكن الذي دعا أمية إلى اختيار الألفاظ الغريبة في رثائه بالذات هو جمود عاطفة الرثاء لديه ، ونظرته إلى الموت نظرة خاصة ، تجعله لايحزن لفقد أحد ، مادام الموت كأساً عامة لابد أن يُسقى منها كل إنسان ، ومثل هذه العاطفة تستدعي ألفاظاً أشبه ماتكون بالستائر تخفي حقيقة ما في قلبه من عواطف ،

وكذلك كانت هذه القصائد لاتهدف إلى الرثاء بقدر ما تقصد إلى الإثارة والتحريض، ولذلك اختار ألفاظاً غامضة غريبة لما فيها من إيحاء خاص ، له تأثير واسع في إثارة النفس ودفعها إلى مايريده من أهداف .

ولهذا كان أمية حريصاً على تخيُّر الألفاظ المناسبة لكل موضوع ، أو الملائمة لما يبتغيه من هذا الموضوع بالذات ، فإن كان في موضوع يتطلب اللفظ المأنوس أتى به وقلما وقعنا على مايُستغرب فيه ، وإن كان في موضوع يريد له غرابة اللفظ أتى به واختاره من الألفاظ التي تمتاز بجرس خاص فيه كل ما يبتغي من إثارة أو إيحاء ، ذلك لأن أمية لم يكن يُعنى بجانب الوصف والتصوير فحسب ، وإنما كان يعنى بالجانب الموسيقي أيضاً ، فالموسيقا عنصر أساسي في البنية الفنية لأي نص أدبي ، ولا سيما أنها قد تساعد على التصوير في الأبيات ، إذ أن الكلمة الواحدة قد توحي بصورة كاملة في ألوانها ودقائقها وما فيها من حياة وحركة .

ولهذا كان أمية يختار من الألفاظ ما يساعد على الإيحاء ، ويبعث في الأبيات جرساً موسيقياً يتجاوب مع مافيها على أفكار أو خلجات نفسية داخلية .

فإذا أراد أمية أن يصف وقع المطر على الأرض ، وجدناه يختار كلمات موحية معبرة، ذات جرس خاص ، له وقع في النفس ، وتأثير يبعث على الإيحاء بذلك المشهد كله:

له نَـفَيانٌ يَحفِشُ الأُكمَ وَقْعُهُ ... تَرَى التُّربَ منهُ مائِراً يَتَثلَّلُ

فقد اختار من الألفاظ « نَـفَيان » و « يَحفِش » و « مائِراً » و « يتثلّل » ، وكلها من الألفاظ المعبرة الموحية ولا سيما « يحفش » و « مائراً » لما فيها من أصوات تكاد تعبر بجرسها عما يرافق سيلان الوادي أو الأكمة من سرعة وامتلاء وجرف للأتربة وما إليها .

وإذا أراد أن يصور قدور ابن جدعان ، لاذ أيضاً بالألفاظ المعبرة الموحية فقال :

تَبْدو الكُسُورُ مِنَ انضِرا ج ِ الغَلْي ِ فيها والكَراكِرْ
فكأنَّهُنَّ بِباحِميـ ـنَ وما شُحِنَّ بهِ ضَرائِرْ
زَبَداً وغَرْغَرَةً كَقَرْ قَرَةِ الفُحولِ إذا تُخاطِرْ

فقد استخدم ألفاظاً ذات جرس خاص مثل « انضراج الغلي » و « ضرائر » و « زبدا وغرغرة » ، وكل منها يوحي من خلال جرسه وأصواته بجانب من هذه الصور التي تعمرها الحياة والحركة ، ولعل في قوله « زبدا وغرغرة كقرقرة الفحول » مايُسْمِعُ أصوات القدور ويُري غليانها ويبعث شيئاً من ألوانها وروائحها وما أشبه ذلك .

ولا يقتصر الجانب الموسيقي على الألفاظ المعبرة فحسب ، وإنما يمتد إلى تجاور الألفاظ ومدى وجود المدود فيها ، فإذا كان أمية في موضوع يحتاج إلى أمواج قصيرة من الموسيقا عمد إلى ألفاظ خالية من المدود ، أو تقرب أن تكون خالية منها ، ومن ذلك قوله في وصف الحية :

نابٌ حديدٌ وكفٌّ غيرُ وادِعَةٍ والخُلْقُ مُختلِفٌ والقولُ والشِّيَمُ
وقد بَلتْهُ فذاقتْ بعضَ مَصْدَقِهِ فليس في سَمْعِها مِنْ رَهْبَةٍ صَمَمُ

ففي هذه الأبيات لا نجد الأمواج الموسيقية الطويلة ، وإنما تطالعنا الأمواج القصيرة ، وذلك لاختياره ألفاظاً أكثرها تنعدم فيه المدود ، ثم لإكثاره من التنوين فيها ، حتى بدا هذا التنوين وكأنه ضربة إيقاع تفصل بين تلك الأمواج الموسيقية القصيرة .

وإذا تحدث عن موضوع يحتاج إلى أمواج موسيقية مديدة ، جاء بألفاظ تكثر فيها المدود ، ومن ذلك مثلاً قصيدته في رثاء قتلى بدر من المشركين :

ألاَّ بكيْتَ على الكِرا مِ بني الكرامِ أُولي المَمَادِحْ
كبُكا الحَمامِ على فُرو عِ الأيْكِ في الغُصُنِ الجَوانِحْ

أمثالُهنَّ الباكياتُ المُعْوِلاتُ منَ النَّوائِحْ

ففي هذه الأبيات تكثر مدود الألفاظ ، فتعطي أمواجاً مديدة من الموسيقا، وتبعث في الأبيات جرساً يوحي بانطلاقها من أعماق قلب الشاعر ، وبذلك يزداد تأثيرها في نفس السامع ، وتحقق لأمية مايهدف إليه من أغراض ، ولو تابعنا أبيات هذه القصيدة لرأينا فيها تموجاً بين كثرة المدود في أبيات ، وندرة الممدود في أبيات ، وذلك تبعاً لما يبرز في هذه الأبيات أو تلك من خلجات نفسية مختلفة .

ولا يقتصر الأمر على ألفاظ البيت الداخلية ، وإنما نجد أمية يعتمد على القوافي أيضاً ليثير في الأبيات مايريد من جرس موسيقي ، وقد رأيناه في قصيدة بدر ، يختار قافية مفجوحة لتساعد على إثارة جرس خاص للأبيات يمكن أن يسهم في إثارة روح الحقد والكراهية والانتقام . وإذا دخل على عبد الله بن جدعان ورآه يجود بنفسه ، وأيقن أنه مدابر ، أي هالك ، لجأ إلى قافية تمتد بها الموجة الموسيقية ثم تنكسر انكساراً على الراء الساكنة في آخرها ، فقال :

عَلِمَ ابنُ جُدْعانَ بنِ عَمْـرٍو أنَّه يوماً مُدابِرْ
ومُسافِرٌ سفَراً بعيداً لايؤوبُ به المُسافِرْ

وعناية أمية بألفاظه من الوجهة الموسيقية ، دفعته إلى اختيار الأوزان الخفيفة ، فسادت لذلك في شعره أوزان الوافر والبسيط والخفيف والمتقارب والكامل ومجزوء الكامل ، ثم جاء بعد ذلك وزن الطويل ، ولم نجد له من الشعر على غير هذه الأوزان إلا أربعة أبيات على المنسرح اثنين منها في الغزل ، وآخرين يفخر فيهما بإياد .

فأهم خصائص الألفاظ في شعر أمية هي الاهتمام بالجانب الموسيقي فيها ، ثم ما لاحظناه من تناسبها مع الموضوعات تبعاً لسهولتها أو غرابتها ، وأخيراً مارأيناه من عناية باللفظ والمعنى في شعره بوجه عام ، وتوجيه الاهتمام إلى المعنى خاصة في

بعض الموضوعات الدينية ، ولكن ثمة مسألة أخرى أثيرت قديماً وحديثاً حول ألفاظ أمية ، وهي ما لاحظة بعض النقاد القدامى في الشعر المضاف إلى أمية من ألفاظ أعجمية بين نقل أو تعريب أو اقتباس .

وأول من نبه على ذلك ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، إذ قال في حديثه عن أمية : « وأتى بألفاظ كثيرة لاتعرفها العرب ، وكان يأخذها من الكتب ، منها قوله « وخان أمانة الديك الغراب » ، وزعم أن الديك كان نديماً للغراب ، فرهنه على الخمر وغدر به ، وتركه عند الخمار ، فجعله الخمار حارساً . ومنها قوله « قمر وساهور يسل ويغمد » ، وزعم أهل الكتاب أن الساهور غلاف القمر يدخل فيه إذا انكسف ، وقوله :

ليسَتْ بطالعةٍ لهُمْ في رِسْلها إلاّ معذبةً وإلاّ تُجْلَدُ

وقوله :

غيمٌ وظلماءٌ وفَضْلُ سحابةٍ أيامَ كَفَّنَ واستَرادَ الهُدْهدُ
يبغي القرارَ لأمّهِ ليُجنّها فبنَى عليها في قَفاهُ يَمْهَدُ
فيزالُ يدلجُ مامضى بجنازةٍ منهاوما اختلفَ الجَديدُ المُسْنَدُ

وكان يسمي السموات صاقورة وحاقورة ، ويقول : أبدت الثُّغْرورا ، يريد الثغر . وعلماؤنا لايرون شعره حجة على الكتاب »[١] .

ومن الواضح أن ابن قتيبة في هذا القول لايريد بالألفاظ مجرد الكلمات الدخيلة ، وإنما يجمع في ذلك بين الكلمات والمعاني والأساطير التي وردت في شعر أمية ، أو في الشعر المنسوب إلى أمية ، وللأساطير المقام الأول في قوله ، بدليل كثرة ما أورده من شواهدها . ومن ثم قال إن علماءه لايرون في شعر أمية

(١) الشعر والشعراء ١٠٧ ، ونقله البغدادي في الخزانة ١ : ٢٢٩ .

حجة على « الكتاب » ، ولهذا فمسألة الاحتجاج لديه ربما كانت أقرب إلى الجانب الديني منها إلى الجانب اللغوي العام .

ثم قال الأصفهاني عن أمية : « وكان يسمي الله عز وجـل في شعره السلطيط ، فقال : « والسلطيط فوق الأرض مُقتدِرُ » . وسماه في مكان آخر التغرور فقال : « وأيده التغرور » . ثم أورد الأصفهاني بعد ذلك قول ابن قتيبة على هـذا النحو : « قال ابن قتيبة : وعلماؤنا لايحتجون بشيء من شعره لهذه العلة » [١] .

ولا شك أن الأصفهاني لم ينقل كلامَ ابن قتيبة بدقة ، إذ لم يفهم الألفاظ إلا بمعنى الكلمات ، ثم أصبح الاحتجاج لديه ليس على الكتاب ، وإنما على الكتاب واللغة ، ولم يقتصر عدم الاحتجاج على قسم من شعره دون قسم ، بل أصبح عنده لا يُحتج بشيء من شعره .

وهذا ما جعل يردده بعض المحدثين دون أن يقفوا بين يدي أقوالهم ، ومن ذلك قول الخفـاجي : « غير أن الذي أزرى بشعره في نظر بعض النقاد حتى أسقطوا الاحتجاج به كثرةُ استعماله للدخيل من العبرية والسريانية في شعره ، كما أنكروا عليه حق التعريب لشدة مخالطته للأعاجم وإن كان عربياً أصيلاً » [٢] .

وفي هذا القول لانجد أدلة تـثبت مافيه من أحكام ، إذ لم نجد في مصادرنا من أنكر على أمية حقّ التعريب ، ولم نقف على إسقاط الاحتجاج بشعره إلاّ في قول ابن قتيبة والأصفهاني ، وأما « كثرة استعمال الدخيل » ، فلم يشر إليها من القدماء غير ابن دريد ، إذ قال : « كان أمية يستعمل السريانية في شعره كثيراً لأنه قرأ الكتب » [٣] . ولكن ابن دريد لم يذكر في هذا الموضع من الجمهرة

---

(١) الأغاني ٣ : ١٨٠ .
(٢) الشعر والشعراء ١٠٥ ــ ١٠٦ .
(٣) جمهرة اللغة ٢ : ٣٣٩ .

غير كلمة « الساهور » ، ولم يشر في كتابه هذا إلى أي كلمة أعجمية لأمية غير ماذكره ابن قتيبة والأصفهاني وسائر المصادر [١] ، مما يدل على أن هذه الألفاظ محدودة معروفة في الشعر المنسوب إلى أمية ، ولو تفرد هذا الشعر بغيرها ، لذُكر ذلك في هذا المصدر أو ذاك .

ولكن فكرة كثرة الدخيل في ألفاظ أمية ، كانت تستهوي بعض المستشرقين أوائلَ هذا القرن ، فالمستشرق شولتهيس كان يرى أن أشعار أمية تنم عن ولعه باستعمال الألفاظ الأعجمية [٢] ، ونظرته هذه دفعت المستشرق كامينتسكي إلى تتبع الألفاظ الأعجمية في الأشعار المنسوبة إلى أمية ، فأتى بقائمة مطولة منها ، وحدد أصول الألفاظ فيها بين حبشي أو آرامي أو يوناني أو فارسي [٣] ، ولكنه لم يعتمد المنهج العلمي في جمع ألفاظ هذه القائمة المطولة ، لأن معظم الألفاظ التي أوردها يمكن أن يُفسر وجودها في الأشعار المنسوبة إلى أمية بأحد أوجه ثلاثة : الأول أن تعريبها لم يتم على يد أمية حتى تُنسب إليه ، وإنما عُربت في عهود قديمة ، أتاحت لها أن توجد لنفسها أسراً اشتقاقية في العربية تشبه الأسر الاشتقاقية لكل من الألفاظ العربية نفسها ، وبذلك أصبح من الصعب أحياناً أن تُميَّز من الأصول العربية الخالصة . والثاني أن بعض هذه الألفاظ من الصعب أن يُحكم عليه بأنه من أصل سرياني أو آرامي أو جعزي حبشي ، لأن هذه الألفاظ تعود إلى أصول سامية مشتركة ، وبذلك لايبعد أن تكون من أصول عربية ، لأن من المعروف أن العربية ما تزال تحافظ على أكثر الأصول السامية وأوضحها على الاطلاق . والثالث أن بعض هذه الألفاظ لاينبغي أن يُنسب إلى أمية ، لأنه يقع في أشعار متهمة ، ولا يجوز أن تُنسب تلك الألفاظ إلى عصر معين ، لأننا لانعلم

---

(١) انظر مثلا جمهرة اللغة ٣ : ٣٠٨ ، ومقاييس اللغة ٣ : ٢٩٧ ، والمخصص ٩ : ٦ ، ٧ ، ومبادىء اللغة ٥ ــ ٦ ، والأزمنة والأمكنة ٢ : ٤ ، ٦ ، ٥٥ ، والمعرب ١٩٢ ، واللسان (سهر) .

(٢) Kamenetsky, P. 49

(٣) Kamenetsky, P. 52-58

مَن وَضع تلك القصائد المتهمة ، أو لفق في أبياتها ، ولا في أي عصر حدث ذلك .

ولهذا فالألفاظ الأعجمية ، التي تفرد بها الشعر المنسوب إلى أميـة ، تبقى محدودة جداً ، ولا تـكاد تزيد عما ذكره الأصفهاني وابن قتيبة ، وهي : الساهور بمعنى غلاف القمر ، والصاقورة للسماء الثالثة ، والحاقورة للسماء الرابعة ، والثغرور بمعنى الثغر ، والسلطيط والتغرور بمعنى لفظ الجلالة ، وبعض هذه الألفـاظ يقع في قصائد متهمة ، وقد تكون الأبيات التي وردت فيها بعض هذه الألفاظ منحولة على أمية قبل ابن قتيبة (٢٧٦ ﻫ) . ومع ذلك لابد من نظرة سريعـــة إليها ، وكأنها وثيقة الصلة بأمية وليس من شك في القصائد التي وردت فيها .

فالساهور ، بمعنى القمر أو غلافٍ للقمر زعموا أنه يَدْخل فيه إذا كَسَف، قيل : هو سرياني[1] ، وقيـل : نبطي أو سرياني[2] . ولكن هـذه الكلمة من أصل سامي مشترك ، وقد تكون معربة وقد لا تكون ، ذلك لأن « سَهَرْ » ، بمد حركة الهاء ، تُطلق على القمر في السريانية والعبرية ، والسين قد تقابلها شين في العربية عادة أو العكس ، ولهذا نجد كلمة « شَهْر » تـُطلق في العربية على القمر أو على الزمن الناتج عن دورة القمر ، ثم حافظت العربية على الأصل « سهر » بالسين في مادة تخصصت في لغتنا وغدت بمعنى عدم النوم ليلًا ، ولهذا قـد تكون كلمة « ساهور » عند أمية مقتبسة من السريانية أو العبرية أو النبطية ، وقد تكون في العربية أثراً باقياً من الأصول السامية القديمة ، ولا سيما أن هذه الكلمة وردت في العربية بمعنى آخر في قولهم : « ساهور العين : أصلُها ومَنْبَع مائِها »[3]. ومما يؤيد ذلك أن وزن « فاعول » ما تزال له بقايا في العربيه أمثال : كانون وماعون وناقوس وساطور وتامور وحانوت وباحور وراحول وناهور وغيرهـا من

(١) جمهرة اللغة ٢ : ٣٣٩ ، والمعرب ١٩٢ ، واللسان (سهر) .
(٢) مبادىء اللغة ٦ ، والأزمنة والأمكنة ٢ : ٥٥ .
(٣) اللسان (سهر) .

الألفاظ المتناثرة في كتب اللغة ، وإذا قيل إن بعضها معرّب ، فلا شك أن بعضها الآخر له أصول عربية ثابتة ، ولهذا رأى بعض الباحثين أن وزن « فاعول» من أقدم الأوزان العربية ، وأنه الأصل لوزن « فَعُول » أو « فاعل » [١] ، وإذا كان من أقدم الأوزان في العربية ، فلا يُستبعد أن يَحتفظ ببعض الآثار السامية القديمة مثل « ساهور » ، دون أن تكون مقتبسة من أحدى الساميات الأخرى ، ثم بقي هذا الأثر فأورده أمية بن أبي الصلت ، وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت [٢] ، وأبو النجم العجلي وبعض الشعراء الآخرين [٣] . وإذا صح أن الكلمة معربة فعلاً عن إحدى الساميات ، فقد لايكون تعريبها على يد أمية ، بل يحتمل أن تكون معروفة في عصره شأن كثير من الألفاظ التي وردت بهذا الوزن .

ومثل ذلك « الصاقورة » و « الحاقورة » للسماء الثالثة والرابعة ، فقد أشار جماعة إلى تفرد أمية بهما ، ولكنهم لم يشيروا إلى أعجمية أيّ منهما ، فقال المرزوقي: « وحكى الخليل الصاقورة وقال هو اسم السماء الثانية [٤] في شعر أمية بن أبي الصلت :

وبنى الإلهُ عليهم صاقورةً صماء ثالثة تُماع وتُجمَدُ

وذكر الحاقورة في شعر أمية ، وقيل اسم السماء الرابعة ، وذكره الخارزنجي أيضاً » [٥] . وقال ابن سيده : « وكان أمية يسميها حاقورة وصاقورة » [٦] . وقال ابن منظور : « والصاقورة اسم السماء الثالثة » [٧] ، ولم تُذكر الحاقورة في اللسان ، ولكنها ذُكرت في القاموس وشرحه [٨] .

---

(١) ارجع إلى كتاب مقدمة لدراسة لغة العرب للاستاذ عبد الله العلايلي ١٧٠ ، وفقه اللغةللدكتورمحمدالمبارك١١٩ ، ودراساتفياللغة للدكتورابراهيمالسامرائي٣٦ .
(٢) جمهرة اللغة ٢ : ٣٤٠ ، والمعرب ١٩٢ .
(٣) اللسان (سهر) .
(٤) قد تكون محرفة عن الثالثة .
(٥) الأزمنة والأمكنة ٢ : ٦ .
(٦) المخصص ٩ : ٧ .
(٧) اللسان (صقر) .
(٨) القاموس ، والتاج (صقر) .

فهؤلاء جميعاً لم يشيروا إلى أصل الكلمتين ، وليس من إشارة صريحة إلى الأصل الأعجمي لهما في حديث ابن قتيبة و الأصفهاني ، ولم تذكرا أيضاً في كتاب المعرب للجواليقي ، غير أن ابن فارس أشار إلى احتمال ألاّ تكونا من صحيح كلام العرب ، فقال : « وكذلك الصاقورة في شعر أمية بن أبي الصلت ، من الشاذ ، ويقال إنها السماء الثالثة ، وما أحسب ذلك من صحيح كلام العرب »[١] .

ومثل هذه الإشارة تحمل على شيء من الشك في أصل الكلمتين ، غير أنني لم أقف لهما على أصول عبرية ، ولا أدري إذا كانت لهما أصول سريانية ، إلاّ أن في العربية معاني للصاقورة تشبه المعنى الذي استعمله أمية ، ففي اللسان : « والصاقورة : باطن القِحْف المشرف على الدماغ ، وفي التهذيب : والصاقور باطن القِحْف المشرف على الدماغ كأنه قعر قصعة »[٢] ، ولا شك أن هذا المعنى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى الذي أورده أمية ، لأن باطن القحف المشرف على الدماغ يشبه شكلًا منظر السماء ، مما يدل على أن أحد المعنيين ربما كان مأخوذاً عن الآخر ، وهذا قد يرجح أن تكون الكلمة من أصل عربي ، ولم يحافظ عليها غير البيت المنسوب إلى أمية ، ويؤيد ذلك أن مادة « صقر » عربية الأصل والاشتقاق ، وأن وزن « فاعول » ورد في ألفاظ عربية الأصل بالإضافة إلى الألفاظ الأعجمية .

ومثلها « الحاقورة » ، إذ نجد في العربية مادة « حقر » ، والحَقْر في معانيه جميعاً يفيد « الذلة » ، وقد تكون الحاقورة قد سميت بذلك لأنها عالية مرتفعة فكأنها تحقر ما دونها ، وبذلك يكون أمية أو غيره قد طور مادتها في اللغة ، أو عَرَّب بها كلمة تقاربها في لغة أخرى .

وكذلك « الثغرور » بمعنى الثَغْر ، إذ لم يرد في المعرب للجواليقي ، ولم

---

(١) مقاييس اللغة ٣ : ٢٩٧ .
(٢) اللسان (صقر) .

أقف على إشارة إلى أصله الأعجمي ، وقد أورده صاحب القاموس فقال : « الثَّغْر : ما يلي دارَ الحرب وموضعَ المخافة من فروج البلدان ، كالثُّغْرور »[١] . وبهذا نجد للكلمة أصلاً عربياً في لفظ « الثَّغْر » ، وقد تكون « الثغرور » من توليد أمية في اللغة قياساً على « فُعْلول » بضم الفاء ، وهو كثير نسبياً في اللغة ، وقد تكون من توليد غيره ، ولكن من المستبعد أن تكون أعجمية الأصل ، ولا سيما أن ابن قتيبة والأصفهاني لم يشيرا إلى أصلها الأعجمي ، وإنما أشارا إلى تفرد أمية في استعمالها .

وأما « التغرور » بمعنى لفظ الجلالة ، فلم أقف عليه في غير كلام ابن قتيبة والأصفهاني ، ولم يرد في المعرب للجواليقي ، ولا وجود له في الأشعار التي جُمعت لأمية حتى الآن ، ومن الصعب أن يُبتَّ في أصله العربي أو الأعجمي ما دام بعيداً عن المصادر العربية والشعر الموجود لأمية ، ولكن زيدان ذهب إلى احتمال أن تكون من أصل حبشي ، فقال عن أمية : « وكان يسمي الله في أشعاره « السلطيط » وفي بعضها « التغرور » ، فربما اقتبسها من الحبشية ، أو صاغها على صيغ تلك اللغة ، فالأحباش يسمون الله في اللغة الأمحرية « أغزابهر » ، فلعلها كانت قبلاً أقرب إلى لفظ التغرور . والسلطيط نظنها من تلك اللغة ، صاغ عليها اسماً من السلطة »[٢] ، أو « لعلها صيغة عبرانية محرفة »[٣] .

وقد يكون رأي زيدان في « التغرور » مقنعاً إلى حد ما ، ولكن ظنه في « السلطيط » قد يحملنا على شيء من التردد لوجود أصول عربية لها ، وقد استعملها أمية في معنيين اثنين ، إذ قال ابن سيده : « إن أمية مرة يعني بالسلطيط اللهَ تعالى ، ومرة يعني الفلك »[٤] . ولكن الشعر المجموع لأمية لم ترد فيه هذه الكلمة

---

(١) القاموس المحيط (ثغر) .
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ١ : ١٣٦ .
(٣) زيدان : مجلة الهلال ، السنة التاسعة (١٩٠١) ، الجزء ١٦ ص ٤٥٢ .
(٤) المخصص ٩ : ٧ .

إلاّ بالمعنى الأول ، ولم ترد بمعنى الفلك . وقد شرحها ابن منظور فقال : «قال أمية بن أبي الصلت :

إن الأنامَ رعايا الله كلّهُمُ هو السّليطَطُ فوق الأرض مُستَطِرُ

قال ابن جني : هو القاهر من السلاطة ، قال ويروى : السِّليطط ، وكلاهما شاذ . التهذيب : سَليطَطٌ جاء في شعر أمية بمعنى المسلّط، قال : ولا أدري ما حقيقته »[١] .

ولهذا يكون أمية بين احتمالات ثلاثة : إما أن يكون قد حافظ في شعره على هذا البناء الشاذ ، وإما أن يكون قد ولّده من الأصول العربية دون أن يكون له أثر أعجمي ، وإما أن يكون قد تأثر في هذا البناء الشاذ بما يشبهه في لغة أخرى ، فصاغ من الأصل العربي على قياس تلك اللغة .

وذلك كله على أساس صحة نسبة هذه الألفاظ إلى أمية ، إلا أنها تقع في قصائد متهمة ، ومع ذلك فلو صحت هذه الألفاظ لأمية ، فذلك لايزري بشعره ، لأن علماء العربية أخذوا أنفسهم بالتشدد في اللغة ، ولهذا لم يحتجوا إلا بمن سلم من الاختلاط بالأعاجم ، ولم يأخذوا إلاّ عن القبائل التي كانت في داخل الجزيرة ، وتركوا قبائل الأطراف لاتصالها بالأعاجم ، وبلغ الأمر ببعض المتأخرين كأبي حيان الأندلسي (٧٤٥ هـ) أن أنكروا حتى الاحتجاج بالحديث الشريف لجواز نقله بالمعنى واحتمال دخول التحريف واللحن فيه[٢] .

ولا شك أن عدم الاحتجاج بالحديث الشريف من المبالغة والغلو بمكان كبير، لأن الحديث قد نقل بطرق سليمة جداً تجعلنا نثق بلغته كلّ الثقة ، وإذا صحت رواية الصحابي له بالمعنى ، فذلك لا يفسد الاحتجاج به ، لأن الصحابي نفسه ممن

---

(١) اللسان (سلط) .
(٢) ارجع إلى فصل الاحتجاج من كتاب في أصول النحو للأستاذ سعيدالأفغاني ٦ — ٦٦ .

يُحتج بلغته إن كان عربياً . ولسنا الآن في مناقشة مثل هذه الآراء ، إلا أنها تبين الوجه الصحيح لعدم الاحتجاج بشعر أمية ، إن ثبت أنه لم يُحتج بشعره على اللغة ، لأن الاحتجاج عند ابن قتيبة كان على الكتاب لا على اللغة بوجه عام ، وفي الوقت الذي يرى فيه ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) أن علماءه لايحتجون بشعر أمية على الكتاب ، نجد عدداً من أئمة اللغة قبل ابن قتيبة وبعده يحتجون بشعر أمية بن أبي الصلت على اللغة سواء في معاني الألفاظ أم في مسائل النحو أو الصرف أو اللغة .

فقد احتج ابن هشام بشعر أمية أكثر من مرة في مسائل لغوية تتصل بمعاني الألفاظ أو أبنيتها[١] ، ثم احتج عدد ممن جاء بعد ابن هشام بأبيات أمية كابن دريد وابن جني والجوهري وابن منظور من أئمة اللغة ، والطبري والسيوطي من أئمة التفسير ، ومعظم الأبيات الفرادى في ديوانه قد وردت في كتب اللغة والأدب والتفسير شواهد على اللغة بما فيها من معاني الألفاظ أو أبنيتها وإذا كان هؤلاء جميعاً ليسوا من علماء ابن قتيبة ، فأحرى بنا أن نقف عند سيبويه ، وقد استشهد تسع مرات بشعر أمية أو بما يُنسب إليه من أبيات . وسيبويه يكفي أن يروي الشاهد دون أن يسمي صاحبه ، حتى يكتسب ذلك الشاهد شيئاً من الثقة ، فيقال : إنه من شواهد سيبويه ، فكيف إذا صرح في معظم الأحيان باسم أمية ابن أبي الصلت مقروناً بالأبيات التي يرويها له في كتابه .

فإذا رجعنا إلى كتاب سيبويه وجدنا خلافاً بينه وبين بعض النحاة حول كلمة « سلامَك » في البيت المنسوب إلى أمية :

سلامَكَ ربَّنا في كلّ فجرٍ بريئاً ما تـَغَنَّثْكَ الذُّمُومُ[٢]

ثم استشهد على مجيء « سبحان » منوناً مفرداً في الشعر بالبيت المنسوب إلى أمية :

(١) انظر السيرة ١ : ٢٥٨ ، و ٢ : ١٨٣ ، و ٢ : ٣٣٠ ، وغيرها .
(٢) كتاب سيبويه ١ : ١٦٤ .

سُبْحانَهُ ثم سُبْحاناً يَعودُ له   وقَبْلَنا سَبَّحَ الجُودِيُّ والجُمُدُ[١]

واستشهد سيبويه أيضاً على أن « رُبَّ » لايكون ما بعدها إلا نكرة بالبيت المنسوب إلى أمية :

رُبَّ ما تكره النفوسُ من الأمْـ   ـرِ له فَرْجَةٌ كحَلِّ العِقالِ[٢]

ثم استشهد بهذا البيت مرة أخرى على أن « ما » نكرة بتأويل شيء ، ولذلك دخلت عليها « رُبَّ » لأنها لا تعمل إلا في نكرة[٣] . واستشهد أيضاً بقول أمية :

ألا رَسولَ لنا مِنّا فيُخبِرَنا   ما بُعْدُ غايَتِنا مِن رَأْسِ مُجْرانا[٤]

على أن « يُخبِرَنا » لا يكون فيها إلاّ النصب على الجواب بالفاء . واستشهد بقول أمية :

ولكنْ مَنْ لا يَلْقَ أمراً ينوبُهُ   بِعُدَّتِه يَنْزِلْ به وهْوَ أعزَلُ[٥]

على إضمار منصوب « لكنَّ » وبقاء « مَن » للشرط ، وجزم « يَنزِلْ » في الجواب . واستشهد على جواز مجيء « يوشك » بمنزلة « عسى » وإسقاط « أنْ » بعدها بالبيت المنسوب إلى أمية :

يوشِكُ مَن فَرَّ مِن مَنيَّتِه   في بعضِ غِرّاتِه يُوافِقُها[٦]

وسُئل سيبويه عن بيت أنشده الأخفش ، فقال : « هذا كما قال (أمية) : « سماءُ الإلهِ فوقَ سبعٍ سمائيا »[٧] . وذلك في إجرائه « سمائيا » على الأصل ضرورة .

(١) كتاب سيبويه ١ : ١٦٤ .
(٢) نفسه ١ : ٢٧٠ .
(٣) نفسه ١ : ٣٦٢ .
(٤) نفسه ١ : ٤٢٠ .
(٥) نفسه ١ : ٤٣٩ .
(٦) نفسه ١ : ٤٧٩ .
(٧) نفسه ٢ : ٥٩ .

واستشهد على مجيء « مُفْعَل » للمكان والمصدر بقول أمية :

الحَمْدُ لله مُمْسانا ومُصْبَحنا   بالخَيرِ صَبَّحَنا ربّي ومَسّانا[١]

وأمام هذه الأبيات المتعددة التي استشهد بها سيبويه نفسه ، يجب أن نخفف كثيراً من تلك المغالاة التي ذهب إليها كلٌ من زعم بأن علماء العربية قد تخلوا عن الاحتجاج بشعر أمية .

ولنفرض جدلاً أن أحداً لم يستشهد بشعر أمية ، ولم يتخذ منه حجة على اللغة ، أو على لغة القرآن ، فعدم الاحتجاج بشعره لا يؤدي إلى الازراء به والحط من شأنه ، وإذا كان علماء العربية في عصر التدوين لم يقبلوا بلغة من اختلط بالأعاجم ، فقد منعوا الاحتجاج بشعر أبي دؤاد والأعشى وعدي بن زيد ، ومع ذلك فهم جميعاً من فحول الشعراء المقدمين في أدب الجاهلية . فالأعشى مثلاً كان لا يترك رجلاً يمكن أن يعطي إلا جرى إليه ومدحه ، ولهذا تقلب في رمال الأرض حتى بلغ مَلِكَ الحبشة فيما يقال ومدحه ، وفي رحلاته كان لا بد أن يرى أشياء لا وجود لها في الجزيرة ، وكان لا بد له أيضاً من الحديث عن جمالها وتسميتها بأسمائها ، كقوله مثلا :

لها جُلَّسانٌ عِندَها وبَنفْسَجٌ   وسِيسَنْبَرٌ والمَرْزَجُوشُ مُنَمْنَما

وعلى الرغم من كثرة الألفاظ الأعجمية لديه ، والقول بعدم الاحتجاج بشعره ، فهو من فحول الطبقة الأولى عند ابن سلام ، ومن المقدمين عند خلف الأحمر والأخفش وأبي عمرو بن العلاء[٢] .

وإذا كانت الألفاظ الأعجمية على كثرتها عند الأعشى لا تؤثر في شاعريته ، وإنما يبقى في الطبقة الأولى من فحول الجاهلية ، فإن الألفاظ الأعجمية إن صحت

(١) كتاب سيبويه ٢ : ٢٥٠ .
(٢) طبقات ابن سلام ٥٤ ــ ٥٥ .

في شعر أمية ، فهي على قلتها لا تؤثر أيضاً في شاعريته ، بل يبقى في نظرنا شاعراً فحلا له مكانته بين شعراء ذلك العصر .

وهكذا فشاعرية أمية لا يضيرها ما تردده بعض الكتب القديمة أو الحديثة من عدم الاحتجاج بشعره ولا سيما أن إدخال الألفاظ الأعجمية في الشعر أصبح مُلْحة في القرن الهجري الثالث تقال حتى في حضرة الخلفاء[١] ، بل نجد الجرجاني في القرن الرابع يعقب على كلمة أعجمية وردت في بيت للمتنبي ، فيقول : « ولا أحفظها محكية عن العرب ، غير أنني أرى استعمالها وأمثالها غير محظور ، لأنني أجد العرب تستعمل كثيراً من ألفاظ العجم إذا احتاجت إليه لإقامة الوزن واتمام القافية »[٢] ، مما يدل على أن استعمال بعض الألفاظ الأعجمية ما كان ليزري بأصحابها في نظر النقاد العرب القدامى ، وقد رأينا أن قول ابن قتيبة لم يكن متجها إلى الألفاظ الأعجمية فحسب بل كان متجهاً إلى المعاني والأساطير التي وردت بكثرة في شعر أمية وفي الشعر المضاف إليه ، وهي لا تزري به ، وإنما تجعل له منزلة في الأدب العربي بالإضافة إلى كل ما تقدم من أمور هامة تتصل بالأدب الجاهلي بوجه عام .

* *

(١) البيان والتبيين ١: ١٤١ – ١٤٢ .
(٢) الوساطة ٣٤٧ .

خاتمة

إن تلك الفصول التي انطوت عليها دراستنا لحياة أمية وشعره ، قد اختص كل منها بجانب هام من هذه الدراسة ، إلا أنها متكاملة تربط بينها وحدة موضوعية ، هي التي أعطت ذلك النسّقَ في ترتيب البحث وتبويبه .

فشعر أمية تكثر فيه الأفكار الدينية ، ولهذا كان لابد من تمهيد حول عقائد الجاهليين قبيل الإسلام ، ولمّا كان ثمة إجماع على تَحَنُّف أمية ، فقد ألقينا بنظرة عاجلة إلى تلك العقائد ، ثم وقفنا عند جماعة الحنفاء ، فعدنا بكلمة « الحنيف » إلى معانيها في كتب اللغة والتفسير ، وما قيل في تعريبها أو أصل اشتقاقها ، فتبين لنا أن الكلمة سامية الأصل ، عربية الأرومة ، وأصل اشتقاقها من « الحَنَف » وهو الميل . ومن ثَمّ انتقلنا إلى عقائد الحنفاء وسيرتهم ، فوجدناهم أفراداً قلائل، صدَفوا عن مفاسد الجاهلية كالأصنام والأنصاب وما يتصل بها ؛ وعابوا ما كان عليه قومهم ، ثم طلبوا الدين ، وبحثوا عن « الحنيفية » دينِ إبراهيم ، ولكنهم لم يؤلفوا طائفة دينية على النحو الذي يُفهم من قولنا « طائفة نصرانية » أو « طائفة يهودية »، وإنما كانوا يتفقون مجرد اتفاق في الاتجاه الديني بوجه عام .

وهذا التمهيد وضع في أيدينا الاتجاهات العامة لهؤلاء الأفراد ، وأصبح في وسعنا أن نفهم معظم المشكلات التي تحدق بأمية ، وبذلك أصبح من اليسير أن ننتقل إلى الفصل الأول للحديث عن حياته .

وفي هذا الفصل بدأنا بنسب أمية وأسرته ، فرأيناه قد عاش في بيت يجمع بين

العزّ والشرف ، ويمتاز بالأدب والشاعرية . ثم انتقلنا إلى نشأته ، فوجدناه من المعمرين ، إذ عاش حوالي ثمانين أو تسعين سنة ، وتوفي في السنة الثانية للهجرة على الأرجح ، وكان على شيء من الغزل والفخر أيام شبابه ، ثم تخلى عن ذلك في كهولته ، وأصبح الزهد والتأله هو الطابعَ المميز له في هذه الفترة من حياته ، وقد رأينا أخباراً كثيرة تدل على تحنُّفه وابتعاده عن مفاسد الجاهلية ، إذ حرَّم الخمر ، وابتعد عن الأوثان ، والتمس دين إبراهيم ، وطمع في النبوة ، وكان كثير الرحلة ، يجالس الرهبان ، ويقرأ الكتب ، ويتردد على الأديرة والبِيَع .

ومن ثَمّ اتجهنا إلى اشتغاله بالتجارة ، إذ ورد خبر مطول في تاريخ ابن عساكر ينص على أن أمية خرج مع أبي سفيان تجاراً إلى الشام . ولذلك راح معظم المُحْدَثين يتحدث عن تجارة أمية إلى الشام واليمن . وقد ناقشنا هذه المسألة بمقارنة ذلك الخبر مع شعر أمية ، ثم بدراسة الروايات المختلفة التي ورد بها في عدد من المصادر ، فتبين لنا أن أمية لم يكن تاجراً ثرياً ، وإنما عاش متوسط الحال ، وإذا كان قد سافر إلى الشام واليمن ، فربما كان ذلك طلباً للدين ومجالسة للرهبان وأصحاب البِيَع وما إليها .

ثم وقفنا عند عقيدة أمية ، فرأينا من المُحْدَثين من يجعله نصرانياً ، ومنهم من يجعله يهودياً ، إلاّ أنّ ما اتخذوه من أدلة لايقوى على القيام بما ذهبوا إليه ، ولا سيما أن شعر أمية فيه من الأدلة ما يكفي لمناهضة ذلك ، والوقوفِ بعقيدته عند جماعة الأحناف فحسب ، وهؤلاء لم يكونوا من النصارى أو اليهود كما بينّا ذلك في التمهيد لهذه الدراسة .

ثم أنهينا الفصل الأول بدراسة لشخصية أمية ، فكانت معقدة ، تارة تعيش

مع الواقع ، وطوراً تعيش فوق الواقع ، وتحلق في الآفاق البعيدة . وقد رأينا أن شخصية أمية قد تأثرت بعوامل كثيرة ، منها نشأته في بيت شاعري ، ومنها قبيلته وهي تمتاز بالفصاحة ولها بيت ديني يضاهيء الكعبة ، ومنها طبيعة الطائف وهي تمتاز بالخصب والتنوع ، ومنها ثقافتُه ورحلتُه وما ظهر من نهضة فكرية ودينية في تلك البيئة الاجتماعية والسياسية التي عاشها العرب قبيل الاسلام . وهذا ماجعل لأمية منزلة خاصة بعد وفاته فنُسجت حوله أساطير كثيرة لعل أهمها وأغربها ما قيل حول وفاته .

ولمّا تمّت لنا دراسة أمية الرجل ، كان منطقياً أن نتجه إلى دراسة أمية الشاعر ، إلاّ أنه ما كان لنا أن ندرس موضوعات شعره أو خصائصه الفنية قبل أن نقف على مصادر شعره ، ثم نميز فاسد هذا الشعر من صحيحه . ولهذا كان الفصل الثاني خاصاً بمصادر شعر أمية ، وقد بدأناه بالحديث عن ديوانه ، فرأينا أن أمية كان له ديوان صنعه محمد بن حبيب (٢٤٥ ﻫ) ، إلا أنه ضاع ولم نجد أثراً له غير إشارات إليه وردت في بعض المصادر . ثم تحدثنا عن رواية شعر أمية ، فوجدنا هذا الشعر قد حظي برواية جيدة ، إذ تعهده بالعناية أبناؤه وأهل بيته وقبيلته ، ثم كان يُروَى على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي حضرته أحياناً، ثم استمر به الأمر خلال القرنين الأول والثاني حتى صُنِع ديوانه في النصف الأول من القرن الثالث . وثمة خبر في الأغاني يدل على وجود كتاب لقبيلة ثقيف أوائلَ القرن الهجري الثاني ، وهذا يشير إلى تدوين شعر أمية كله أو بعضه قبل محمد بن حبيب بحوالي قرن من الزمن على الأقل . ثم تحدثنا عن دوران شعر أمية في مصادر القرنين الثاني والثالث ، ثم في مصادر ما بعد القرن الثالث ، وحاولنا من خلال ذلك أن نكشف عن مصادر الشعر المتهم المنسوب إليه .

ثم انتقلنا إلى الفصل الثالث ، وكان خاصاً بتوثيق شعر أمية ، وبدأناه

بالحديث عن قدم الوضع والانتحال في شعره ، فوجدنا ذلك يعود إلى القرن الأول للهجرة . ثم ألقينا بنظرة إلى آراء المُحْدَثين في مشكلة الوضع والانتحال في شعر أمية ، فرأيناهم شيعاً ، منهم من يُوثّق شعر أمية الديني كله ، ومنهم من يزعم بانتحال هذا الشعر الديني بكامله ، ومنهم من يزعم بانتحال شعر أمية عامة بما فيه من أشعار دينية أو غير دينية . وهذه الآراء لاتصدر إلاّ عن تعصب وهوى ، يدفع أصحابَها إلى وضع النتائج أولاً ، ثم البحث عن مقدمات وأدلة تقود إليها . وهذا أبعد ما يكون عن أساليب العلم ، ولذلك حاولنا أن نقف من هذه المسألة موقفاً علمياً صحيحاً ، وجعلنا ذلك في أمرين :

الأول : دراسة الاضطراب في نسبة الأشعار التي تروى لأمية ولغيره من الشعراء ، وبذلك استطعنا أن نغربل طائفة من الشعر المنسوب إليه .

والثاني : دراسة الأشعار الدخيلة عليه ، وتمييزها من الأشعار الموثّقة ، إذ رجّحنا وضع طائفة من الأشعار المنسوبة إليه ، وقطعنا بنحل طائفة أخرى ، ثم وقفنا عند الشك فحسب من طائفة ثالثة .

ثم كان الفصل الرابع لدراسة موضوعات شعره ، وقد لاحظنا أن هذه الموضوعات جميعاً قد تأثرت بشخصية أمية ، إذ أعطاها شيئاً من ذاتيته ، فكان لها طابع خاص بوجه عام . ففي الشعر الديني تناول أكثر المعاني التي نتوقعها من رجل متحنف يلهج بطلب الدين والبحث عن عقيدة إبراهيم ، فقد تحدث عن التوحيد والموت والبعث والحساب والخلود ، وبثّ في شعره شيئاً من التأمل ولفت الأنظار إلى الطبيعة لما فيها من دلائل على حكمة الله وقدرته .

وموضوع الحكمة كان يمتاز لديه بالعمق والحيوية وعدم الجمود في قوالب وألفاظ جافة ، ذلك لأن حكمته أصيلة غنية تجتمع فيها روافد التجربة والثقافة

معاً ، وقد وردت هذه الحكمة في مطالع بعض القصائد ، ثم سايرت حكمة غيره من الجاهليين ، فجاءت في أضعاف بعض القصائد ، أو في نهاية بعض القصائد الأخرى .

ومديح أمية كان بعيداً عن إراقة ماء الوجه والإلحاح في طلب العطاء ، إذ كان يمدح على استحياء . وينال على خجل ، ولا سيما أن جل مديحه قد أصفاه عبد الله بن جدعان ، وأميةُ نفسه لايرى في سؤاله ما يزري ، لأنه من سادات قومه جوداً وكرماً ورياسة . ولهذا لانجد في مديح أمية غير العفة والتعاطف مع من يمدح ، وهذه الصفات جعلت أمية يُضرب عن موضوع الهجاء في شعره ، لأن مثل هذا الموضوع ماكان ليتلاءم مع طبعه في التأله والتحنف .

ولهذا كان الرثاء أيضاً ذا طابع خاص في شعره ، إذ لانجد في رثائه تجربة حزن وألم عميق تصدر عنه القصيدة ، وإنما نجد جموداً وتصنعاً في تركيب الأبيات، وحشداً لألفاظ غريبة تحاول أن تبعث جواً من الإثارة والتحريض ، دون أن تتحدث عن وقع الفاجعة في نفس أمية ، ولعل السبب في ذلك أن أمية كان يرى الموت حتماً على الناس جميعاً ، ومن العجب لديه أن يبكي الأحياءُ أمواتهم .

وإذا تركنا موضوع المديح والرثاء طالعتنا في شعر أمية موضوعات مختلفة كالنسيب والفخر والعتاب والوصف . وفي النسيب نجد بعض الأسماء في شعره أمثال زينب ولبنى وليلى ، إلا أن مانجده في شعره الموثّق من غزله ونسيبه ، يدل على عدم أصالة هذا الموضوع لديه ، فلا وصف لمحاسن المرأة ، ولا تصوير لحالة نفسية أو تجربة شعورية تتصل بها ، فنسيبه على ما يبدو كان تقليدياً محضاً ، إلا إنْ صحت له تلك القصيدة التي نقلها بَوَر عن مخطوطة للجمهرة في المتحف البريطاني .

وفخر أمية ينبغي أن يكون وفيراً ، وذلك لمكانته في ثقيف ، ومكانة أخواله بني عبد شمس في قريش ، ولكننا مع ذلك لانجد له في الفخر إلا قصيدته

المجمهرة وأبياتاً متفرقة يبدو أنها جميعاً من آثار شبابه الأول ، وهو في ذلك لايخرج عن الفخر بقومه ثقيف وعزها المنيع ، ومكانها المرتفع ، وما أرصدته لريب الدهر من عُدّة ، وما لها من بعض الأيام . وأسلوبه في ذلك لايختلف عن أسلوب غيره من الجاهليين ، فهو لايتحدث عن نفسه ، وإنما تتلاشى ذاته في إطار القبيلة بوجه عام .

وفي العتاب نجد لأمية قصيدة في ولد عقه ، وقد صوّر هذه التجربة تصويراً رائعاً ، واستطاع أن يرسم نموذجاً موفقاً لهذه الظاهرة الاجتماعية التي قد تظهر في كل حين .

وأما الوصف فقد تخلل موضوعات أمية كلها ، وهو في وصفه قد يقف عند الأمور الذاتية الداخلية ، فيصورها تصويراً يبرزها في أنفسنا ، حتى لكأنها تَمثّل في مشاعرنا ، وبذلك نتعاطف معها ، وكأنها تجربة شعورية قد خبرناها بأنفسنا ، وليست مما يتلى علينا . ولا يقتصر الأمر على الوصف الذاتي الداخلي في شعر أمية وإنما يتعداه إلى الوصف الموضوعي الخارجي ، وهو في ذلك مصور بارع ، يُقلّب النظر في موضوعه ، ثم يتجه إليه بعينه وأذنه وكل حواسه ، فيأتي بصور متعددة له ، تمتاز بالتنويع والحيوية . وأهم ما لاحظناه في صورته الفنية ، هو توفر عناصرها من دقة واستقصاء وحركة وزمان ومكان وألوان وإبراز العنصر المهم على نحو يوحي بسائر العناصر أحياناً . وهو في صورته لايعتمد على التشبيه أو الاستعارة اعتماداً كلياً ، وإنما يعتمد بوجه خاص على اختيار اللقطات الموفقة من الموصوف ثم يرسمها بما توحي به معاني الألفاظ نفسها ، إلا أنه مع ذلك استخدم التشبيه أحياناً والاستعارة أحياناً أخرى ، ولكنّ دورهما كان أقل نسبياً من اعتماده على معاني الألفاظ وإيحائها .

ثم كان الفصل الخامس لدراسة الخصائص الفنية في شعره ، وفي هذا الفصل قصرنا الحديث على الخصائص المعنوية ، والخصائص اللفظيـــة ، وكانت بعض الخصائص الفنية قـــد تقدمت في دراستنا لأغراض شعره ، ولا سيما في موضوع الوصف .

وكان من أبرز الخصائص المعنوية في شعر أمية الوضوح والبساطة وعـــدم التعقيد ، وإذا كان بعضهم قد رماه بغموض المعاني ، فقد رأينا أن هذا لايصدق إلا في الشعر المتهم ، أما شعره الموثق فلا أثر فيه للغموض الفعلي غير ما يظهر أحياناً من آثار التحريف ، أو فساد الضبط في بعض المجموعات الحديثة لشعره . وقد لاحظنا أن معانيه بعيدة عن الغلو والمبالغة في مديحه ورثائه وفخره ، إذ لم نجد المبالغة غير بيت واحد في رثائه ، ولكنها مبالغة معقولة لاتبلغ حدّ الغلو . ومعاني أمية تمتاز بانتزاع التشبيه من البيئة المادية التي يحياها ، فلا يخرج فيـه عن الإطار الحسي المادي ، وذلك على طريقة غيره من الجاهليين ، لأن وضوح المعنى وعدم الإغراب أو الغلو فيه ، كان من نتائج اعتمادهم على البيئة المادية ، منهـــا يستمدون معاني شعرهم ، ومنها يستمدون معظم أركان صوره ، ولذلك جاء التشبيه لديهم حسياً مادياً منتزعاً مـن البيئة المادية نفسها .

وبما أن الشعراء كانوا يأخذون عن مصدر واحد هو البيئة المادية ، فقـــد دفعهم ذلك إلى معان واحدة لايخرجون عنها بوجه عام ، ولهذا كانت معاني أمية في الموضوعات المطروقة لا تختلف في إطارها العام عن معاني غيره من الشعراء ، إلاّ أنه افتنّ في بعض المعاني ، فخرج بشيء من الجدّة والطرافـــة ولا سيما في بعض معاني المديح ، مما جعل لهذه المعاني الجديدة شيئاً من الشهرة على ألسنة عدد من فحول الشعراء فيما بعد أمثال الحطيئة وأبي تمام والمتنبي وابن الرومي وغيرهم.

وثمة مشكلة هامة مرّت بنا في دراسة الخصائص المعنوية في شعر أمية ، إذ رأينا بعضهم قد أثار مشكلة التلاقي بين معانيه الدينية والقرآن الكريم ، فمن قائل إن أمية أخذ عن القرآن وتأثر به ، وقائل إن القرآن هو الذي أخذ عن أمية ، وقائل آخر إن القرآن وأمية قد أخذا عن مصادر مشتركة تعود إلى الأفكار الدينية قبيل الإسلام . وقد ناقشنا هذه الآراء جميعاً ، وتبين لنا أنها لا تُبنى على أسس علمية منطقية ، لأن الأشعار التي تظهر فيها تلك الآثار القرآنية ، منحولة على أمية في عصر إسلامي ، ولا تُتّخذ دليلًا على شيء من ذلك كله .

وأما الخصائص اللفظية ، فكان من أبرزها اهتمام أمية باختيار ألفاظه وملاءمتها لمنازلها من القصيدة ، إلا أن هذا الاهتمام بالألفاظ لايقل عن اهتمامه بالمعاني ، ولا سيما في الشعر غير الديني ، إذ نلمس في موضوعات هذا الشعر اهتماماً باللفظ والمعنى على حد سواء ، أما في الشعر الديني فربما انصرف اهتمامه أحياناً إلى المعاني بوجه خاص ، لأن قسماً من هذا الشعر لايعدو أن يكون صياغة لبعض الأساطير أو الأمور الدينية التي وقف عليها من خلال ثقافته أو بيئته ، فهو في ذلك أشبه بالمترجم الذي يُعنى بالمعاني ويحاول جهده أن ينقلها بدقة . وكذلك كان أمية يختار لكل موضوع ما يلائمه من ألفاظ ، وقد عُني خاصة بما تحققه الألفاظ من جرس موسيقي يمكن أن يسهم في التصوير والوصف ، أو بما فيها من مدود يمكن أن تسهم في إيجاد تلوين موسيقي داخل البيت أو ضمن الأبيات المتعاقبة .

وقد مرت بنا مشكلة هامة أثيرت قديماً وحديثاً حول ألفاظ أمية ، وهي ما لاحظه بعض النقاد في الشعر المنسوب إلى أمية من ألفاظ أعجمية بين نقل أو تعريب أو اقتباس ، فزعم صاحب الأغاني أن العلماء لايحتجون لذلك بشعر أمية ، وذهب معظم المُحدَثين إلى أن عدم الاحتجاج بشعره قد أزرى به عند النقاد ، وقد ناقشنا هذه المشكلة ، فرأينا أن معظم هذه الألفاظ الأعجمية إنما يقع

في قصائد متهمة ، ومع ذلك فهي لاتعدو بضعة ألفاظ في كل ما بلغنا من أشعار منسوبة إليه ، وهي لاتشينه لو صحت نسبتها إليه ، لأن عدم الاحتجاج بالشعر على اللغة ما كان يسيء إلى مكانة الشاعر في ميدان النقد ، ثم لأن هذا الزعم وَهْم من أساسه ، لأن معظم القدماء قد احتج بشعر أمية في مسائل لغوية تتصل بمعاني الألفاظ وأصواتها ، أو في مسائل نحوية أو صرفية ، أو ما إلى ذلك .





القسم الثاني

الديوان





(١)

في الأغاني (٨ : ٣) [١] :

١ أَأَذْكُرُ حاجتي أمْ قد كفانِي   حَياؤكَ إنَّ شِيمَتكَ الحَياءُ [٢]

٢ وعِلْمُكَ بالأُمورِ وأنتَ قَرْمٌ   لَكَ الحَسَبُ المهَذَّبُ والسَّناءُ [٣]

---

(١) تصرفنا قليلًا في رواية الأغاني ، إذ قدمنا البيت « فأرضك .. » على البيت « إذا خلفت .. » . وأضفنا البيت (٥) بترتيبه عن ربيع الأبرار : الورقة ٣٠٢ .

(٢) في تاريخ ابن عساكر : « أأطلب حاجتي » . وفي الوساطة ، وطراز المجالس ، وإنسان العيون ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي : « حباؤك إن شيمتك الحباء » . وفي حياة الحيوان : « إن شيمتك الوفاء » — والشيمة : الطبيعة والسجية .

(٣) في الاشتقاق لابن دريد : « وعلمك بالحقوق وأنت قرم » . وفي حماسة أبي تمام ، وشرح الحماسة للتبريزي ، والحماسة البصرية ، والعمدة ، والبداية ، وتاريخ ابن عساكر ، وطراز المجالس : « وعلمك بالحقوق وأنت فرع » . وفي ربيع الأبرار ، وتاريخ ابن عساكر ، والمستجاد : « المهذب والثناء » — والحقوق : حقوق الناس أو الفقراء أو ذوي النسب عليه . والقَرْم : البعير المكرم لا يُحمل عليه ولا يُذلَّل ولكن يكون للفِحْلَة ، ومنه قيل للسيد « قَرْم » وهو المراد هنا . والفَرْع : من كلّ شيءٍ أعلاه ، ومن القوم شريفُهم. والحسب : مايعده المرء من مفاخر آبائه . والمهذب : النقي الصافي . والسناء ، بالمد : الرفعة والشرف .

٣ كَـرِيمٌ لا يُغيِّرُهُ صَبـاحٌ ... عَنِ الخُلُقِ السَّنِيِّ ولا مَساءُ[١]

٤ تُبارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً ومَجْداً ... إذا ما الكَلْبُ أَجْحَرَهُ الشِّتاءُ[٢]

٥ فيَومٌ منكَ خَيْـرٌ مِنْ أُناسٍ ... تَروحُ عَلَيْهِمُ نَعَمٌ وشَـاءُ[٣]

٦ إذا أَثْنَى عليكَ المرءُ يومـاً ... كَفاهُ مِنْ تَعرُّضِهِ الثَّنـاءُ[٤]

---

(١) في حماسة أبي تمام ، وشرح الحماسة للتبريزي ، والحماسة البصرية ، والعمـدة : « خليل لايغيره » . وفي الحماسة البصرية ، وحماسة أبي تمام ، والعمدة ، وتاريخ ابن عساكر ، والبداية ، وحيـاة الحيوان ، وإنسان العيون ، والمستجاد : « عن الخلق الجميل » . وفي طبقات ابن سلام ، وديوان المعاني ، ونهاية الأرب ٣:١٨٥ و ٥:٣٨ : « عن الخلق الكريم» . وفي نهاية الأرب ٣:٢١٧ : « عن الخلق السني » . وفي الاشتقاق : « عن الخلق الكريم ولا المساء » . وفي طراز المجالس : « عن الخلق الجزيل» — والسني: الرفيع ، يريد أن كرمه لايتغير بين حين وآخر .

(٢) في الحماسة البصرية ، وربيع الأبرار ، وتاريخ ابن عساكر ، والبداية ، وحياة الحيوان ، وإنسان العيون ، وطراز المجالس : « يباري الريح » . وفي الحمـاسة البصرية ، وربيع الأبرار ، والعمـدة ، وتاريخ ابن عساكر ، وإنسان العيون ، وطراز المجالس ، والمستجاد : « مكرمة وجوداً » . وفي تاريخ ابن عساكر ، وحياة الحيوان ، وإنسان العيون : « إذا ما الضب أجحره » — والمكرمة : فعـل الكرم . وأَجْحَرَه : أدخله الجُحْرَ ، وهو كل ماتحتفره الهوامُ والسباع لأنفسها .

(٣) النَّعَم : الإبل والغنم والبقر ، وربما أُطلق على الإبل خاصة . والشاء : الغنم ، الواحدة شاة .

(٤) في الحماسة البصرية : « إذا أثنى عليه » . وفي نهاية الأرب ، وإنسان العيون ، والمنتحل : « كفاه من تعرضك » . وفي ربيع الأبرار : « كفاه من تعرضه اللقـاء » — والتعرُّض : التصدي ، مِن تَعَرَّضَ معروفَهم ولِمَعْروفهم ، إذا تَصدَّى له.

٧ فأَرْضُكَ كلُّ مَكْرُمَـةٍ بنَـاهَـا بنو تَيْمٍ وأنت لَهُمْ سَمَـاءُ [١]

٨ إذا خُلِّفْتَ عبدَ اللهِ فاعْلَمْ بأَنَّ القومَ ليسَ لَهُمْ جَزاءُ [٢]

٩ فأَبْرِزْ فَضْلَهُ حَقّـاً عليهِمْ كما بَرَزَتْ لناظِرِها السَّماءُ [٣]

١٠ فَهَلْ تَخْفَى السماءُ على بَصيرٍ وهَلْ بالشَّمْسِ طالِعَةً خَفاءُ [٤]

---

(١) في ربيع الأبرار ، وطراز المجالس : « وأرضك أرض مكرمة بنتها » . وفي نهاية الأرب ٣:١٨٥ : « فأرضك أرض مكرمة بنتها » . وفي طبقات ابن سلام ، وحماسة أبي تمام ، وشرح الحماسة للتبريزي ، وديوان المعاني ، والعمدة ، والبداية ، ونهاية الأرب ٥:٣٨: « كل مكرمة بنتها » . وفي الحماسة ، وشرح الحماسة ، والعمدة ، وديوان المعاني ، وحياة الحيوان ، وربيع الأبرار ، وتاريخ ابن عساكر ، والبداية ، وطراز المجالس ، والمستجاد ، ونهاية الأرب ٣:١٨٥ : « وأنت لها سماء » .

(٢) خُلِّفْتَ : صِرْتَ خليفةً لأبيك . والقوم : لعله أراد بهم قوم ابن جدعان . والجزاء ، هنا : إما أن يكون من جَزَى الشيءُ يَجْزي بمعنى كفى ، وعليه فالمعنى : أنه لا كفاية في قومك فهم محتاجون إليك ، وإما أن يكون من جَزَى بمعنى أغنى ، ويَجْزي هذا من هذا بمعنى أن كل واحد منهم يقوم مقام صاحبه ، وعليه فالمعنى أن ليس في قومك من يغني عنك أو يقوم مقامك لتقدمك عليهم مجداً وجوداً ، وإما أن يكون بمعنى المكافأة ، وعليه فالمعنى : أن قومك ليس في وسعهم أن يكافئوك على كثرة جودك وعطائك ، لأن ذلك فوق كل مديح أو ثناء .

(٣) الضمير ربما كان لوالد عبد الله بن جدعان .

(٤) في نهاية الأرب ، والمستجاد : « وهل تخفى » . وفي المستجاد : « وهل للشمس » .

(٢)

في مجاز القرآن (٢ : ٢٠٣) :

١ فإنَّ أباكُمُ ضُلُّ بْنُ ضُلٍّ وإنَّا مِنْ إيادِكُـــمُ بَراءُ [١]

(٣)

في البدء والتاريخ (٣:٢٥) :

١ جَزَى اللهُ الأَجلُّ المرءَ نُوحاً جزاءَ البِرِّ ليس لـهُ كِذابُ [٢]

٢ بِما حَمَلَتْ سَفِينتُهُ وأَنْجَتْ غَداةَ أَتاهُمُ الموتُ القُلابُ [٣]

---

(١) يقال : هو ضُلُّ بنُ ضُلٍّ ، إذا كان منهمكاً في الضلال ، أو لايُعْرَف ولا لا يُعرف أبوه، أولا خير فيه .وثمة مطعن في نسب ثقيف، لأن بعض النسابين جعلوا ثقيفاً من هوازن من قيس عيلان، وبعضهم جعلهم من إيادبن نزار ،انظر الأغاني ٣:١٧٩ ، و ١٦:٦٩ ، والسيرة ١:٤٨ ، وصبح الأعشى ١:٣٣٦ ، ٣٤٣ ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ١٦٨ ، وشرح نهج البلاغة ٨:٣٠٣ ، ومحاضرة الأبرار ١:٨٧ . وأمية فخر بإياد في غير هذا البيت ، فقال :

قومي إيادٌ لَوَ انَّهمْ أَمَمٌ أو لَوْ أقاموا فتهزل النَّعمُ

فجعل ثقيفاً من إياد .

(٢) الكذاب : مصدر كالكَذِب .

(٣) القُلاب: داء يأخذ البعيرَ فيشتكي منه قَلْبَه، فيموت من يومه ، وهو هنا: الموت الأكيد المحقق .

٣ وفيهـا مِنْ أَرُومَتِـهِ عُراةٌ لَدَيْهِ ،لا الـظِّماءُ ولا السِّغَابُ [١]

٤ وإذْ هُـمْ لا لَبوسَ لَهُمْ تَقِيهِمْ وإذْ صَخْرُ السَّلامِ لَهُمْ رِطابُ [٢]

٥ عَشِيَّةَ أَرْسِلَ الطُّوفانُ، تَجرِي، وفاضَ المـاءُ ليسَ لهُ جِرابُ [٣]

---

(١) في البدء والتاريخ : « عراة لذيه » تصحيف . وفي مجموعتي ليدن وبيروت : « من أرومته عيال » والأصل ماروواه المقدسي — والأرومة : الأصل . والعيال : مفردهم عائل، وهو الفقير ، وعيال الرجل : الذين يتكفل بهم . والسِّغاب : الجياع ، الواحد ساغِب أو سَغِب أو سَغْبان . وقوله : « لا الظماءُ » حُذف الخبر ، فكأنه قال: لا الظماء ولا السغاب بحاجة إلى وصف حالهم لأنه معروف متوقع .

(٢) في المواعظ والاعتبار،وثمار القلوب : « لالبوس لهم عراة » . وفي الحيوان ،وثمار القلوب : « وإذ صُمُّ السِّلام » — واللبوس : الثياب . وقال محقق الحيوان : « اللَّبوس ، بالفتح : الثياب والسلاح ، مذكَّر ، فإن ذهبتَ إلى الدرع أنثت ، ويظهر من تأنيث الفعل بعده أن المراد بها هنا الدروع » . ولكن معنى الدروع لايستقيم مع الأبيات ، وإنما أنث الفعل بعدها لما في اللبوس من معنى الجمع . والسِّلام : الحجارة ، الواحدة سَلِمَة ، والعرب تزعم أن الحجارة كانت رطبة لينة في قـديم الزمن ، انظر الحيوان ١٩٦:٤ ، والمواعظ والاعتبار ١٦٠:١ ، وشرح أدب الكاتب ٢٤٧ ، وثمار القلوب ٥١٥ ، والأمالي ٢٣١:١ ، والكامل للمبرد ٥٤٩ ، والمعاني الكبير ٨١٦:٢ ، والأزمنة والأمكنة ٢٢٩:١ ، والمزهر ٥٠٤:٢ ، وسرح العيون ٢١٥ .

(٣) الجراب : جوف البئر من أعلاها إلى أسفلها ، وقوله : « ليس له جراب »،أراد ليس له حدود تَحدُّه لكثرته واتساعه . وفاعل « تجري » هو السفينة المفهومة من الحديث.

٦ على أَمواجِ أَخضرَ ذي حَبيكٍ كأَنَّ سُعارَ زاخِرِهِ الهِضابُ [١]

وفي الحيوان (٢:٣٢١) :

٧ بآيةِ قامَ يَنطِقُ كلُّ شيْءٍ وخانَ أَمانَةَ الدِّيكِ الغُرابُ [٢]

٨ وأُرْسِلَتِ الحمامَةُ بَعْدَ سَبْعٍ تَدِلُّ على المَهالِكِ لا تَهابُ [٣]

---

(١) الحبيك : مفردها حَبيكَة ، وهي مايُرى على الماء من حروف إذا مرّت به الريح . والسُّعار ، في الأصل : حرُّ النار ، ثم استعاره لشدّة الموج ، وكذلك يقال في كلّ أمر شديد .

(٢) في البدء والتاريخ : « بأنّه قام » تحريف . وفي ثمار القلوب : « بأن قد قام » . — والآية : العلامة ، وقالوا : أفعله بآية كذا كما تقول بعلامة كذا ، وهي مما يضاف إلى الأفعال لقرب معناها من معنى الظرف ، و « بآية » متعلقان بمحذوف تقديره : « تمّ ذلك ، أو حدث ذلك بآية قيام كل شيء ينطق » . وأمية يشير إلى ما كانت تقوله العرب : « كان ذلك إذ كان كل شيء ينطق ، وكان ذلك والحجارة رطبة » الحيوان ٤:١٩٦ . وفي عجز البيت يشير إلى أسطورة أخرى لخصها الجاحظ بقوله : « وفي كثير من الروايات من أحاديث العرب ، أن الديك كان نديماً للغراب ، وأنهما شربا الخمر عند الخمّار ، ولم يعطياه شيئاً ، وذهب الغراب ليأتيه بالثمن حين شربا ، ورهن الديك ، فخاس به ، فبقي محبوسا » الحيوان ٢:٣٢٠ ، وخاس به : غدر .

(٣) في البدء والتاريخ : « تزل على المهالك » ، وتزل : تنزلق ، وهو معنى بعيد . وفي ليدن: « تَدُلُّ » بضم الدال ، من الدلالة على الشيء بمعنى الهداية إليه ، ولكن الحمامة لم تكن ترشد إلى المهالك . ولهذا رأينا أن نضبطها بكسر الدال ، من دَلَّ عليه يَدِلُّ، إذا تجرّأ عليه ، قال قيس بن زهير :

أظنُّ الحلمَ دَلَّ عليَّ قومي وقد يُستَجْهَلُ الرجلُ الكريمُ

٩ تَلَمَّسُ هَلْ تَرى في الأَرْضِ عَيْناً   وغايَتُها مِنَ الماءِ العُبابُ [١]

١٠ فجاءَتْ بَعْدَ ما رَكَضَتْ بِقِطْفٍ   عَلَيْهِ الثَّأْطُ والطِّينُ الكُبابُ [٢]

١١ فلمَّا فَرَّسُوا الآيـاتِ صاغُوا   لها طَوْقاً كما عُقِدَ السِّخابُ [٣]

دَلَّ عليَّ قومي : أي جرَّأهم . ويؤيد هذا المعنى قوله « لانهاب » بمعنى لاتخاف المهالك .

(١) في البدء والتاريخ : « وغـايته بـه تيبُّس أو اضطراب » ، وهي رواية مختلة الوزن . وفي الحيوان ٤:١٩٦ : « وعاينه من المـاء العباب » . وفي الحيوان ٢:٣٢١ : « وغايته من الماء العباب » . وفي سائر المصادر : « وغـايته بها الماء العباب » . وكلهـا روايات غامضة ، وقد وقف محقق الحيوان عند الرواية الأخـيرة ، فقال : « أي أن الماء العباب غايته وانتهاؤه إلى الأرض » ، وهذا أيضاً فيـه من الغموض ما لا يخفى . فرواية البيت فيها تحريف ، وقد صححنـا رواية الحيوان الثـانية على الشكل الذي أثبتناه ، وهو أقرب ما يكون إلى معنى الأبيات — والعبـابُ من كلّ شيء : أوّلـه ، وعُبابُ الماء : أوّلـه ومعظمه ،والمعنى أنها إذا بلغت أوّلَ الماء بلغت بذلك الشاطئ واليابسةَ وهو ما تبحث عنه . والتمس الشيءَ وتلمّسه : طَلَبَه . والعَيْن ، هنا : الناحية ، وأراد بهـا ناحية لاماء فيها .

(٢) في الحيوان ٤:١٩٦ : « عليهـا الثـأط » . وفي البـدء والتاريخ : « والطـين الكُثاب » . وفي اللسان والتاج (ثأط) : « والطين الكبار » تحريف . ورواه الثعالبي في ثمـار القلوب :

فعادت بعدما ركضت بشيء   من الأمواه والطين اللباب

وركضَ الطائرُ : أسرع في طيرانه . والقِطْفُ : ماقُطِف من ثمار وسواهـا . والثَّأْط : الطينُ الأسود المنتن . والكُبابُ : الطينُ اللازبُ . والكُثاب : المُجتَمِـع .

(٣) في ثمار القلوب : « فلما فتشوا الآيات » — وفَرَّسوا الآياتِ : تثبتوا منهـا . والآيات : مفردها آية . وهي العلامة ، وأراد بها ماجاءت به دلالةً على وجود اليابسـة . والسِّخابُ : القلادة ، وأراد بذلك ما يُرى في عنق الحمامة يشبه الطَّوق .

١٢ إذا مـاتتْ تُورِّثُهُ بَنيهـا وإنْ تُقتَلْ فلَيسَ لها اسْتِلابُ [١]

١٣ كَذي الأَفْعَى ترَبَّبَهـا لَدَيْـهِ وذِي الجِنِّيِّ أَرْسَلَهـا تُسابُ [٢]

١٤ فـلا رَبُّ المَنيَّـةِ يأْمَنُهـا ولا الجِنِّيُّ أَصْبَحَ يُسْتَتـابُ

وفي اللسان (وثب) :

١٥ بإِذْنِ اللهِ فاشْتَدَّتْ قُواهُـمْ عَلى مَلَكَيْنِ وهْيَ لَهُمْ وِثَابُ [٣]

وفي تفسير الطبري (١:٤٤٥) :

١٦ وفيهـا مِنْ عِبادِ اللهِ قَوْمٌ مَلائِكُ ذُلِّلُوا وهُمُ صِعابُ

---

(١) في البدء والتاريخ : « تورثه بنوها وإن قتلت ». وفي الحيوان ٤:١٩٧ : « فليس له انسلاب » . وفي ثمار القلوب : « فليس له استلاب » — والاستلاب : الاختلاس .

(٢) في الحيوان ٢:٣٢٢ : « يربها لديه وذي الجني أرسله يتاب » ، وفي هذه الرواية بعض الغموض ، ولذلك أثبتنا رواية الحيوان ٤:١٩٧ — وذو الأفعى : لعله يريد بـه آدم عليه السلام . وتربّبها : رباها . والأفعى : الحية التي كلّم إبليسُ آدمَ من جوفها . وذو الجني : إبليس. وسابت الحيّةُ وانسابت : جرت، وأراد بذلك زحفها على الأرض، إشارةً إلى أسطورة الحية وما جرّه عليها إبليس من عقاب ، إذ مُسخت على هذه الصورة بعد أن كانت في هيئة الجمل .

(٣) الوِثابُ بلغة حِمْير : الفِراشُ ، وهنا المقاعد ، يعني أن السماء مقاعد للملائكة .

وفي الصحاح (١:١٣٠) :

١٧ سَراةُ صَلاَيَةٍ خَلْقاء صِيغَتْ تُزِلُّ الشَّمْسَ ليسَ لها رِئابُ [١]

وفي الفائق (٢:١٦٥) :

١٨ وأَعْلاطُ النُّجومِ مُعَلَّقاتٌ كَخَيْلِ القِرْقِ لَيسَ لها انْتِصابُ [٢]

---

(١) في اللسان : « سراة صلابة » تصحيف – وسَراةُ كلِّ شيءٍ : أعلاه وظهره ووسطه . والصَّلاَيَة ، بفتح الصاد : كلُّ حجرٍ عريض يُدَقّ عليه عطر أو حنظل. والخلقاء: الملساء . والرئاب : مفردها رُؤْبة ، وهي ما تُسد به الثلمة ، يريد ليس بها صدوع . شَبَّه السماء بظهر ذلك الحجر الأملس الذي يُدق عليه العطر ، وذلك لملاستها وانعدام الصدوع فيها ، حتى كأن الشمس تنزلق انزلاقاً عليها نحو المغيب .

(٢) اختلفت رواية البيت بين معجم وآخر ، ففي اللسان (قرق) :

وأعلاقُ الكواكبِ مُرْسلاتٌ كَحَبْلِ القِرْقِ ، غايتُها النصاب

ومثله في التاج (قرق)، واختلف عنه برواية « كخيل القرق » . وفي المخصص، واللسان (علط) :

وأعلاطُ النجوم معلقات كحبل الفَرْق ليس له انتصاب

ومثله في التاج (علط) ، واختلف عنه برواية « كحبل القرق » ، ثم قال ويروى :

وأعلاط الكواكب مرسلات كخيل القرق غايتها انتصاب

والفَرْقُ : الكتّان . والأعلاط : مفردها عِلاط ، وهو الحبل الذي في عنق البعير، وفي اللسان (علط) : « وقيل : أعلاط الكواكب هي النجوم المسماة المعروفة كأنها معلوطة بالسِّمات ، وقيل : أعلاط الكواكب هي الدراري التي لا أسماء لها من قولهم ناقة عُلُطٌ لا سِمَةَ عليها ولا خِطام » ، وانظر المخصص ٩:٣٥ . والقِرْقُ : لعبة للصبيان يَخطّون في الأرض خطوطاً ثم يأخذون حُصَيّات فيصفونها، فخَيْلُ القِرْق: حجارتها ، شَبَّه النجوم بهذه الحُصَيّات التي تُصف . وغايتها النِّصاب : أي المَغْرب الذي تَغْرُب فيه .

وفي اللسان (حلل) :

١٩ غُيوثٌ تَلْتَقي الأَرْحامُ فيهـا ... تُحِلُّ بها الطَّروقَةُ واللِّجابُ [١]

وفي الخزانة (٢٨٦:٢ بولاق) :

٢٠ وتَرْدَى النَّابُ والجَمْعاءُ فيـهِ ... بوَحْشِ الإِصْمِتَيْنِ له ذُبـابُ [٢]

---

(١) الغُيوثُ : مفردُها غَيْث ، وهو المطر ، ثم سُمّي ما يَنبت بـه غيثاً . وأحَلَّت الشاةُ والناقةُ فهي مُحِلٌّ : دَرَّ لبنُها ، وقيل : يبس لبنُها ثم اكلت الربيعَ فَدرَّت ، وقيل : هو نزول اللبن من غير نِتَاج ولا وِلاد ، وكلا المعنيين يتناسب مع الطروقة واللجاب . والطروقة : أنثى الفحل ، ويقال : ناقةٌ طروقةُ الفحلِ ، للتي بلغت أن يضربها الفحل ، فهي لمّا تُنتَج ، ويتفق معها المعنى الثاني « للمُحل » . واللِّجاب : الشاةُ إذا مضى على نتاجها أربعةُ أشهر ، فجفّ لبنُها وقلّ ، ويتفق معها المعنى الأول « للمُحِل » ، ولهذا جمع أمية بينهما في البيت .

(٢) تَرْدَى : تَهْزُلُ وتَضعُفُ . والنّابُ : الناقة المسنة ، سَمّوها بذلك حين طال نابها وعظم ، وهي مما سُمي فيه الكلُّ باسم الجزء . والجمعاء : الناقة الهرمة . وإصْمِتُ : اسم علم لبريّة بعينها ، وقال بعضهم : العلم هو وحشُ إصْمِتَ الكلمتان معاً . وقال أبو زيد : لقيتُه بوحش إصمت ، وببلدة إصمت ، أي بمكان قَفْر . انظر معجم البلدان ٢٠١:١ ، واللسان (صمت) ، ومجمع الأمثال ١٧٤:٢ . وأمية قال « الإصمتين » فثناه وهو يريد الواحد . والذباب هنا من قولهم : الذباب شرٌّ دائم ، يقال : أصابك ذبابٌ من هذا الأمر ، أي أصابك شرٌّ منه .

وفي الخصائص (٢:٢٨٢) :

٢١ طَعامُهُمُ إذا أَكلُوا مُهَنّـا   وما إنْ لا تُحاكُ لَهُمْ ثِيابُ [١]

وفي أساس البلاغة (١:٣٦٦) :

٢٢ . . . . . .   تَرَدّدُ والرِّياحُ لها رِكابُ [٢]

(٤)

في قصص الأنبياء (١٢) :

١ إذا قِيلَ مَنْ رَبُّ هَذِي السَّمَـا   فليسَ سِواهُ لـهُ مُضْطَرِبُ [٣]

---

(١) يبدو أن البيت في وصف أهل الجنة . وفي سورة الطور : « كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون » ١٩:٥٢ ، وانظر سورة المرسلات ٤٣:٧٧ ، والحاقة ٢٤:٦٩ . وفي سورة الكهف : « ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق » ٣١:١٨ ، وانظر سورة الدهر ٢١:٧٦ .

(٢) الرّكاب: الإبل التي يُسار عليها ، واحدتها راحلة ، ولا واحد لها من لفظها ، وجعل أمية الرياحَ ركاباً للسحاب على سبيل المجاز . وقد لفق بشير يموت صدراً لهذا البيت من روايات البيت (١٨) فرواه على هذا الشكل :

وأعلاقُ الكواكبِ مُرْسَلاتٌ   تَردّدُ والريـاحُ لها رِكابُ

ولا يستقيم هذا التلفيق ، لأن الضمير في « تَردّدُ » ينبغي أن يعود إلى « السحاب » المفهوم من المعنى ، ولا صلة لذلك بالكواكب والنجوم وما إليها .

(٣) أنشده شولتهيس ، وبشير يموت : « له يَضطرِبْ » .

٢ ولو قِيلَ ربٌّ سِوَى رَبِّنَـا   لقَالَ العِبادُ جَمِيعاً كَـذِبْ

(٥)

في أساس البلاغة (٢:٤٩٤) :

١ فتُوجِهُنا أَقْوالُها ومُلوُكها   ويَعْرِفُنا ذو رَأْيِها وصَلِيبُها [1]

(٦)

في جمهرة اللغة (٢:٣٤٠) :

١ مَلِـكٌ بِسَـاهِـرةٍ إذا   تُلقَى نَمَـارِقُهُ وكُوبُهْ [2]

---

(١) اوْجَهَهُ : شَرَّفَه وجعله وَجِيهاً . والأقوال والأقيال : مفردُها قَيْـلٌ ، وهو الملك من ملوك حمير ، وقيل : هو دون الملك الأعلى . والصليب : الشديدُ ، وقـال الزمخشري : « وعربيٌّ صليبٌ : خالص النسب . قال أمية : ويعرفنا ذو رأيها وصليبها » الأساس ٢:٢٢ .

(٢) الساهرة : الأرض والفلاة ، وقيل : وجه الأرض . والنمارق : مفردها نُمْرُقَة ، وهي الوسادة . والكوبُ : الكوز الذي لاعروة له .

(٧)

في الكشاف (٢: ٦٩) :

١ المُطْعِمونَ الطَّعامَ في السَّنَةِ الأَزْ مَـةِ والفـاعِلونَ لِلزَّكَواتِ [١]

(٨)

في السيرة (٣ : ٣١ – ٣٢) [٢] :

١ أَلاَ بَكَيْتَ على الكرا مِ بَني الكِرامِ أُولي المَادِحْ [٣]

٢ كَبُكا الحَمامِ على فُرو عِ الأَيْكِ في الغُصُنِ الجَوانِحْ [٤]

---

(١) في الفائق: « في سنة الأزمة » — والأزْم: شِدَّة العض بالفم كله وقيل بالأنياب، والأنياب هي الأَوازِم ، ومنه قيل للسنة إذا اشتد قحطها : أَزْمَةٌ ، وأَزُومٌ ، وآزِمَـةٌ . والزَّكَوات : مفردها زكاة ، وهي هنا : العمل الصالح .

(٢) القصيدة في رثاء قتلى بدر من المشركين ، وقال ابن هشام بعد روايتها : «تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٣) في البيان والتبيين : « هلاَّ بكيت » — والمادح : ما يُمْدَحون به .

(٤) في العقد الفريد : « في الغصن الصوادح » — والفروع : مفردها فَرْع ، وهو الغُصْنُ ، ومن كل شيءٍ أعلاه . والأيك : الشجر الكثير الملتف ، مفردها أيكة . والجوانح : الموائل . والصوادح : من صَدَحَ الطائرُ أو الرَّجلُ ، إذا رفع صوته بغناء أو غيره .

٣ يَبْكِينَ حَرَّى مُسْتَكِيـ ـنَاتٍ ، يَرُحْنَ مَعَ الرَّوَائِحْ [1]

٤ أَمْثَالُهُنَّ البَاكِيَا تُ المُعْوِلاتُ مِنَ النَّوَائِحْ [2]

٥ مَنْ يَبْكِهِمْ يَبْكِ عَلَى حُزْنٍ ، وَيَصْدُقْ كُلُّ مَادِحْ

٦ مَاذَا بِبَدْرٍ فَالعَقَنْـ ـقَلِ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَحَاجِحْ [3]

٧ فَمَدَافِعِ البَرْقَيْنِ فَالْـ ـحَنَّانِ مِنْ طَرَفِ الأَوَاشِحْ [4]

٨ شُمْطٌ وَشُبَّانٌ بَهَا لِيلٌ مَغَاوِيرٌ وَحَاوِحْ [5]

---

(١) في تاريخ أبي الفداء ، وتاريخ ابن الوردي : « يبكين حزنى » — وحرّى : حزينةٌ مُحْرَقَةُ القلب . ومستكينات : خاضعات مع شيء من الذل . والرّواحُ : العشيُّ ، ويَرُحْنَ : يَعُدْنَ إلى أوكارهن في العشي .

(٢) المُعْوِلات : النساءُ يرفعن أصواتهن بالبكاء والصياح ، الواحدة مُعْوِلة .

(٣) في معجم البلدان : « كم بين بدر والعقنقل » . وفي العقد : « من ذا ببدر » . وفي تاريخ ابن الوردي : « ماذا ببدر فالقيقل » تحريف — والعقنقل : كثيبُ رملٍ ببدر . والمرازبة : مفردها مَرْزُبان ، وهي معربة عن الفارسية ، ومعناها الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك ، وهي ليست من تعريب أمية ، لأنها كانت معروفة في عصره . والجحاجح : مفردها جَحْجاح ، وهو السيد الكريم .

(٤) في معجم ما استعجم ١ : ٢٠٨ : « البُرْقَيْن » بضم الباء . وفي معجم ما استعجم ٢: ٤٧٠ : « البَرْقَيْن » بالفتح ، وضبطه ياقوت بالضم في معجم البلدان ١ : ٥٧٠ — والمَدافع :مفردها مَدْفع ، وهو مجرى السيل ، أو أسفل الوادي حيث يندفع السيل ويتفرق. والبرقين : موضع . والحنّان : رملٌ بين مكة والمدينة . والأواشح : موضعٌ قرب بدر.

(٥) الشُمْط : مفردها أشْمَط ، وهو مَن في شعره بياض يخالطه سواد. والبَهاليل: مفردها بُهْلول ، وهو السيد العزيز الجامع لكل خير . والمغاوير : مفردها مِغْوار ، وهو

٩ أَلاَ تَرَوْنَ كَمَا أَرَى ... وَلَقَدْ أَبَانَ لِكُلِّ لامِحْ (١)

١٠ أَنْ قَدْ تَغَيَّرَ بَطْنُ مَكَّـ ... ـةَ فَهْيَ مُوحِشَةُ الأَبَاطِحْ (٢)

١١ مِنْ كُلِّ بِطْرِيقٍ لِبِطْـ ... ـرِيقٍ نَقِيِّ اللَّوْنِ وَاضِحْ (٣)

الكثير الغارات . والوحاوح : مفردها وَحْواح ، وهو السيد الشديد القوة .

(١) أبان الشيءُ واستبانَ : اتَّضحَ ، وكلاهما يأتي لازماً ومتعدياً ، والفعل هنا لازمٌ فاعله المصدر المؤول في البيت التالي .

(٢) البطن من الأرض : ماغَمُضَ منها وخفي في جوفها ، وبَطْنُ مكةَ : بطحاؤها وداخلها . وقريش قسمان : قريش البطحاء ، وهم الذين يسكنون أباطح مكة وهم أشرافها، وقريش الظواهر وهم الذين ينزلون ماحَوْل مكة، وأمية يشير في رثائه قتلى قريش إلى «بطن مكة» وإلى «الأباطح» بالذات ، لأن قتلى قريش كانوا من أكرم قومهم وفيهم أبناء خاله . والموحشة : الخالية . والأباطح : مفردها أبْطَح ، وهو المسيل الواسع فيه دُقَاق الحصى، وأراد بها داخل مكة .

(٣) في البداية : « نقي الودّ » . وفي اللسان والتاج (بطرق) : « نقي الوجه » — والبِطْرِيق : بلغة الروم ، القائد الحاذق بالحرب وأمورها ، والجمع بَطارقة ، وهو معرب عند الجمهور ، ولم يكن تعريبه على يد أمية ، لأنه ورد لدى غيره من شعراء عصره . والواضح : الأبيض الحسن .ويقال: رجلٌ واضح الحسب ، إذا كان طاهرَ الحسب نقيَّه . وقوله « بطريق لبطريق » : كأنه جعل القائد منهم ابن قائد أبداً ، أو جعل القائد منهم لايقود جنوداً فحسب ، وإنما يقود مَن هم بمنزلة القادة ، لما خبروه من أمر الحرب والقتال ، وهذا أدعى للثناء عليهم .

١٢ دُعموصِ أبْوابِ المُـلُو ... كِ وجائبِ لِلْخَرْقِ فاتِحْ [١]

١٣ ومِـنَ السَّراطِمَةِ الخَـلا ... جِمَةِ المَلاوِثَـةِ المَناجِحْ [٢]

١٤ القَائِلِـينَ الفَـاعِلِيـ ... نَ الآمرِينَ بكُلِّ صالِحْ

١٥ المُطْعِمِـينَ الشَّحْمَ فَـوْ ... قَ الخُبْزِ شَحْماً كالأَنافِحْ [٣]

١٦ نُقُلُ الجِفَانِ مَعَ الجِفَـا ... نِ إلَى جِفَانٍ كالمَنَاضِحْ [٤]

---

(١) في العقد : « رعموص » بالراء ، تصحيف . وفي حيـاة الحيوان : « وحاجب للخلق فاتح » تحريف — والدعموص : الزَوّار للملوك ، وقال الأصمعي للـدخّال الخرّاج حيث لايرام دُعْموصٌ ، انظر الأزمنة ٢١٥:٢ . والجائب : فاعلٌ من جاب المفازةَ جَوْباً ، إذا قطعها . والخَرْق : الفلاة الواسعة ، سُميت بذلك لانخراق الريح فيها . والفاتح ، هنا : الناصر ، وفي الحديث أنه « كان يستفتح بصعاليك المهاجرين » أي يستنصر بهم .

(٢) في السيرة : « من السراطمة » بإسقاط الواو ، والتصحيح عن البداية ، والعقد. وفي العقد الفريد : « ومن السراطمة الجلاحمة » — والسَّراطمة : مفردها سِرْطِم ، وهو البليغ المتكلم . والخلاجمة : مفردها خَلْجَم ، وهو الجسيم العظيم ، أو الطويل . والجلاحمة : مفردها جِلْحِم ، وهو المُتَكبِّر . والملاوثة : مفردها مِلْوَث ، وهو السيد الشريف . والمناجح : مفردها مُنْجِح ، وهو الذي يَنجح ويظفر بما يريد .

(٣) الأنافح : مفردها إنْفَحَة ، وهو شيء أصفر يُستخرج من كَرِش الجَدْي الرضيع ، فيُعصَر في اللبن فيغلظ كالجُبْن .

(٤) الجِفان : مفردها جَفْنَة ، وهي أعظم مايكون من القِصاع . والمناضح : الحياضُ ، مفردها مَنْضَح .

١٧ لَيْسَتْ بِأَصْفَارٍ لِمَنْ ... يَعْفُو ولا رُحٍّ رَحَارِحْ[1]

١٨ لِلضَّيْفِ ثُمَّ الضَّيْفِ بَعْـ ... ـدَ الضَّيْفِ ، والبُسْطِ السَّلاطِحْ[2]

١٩ وُهُبُ المِئِينَ مِنَ المِئِيـ ... ـنَ إلى المِئِينَ مِنَ اللَّوَاقِحْ[3]

٢٠ سَوْقَ المُؤَبِّلِ لِلْمُؤَبِّـ ... ـلِ صادِراتٍ عَنْ بَلادِحْ[4]

٢١ لِكِرامِهِمْ فَوْقَ الكِرا ... مِ مَزِيَّةٌ وَزْنَ الرَّوَاجِحْ[5]

---

(١) الأصفار : الآنية الخالية ، مفردها صفرٌ بتثليث الصاد . وعَفاه يَعفُوه : أتاه يَطلُبُ معروفَه . والرُّحُّ : جمعٌ قياسي لـ « رَحَّاء » ، وهي الجفنة الواسعة إذا كانت عريضة ليست بقعيرة ، وفي اللسان والقاموس أن « الرُّحُح » بضمتين : الجفان الواسعة . والرَّحارح : مفردها رَحْرَح ، وهو كل إناء منبسط قريب القعر .

(٢) الضيف : يكون للواحد والجمع ، وأراد به الجمع ، ومثله في سورة الذاريات ٥١ : ٢٤ : « هل أتاك حديث ضَيْفِ إبراهيم المُكْرَمِين » . ورجلٌ بَسِيطُ اليدين : منبسط بالمعروف ، وبَسِيطُ الوجهِ : مُتَهَلِّلٌ ، وجمعُها بُسُطٌ . والسَّلاطح : الطِّوال العِراضُ ، مفردها سَلَنْطَح .

(٣) اللواقح : مفردها لاقِح ، وهي الناقة في بطنها ولد ، والجود بها أسمى من الجود بغيرها .

(٤) المُؤَبِّل : الكثير الإبل ، من أَبَّل الرجلُ يُؤَبِّلُ ، إذا كثرت إبلُه . والصادرات : الراجعات من الوِرْد . وبَلْدَح : وادٍ قِبَلَ مكة ، وقد جمعه أمية بما حوله .

(٥) المزية : الفضيلة ، من تمازَى القوم إذا تفاضلوا ، وأمْزَيْتُهُ عليه فضَّلْتُه . والرواجح : أراد بها الجبال لأنها تَرْجح على كل شيء .

٢٢ كَتَثَاقُلِ الأَرْطَالِ بِالْـ ـقِسْطَاسِ في الأَيْدِي المَوَائِحْ [1]

٢٣ خَذَلَتْهُمْ فِئَةٌ وهُمْ يَحْمُونَ عَوْرَاتِ الفَضَائِحْ [2]

٢٤ الضَّارِبِينَ التَّقْدُمِيَّـ ـةَ بالمُهَنَّدَةِ الصَّفَائِحْ [3]

٢٥ ولَقَدْ عَنَانِي صَوْتُهُمْ مِنْ بَيْنِ مُسْتَسْقٍ وصَائِحْ [4]

٢٦ لِلّهِ دَرُّ بَنِي عَلِيٍّ م أَيِّمٍ مِنْهُمْ ونَاكِحْ [5]

---

(١) القسطاس : الميزان . والموائح : التي تتمايل لثقل ما ترفعه ، وهي من تمايَحَ السكرانُ أو الغصنُ ، إذا تمايل .

(٢) العورات : مفردها عَوْرَة ، وهي كلُّ ما ينبغي ستره ، وأراد بها كلّ ما يسيء إلى سمعة قريش .

(٣) في جمهرة اللغة ، ومقاييس اللغة ، وأساس البلاغة : « اليقدمية » بالياء ، وفي الصحاح ،واللسان ، والتاج:« التقدمية »بالتاء ، وهما بمعنى — والتَّقْدُمِيَّةُ : أراد بها الذين يمشون التَّقْدُمِيَّة ، وهم الذين يمضون في الحرب ويتقدمون الصفوف . والصفائح : مفردها صفيحة ، وهو السيف العريض .

(٤) عناني : أحزنني وشقّ عليّ .

(٥) الدَّرُّ : العملُ من خيرٍ أو شرٍ ، ومنه قولهم « لله درُّك » يكون مدحاً ويكون ذماً ، والمراد هنا الذم ، لأنه يذمهم إن لم يغيروا غارة شعواء . والأيِّم من النساء والرجال : مَن لا زوج له . والناكح: المتزوج ، وخصّه بالذكر لأن من عادة المتزوج أن يخاف على أهله وولده . وبنو عليٍّ : هم قريش ، لأن أمهم تزوجت عليَّ بن مسعود بن ذئب فضم ولدَها بكراً وعامراً ومُرّة بني عبد مناف فنُسبوا إليه .

٢٧ إِنْ لَمْ يُغِيروا غَارَةً   شَعْواءَ تُجْحِرُ كُلَّ نابِحْ [١]

٢٨ بالمُقْرَباتِ المُبْعِدا   تِ الطَّامِحَاتِ مَعَ الطَّوامِحْ [٢]

٢٩ مُرْداً عَلى جُرْدٍ إلى   أُسْدٍ مُكالِبَةٍ كَوالِحْ [٣]

٣٠ ويُلاقِ قِرْنٌ قِرْنَهُ   مَشْيَ المُصافِحِ لِلْمُصافِحْ [٤]

٣١ بِزُهاءِ أَلْفٍ ثُمَّ أَلْ   ـفٍ بَيْنَ ذِي بَدَنٍ ورامِحْ [٥]

---

(١) في تاريخ ابن عساكر : « تجحر كالأتايح » تحريف — والشعواء : المنتشرة المتفرقة ، ولعل أصلها من الشَّعْو وهو انتفاش الشعر . وتُجْحِر كلَّ نابح : تسكته وتلجئه إلى جحره .

(٢) المُقْرَبات : الخيلُ تُقَرَّبُ من البيوت لكرمها. والمُبْعِدات : الخيل تَبْعد في جريها لسرعتها . والطامحات : الخيلُ تَرْفعُ برؤوسها لعِتْقِها .

(٣) في تاريخ ابن عساكر : « مرد على جرد .. مكالبة كوابح » — والمُرْدُ ، مفردها أمْرَد ، وهو الشاب الذي بلغ خروج لحيته ولم تخرج بعد . والجُرْد : مفردها أجْرَد ، وهو من الخيل القصيرُ الشَّعَرِ ،وذلك من علامات العِتْق والكَرَم ، أو أنه الفَرَسُ الذي يسبق الخيلَ ويَنْجرِد عنها لسرعته.والمكالبة : التي فيها شِبْهُ الكَلَب فهي تميل إلى المُشارَّة والمواثبة ، يعني حِدَّتهم في الحرب . والكوالح :العوابس. وقد وصف المسلمين بشدة البأس ليعود ذلك مدحاً على قريش .

(٤) القِرْنُ : النِّدُّ في الشجاعة والشِّدَّة ، وجعل كلَّ فريق نداً للآخر ليعود ذلك مدحاً على قريش . و « يُلاقِ » جُزم عطفاً على « يُغيروا » .

(٥) في تاريخ ابن عساكر : « بزهاء ألف أو بألف » تحريف — والبَدَن : الدرع القصيرة ، وقيل : هي الدرع عامة . والرامح : ذو الرمح .

(٩)

في تفسير الطبري (٣٠:٤٦) :

١ دارٌ دَحاها ثُمَّ أَعْمَرَنا بِهــا وأَقامَ بالأُخرى الَّتي هِيَ أَمْجَدُ [١]

وفي اللسان (طوط) :

٢ والطُّوطَ نَزْرَعه أَغَنَّ جِراؤُهُ فيهِ اللُّباسُ لِكُلِّ حَوْلٍ يُعْضَدُ [٢]

وفي الحيوان (٧:٥٥) :

٣ فاسْمَعْ لِسانَ اللهِ كَيْفَ شُكُولُهُ عَجَبٌ، ويُنْبِيكَ الذي تَسْتَشْهِدُ [٣]

٤ والوَحْشَ والأَنعامَ كيفَ لُغاتُها والعِلْمُ يُقْسَمُ بَيْنَهُمْ ويُبَدَّدُ [٤]

---

(١) دَحاها : بَسَطها. وأَعْمَرَنا بها: من أعمرتُه الدارَ، إذا جعلتَها له يسكنها مدةَ عمره، فإذا مات عادت إليك، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية حتى أبطله الإسلام، وقد عدّاها بالباء لأنها بمعنى أسكنَنا بها، وقد تكون من قولهم عَمَّرَ اللهُ بكَ منزلَك وأعْمَرَه، أي جعله آهلاً .

(٢) في المخصص : « والطوط تزرعــه » — والطُّوطُ : القُطْنُ . والأغنُّ : الناعم . وجِراؤه : جَوْزُه، الواحد جِرْوٌ . ويُعْضَد : يُوشَّى .

(٣) الشُّكولُ : الأشكال . واستَشْهَدَه على الأمر : طلَبَ منــه الشهادةَ . ولسان الله : أراد به كلَّ ما ينطق بعظمته تعالى ويدل عليه .

(٤) الوحش : يطلق على الواحد والجمع مما لايستأنس من الحيوان، وأراد به الجمع. ويُبدَّد : يُفرَّق .

وفي الموشح (٨٣) :

٥ لِلَّهِ نِعْمَتُنا تَبارَكَ رَبُّنـــا رَبُّ الأنامِ ورَبُّ مَنْ يَتَأَبَّدُ [1]

(١٠)

في الحيوان (٣:٥١١) [2] :

١ إِعْلَمْ بـــأَنَّ اللهَ ليسَ كصُنْعِهِ صُنعٌ، ولايَخْفَى عَلَيه مُلْحِـدُ [3]

---

(١) تبارك ربُّنا : تقدَّس وتنزَّه ، لاتكون هذه الصفة لغير الله تعالى . وتَأَبَّد : تَوحَّش ، وأراد به التفرُّد للعبادة .

(٢) القصيدة من الشعر المتهم .

(٣) جاءت رواية البيت في الحيوان على هذا النحو :

تعلَّمْ بـأنَّ اللهَ ليس كصنعـهِ صَنيعٌ ولا يَخْفَى على الله ملحد

وبهذه الرواية يصبح البيت من الطويل في حين القصيدة من الكامل . وفي مجموعة بيروت جاءت رواية البيت مماثلة لرواية الجاحظ واختلفت عنها بـ « تعلَّم فإنَّ » . وفي مجموعة ليدن :

تعلم فإنَّ الله ليس كصنعـه صُنع ولا يخفى عليه ملحـــد

وبهذه الرواية يصبح صدر البيت من الطويل وعجزه من الكامل ، وقـــد صَحَّحنا رواية البيت على نحو تستقيم به وزناً ومعنى — وتَعلَّم : بمعنى إعلمْ ، ولا يستعمـــل « تَعلَّم » بمعنى « اعلم » إلاَّ في الأمر .

٢ وبِكُلِّ مُنْكَرَةٍ لَهُ معروفَةٌ أُخْرَى ، على عَيْنٍ بِها يَتَعَمَّدُ [١]

٣ جُدَدٌ وتَوْشِيمٌ ورَسْمُ عَلامَةٍ وخَزائِنٌ مفتوحَةٌ لا تَنْفَدُ [٢]

٤ عَمَّنْ أَرادَ بِها وجابَ عِنانَها لا يَسْتَقِيمُ لِخالِقٍ يَتَزَيَّدُ [٣]

---

(١) المنكرة : هنا مؤنث المُنْكَر ، وهو الأمر المجهول الذي لا يُعْرَف ، وأراد : بكل أمور مُنْكَرَةٍ له أمورٌ معروفة ، فحذف الموصوف . وعلى عَيْنٍ : على رويّةٍ وتبصّر ، وصَنَعَه على عَيْنٍ : أي عَمْداً .

(٢) في مجموعة ليدن : « مفتوحة لاتقلد » — والجُدَد : طرائقُ في الجبل تُخالف لونَه ، واحدتها جُدَّة . والتوشيم : من أَوْشَمَت الأرضُ ، إذا ظهر شيءٌ من نباتها . وأَوْشَمت السماءُ : بدا منها بَرْق . والرَّسْم : الأثَر ، أو بقيةُ الأثرِ . والعلامة ، هنا : الفَصْل يكون بين الأرضين ، أو شيءٌ يُنْصب في الفلوات تهتدي بـه الضالَّةُ . وفي سورة فاطر : « ألم تَرَ أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا بـه ثمرات مختلفاً ألوانُها ومن الجبال جُدَدٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانُها وغرابيبُ سودٌ » ٣٥:٢٧ . وفي سورة الحجر : « وإنْ من شيء إلاّ عندنا خزائنه وما نـنزله إلاّ بقَدَرٍ معلوم» ١٥:٢١ ، وانظر الشورى ٤٢:١٢ ، والزمر ٣٩:٦٣ .

(٣) في الحيوان : « وجاب عيانه » ، وهي رواية غامضة أبدلناها بما أثبته شولتهيس — وجاب : قطع . وعنان الدابة : السَّيْر الذي تُمسك به ، واستعارها للخزائن على التشبيه ، وأراد بقطع عنانها أنها غير مقيدة بل طليقة لمن أرادها الله له . وتَزَيَّد : تكلّف الزيادةَ وتجاوز ما ينبغي . ويستقيم : يعدل ويساوي ، وفاعله محذوف تقديره : لايستقيم أحدٌ لخالق يتزيد .

٥ غَيْمٌ وظَلْماءٌ وغَيْثُ سَحابَةٍ ... أَزْمانَ كَفَّنَ واسْتَرادَ الْهُدْهُدُ [(١)]

٦ يَبْغِي القَرارَ لأُمِّهِ لِيُجِنَّها ... فَبَنَى عَلَيْها في قَفاهُ يَمْهَدُ [(٢)]

٧ مَهْداً وَطِيئاً فاسْتَقَلَّ بِحَمْلِهِ ... في الطَّيْرِ يَحْمِلُها ولا يَتَأَوَّدُ [(٣)]

٨ مِنْ أُمِّهِ فَجُزِي بِصالِحِ حَمْلِها ... وَلَداً ، وكَلَّفَ ظَهْرَهُ ما تَفْقِدُ [(٤)]

---

(١) في نهاية الأرب للنويري ، والشعر والشعراء : « أيام كفن » ، وفي المعاني الكبير : « وفضل سحابة أيام كفن » — واسْتَرادَ : خرج يبحث عن الكلأ ، وأراد خروجَ الهدهد باحثاً عن مكان صالح لدفن أمه . والأبيات بدأت بتصوير أسطورة الهدهد عند العرب ، إذ كانوا يزعمون أن القُنْزُعَة التي في رأس الهدهد ثواب من الله تعالى على ما كان من برّه لأمه ، لأن أمّه لما ماتت جعل قبرها في رأسه ، فهذه القُنْزُعة عوض من تلك الوهدة . والهدهد طائر منتن الريح والبدن من جوهره وذاته ، ولكنّ الأسطورة تجعل ذلك النتن شيئاً خامره بسبب تلك الجيفة ، التي دُفنت في رأسه . انظر الحيوان ٣ : ٥١٠ ، ونهاية الأرب ١٠ : ٢٤٧ .

(٢) القرار : مصدر من قَرَّ بالمكان يَقِرُّ ، إذا ثبت فيه وسكن . ويُجِنُّها : يدفنها بالجَنَن وهو القبر . والقفا : ما وراء العنق . ومَهَدَ الفِراشَ يَمْهَدُه : بسطه ووطّأه .

(٣) المَهْدُ : ما يُبْسط للصبيّ ، وأراد به القبر . والوطيءُ من كلّ شيء : ما سَهُل ولانَ . واستقل بالأمر : انفرد . وتأوّد : تعوّج وتثنّى .

(٤) في نهاية الأرب : « وكلّف ظهره ما يَعْقِد » تصحيف — والجزاء ، هنا : المكافأة . وقوله « ولداً » : أراد ولداً بَرّاً ، والمعنى أنه جُزِيَ بذرّيّة وعقب صالح .

٩ فَتَراهُ يَدْلَحُ ما مَشَى بِجِنـــازَةٍ مِنْها، وما اخْتَلَفَ الجَديدُ المُسْنَدُ [١]

وفي الحيوان (٣ : ٣٦٣) :

١٠ والأرْضُ نَوَّخها الإلَهُ طَروقَةً لِلْماءِ حَتَّى كُلُّ زَنْدٍ مُسْفَدُ [٢]

١١ والأرْضُ مَعْقِلُنا وكانَتْ أُمَّنا فِيها مَقابِرُنا وفيها نُولَـــدُ [٣]

---

(١) في الشعر والشعراء : « فيزال يدلج ما مضى بجنازة » . وفي المعاني الكبير : « فيزال يذبح » تحريف . وفي نهاية الأرب :

فتراه يُدْلِجُ ماشيا بجنازة بقفاه ما اختلف الجديد المسند

ودَلَح الرجلُ بحمله : مرّ متثاقلاً غير منبسط الخَطْو لثقله عليه . والجديد: أراد به الدهر على حذف الموصوف ، لأن الدهر لا يبلى . والمُسْنَد : الدهر . ويقال : لا أفعل ذلك ما اختلف الجديدان ، أي الليل والنهار ، ولعله أراد هذا المعنى، أو أراد اختلاف الدهر في تقلبه على المرء دولاً وأحوالاً .

(٢) في اللسان ، والتاج : « والأرض صيرها الإله » — ونَوَّخها : أبركها . والطروقة : أنثى الفحل ، شبّه الماء والأرض بالفحل وأنثاه . والزّنْد والزّنْدة : خشبتان تُسْتَقدح بهما النار . وقال ابن قتيبة في شرح البيت : « معناه أن الله جعل الأرض كالأنثى للماء ، وجعل الماءَ كالذكر للأرض ، فإذا مطرت أنبتت . ثم قال : وهكذا كلُّ شيء حتى الزُّنودُ ، فإن أعلى الزندين ذَكَرٌ ، والأسفل أنثى ، والنار لهما كالولد . ومُسْفَد بمعنى : مُنْكَح ، تقول : سَفِد الذكر الأنثى ، واللهُ أَسْفَده . كما تقول : نَكَح والله أنكَحَه » تأويل مشكل القرآن ٦٨ — ٦٩ .

(٣) في المخصص : « ومنها نولد » — وقال ابن قتيبة : « وكانت العرب تسمي الأرض أُمّاً ، لأنها مبتدأ الخلق ، وإليها مرجعهم ، ومنها أقواتهم ، وفيها كفايتهم ، قال أمية بن أبي الصلت : (البيت) » تأويل مشكل القرآن ٧٦ .

وفي الحيوان (٥:٤٣٧) :

١٢ فيها تَلاميذٌ على قُذُفاتِها حُبِسُوا قِياماً فالفرائصُ تُرْعَدُ [١]

١٣ فبَنى الإلَهُ عليهِمُ مَخْصُوفَةً خَلْقاءَ لا تَبْلَى ولا تَتأوَّدُ [٢]

١٤ فلَوَ أنَّهُ تَحْدُو البُرامَ بِمَتْنِها زَلَّ البُرامُ عنِ التي لا تَقْرَدُ [٣]

وفي اللسان (برقع) :

١٥ فَأَتَمَّ سِتّاً فاسْتَوتْ أطباقُها وأتى بسابِعَةٍ فأنّى تُورَدُ [٤]

---

(١) التلاميذ : الخدم والأتباع ، ولعله أراد بهم النُّسّاكَ لأنهم يأوون إلى الجبال . والقُذُفات : كلُّ ما أشرف من رؤوس الجبال ، والمفرد قُزْفة. والفرائص: مفردها فَريصة ، وهي اللحمة بين الجَنْب والكتف تُرْعَد عند الفزع . وتُرْعَد : ترتجف .

(٢) المَخْصوفة : المؤلفة من عدّة أطباق ، وأراد : « سماءً مخصوفةً » فحذف الموصوف . والخلقاء : الملساء . وتَتأوّد : تتثنى وتتجعد .

(٣) في المعاني الكبير :

ولو أنه يجد البرام بمتنها صُعُداً لألفاها التي لاتقرد

وتحدو : تسوق ، شبه البرام بالإبل . والبُرام : القُرَادُ ، وهو للبعير كالقمل للإنسان . ومتن الشيء : ما ظهر منه . وقَرِد الشَّعَرُ يَقْرَد : تَجعّد وتَلبّد بعضُه على بعض . والمعنى أنها ملساء الأديم ، فلو مشى عليها القُرادُ لزلّ وسقط .

(٤) ستاً : أراد ستّ سموات . واستوت : تماثلت . ووَرَد الماءَ ونحوَه : بلغَه وأشرف عليه ، دَخله أم لم يدخله ، وأراد بذلك اقتراب الجن وإشرافهم على السماء للاستماع إلى الملأ الأعلى ، وهو معنى إسلامي خالص .

١٦ فَكَأَنَّ بِرْقِعَ والملائِكُ حَوْلَها سَدِرٌ تَواكَلَهُ القَوائِمُ أَجْرَدُ(١)

وفي البدء والتاريخ (٢ : ٧) :

١٧ خَضْراءُ ثانِيَةٌ تُظِلُّ رُؤُوسَهُمْ فَوْقَ الذَّوائِبِ فاسْتَوَتْ لاتُحْصَدُ(٢)

١٨ كَزُجاجَةِ الغَسُّولِ أَحْسَنَ صُنْعَها لَمَّا بَناها رَبُّنا يَتَجَرَّدُ(٣)

---

(١) في التاج (ملك) و (وكل) ، والصحاح : « والملائك حوله » . وفي مجالس ثعلب ، والتاج (برقع) : « والملائك تحتها » . وفي التاج (رقع): « وكأن رقعاً والملائك حوله » تحريف . وفي البدء والتاريخ : « والملائك حوله سدد تواكله القوائم مجرد » تحريف. ورواه الجوهري : « تواكله القوائم أجرب » ، فنبه ابن بري على وهم الجوهري في هذه الرواية ، انظر اللسان (برقع) و (ملك) . وفي الفصول والغايات :

وكأن برقع والكواكب وسطها سدر تواكلـه القوائم أجرب

وأنشده ثعلب في مجالسه « سدر تواكله قوائم أربع » وهكذا رواه السيوطي في المزهر ، وقد نبه ابن بري أيضاً على عدم استقامة هذه الرواية مع القصيدة ، انظر اللسان (سدر) — وبرقع : اسم من أسماء السماء ، وقيل : هي السماء الرابعة ، وقيل : السابعة ، وقال ابن دريد :«والبرقع: اسم سماءالدنيا » جمهرة اللغة٣:٣٠٨، وقال ثعلب : « برقع السماء ، لما فيها من النجوم تُسمى برقعاً » مجالسه ٢١٧. وانظر مصادر البيت في التخريج . والسَّدِر : اسم للبحر لم يُسمع به إلاّ في شعر أمية. والأجرد : الأملس الذي لاموج فيه . وتواكلته : تركته . والقوائم : أراد بها الرياح .

(٢) في البدء والتـاريخ : « فاستوت لايحصد » ، والتصحيح عن شولتهيس — والذوائب : مفردها ذُؤابة ، وهي من كلّ شيء أعلاه ، وتطلق على الشَّعَر المضفور من الرأس . وتُحصَد : تُقطَف ثمارُها ، شَبَّهها بالشجرة في خضرتها وظلّها ، وشَبَّه مافيها من الدَّراري بالثمار .

(٣) الغَسول : مايُغسَل به من أُشْنان ونحوه ،وأرادالزجاجةَ المغسولةَ بالغَسول. ويتجرد : من قولهم تَجرَّد للأمر ، إذا جدَّ فيه .

وفي التاج (صقر) :

١٩ لِمُصَفَّدِينَ عليهمُ صَاقُورَةٌ صَمَّاءُ ثالثَةٌ تُمَاعُ وتُجمَدُ [١]

وفي التاج (حقر) :

٢٠ وكأنَّ رابعَةً لهـا حاقُورَةً في جَنْبِ خامِسَةٍ عَناصٍ تُمْرَدُ [٢]

وفي اللسان (صدق) :

٢١ فِيها النُّجُومُ تُطِيعُ غَيْرَ مُرَاحَةٍ ماقالَ صَيْدَقُها الأَمِينُ الأَرْشَدُ [٣]

وفي المخصص (٨:٣٦) :

٢٢ رَسَخَ المَها فِيها فأَصبحَ لَوْنُها في الوارِسَاتِ كأَنَّهنَّ الإِثْمِدُ [٤]

---

(١) في الأزمنة : « وبنى الإله عليهم صاقورة » — والصاقورة : السماء الثالثة . والصماء : الصلبة ، التي لاتخلخل فيها .

(٢) الحاقورة : السماء الرابعة . والجَنْب ، هنا : القُرْب . والعناصي : الشَّعَرُ المنتصب قائماً في تفرق ، واستعارها للسماء . وتُمْرَد : مِن مَرَدَ الشيءَ ، إذا ليَّنه ، ومرد التمرَ بالماء يَمرُدُه مَرْداً ، إذا مرثه بيده حتى يلين .

(٣) في التاج : « فيها النجوم طلعن غير مراحة » تحريف — والصَّيْدَق : الأمين ، وقيل : المَلِك .

(٤) رَسَخ ، هنا : بمعنى أرسَخ ، وأرسَخَ الشيءَ : ثَبَّته في مكانه . والمَهَا : الكواكب . والوارِساتُ : مفردها وارِسَة ، وهي الأرض ينتشر فيها الوَرْسُ ، وهو نَبْتٌ أصفر . وأصبح لونُها في الوارسات : أصبح يضرب إلى الصفرة . والإثْمِد : الكحل .

وفي البدء والتاريخ (١:١٦٥) :

٢٣ شَدَّ القُطوعَ على المَطايا رَبُّنا — كُلٌّ بنَعْماءِ الإلَهِ مُقَيَّدُ [١]

٢٤ فاسْتَنَّ وافتَرَشَ الرَّحائِلَ شَرْجَعٌ — نُفُجٌ على أَثْباجِهِنَّ مُؤَكَّدُ [٢]

٢٥ بِفُصُوصِ ياقُوتٍ وكَظٍّ بِعَرْشِهِ — هَوْلٌ ونارٌ دونَهُ تَتَوَقَّدُ [٣]

٢٦ فَعَلا طُوالاتِ القَوائِمِ فاسْتَوَى — فَوقَ الخُلودِ ومَنْ أَرادَ مُخَلَّدُ [٤]

---

(١) القطوع : مفردها قِطْعٌ ، وهو الطِّنْفِسَة تكون تحت الرحل على كتفي البعير . والمطايا : مفردها مطيّة ، وهو ما يُركب من ناقة أو بعير ونحوه ، وأراد بها السموات ، إذ شبّه تهيئة الله تعالى للسموات بتهيئة الراكب لمطيته . والنعماء : النعمة .

(٢) في البدء والتاريخ : « فأصحن وافترش » ، وهي رواية مختلة الوزن غير مستقيمة المعنى ، فاجتهدنا أن نقرأها : « فاستَنَّ وافترش » — واستَنَّ الرجلُ في عدوه : مضى على وجهه . وافترشَ الشيءَ : بسطه أو وطئه . والرَّحائل : مفردها رِحالةٌ ، وهو السَّرْج . والشَّرْجَع : سرير العرش . والنُّفُج : المرتفع . والأثباج : مفردها ثَبَجٌ ، وهو من كل شيء وَسَطُه وأعظمُه .

(٣) الفصوص : واحدها فَصٌّ ، وهو ما يُرَكَّب في الخاتم من الأحجار الكريمة . وكظَّ المكانُ بالماءِ : امتلأ وضاق . ووكّدَ الرحلَ والسَّرْجَ توكيداً : شدَّه .

(٤) الطُّوالات : مفردها طُوالَة ، وهي الطويلة ، يقال للشيء طويلٌ وطُوالٌ ، والأنثى طويلة وطُوالَة . وطُوالات القوائم : التي قوائمها طويلة ، وأراد بها السموات على التشبيه بالمطايا .

وفي الحيوان (٦:٢٧٥) :

٢٧ وتَرَى شَياطِيناً تَرُوغُ مُضَافَــةً ورَواغُها شَتَّى إذا ما تُطْرَدُ [١]

٢٨ يُلْقَى عَلَيها في السَّماءِ مَذَلَّــةً وكواكِبٌ تُرْمَى بها فتُعَرِّدُ [٢]

وفي الأضداد لابن الأنباري (٦٦) :

٢٩ مَلِكٌ عَلى عَرْشِ السَّماءِ مُهَيْمِنٌ تَعنُو لِعِزَّتِهِ الوُجُوهُ وتَسْجُدُ [٣]

وفي اللسان (ضلل) :

٣٠ لَوْلا وَثَاقُ اللهِ ضَلَّ ضَلالُنــا ولَسَرَّنا أَنَّا نُتَــلُّ فنُوأَدُ [٤]

---

(١) في محاضرات الأدباء : « ورواغها صبر » — والمضاف : الخائف ، والمضاف في الحرب : المُستغيث الذي أُحيط به . وتروغ : تحيد وتميل وتحتال . وشتَّى : مختلفة ، المفرد شَتِيتٌ ، وهو المُفرَّق المُشتَّت . والبيت إسلامي المعنى ، وكذلك البيت الذي يليه .

(٢) في محاضرات الأدباء : « تلقى عليها » — وتُعَرِّد : تَفِرُّ وتهرب .

(٣) جاء البيت في جمهرة أشعار العرب على هذا النحو :

مَليكٌ على عَرْشِ السماءِ مُهَيْمِنٌ لعزتِهِ تَعْنُو الوجُوهُ وتَسْجُدُ

وهو بهذه الرواية من « الطويل » ، وسوف يرد في قصيدة أخرى بروايته هذه — والمهيمَن ، بكسر الميم وقد تفتح : من أسماء الله تعالى ، وقيل : معناه الشاهد أو الشهيد ، انظر اللسان (همن) . وتعنو : تخضع .

(٤) الوَثاق : مايُوثَقُ بــه من حَبْل أو سواه . ونُتَلُّ : نُصْرَع . ونُوأَد : نُدْفَن ، من وأَدَ ابنتَه ، إذا دفَنَها حيَّة .

وفي مجموعة ليدن (٢٨) :

٣١ . . . . بأُولي قِوىً فمُبَتَّلٌ ومُتَلْمَدُ[١]

وفي البدء والتاريخ (١:١٦٨) :

٣٢ يَنْتابُـــهُ المُتَنَصِّفونَ بِسُحْرَةٍ في أَلْفِ أَلْفٍ مِنْ ملائِكَ تُحْشَدُ[٢]

٣٣ رُسُـــلٌ يَجُوبونَ السَّماءَ بأَمْرِهِ لا يَنْظُرونَ ثَواءَ مَنْ يَتقصَّدُ[٣]

٣٤ فَهُمْ كأَوْبِ الرِّيحِ بَيْنا أَدْبَرَتْ رَجَعتْ بَوادِرُ وَجْهِها لا تُكْرَدُ[٤]

٣٥ حُـذٌ مَناكِبُهُمْ عَلى أَكتافِهِمْ زَفٌّ يَزِفُّ بِهِمْ إذا ما اسْتُنْجِدوا[٥]

---

(١) المُبَتَّلُ : المنقطع للعبادة . والمُتَلْمَد : أراد المُتَلْمَذ ، بالذال .

(٢) في البدء والتاريخ « بسجرة . . يحشد » والتصحيح عـــن شولتهيس — والسُحْرَة : آخر الليل قُبَيل الصبح . وينتابه : يأتونه مرة بعد أخرى . والمتنصفون : واحدهم مُتَنَصِّف ، وهو الذي يسأل السلطانَ أن ينصفه . والمعنى ينتابه الناسُ بدعائهم وهو في آلاف من الملائكة .

(٣) يجوبون السماءَ : يقطعونها ، مِن جاب المفازةَ والبلادَ ، إذا قطعَها . والثَّواءُ : الإقامة . وتَقصَّدَ الشيءَ : طلَبَه ومال إليه مرة بعد أخرى .

(٤) في البدء والتاريخ : « رجعت بوادي وجهها » تحريف ، وصوابه عن شولتهيس — وأَوْبُ الريحِ : رُجُوعها . وأدبرتْ : تَولَّت . والبوادر : مفردها بادِرَة ، وهي أوَّلُ ما سبق منها إليك . وتُكْرَد : مِن الكَرْد ، وهو الطَّرْد ، يريد أنها لا تُصرف ولا تُردُّ لقوتها .

(٥) الحُذُّ : مفردها أَحذُّ ، وهو السريع الخفيف . والمناكب : مِن جناح الطائر أربع ريشات بعد القوادم . وزَفَّ يَزِفُّ زَفّاً وزَفِيفاً : أسرع .

٣٦ وإذا تَلامِـــذَةَ الإلَهِ تَعاوَنُوا غَلَبوا و نَشَّطَهُمْ جناحٌ مُعْتَدُ [(١)]

٣٧ نَهضُوا بأَجْنِحَـةٍ فلم يَتَواكَلُوا لا مُبطِىءٌ مِنهُمْ ولا مُسْتَوغِدُ [(٢)]

وفي الحماسة البصرية (الورقة ٢٥٧:ب) [(٣)] :

٣٨ حَيّاً ومَيْتـاً لا أبالَكَ إنَّمـا طُولُ الحياةِ كَزادِ غادٍ يَنْفَدُ [(٤)]

٣٩ والشَّهْرُ بَـيْنَ هِلالِهِ ومُحاقِـهِ أَجلٌ لعِلْمِ النَّاسِ كَيْفَ يُعَدَّدُ [(٥)]

---

(١) تلامذة الإله : أراد بهم الملائكة . والمعتَد : المُعَدُّ المُهيأ .

(٢) تواكل القوم : اتَّكلَ بعضُهم على بعض . والوَغْد : الخفيف الأحمق ، وقيل : الضعيف في جسمه .

(٣) لم ينقل البصري البيت (٤٧) وإنما أضفناه بترتيبه عن العقـد الفريد ٣: ٣٨٤ و ٦: ١٢٧ ، وتاريخ ابن عساكر ٣: ١١٩ ، والبداية والنهاية ١: ١١ ، والبـدء والتاريخ ١: ١٦٨ .

(٤) لا أبالك : قول جرى مجرى المثل يُطلق مدحاً أو شتماً على من كان له أب أو لم يكن له أب . والغادي : الذي يسير أوّلَ النهار . والزاد : طعام المسافر . ونَفِد الزادُ يَنفَدُ : ذهب وانتهى .

(٥) في الأزمنة : « بين محاقه وهلاله » — والشَّهْر : القمر . والهلال: القمر لليلتين من أول الشهر . والمُحاق : القمر لليلتين أو ثلاث من آخر الشهر . والمعنى أن بين ظهور القمر هلالاً واختفائه محاقاً مدة تُعلِّم الناسَ الحسابَ ، وتمكنهم من التوقيت والتعداد ، وهذا المعنى ورد في التوراة والقرآن ، انظر سفر التكوين ١: ١٤ - ١٨ ، وسورة الأنعام ٦: ٩٦ ، وسورة البقرة ٢: ١٨٩ ، وسورة يونس ١٠: ٥ ، وسورة الإسراء ١٧: ١٢ .

٤٠ لا نَقْصَ فيه غيرَ أَنَّ خبيئَهُ قَمَرٌ وسَاهُورٌ يُسَلُّ ويُغْمَدُ (١)

٤١ خَرِقٌ يَهِيمُ كَهاجِعٍ في نَوْمِهِ لمْ يَقْضِ رَيْبَ نُعاسِهِ فيُهَجَّدُ (٢)

٤٢ فإذا مَرَتْهُ لَيْلَتانِ وراءَهُ فقَضَى سُراهُ أو كَراهُ يَسْأَدُ (٣)

٤٣ لِمَواعِدٍ تَجْرِي النُّجومُ أَمامَهُ ومُعَمَّمٌ بِحِذائِهِنَّ مُسَوَّدُ (٤)

---

(١) في الشعر والشعراء : « يسل ويغمل » . وفي الصحاح : « لانقص فيه غير أن جبينه » . وفي جمهرة اللغة : « لاعيب فيه غير أن جبينه » . وهذه الروايات جميعاً لاتخلو من تصحيف أو تحريف — والخَبِيءُ : المخبوء ، وهو كل شيء غائب مستور . وقال المرزوقي : « وزعم أن الساهور بالنبطية أو السريانية . وقال بعضهم : هو غلاف القمر يخرج منه أوّلَ حتى يبرز كله ، فإذا انتصف الشهر ارتد فيه » الأزمنة والأمكنة ٢ :٥٥ ، وقال ابن منظور : « والساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه إذا كَسَفَ فيما تزعمه العرب » اللسان (سهر) ، وانظر جمهرة اللغة ٢ :٣٣٩، والصحاح ٢ :٦٩٠ ، والمعرب ١٩٢ .

(٢) الخَرِقُ : المدهوش أو المُتحيِّر من هَمٍّ أو حياء أو شِدَّة . وهامت الناقةُ : ذهبت على وجهها للرعي . والهجوع : النوم ليلا ، وقد يكون الهجوع بغير نوم وهو المراد في البيت ، ومثله قول زهير :

قَفْرٌ هجَعْتُ بها ولستُ بنائمٍ وذِراعُ مُلْقيةِ الجرانِ وِسادي

والرَّيْب : الحاجة . ويقال : هجّدتُ الرّجلَ تهجيداً ، إذا أيقظته أو أنمته .

(٣) مَرَى الشيءَ وامتراه : استخرجه . والسُّرى : السَّيْرُ ليلًا . والكَرَى : النوم أو النعاس . ويَسأد : يسير ليلًا ، جعله في تواريه أيام المُحاق يسير في ظلمة لانراه فيها ، أو ينام فيقضي حاجته من النعاس .

(٤) المُعَمَّم : السيد الذي يُقلِّده القومُ أمورَهم . والمُسوَّد : السيد الرئيس . وأراد بالمعمم نجم القطب بدليل ما يذكره من النجوم في البيت التالي ، وجعله مسوَّداً لأنه النجم الوحيد الذي يبدو ثابتاً لايتحرك .

٤٤ مُسْتَخْفِياً و بَناتُ نَعْشٍ حَوْلَهُ ... وعَنِ اليَمينِ إذا يَغيبُ الفَرْقَدُ (١)

٤٥ حالَ الدَّرارِي دُونَهُ فتَجنُّهُ ... لا أنْ يَراهُ كُلُّ مَنْ يَتَلَدَّدُ (٢)

٤٦ حُبِسَ السَّرافِيلُ الصَّوافِي تَحْتَهُ ... لا واهِنٌ مِنهُمْ ولا مُستَوْعِدُ (٣)

٤٧ رَجُلٌ وثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ ... والنَّسْرُ للأُخْرَى ولَيْثٌ مُرْصِدُ (٤)

---

(١) استخفى منه : استتر وطلب الاختفاء . ومستخفياً : كأنه يريد الاستتار ، لأن نجم القطب من القدر الثاني ، ويحيط به طائفة من نجوم القدر الأول كالنسر الواقع ، والسِّماك الرامح ، وقلب الأسد ، ومؤخر التوأمين ، ومنكب الجوزاء ، وما إليها . وبنات نعش : أراد بها بنات نعش الصغرى لذكره الفرقد معها ، فهذه النجوم مجموعة تتألف من سبعة أنْوُر ، أربعة منها على هيئة النعش تُعرف بالنعش الأصغر ، ومنها تمتد ثلاثة أخرى تؤلف بنات نعش الصغرى ، وثالثها نجم القطب ، والفرقدان هما قاعدة النعش التي تقابل نجم القطب مباشرة .

(٢) حال دونه : اعترض . والدَّرارِيُّ : الكواكب الشديدة الإنارة ، واحدها كوكبٌ دُرِّيٌّ ، وأراد بها ما يحيط بنجم القطب من كواكب القدر الأول . وتَجنُّه : تَستُره . وتَلَدَّدَ : تَلفَّتَ يميناً وشمالاً وتَحيَّر .

(٣) في البدء والتاريخ : «ولا مستوغد» — والسرافيل : أراد بهم الملائكة . والصوافي : مفردها صافٍ ، وهو الذي لا كَدَرَ فيه ، وأراد بها التي لا يشغلها شيء عن أمر الله . والمُستَوعِد : الذي طلب وعداً ، أي مكافأة على عمله .

(٤) في تاريخ ابن عساكر ، وحياة الحيوان ، والإصابة : «زحل وثور» . وفي الحيوان : «وليث ملبد» . وفي العقد الفريد : «والتيس للأخرى وليث ملبد» . وفي عجائب المخلوقات :

رجل وثور تحت يمنى رجله ... والنَّسر لليسرى وليث ملبد

والمُرصِد : المترقب المتهيء للوثوب . وقال الجاحظ : «قالوا : وقد جاء في الخَبَر

٤٨ والشَّمْسُ تَطلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ ... حَمْراءَ يُصْبِحُ لَوْنُهـا يَتَوَرَّدُ [(١)]

٤٩ لَيْسَتْ بِطالِعَةٍ لَهُمْ في رِسْلِها ... إلاَّ مُعَذَّبَةً وإلاَّ تُجْلَدُ [(٢)]

أن الملائكة منهم من هو في صورة الرجال ، ومنهم من هو في صورة الثيران ، ومنهم من هو في صورة النسور ، يدل على ذلك تصديق النبي صلى الله عليه وسلم لأمية بن أبي الصلت حين أنشد : (البيت) »الحيوان ٦ : ٢٢٢ . ونقل ابن حجر بسنده عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أنشد هذا البيت فقال : « صدق هكذا صفة حملة العرش » الإصابة ١ : ١٣٣ .

(١) في الأغاني ، والبداية والنهاية : « حمراء مطلع لونها متورد » . وفي الحيوان ، والعقد الفريد : « فجراً ويصبح لونها يتوقد » . وفي تاريخ ابن عساكر : « صغواء يصبح لونها يتورد » . وفي البدء والتاريخ : « والشمس تصبح .. حمراء تضحى لونها يتورد » .

(٢) في الأغاني ، والعقد الفريد ، والبداية والنهاية : « تأبى فلا تبدو لنا في رسلها » . وفي آكام المرجان : « تأبى بطالعة لهم في رسلها » . وفي الحيوان، والعقد الفريد : « تأبى فما تطلع لهم في وقتها » . وفي البدء والتاريخ ، وحياة الحيوان : « فلا تطلع لنا في رسلها » . وفي تاريخ ابن عساكر : « تأبى فما تطلع لنا في رسلها » ، وهـذه الروايات لاتخلو من تحريف . وفي البدء والتاريخ : « إمّا معذبة وإمّا تجلد » — والرِّسْل : الرِّفق وعدم العنف . وفي هذا البيت والذي تقدمه حديث عن أسطورة ربما كانت شائعة ذلك الحين ، وهي أن الشمس لاتطلع من نفسها ، حتى تعذبها الملائكة وترغمها على الظهور صباحَ كل يوم ، وحديث هذه الأسطورة موزع بين عدد من مصادر الأبيات ، ومنها ما أخرجه الحافظ ابن عساكر بسنده عن ابن عباس أنه قال : « لاتطلع الشمس إلاّ وهي كارهة ، فتقول ربّ لاتطلعني على عبادك ، فإني أراهم يعصونك ويعملون بمعاصيك . ثم قال : أولم تسمعوا إلى ما قال أمية بن أبي الصلت : إلاّ معذبةً وإلاّ تُجْلَد . فقال له عكرمة : يامولاي أو تُجلد الشمس ؟! فقال : عضضتَ على هَنِ أبيك، إنما اضطر الروي إلى الجلد». تاريخ ابن عساكر ٣ : ١١٩ ، وثمة حديث آخر أخرجه ابن عساكر ، فارجع إليه وقابله برياض الصالحين ٢١٠ - ٢١٢ .

٥٠ لا تَستَطِيعُ أَنْ تُقصِّرَ ساعَةً وبِذاكَ تدأَبُ يَوْمَها وتَشَرَّدُ [١]

٥١ ولَسَوْفَ يَنْسَى ما أَقُولُ مَعاشِرٌ ولَسَوْفَ يذكُرُهُ الَّذي لا يَزْهَدُ [٢]

٥٢ فَاغفِرْ لِعَبْدٍ إنَّ أَوَّلَ ذَنبِهِ شُرْبٌ وإيسَارٌ يُشارِكُها دَدُ [٣]

(١١)

في شعراء النصرانية (٢٢٧) [٤] :

١ لكَ الحَمْدُ والنَّعْماءُ والمُلْكُ رَبَّنا فلا شَيْءَ أَعْلَى منكَ مَجْداً وأَمْجَدُ [٥]

---

(١) قَصَّر عن الأمر : توانى ، أو تركه مع القدرة عليه. ودَأَب في عمله يَدْأَب : جَدَّ وتَعِب . وتَشَرَّدُ : أراد تَتَشَرَّدُ ، أي تذهب على وجهها .

(٢) زَهِد في القول : رغب عنه .

(٣) غَفَرَ اللهُ للعبد : سَتَر ذنوبَه وتجاوز عن خطاياه ، وأصل الغَفْر السَّتْرُ والتغطية . والشُّرْب : أراد شُرْبَ الخمرة . والإيسار :الغِنَى . والدَّدُ : اللهو واللعب .

(٤) لم نقف على هذه القصيدة في مصادرنا القديمة كلها ، ولكن عثرنا على أبيات متفرقة منها ، ولم يحدد الأب شيخو مصدر روايته ، والقصيدة من الشعر المتهم .

(٥) في تفسير السيوطي ، والإتقان : « والمُلْكُ رَبَّنا » . وفي الإصابة ، وقصص الأنبياء ، ونهاية الأرب ، وحياة الحيوان : « والفضل ربَّنا » . وفي البدء والتاريخ : « والشكر ربَّنا » . وفي قصص الأنبياء ، والبدء والتاريخ : « فلا شيء أعلى منك جـداً » . وفي نهاية الأرب : « ولا شيء أعلى منك جداً » . وفي حياة الحيوان : « فلا شيء أعلى منك حمداً » . وفي تفسير السيوطي ، والإتقان ، والإصابة : « أعلى منك جداً وأمجدا » تصحيف — والنعماء : النعمة . والجَدُّ : العَظَمة ، وفي سورة الجن : « وإنه تعالى جَدُّ رَبِّنا » ٣:١٣ ، أي عَظَمَةُ رَبِّنا . وفي سورة التغابن : « يسبح لله مافي السموات وما في الأرض،

٢ مَليكٌ على عَرْشِ السَّماءِ مُهيمِنٌ   لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الوجوهُ وتَسْجُدُ[١]

٣ عليه حِجابُ النُّورِ والنُّورُ حَوْلَه   وأَنْهارُ نُورٍ حَوْلَهُ تَتَوقَّدُ[٢]

٤ فلا بَصَرٌ يَسْمُو إليه بِطَرْفِهِ   ودونَ حِجابِ النُّورِ خَلْقٌ مُؤَيَّدُ[٣]

٥ مَلائِكَةٌ أَقدامُهُمْ تَحتَ عَرْشِهِ   بِكَفَّيْهِ لولا اللهُ كَلُّوا وأَبْلَدوا[٤]

له المُلْكُ وله الحَمْدُ وهو على كل شيء قدير » ١:٦٤ .

(١) في الإصابة : «لعزته تعنو الوجوه وتسجدا » تصحيف — وتعنو : تخضع . والمهيمن : من أسماء الله تعالى ، وقيل معناه الشاهد أو الشهيد ، وقيل غير ذلك ، انظر اللسان (همن) ، ولوامع البينات للرازي ١٤٦ - ١٤٧ . وفي سورة الحشر : « هو الله الذي لا إله إلاَّ هو المَلِكُ القُدُّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون » ٢٣:٥٩ . وفي سورة طه : « وعنت الوجوه للحي القيوم » ١١١:٢٠ .

(٢) الحجاب : الحاجز . وفي الحديث : « حجابه النورُ لو كشفَه لأحرقت سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خَلْقه » صحيح مسلم ١٦٢:١ ، ومسند أحمد ٤٠٥:٤ ، وسنن ابن ماجة ٧٠:١ ، وانظر مسند أحمد ٤٠١:١ .

(٣) في البدء والتاريخ : « فلا بشر » — والمُؤيَّد : المُقوَّى .

(٤) أنشده ابن كثير في البداية والنهاية على هذا النحو :

فمِنْ حامِلٍ إحدى قوائم عرشه   ولولا إلهُ الخَلْقِ كَلُّوا وأبلدوا

ومثل هذا في تاريخ ابن عساكر إلاَّ أن الرواية تحرفت فجاءت : « كَلُّوا وبدلوا » — وكَلَّ : تعب وأعيا . وأبْلَد : ضَعُف ولم يتجلد . وفي سورة المؤمن : « الذين يحملون العَرْشَ ومَنْ حَوْلَه يسبحون بحمد ربهم » ٧:٤٠ ، وانظر سورة الحاقة ١٧:٦٩ .

٦ قِيامٌ على الأقْدامِ عانِينَ تَحْتَــهُ فَرائِصُهُمْ من شِدَّةِ الخَوْفِ تُرْعَدُ[١]

٧ وسِبْطٌ صُفوفٌ ينظرونَ قضاءَه يُصيخونَ بالأسماعِ للوَحْي رُكَّدُ[٢]

٨ أمينٌ لوَحْيِ القُدْسِ جِبْريلُ فيهمُ وميكالُ ذو الرُّوحِ القويُّ المُسَدَّدُ[٣]

٩ وحُرّاسُ أبوابِ السَّمواتِ دونَهُمْ قيامٌ عليهــا بالمقاليدِ رُصَّدُ[٤]

---

(١) في تاريخ ابن عساكر ، والبداية والنهاية : « عانون تحته » — والعـاني : الأسير ، والخـاضع الذليل والفرائص : مفردها فَرِيصَة ، وهي اللحمة بين الجَنْب والكتف ، ترعد عند الفزع . وتُرْعَد : تَرْجُف .

(٢) السِّبْط : الفرقة . وينظرون : ينتظرون . والقضاء : كلُّ ما يحكم به الله أو يصنعه أو يُقدِّره أو يعهد به للناس أو يبينه لهم ، وقد وردت هذه المعـاني كلها في تفسير آيات القرآن الكريم . وأصاخ : استمع وأنصت . والرُّكَّد : مفردها راكِدٌ ، وهو الهادئ الساكن . وفي سورة النبأ : « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً » ٣٨:٧٨ ، أي مُصْطفّين . وفي سورة الفجر : « وجاء ربُّكَ والمَلَكُ صفاً صفاً » ٢٢:٨٩ ، أي مُصطفّين ، أو ذوي صفوف كثيرة .

(٣) القُدْس : الطهارة والتنزيه ، وأراد به القُدُّوس ، وهو من أسماء الله الحسنى ، انظر سورة الحشر ٢٣:٥٩ ، وسورة الجمعة ١:٦٢ . والمُسدَّد : الذي سَدَّدَه اللهُ ، أي وفقه إلى السَّداد ، وهو الإصابة في القول والعمل . وقد وصف القرآن جبريلَ بأنه رسول كريم أمين على الوحي ، ففي سورة التكوير : « إنه لقول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين ، مُطاعٍ ثَمَّ أمين » ١٩:٨١ — ٢١ . وجاء ذكر جبريل وميكال في سورة البقرة : « من كان عدواً لله وملائكته ورُسُلِه وجبريلَ وميكالَ فإن الله عدوٌّ للكافرين » ٩٨:٢ .

(٤) المقاليد : المفاتيح ، الواحد مِقْلَد أو مِقْلاد . والرُّصَّد : مفردهم راصِدٌ ، وهو المترقِّب . وفي سورة الجن : « وأنَّا لمسنا السماءَ فوجدناها مُلئت حَرَساً شديـداً

١٠ فنِعمَ العِبـــادُ المُصطَفَوْنَ لأمْرِهِ   ومِنْ دُونِهِمْ جُنْدٌ كَثِيفٌ مُجَنَّدُ[(١)]

١١ مَلائكةٌ لا يَفْتُرونَ عِبادَةً   كَرُوبيَّةٌ مِنهُمْ رُكوعٌ وسُجَّدُ[(٢)]

١٢ فساجِدُهُمْ لا يَرْفَعُ الدَّهرَ رأسَهُ   يُعظِّمُ رَبّاً فَوْقَـــهُ ويُمَجِّدُ

١٣ وراكِعُهُمْ يَعْنُو له الدهرَ خاشِعاً   يُرَدِّدُ آلاءَ الإلهِ ويَحْمَـــدُ[(٣)]

وشُهُبا ، وأنّا كنا نَقْعُد منها مَقـــاعِـدَ للسَّمْعِ ، فمَنْ يستمع الآن يَجِدْ له شهاباً رَصَدا » ٧٢:٨ - ٩ .

(١) جُنْدٌ مُجنَّد : مجموع . وفي سورة الأنبياء : « وقـالوا : اتخذ الرحمن ولداً ، سبحانه بل عباد مُكْرَمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» ٢١:٢٦ - ٢٧ . ووَصْف الملائكة بالجند ورَدَ في آيات كثيرة ، انظر مثلاً سورة يس ٣٦:٢٨ ، والتوبة ٩:٢٦ ، ٤٠ ، والفتح ٤٨:٤ ، ٧ ، والمدثر ٧٤:٣١ .

(٢) في التاج : « لايفترون عبادة » . وفي الفائق : « لايسأمون » — وفتَر الشيءُ يَفْتُر : سكن بعد حِدَّة ولان بعد شِدَّة . والكروبية : سادة الملائكة ، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وهو من الكَرْب بمعنى القُرْب ، لأنهم أقرب الملائكة إلى حملة العرش . وفي سورة الأنبياء : « وله مَن في السموات والأرض ومَن عنده لايستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لايفترون » ٢١:١٩ - ٢٠ .

(٣) في شعراء النصرانية : « وراكعهم يحنو » والصواب عن شولتهيس — يعنو : يَنْصَب ويعمل في خشوع . والآلاء : النِّعَمُ ، مفردها ألْو وهو العطية . وفي سورة طه : « وعَنَت الوجوهُ للحي القيُّوم » ٢٠:١١١ ، وفي سورة الرحمن تكررَّت الآية : « فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان » ، وانظر سورة الأعراف ٧:٦٩ ، ٧٤ ، وسورة النجم ٥٣:٥٥ .

١٤ ومِنهمْ مُلِفٌّ في الجناحَيْنِ رَأسَهُ | يكاد لذِكرَى رَبِّـــه يتَفَصَّدُ[(١)]
١٥ من الخوْفِ لا ذو سَأْمَةٍ بعبادَةٍ | ولا هُوَ مِنْ طُولِ التَعبُّدِ يُجْهَدُ[(٢)]
١٦ ودونَ كَثيفِ الماءِ في غامضِ الهُوَى | ملائكةٌ تَنْحَطُّ فيه وتَصْعَدُ[(٣)]
١٧ وبَيْنَ طِباقِ الأرْضِ تحتَ بُطونِها | مَلائكةٌ بالأمْرِ فيهـــا تَرَدَّدُ
١٨ فسُبْحانَ مَنْ لا يَعرِفُ الخَلْقُ قَدْرَهُ | ومَنْ هُوَ فَوقَ العَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ[(٤)]

---

(١) في اللسان « ومنهم مُلِفٌّ رأسه في جناحه » . وفي التاج : « ومنهم مُلِفٌّ في جناحيه رأسه » — وألَفَّ الطائرُ جناحَه فهو مُلِفٌّ : جعله تحت جنـاحه . والفَصْد : قَطْعُ العروق ، وربما أراد « يتفصَّدُ عَرَقاً » بمعنى يسيل ، فحذف التمييز للعلم به . وفي سورة فاطر : « الحمــدُ للهِ فاطرِ السموات والأرض جاعل الملائكة رُسُلًا أولي أجنحة » ٣١:١ .

(٢) السَّأمة : مصدر كالسَّأَم ، وهو الملــل والضجر . ويُجْهَد : يُهْزَل ، أو يَشُقُّ عليه .

(٣) في اللسان : « في غامض الثَّرَى » . وفي التاج : « في باطن الثرى » . وفي الأساس :

وتحت كثيف الماء في باطن الثرى | ملائكة تنحط فيـــه وتسمع

ولعله محرف عن بيت أمية في هذه القصيدة . وفي شعراء النصرانيـــة : « غامض الهَوا » بفتح الهاء ، ورأينـا أن تكون بالضم ، لأن الهَواء : الجوُّ مابين السماء والأرض ، أو كُلُّ شيءٍ فارغ ، وهـذا لايستقيم مع البيت ، وأمَّا الهُوَى : فجَمْع هُوَّةٍ ، وهي الحفرة البعيدة القعر ، وهـــذا يستقيم مع قوله : « ودون كثيف الماء » .

(٤) سُبحانَ الله : تنزيهاً لله وبراءة له مما لايليق به . والخَلْق : الناس ، وأراد مَنْ يشرك بالله منهم ، فهم الذين لايعرفون قدر الله ، وفي سورة الزخرف : « سبحانَ ربِّ السموات والأرض ربِّ العرش عما يصفون » ٤٣:٨٢ .

١٩ ومَنْ لم تُنازِعهُ الخلائقُ مُلْكَهُ وإنْ لم تُفرِّدْهُ العِبادُ فَمُفْرَدُ

٢٠ مَليكُ السَّمواتِ الشِّدادِ وأَرْضِها وليسَ بشَيْءٍ عن قَضاهُ تأوُّدُ[١]

٢١ هُوَ اللهُ بارِي الخَلْقِ والخَلْقُ كُلُّهُمْ إماءٌ لَهُ طَوْعاً جَميعاً وأَعْبُدُ[٢]

٢٢ وأَنَّى يَكونُ الخَلْقُ كالخالِقِ الذي يَدومُ ويَبْقَى والخَليقَةُ تَنْفَدُ[٣]

٢٣ وليسَ لِمَخْلوقٍ مِنَ الدَّهْرِ جِدَّةٌ ومَنْ ذا عَلَى مَرِّ الحَوادِثِ يَخْلُدُ

٢٤ وتَفْنَى ولا يَبْقَى سِوَى الواحِدِ الَّذي يُميتُ ويُحْيي دائِباً ليسَ يَهْمَدُ[٤]

٢٥ تُسَبِّحُهُ الطَّيْرُ الجَوانِحُ في الخَفَى وإذْ هِيَ في جَوِّ السَّماءِ تُصَعِّدُ[٥]

---

(١) التأوُّدُ : التعوُّج والتثني من ثقل أو نحوه . وفي سورة آل عمران : « ولله مُلْكُ السموات والأرض، والله على كل شيء قدير » ٣ : ١٨٩ ، وانظر سورة النور ٢٤ : ٤٢، والفرقان ٢٥ : ٢ . وفي سورة النبأ : « وبنينا فوقكم سَبْعاً شِداداً » ٧٨ : ١٢ .

(٢) في سورة الحشر : « هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى» ٥٩ : ٢٤.

(٣) الخليقة : الطبيعة والناس والبهائم . وتنفد : تنتهي وتزول . وفي سورة الرحمن: « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربكَ ذو الجلال والإكرام » ٥٥ : ٢٦ - ٢٧ .

(٤) يَهْمَد : يموت ، أو يَهْدأ ، من هَمَدَ الصوتُ إذا هَدَأ وسكن . وفي سورة الأعراف : « له مُلْكُ السموات والأرض ، لا إله إلاّ هو يحيي ويميت » ٧ : ١٥٧ ، وفي سورة التوبة : « إن الله له مُلْكُ السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من وليّ ولا نصير » ٩ : ١١٧ ، وانظر سورة البقرة ٢ : ١٦٠ ، والأنعام ٦ : ٩٥، ويونس ١٠ : ٥٦.

(٥) في اللسان : «الطير الكوامن» . وفي التاج : « وتنسجه الطير» تحريف — والخفا : أراد الخفاء، فقصر ضرورة. وتُصعِّد: ترتفع. وفي سورة الحشر : « يُسبِّح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » ٥٩ : ٢٤ ، وفي سورة النور : « ألَمْ تَرَ أن الله يُسبِّح له

٢٦ ومِنْ خوفِ رَبّي سَبَّحَ الرَّعْدُ فوقَنا   وسَبَّحَهُ الأشجارُ والوَحْشُ أُبَّدُ[١]

٢٧ وسَبَّحَهُ النِّينانُ والبَحْرُ زاخِراً   وما لَمْ مِنْ شَيْءٍ وما هو مُقْلِدُ[٢]

٢٨ ألا أَيُّها القَلْبُ المُقيمُ على الهَوَى   إلى أيِّ حِينٍ مِنْكَ هذا التَّصَدُّدُ

٢٩ عَنِ الحقِّ كالأعمى المُميطِ عَنِ الهُدَى   وليسَ يَرُدُّ الحقَّ إلاّ مُفَنِّدُ[٣]

٣٠ وحالاتِ دُنيا لا تَدُومُ لأَهْلِها   وَبَيْنا الفَتَى فيها مَهيبٌ مُسَوَّدُ

٣١ إذِ انْقَلَبَتْ عَنْهُ وزالَ نَعيمُها   وأَصْبَحَ مِنْ تُرْبِ القُبُورِ يُوَسَّدُ

٣٢ وفارَقَ رُوحاً كانَ بَيْنَ جَنانِهِ   وجاوَرَ مَوْتَى ما لَهُمْ مُتَرَدَّدُ

من في السموات والأرض والطيرُ صافاتٍ ، كُلٌّ قد علم صلاتَه وتسبيحَه ، والله عليم بما يفعلون » ٢٤:٤١ ، وانظر سورة ص ٣٨:١٧ - ١٩ .

(١) الأُبَّد : التي توحشت ونفرت من الإنس ، ولعله جعل تأبُّدها كتأبُّد النُّسّاك انفراداً للعبادة والتسبيح . وفي سورة الرعد : « ويُسبِّح الرعدُ بحمده والملائكة من خيفته » ١٣:١٤ ، وفي سورة الحج : « ألَمْ تَرَ أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمسُ والقمرُ والنجومُ والجبالُ والشجرُ والدوابُّ .. » ٢٢:١٨ ، وانظر سورة الاسراء ١٧:٤٤ .

(٢) في أساس البلاغة : « تسبحه الحيتان » . وفي اللسان ، والتاج : « تسبحه النينان » — والنينان : مفردُها نُونٌ ، وهو الحوت . وأَقْلَدَ البحرُ على خَلْق كثير فهو مُقْلِد : ضمَّ عليهم فأغرقهم .

(٣) في مجموعة ليدن : « مُفنِّد » — والمُميط : المُبْتَعد ، من ماطَ عن الشيء وأماط ، إذا تَنَحَّى عنه وابتعد . والمُفَنِّد : المماري المُكَذِّب ، أو الذي بلغ الخَرَف لهرم أو مرض . والمُفنَّد : الضعيف الرأي .

٣٣ فـأيَّ فتىً قَبْلي رأيتَ مُخَلَّداً   لهُ في قَديمِ الدَّهرِ ما يَتَوَدَّدُ

٣٤ ومَنْ يَبتَليهِ الدَّهرُ مِنْهُ بِعثْرَةٍ   سَيَكبو لها والنائباتُ تَرَدَّدُ [1]

٣٥ فلَمْ تَسلَمِ الدُّنيا وإنْ ظَنَّ أَهْلُها   بِصِحَّتِها والدَّهرُ قَدْ يَتجَرَّدُ [2]

٣٦ أَلستَ تَرى فيما مَضَى لكَ عِبْرَةً   فَمَهْ لا تَكُنْ يا قَلْبُ أَعمى يُلَدَّدُ [3]

٣٧ فكُنْ خائِفاً لِلْموْتِ والبَعْثِ بَعْدَهُ   ولا تَكُ مِمَّنْ غَرَّهُ اليَوْمُ أَو غَدُ

٣٨ فإنَّكَ في دُنيا غَرُورٍ لأَهلِها   وفيها عَدُوٌّ كاشِحُ الصَّدْرِ يُوقِدُ [4]

---

(١) ابتلاه : اختبره . والعثرة : الزلّة تعترض السائر فيسقط . وكبا : سَقَط .

(٢) تَسْلَم : تَبرأ ، أراد أن الدنيا لاتسلم من المصائب والهموم . وصحتها : سلامتها من ذلك . وتجرّد : تعرّى ، أراد أن الدهر قد يتجرد مما عُرِف به من غدر ومصائب ، ولكنه لايلبث أن يعود إلى الغدر بالناس وإنزال النوائب بهم .

(٣) مَهْ : اسم فعل أمر للزجر والنهي بمعنى أُكفف . وتَلَدَّد : تلفّتَ يميناً وشمالاً وتحيّر .

(٤) الغَرُورُ : ما غَرَّكَ من إنسان أو غيره . والكاشِحُ : العَدُوُّ الذي يضمر عداوته ويطوي عليها كَشْحَه ، أي باطنه . ويوقد : أراد يوقد نارَ الحقد والضغينة . وفي سورة آل عمران : « كلُّ نَفس ذائقة الموتِ ، وإنما تُوفَّوْن أجورَكم يوم القيامة ، فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغُرور » ٣:١٨٥، وانظر سورة الحديد ٥٧:٢٠ .

وفي أنوار التنزيل (٨٣:٤) :

٣٩ وَلَيْسَ بها إلاَّ الرَّقِيمُ مُجاوِراً   وَصِيدَهُم والقَوْمُ في الكَهْفِ هُجَّدُ [١]

وفي التاج (رقع) :

٤٠ وسَاكِنُ أقْطارِ الرَّقِيعِ عَلى الهَوا   ومِنْ دُونِ عِلْمِ الغَيْبِ كُلٌّ مُسَهَّدُ [٢]

وفي مجموعة بيروت (٢٩) :

٤١ ولَوْلا وَثاقُ اللهِ ضَلَّ ضَلالُنا   وَقَدْ سَرَّنا أنَّا نُتَلُّ فنُوأَدُ [٣]

---

(١) في الكشاف ، وتفسير البحر المحيط : « في الكهف هُمَّدُ » — والرَّقِيمُ : في قوله تعالى : « أم حسبتَ أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَبا » (الكهف ٩:١٨) ، اختلف في تفسيره ، فقيل : إنه الجبل الذي كان فيه الكهف ، وقيل : اسم القرية التي خرجوا منها ، وقيل : اسم كلبهم ، وقيل : هو لوح رصاص كُتبت فيه أسماؤهم وأنسابهم وقصصهم وبم فرُّوا . والوَصيدُ : فناءُ الدار . والهُجَّد : النائمون . والهُمَّد : الموتى . وفي سورة الكهف : « وتحسبهم أيقاظاً وهم رُقود ، ونُقلِّبهم ذات اليمين وذات الشمال ، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد .. » ١٨:١٨ .

(٢) في الفائق : « وبالغيث والأرواح كُلٌّ مُشَهَّد » — والرقيع : اسم السماء الدنيا ، قيل : سُمِّيت بذلك لأنها رُقعت بالنجوم . والأقطار : النواحي . والهَوا : أراد الهواء ، فقصر ضرورةً .

(٣) في اللسان (ضلل) بيت من « الكامل » مشابه لهذا البيت ، وقد أوردته في القصيدة السابقة (٣٠:١٠) ، وكذلك أورده بشير يموت في تلك القصيدة ، ثم عاد وأورد هذا البيت من « الطويل » في هذه القصيدة ، والأرجح أن واحداً منهما قد حُرِّف عن الآخر — والوَثاقُ : ما يُوثَق به من حَبْل أو سواه . ونُتَلُّ : نُصرَع . ونُوأَدُ : نُدْفَن .

وفي اللسان (نجد) :

٤٢ تَرَى فيهِ أَنْباءَ القُرونِ الَّتي مَضَتْ وأَخْبارَ غَيْبٍ في القِيامَةِ تَنْجُدُ [١]

(١٢)

في المخصص (٨٦:١٤) [٢] :

سُبْحانَهُ ثُمَّ سُبْحاناً يَعُودُ لَهُ وقَبْلَنا سَبَّحَ الجُودِيُّ والجُمُدُ [٣]

---

(١) في التاج : « بالقيامة تنجد » — ونَجَدَ الأمْرُ يَنْجُدُ نُجوداً : وضَحَ واستبان .

(٢) رواه ابن سيده لأمية بن أبي الصلت ، ويروى لورقة بن نوفل من أبيات له ، ورواه أبو حيان لزيد بن عمرو بن نفيل ، ارجع إلى التخريج . والبيت من الشعر المتهم .

(٣) في الأغاني ، والخزانة ، وشرح المفصل ، وهمع الهوامع ، وكتاب الكتّاب ، وتفسير البحر المحيط ١٣٨:١ : « سبحانه ثم سبحاناً نعوذ به » . وفي الروض الأنف ، وألف با ، والبداية والنهاية ، ومعجم البلدان : « سبحان ذي العرش سبحاناً يدوم له » . وفي ألف با : « وقبلها سبح الجودي » . وفي شرح المقامات :

سُبحانَ ذي العرش سبحاناً يدوم له ربّ البرية فرد واحد صمد

ويعود له : يُتلى ويعاد إليه مرّةً بعد أخرى . ونعوذ به ، قال البغدادي : « أي كلما رأينا أحداً يعبد غير الله عُذنا برحمته وسبحانه حتى يعصمنا من الضلال » الخزانة ٣٥٥:٣ . وسُبْحانَه : تَنْزِيهاً له عَزّ وجَلّ عن السوء . والجُمُد : جَبَل بنجد . والجودي : قيل جَبَلٌ بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام ، وانظر سورة هود ٤٤:١١ .

(١٣)

في تفسير السيوطي (١ : ٧٢) :

نَفَى الدِّياسُ مِنَ الفُومِ الصَّحِيحَ كَمَا ... نَفَى مِنَ الأَرْضِ صَوْبَ الوابِلِ البَرَدُ [١]

(١٤)

في الاتقان (١ : ١٥٨) [٢] :

١ إنَّ الحدائِقَ في الجِنانِ ظَلِيلَةٌ ... فِيها الكَواعِبُ سِدْرُها مَخْضُودُ [٣]

---

(١) في تفسير السيوطي : « أنفى » في الموضعين ، وهو تحريف عن « نفى » — وداسَ الشيءَ دَوْساً ودِياساً : وَطِئَه . ودَوْسُ الحَبِّ ودِياسُه : دراسته . والفُومُ : الحِنْطَة . ونَفَى الشيءَ : نَحّاه . ونَفَتِ السحابةُ الماءَ : مَجَّتْه . والصَّوْب : نزول المطر والوابل : المطر الشديد .

(٢) البيتان من الشعر المتهم .

(٣) الحدائق : مفردها حديقة ، وهي من الرياض كُلُّ أرضٍ استدارت وأحدق بها حاجزٌ أو أرضٌ مرتفعة . والجنانُ : مفردها جَنَّة وهي البستان عامة . والكواعب : مفردها كاعِب ، وهي الجارية إذا نَهَد ثدياها . والسِّدْرُ : شجر يشبه العنابَ ثمرُه أصفر اللون ذو حلاوة ورائحة ذكية . والمخضود : المقطوعُ شوكُه . وفي سورة الواقعة : « وأصحابُ اليمين ، ما أصحاب اليمين ، في سِدْر مخضود ، وطَلْح منضود ، وظل ممدود » ٥٦ : ٢٧ — ٣٠ . وفي سورة النبأ : « إن المتقين مفازا ، حدائق وأعنابا ، وكواعب أترابا » ٧٨ : ٣١ — ٣٣ .

وفي تفسير البحر المحيط (٦:٣٩٣) :

٢ خَلَقَ البَرِيَّةَ مِنْ سُلالَةٍ مُنْتِنٍ وإلَى السُّلالَةِ كُلُّها سَتَعُودُ [١]

(١٥)

في اللسان (شرجع) :

ويُنَفِّدُ الطُّوفانَ نَحْنُ فِداؤُهُ واقْتادَ شَرْجَعَهُ بَداحُ بَدِيدُ [٢]

---

(١) السُّلالة : فُعالة من سَلَلْتُ الشيءَ من الشيء، إذا استخرجته منه. وفي سورة المؤمنين : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » ٢٣:١٢ . وفي سورة السجدة : « ثم جَعَل نسلَه من سُلالة ماء مهين » ٣٢:٨ . وفي سورة الحجر : « قال يا إبليس مالك ألاَّ تكون مع الساجدين ؟ قال : لم أكن لأسجد لبشر خلقتَه من صلصال من حمأٍ مسنون » ١٥:٣٢ — ٣٣ .

(٢) يُنَفِّد : من أنفدَ الشيءَ يُنْفِدُه ، إذا أفناه وقضى عليه ، واستعمل أمية التشديد للتعدية . وقال ابن منظور في شرح البيت : « قال شمر : أي هو الباقي ونحن الهالكون . واقتاد: أي وَسَّع. قال: وشَرْجَعُه سَريرُه . وبداحٌ بَدِيدٌ : أي واسعٌ » اللسان (شرجع) . والبَداحُ : ما اتسع من الأرض . والبديد : الواسع .

(١٦)

في الإصابة (٨:١٥٦) [١] :

يُوقَفُ النَّـاسُ لِلْحسابِ جَميعاً   فَشَـقِيٌّ مُعَـذَّبٌ وسَعِيـــدُ [٢]

(١٧)

في الأغاني (٨:٣) [٣] :

١ وَمَـــالِي لا أُحَيِّيهِ وعِنْـدِي   مَواهِبُ يَطَّلِعْنَ مِنَ النِّجَـادِ [٤]

---

(١) قال النويري في خبر مَقْدم الفارعة على النبي صلى الله عليه وسلم : « وأنشدته قصيدته التي يقول فيها : يوقف الناس ... » نهاية الأرب ١٣:٢٧٢ ، وهذا يعني أن البيت من قصيدة لأمية ، وهو من الشعر المتهم .

(٢) في سورة هود : « وما نؤخر إلاَّ ليوم معدود ، يومَ يأتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاَّ بإذنه ، فمنهم شقي وسعيد » ١١:١٠٥ — ١٠٦ ، وانظر الآيات التالية من السورة نفسها .

(٣) لم يرو الأصفهاني البيت الثاني في هذا الموضع ، ولكنه رواه مع البيت الأول في الأغاني ٨:٤ ، والأبيات في مديح عبدالله بن جدعان .

(٤) في نهاية الأرب : « مواهب قد طلعن » . وفي اللسان ، والتاج : « قلائص يطلعن » — والمواهب : مفردها مَوهِبة ، وهي العطية بلا عوض أو غرض . ويَطلِعْنَ : يُشْرِفنَ قادمين . والنجاد : مفردها نَجْد ، وهو ما ارتفع من الأرض .

٢ إليَّ ، وإنَّهُ لِلنَّـــاسِ نِهيٌ ولا يَعْتَلُّ بِالكَلِمِ الضَّوادِي[(١)]

٣ لِأَبيضَ مِنْ بَني تَيمِ بْنِ كَعْبٍ وهُمْ كَالمَشْرَفِيَّاتِ الحِدَادِ[(٢)]

٤ لِكُلِّ قَبيلَةٍ هَـادٍ ورَأْسٌ وأَنتَ الرَّأسُ تَقْدُمُ كُلَّ هَادِ[(٣)]

٥ لَهُ بالَخيفِ قَــدْ عَلِمَتْ مَعَـدٌّ وإنَّ البَيْتَ يُرْفَعُ بالعِمَـادِ[(٤)]

---

(١) في الأغـاني : « الصوادي » بالصـاد المهملة ، وأثبتها بالضاد المعجمة عن اللسان والتاج — والنهي ، بكسر النون وفتحها : الغديرُ وكلٌّ موضع يجتمع فيه الماء . وتَعلَّل بالأمر واعتَلَّ : تشاغل. واعتَلَّ أيضاً: اعتذر مع قدرته على الأمر. والضوادي : مايُتَعلَّل به من الكلام .

(٢) في ربيـع الأبرار : « من بني عمرو بن كعب » . وفي نهاية الأرب : « من بني عمرو بن تيم » — والأبيض : الكريم ، أو الذي سَلِمَ عرضُه من الدنس والعيوب . وتيـم بن كعب : أراد بهم تيم بن مُرَّة بن كعب ، وهم رَهْط من قريش يرجع إليهم نسب عبد الله بن جدعان . والمشرفيات : مفردها مَشْرَفيٌّ ، وهو السيف المنسوب إلى المشارف ، وهي قرى بأرض اليمن اشتهرت بصناعة السيوف . والحِدادُ: المشحوذة القاطعة .

(٣) في شرح المقامات : « لكل قبيلة رأس وهاد » . وفي العمدة :

لكل قبيلة ثَبَجٌ وصُلْبٌ وأنتَ الرأس أول كلِّ هادِ

وفي ديوان المعاني ، ونهاية الأرب :

لكل قبيلة شَرَفٌ وعِزٌّ وأنت الرأس يَقدمُ كلَّ هادِ

(٤) في نهاية الأرب : « عمـــاد الخيف قد علمت معد » — والخَيْف : موضع بمكة .

٦ لَـهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌّ وآخَرُ فَوْقَ دارَتِهِ يُنَادِي [(١)]

٧ إلَى رُدُحٍ مِنَ الشِّيزَى مِـلاءٍ لُبَابَ البُرِّ يُلْبَكُ بالشِّهَـادِ [(٢)]

وفي التاج (جدع) :

٨ فأَدْخَلَهُمْ عَلَى رَبِـذٍ يَداهُ بِفِعْلِ الخَيْرِ ، لَيْسَ مِنَ الهِدَادِ [(٣)]

---

(١) في جمهرة اللغة : « وآخر عنـد دارته » . وفي الروض الأنف ، وألف با ، وآكام المرجان ، والبداية والنهاية : « وآخر فوق كعبتها ينادي » — والمُشْمَعِلُّ : النشيط السريع . والدارة : كالدار بما فيها البناء والفناء ، وقال ابن فارس : « وأصل الدار دارة » مقاييس اللغة ٢:٣١١ ، وقال الجوهري : « والدارة أخص من الدار » الصحاح ٢:٦٦٠ .

(٢) في همع الهوامع : « إلى درج » تحريف . وفي التاج (جدع) : « إلى روح » تحريف . وفي اللسان (رجح) : « إلى رُجُحٍ » . وفي اللسان ، والتاج (ردم) : « إلى رُدُمٍ » . وفي البخلاء ، والبيان والتبيين ، وأمالي القالي ، وديوان المعاني ، والروض الأنف ، وألف با ، وشرح التبيان ، وآكام المرجان ، والوسائل ، والتاج (ردح) و (شهد) ، وجمهرة اللغة ٢:١٢١ : « من الشيزى عليها لباب البر » . وفي ثمار القلوب : « إلى درج من السبرى عليه » تحريف — والرُّدُحُ : مفردها رَدَاح ، وهي الجفنة العظيمة . والرُّجُح : مفردها رَجَاح ، وهي الجفنة الملأى . والرُّدُمُ : مفردها رَدُوم ، وهي الجفنة الملأى التي تَصَبَّبُ جوانبُها لامتلائها . والشِّيزَى : خشب أسود تُتَّخذ منه الجفان . واللُّباب من كل شيء : خالصُه وخيارُه . والبُرُّ : القمح ، ولُبابُه ما يُعرف بالنَّشا . ويُلْبَكُ : يُخْلَط . والشِّهاد : العسل ، الواحد شَهْد أو شُهْد .

(٣) الرَّبِذ : الذي خَفَّت يدُه في العمل ، وهو صفة قامت مقـام الموصوف ، وحلَّتْ محلَّه في التذكير ، وأصل الكلام « على رَجُلٍ رَبِذَةٍ يَداهُ » . والهِدَاد : مفردها هِدٌّ بالكسر ، وهو الرجل الضعيف أو الجبان .

٩ عَلَى الخَيْرِ ابْنِ جُدْعانَ بْنِ عَمْرٍو طَوِيلِ السَّمْكِ مُرْتَفِعِ العِمَادِ [١]

وفي الاشتقاق لابن دريد (١٤٤) :

١٠ سَقَى الأَمْطارُ قَبْرَ أَبِي زُهَيْرٍ إلى سَقْفٍ إلى بِرْكِ الغِمَادِ [٢]

وفي المُقَفّى (الورقة ١٩٥)[٣] :

١١ فما لاقَيْتُ مِثْلَكَ يا بْنَ سَعْدٍ لِمَعْروفٍ وخَيْرٍ مُسْتَفَادِ [٤]

---

(١) الخَيْر : الذي يُكثر فِعْلَ الخَيْر ، وقد قامت الصفة مقام الموصوف . والسَّمْك : السَّقْف . والعِماد : العمود الذي يقوم عليه البيت . وعجز البيت كناية عن علو شرفه ، لأن العرب تضع البيت موضع الشرف في النسب والحسب .

(٢) في الاشتقاق : « إلى شُقْفٍ » بالشين ، وهو تصحيف ، وصوابه بالسين ، إذ قال ياقوت : « سَقْف : بلفظ سَقْف البيت ، من جبال الحمى ، قال : إلى سقف إلى برك الغماد » معجم البلدان ٣:٢٢٧ (بيروت) ، وأورده البكري بالسين أيضاً ، ولكنه ضبطه بضم السين وسكون القاف ، وذكر أنه من جبال النقيع الذي حماه النبي صلى الله عليه وسلم ، انظر معجم ما استعجم ٣:٧٤٢ ، و ٤:١٣٢٨ . وبِرْكُ الغِماد : موضع وراء مكة بخمس ليالٍ مما يلي البحر ، وقيل : بلد باليمن دفن عنده عبد الله بن جدعان ، انظر معجم البلدان ١:٣٩٩ (بيروت) ، ومعجم ما استعجم ١:٢٤٣ . وأبو زهير : كنية عبد الله ابن جدعان .

(٣) نقله المستشرق Power في مقالته ص١٥١ عن كتاب المُقفى للمقريزي: مخطوطة باريس رقم ٢١٤٤ ، الورقة ١٩٥ .

(٤) سَعْد : أحد أجداد عبد الله بن جدعان .

(١٨)

في تفسير البحر المحيط (٧:٤٦٤)[١] :

وبَثَّ الخلقَ فيهـا إذْ دَحاها فَهُمْ سُكّانُها حتّى التّنـادِي[٢]

(١٩)

في اللسان (قصص)[٣] :

قالَتْ لأُختٍ لَهُ قُصِّيهِ عَنْ جُنُبٍ وكَيفَ تَقفُو بِلا سَهْلٍ ولا جَدَدِ[٤]

---

(١) أنشده ابو حيان لأمية بن أبي الصلت ، والبيت من الشعر المتهم .

(٢) في تفسير البحر المحيط ٨:٤١٨ : « فهم قطّانها » — ودَحاها : بَسَطها . ويوم التنادي : يوم القيامة . وفي سورة البقرة : « فأحيا الأرضَ بعد موتها وبَثَّ فيها من كل دابــة » ٢:١٦٤ ، وانظر سورة النساء ٤:١ ، ولقمان ٣١:١٠ ، والشورى ٤٢:٢٩ ، والجاثية ٤٥:٤ . وفي سورة النازعات : « والأرضَ بَعْـد ذلك دحاها » ٧٩:٣٠ . وفي سورة غافر: « وياقوم إني أخاف عليكم يومَ التّنادِ » ٤٠:٣٢ ، وانظر سورة ق ٥٠:٤١ .

(٣) البيت من الشعر المتهم .

(٤) في تفسير البحر المحيط : « ولا سهل ولا جدد » — وقُصِّيه : اتبعي أثَرَه. وعن جُنُب : عن بُعْد . وتقفو : تَتَبَّع الأثرَ . والجَدَد : الأرض المستوية ، والبيت يتحدث عن قصة موسى عليه السلام ، وفي سورة القصص : « وقـالت لأُختهِ قُصِّيه ، فبَصُرَتْ به عن جُنُبٍ وهم لايشعرون » ٢٨:١١ .

(٢٠)

في الحيوان (١:١٩٨) :

وأَبُو اليَتامَى كانَ يُحْسِنُ أَوْسَهُمْ ... ويَحُوطُهُمْ في كُلِّ عامٍ جامِدِ [١]

(٢١)

في السيرة (٢:٣٣٠) :

فَما أَنابُوا لِسِلْمٍ حِينَ تُنْذِرُهُمْ ... رُسْلُ الإِلٰهِ وما كانُوا لَهُ عَضُدا [٢]

(١) في إحدى نسخ الحيوان « عام جاحد » — والأَوْس : الاعطاء والتعويض . وحاطَه يَحُوطُه : حفظه وتعهّده . والعام الجامد : عام الجَدْب والقحط وامتناع الغيث . والعام الجاحد : الذي قَلَّ مطرُه فضاق الناسُ به . ولعل البيت في رثاء أحد أجواد الجاهلية .

(٢) أناب إلى الله : تاب ورَجَع إلى طاعته . والسَّلْم ، بفتح السين وكسرها : الصُّلْح ، أو إسلام الأمر إلى الله . والعَضُد ، هنا : الأعوان والأنصار .

(٢٢)

في الحيوان (٣: ٣٦٤) :

١ والطُّوطَ نَزرَعُهُ فِيها فَنَلْبَسُهُ والصُّوفَ نَجْتَزُّهُ ما أَرْدَفَ الوَبَرُ [١]

٢ هِيَ القَرارُ فَما نَبْغِي بِهَا بَدَلاً ما أَرْحَمَ الأَرْضَ إِلاَّ أَنَّنا كُفُرُ [٢]

٣ وطَعْنَةُ اللهِ في الأَعْداءِ نافِذَةٌ تُعْيِي الأَطِبَّاءَ لا تَثْوِي لَها السُّبُرُ [٣]

٤ مِنْها خُلِقْنا وكانَتْ أُمَّنا خُلِقَتْ ونَحنُ أَبْناؤُها لَوْ أَنَّنا شُكُرُ [٤]

---

(١) الطُّوط : القُطْن ، وقيل : قطن البَرْدِيّ خاصة . وأَرْدَف : توالى وتتابع . و « فيها » : الضمير للأرض المفهومة من الكلام .

(٢) قَرّ بالمكان قراراً : أقام وثبت ، أي هي مكان القرار للناس . والكُفُر : جمع كافر .

(٣) الأعداء : أراد بهم أعداء الله من الكفرة . وطعنة نافذة : منتظمة الشقين لحسن تسديدها . والسُّبُر : جمع سِبَار ، وهو فتيلة تُجعل في الجرح . وثَوَى بالمكان يَثوي : أطال الإقامة به .

(٤) شُكُرٌ : جمع شاكر ، وهو خلاف الجاحد . وقال ابن قتيبة : « وكانت العرب تسمي الأرض أماً ، لأنها مبتدأ الخلق ، وإليها مرجعهم ، ومنها أقواتهم ، وفيها كفايتهم » تأويل مشكل القرآن ٧٦ .

وفي اللسان (سلط) :

٥ إنَّ الأنامَ رَعايا اللهِ كُلُّهُمُ هُوَ السَّلِيطَطُ فوقَ الأرضِ مُسْتَطِرُ [١]

وفي اللسان (كفر) :

٦ ولَيسَ يَبقَى لِوَجْهِ اللهِ مُخْتَلَقُ إلاَّ السَّماءُ وإلاَّ الأرْضُ والكَفَرُ [٢]

---

(١) في الأغاني : « والسلطيط فوق الأرض مقتدر » . وفي التـــاج (سلط) : «السلطيط» بالكسر : هكذا في سائر أصول القاموس ، والصواب السلطليط كما في العباب، وقد وُجد هكذا أيضاً في بعض النسخ على الهامش وهو صحيح ، ويُروى السَّليطط بفتح السين وكسرها وكلاهما شاذ ، وبكل ذلك يروى قول أمية بن أبي الصلت : (البيت) » ـ والسَّلاَطة : القهر ، والسَّلِيطَطُ ، قال ابن منظور بعد البيت : « قال ابن جني : هو القاهر من السلاطة ، قال : ويروى السِّليطَطُ وكلاهما شاذ . التهذيب : سَلِيطَطٌ جاء في شعر أمية بمعنى المُسَلَّط ، قال : ولا أدري ما حقيقته » اللسان (سلط) . وقال ابن سيده بعد البيت : « فمرة يعني بالسليطط الله تعالى ، ومرة يعني الفلك » المخصص ٩:٧، ولم نقف في شعره إلا على هذا البيت بالمعنى الأول . وسَطَرَ الكتابَ واستَطَرَه : كتبه. وفي سورة القمر : « وكلُّ شيءٍ فعلوه في الزُّبُر ، وكُلُّ صغيرٍ وكبيرٍ مُسْتَطَرٌ » ٥٤:٥٢ - ٥٣ .

(٢) مُخْتَلَقٌ : تام الخَلْق حَسَنُه . والكَفَر : العِقابُ من الجبال ، الواحــدة كَفَرَة .

وفي اللسان (قس) :

٧ لَوْ كانَ مُنفلِتٌ كانَتْ قَساقِسَةٌ ... يُحْيِيهِمُ اللهُ في أيديهِمُ الزُّبُرُ [١]

وفي جامع بيان العلم (١:٨٨) :

٨ ولَيسَ ذُو العِلْمِ بالتَّقْوى كجاهِلِها ... ولا البَصيرُ كأعمى مالَهُ بَصَرُ

٩ فَاسْتَخْبِرِ النَّاسَ عمَّا أَنْتَ جاهِلُهُ ... إذا عَمِيتَ فقَدْ يَجْلُو العَمَى الخَبَرُ [٢]

(٢٣)

في البدء والتاريخ (٢:١٤٥) [٣] :

١ ويَوْمَ مَوْعِدُهُمْ أَنْ يُحْشَروا زُمَراً ... يَوْمَ التَّغابُنِ إذْ لا يَنْفَعُ الحَذَرُ [٤]

(١) في تفسير البحر المحيط : « قساوسة » . وفي التاج : « هكذا رواه الأزهري ورواه الصاغاني قساوسة » — والمُنْفَلِت : الناجي من الموت . والقساقسة : واحدهم قِسِّيسٌ . ويحييهم : أراد يخلدهم . والزُّبُر : الكتب المقدسة .

(٢) استَخْبَرَ : سأل عن الخَبَر . وعَمِيتَ ، هنا : جهِلْتَ .

(٣) ماعدا البيت (٩) فقد ألحقناه بالأبيات من تفسير الطبري ، ولم يورده المقدسي في البدء والتاريخ . والقصيدة من الشعر المتهم .

(٤) يُحشروا : يُجمعوا . والحَشْر : جمع الناس يوم القيامة . والزُّمَر : الجماعات . ويوم التغابن : يوم القيامة . و « يَوْمَ » الأولى : منصوبة بفعل محذوف تقديره « واذكُرْ يومَ » ، وهذا من أساليب القرآن . وفي سورة طه : « وسِيقَ الذين كفروا إلى جهنم زُمَرا » ٣٩:٧١ . وفي سورة التغابن : « يومَ يجمعكم ليوم الجمع ، ذلك يوم التغابن » ٦٤:٤ .

٢ مُسْتَوْسِقِينَ معَ الدَّاعِي كأَنَّهُمُ رِجْلُ الجَرادِ زَفَتْهُ الرِّيحُ تَنْتَشِرُ [١]

٣ وأُبرِزوا بِصَعِيدٍ مُسْتَوٍ جُرُزٍ وأُنزِلَ العَرْشُ والمِيزانُ والزُّبُرُ [٢]

٤ وحُوسِبُوا بالَّذِي لم يُحْصِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ وفي مِثْلِ ذاكَ اليَوْمِ مُعْتَبَرُ

٥ فمِنْهُمُ فَرِحٌ راضٍ بِمَبْعَثِهِ وآخَرُونَ عَصَوْا مَأْواهُمُ السَّقَرُ [٣]

---

(١) مستوسقين : مجتمعين للداعي مطيعين له . والداعي : إسرافيل ، يومَ يدعوهم إلى البَعْث والحساب . ورِجْلُ الجراد : القطعة العظيمة منه . وزفته الريح : رفعَتْه وطرَدتْه على وجه الأرض وفي سورة القمر : « فتَولَّ عنهم يوم يَدْعُ الداعِ إلى شيءٍ نُكُرٍ ، خُشَّعاً أبصارُهم يخرجون من الأجداث كأنهم جَرادٌ منتشر ، مُهْطِعينَ إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عَسِر » ٥٤:٦ - ٨ . ومهطعين : مسرعين إليه تمتد منهم الأعناق .

(٢) الصَّعيدُ : الأرض المستوية . والجُرُز : الأرض التي لانَبْتَ فيها . والزُّبُر : كُتُب الحفَظة . وفي سورة الكهف : « وإنَّا لجاعلون ما عليها صَعيداً جُرُزا » ١٨:٨ . وفي سورة الأنبياء : « ونَضَع الموازينَ القِسْطَ ليوم القيامة » ٢١:٤٨ . وفي سورة القمر : « وكل شيءٍ فعلوه في الزُّبُر » ٥٤:٥٢ .

(٣) سَقَر : اسم علم من أسماء جهنم ، وربما دخلتها اللام دُخولَها بعضَ الأسماء كالوليد والحسين . والشاعر يقرن بين عاقبة المؤمنين وعاقبة الكافرين ، وهذا أسلوب قرآني يطالعنا في كل سورة تتحدث عن يوم الحساب ، ومن ذلك سورة القارعة : « فأمَّا مَن ثَقُلَتْ موازينُه ، فهو في عيشة راضية ، وأمَّا مَن خفَّتْ موازينُه ، فأُمُّه هاوية ، وما أدراك ماهِيَهْ ، نارٌ حامية » ١٠١:٦ - ١١ ، وانظر سورة الحاقة ٦٩:١٩ - ٢٩ .

٦ يَقولُ خُزّانُها ما كانَ عِندَكُمُ ... أَلَمْ يَكُنْ جاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ نُذُرُ [(١)]

٧ قالوا بَلَى فأَطَعْنا سادَةً بَطِروا ... وغَرَّنا طُولُ هذا العَيْشِ والعُمُرُ [(٢)]

٨ قالوا امْكُثُوا في عَذابِ اللهِ ما لَكُمُ ... إلاّ السَّلاسِلُ والأَغْلالُ والسُّعُرُ [(٣)]

٩ وأُهلِكوا بِعَذابٍ حَصَّ دابِرَهُمْ ... فما اسْتَطاعُوا لَهُ صَرْفاً ولا انْتَصَروا [(٤)]

١٠ فَذاكَ عَيْشُهُمُ لا يَبْرَحُونَ بِهِ ... طُولَ المُقامِ وإنْ ضَجُّوا وإنْ ضَجِروا

---

(١) النُّذُر : واحدهم نَذِير ، وهو الرسول يُنذِر الناسَ عذابَ الله تعالى . وفي سورة الملك : « تكاد تَميَّز من الغيظ ، كلّما ألقي فيها فوج سألهم خزَنَتُها ، ألم يأتكم نذير ؟ قالوا : بلى قد جاءنا نذير ، فكذَّبْنا وقلنا مانَزَّل الله من شيء ، إن أنتم إلاّ في ضلال كبير » ٦٧ : ٨ - ٩ ، وانظر سورة الزمر ٣٩ : ٧١ - ٧٢ .

(٢) البَطَر : الطغيان عند النعمة وطول الغنى . وفي سورة الأحزاب : « يومَ تُقلَّبُ وجوهُهُم في النار ، يقولون ياليتنا أطعنا الله وأَطعْنا الرسولا . وقالوا : ربَّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » ٣٣ : ٦٦ - ٦٧ . وفي سورة الأعراف : « الذين اتخذوا دِينَهم لَهْواً ولَعِباً وغرتهم الحياة الدنيا » ٧ : ٥٠ .

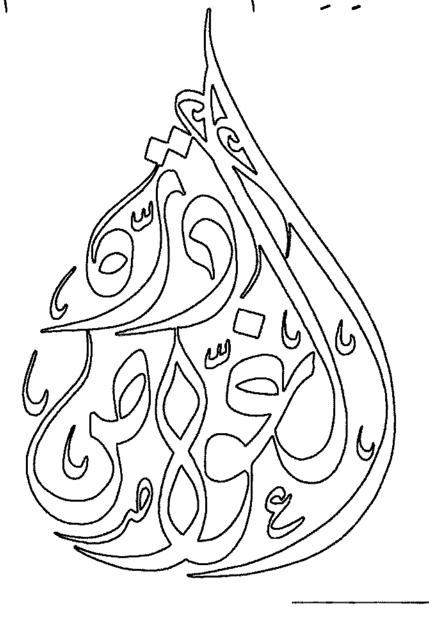
(٣) السُّعُر : واحدها سَعير ، وهو النار أو اللَّهب . وفي سورة الدهر : « إنّا أعْتَدنا للكافرين سَلاسلَ وأغلالاً وسَعيرا » ٧٦ : ٤ .

(٤) في تفسير البحر المحيط : « فاستؤصلوا بعذاب خَصَّ دابرَهم » . وفي مفاتيح الغيب : « فاستؤصلوا بعذاب حَصَّ دابرهم » — وحَصَّ الشَّعَرَ : حلَقه ولم يُبق منه شيئاً . وخَصَّ : نقيض عَمَّ . ودابرهم : آخر من بقي منهم . والصَّرْف : رَدُّ الشيء عن وجهه . ولا انتصروا : لم يمتنعوا من العذاب ولم يتغلبوا عليه .

وفي البدء والتاريخ (١:٢٠٧) :

١١ وآخرونَ علىَ الأعرافِ قدْ طمِعُوا   بجنَّةٍ حفَّها الرُّمانُ والخضِرُ [١]

١٢ مِنْهُمْ رِجالٌ على الرَّحمنِ رِزْقُهُمُ   مُكَفَّرٌ عنهُمُ الأخباثُ والوَزَرُ [٢]



---

(١) الأعراف : في اللغة جمع عُرْف ، وهو كلُّ عالٍ مرتفع . والأعراف : أعالي سُورٍ بين الجنة وأهل النار ، واختُلِفَ في أصحاب الأعراف ، فقيل : هم قوم استوت حسناتُهم وسيئاتُهم فلم يستحقوا الجنةَ بالحسنات ولا النارَ بالسيئات ، فكانوا على الحجاب الذي بين الجنة والنار . والخَضِر : الزرع الخضِر ، على حذف الموصوف .

(٢) الوَزَر : الذّنبُ والإثم ، سُمي بذلك لثقله . وكأن هذا البيت والذي تقدمه تلخيص لآيات الأعراف وما جاء في تفسيرها ، ففي سورة الأعراف : « وبينهما حِجابٌ ، وعلى الأعراف رجالٌ يَعرِفُون كلاً بسيماهُمْ ، ونادَوْا أصحابَ الجنةِ أنْ سلامٌ عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ، وإذا صُرِفَتْ أبصارُهم تِلقاءَ أصحاب النار قالوا ربَّنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين ، ونادَى أصحابُ الأعرافِ رِجالاً يَعرِفونَهم بِسيماهُمْ ، قالوا : ما أغنَى عنكم جمعُكم وما كنتم تستكبرون ، أهؤلاءِ الذين أقسمتم لا ينالُهم اللهُ برحمة؟ ادخُلوا الجنةَ لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون » ٧:٤٥ - ٤٨ .

(٢٤)

في السيرة (١ : ٦٢)[١] :

١ إِنَّ آياتِ رَبِّنا ثاقِباتٌ ما يُماري فيهِنَّ إلاَّ الكَفُورُ[٢]

٢ خَلَقَ اللَّيْلَ والنَّهارَ فَكُلٌّ مُسْتَبِينٌ حِسابُهُ مَقْدُورُ[٣]

٣ ثُمَّ يَجْلو النَّهارَ رَبٌّ رَحِيمٌ بِمَهاةٍ شُعاعُها مَنْشُورُ[٤]

---

(١) رواها ابن إسحق لأبي الصلت بن أبي ربيعة والد أمية ، ثم نَبَّه ابنُ هشام على أنها تُروى لأمية بن أبي الصلت .

(٢) في الحيوان ، ومروج الذهب ، وأخبار مكة ، وقصص الأنبياء ، والحماسة البصرية ، وتاريخ الخميس : « إن آيات ربنا بَيِّنات » . وفي محاضرات الأدباء : « باقيات » . وفي لباب التأويل : « ساطعات » . وفي تاريخ ابن عساكر : « قائمات » . وفي معجم البلدان : « ظاهرات » . وفي رسالة الغفران : « ظاهرات ما تمارى فيهن » . وفي مروج الذهب ، وتاريخ الخميس : « ما يماري بهن » . وفي مروج الذهب ، وأخبار مكة : « إلاَّ كفور » — والثاقب : المضيء . ويماري : يجادل ، أو يشك .

(٣) في محاضرة الأبرار : « يخلق الليل » . وفي الحماسة البصرية ، ومحاضرة الأبرار : « فكلٌّ مستنيرٌ حسابُه » — والمستبين : الواضح الظاهر . والمَقْدور : مفعول من قَدَر الشيءَ يقدُرُه قَدْرا وقَدَّرَه : قاسه ، أو روَّى وفكَّر في تسويته وتهيئته .

(٤) في تهذيب الألفاظ ، وكنز الحفاظ ، ومبادىء اللغة ، والمخصص ، والأزمنة ، واللسان ، والتاج : « ثم يجلو الظلام رب رحيم » . وفي الأزمنة : « شعاعها مستنير » . وفي اللسان أن ابن بري استشهد ببيت نسبه إلى أبي الصلت الثقفي ، هو :

ثم يجلو الظلامَ ربٌّ قديرٌ بمَهاةٍ لها صفاء ونورُ

وأشار التاج إلى رواية ابن بري لهذا البيت ، ولم يشر إلى نسبته إلى أمية أو إلى أبيه — والمَهاةُ : الشمس . والمَنْشور : المنتشر .

٤ حَبَسَ الفِيلَ بالُمغَمِّسِ حَتَّى ظَلَّ يَحْبُو كأنَّهُ مَعْقُورُ [(١)]

٥ لازِماً حَلْقَةَ الجِرَانِ كَمَا قُطِّرَ مِنْ صَخْرِ كَبْكَبٍ مَحْدُورُ [(٢)]

٦ حَولَهُ مِن مُلوكِ كِندَةَ أَبطَالٌ مَلاوِيثُ فِي الحروبِ صُقُورُ [(٣)]

---

(١) في البداية والنهاية : « صار يحبو » . وفي لباب التأويل : « ظل يعوي » . وفي مروج الذهب :

غلب الفيل بالمغمس حتى ظل يجفو كأنه مسحور

وفيه تحريف كثير — والمُغَمِّس : ضبطه البكري بكسر الميم الثانية ، وضبطه ياقوت بفتحها ، وضُبط في اللسان والقاموس بالفتح والكسر معاً . وقال البكري : « هو موضع في طرف الحرم ، وهو الموضع الذي ربض فيه الفيل حين جاء به أبرهة » معجم ما استعجم ١٢٤٨:٤ ، وقال ياقوت : « موضع قرب مكة في طريق الطائف ، مات فيه أبو رغال وقبره يُرجم لأنه كان دليل صاحب الفيل فمات هناك » معجم البلدان ٥٨٣:٤ . وحَبَا البعيرُ : بَرَكَ فلم يتحرك هُزالاً . والعَقْر : أن تقطع إحدى قوائم البعير قبل نَحْرِه كيلا يشرد عند النحر .

(٢) في البداية والنهاية : « كما قُدَّ من صخر » . وفي محاضرة الأبرار : « من صخر كوكب » . وفي الحيوان ، وأخبار مكة : « واضعاً حلقة .. كما قُطِّر صخر من كبكب » . وفي مروج الذهب : « واضعا .. كما قُطِّر صخر من جانب » — والجِران : باطن العنق ، فإذا بَرَكَ البعير ومَدَّ عُنقَه على الأرض ، قيل : ألقى جِرانَه بالأرض . وقُطِّر : أُلقي من علو على قُطْرِه ، أي جانبه . و كَبْكَب : جبل بمكة خلف عرفات . والمَحْدور : الذي أُلقي من علو إلى أسفل ، وأراد « حَجَرٌ مَحْدورٌ » فأقام الصفة مكان الموصوف بعد حذفه .

(٣) في قصص الأنبياء : « حوله من ملوك كندة فتيان مصاليت » . وفي مروج الذهب : « فتيان ملاويث » — والملاويث : الأشداء ، مفردها مَلاثٌ أو مِلْوَث .

٧ خَلَّفوه ثُمَّ ابْذَعَرُّوا جَمِيعَاً كلُّهُمْ عَظْمُ ساقِهِ مَكْسُورُ [١]

٨ كُلُّ دِينٍ يومَ القِيامَةِ عِندَ اللهِ إلاَّ دِينَ الحَنِيفَةِ بُورُ [٢]

(٢٥)

في معجم البلدان (٣:٦٦٩) :

١ إنَّ التكرُّمَ والنَّدَى في عامِرٍ جدَّاكَ ما سُلِكَتْ لِحجٍّ عَزْوَرُ [٣]

وفي شرح نهج البلاغة (١٤:١٨٧) :

٢ يا بايَزِيدَ رأيتُ سَيْبَكَ واسِعاً وسماء جودِكَ تَستَهِلُّ فتمطِرُ [٤]

---

(١) في قصص الأنبياء : « غادروه وقد تولوا سراعا » — وابذَعَرُّوا : تَفَرَّقوا .

(٢) في الأغاني، والإصابة ، ومعجم البلدان : « إلاَّ دين الحنيفة زور » — والبُورُ: الفاسد الهالك الذي لاخير فيه . والزور : الكذب أو الباطل . والحَنيفَةُ : دين إبراهيم عليه السلام .

(٣) الجدُّ ، هنا : الحظُّ والرِّزْق . وعَزْوَر : موضع على الطريق بين المدينة ومكة .

(٤) استَهَلَّتِ السماءُ : اشتد انصباب مطرها، وقيل: هو أوَّلُ المطر. وأبويزيد: كنية سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري ، خطيب قريش وأحد سادتها في الجاهلية ، وهو الذي تولَّى عن قريش أمر الصلح في الحديبية ، وأسلم يوم الفتح ، ومات بالطاعون في الشام . انظر شرح نهج البلاغة ١٤:١٨٧ ، والإصابة ٣:١٤٦ ، والبيان والتبيين ١:٥٨ .

(٢٦)

في مفاتيح الغيب (٨ : ٣٥١) [١] :

دَحَوْتَ البلادَ فسَوَّيْتَها وأَنْتَ على طَيِّها قادِرُ [٢]

(٢٧)

في جمهرة أشعار العرب (١٣) [٣] :

كَيْفَ الجحودُ وإنَّما خُلِقَ الفتَى مِنْ طِينِ صَلْصالٍ لَهُ فَخَّارُ [٤]

---

(١) أنشده لأمية بن أبي الصلت ، والبيت من الشعر المتهم .

(٢) دَحَوْتَ البلادَ : بسطتها . والبَلَدُ : كلُّ مكان من الأرض عامراً كان أو غير عامر . وسَوَّيْتَها : جعلتها متساوية متماثلة . وفي سورة النازعات : « والأرضَ بَعْدَ ذلك دَحاها » ٧٩ : ٣٠ ، وفي سورة الأنبياء : « يومَ نطوي السماءَ كطَيِّ السِّجِلِّ للكُتُب .. » ٢١ : ١٠٤ ، وانظر الزمر ٣٩ : ٦٧ .

(٣) أنشده لأمية بن أبي الصلت ، والبيت من الشعر المتهم .

(٤) الجُحود : الانكار أو الانكار مع العلم . والصَّلْصال : الطين اليابس ما لم تمسه نار ، فإذا مسته النار فهو حينئذ فَخّار . وفي سورة النحل : « أفبنعمة الله يجحدون ؟! » ١٦ : ٧١ ، وفي سورة الرحمن : « خَلَقَ الإنسان من صَلْصال كالفَخّار » ٥٥ : ١٤ .

(٢٨)

في مقاييس اللغة (١:٢٣٦) [١] :

الخـــالقُ البـارِئُ المُصَوِّرُ [٢]

(٢٩)

في نثار الأزهار (٥٣) :

١ يـا لَيْلَةً لم تَـبِنْ مِـنَ القِصَرِ   كـأنّها قُبْــلَةٌ على حَــذَرِ
٢ لم تَكُ إلاّ كلا ولا ، ومَضَتْ   تَدْفَعُ في صَدْرِها يَدُ السَّحَرِ [٣]

---

(١) أنشد ابن فارس هذا الجزء لأمية ، وهو من الشعر المتهم .

(٢) في سورة الحشر : « هو اللهُ الخالقُ البارئُ المُصوِّرُ له الأسمـــاء الحسنى » ٥٩:٢٤ . وفي سورة البقرة : « فتوبوا إلى بارئكم » ٢:٥٤ . وفي سورة غافر : « وَصوَّركم فأَحْسَنَ صُوَرَكم » ٤٠:٦٤ ، وانظر التغابن ٦٤:٣ ، والأعراف ٧:١١ .

(٣) لم تَكُ إلاّ كلا ولا : أي كانت سريعـــة سُرْعَةَ اللفظ بـ « لا » و « لا » ، ومثل هذه العبارة « كلا ولا » وردت في المقامة العمانية للحريري ، فعلق عليهـــا الشريشي بقوله : « كلا ولا : أي كاللفظ بها ، وهي كناية عن قلة اللَّبْثِ وسرعة الأمر ، ويُضرب بـ « لا » المثل ، فيقال : أخف من « لا » على اللسان ، وأقل من « لا » على اللفظ » شرح المقامات الحريرية ٢:١٨٥ ، وانظر شواهـد لذلك نثراً وشعراً في شرح المقامات الحريرية ٢:١٨٦ ، ومقامات الهمذاني ٧٥ ، والأغاني ١:٣٥٧ (دار الكتب) ، واللسان (لوذ) .

(٣٠)

في شرح أدب الكاتب (٣٧٨) [١] :

١ سَنَةٌ أَزْمَــةٌ تَخَيَّلُ بِالنَّـــا   سِ تَرَى لِلْعِضَـاهِ فيها صَرِيرا [٢]

٢ لا عَلَى كَوْكَبٍ يَنُوءُ ولا رِيـ   ـحِ جَنُوبٍ ولا تَرَى طُخْرُورا [٣]

---

(١) يتحدث أمية في هذه القصيدة عن أسطورة كانت لدى قدماء الجاهليين تُعرف بنار الاستمطار . قال الجاحظ في حديثه عن نيران العرب : « ونارٌ أخرى ، وهي النـــار التي كانوا يَستمطرون بها في الجاهلية الأولى ، فإنهم كانوا إذا تتـابعت عليهم الأزمات ، وركد عليهم البلاء ، واشتد الجدب ، واحتاجوا إلى الاستمطار، اجتمعوا وجمعوا ماقدروا عليه من البقر ، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها ، السَّلَع والعُشَر ، ثم صعدوا بها في جبل وعر ، وأشعلوا فيها النيران ، وضجوا بالدعاء والتضرع ، فكانوا يرون ذلك من أسباب السقيا » الحيوان ٤ : ٤٦٨ ، وانظر مصادر الأبيات ، فأكثرها تحدث عن هذه النار .

(٢) في حياة الحيوان ، والأزمنة : « تخيل للناس » . وفي شرح نهج البلاغـــة : « تبرح بالناس » — وسَنةٌ أَزْمَةٌ : شديدة القحط ، وهي من الأَزْم ، وهو العَضُّ بالأنياب أو بالفم كله ، فكأن السنة المجدبة تعض الناس لشدتها عليهم . وتَخَيَّلُ بالناس : تشتبه عليهم فتخدعهم فيتوهمون الخير ولا خير فيها . والعِضاهُ : كلُّ شجر له شوك .

(٣) في شرح أدب الكاتب ، والحماسة البصرية :« ولا ترى طمرورا » بالميم ، وأثبتنا التصحيح عن كتاب النيروز ، والصحاح ، والأزمنة ، وعيار الشعر ، وحياة الحيوان ، واللسان ، والتاج — وناءَ النَّجْمُ : سَقَط ، وكانت العرب تُضيف الأمطـــار والرياح والحَرّ والبَرْد إلى الساقط من النجوم ، وهي ثمانيـة وعشرون نجماً تسمى الأنواء ، وهي معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها ، انظر اللسان (نوأ) . وقـــال الأصمعي : « إذا جاءت الجَنُوبُ جاء معها خَيْرٌ وتَلْقيحٌ ، وإذا جاءَت الشَّمالُ نَشَّفَتْ » اللسان

٣ إذْ يَسفُّونَ بالدَّقِيقِ وكانُوا   قبلُ لا يأكُلُونَ خُبزاً فَطِيرا [(١)]

وفي الحيوان (٤:٤٦٨) :

٤ ويَسُوقونَ باقِرَ السَّهْلِ لِلطَّوْ   دِ مَهازِيلَ خَشْيَةَ أنْ تبُورا [(٢)]

(جنب) . والطخرور : السَّحاب إذا كان رقيقاً متفرقاً . والطُّمْرورُ : الفَرَسُ الجواد، وطائرٌ يكون في منابت النخيل من أرض الحرم ، وكلاهما لايستقيم تماماً مع معنى البيت . و « على كوكب » : متعلقان بمحذوف تقديره مثلاً « لاتَقَعُ على كوكب ينوء » .

(١) في الحيوان ، والاقتضاب ، وتأويل مشكل القرآن : « لايأكلون شيئاً فطيرا » — وسَفِفْتُ الدَّقيقَ أسفُّه سَفاً واسْتَفَفْتُه : أخذته غير معجون. والفَطِير: العجين الذي لم يختمر .

(٢) في الحيوان :

ويسوقون باقراً يطرد السَّهْـ   ـلَ مهازيلَ خشيةَ أنْ يبورا

وفي الحماسة البصرية : « باقر الطود للسهل .. خشية أن تبيرا » ، وأثبتنا رواية الطبري في تفسيره ، وابن فارس في كتاب النيروز ، والمرزوقي في الأزمنة ، والجوهري في الصحاح ، وابن طباطبا في عيار الشعر ، والنويري في نهاية الأرب ، وهذه الرواية أقرب إلى معاني الأسطورة — والباقر : جماعة البقر . والطَّوْد : الجبَل . وتبور : تهلك .

٥ عاقِدِينَ النِّيرانَ في شُكُرِ الأَذْ نابِ عَمْداً كَيْما تَهِيجَ البُحُورا [(١)]

٦ فاشْتَوَتْ كُلُّها فَهاجَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ هاجَتْ إلى صَبِيرٍ ، صَبِيرا [(٢)]

٧ فرآها الإِلٰهُ تُرْشَمُ بالقَطْ رِ وأَمْسَى جَنابُهُمْ مَمْطُورا [(٣)]

---

(١) في حياة الحيوان : « في هلب الأذناب منها لكي تهيج البحورا » . وفي الحماسة البصرية ، وكتاب النيروز ، والصحاح ، والأزمنة ، وشرح نهج البلاغة : « في ثكن الاذناب منها لكي تهيج » . وفي اللسان (عول) : « في ثُكَن الأذناب منها لكي تهيج النحورا » وفيها تحريف . وفي اللسان (ثكن) :

عاقدين النار في ثُكَن الأذ ناب منها كي تهيج البحورا

وبهذه الرواية خرج البيت إلى « المديد » مع أن القصيدة من « الخفيف » — والشُّكُر : مفردها شَكِيرٌ ، وهو من الشعر والريش والنبت ما نبت صِغارُه بين كبارِه . وتَهيجُ البحورَ : أراد تبعث المطرَ الغزيرَ الذي يشبه البحورَ بغزارته .

(٢) في كتاب النيروز : « فهاجت عليهم ثم وهاجت » — وهاجتِ السَّماءُ : غَيَّمتْ وكثرت ريحُها . وهاجت الإبل : عطشت . والصَّبِيرُ : السحابُ يَثبتُ يوماً وليلة لايبرح ، كأنه يُصْبَرَ ، أي يُحْبَس . و « هاج » : فاعلها محذوف تقديره « فهاج السحابُ عليهم » بمعنى كثر واجتمع ، و « صبيراً » حال منه . و « هاجت » : فاعلها السماءُ أو الأبقار .

(٣) في الحماسة البصرية : « توشم بالقطر وأضحى جنابهم » . وفي كتاب النيروز : « توشم بالقطر فأضحى » — والرَّشْمُ : الأثر ، والعلامة .

٨ فَسَقَاهَا نَشَاصُهُ واكِفَ الغَيْـ ـثِ مُنهٍّ إذ رادَعُوهُ الكَبِيرا [1]

٩ سَلَعٌ مَا ومِثْلُهُ عُشَرٌ مَـا عائِلٌ مـا وعالَتِ البَيْقُورا [2]

(٣١)

في البدء والتاريخ (١:١٦٥) [3] :

١ مَجِّدوا اللهَ فَهوَ لِلْمَجْدِ أَهلٌ رَبُّنـا في السَّماءِ أَمسى قَدِيرا [4]

---

(١) النشاص : السحاب المرتفع . والواكِفُ : الهاطل . ومُنَهٍّ : فاعل من نَهَّى الشيءُ وانتهى وتناهى ، إذا بَلغَ نهايتَه . وردَعَه عن الأمر : كَفَّه ، ورادعوه : للمشاركة فهم كَفُّوا عما بهم من إثم ، وهو كَفٌّ عن الانحباس والتشديد عليهم . والكبيرا : صفة قامت مقام الموصوف بعد حذفه ، والتقدير : رادعوه الشَّرَّ الكبيرا . ومُنَهٍّ : فيها إشكال وأقرب سبيل إلى أعرابها أن تكون حالاً من « نشاصُه » ، أي سقاها نشاصُه بالغاً نهايتَه ، وكان حقُّها أن تكون « مُنَهِّياً » ، ولكنه حذف الياء ضرورة كحذفها في الرفع والجر .

(٢) في الحماسة البصرية : « غايلا ما قد غالت البيقورا » تحريف . وفي الحيوان : « وعالت البنقورا » وقد رواه الجاحظ على هـذا النحو حكاية لتصحيف الأصمعي ، فقال : « هكذا كان الأصمعي ينشد هذه الكلمة ، فقال له علماء بغداد : صحَّفتَ ، إنما هي البيقور ، مأخوذة من البقر » الحيوان ٤:٤٦٨ . والسَّلَعُ والعُشَرُ : ضربان من الشجر . وعال الشيءُ فلاناً : ثَقُلَ عليه ، يريد أن السنة أثقلت البقر بما حَمَّلتها من السَّلَع والعشر .

(٣) القصيدة من الشعر المتهم .

(٤) في كتاب الاختلاف في اللفظ : « وهو للمجد .. أمسى كبيرا » — والمجد ، هنا : الثناء والتعظيم ، ومَجَّدَه : عظمَّه وأثنى عليه .

٢ ذَلِكَ الْمُنْشِئُ الْحِجَارَةَ والْمَوْ ... تَى وأَحيَاهُمُ وكانَ قَدِيرا [١]

٣ بالبِنَاءِ الأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّا ... سَ وسَوَّى فَوْقَ السَّماءِ سَرِيرا [٢]

٤ شَرْجَعاً لا يَنالُهُ بَصَرُ العَيْـ ... ـنِ تَرَى دُونَهُ الْمَلائِكَ صُورا [٣]

وفي الحيوان (٢:٣٢٢) :

٥ هُوَ أَبْدَى مِنْ كُلِّ ما يَأْثُرُ النَّا ... سُ أَماثِيلَ باقِياتٍ سُفُورا [٤]

---

(١) المُنْشِىء : الخالق أو الباعث ، وهذا المعنى ورد في آيات كثيرة ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة يس : « وضَرَبَ لنا مثلاً ونسي خَلْقَه ، قال من يُحيي العظامَ وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرة وهو بكل خَلْقٍ عليم » ٣٦:٧٨ - ٧٩ ، وانظر سورة العنكبوت ٢٩:٢٠ . وأحياهم : الضمير للموتى ، والمعنى إمّا أنه أحياهم قبل موتهم ، وإما أنه سيحييهم بعد موتهم ، وبذلك يكون قد عبر بالماضي عن المستقبل ، كآية القمر : « اقتربت الساعة وانشق القمر » ٥٤:١ ، وأكثر المفسرين على أنه سينشق يوم القيامة .

(٢) في البداية والنهاية : « بالبناء العالي الذي بهر الناس » — والبناء الأعلى : أراد به السماء . وسبق الناسَ : تقدمهم فلم يستطيعوا بناء مايجاريه ارتفاعاً . والسرير : العرش وبالبناء : متعلقان بمحذوف تقديره مثلاً : مقيماً بالبناء الأعلى ، أو مقيمٌ .

(٣) في كتاب الاختلاف في اللفظ « ما يناله بصر العين » . وفي تاريخ ابن عساكر : « شريفا ما يناله بصر الناس » تحريف — والشَّرْجَع : العالي المنيف ، وهو سرير العرش . والصُّوْر : مفردها أَصْوَرَ ، وهو المائلُ العنُقِ .

(٤) أثَرَ الحديثَ يأثُرُه ويأثِرُه : نقلَه وحدَّثَ به عن غيره . والأماثيل : مفردها أُمْثولَةٌ ، وهي ما يُتَمثَّل به من الأقوال السائرة بين الناس . وسُفُوراً : ظاهرة لا حجاب عليها ، من أسفرت المرأةُ وجهَها ، إذا كشفَتْ عنه النِّقابَ .

٦ خلقَ النَّخلَ مُصْعِداتٍ تَرَاهَا   تَقْصِفُ اليابساتِ واليَخْضُورا [1]

٧ والتَّماسِيحَ والثَّياتِلَ والإيْـ   ـلَ شَتَّى والرِّيمَ واليَعْفُـورا [2]

٨ وصُواراً مِنَ النَّواشِطِ عِينـاً   ونَعاماً خَواضِبـاً وحَمِيرا [3]

٩ وأُسوداً عَواديـاً وفُيُولا   وذِيابـاً والوَحْشَ والخِنْزِيرا [4]

---

(١) رواه الجاحظ أيضاً : « خلَق النخل مُعْصِرات » ولعله تحريف ، ورواه في مواضع متعددة : « تقصف اليابسات و الخضُّورا » و « المَخْضورا » و « اليَخْضورا » — والخَضُّور : الأخضر ، ولعل التشديد للمبالغة . والمَخضور : اسم للرَّخْص من الشجر إذا قُطِع . واليَخْضور : الأخضر . ومصعدات : مرتفعات . وتقصف ، هنا : تلقي ، وأصل القصف : الكسر .

(٢) وفي الحيوان ٧: ٢٠٩ : « والتماسيح والتماثيل » تحريف — والثياتل: مفردها ثَيْتَل ، وهو الذَّكَر المُسِنُّ من الوعول . والإيَّلُ : مفردها أَيِّل ، وهو ذكر الأوعال . والرِّيمُ والرِّئْمُ : الظبي الخالص البياض . واليعفور ، بفتح الياء وضمها : الظبي الذي لونه كلون العَفَر ، وهو التراب .

(٣) الصُّوار ، بكسر الصاد وضمها : القطيع من البقر الوحشي . والنواشط : التي تخرج من أرض إلى أرض للمرعى . والعِينُ مفردها: عَيْناء ، وهي الواسعة العَيْن ، وهذه صفة غالبة لبقر الوحش . والخواضب : مفردها خاضب ، وهو من النعام ما كان أحمر الساقين .

(٤) في الحيوان ٧: ٢١٠: « وسباعا والنمر والخنزيرا » — والذِّياب: مفردها ذئب ، وبعضهم يخففه ولا يهمزه ، وأصله الهمز .

١٠ ودُيوكاً تَدْعو الغرابَ لِصُلْحٍ وإِوَزِّينَ أُخرِجَتْ وصُقُورا [١]

وفي البدء والتاريخ (٣: ٨٢) :

١١ ولِفِرْعَونَ إذْ تَشَاقَّ لَهُ المَا ءُ ، فَهَلاَّ لِلّهِ كانَ شَكُورا [٢]

١٢ قالَ إنِّي أَنا المُجيرُ على النَّا سِ ولا رَبَّ لي عَلَيَّ مُجِيرا [٣]

١٣ فَمَحاهُ الإِلٰهُ مِنْ دَرَجاتٍ نَامياتٍ ولم يَكُنْ مَقْهُورا [٤]

١٤ سُلِبَ الذِّكْرَ في الحياةِ جَزاءً وأَراهُ العَذابَ والتَّدْمِيرا [٥]

---

(١) في مجموعتي ليدن ، وبيروت : « وإوزِّين أُحْرِجت » بالحاء المهملة — الإوَزّين : مفردها إوَزّة وهو من نادر الجمع . وأشار في صدر البيت إلى أسطورة شرب الديك والغراب عند الخمار ، ولعله أشار في عجزه إلى أسطورة أخرى تتصل بالإوز .

(٢) تَشاقّ : انْشقّ وانفرج . ولفرعون : متعلقان بمحذوف : « انظر لفرعون» ، وكأنه أراد القول : « واذكر فرعون » فلم يسعفه الوزن .

(٣) في سورة المؤمنون : « قُلْ مَنْ بيده مَلَكوتُ كُلّ شيء وهو يُجير ولا يُجار عليه إن كنتم تعلمون » ٢٣: ٨٩ .

(٤) في البدء والتاريخ : « فمحاه الله » ، ولا يستقيم بها الوزن ، ولذلك أثبتنا « الإله » استقامةً للوزن — والدرجات : مفردها درجة ، وهي المنزلة . وناميات : عاليات. ولم يكن : الضمير لله تعالى .

(٥) في البدء والتاريخ : « العذاب والتغييرا » ، وفيها تحريف أثبتنا مكانه رواية الجاحظ لعجز البيت ، وتمام رواية البيت في الحيوان :

نزع الذكر في الحياة وغنّا وأراه العذاب والتدميرا

وفي صدره تحريف — والذِكْر : أراد به الذِكْر الحسن . وفي سورةالفرقان:

١٥ وَتداعَى عَلَيْهِمُ البَحْـرُ حَتَّى صارَ مَوْجاً وَراءَهُ مُسْتَطِيرا [(١)]

١٦ فدَعـا اللهَ دَعْوَةً لا يُهَنَّــا بَعْدَ طُغْيـانِهِ فصـارَ مُشِيرا [(٢)]

وفي تفسير الطبري (٢:٩٤) [(٣)] :

١٧ فَرأَى اللهُ أَنَّهُمْ بِمَضِيــعٍ لا بِذِي مَزْرَعٍ ولا مَعْمُورا [(٤)]

١٨ فَنَسَاهَــا عَلَيْهِمُ غادِيـاتٍ ومَرَى مُزْنُهُمْ خَلايـا وخُورا [(٥)]

« فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذّبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا » ٣٦:٢٥ .

(١) تـداعى : أقبل عليهم من كل جانب فكأنما يدعو بعضه بعضاً . والمستطير : المنتشر .

(٢) في تفسير الطبري : « فظل مشيراً » — لا يُهنَّأُ : لا يظفر من دعوته بخير . والمُشير : المُلوِّح باليد .

(٣) أورد الطبري هذه الأبيـات في حديثه عن المَنّ الذي أرسله الله تعـالى إلى بني إسرائيل وهم في التيه .

(٤) في مجموعتي ليدن ، وبيروت : « لا بذي مزرع ولا مثمورا » ، وقد أورد محقق تفسير الطبري الروايتين من خلال النُّسخ التي اعتمد عليها ، ثم اختار الرواية التي أثبتناها ، لاتفاقها مع سياق الأبيات ، ولا سيما أن التحريف سهل بين « معمور » و « مثمور » — والمَضِيـع : مكان الضَّياع ، وأراد به الصحراء التي تاهوا فيهـا . والمَزْرَع : مصدر ميمي من زَرَع ، أي ليس بذي زَرْعٍ . والمعمور : الآهل بالسكان .

(٥) في مجموعتي ليدن ، وبيروت :

فعفاهــا عليهم غاديات وترى مزنهم خلايا وخورا

وقال الأستاذ محمود محمد شاكر محقق تفسير الطبري : « في المطبوعة « فعفاهـا »،وفي

١٩ عَسَلاً ناطِفاً وماءً فُراتاً ‌ ‌ ‌ ‌ وحَليباً ذا بَهْجَةٍ مَثْمُورا [١]

وفي الحيوان (٦ : ١٥٠) :

٢٠ أَرْسَلَ الذَّرَّ والجَرادَ عَلَيْهِمْ ‌ ‌ ‌ ‌ وسِنيناً فأَهْلَكَتْهُمْ ومُورا [٢]

المخطوطة « فسناها » وفي الديوان (يريد إحدى المجموعتين السابقتين) « فعفاها » ،ولا معنى لشيء منها ، فاستظهرت أن أقرأها من المخطوط « فنَسَاها »، أصلها « فَنَسَأَها » مهموزة ، كما قالوا بَرَأَ اللهُ الخَلْقَ وبراهم بطرح الهمزة ، ونَسَأَ الدابةَ والإبلَ يَنْسَؤها نَسْأً : زَجَرَها وساقها » — ونَسَأَها : الهاء للسحاب أو الغيوم ، أي ساقها عليهم . والغاديات : مفردها غادية ، وهي السحابة تَنْشأ غُدْوَةً . ومَرَى الناقةَ : مَسَح ضَرْعَها لتدر . والمُزْن : مفردها مُزْنَة ، وهي السحابة ذات المطر . والخلايا : مفردها خَلِيَّة ، وهي الناقة التي خُلِّيَتْ للحلب لكرمها وغزارة لبنها . والخَوَّارة : الناقة أو الشاة الغزيرة اللبن، وجَمْعُها خُورٌ على غير قياس .

(١) في مجموعتي ليدن ، وبيروت : « ذا بهجة ممرورا » . ورجح الأستاذ شاكر أن تكون في أصل المخطوط : « مثمورا » ، ثم قال : « ولم أجد « مثمورا » في كتب اللغة ، ولكن يقال : الثمير والثميرة : اللبن الذي ظهر زبده وتحبب . قال ابن شميل : إذا مخض رؤي عليه أمثال الحصف في الجلد ،ثم يجتمع فيصير زبدا ، وما دامت صغاراً فهو ثميرٌ . . فكأنه قال « مَثْمورا » ويعني « ثَميرا» لأن فعيلاً بمعنى مفعول هنا» — والناطف : القاطر . والفرات : أشدُّ الماء عذوبةً . والبهجة : حسن لون الشيء ونضارته .

(٢) في قصص الأنبياء : « وعذاباً فأهلكتهم دبورا » — وعليهم : الضمير لآل فرعون : لأن الله أهلكهم بالطوفان والجراد وما إليه . والسنين : مفردها سنة ، وهي عند

٢١ ذَكَرُ الذَّرِّ إِنَّهُ يَفعلُ الشَّرَّ ، وإِنَّ الجرادَ كانَ ثُبُورا [١]

وفي الحيوان ٤:٣٣٦ :

٢٢ ورِكِبَتْ بَيضَةُ البَيَاتِ عَلَيْهِمْ لم يُحِسُّوا منها سِواها نَذِيرا [٢]

وفي البدء والتاريخ (٣:٤٠ — ٤١) :

٢٣ كَثَمُودَ الَّتِي تَفتَّكَتِ الدِّينَ عِتيًا وأُمُّ سَقْبٍ عَقِيرا [٣]

الإطلاق السنة المجدبة . والمور : التراب تثيره الرياح . وفي سورة الأعراف : « ولقد أخذْنا آلَ فرعونَ بالسنينَ ونقصٍ من الثمرات لعلَّهم يذَّكَّرون » وفيها أيضاً : « فأرسلنا عليهم الطوفانَ والجرادَ والقُمَّل والضفادع والدمَ آياتٍ مُفصَّلاتٍ فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين » ٧:١٢٩ و ١٣٢ .

(١) الثُّبُور : الهلاك ، وصفه بالمصدر ، يريد أنه مُهْلِك .

(٢) البَيْضَة ، هنا : الشدة . والبيات : الاسم من قولهم بَيَّتَ القَوْمَ ، إذا أوقع بهم ليلاً وأخذهم بغتةً . والسرى : السير ليلاً .

(٣) في أخبار عبيد بن شرية :

وثمود الفتاك في الدين وفي ناقة ربي إذ غادروها عقيرا

وتفتَّكت : هنا بمعنى فَتَكت . والعِتِيُّ : مجاوزة الحد في التكبر والمعصية، من عتا يعتو عُتُوّاً وعِتِيًّا . والسَّقْب : ولد الناقة . وفي سورة الأعراف : « فعقروا الناقة وعَتَوْا عن أمر ربهم » ٧:٧٦ .

٢٤ ناقَــةٌ للإلـهِ تَسْرَحُ في الأرْ ضِ وتَنْتابُ حَولَ ماء مَديرا [١]

٢٥ فأتاهَـا أُحَيْمِرٌ كأخي السَّهْ مِ بِعَضْبٍ فقالَ كُوني عَقِيرا [٢]

٢٦ فأَبَتَّ العُرْقُوبَ والسَّاقَ مِنْهَا ومَضَى في صَمِيمِهِ مَكْسُورا [٣]

٢٧ فرأى السَّقْبُ أمَّـهُ فارَقَتْهُ بَعْدَ إلْفٍ حَنِيَّـةً وظَؤُورا [٤]

٢٨ فأتَى صَخْرَةً فقـامَ عَلَيْهـا صَعْقَةً في السَّماءِ تَعْلو الصُّخُورا [٥]

---

(١) في أخبار ابن شرية : « ترتع في الأرض » — وسَرَحتِ الماشيةُ : خرجَتْ إلى المرعى. وتَـنْتابُه : تقصده مرَّةً بعد أخرى . والمَدِير المَمْدُور ، والمَدْر : تطين وجه الحوض لسد ما بين حجارته لئلا ينشف . وفي سورة الشعراء : « قال هذه ناقة لهـا شِرْبٌ ولكم شِرْبُ يومٍ معلوم » ١٥٥:٢٦ .

(٢) في أخبار ابن شرية : « كـأخي السمع » — وأحَيْمِر : تصغير أحْمَر ، وهو لقب قُدَار بن سالف عـاقر الناقة . كأخي السهم : أي سريع كالسهم . والعضب : السيف القاطع .

(٣) في أخبار ابن شرية : « فأصاب العرقوب .. ومشت في دمائها مكسورا » وفيه تحريف — وبَتَّه وأبَتَّه : قطَعَه قطعـاً مستأصلا . والعُرْقوبُ : مِن رِجْل الدابـة بمنزلة الركبة في يدها ، وهو العَصَب الذي يضم ملتقى الوظيفين والساقين . والصميم : العظم الذي به قوام العضو ، كصميم الوظيف وصميم الساق .

(٤) في أخبـار ابن شرية : « خليّة و ظؤورا » ولعله تحريف — الإلْـف والأُلْـفة : الصداقة والمؤانسة . وناقة حَنِيَّة : حانِيَةٌ ، وهي الأم البَرَّة بولدها . والخلية من الإبل : التي خُلِّيت للحَلَب ، أو التي خَلَتْ عن ولدها ورَئِمَتْ ولدَ غيرها . وناقة ظؤور : ملازمة لولدها .

(٥) قـام : وقف . وفي سورة الذاريات : « فعتَوْا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون » ٥١:٤٤ ، وانظر سورة فصلت ٤١:١٣ .

٢٩ فَرَغا رَغْوَةً فكانَتْ عَلَيْهِمْ رَغْوَةُ السَّقْبِ دُمِّروا تَدْمِيرا [١]

٣٠ فأُصِيبُوا إلاّ الذُّرِيعَةَ فاتَتْ مِنْ جَوارِيهِمُ وكانَتْ جَرُورا [٢]

٣١ سِنْفَــةٌ أُرْسِلَتْ تُخَبِّرُ عَنْهُمْ أَهْلَ قُرْحٍ بِهَا قَدْ أَمْسَوا ثُغُورا [٣]

٣٢ فَسَقَوْها بَعْدَ الحَدِيثِ فَماتَتْ فانْتَهَى رِيُّهــا فوافَتْ حَفِيرا [٤]

---

(١) في أخبار ابن شرية : « وكانت عليهم دعوة الصقب صيحها تدميرا » تحريف — ورغا البعيرُ : صوَّت ، والرَّغوة : المَرَّة من الرُّغاء .

(٢) في أخبار ابن شرية : « من جوار لهم وكانت جزورا » وفيه تحريف — وقال ابن شرية في ثمود : « ومن شواهد أخبارهم يا أمير المؤمنين قول أمية بن أبي الصلت يذكر ثموداً والناقة وما أصابهم وأنه لم ينج إلاّ الذريعة بنت سلق حين ذهبت إلى قرح وموتها حين سُقيت عند فراغها من الخبر لما رأت من العــذاب الذي نزل بهم » . أخباره ٣٩٥ — وفاتت : نجت . والجرور ،هنا : المعانِدة ، من قولهم جَمَلٌ جَرُورٌ ، وهو الذي لا ينقاد ولا يكاد يتبع صاحبَه .

(٣) في أخبار شرية :

سبعــة أرسلت لتخبر عنهم أهــل قرح أتتهم تغــويرا

والتغوير : إتيان الغَوْر — والسِّنْفَة : وعــاء كلِّ ثَـمَرٍ ، وأراد ذلـك على التشبيه . وقرح : سوق وادي القرى ، وقيل بهذه القرية كان هلاك عاد . وثُـغُوراً ، قــال ياقوت : « أي متفرقين جافلين » معجم البلدان ٤ : ٥٤ .

(٤) في البدء والتاريخ :« فانتهى دبنا وأوفى حقيرا ». وفي مجموعتي ليدن،وبيروت: « وانتهى ربنــا وأوفى حقيرا » ولا معنى لذلك كله ، ممــا يدل على وجود تحريف واسع ، وصوابه عن أخبار ابن شرية .

(٣٢)

في الاتقان (١ : ١٥٩) :

١ لَمْ أُنَلْ مِنْهُمُ فَسِيطاً ولا زُبْـ ـداً ولا فُوفَـةً ولا قِطْمِيرا [١]

٢ أُرْكِسُوا في جَهَنَّمَ أَنَّهُمْ كَا نُوا عُتَاةً تقولُ إفْكاً وزُورا [٢]

وفي السيرة (٣ : ١١٩) :

٣ حَوْلَ شيطانِهِمْ أَبابيلُ رِبِّيْـ ـونَ شَدُّوا سِنَوَّراً مَدْسُورا [٣]

(١) في تفسير السيوطي : « لم أنل منهم بسطا ولا زبدا » تحريف — والفَسِيط : علاق ما بين قِمْع التمرة والنواة . والزُّبْد : ما خلص من اللبن إذا مُخِض . والفُوفَة والقِطْمِير : القشرة الرقيقة التي تكون على النواة .

(٢) في الإتقان : « كانوا عتاة يقولون كذباً وزورا » وفيه تحريف أخلّ بوزنه ، والصواب عن مجموعة بيروت . وفي تفسير الطبري ، وشفاء العليل ، وتفسير البحر المحيط :

وأُرْكِسُوا في حَمِيمِ النَّارِ أنـَّهُمُ كانوا عُصاةً وقالوا الإفْكَ والزُّورا

وهذا من « البسيط » والأبيات من « الخفيف » — والرَّكْس: قَلْبُ الشيء على رأسه. وأُركسوا : يريد سيُركسون يوم القيامة ، فعبر بالماضي عن المستقبل للتوكيد بأن ذلك حاصل لا محالة . والعُتَاة : مفردها العاتي ، وهو الشديد دخولاً في الفساد ، المتمرد الذي لا يقبل موعظة .

(٣) في السيرة: «حول شياطينهم »وفيه تحريف أخلّ بوزنه والصواب عن شولتهيس — والأبابيل : جماعة الطير أو الإبل واحدها إِبِّيل ، وأراد بها جماعة الناس . والرِّبِّيُّون مفردها رِبِّيٌّ ، وهو الحَبْر أو الكاهن . والسِّنَوَّرَ ، بكسر السين : فقارة عنق البعير ، وأراد البعيرَ نفسه . والمَدْسُور : مَفْعولٌ مِن دَسَر الجَذُورَ ، إذا دفعه وأكبّه عند النحر . والشيطان : أراد به الصنم .

(٣٣)

في الأضداد لابن الأنباري (٦٦)[١] :

١ الحَمْدُ لِلهِ الَّذي لَمْ يَتَّخِــذْ   وَلَداً وقَدَّر خَلْقَهُ تَقْــدِيرا[٢]

٢ وَعَنـا له وَجْهي وخَلْقي كُلـُّهُ   في الخَاشِعِينَ لِوَجْهِهِ مَشْكُورا[٣]

وفي مفاتيـح الغيب (٤:١٩٠) :

٣ وبِإِذْنِهِ سَجَدُوا لآدَمَ كُلُّـهُمْ   إلاَّ لَعِيناً خاطِئـاً مَدْحُورا[٤]

---

(١) الأبيات من الشعر المتهم .

(٢) في سورة الإسراء : « قل الحمدُ لله الذي لم يتـخذ ولَـداً » ١٧:١١١ ، وفي سورة الفرقان : « وخَلَـق كلَّ شيء فقدَّره تقديرا » ٢٥:٢ .

(٣) عنا : خضَع . وخَلْق الإنسان : الفطرة والهيئة التي خُلِق عليها . وفي سورة طه : « وعنت الوجوه للحي القيوم » ٢٠:١١١ ، وانظر سورة الأنعـام ٦:١٠٠ - ١٠٣ ، والكهف ١٨:٤ - ٥ ، ومريم ١٩:٨٩ - ٩٤ ، والأنبياء ٢١:٢٥ - ٢٩ .

(٤) المَدْحُور : المطرود . وفي سورة الأعراف : « ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلاّ إبليس لم يكن من الساجدين » الأعراف٧:١٠، وانظر البقرة ٢:٣٤ ، والإسراء ١٧:٦١ ، والكهف ١٨:٥٠ ، والحجر ١٥:٣٠ ، وطه ٢٠:١١٦ ، و ص ٣٨:٧٣ . وفي سورة الأعـراف : « قال اخرج منهـا مذؤوماً مدحوراً » ٧:١٧ . وفي سورة الحجر : « قال فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين» ١٥:٣٤ - ٣٥ ، وانظر سورة ص ٣٨:٧٧ - ٧٨ .

(٣٤)

في مجموعة بيروت (٣٧) [١] :

ولا يوم الحسابِ وكان يَوْمـــاً عَبوســاً في الشَّدائِدِ قَمْطَرِيرا [٢]

(٣٥)

في تاريخ الطبري (٢ : ٣١) :

إنَّ الصَّفِيَّ بْنَ النَّبيتِ مُمَلَّكاً أَعْلَى وأَجْوَدُ مِنْ هِرَقْلَ وقَيْصرا [٣]

(٣٦)

في تفسير السيوطي (٢ : ١٦٨) [٤] :

مَنْ يَطْمِسِ اللهُ عَيْنَيْهِ فَلَيْسَ لـه نُورٌ يُبِينُ بـه شَمْساً ولا قَمَرا [٥]

(١) البيت من الشعر المتهم ، ولم أقف على مصدره القديم .

(٢) اليوم العبوس : الشديد الذي يجعل الوجهَ يعبس . والقمطرير :الشديدالمُقبِّض ما بين العينين لشدته.وفي سورة الدهر: « إنّا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا »٧٦:١٠.

(٣) ذكر الطبري أن الصفي بن النبيت هو الجد الخامس والثلاثون لمعد،وهو الصفي ابن النبيت بن إسماعيل بن إبراهيم . قال الطبري : وهو أجود ملك رؤي على وجه الأرض .

(٤) البيت من الشعر المتهم .

(٥) في سورة يس : « ولو نشاء لطمسنـــا على أعينهم فاستبقوا الصِّراطَ فأنّى يُبْصِرون » ٣٦:٦٦ .

(٣٧)

في الشعر والشعراء (١٠٧) :

وأَبْـــدَتِ الثُّغْرورا [١]

(٣٨)

في الأغاني (٨ : ٤ — ٥) [٢] :

١ عَلِمَ ابنُ جُدْعانَ بْنِ عَمْـ ـرٍو أَنَّـــهُ يَوْمـــاً مُـدابِرْ [٣]

---

(١) قال ابن قتيبة : يريد الثغر . وذكر الأصفهاني أن أمية : « كان يُسمي اللهَ عزّ وجلّ في شعره السليطط ، وسماه في موضع آخر التغرور ، فقال : وأيده التغرور » الأغاني ٣ : ١٨٠ ، والتغرور : لا وجود له في اللغة ، فإن صحت رواية الأصفهاني فهو من الألفاظ الأعجمية في شعر أمية ،ويُحتمل أيضاً أن تكون رواية الأصفهاني محرفة عن رواية ابن قتيبة.

(٢) أضفتُ إلى رواية الأصفهـاني البيتين (٦ — ٧) من تاريخ ابن عساكر . وفي الأغاني : أن أمية دخل على عبد الله بن جدعان وهو يجود بنفسه ، فقال له أمية: كيف تجدك يا أبا زهير ؟ فقال عبد الله : إني لمدابر ، أي ذاهب . فقال أمية هذه الأبيات .

(٣) في التـاج (دبر) و (سفر) : « زعم ابن جدعان » . وفي اللسان (دبر) : « زعم .. أنني يوماً » . وفي اللسان (سفر) : « زعم.. أنه يوماً مسافر » وبهذه الرواية يحدث إيطـاء مع البيت التالي ، ممـا يدل على تحريفهـا — ومُدابر : مَيِّت ، من دابَرَ الرجـلُ وأَدْبَرَ ، إذا مات .

٢ ومُسافِرٌ سَفَـراً بَعِيـ ـداً لا يَؤوبُ بِـهِ المُسافِرْ [(١)]

٣ فَقُـدورُهُ بِفِنـائِـهِ لِلضَّيْفِ مُتْرَعَـةٌ زَواخِـرْ [(٢)]

٤ تَبْدُو الكُسُورُ مِنِ انْضِرا جِ الغَلْيِ فِيهـا والكَراكِرْ [(٣)]

٥ فكأَنَّهُنَّ بِمـا حَمِيـ ـنَ وما شُحِنَّ بِـهِ ضَرائِرْ [(٤)]

٦ وكأَنَّمـا يُدْعا عُرَيْـ ـنَةُ في طَوائِفِها وهَـاجِرْ [(٥)]

---

(١) في اللسان . والتاج (دبر) : « لايؤوب له المسافر » . وفي التاج (سفر) : « لا يؤوب له مسافر » . وفي تاريخ ابن عساكر : « لا يرى منه المسافر » .

(٢) في شرح المقامات : « وكأنها بفنائه » . وفي تاريخ ابن عساكر : « للضيف منزعة زواجر » تحريف — والضَّيْف : للجمع والمفرد ، وأراد بها الجمع . وزخَرَت القِدْرُ تَزْخَر زَخْراً : جاشت .

(٣) الكُسور : مفردها كَسْر ، وهو العضو أو العظم بما عليه من لحم . وانضراج الغلي : اتساعه . والكراكر : مفردها كِرْكِرَة ، وهي زَوْر البعير الذي إذا بَرَكَ أصابَ الأرضَ ، وهي ناتئة عن جسمه كالقُرْصَة .

(٤) في الأغاني : « وما شجين بها ضرائر » ، وقد لفّقنا التصحيح من رواية الشريشي ، ففي شرح المقامات الحريرية للشريشي :

وكأنهن بما شحـ ـن وما حمين بـه ضرائر

وفي تاريخ ابن عساكر : « فكأنهن إذا حمين بما سخن » تحريف — وشُحِنَّ : مُلِئْنَ .

(٥) عُرَيْنَة : حيٌّ من اليمن . وهاجر : قبيلة ، ضُبطت في اللسان بفتح الجيم ، وفي القاموس بكسرها . وقد عامل « عرينة » مرّةً بالتذكير على اسم الحيّ أو جدّ القبيلة فقال « يُدعا عرينة » ، ومرّةً بالتأنيث على اسم القبيلة فقال « طوائفها » .

٧ زَبَداً وغَرْغَرَةً كقَرْ   قَرَةِ الفُحُولِ إذا تُخاطِرْ [١]

٨ بَذَّ المعاشِرَ كُلَّها   بالفَضْلِ قَدْ عَلِمَ المعاشِرْ [٢]

٩ وعَلا عُلُوَّ الشَّمْسِ حَتَّى ما يُفاخِرُهُ مُفاخِرْ

١٠ دانت لَهُ أَبْناءُ فِهْ   ـرٍ مِنْ بَنِي كَعْبٍ وعَامِرْ [٣]

١١ أَنْتَ الجَوادُ ابْنُ الجَوَا   دِ بِكُمْ يُنافِرُ مَنْ يُنافِرْ [٤]

---

(١) الغَرْغَرة : صوت القِدْر إذا غلَتْ . وقَرقَرَ البعيرُ قَرْقَرةً : هَدَرَ. وتُخاطر : من خاطر بنفسه، إذا أشرف بها على الخَطَر ، وقد تكون هنا بمعنى تَخْطِر ، من خَطَرَ الفَحْلُ بذنبه ، إذا رفعه مَرَّةً بعد أخرى وضَرَبَ به ماظهرَ من فخذيه ، وذلك لنشاطه وخيلائه .

(٢) في تاريخ ابن عساكر : « بالفضل يعرفه المعاشر » — وبذَّ المعاشرَ : سبقَهم وغلبَهم .

(٣) فِهْر : قبيلةٌ ، وهي أصل قريش ، وهو فهر بن غالب بن النضر بن كنانة ، وقريش كلهم يُنسبون إليه . وكعب وعامر : من بطون قريش .

(٤) ينافر : يفاخر بحسبه ، والمنافرة : المحاكمة في الحسب ، كأن يفتخرَ الرجلان كلُّ واحد على صاحبه في النسب ثم يُحَكِّما بينهما رجلاً .

وفي تاريخ ابن عساكر (٣:١٢٣) :

١٢ آباؤكَ الشُّمُّ المَـرا جيحُ المَسَامِيحُ الأخايرْ (١)
١٣ وإذا تُشَـامُ بُروقُهـمْ جادَتْ أكُفُّهُمُ المَواطِرْ (٢)
١٤ لا يَحْتَـوِيهِمْ جـانِبٌ لِلمَحْلِ مِنْـهُ ولا مُجاوِرْ (٣)
١٥ قَـومٌ حُصُونُهُمُ الأَسِنَّـ ـةُ والأَعِنَّـةُ والبَواتِرْ (٤)
١٦ نَزَلُوا البِطَـاحَ وفُضِّلَتْ بِهِمُ البَواطِنُ والظَّواهِرْ (٥)

(١) الشُّمُّ : مفردها أشَمُّ ، وهو السيد ذو الأَنَفَة . والمراجيح : الحلماء ، من قولهم رَجَحَ في مجلسه يَرْجَحُ ، إذا ثَقُلَ فلم يَخِفّ ، وهم يصفون الحلمَ بالثقل كما يصفون ضدَّه بالخِفّة والعَجَل . والمساميح : الأجواد ، من السماحة وهي الجود . والأخاير : مفردها الأَخْيَر ، وهو الأفضل والأحسن .

(٢) في تاريخ ابن عساكر : « جارت أكفهم » تصحيف — وشامَ البَرْقَ : نظر إلى سحابته أين تُمْطر .

(٣) يحتويهم : يضمهم ويشملهم . والجانب ، هنا : الناحية . و « منه » : الضمير لعبد الله بن جدعان ، أي لا يشمل قومَه جانبٌ للمحل بسبب كثرة نواله وجوده .

(٤) في تاريخ ابن عساكر : « والأعنة والحوافر » ، والصواب عن مجموعة بيروت .

(٥) البِطاحُ : مفردها بَطْحَاء ، وهي مسيل واسع فيه دُقاق الحصَى ، وبه سُميت بِطاحُ مكة . والبواطن : أراد بها داخل مكة ، فهي خلاف الظواهر . وأمية بهذا البيت يجعل قومَ ابن جدعان أكرمَ أحياء قريش ، لأن قريشاً قسمان ، قريش البطاح ، وهم الذين ينزلون أباطحَ مكة ، وقريش الظواهر ، وهم الذين ينزلون ماحول مكة ، وأكرمها قريش البطاح ، قال الشاعر :

فلو شهدتني من قريش عصابَةٌ قريشِ البطاح لاقريشِ الظَّواهِرِ

(٣٩)

في شرح نهج البلاغة (١٥٤:١) :

فَحَلَلْتَ مِنْهـــا بالبِطـــا ح ِ وحَلَّ غيرُكَ بالظَّواهِرْ [١]

(٤٠)

في الاتقان (١٥١:١) [٢] :

يَظَلُّ يَشُبُّ كِـــيراً بَعْدَ كِيرٍ وينْفُخُ دَائِباً لَهَبَ الشُّواظِ [٣]

---

(١) في اللسان ، والتاج (ظهر) نُسب إلى الكميت بيتٌ مشابه :

فَحَللْتَ مُعْتَلِجَ البِطـا حِ وحَلَّ غَيْرُكَ بالظَّواهِرْ

ومُعْتَلِج البطاح : بَطْن مكة .

(٢) رواه السيوطي لأمية بن أبي الصلت ، وثمة بيت يماثله لأمية بن خلف ، انظر التخريج .

(٣) في تفسير السيوطي : « وينفخ دائماً » — ويَشُبُّ : يُوقد . والكِـــير : الزِقُّ الذي ينفخ فيه الحداد .والشُّواظ : اللهب الذي لا دخان فيه .

(٤١)

في بهجة المجالس (٢٠٢) :

١ إذا اكْتَسَبَ المالَ الفَتَى مِنْ وُجوهِهِ … وأَحْسَنَ تَدْبيراً له حِينَ يَجْمَعُ [١]

٢ ومَيَّزَ في إنْفاقِهِ بَيْنَ مُصْلِحٍ … مَعِيشَتَهُ فِيما يَضُرُّ ويَنْفَعُ

٣ وأَرْضَى بِهِ أَهْلَ الحُقوقِ ولم يُضِعْ … بِهِ الذُّخْرُ زاداً لِلَّتِي هِيَ أَنْفَعُ [٢]

٤ فذاكَ الفَتَى لا جامِعُ المالِ ذاخِراً … لأَوْلادِ سُوءٍ حَيْثُ حَلُّوا وأَوْضَعُوا [٣]

(٤٢)

في الأساس (٢:١٩٦) :

وتَحْتَ كَثِيفِ الماءِ في باطِنِ الثَّرَى … ملائِكَةٌ تَنْحَطُّ فيهِ وتَسْمَعُ [٤]

---

(١) من وجوهه : من طُرُقه المشروعة .

(٢) الذُّخْر : الادِّخار .

(٣) ذاخراً : مُدَّخراً . وأوضعوا : ساروا مسرعين .

(٤) أشرتُ في القصيدة (٨) إلى أن هذا البيت يتيم في الأساس ، وربما كان محرفاً عن البيت المنسوب إلى أمية :

ودون كثيف الماء في غامض الثرى … ملائكة تنحط فيه وتصعد

(٤٣)

في اللسان (أبه) :

إذْ آبَهتُهُمْ ولَمْ يَدرُوا بِفاحِشَةٍ وأَرْغَمتُهُمْ ولَمْ يَدرُوا بِما هَجَعُوا [1]

(٤٤)

في اللسان (عيط) :

نَحْنُ ثَقِيفٌ ، عِزُّنا مَنِيعُ أَعْيَطُ صَعْبُ المُرْتَقى رَفِيعُ [2]

(٤٥)

في السيرة (٣:٣٥)[3] :

١ عَيْنُ بَكّي بالمُسْبِلاتِ أَبا الحا رِثِ لا تَذْخَرِي عَلَى زَمَعَهْ [4]

---

(١) آبَهْتُهم : أعلمتُهم . والفاحشة : القبيح من القول والفعل . وهجعوا : ناموا ليلاً .

(٢) في الأساس : « نحن ثقيف ولنا منيع » على حذف الموصوف ، أي ولنا عزّ منيع — والمنيع :الذي لا يرومه أحد لقوته . والقَصْرُ الأَعْيَطُ: المنيف المرتفع ،وعِزٌ أعيط : كذلك على المثل . وثقيف : قوم أمية .

(٣) الأبيات في رثاء زمعة بن الأسود وقتلى بني أسد يوم بدر .

(٤) أسْبَلَ المَطَرُ والدمعُ : هطل بغزارة.ولا تذخري: لا تدّخري دمعاً .وأبو

٢ وعَقِيلَ بْنَ أَسْوَدٍ أَسدَ البَأْ ... سِ لِيَوْمِ الهِيَاجِ والدَّفْعَهْ (١)

٣ فَعَلَى مِثْلِ هُلْكِهِمْ خَوَتِ الجَوْ ... زاءُ ، لا خَانَةٌ ولا خَدَعَهْ (٢)

٤ وهُمُ الأُسْرَةُ الوَسِيطَةُ مِنْ كَعْ ... بٍ ، وفِيهِمْ كَذِرْوَةِ القَمَعَهْ (٣)

٥ أَنْبَتُوا مِنْ مَعاشِرٍ شَعَرَ الرَّأْ ... سِ وهُمْ أَلْحَقُوهُمُ المَنْعَهْ (٤)

٦ فَبَنُو عَمِّهِمْ إذا حَضَرَ البَأْ ... سُ عَلَيْهِمْ أَكْبادُهُمْ وَجِعَهْ

٧ وهُمُ المُطعِمونَ إذْ قَحِطَ القَطْ ... رُ وحالَتْ فلا تَرَى قَزَعَهْ (٥)

الحارث : لعله أراد به زمعة ، ولكن كنيته المعروفة أبو حكيمة ، وهو أحد رؤوس المشركين ، وقُتل يوم بدر .

(١) عقيل بن الأسود : أخو زمعة بن الأسود ، قُتل معه في بدر. والهياج: القتال. والبأس : الشدة في الحرب .

(٢) خَوَت : تَهدَّمت وسقطت . وخانَة : جمع خائن . وخَدَعَة : جمع خادع .

(٣) الوسيطة : الشريفة ، التي حلت وسط نسبهم أي أكرمه . وكعب : بطن من قريش . والقَمَعَة : أعلا السنام .

(٤) أنبتوا : وَلَدوا ، يقال : نَبَتَتْ لهم نابتَةٌ ، إذا نشأ فيهم صغار لحقوا الكبار وصاروا زيادة في العدد . وشعر الرأس : أراد مثله في الكثرة .

(٥) القَطْر : المَطَر . وحالت : أجدبت ، والضمير فيها للأرض المفهومة من السياق . والقَزَعَة : القِطْعَة من الغيم .

(٤٦)

في شرح المفضليات للأنباري (٣٠١) :

أَحلامُ صِبيانٍ إذا ما قُلِّدُوا سُخُباً فهُمْ يَتَعَلَّقونَ بِمَضْغِها [١]

(٤٧)

في المقاصد النحوية (٢ : ١٨٧) [٢] :

١ إقْتَرَبَ الوَعْدُ ، والقلوبُ إلى اللَّهْـ ـوِ وحُبُّ الحياةِ سائِقُها [٣]

٢ باتَتْ هُمُومِي تَسْرِي طَوارِقُها أُكُفُّ عَيْنِي والدَّمْعُ سابِقُها [٤]

٣ مِمَّا أتانِي مِنَ اليَقِينِ ولَمْ أُوتَ بَراةَ يَقُصُّ ناطِقُها [٥]

---

(١) في شرح المفضليات : « ويروى : فهم يتعللون بمضغها » — والأحلام : مفردها حِلْم ، وهو الأناة والعقل . والسُّخُب : مفردها سِخَاب ، وهو القلادة .

(٢) القصيدة من الشعر المتهم .

(٣) الوعد : يوم القيامة . و « إلى اللهو » : متعلقان بخبر محذوف ، والتقدير : والقلوب ماضية إلى اللهو .

(٤) في الإصابة : « والدموع سابقها » تحريف . وفي تاريخ ابن عساكر : « برى طوارقها .. ألفّ عيني » تحريف — والطوارق : مفردها طارقة ، وهي التي تأتي ليلا .

(٥) لم يرد هذا البيت في المقاصد وإنما أضفته بترتيبه عن البداية والنهاية ٢ : ٢٢٤ . وفي تاريخ ابن عساكر : « ولم أودّ يراه بعض ناطقها » تحريف — واليقين : أراد به العلم

٤ ما رَغْبةُ النَّفسِ في الحياةِ وإنْ عاشَتْ طَويلاً فالموْتُ لاحِقُها [١]

٥ يقودهـــا قائد إليــه ويحـ ـدوهـا حثيثاً إليـه قائدهـــا [٢]

٦ قَدْ أُنبِئَتْ أَنَّها تَعودُ كَمـــا كانَـ بَديـًا بالأَمسِ خالِقُها [٣]

٧ وأَنْـ ما جَمَعتْ وأَعْجَبَهـا مِنْ عَيْشِها مُرَّةٌ مُفارِقُهـــا [٤]

بالبعث والحساب وهو شيء مؤكد . والبراة : أراد بها البراءة ، أي لم يعط براءة تُخفِّف من همه ، لأنه واحد من الناس ، وعليه ماعليهم يوم الحساب .

(١) في المقاصد النحوية : « فالموت ذائقها » . وقد أثبتنا رواية كلٍّ من البلوي والدميري وابن منظور وابن عساكر وابن كثير وابن حجر ، لأن « ذائقهـــا » ستأتي في البيت (٨) وموضعها أثبَت منه في هذا الموضع . وفي حياة الحيوان: « ما أرغب النفس » . وفي الإصابة ، والبداية : « مارغّب .. وإن تحيا قليلا » . وفي ألف با :«ما أرغب .. وإن تحيا قليلا » .وفي أسد الغابة : « ما رغّبَ .. وإن تحيا قليلا فالموت سائقها » . وفي اللسان: « وإن تحيا قليلا » .وفي عيون الأخبار : « في البقاء وأن تحيا قليلاً والموت لاحقها » . وفي ذيل الأمالي:«ما لذة النفس..وإن عاشت قليلاً » . وفي الحماسة البصرية : « فإن تحيا قليلًا » .

(٢) لم يرد هذا البيت في المقاصد ،وإنما أثبتناه بترتيبه بعد البيت السابق عن ذيل الأمالي ٣٦ ، وعيون الأخبار ٢:٣٧٥ ، وبإضافته يصبح ثمة إيطاء مع البيت الأول .

(٣) في عيون الأخبار : « قد أيقنت أنها تصير كما كان يراها » — وبَديـّـاً : مُبتدِئاً .

(٤) في الحماسة البصرية : « وأعجبها من عيشة » .

٨ يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ   في بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوافِقُها [1]

٩ مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرِماً   أَلْمَوْتَ كَأْسٌ والمَرْءُ ذائِقُها [2]

---

(١) في تاريخ ابن عساكر ، والبداية والنهاية ، والإصابة ، وأسد الغابة ، وحياة الحيوان : « يوما على غرة يوافقها» . ورواه سيبويه وابن منظور كرواية العيني في المقاصد.

(٢) في التاج : « من لايمت » . وفي الإصابة ، وأسد الغابة ، والحماسة البصرية ، والأشباه والنظائر (٥٣٧ -أدب) ، وحياة الحيوان ، وشرح التبيان ، ومحاضرات الأدباء: « من لم يمت غبطة » . وفي تاريخ ابن عساكر : « إن لم يمت غبطة » . وفي البداية والنهاية : « إن لم تمت غبطةتمت» . وفي الكامل،والموشح، ومقاييس اللغة ، والحماسةالبصرية ،والصحاح، وشرح التبيان : « للموت كأس فالمرءذائقها ».وفيعيون الأخبار ، والعقدالفريد،والخزانة، والغرر والدرر ، والحماسة البصرية : « للموت كأس والمرء ذائقها » . وفي ذيل الأمالي : « للموت كأس لابد ذائقها » تحريف . وأشار اللسان والتاج إلى رواية « ألموت كأس » — ومات عبطة : مات شاباً ، وقيل : شاباً صحيحاً ، وانتصب على المصدر أي موتَ عبطة وموت هرم فحذف المضاف ، وإن شئت نصبتها على الحال ،أي ذا عبطة وذا هرم فحذف المضاف أيضاوأقام المضاف إليه مكانه .والكأس: الزجاجة مادام فيها الشراب،وقال ابن منظور:«قال أبو حاتم: الكأس الشراب بعينه وهو قول الأصمعي، وكان الأصمعي ينكر من روى بيت أمية « لِلْموتِ كأسٌ » وكان يرويه « ألموتُ كأسٌ » ويقطع ألف الوصل لأنها في أول النصف الثاني من البيت ، وذلك جائز . وكان أبو علي الفارسي ، يقول : هذا الذي أنكره الأصمعي غير منكر ، واستشهد على إضافة الكأس إلى الموت ببيت مهلهل ، وهو :

ما أُرَجّي بالعَيْشِ بعدَ نَدامَى   قد أراهُمْ سُقُوا بكَأْسِ حَلاقِ

وحَلاقِ : اسم المنية ، وقد أضاف الكأس إليها » اللسان (كأس) .

وفي تاريخ ابن عساكر (٣: ١٢٥):

١٠ تَعاهَدَتْ هَذِهِ القُلوبُ إذَا ... هَمَّتْ بِخَيْرٍ عاقَتْ عَوائِقُها [(١)]

١١ وَصَدَّها لِلشَّقاءِ عَنْ طَلَبِ الْ ... جَنَّـةِ دُنيا الإلٰهُ ما حِقُها [(٢)]

١٢ عَبْدٌ دَعَا نَفْسَهُ فعاتَبَها ... يَعْلَمُ أَنَّ البَصِيرَ رامِقُها [(٣)]

١٣ أَمَّنْ تَلَظَّى عَلَيْهِ واقِدَةُ النْ ... نارِ مُحِيطٌ بِهِمْ سُرادِقُها [(٤)]

---

(١) في عيون الأخبار، والتاج: «تعرف هذه القلوب حقاً إذا» تحريف — وعاقت عوائقها: أراد المبالغة في ذلك. وتعاهدت: تحالفت وتعاقدت، جعلها كذلك على المثل، لتَمَكُّنِ هذه العادة منها.

(٢) مَحَقَ الشيءَ يَمْحَقُه مَحقاً: أبطله ومحاه.

(٣) في تاريخ ابن عساكر، والبداية والنهاية: «يعلم أن الصَّبْرَ رامقها»، وهي رواية محرفة مختلفة الوزن، أبدلتها برواية عيون الأخبار — والرامق: فاعل من رَمَقَه ببصره، إذا أتبعه بَصَرَه ينظرُ إليه ويراقبه.

(٤) في تاريخ ابن عساكر: «عليه مواقده النار» ولا يستقيم بها الوزن، والصواب عن البداية والنهاية — وتَلَظَّى: تتَلظَّى. والسُّرادق: ما أحاط بالبناء ونحوه. وخبر «مَن» محذوف، والتقدير: أمَّن يحترق بالنار ويحيط به العذاب كمن يسكن الجنة. وهذا يشبه آية الزُّمر: «أمَّن هو قانت آناء الليل ساجداً أو قائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه. قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون» ٣٩: ٩. وفي سورة الكهف: «إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سُرادِقُها» ١٨: ٢٩.

١٤ أَمْ أُسكِنَ ٱلجَنَّةَ الَّتِي وُعِدَ الأَبْـ ـرارُ مَصْفُوفَـةٌ نَمَارِقُهـا [(١)]

١٥ لا يَسْتَوِي المَنزِلانِ ثَمَّ ولا الأَ عْمـالُ لا تَسْتَوِي طَرائِقُهـا [(٢)]

١٦ هُمـا فَرِيقانِ فِرْقَةٌ تَدْخُلُ الْـ ـجَنَّةَ حَفَّتْ بِهِمْ حَدائِقُهـا [(٣)]

١٧ وفِرْقَةٌ مِنْهُمُ قَدْ أُدْخِلَتِ النّـ ـارَ فَسَاءَتْهُمْ مَرافِقُهـا [(٤)]

---

(١) في مجموعتي ليدن ، وبيروت : « أم مَسْكِنُ » — قوله « أم أُسكن »: على حذف « من » ، أي أمَنْ أسكن . والنُّمْرُقَة : الوسادة ، والجمع نَمارِق . وفي سورة المطففين : « إن الأبرار لفي نعيم ، على الأرائك ينظرون» ٨٣: ٢٢ - ٢٣ . وفي سورة الغاشية : « فيها سرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة » ٨٨: ١٣ - ١٥ . وثمة آيات كثيرة في هذا المعنى .

(٢) المنزلان : أراد الجنة والنار . والطَّرائق : مفردها طريقة ، وهي هنا الحال ، يقال : فلان على طريقة حسنة وطريقة سيئة . وفي سورة الرعد : « قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور » ١٣: ١٧ ، وفي سورة الحشر : « لا يستوي أصحابُ النار وأصحابُ الجنّة ، أصحاب الجنة هم الفائزون » ٥٩ : ٢٠ .

(٣) في عيون الأخبار ورد هذا البيت مع البيت التالي على هذا النحو :

همـا فريقان فائز دَخَلَ الْـ ـجَنَّةَ حفت بـه حدائقُها

وفرقةٌ في الجحيم مع فِرَقِ الشَّيْـ ـطانِ يشقى بها مُرافِقُهـا

وحَفَّت : أحاطت .

(٤) لم تخل روايةٌ لهذا البيت من تحريف وخلل في الوزن ، ففي تاريخ ابن عساكر:

وفرقـة قـد أدخلت النـ ـار فشـانتهم مرافقها

وثمة سقط أو تحريف أدّى إلى خلل في الوزن . وفي البداية والنهاية :

(٤٨)

في محاضرة الأبرار (١ : ١١٤) [١] :

١ جَلَبْنَا النُّصْحَ تَحْمِلُهُ المَطَايَا عَلَى أَكْوَارِ أَجْمَالٍ ونُوقِ [٢]

وفرقـة منهم أدخلت النّـ ـار فسائتهم مرافقهـا

وفيه سقط أو تحريف أدّى إلى خلل في الوزن أيضاً . ولعلّ شولتهيس حاول أن يصلح البيت فوضع « في » بين معترضة زيادة على رواية ابن كثير ، فأصبح البيت عنده : « وفرقة منهم أدخلت في النار » ، ومع ذلك لم يستقم الوزن . ولهذا لفّقتُ من روايتي ابن كثير وابن عساكر ما أثبتُّه ، وهو أقرب مايكون إلى الصواب — وفي سورة الكهف « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمُهْلِ يشوي الوجوهَ ، بئس الشراب وساءت مُرْتَفقا » ١٨ : ٢٩ . ولعل الناظم لم يستطع إدخال « مرتفقا » فقلب المعنى إلى « المرافق » .

(١) رواها لأمية بن أبي الصلت ، وبعضهم يرويها لأمية بن عبد شمس .

(٢) في تاريخ ابن عساكر : « جلبنا النصح تحقبه المطايا » . وفي البداية والنهاية : « جلبنا النصح تحقبه » . وفي أخبار مكة : « جلبنا النصح تحقبها » . وفي الإكليل : « جلبنا المدح تجفيه المطايا » تحريف . وفي ملوك حمير : « المدح تحمله » . وفي الأغاني : « إلى أكوار » — والنُّصح : الخالص من كل شيء ، ولعله أراد به التهاني ، أو المديح . والأكوار : مفردها كُورٌ ، وهو الرَّحْل .

٢ مُغَلْغِلَةً مَرَافِقُهــا تَعَــالى   إلَى صَنْعــاءَ مِنْ فَجٍّ عَميقِ [(١)]

٣ تَـؤُمُّ بها ابْنَ ذِي يَزَنٍ وتَفْرِي   بُطونَ خِفافِهــا أُمَّ الطَّرِيقِ [(٢)]

٤ وتَلْمَحُ مِنْ مَخـايِلِهِ بُروقــاً   مُواصِــلَةَ الوَمِيضِ إلى بُروقِ [(٣)]

---

(١) في أخبار مكة ، وتاريخ ابن عساكر ، والبداية والنهاية : « مراتعها تعالى » ، وفي الإكليل : « مرابعها ترامى ». وفي ملوك حمير : « مرابقها تعالى ». وهذه الروايات قد اعتراها بعض التحريف. وفي أسد الغابة ، واللسان ، والتاج : « مغالقها تغالى » ، والمغالق : الإبل أصابتها قرحة تحت الأداة . وتَغالَى : تَتَغالى ، بمعنى تُسرع . وفي الأغاني : « مرافقها ثقالاً » – والمُغَلْغِلة : المسرعة ، من الغَلْغَلة ، وهي سرعة السير . والمرافق : مفردها مِرْفق ، وهو من الإنسان والدابة المفصلُ بين الساعد والعضد . وتعالى : أراد تتعالى ، أي تصعد . والفَجُّ : الطريق الواسع بين جبلين .

(٢) في الأغاني ، وتاريخ ابن عساكر ، والبداية ، والإكليل ، وأخبار مكة ، وملوك حمير : « تؤم بنا » . وفي الأغاني : « وتهدي مخاليها إلى أمم الطريق » . وفي تاريخ ابن عساكر : « ويعري بطون ذواتها أم الطريق » . وفي البداية : « وتغري بذات بطونها ذم الطريق » . وفي الإكليل : « وتفري بطونها ألم الطريق » . وفي أخبار مكة ، وملوك حمير : « وتفري ذوات بطونها أم الطريق » . وهذه الروايات لا تخلو من تحريف – وتفري: تَشُقّ . وأمُّ الطَّرِيقِ : أعظَمُها .

(٣) في الأغاني ، والبداية : « وترعى من مخايله » . وفي أخبار مكة : « وترعى من مخايلها بروقاً موافقة » . وفي ملوك حمير : « وترعى في مخايلها بروقا توافقه » . وفي تاريخ ابن عساكر : « وترعى من مخالبه عروقاً مواصلة الرميض » . وهذه الروايات جميعاً قد اعتراها تحريف كثير – والمخايل : مفردها مَخيلة ، وهي السحابة .

٥ فَلمّا واقَعَتْ صَنْعاءَ صَارَتْ   بِدارِ الْمُلْكِ والحسَبِ العَتِيقِ [١]

وفي ملوك حمير (١٥٥) [٢] :

٦ إلَى مَلِكٍ أَدَرَّ لنا العَطايا   بِحُسْنِ بَشاشَةِ الوَجْهِ الطَّلِيقِ

(٤٩)

في أساس البلاغة (٢: ٢١٩) :

١ دارُ قَوْمي في مَنْزِلٍ غَيْرِ ضَنْكٍ   مَنْ يُرِدْنا يَكُنْ لأوَّلِ فُوقِ [٣]

---

(١) في الأغاني ، والإكليل : « فلما وافقت » . وفي أخبار مكة : «ولما واقفت» . وفي تاريخ ابن عساكر : « فلما وافقت صنعاء حلّت » . وفي البداية والنهاية : « فلما واصلت صنعاء حلّت » . وفي الأغاني ، والإكليل ، وتاريخ ابن عساكر ، والبداية ، وأخبار مكة : « والحسب العريق » . وفي ملوك حمير : « إلى ذي المُلْك والحسب العريق » .

(٢) تفرَّد بروايته على هذا الترتيب بعد الأبيات السابقة ، وأنشد الأبيات الستة لأمية بن عبد شمس .

(٣) الضَّنْك : الضيِّق من كل شيء . والفُوق : موضع الوتر من السهم . وقال الزمخشري في الأساس : « وكان فلانٌ لأوَّل فُوقٍ ، أي لأوَّل مَرْمىً » .

وفي أساس البلاغة (١ : ٣٢١) :

٢ إنَّ وَجّاً وما يَلِي بَطْنَ وَجٍّ دارُ قَوْمي بِرَبْـوَةٍ ورُتُوقِ [١]

(٥٠)

في تفسير الطبري (٢ : ٤٨٩) :

١ يا نَفْسُ ما لَكِ دُونَ اللهِ مِنْ وَاقِ وما عَلَى حَدَثانِ الدَّهْرِ مِن بَاقِ [٢]

وفي المخصص (١٣ : ١٨) :

٢ وتَنْزِلِي في ذَرَى دَارٍ مُعَمَّـدَةٍ لِلْعُرْفِ عِنْدَ تِجَارٍ أَمْ أَسْواقِ [٣]

---

(١) في معجم ما استعجم :« دار قومي بريدة ورتوق » — ووَجّ :وادٍ بالطائف، وقيل : أرض بالطائف ، وقيل : هي الطائف نفسها . والربوة ، بتثليث الراء : ما ارتفع من الأرض . والرُّتوقُ : المَنَعةُ والعزُّ والشرف .

(٢) حَدَثان الدهر : نوائبه وما يحدث فيه .

(٣) الذَّرَى : كلُّ مـا استترتَ به ، وذَرَى الدارِ : كَنَفُها . والعُرْف والمعروف : الجود والعُرْف والمعروف أيضاً : ضد المنكر ، وهو كل ماتعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه . والتاجر : معروف ، والجمع تِجـار ، وتُجّـار ، وتَجْر . و « تنزلي » : حذفت النون لعطفها على مايوجب حذفها في أبيات ضائعة .

(٥١)

في روضة الأدب (٣٥) [١] :

١ كأنَّما الوَرْدُ الَّذِي نَشْرُهُ يَعْبَقُ من طِيبِ مَعانِيكا [٢]

٢ دِماءُ أَعْدائِكَ مَسْفُوكَةً قَدْ قابَلَتْ بِيضَ أَيادِيكا

(٥٢)

في الحيوان (٥ : ١٣٤) :

١ لا الغَيابَاتُ مُنْتَواكَ ولكِنْ في ذُرَى مُشْرِفِ القُصُورِ ثَوَاكا [٣]

---

(١) رواهما أبكاريوس لأمية بن أبي الصلت ، وقال : « وحَضَرَ مجلس بعض الرؤساء وبين يديه أطباق من الذهب ، وفيها ورد أبيض وأحمر ، فأمره بوصفه ، فقال : (البيتين) ». ولم نقف على مصدر قديم للبيتين ، ولا حدّد أبكاريوس مصدر روايته .

(٢) النشر : الريح الطيبة . ومعنى كل شيء : حالُه التي يصير إليها أمره ، وأراد بمعانيه أخلاقه وشمائله .

(٣) في الحيوان ١ : ٣٨٢ : « مشرف القصور ذراكا » — والغَيابات : مفردها غَيابَةٌ ، وهي ما انخفض من الأرض . والمنتوى : الموضع يقصده القومُ حين تحولهم من مكان إلى مكان . والثَّواءُ : الإقامة ، قصره لضرورة الشعر . وقال الجاحظ في نيران العرب : « ونار أخرى .. وهي من أعظم مفاخر العرب ، وهي التي تُرفع للسَّفْر ولِمَنْ يلتمس القِرَى ، فكلما كان موضعها أرفع كان أفخر ، وقال أمية : (البيت) » الحيوان ٥ : ١٣٤ .

وفي الحيوان (١ : ٦٤) :

٢ نَهراً جـارِياً وبَيتاً عَلِيًّا يعتري المعتفين فَضلُ نَداكا [١]

٣ في فَعالٍ مِن المَكارِمِ جَزلٍ لم تُعَلِّلْهُمُ بِلَقْطِ حصاكا [٢]

وفي أساس البلاغة (٢ : ٥٤٢) :

٤ لا نَخافُ المُحُولَ إنْ هَرِشَ الدَّهـ ـرُ ولا نَنْتَوِي لأَهلٍ سِواكا [٣]

---

(١) المُعْتَفونَ : مفردهم مُعْتَفٍ ، وهو من جاء يطلب فضلاً . واعتراه : أتاه طالباً معروفه ، وكان حق الشاعر أن يقول : يعتري المعتفون فَضْلَ نداكا ، ولكنه قَلَب للمبالغة .

(٢) في الحيوان : « في تراخ » ، وأثبتُّ رواية المعاني الكبير . وأشار محقق الحيوان إلى أنه في بعض النسخ : « لم تُعَلِّقْهمُ بلقط » . وفي المعاني الكبير ، وإحدى نسخ الحيوان : « لم تَعَلَّلْ لهم » — وعَلَّلَه بالشيء: شغله . والحصى : صغار الحجارة، الواحدة حَصاةٌ ، وأراد بها اليسير من العطاء .

(٣) هَرِشَ الدهرُ : اشتد . ونَنْتَوي : نقصد.

(٥٣)

في حماسة أبي تمام (٢٧٢) [١] :

١ غَذَوْتُكَ مَولوداً وعُلْتُكَ يافعاً ... تُعَلُّ بِما أُدْني عَلَيْكَ وتَنْهَلُ [٢]

٢ إذا لَيْلَةٌ نابَتْكَ بالشَّكْوِ لَمْ أَبِتْ ... لِشَكْواكَ إلاَّ ساهِراً أَتَمَلْمَلُ [٣]

٣ كأَنّي أَنا المَطْروقُ دُونَكَ بالَّذي ... طُرِقْتَ بهِ دُونِي وعَيْنِيَ تَهْمُلُ [٤]

---

(١) أنشدها أبو تمام لأمية بن أبي الصلت ، وقال التبريزي في شرح الحماسة : « ويُروى لابن عبد الأعلى ، وقيل هي لأبي العباس الأعمى » ٢:١٣٣ ، وأورد أبو عبيدة في كتاب العققة والبررة قصيدة مطولة لأبي عمران الأعمى تضمنت بعض أبيات هذه القصيدة، انظر التخريج ، وارجع إلى ماقلناه في بحث الاضطراب ص ١٦٥ وما بعدها .

(٢) في الحماسة البصرية : « غذيتك » تحريف . وفي الأغاني : « ومُنْتُكَ يافعاً » . وفي الأغاني ، وشرح المقامات الحريرية ، والتاج : « تعل بما أجني عليك » . وفي كتاب العققة : « بما أجني إليك » . وفي بهجة المجالس : « بما أسعى عليك » — واليافع : الشاب . وتُعَلُّ : من العَلَل ، وهو الشَّرْبة الثانية . وتَنْهَل : من النَّهَل وهو أوّل الشُّرب.

(٣) في الأغاني : « إذا ليلة آبتك » . وفي كتاب العققة : « إذا ليلة آبتك .. إلاّ خائفاً » وفي بهجة المجالس : « جاءتك بالشكو لم أكن بشكواك » . وفي شرح المقامات الحريرية : « ضافتك بالسقم لم أبت لسقمك » — ونابَتْ : أصابَتْ . وتَمَلْمَل الرَّجُلُ : تقلّب ، إن كان نائماً فعلى فراشه ، وإن كان جالساً فهو يتوكّأ مرّةً على هذا الشقّ ، ومرّة على ذاك ، ومرّة يجثو على ركبتيه .

(٤) في الأغاني ، والحماسة البصرية ، وديوان المعاني ، وبهجة المجالس : « فعيني تهمل » . وفي شرح المقامات الحريرية : « فعيناي » — والمطروق : مفعولٌ من طَرَقه ، إذا أتاه ليلاً . وتهمل : تفيض بالدمع وتسيل .

٤ تَخافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وإِنَّها ... لَتَعْلَمُ أَنَّ الموتَ حَتْمٌ مُؤَجَّلُ [(١)]

٥ فلمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ والغـــايَةَ الَّتي ... إِلَيْها مَدَى ما كُنْتُ فِيكَ أُؤَمِّلُ [(٢)]

٦ جَعلْتَ جَزائِي مِنْكَ جَبْهاً وغِلْظَةً ... كأَنَّكَ أَنتَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ [(٣)]

٧ فَلَيْتَكَ إِذْ لم تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتي ... فَعلْتَ كما الجارُ المجاوِرُ يَفْعَلُ [(٤)]

٨ [زَعَمْتَ بأَنِّي قد كَبِرْتُ وعِبْتَني ... ولم يَمْضِ لي في السِّنِّ سِتُّونَ كُمَّلُ] [(٥)]

---

(١) في الأغاني : « وإني لأعلم أن الموت حتم » . وفي كتاب العققـــة ، وشرح المقامات الحريرية ، وبهجة المجالس : « وإنها لتعلم أن الموت وقت » — والحَتْم : القضاء. والمُؤَجَّل : الذي حُدِّد أجَلُه ، أي مُدَّتُه .

(٢) في كتاب العققة : « في الغاية التي » .

(٣) في الأغـــاني ، وشرح المقامات الحريرية ، وبهجة المجالس : « جعلت جزائي غلظة وفظاظة » . وفي كتاب العققة : « المنعم المتطول » — والجَبْهُ : الاستقبـــال بالمكروه . والغلظة : الشِّدَّة والاستطالة والعداوة . والفظاظة : خشونة الطبع أو الكلام .

(٤) في بهجة المجالس ، وكتاب العققة : « كما يفعل الجارُ المجاور تَفْعَلُ » .

(٥) أنشد المستشرق بَوَر Power في مقالته (P. 150) ستة أبيات لأمية ، عزاها إلى مخطوطة الحماسة ، ولم يحدد صفة هذه المخطوطة أو مكانهـــا أو موضع الأبيات منها ، وأورد الأبيات على هذا النحو :

زَعَمْتَ أَنِّي قد كَبِرْتُ وعِبْتَني ... ولم يَمْضِ لي في السِّنِّ سِتُّونَ كُمَّلُ

٩ وسَمَّيْتَني باسْمِ المُفَنَّدِ رَأْيُهُ ... وفي رأيكَ التَّفْنيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ[١]

١٠ [تُراقِبُ مِنِّي عَثْرَةً أَو تَنالُها ... هَبِلْتَ وهذا مِنْكَ رَأْيٌ مُضَلَّلُ[٢]

١١ وإنَّكَ إذْ تُبْقِي لِحامِي مُوالِئلاً ... بِرَأْيِكَ شاباً مَرَّةً لَمُغَفَّلُ[٣]

وَسمَّيْتَني باسم المُفَنَّدِ رأيُهُ ... وقلْتَ ولم يصدق أنَّكَ أفضَلُ

تُراقِبُ مِنِّي عثرةً أو تنالها ... هَبِلْتَ وهذا مِنكَ رأيٌ مُضلَّلُ

وإنَّكَ إذْ تُبْقِي لِحامِي مَوائلا ... بِرأيِكَ شابّاً مرّةً لمُغفَّلُ

وما صولةُ الحقِّ الضَّئيلِ وخطرُه ... إذا خَطَرَتْ يوماً قَسَاوِرُ بُزَّلُ

تراه مُعِدّاً للخلاف كأنَّهُ ... بِرَدٍّ على أهلِ الصَّوابِ مُوَكَّلُ

وثمة تحريف أخل بالوزن في البيتين الأول والثاني ، ويمكن تصحيح الأول بـ « زعمت بأني » ، والثاني بـ « ولم يصدق بأنك » . وقد أثبتُّ أربعة أبيات منها بين أقواس ، لأنها لم ترد في الحماسة المطبوعة .

(١) ورد عجز البيت في كتاب العققة : « ولم تمض لي في السن ستون كُمَّلُ » — والفَنَدُ : الخَرَف وإنكار العقل من مرض أو هرم . و « لو » : للتمني بمعنى « ليت » .

(٢) العَثْرَة : الذَّلَّةُ . وهَبِلْتَ : ثَكِلْتَ ، يقال : هَبِلَتْكَ أُمُّك ، يقال ذماً كما في البيت ، أو يقال في معنى المدح والإعجاب .

(٣) اللِّحامُ : جمعُ اللَّحْم ، وفلانٌ يأكلُ لحومَ الناسِ ، أي يغتابهم . وقوله « برأيك شابّاً » : فيه ثِقَلٌ يُحتمل معه التحريف عن « شَبّاً » ، وهما بمعنى واحد .

١٢ وما صَوْلَةُ الحِقِّ الضَّئِيلِ وخَطْرُهُ   إذا خَطَرَتْ يوماً قَساوِرُ بُزَّلُ] [١]

١٣ تَرَاهُ مُعِدّاً للخلافِ كأنَّهُ   بِرَدٍّ على أهْلِ الصَّوابِ مُوَكَّلُ [٢]

وفي كتاب سيبويه (١ : ٤٣٩) :

١٤ ولكِنَّ مَنْ لا يَلْقَ أمْراً يَنوبُهُ   بِعُدَّتِهِ يَنْزِلْ بِهِ وَهْوَ أعْزَلُ [٣]

---

(١) في كتاب العققة : « وما خطرة الحقّ الضئيل وصوله » — وصالَ البعيرُ على الإبل : واثبها وقاتلها . والحِقُّ : من أولاد الإبلِ الذي بلَغَ أن يُركَبَ ويُحمَل عليه . وخَطَرَ الفَحلُ بذنبه يَخْطِرُ خَطْراً : ضَرَبَ به على فخذيه عند الوعيد من الخيلاء . والقساوِرُ : مفردها قَسْوَرٌ ، وهو من الإبل القوي الشديد . والبُزَّل : مفردها بازِلٌ ، وهو البعير المُسِنُّ .

(٢) مُعِدّاً : حُذِفَ مفعولها ، أي مُعِدّاً نَفْسَه .

(٣) يَنوبُهُ : يُصيبه وينزل به . والعُدَّة : ما تُعِدُّه من مالٍ وسلاح . وقد استشهد سيبويه بهذا البيت على إضمار منصوب « لكنَّ » ، وبقاء « مَنْ » للشرط لأن الشرط لايعمل فيه ما قبله ، وجَزْم « ينزلْ » في الجواب .

(٥٤)

في ديوان الحطيئة (٥٨) [١] :

١ إنَّ عَمْراً ومــا تَجَشَّمَ عَمْرٌو كَابْنِ بِيضٍ غَداةَ سُدَّ السَّبِيلُ [٢]

٢ لم يَجِدْ غالِبٌ وَراءَكَ مَعْــدًى لِتِراتٍ ولا دَمٌ مَطْــلولُ [٣]

---

(١) تُروى الأبيات للحطيئة ، وتروى لأمية بن أبي الصلت ، وفي ديوان الحطيئـــة إشارة إلى الروايتين معاً .

(٢) عمرو : جَدُّ عبد الله بن جدعان . وابن بيض : قال صاحب القاموس : « وابن بِيضٍ وقد يفتح ، أو هو وهم للجوهري ، تاجر مكثر من عاد عَقَرَ ناقتَه على ثَنِيَّة فسدَّ بها الطريق ومنع الناس من سلوكها » . وأورده الميداني بالفتح « سدَّ ابنُ بَيْض الطريق » ، ثم قال : « ويروى ابنُ بِيضٍ ، بكسر الباء » مجمع الأمثال ١:٣٢٨. وفي ديوان الحطيئة: « وابنُ بِيض : رجل من العماليق ، وكان بِيض يؤدي في كل سنة إلى لقمانَ بن عاد جَعالةً جعلها له . فلما حضرت بِيضاً الوفاةُ ، قال لابنه : إنه لاخير لك في جوار لقمان ، فإذا أنت واريتني فاحتَمِلْ والحقْ بقومك ،وضعْ في الثَّنِيَّة التي على طريقكَ ما كنتُ أعطيه في كل سنة ، فإنه سيتبعك ، فإذا رآه فإنْ أخذه وانصرف عنك فذاك الذي تريد ، فإن أبي أخَذَه اللهُ ببغيه . فلما دفَنَ بِيضاً ارتحل بماله وأهله ، حتى أتى الثَّنِيَّةَ ،فوضع للقمان فيه ما كان يدفع إليه . فلما جاء لقمان فأصابه ، قال : « سَدَّ المخاطبة ابنُ بِيض » فأرسلها مَثَلاً ، وأخذه وانصرف إلى أهله » .

(٣) في ديوان الحطيئة : « لم تجد غالب وراءك معدى لِتُراثٍ » وأثبتُ رواية بشير يموت — وغالب هنا : بمعنى مغلوب ، فهو شبيه بقول الحطيئة « فاقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي » ، أي المطعوم المَكْسُوُّ. والمَعْدَى : موضع العَـــدْو . والتِّراتُ : مفردها تِرَة ، وهي الثأر . والمطلول : المهدور .

٣ كُلُّ أمرٍ يَنُوبُ عَبساً جَميعاً ... أنتَ فيهِ المُطاعُ فيما تَقُولُ [١]

٤ قَدْ تَحمَّلتَ خيرَ ذاكَ وَليداً ... أنتَ للصَّالحاتِ قِدْماً فَعُولُ

(٥٥)

في مقالة بور (١٥٣) [٢] :

١ أَبُوكَ رَبيعَــةُ الخَيْرُ بْنُ قُرطٍ ... وأَنْتَ المَرْءُ تَفعَلُ ما تَقُولُ [٣]

٢ أَشَمُّ كأنَّما حَدِبَتْ عَلَيْــهِ ... بَنُو الأَمْلاكِ تَكْنُفُها القُيُولُ [٤]

---

(١) ينوب : ينزل .

(٢) Power : M.F.O.v(1912) , p. 153

ونقل الأبيات عن دورية جمعيـة العلوم الشرقية Z.D.M.G.,74,164 ولم يتهيأ لي الاطلاع على المجلد (٤٧) من هذه الدورية .

(٣) الأبيات في المديح ، ولم أقف على ربيعة بن قرط هذا ، وقُرْط : أحد بطون بني كلاب .

(٤) الشمم : ارتفاع قصبة الأنف معاستواء أعلاه ، ومنه رَجُلٌ أشَمُّ ، وأشَمُّ الأنفِ ، كناية عن الرفعة والعلو وشرف النفس . والأملاك : جمع مَلِك . وتكنفها : تحوطها وترعاها . والقيول : جمع قَيْل ، وهو المَلِك من ملوك حمير .

٣ تَصُدُّ مَناكِبَ الأعداءِ عَنكُمْ كَراكِرُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ حُلُولُ[1]

٤ كَراكِرُ لا يَبِيدُ العِزُّ فِيهَا ولكِنَّ العَزِيزَ بِها ذَلِيلُ

(٥٦)

في جامع بيان العلم (١ : ٨٨) :

لا يَذْهَبَنَّ بِكَ التَّفرِيطُ مُنتَظِراً طُولَ الأَناةِ ولا يَطمَحْ بِكَ العَجَلُ[2]

فَقَدْ يَزِيدُ السُّؤالُ المَرءَ تَجرِبَةً ويَستَرِيحُ إلى الأَخبارِ مَنْ يَسَلُ

(٥٧)

في جامع بيان العلم (١ : ٨٣) :

إنَّ الغُلامَ مُطيعٌ من يُؤَدِّبُهُ ولا يُطيعُكَ كَهْلٌ حِينَ يَكْتَهِلُ

---

(١) الكراكر : كراديس الخيل ، أو الجماعات من الناس ، المفرد كِرْكِرَة .
وحُلُولٌ بالمكان : نازلون فيه .

(٢) ذهب به : قضى عليه . وفرّط في الشيء تفريطاً : ضيّعه وقصّر فيه حتى فات . وطَمَح به : ذَهَب به .

(٥٨)

في تفسير الطبري (١٦ : ٣٦ طبعة البابي الحلبي) :

كانَتْ مَنازِلُهُمْ إذْ ذاكَ ظاهِرَةً　　فيها الفَرادِيسُ والفومانُ والبَصَلُ[١]

(٥٩)

في اللسان (ثلل) :

له نَفَيانٌ يَحْفِشُ الأُكْمَ وَقْعُهُ　　تَرَى التُّرْبَ مِنْهُ مائِراً يَتَثَلَّلُ[٢]

---

(١) في اللسان ، والتاج : « كانت لهم جنة إذ ذلك ظاهرة » ، وثمة إشارة فيها إلى رواية أخرى : « فيها الفراريس » . وفي تفسير البحر المحيط ٦ : ١٦٨ : « فيها الفراديس ثم الفوم والبصل » . وأنشده كرواية الطبري في ١ : ٢١٩ — والفراديس : البساتين، الواحد فردوس . والفراريس : البَصَل . والفومان : مفردها فُوم ، وهو الحنطة أو السنابل .

(٢) نفيان السحاب : ما نَفَتْهُ السحابةُ من مائها فأسالته . والأَكَمَة : الرابية ، والجمع أَكَمٌ وأُكْمٌ ، وسكّن لأنه ثلاثي ، ومثله جائز في الشعر . وحَفَشَ السَّيْلُ الأَكَمَ : أسالها ، وحفَشَ الوادي يَحْفِشُه حَفْشاً : ملأه . ووَقْعُه : نُزوله بشدّة . ومارَ الشيءُ ، فهو مائرٌ : تحرّك وماج . وتَثَلَّلَ التُّرابُ : مار فذهب وجاء . والبيت في وصف المطر .

(٦٠)

في اللسان (حزجل) :

أَداحَيتَ بالرِّجلَينِ رِجلاً تُغيرُها ... لِتَجنَى وأَمطُ دونَ الأُخرَى وحَزجَل[١]

(٦١)

في تفسير الطبري (٢ : ٤٥٤)[٢] :

يَدعونَ بالوَيلِ فيها لا خَلاقَ لَهُمْ ... إلاّ سَرابيلُ مِنْ قِطرٍ وأغلالُ[٣]

---

(١) داحَيتَ : فاعَلتَ من دحا الحجرَ بيده ، إذا رمى به ودفعَه ، ودحا المطرُ الحصى عن وجه الأرض ، إذا نزعَه . وتُغيرها : أراد تُغَيِّرها ، بمعنى تُحوِّلها . والأُخرى : أراد الأُخرى ، فحذف الهمزة وألقى حركتها على ماقبلها . وحَزجل : بلدٌ كما في اللسان والقاموس . وتَجنَى وأمطُ : يبدو أنها موضعان ، ولم ترد هذه المواضع الثلاثة في معجم البلدان لياقوت أو معجم ما استعجم للبكري .

(٢) البيت من الشعر المتهم .

(٣) الوَيل : الهلاك ، ودعا بالويل : قال « يا ويلي » ، ومعنى النداء فيه ياهلاكي ياعذابي للندب . والخلاق : النصيب . والسَّرابيل : مفردها سِربال ، وهو القميص ، أو كلُّ ما يُلبس . والقِطر : النحاس الذائب . و فيها : الضمير لجهنم المفهومة من الكلام . وفي سورة الأنبياء : «قالوا:ياويلنا إنّا كنّا ظالمين » ٢١ : ١٤٠ ، وانظر الصافات ٣٧ : ٢٠ ، والقلم ٦٨ : ٣١ . وفي البقرة : « فمن الناس من يقول ربّنا آتنا في الدنيا ، وماله في الآخرة من خَلاق » ٢ : ٢٠٠ . وفي إبراهيم : « سرابيلهم من قِطران وتغشى وجوهَهم النار » ١٤ : ٥٠ ، وقرأها ابن عباس : « من قِطرٍ آنٍ » ، أي من نحاس انتهى حرُّه .

(٦٢)

في نهاية الأرب (١٠:٢٧٨) [1] :

١ سَمِعَ اللهُ لابْنِ آدَمَ نُوحٍ رَبُّنا ذو الجَلالِ والإفْضالِ
٢ حِينَ أَوْفَى بِذي الحَمامَةِ والنَّا سُ جَميعاً في فُلْكِهِ كَالْعِيالِ [2]
٣ حابِساً جَوْفُهُ عَلَيْهِ رَسُولاً مِن خِفافِ الحَمامِ كالتِّمْثالِ
٤ فَرَشاها عَلى الرِّسالَةِ طَوْقاً وخِضاباً عَلامَةً غَيْرَ بالِ [3]
٥ فَأَتَتْهُ بالصِّدْقِ لَمَّا رَشاها وبِقِطْفٍ لَمَّا غَدا عِثْكالِ [4]

وفي أساس البلاغة (١:٨٢) :

٦ فَهْيَ تَجْرِي فِيهِ وتَجْتَسِرُ البَحْ رَ بأقْلاعِها كَقِدْحِ المُغالي [5]

---

(١) القصيدة من الشعر المتهم .

(٢) أوفى : هنا بمعنى وَفَى ، والوفاء نقيض الغدر . وأراد بذي الحمامة : عَهْدَ نوح لها بالطَّوق إن وَجَدَت اليابسةَ . وعِيالُ الرَّجُلِ : الذين يتكفل بهم من زوجة وأطفال وسواهم .

(٣) الطَّوْق : حَلْيٌ يُجعل في العُنُق ، وأشار بذلك إلى مايُرى في عُنُق الحمامة شِبْهَ الطوق .

(٤) القِطْفُ : كلُّ ما يُقْطف . والعِثْكال : العِذْق بشماريخه ، وهو من النخل بمنزلة العُنْقود من الكَرْم .

(٥) اجتسر : مضى في جرأة وإقدام . واجتسرت السفينةُ البحرَ : عبرته . وقِلْعُ السفينة : شراعُها . والقِدْح: السهم . والمغالي بالسهم : الذي يرفع يدَه ، يريدبه أقصى الغاية .

وفي الحيوان (٧ : ٢٠٩) :

٧ تَصْرُخُ الطَّيْرُ والبَرِيَّةُ فِيهـا مَعْ قَوِيِّ السِّباعِ والأَفْيالِ [١]

٨ حِينَ فِيها مِن كُلِّ ماعاشَ زَوْجٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ غَوارِبٍ كالجِبالِ [٢]

وفي تاريخ الطبري (١ : ٣٩٥) [٣] :

٩ ولإبْراهِيمَ المُـوَفِّي بالنَّـذْ رِ احْتِساباً وحامِلِ الأَجْذالِ [٤]

---

(١) البَرِيَّة : الخَلْق . وفيها : الضمير للسفينة .

(٢) غوارب الماء : أعلى موجه ، مفرها غارب ، وهو من كلِّ شيء أعلاه . وقوله « بين ظَهْرَيْ غواربٍ » معناه في وَسَطِها ، يقال : هو نازل بين ظَهْرَيْهم ، ومعناه أن ظهراً منهم أمامه وظهراً وراءه فهو مكنوف من جانبيه ، وكل ما كان وَسَطَ شيء ومُعْظَمِه فهو بين ظَهْرَيْه .

(٣) أضفتُ إلى رواية الطبري الأبيات (١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦) من الخزانة للبغدادي ، والبيت (١٨) من البدء والتاريخ للمقدسي ، ولم يرو الطبري هذه الأبيات الخمسة .

(٤) في تاريخ الطبري : « وحامل الأحدال» تصحيف صوابه عن البدء والتاريخ. وفي قصص الأنبياء « الموفي بنذر .. وحامل الأجزال » — والنَّذْر : أراد ما نذره إبراهيمُ من ذبح ابنه . واحتساباً : طلبا لوجه الله وثوابه . والأجذال : مفردها جِذْل ، وهو ما عَظُم من أصول الشَّجَر المُقَطَّع . والأجزال : مفردها جَزْل ، وهو ما عظم من الحطب ويبس ، ثم كثر استعماله حتى صار لكل ما كثر وعظم . و « لإبراهيم »: متعلقان بفعل محذوف « وانظر لإبراهيم » . وفي سورة البقرة : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربه بكلمات فأتمهن » ٢ : ١٢٤ ، وتقدير الآية « واذكرْ إذ ابتلى » ، وهذا الحذف كثير في أسلوب القرآن . وفي سورة النجم : « وإبراهيم الذي وَفَّى » ٥٣ : ٣٧ ، قيل في تفسيره:

١٠ بِكْرَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَصْبِرَ عَنْهُ   لَوْ رآهُ فِي مَعْشَرٍ أَقْتَالِ [١]

١١ أَبُنَيَّ إِنِّي نَذَرْتُكَ لِلّـ   ـهِ شَحِيطاً فاصْبِرْ فِدًى لَكَ حالي [٢]

الذي تَمَّمَ ما أُمِرَ به . والأبيات أشبه بنظم لرؤيا إبراهيم وذبح ابنه كما جاءت في كتب التفسير حول آيات سورة الصافات : « فبشرناه بغلام حليم ، فلما بَلَغَ معه السَّعْيَ قال : يابنيَّ إني أرى في المنام أني أذبحك ، فانظر ماذا ترى ، قال : يا أبَتِ افْعَلْ ما تؤمر ، ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلمّا أسْلَما وتَلَّهُ للجَبين ، وناديناه أن يا إبراهيم ، قد صَدَّقْتَ الرؤيا ، إنّا كذلك نجزي المحسنين ، إنْ هذا لَهُوَ البَلاءُ المُبين ، وفَدَيْناه بِذِبْحٍ عظيم » ٣٧ . ١٠١ – ١٠٧ .

(١) في تاريخ الطبري : « أو يراه » ، وأثبتُّ رواية الثعلبي في قصص الأنبياء : «لو رآه » – بكره : بكر إبراهيم ، وكان وُلِدَ له على كِبَرٍ إسماعيلُ وإسحق ، وثمة خلاف حول الذبيح منهما ، وأكثرهم على أنه إسماعيل عليه السلام ،قال ابن القيم الجوزي: « وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصّحابة والتابعين وَمن بعدَهم، وأمّا القول بأنه إسحق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً » زاد المعاد ١:١٥ . والمعشر: الجماعة . والأقتال : مفردها قِتْل ، وهو العَدُوُّ .

(٢) في تاريخ الطبري : « أبني إنني قد نذرتك » وهي مختلّة الوزن ، ولذلك أثبتُّ رواية البدء والتاريخ . وفي البدء : « لله سحيطا » . وفي الخزانة :« يابني إني نذرتك .. فاصبر فدأ لك خالي » – وشحيطاً : ذبيحاً ، مِن شَحَطه يَشْحَطُه شَحْطاً وَسحَطه : ذبَحَه ، قال ابن سيده : والسين أعلى .

١٢ فأجابَ الغُلامُ أَنْ قالَ فِيـهِ　　كُلُّ شَيْءٍ لِلّهِ غَيـرُ انْتِحالِ (١)

١٣ أَبَتِي إِنَّنِي جَزَيْتُكَ بِـاللّـ　　ـهِ تَقِيّاً بِـهِ عَلى كُلِّ حالِ (٢)

١٤ فَاقْضِ مَاقَدْ نَذَرْتَ لِلّهِ واكْفُفْ　　عَنْ دَمِي أَنْ يَمَسَّهُ سِرْبالِي (٣)

١٥ واشْدُدِ الصَّفْدَ لا أَحِيدَ عَنِ السّكِّـ　　ـينِ حَيْدَ الأَسِيرِ ذِي الأَغْلالِ (٤)

١٦ إِنَّني آلَمُ المَحَـزَّ وإِنِّي　　لاأَمَسُّ الأَذْقَانَ ذاتَ السِّبالِ (٥)

---

(١) في الخزانة : « فأجاب الغلام ان قال كل شيء » وفيها خلل في الوزن دعا مصححَ الخزانـة (بولاق) إلى القول في حاشية جانبية : « هكذا بالأصل والشطر ليس بموزون كما لا يخفى ، ولعل الساقط (هيا) بعد قال » . وقد أثبتُّ رواية البدء والتاريخ : « أن قال فِيهِ » — وفيه : الضمير للنذر أو للخطب المفهوم من الكلام . والانتحال : الادعاء والكذب .

(٢) قال محمد بن حبيب : « قوله جزيتك بالله : معناه أطعتك بالله » خزانة بولاق ٢ : ٥٤٣ .

(٣) السربال : القميص ، وقيل كلُّ مالُبِسَ فهو سِرْبال .

(٤) في الخزانة : « واشدد الصفد أن أَحِيدَ » . وفي قصص الأنبياء :

واشدد العضد عنـد جبذي للسكّـين جبذ الأسير للأغلال

وفيه تحريف كثير — والصَّفْد : ما يوثق به من حَبْل أو غُلٍّ . ولعله خصَّ الأسيرَ ذا الأغلال ، لأنه لم يُحكِمْ وَثاقَه ، فإذا ضُربت عنقه ربما حاد فأصابته الضربة في غير موضعها .

(٥) السِّبال : مفردها سَبَلَةٌ ، وهي ما على الذقن إلى طرف اللحية من الشعر ، وقيل : هي مقدم اللحية خاصة . وقوله لا أمس الأذقـان : أي لا أمس ذقني ، بمعنى لا أَجْزَع ولا أمنعك .

١٧ ولَهُ مُدْيَةٌ تَخايَــلُ فِي اللَّحْ ... مِ هُذَامٌ حَنِيَّةٌ كالهِــلالِ [١]

١٨ جَعَلَ اللهُ جِيدَهُ مِنْ نُحَــاسٍ ... إذ رآهُ زَوْلاً مِنَ الأزْوالِ [٢]

١٩ بَيْنَما يَخْلَعُ السَّرابِيلَ عَنْــهُ ... فَكَّهُ رَبُّـهُ بِكَبْشٍ جُـلالِ [٣]

٢٠ قالَ خُذْهُ وأَرْسِلِ ابْنَكَ إنِّي ... لِلَّـذي قَدْ فَعَلْتُما غَـيْرُ قالِي [٤]

٢١ والِدٌ يَتَّقِي وآخَرُ مَوْلُــو ... دٌ، فَطَارا مِنْهُ بِسَمْعٍ فَعَــالِ [٥]

---

(١) في الخزانة : « وله مدية تخيّل في اللحم هذام جليّة » . وفي قصص الأنبيـاء : « في اللحم غلاماً جبينه كالهلال » تحريف — والمُدْية : السكين . وتخيّل الرّجــلُ وتَخايَلَ : كان في خُيَلاء ، وقال البغدادي : « قال محمد بن حبيب : تَخيَّلُ في اللحم ، تمضي فيه من الخيلاء » خزانة بولاق ٢:٥٤٣ . وهُذامٌ : قاطعة مريعة .

(٢) الزَّوْلُ : الفتى الظريف ، أو الشجاع الذي يتزايل الناسُ من شجاعته .

(٣) الجليلُ والجُلال : العظيم .

(٤) في تاريخ الطبري : « خذ لهذا فأرسل ابنك » ، وأثبتُ رواية الخزانــة. وفي قصص الأنبياء : « فخُذَنْ ذا وأرسل » — وقَــلاهُ فهو قَالٍ له : أبغَضَه وكرِهَهُ غايةَ الكراهية .

(٥) في الخزانة : « بسِمْع مُعال » ، وقال البغدادي : « وسِمْع بالكسر :الذّكر الجميل ، يقال : ذهب سِمْعُهُ في الناس . والمُعال ، بضم الميم : المرتفع، أي صار لهما شرفاً يذكران به » خزانة بولاق ٢:٥٤٣ — وطارا : رجعا مسرعين . وفَعال : اسم لفعل الواحد ، يقال فلان كريم الفَعال وفلان لئيم الفَعال ، والفَعال لا يُسمَع ، وإنما أراد أنهما سمعا قول الله مقروناً بفعله ، فقــد نادى الله تعالى إبراهيم أن يكفّ عن ذبح ابنه وأرسل الفداء له .

٢٢ رُبَّمـا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الأَمْـ رِ لَهُ فَرْجَةٌ كحَلِّ العِقَـــالِ [١]

وفي القاموس (فرع) :

٢٣ حَيٌّ داودَ وابْنَ عادٍ ومُوسَى وفُرَيْـعٌ بُنْيانُهُ بالثِّقَـــالِ [٢]

---

(١) في كتاب سيبويه ، وحماسة البحتري ، والغرر والدرر ، وحاشية الخضري ، والمفصّل ، والمغني ، وشرح شواهد المغني ، وشرح ابن يعيش ، وهمع الهوامع ، وشرح شذور الذهب ، وفرائد القلائد ، وتفريج المهج ، وأنوار التنزيل ، ومفاتيح الغيب ، ودرة التنزيل ، والأساس ، والصحاح ، ومختار الصحاح ، واللسان ،والتاج : « ربما تكرة النفوس من الأمر » . وفي الخزانة :« ربما تكره النفوس من الشر » ، وقال البغدادي : « هكذا رواه جامع ديوانه محمد بن حبيب من الشر بدلاً من الأمر» خزانة بولاق٢:٥٤٣ . وفي تفسير القرآن العظيم للتستري:«ربما تكره النفوس من الشيء » . وقد استشهد سيبويه بالبيت مرتين، الأولى على أن « رُبَّ »لايكون مابعدها إلاّ نكرة،والثانية على أن « ما » نكرة بتأويل شيء دخلت عليها « رُبَّ » لأنها لاتعمل إلاّ في النكرة ، ومن هنا دار البيت برواية سيبويه شاهداً على ألسنة النحاة — والفَرْجَة : الخلاص من حزن أو همّ أو مرض . والعقال : الحبْل الذي يُعقَل به البعيرُ . وهذا البيت يُنسب في عدد من المصادر إلى غير أمية بن أبي الصلت ، انظر التخريج .

(٢) ابن عاد : هود عليه السلام . وفُرَيْـع : لغة في فرعون أو ضرورة في هـــذا البيت ، وقد استأنف بالواو فرفع على الابتداء . والثّقال : مفردها ثقيل ، وهو إمّـا نقيض الخفيف ، ومعناه أن بنيانه مبني بالحجارة الثقيلة وذلك دلالة على ضخامته وارتفاعه ، وإمّا كلُّ شيء نفيس ، ومعناه أن بنيانه مبني بكلّ نفيس من حجارة أو مرمر أو ذهب وسواهـــا .

وفي المعرب (١٤) :

٢٤ قالَ رَبِّي إنِّي دَعَوْتُكَ في الفَجْـ ـرِ فأَصْلِحْ عَلى يَدَيَّ اعْتِمالِي [١]

٢٥ إنَّنِي زارِدُ الحَدِيدِ عَلى النَّا سِ دُرُوعاً سَوابِغَ الأَذْيالِ [٢]

٢٦ لا أَرَى مَنْ يُعِينُنِي في حَياتِي غَيْرَ نَفْسي إلاَّ بَنِي إسْرالِ [٣]

وفي تفسير الطبري (١:١١٢) :

٢٧ أيُّما شاطِنٌ عَصاهُ عَكاهُ ثُمَّ يُلْقَى فِي السِّجْنِ والأَكْبالِ [٤]

---

(١) اعتَمل الرجلُ اعتمالاً : عَمِل بنفسه . و « قال » : الضمير لداود عليه السلام .

(٢) السوابغ : مفردها سابِغَة ، وسَبَغَ الشيءُ : طال إلى الأرض واتسع . وقد عُرِف داود عند العرب بصنع الدروع حتى نُسِب جيدُها وقديمُها إليه .

(٣) في نقد الشعر : « لا أرى من يغيثني » . وفي الأزمنة : « ما أرى من يعيشني ». وفي تفسير البحر المحيط : « لا أرى من يعيشني » — ويُعِيشني : يعينني على أمر الحياة . وإسرال : أراد إسرائيل ، وقال المرزباني في عيوب الشعر : « منها التثليم ، وهو أن يأتي الشاعر بأسماء يقصر عنها العروض ، فيضطر إلى ثلمها والنقص منها ، قال أمية بن أبي الصلت : (البيت) » الموشح ٢٣٤ ، ومثله في نقد الشعر لقدامة بن جعفر ٨٦ ، والبديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ١٧٩ .

(٤) في الاشتقاق : « ثم يلقى في السجن والأغلال » . وفي جمهرة اللغة ، والصحاح، والبديع في نقد الشعر ، وتفسير غريب القرآن ، وآكام المرجان ، والتاج (شطن) ، واللسان : « ثم يلقى في السجن والأغلال » . وفي مقاييس اللغة : « ورماه في القيد والأغلال». وفي إعراب ثلاثين سورة : « في وثاق السجون والأغلال » . وثمة حاشية في اللسان (شطن) : « قال الصاغاني : والرواية (الأكبالِ) ، و (الأغلال) في بيت بعده بسبعة

وفي تفسير السيوطي (٤:١٢٠) :

٢٨ ولَهُ الدِّينُ واصِباً ولَهُ المُلْـ ـكُ وحَمْدٌ لَهُ عَلى كُلِّ حالِ [(١)]

عشر بيتاً في قوله : واتقى الله وهو في الأغلال » . وقال المعري : « وهذا البيت ينشد على وجهين بالسين والشين ، فإذا قيل (شاطن) فهو في معنى الشيطان ، وإذا قيل (ساطن) فهو الذي أعيا خبثاً ، والمعنى متقارب » رسالة الملائكة ٢٤٧ — ٢٤٨ . وقال أبو الطيب : « الساطن والشاطن : الخبيث المتمرد » الابدال ٢:١٦٤ . وعكاه : شَدَّه بالوَثاق وقَيَّده . والبيت يصف سليمان بن داود عليهما السلام .

(١) الواصِب،هنا : الدائم ، من الوُصُوب وهو ديمومة الشيء . والواصِب أيضاً : الموجع ، من الوَصَب وهو المرض والوجع . والبيت يكاد يكون نظماً لآية سورةالنحل : « وله ما في السموات والأرض وله الدين واصباً أفغيرَ الله تتقون » ١٦:٥٢ . و«واصباً» في الآية فسرها السيوطي بالدائم واستشهد بالبيت على أن الواصب بمعنى الدائم . وقيل في تفسيرها : دائباً ،أي طاعته واجبة أبداً . وقيل : وله الدين واصباً ، أي له الدين والطاعة ، رضي العبد بما يؤمر به أو لم يرض به ، سهل عليه أو لم يسهل ، فله الدين وإن كان فيه الوَصَبُ . وفي سورة التغابن : « له المُلْكُ وله الحمد وهو على كل شيءقدير » ٦٤:١ .

(٦٣)

في شعراء النصرانية (٢٢٦) [١] :

١ إلَهُ العالَمِينَ وكُلِّ أَرضٍ   وَربُّ الرَّاسِياتِ مِنَ الْجِبالِ [٢]

٢ بَناهَا وابْتَنَى سَبْعاً شِداداً   بِلا عَمَدٍ يُرَيْنَ ولا رِجالِ [٣]

٣ وسَوّاهـا وزَيَّنَهـا بِنُورٍ   مِنَ الشَّمْسِ المُضِيئَةِ والهِلالِ [٤]

٤ ومِنْ شُهُبٍ تَلألأُ في دُجاهـا   مَرامِيها أَشَدُّ مِنَ النِّصالِ [٥]

---

(١) رواها الأب لويس شيخو لأمية بن أبي الصلت ، ولم أقف على مصدرها القديم . والقصيدة من الشعر المتهم .

(٢) الراسيات : الثوابت ، أو الشوامخ . وفي سورة فصلت: « ذلك ربُّ العالمين، وجَعَل فيها رواسي من فوقها » ٤١: ٩ - ١٠ ، وهذه الفكرة وردت في آيات كثيرة .

(٣) العُمُد : جمع عمود ، والعَمَدُ اسم للجمع . وفي سورة النبأ : « وبَنَيْنا فوقكم سَبْعاً شِدادا » ٧٨: ١٢ . وفي سورة لقمان : « خَلَق السموات بغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم » ٣١: ١٠ ، وانظر الرعد ١٣: ٢ .

(٤) سَوَّاها : جعلها متساوية متماثلة . وفي سورة نوح : « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طِباقاً ، وجعل القمر فيهن نورا ، وجعل الشمس سراجا » ٧١: ١٤ - ١٥ . وفي سورة الحجر : « ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيَّناها للناظرين » ١٥: ١٦ .

(٥) المرمى : مصدر ميمي بمعنى الرمي ، أراد أنها ترمي من يسترق السَّمعَ من الجن . وفي سورة الملك : « ولقد زيَّنّا السماءَ الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين » ٦٧: ٥ . وفي سورة الصافات : « إنّا زينا السماءَ الدنيا بزينة الكواكب ، وحِفْظاً من كل شيطان مارد ، لا يسَّمعون إلى الملأ الأعلى ، ويُقذفون من كل جانب دُحوراً ولهم عذاب

٥ وشقَّ الأرضَ فانبجَسَتْ عيوناً   وأنهاراً مِنَ العَذْبِ الزُّلالِ [١]

٦ وبارَكَ في نَواحِيها وزَكَّى   بِها ما كانَ مِنْ حَرْثٍ ومَالِ [٢]

٧ فَكُلُّ مُعَمَّرٍ لا بُدَّ يَوْماً   وذِي دُنيا يَصِيرُ إِلَى زَوالِ

٨ ويَفْنَى بَعْدَ جِدَّتِهِ ويَبْلَى   سِوَى الباقي المُقَدَّسِ ذِي الجَلالِ [٣]

* * *

٩ وسِيقَ المُجْرِمونَ وهُمْ عُراةٌ   إلى ذاتِ المَقامِعِ والنَّكالِ [٤]

واصب ، إلاّ من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » ٣٧ :٦- ١٠ ، وانظر سورة الجن ٧٢:٨ - ٩ .

(١) البَجْس : انشقاقٌ في قِرْبة أو حجر أو أرض ينبع منه الماء . والزُّلالُ : الصافي أو البارد . وفي سورة الأعراف : « وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومُه أنِ اضرب بعصاكَ الحجرَ فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً » ٧:١٥٩ . وفي سورة القمر : « وفجرنا الأرض عيوناً ، فالتقى الماءُ على أمْرٍ قد قُدِر » ٥٤:١٢ ، وانظر يس ٣٦:٣٤ .

(٢) زَكّى : زادَ وأنْمَى ، مِن الزَّكاء وهو النمَّاء والزيادة . والحَرْث : الزرع ، أو العمل في الأرض زرعاً كان أو غرساً . والمال : النَّعَم على اختلافها وأهمها الإبل . وفي سورة فصلت : « وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدَّر فيها أقواتها » ٤١:١٠ . وفي سورة النازعات : « والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءَها ومرعاها » ٧٩:٣٠ .

(٣) في سورة الرحمن: « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» ٥٥:٢٦ - ٢٧ .

(٤) المقامع : أعمدة من حديد يُضرب بها على الرأس ، الواحدة مِقْمَعَة . والنَّكال : العِبْرَة التي يَنْكُلُ أن يفعلها أحد ، أي ينكص ويجبن ، خوفاً أن يناله

١٠ فَنادَوْا وَيْلَنا وَيْلاً طَوِيلاً وَعجُّوا في سَلاسِلِها الطِّوَالِ [١]

١١ فَلَيْسُوا مَيِّتِينَ فَيَسْتَرِيحُوا وكلُّهُمُ بِحَرِّ النَّارِ صَالِ [٢]

١٢ وحَلَّ المُتَّقُونَ بِدَارِ صِدْقٍ وعَيْشٍ نَاعِمٍ تَحْتَ الظِّلالِ [٣]

مانال أصحابها . وذات المقامع والنكال : جهنم . وسيق : أراد ويساق ، فعبّر بالماضي عن المستقبل . وفي سورة مريم : « ونسوق المجرمين إلى جهنم ورْدا » ٨٦:١٩ . وفي سورة الحج : « فالذين كفروا قُطِعت لهم ثياب من نار يُصَبُّ من فوق رؤوسهم حميم ، ويصهر مافي بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد » ١٩:٢٢ - ٢١ . وفي سورة الكهف : « لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة » ٤٩:١٨ ، أي فرادى حفاة عراة عزلاً .

(١) الوَيْل : الهلاك . وعَجَّ : رفَعَ صوتَه وصاح ،وخاصةفي الدعاء والاستغاثة. وفي سورة الصافات : « وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين » ٢٠:٣٧ . وفي سورة المؤمن : « إذ الأغلالُ في أعناقِهم والسلاسلُ ، يُسْحَبون في الحميم ثم في النار يُسْجَرون » ٧١:٤٠ - ٧٢ .

(٢) في سورة فاطر : « والذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفف عنهم من عذابها كذلك نَجْزِي كلَّ كفور » ٣٦:٣٥ ، وانظر سورة إبراهيم ١٧:١٤ ، وطه ٧٤:٢٠ ، والأعلى ١٣:٨٧ . وفي سورة الغاشية : « وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة ، تصلى نارا حامية » ٢:٨٨ - ٤ ، وثمة آيات كثيرة في هذا المعنى .

(٣) دار صدق : أراد الجنّة . والعيش الناعم : الرَّغْد المُتْرَف . وفي سورة القمر : « إن المتقين في جنات ونَهَر ، في مقعد صِدْقٍ عند مَليك مقتدر » ٥٤:٥٤ - ٥٥ . وفي سورة يس : « إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ، لهم فيهافاكهة ولهم مايدّعون »٣٦:٥٥ - ٥٧، وانظر سورة النساء ٥٦:٤ ، والنحل ٣٠:١٦ - ٣١ ، والمرسلات ٤١:٧٧ - ٤٢ .

١٣ لَهُمْ ما يَشْتَهُونَ وما تَمنَّوْا ... مِنَ الأَفْراحِ فِيها والكَمالِ

(٦٤)

في اللسان (عنا) :

وإنِّي بِلَيْلَى والدِّيارِ الَّتي أَرَى ... لَكَالْمُبْتَلَى المُعْنَى بِشَوْقٍ مُوَكَّلِ[١]

(٦٥)

في البداية والنهاية (٢:٢٢٦) :

١ كُلُّ عَيْشٍ وإِنْ تَطاوَلَ دَهْراً ... صائِرٌ مَرَّةً إلَى أَنْ يَزُولا[٢]

---

(١) ابتلاه اللهُ بأَمْرٍ : اختبره وامتحنه . والمُعْنَى : مفعول من أَعْناه ، إذا جَشَّمه العناءَ ، يقال عَنَى الرجلُ عناءً وتَعَنَّى ، إذا نَصِبَ . وعَنَّاهُ وأَعْناهُ ، إذا جَشَّمه ذلك .

(٢) في الحماسة البصرية : « وإن تطاول دهر صابر مرة » تحريف . وفي قصص الأنبياء ، ونهاية الأرب ، وشرح المقامات : « صائر أمره » . وفي طبقات ابن سلام : « قَصْره مرَّة » . وفي الأغاني : « منتهى أمره » . وفي الإصابة ، وشرح المقامات : « وإن تطاول » . وفي مروج الذهب : « وإن تطاول حيناً ... فقصارى أيامه أن يزولا » . وفي حياة الحيوان : « كل حيّ وإن تطاول دهراً آيل أمره » — وقَصْرُه : غايته .

٢ لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ ما قَدْ بَـــدَا لِي   في قِلالِ الْجِبالِ أَرْعَى الوُعُولا [1]

٣ فَاجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنَيْكَ واحْذَرْ   غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّ لِلدَّهْرِ غُولا [2]

٤ نائِلاً ظُفْرُهـــا القَسَاوِرَ والصِّدْ   عَانَ والطِّفْلَ في القِفَارِ الشَّكِيلا [3]

---

(١) في محاضرات الأدباء : « قبل يومي هذا » . وفي البداية والنهاية : « في ظلال » ، وأثبتُ رواية ابن سلام « في قلال » لأن التحريف سهل بينهما . وفي الأغاني : « في قنان » . وفي الإصابة : « في تلال الحياة » تحريف . وفي الأغـــاني ٣:١٨٤ ، والشعر والشعراء ، ومروج الذهب ، وحياة الحيوان ، وشرح المقامات ، وخزانة الأدب ، وأسد الغابة : « في رؤوس الجبال » — والقلال : مفردها قُلَّة ، وهي أعلى الجبل . والوعول : مفردهـــا وَعِل ، وهو تيس الجبل ، يسكن أعالي الجبال ولا يبرحها إلاّ قليلا ، والوعول ليست من النَّعَم فتُرعَى ، ولكنه يريد : ليتني أويت إلى الجبال ، وانفردت هناك تَعبداً وزُهداً ، فتألفني الوعول كأنني أرعاها كما يرعى الناسُ النَّعَمَ .

(٢) في الأغاني ٣:١٨٢ : « إجعل الموتَ » . وفي الحماسة البصرية : « اجعـــل الموت .. واحذر صولة الدهر » . وفي تاريخ ابن عساكر : « غولة الدهر إن الدهر غوؤلا » تحريف أخل بالوزن . وفي شرح المقامات : « غولة الموت إن للموت غولا » — ونُصْبَ عينيك : أمامك ، وقال الشريشي : « أول من قال : إجعل الموت نصب عينيك ، أميةُ ابن أبي الصلت » شرح المقامـــات ٤:٢٧٠ . والغَوْلة : المَرَّة من غالَه الشيءُ غَوْلاً ، إذا أهلكه وأخذه من حيث لايدري . والغُول : المنيةُ وكلُّ ما أهلك الإنسان .

(٣) في البداية والنهاية ، وتاريخ ابن عساكر : « والطفل في المنار الشكيلا » ولا يستقيم معناه بهذه الرواية ، ولهذا اجتهدتُ أن أقرأه : « والطفل في القفار الشكيـلا » ، لأن الطِّفْلَ في اللغة : النار ، أو وَلَدُ كلِّ وَحْشِيَّة . والمنار : موضع النور ، وطبيعـة الأبيات لاتساعد على هذا المعنى ، لأنَّه يُعدِّد أنواع الحيوان من قويّ وضعيف ، وهـذا يستدعي أن يكون المراد بـ « الطِّفْل » ولد البقرة الوحشية ، وأقرب مايكون إلى « ولد

٥ وبُغاثَ النِّيافِ واليَعْفُرَ النّـا فِرَ والعَوْهَجَ البُرامَ الضَّئيلا [١]

وفي قصص الأنبياء (١٦١) :

٦ إنَّ يَوْمَ الحِسَـابِ يَوْمٌ عَظِيمٌ شَابَ فِيهِ الصَّغيرُ شَيْباً ثَقِيلا [٢]

البقرة الوحشية » كلمة « القفار » لأن التحريف سهل بينها وبين كلمة « المنـــار » — والقساور : مفردها قَسْوَرة ، وهو الأسد . والصِّدْعان : مفردها صَدْع ، وهو الفَتِيُّ من الوعول والظباء . والشَّكيل : الذي يختلط سواده أو بياضه بحمرة .

(١) في تاريخ ابن عساكر : « وبغاث النيـاق اليعفر .. والعوهج التوأم الضبيـلا » وفيها تحريف أخل بالوزن — والبغاث : كل طائر ليس بجارح . والنِّياف : الطويل في ارتفاع ، يقال ناقة ٌ نِيـــافٌ وقَصْرٌ نِيافٌ ، وقد يُطلق على الجَبَل كقول امرىء القيس :

نيافاً تَزِلُّ الطَّيرُ عن قُذُفاتِهِ يَظَلُّ الضباب فوقه قد تعصرا

والنِّياقُ : مفردها نِيقٌ ، وهو أرفع موضع في الجبل . واليَعْفور : الظبي ، خففه بحذف الواو ضرورةً . والنافر : الشارد . والعوهج : ولد النعامة. والبُرام : القُرَاد، وهو دُوَيبَّة تَعلَق بالبعير ونحوه ، جَعَل العوهجَ كذلك على التشبيه لصغره .

(٢) في مروج الذهب : « شيباً طويلا » . وفي نهاية الأرب: « يوماً صقيلا » تحريف. وشاب : أراد يَشيب ، فعبر بالماضي عـــن المستقبل . وفي سورة المزمل : « فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً » ١٧:٧٣ .

(٦٦)

في السيرة (١:٦٧ - ٦٨) [1] :

١ لِيَطْلُبِ الثَّأْرَ أَمثالُ ابنِ ذي يَزَنٍ ... رَيَّمَ في البَحرِ للأَعْداءِ أَحوالا [2]

(١) لم يرو ابن هشام البيتين (٥ ، ٨) ، وإنما أضفتُ البيت (٥) من تاريخ الطبري ، والبيت (٨) من أخبار مكة للأزرقي . والقصيدة تُروى لأمية بن أبي الصلت ، وتروى أيضاً لأبيه أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي ، والأرجح أنها منحولة .

(٢) في الحماسة البصرية : « ليطلب الوتر » . وفي ألف با : « ليدرك الثأر » . وفي أخبار مكة ، ومحاضرة الأبرار : « لاتطلب الثأر إلاّ كابن » . وفي العقد : « لم يدرك الثأر » وفي الأغاني ، وتاريخ اليعقوبي : « لايطلب الثأر إلاّ ابن » . وفي ملوك حمير : « لايطلب الثأر إلاّ كابن » . وفي الشعر والشعراء : « لن يطلب الوتر أمثال » . وفي تاريخ أبي الفداء: « لايقصد الناس إلاّ كابن » . وفي تاريخ ابن الوردي : « لا تقصد الناس إلاّ كابن » . وفي التيجان : « إذ ريَّم البحر » . وفي تاريخ اليعقوبي : « أقام في البحر » . وفي الأغاني : « في البحر خيَّم » . وفي أخبار مكة ، وحماسة البحتري : « خيم في البحر » . وفي تاريخ ابن الوردي ، وتاريخ أبي الفداء : « إذ خيَّم البحر » . وفي الشعر والشعراء ، وأمالي ابن الشجري ، والحماسة البصرية ، والعقد : « لجَّجَ في البحر » . وفي ألف با : « يُلجِّج في البحر » . وفي مروج الذهب : « في لجة البحر أحوالاً وأحوالا » . وفي البدء والتاريخ : « إذ رام في الحروب للأعداء أحوالا » — والوِتْر ، بفتح الواو وكسرها : الثأر . وريَّم بالمكان : أقام . وقال ابن منظور : « قال ابن برّي : وريَّم زاد في السَّيْر ، وهو الزيادة والفضل ، وعليه قول أمية : ريَّم في البحر . وقد يكون « ريَّم » من الرَّيم ، وهو آخر النهار ، فكأنه أدْأب السيرَ في ذلك الوقت ، كما يقال أوَّبَ إذا سار النهارَ كلَّه ، وقد يكون « ريَّم » من الرَّيم ، وهو البَراح ، فكأنه يريد أكثر الجولانَ والبَراحَ من موضع إلى موضع » اللسان (ريم) . ولجَّجَ : ركبَ لُججَ البحر ، وهي أمواجه ومعظمه حيث لايُدرَك قَعْرُه . والأحوال : مفردها حَوْل ، وهو القوة .

٢ يَمَّمَ قَيْصَرَ لمَّا حَانَ رِحْلَتُـــهُ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَعْضَ الَّذِي سَالا [(١)]

٣ ثُمَّ انْثَنَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ عَاشِرَةٍ مِنَ السِّنِينَ يُهِينُ النَّفْسَ وَالمَالا [(٢)]

(١) في التيجان ، وحماسة البحتري ، والأغاني ، والعقد ، وتاريخ اليعقوبي ، والحماسة البصرية ، ومحاضرة الأبرار : « أتى هرقل وقد شالت نعامته فلم يجـــد » . وفي الشعر والشعراء ، وملوك حمير : « أتى هرقلًا وقد شالت نعامته » . وفي أخبار مكة ، واللسان ، والتاج : « أتى هرقلا وقد شالت نعامتهم » . وفي تاريخ الطبري : « أتى هرقل وقد شالت نعامتهم » . وفي البداية والنهاية : « يَمّم قيصراً لما حان رحلتـه » . وفي البدء والتاريخ : « فأمَّ قيصرَ لما حان رحلته » . وفي تاريخ الطبري : « فلم يجد عنده بعض الذي قالا » . وفي البداية : « عنده النصر الذي قالا » . وفي حماسة البحتري ، والأغاني ، وملوك حمـــير ، والحماسة البصرية ، والتاج : « النصر الذي سالا » . وفي تاريخ ابن الوردي : « فلم يجد عنده النصر الذي سالا » . وفي الشعر والشعراء ، والعقد ، وأمالي ابن الشجري : « القول الذي قالا » . وفي تاريخ اليعقوبي : « الأمر الذي قالا » — والنَّعامَة: تُطلَق على معان كثيرة منها الجَهْل ، والجماعة ، ويقال : شالَتْ نَعامَتُه ، إذا خَفّ وغَضِب ثم سكَـــن ، ويقال : شالت نعامَتُهم ، إذا تفرَّقَتْ كلمـــةُ القوم ومضَى عِزُّهم . وسالا : سألا ، خفف ضرورةً .

(٢) في تاريخ الطبري ، والأغاني ، وأمالي ابن الشجري، والتيجان، وأخبار مكة، ومروج الذهب ، والبدءوالتاريخ ، وألف با ، وتاريخ اليعقوبي،والحماسة البصرية،وتاريخ ابن الوردي ، وتاريخ أبي الفـــداء : « ثم انتحى نحو كسرى » . وفي الشعر والشعراء : « ثم انحنى » . وفي حماسة البحتري ، وتاريخ الطبري ، وأمالي ابن الشجري ، وتاريخ اليعقوبي ، والحماسة البصرية ، وملوك حمير : « بعد سابعة » . وفي الشعر والشعراء ، والعقد ، وألف با : « بعد تاسعة » . وفي تاريخ ابن الوردي : « من السنين تَهَبْنَ النفسَ والمالا » . وفي الشعر والشعراء ، وتاريخ الطبري ، والعقد ، وتاريخ اليعقوبي ، وألف با : « من السنين لقد أبعدت إيغالا ». وفي حماسة البحتري، وأمالي ابن الشجري ، والحماسة البصرية : « لقد أبعدت

٤ حَتَّى أَتَى بِبَنِي الأَحْرارِ يَحْمِلُهُمْ إِنَّكَ عَمْرِي لَقَدْ أَسْرَعْتَ قَلْقَالا [١]

٥ مَنْ مِثْلُ كِسْرَى شَهِنْشَاهِ المُلوكِ لَهُ أَوْ مِثْلُ وَهْرِزَ يَوْمَ الجَيْشِ إِذْ صَالا [٢]

قلقالا » . وفي ملوك حمير : «لقد أسرعت قلقالا » .

(١) في الشعر والشعراء ، وأخبار مكة ، والأغاني ، وملوك حمير ، وتاريخ ابن الوردي ، وتاريخ أبي الفداء ، ومحاضرة الأبرار :

حتى أتى ببني الأحرار يقدُمُهم تخالُهُمْ فوقَ مَتْن الأرض أجْبالا

ومثل ذلك رواية البيت في الحماسة البصرية واختلفت بـ « فوق سهل الأرض » . وفي العقد ، وأمالي ابن الشجري ، وألف با ، والبدء والتاريخ ، والتيجان ، وتاريخ اليعقوبي : « الأحرار يقدمهم » . وفي التيجان : « إليك عني لقد أشرفت إقبالا » . وفي تاريخ الطبري : « إنك لعمري لقد أطولت قلقالا » تحريف أخل بالوزن . وفي البدء : « إيه لعمري لقد أسرعت قلقالا » . وفي تاريخ اليعقوبي : « إذهب إليك لقد أسرعت قلقالا » . وفي ألف با : « إليك عمري لقد أسرعت قلقالا » . وفي حماسة البحتري : « تخالهم فوق متن الأرض أجمالا » . و في أمالي ابن الشجري : « تخالهم فوق سهل الأرض أجبالا » . وفي مروج الذهب : « تخالهم في سواد الليل أجمالا » — والحُرُّ : الخالص من كل شيء ، وأراد ببني الأحرار : الفُرْسَ ، قيل سُميت فارس بالأحرار « لأنهم خلصوا من سمرة العرب وشقرة الروم وسواد الحبشة » ابن الشجري ١ : ١٥٤ . وقَلْقَلَ في الأرض قَلْقَلَةً وقَلْقالاً : ضَرَبَ فيها .

(٢) لم يرو ابن هشام هذا البيت ، وإنما أثبتُّه من رواية الطبري في تاريخه . وفي ألف با : « من مثل كسرى وبهرام الجنود لهم » . وفي ملوك حمير :

من مثل كسرى فتى دان الجنود له ومثل وهرز يوم الردع إذ دالا

وشهنشاه : لقب ملوك فارس ، وأصله بالفارسية « شاهانْ شاه » ومعناه ملك الملوك.

ووهرز : قائد الجند الفارسي الذي ساعد سيف بن ذي يزن .

٦ لِلّهِ دَرُّهُمُ مِنْ عُصْبَةٍ خَرَجُوا   ما إنْ أرَى لَهُمُ في النَّاسِ أمْثَالا [(١)]

٧ بِيضاً مَرَازِبَةً غُلْباً أَسَاوِرَةً   أُسْداً تُرَبِّبُ في الغَيْضاتِ أشبالا [(٢)]

---

(١) في التيجان : « من عصبة صبروا » . وفي أخبار مكة ، وأمالي ابن الشجري ، وتاريخ أبي الفداء : « من عصبة صُبُر » . وفي الأغاني ، ومحاضرة الأبرار : « من فتية صبروا » . وفي الحماسة البصرية : « من فتية صبر » . وفي تاريخ الطبري ، والبداية والنهاية: « ما إن ترى لهم » . وفي التيجان ، والأغاني ، وأخبار مكة ، ومروج الذهب ، وأمالي ابن الشجري ، وملوك حمير ، والحماسة البصرية ، وتاريخ ابن الوردي ، وتاريخ أبي الفداء ، ومحاضرة الأبرار : « ما إن رأيت لهم » . وفي الشعر والشعراء ، والعقد ، وألف با : « ما إن رأينا » .

(٢) في الشعر والشعراء : « غلباً جحاجحة بيضاً مرازبة » . وفي البداية والنهاية : « غلباً مرازبة بيضاً أساورة » . وفي العقد : « صِيداً جحاجحة بيضاً مرازبة » . وفي ألف با : « صيداً جحاجحة بيضاً خضارمة » . وفي أخبار مكة ، وأمالي ابن الشجري ، والأغاني ، والبدء والتاريخ ، والحماسة البصرية ، وتاريخ ابن الوردي ، وتاريخ أبي الفداء : « بيض مرازبة غلب أساورة » . وفي تاريخ الطبري ، وملوك حمير : «غُرٌ جحاجحة بيض مرازبة». وفي اللسان (جحجح) : « بيض مغالبة غلب جحاجحة » . وفي اللسان ، والتاج (غلب) ، ومحاضرة الأبرار : « بيض مرازبة غلب جحاجحة » . وفي أخبار مكة : « أسد يُرَبِّينَ » . وفي البدء : « أسد تربت في الغارات » . وفي تاريخ أبي الفداء : « أسد ترنب في الغيضات » . وفي الحماسة البصرية : « تربب في الغابات » . وبعض هذه الروايات لايخلو من تحريف . — والغر : واحدهم أغَرُّ ، وهو الأبيض من كل شيء ، ورجل أغرُّ : كريم الفَعال . والجحاجحة : مفردها جَحْجاح ، وهو السيد الكريم . والمرازبة : واحدهم مَرْزُبان ، وهو عند الفرس الفارسُ الشجاع المقدم على القوم دون الملك . والغُلْب : مفردها أغْلَب ، وهو الغليظ الرقبة . والأساورة : مفردها إِسوار ، بكسر الهمزة وضمها ، وهو القائد من

٨ لا يَضْجَرونَ وإنْ حُرِّتْ مَغَافِرُهُم ولا تَرَى مِنْهُمُ في الطَّعْنِ مَيَّـالا [1]

٩ يَرْمُونَ عَنْ شُدُفٍ كأنَّها غُبُطٌ بِزَمْخَرٍ يُعْجِلُ المَرْمِيَّ إعْجَالا [2]

الفرس ، أو الفارس المقاتل . وتُرَبَّب : تُرَبِّي . والغَيْضات : مفردها غَيْضَة ، وهي الأجمـة .

(١) لم يرو ابن هشام هذا البيت ، وإنما نقلتُه عن الأزرقي في أخبار مكـة . وفي محاضرة الأبرار : «لا يضجرون وإن كلت نوائلهم » تحريف — وحرَّتْ : اشتدت حرارتها. والمَغافر : مفردها مِغْفَر ، وهو زَرَد يُنسج من الدروع يلبسه المحارب تحت الخوذة ثم يرسله إلى عنقه حتى يبلغ الدرع فيقي عُنقَه . والمَيَّال : الكثير المَيْل وأراد به الأميل ، وهو من لا يثبت على ظهور الخيل ،وقيل : هو الذي لاسيفَ معه ، أو الذي لارمحَ معه ، أو الذي لاترس معه ، أو الجبان عامة ، وكلها صالحة في هذا البيت .

(٢) في البداية والنهاية : « يرمون عن سدف » بالسين المهملة . وفي المعاني الكبير ، والصحاح ، واللسان ، والتاج : « يرمون عن عتَل » . وأورد ابن منظور عبارةً من البيت فقال : « وفي حديث ابن ذي يزن : يرمون عن شدف .. قال ابن الأثير : قال أبو موسى : أكثر الروايات بالسين المهملة ولا معنى لها » اللسان (شدف) — والشُّدُف : القِسِيُّ الفارسية ، الواحدة شَدْفاء ، وهي العوجاء . والعَتَل : أيضاً القِسِيُّ الفارسية ، مفردها عَتَلة . والغُبُط : مفردها غَبِيط ، وهو الرَّحْل ، شَبَّه القسيَّ الفارسية بخشب الرَّحْل. والزَّمْخَر : السِّهام .

١٠ أَرْسَلْتَ أُسْداً عَلى سُودِ الكِلابِ فَقَدْ ... أَضْحَى شَرِيدُهُمُ في الأَرْضِ فُلَّالا [1]

١١ فَاشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقاً ... في رَأْسِ غُمْدَانَ داراً مِنْكَ مِحْلالا [2]

---

(١) في البداية والنهاية ، وأمالي ابن الشجري ، والحماسة البصرية : « حملت أسدا ». وفي معجم البلدان : « أرسلت أسدا على بقع الكلاب ». وفي المعاني الكبير ، ومروج الذهب ، وملوك حمير : « أمسى شريدهم ». وفي أمالي ابن الشجري : « في الأرض ضلالا ». وفي الحماسة البصرية : « في البحر ضلالا ». وفي محاضرة الأبرار ، وأخبار مكة : « في الناس قلالا ». وفي العقد : « غادرت أوجههم في الأرض قلالا ». وفي ألف با : « غادرت جمعهم في الأرض قلالا » — وسود الكلاب : أراد بهم الأحباش . والشريد : الطريد الهارب على وجهه ، وأراد الجمع لأن وزن « فعيل » كثيراً ما تستعمله العرب مفرداً في معنى الجماعة . وفَلَّ القومَ يَفُلُّهم فَلاًّ : هزَمهم ، وهم قومٌ فَلٌّ ، والجمعُ فُلولٌ وفُلَّال .

(٢) في الأغاني ، والمنتخبات : « واشرب هنيئا ». وفي أمالي ابن الشجري ، ومروج الذهب ، وألف با ، والحماسة البصرية ، والمسلسل ، والأزمنه ، وسلافة العصر ، ومسالك الأبصار ، واللسان : « اشرب هنيئا ». وفي تاريخ ابن الوردي ، وملوك حمير ، والأزمنة ، وسلافة العصر : « عليك التاج مرتفعاً ». وفي تاريخ الطبري : « عليك التاج متكئاً ». وفي مسالك الأبصار : « مغتبقاً ». وفي مروج الذهب ، وتاريخ ابن الوردي ، وتاريخ أبي الفداء : « برأس غمدان ». وفي تاريخ ابن عساكر ، والحماسة البصرية ، وديوان المعاني ، ودلائل الأعجاز ، ومحاضرة الأبرار : « دار منك ». وفي المنتخبات : « قصراً منك ». وفي ملوك حمير : « في دار غمدان داراً منك ». وفي ملوك حمير ، والمنتخبات بيتٌ آخر بعد هذا البيت مباشرة ، هو :

قد تَعجزُ الطيرُ عنه أن تُحاذِيَهُ ... والطيرُ تَنْقَضُّ إصْعاداً وإسْهالا

وفي الإكليل روى الهداني هذا البيت ضمن أبيات أخرى انفرد بها ، وقد أثبتها في

١٢ واشْرَبْ هَنِيئاً فقَدْ شالَتْ نَعامَتُهُمْ وأَسْبِلِ اليَوْمَ في بُرْدَيْكَ إسْبالا [١]

١٣ تِلْكَ المَكارِمُ لا قَعْبانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبا بماءٍ فَعادا بَعْدُ أَبْوالا [٢]

تخريج القصيدة — ومُرْتفقا : مُتّكِئاً ، من المِرْفَقَة ، وهي المُتّكأ والمِخدّة . والمِحْلال : التي يكثر فيها الحلول والإقامة . وقصر غمدان : يبدو أنه من أعاجيب اليمن في ذلك الحين ، وذكر الهمداني أنه كان : « عشرين سقفاً ، غرفاً بعضها فوق بعض ، واختلف الناس في الطول والعرض ، فقائل يقول : كل وجه طوله ألف بألف ، وقائل يقول : كان أكثر ، وكان فيما بين كل سقفين عشر أذرع » الإكليل ٨:١٥ . وقد هدمه عثمان بن عفان في أيامه .

(١) في الخزانة : «إشرب هنيئاً ». وفي العقد ، وألف با ، ومروج الذهب ،والحماسة البصرية ، واللسان (نعم) : « ثُمَّ اطْلِ بالمسك إذ شالت نعامتهم » . وفي التيجان ، وتاريخ الطبري : « وأطل بالمسك إذ شالت » وفي أخبار مكة : « فالتَطّ بالمسك إذ شالت » . وفي حماسة البحتري : « واضطمّ بالمسك إذ شالت » . وفي الأغاني : « فالقط من المسك إذ شالت » . وفي ملوك حمير : « اطل بالمسك إذ شالت » . وفي المنتخبات : « ثمّ اطّلِ المِسْكَ » — والنعامة : جماعة القوم . وشالت نعامتُهم : تفرقوا . وأسبل فلان في ثيابه إسبالاً : طوّلها وأرسلها إلى الأرض في سيره ، وإنما يفعل ذلك كِبْراً واختيالا .

(٢) في أمالي ابن الشجري ، والحماسة البصرية ، ورسالة ابن غرسية ، وأحكام القرآن ، ومحاضرة الأبرار ٢:٥٣ : « هذي المكارم لا قعبان » . وفي شرح المفصل : « هذي المفاخر » . وفي ديوان المعاني : « شيبت بماء فعادت » . وفي الشعر والشعراء : « فصارا بعد » . وهذا البيت يُنسب أيضاً إلى النابغة الجعدي — والقَعْب : القِدْح الضّخم ، وقيل قِدْح من خشب مقعّر يُروي الرَجُلَ . وشِيبا : خُلِطا .

(٦٧)

في تهذيب إصلاح المنطق (٤١:١)[1] :

١ والأرضَ سَوَّى بِساطاً ثُمَّ قدَّرها ... تَحْتَ السَّماءِ سَواءً مِثْلَما ثَقَلا[2]

٢ وَجَعَلَ الشَّمْسَ مِصْراً لاخَفاءَ بِهِ ... بَيْنَ النَّهارِ وبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلا[3]

وفي اللسان (ليط) :

٣ فلاطَها اللهُ إذْ أَغْوَتْ خَلِيفَتَه ... طُولَ اللَّيالي ولم يَجْعَلْ لَهَا أَجَلا[4]

---

(١) قال التبريزي : « وأنشد لعدي بن زيد ، ويروى لأمية : البيتين » .

(٢) في البدء والتاريخ : « وبسط الأرض بسطاً ثمَّ قدرها » — سواء : مستوية متماثلة . وثقل : رفع ، حذف مفعولـها وهو السماء المفهومة ضمناً .

(٣) في البدء : « وجعل الشمس مصيرا .. قد فضلا » تحريف . وفي تفسير الطبري ، ومقاييس اللغة ، والصحاح ، وخطط المقريزي ، والمفردات في غريب القرآن ، وتفسير البحر المحيط : « وجاعل الشمس » . وفي اللسان ، والتاج : « وهذا البيت أورده الجوهري : وجاعل الشمس مصرا . والذي في شعره : وجعل الشمس كما أوردناه عن ابن سيده وغيره » — والمصر : الحاجز والحدُّ بين الشيئين ، وقال التبريزي : « جَعَلَ الشمسَ حداً بين الليل والنهار وعلامةً » .

(٤) لاطها : لعنها ، أو ألصقها بالتراب ، إذ ورد في الأساطير أن الحية كانت على هيئة الجمل ، فلما ساعدت على غواية آدم مُسخت وأصبحت تزحف زَحْفاً . ولم يجعل لها أجلا : أراد أنها لاتموت بأجلها حتى تُقْتَل قَتْلاً . وفي سورة البقرة : « وإذ قال ربُّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » ٢ : ٣٠ .

(٦٨)

في تاريخ الطبري (٢ : ٣١) :

كُنْ كالمُجَشِّرِ إذ قالَتْ رَعِيَّتُهُ كانَ المُجَشِّرُ أوفانا بِما حَمَلا [1]

(٦٩)

في الحيوان (١ : ١٨٧) [2] :

١ والحَيَّةُ الحَتْفَةُ الرَّقْشاءُ أَخْرَجَها مِنْ جُحْرِها آمِنَاتُ اللهِ والقَسَمُ [3]

---

(١) بما حملا : يريد بما حَمّلَه من عهود الملك والرياسة . وذكر الطبري أن المُجشّرَ هو الجد الرابع والثلاثون لمعد ، وقال : « كان فيما زُعِم أعدلَ مَلِك وليَ وأحسنه سياسة ، وفيه يقول أمية بن أبي الصلت لهرقل ملك الروم : (البيت) » .ولم نجد غير هذه الإشارة إلى مخاطبة أمية لهرقل ملك الروم ، أفحدثه وجهاً لوجه ، أم سافر إلى بلاده ، أو أن البيت من قصيدة لها مناسبة أخرى دعت الشاعر إلى مثل هذا القول دون أن يرى ملك الروم .

(٢) قال الجاحظ : « وقد قالت الشعراء في الجاهلية والإسلام في رُقَى الحيات ، وكانوا يؤمنون بذلك ويصدقون به ، ومنهم من زعم أن إخراج الحية من جحرها إلى الراقي ، إنما كان للعزيمة والاقسام عليها ،ولأنها إذا فهمت ذلك أجابت ولم تتمنع.وكان أمية لايعرف قولهم في أن العمّار هم الذين يجيبون العزائم بإخراج الحيات من بيوتها » .

(٣) في الحيوان : « والحية الذكر » ، وأثبت رواية سائر المصادر . وفي الخصائص ، واللسان ، والتاج : « أمنات الله والكلم » . وفي الأساس : « أيمنات الله » . وفي

٢ إذا دَعا باسْمِها الإنسانُ أو سَمِعَتْ ذاتَ الإلهِ بدَا في مَشْيِها رَزَمُ [١]

٣ مِنْ خَلفِها حِمَّةٌ لولا الذي سَمِعَتْ قَدْ كانَ ثَبَّتَها في جُحْرِها الحِمَمُ [٢]

٤ نابٌ حَديدٌ وكَفٌّ غَيْرُ وادِعَـةٍ والخلقُ مُخْتلِفٌ والقَوْلُ والشِّيَمُ [٣]

٥ إذا دُعِينَ بأسْماءِ أَجِبْنَ لَهَـا لِنافِثٍ يَعْتَرِيهِ اللهُ والكَلِمُ [٤]

المبهج : « من بيتهـا آمنات الله والكلم » — والحَتْف : في الأصل الموتُ والهـلاك ، وهو مصدر لافعل له ، ولمّا كَثُر استعماله وصفاً ساغ لأمية أن يُلحق به التاء التي تلحق الصفات . والرَّقْشاء : التي فيها نقط سواد وبياض . وآمنات : مفردهـا آمِنَـة ، مؤنث الآمن ، والأَمِنات : مفردها أَمِنَة ، وهي الأَمْن ، وأراد بها جميعا القسمَ الذي يذكره الحاوي ويعزم عليه لتخرج الحيّة من جحرها .

(١) في البدء والتاريخ : « يرى في سعيها رزم » — والرَّزَم : عدم القدرة على النهوض هزالاً أو إعياء ، وهذا إشارة إلى زحف الحية في سيرها .

(٢) الحِمّة ، بكسر الحاء : الموت ، والجمع حِمَمٌ .

(٣) في الحيوان : « والخلق مختلف في القولِ والشيمِ » ، وأثبتُّ رواية ليدن — والحديد : القاطع . وكَفّ : أراد كفّ الحية على التشبيه ، وأراد به ما لديها من استعداد للشر دائم .

(٤) في الحيوان : « يعتديه » ، والصواب عن ليدن — واعتراه : غشيه وأصابه ، وفي سورة هود : « إن نقول إلا اعتراكَ بعضُ آلهتنا بسوء » ١١ : ٥٤ ، أي أصابك بمَسٍّ . والنَّفْث : شبيه بالنفخ ، والنافث : أراد به الحاوي .

٦ لَوْلا مَخافَةُ رَبٍّ كانَ عَذَّبَهــــا عَرْجاءَ تَظْلَعُ في أَنْيابِها عَسَمُ [١]

٧ وقَدْ بَلَتْهُ فَذاقَتْ بَعْضَ مَصْدَقِهِ فَلَيْسَ في سَمْعِها مِنْ رَهْبَةٍ صَمَمُ [٢]

٨ فَكَيْفَ يَأْمَنُها أَمْ كَيْفَ تأْلَفُــهُ ولَيْسَ بَيْنَهُما قُرْبَى ولا رَحِمُ [٣]

وفي المخصص (١٣:٥) :

٩ والبانَ والزَّيتَ والسَّمْراءَ أَخْرَجَها هَذا الدِّهانُ وهذا النَّقْلُ والأُدُمُ [٤]

---

(١) في مجموعتي ليــدن وبــيروت : « عشم » — وتظلع : تعرج ، أي تزحف وتتلوى . والعَشَم : اليُبْس . والعَسَم : يُبْسٌ في المرفــق والرُّسغ تعوجُّ منه اليَدُ والقَدَمُ ، ولعله أراد مجرد الاعوجاج لأنه من صفات أنياب الأفعى . وجواب « لولا » محذوف ، فكأنه قال : لولا مخافتُهــا الله الذي عذبها جزاءً لها فجعلهــا تزحف زحفاً ، لما أجابت قَسَم الحاوي . وفي البيت إشارة إلى أسطورة الحية التي ساعدت إبليس على غواية آدم ، فجعلها الله تزحف على بطنها بعد أن كانت في هيئة الجمل .

(٢) بلاه : اختبره . والمَصْدَق : الجِدُّ والصلابة . و بلته : ضمير المفعول عائد إلى عذاب الله وعقابه المفهوم من الكلام لا إلى الحاوي كما ذهب إليه بعضهم .

(٣) يأمنها : ضمير الفاعل للحاوي ، وضمير المفعول للأفعى ، وربما كان حَقُّ هــذا البيت أن يرد بعد البيت الرابع لاتصال المعنى بين هذين البيتين .

(٤) البان : شجر له ثمر إذا عصر كان منه دهن طيّب . والسمراء : الحنطــة . والدِّهان : ما يدهن به ، وأراد به الدُّهْن . والنَّقْل : مايُتَنقَّل به على الشراب . والأُدُم : جعلها جمعاً لإدام ، مثل كِتاب و كُتُب وعَمود وعُمُد . والإدام : مايُؤْتَدَم بــه مع الخــبز .

وفي اللسان (عتم) :

١٠ تِلْكُمْ طَرُوقَتُهُ واللهُ يَرْفَعُها فِيها العَذَاةُ وفيها يَنْبُتُ العُتُمُ[١]

(٧٠)

وفي الخزانة (٤ : ٤ بولاق) :

١ عَرَفتُ أَنْ لَنْ يَفُوتَ اللهَ ذُو قَدَمٍ وأَنَّه مِنْ أَمِيرِ السُّوءِ يَنتَقِمُ[٢]

٢ المُسْبِحُ الخُشْبَ فَوْقَ الماءِ سَخَّرها خِلالَ جِرْيَتِها كأَنَّها عُوَمُ[٣]

٣ تَجْرِي سَفِينَةُ نُوحٍ في جَوانِبِهِ بِكُلِّ مَوْجٍ مَعَ الأَرْواحِ تَقْتَحِمُ[٤]

---

(١) الطروقة : انثى الفحل ، وأراد بها الأرضَ على التشبيه . و « طروقته »: الضمير غامض ، ولعله للمطر لأن من عادتهم أن يصفوه بأنه « يحفش الأرض » وقد سبق مثل هذا في بيت أمية رقم (٥٩) ، وقد يعود الضمير للانسان عامة ، لأنه يفلح الأرض ويزرعها ، وذلك على التشبيه أيضاً . والعذاة : الأرض الطيبة التربة الكريمة المنبت . والعتم : الزيتون البري ، وأشار به إلى الأرض التي لاخير فيها .

(٢) في اللسان : « من أمير السوء منتقم » — والقَدَم والقُدْمَة : السابقة في الأمر ، يقال لفلان قَـدَمُ صِدْق أي أثْرَة حسنة ، وأراد « ذو قَـدَم في الشر » .

(٣) في اللسان ، والتاج : « في اليم جِرْيتُها » — ويقال تجري السفينة جَرْياً ، ويجري الماء جِرْيَةً ، ولكنه استعار الأخيرة للسفينة وهي خاصة بالماء . والعُوَم : مفردها عُومَة ، وهي ضَرْب من الحيَّات في عُمان ، شَبَّه سيرَ السفينة بسيرها .

(٤) جوانبه : الضمير للماء المفهوم من الكلام . والأرواح : جمع الرِّيح .

٤ مَشْحُونَةٌ ودُخانُ المَوْجِ يَرْفَعُها ... مَلأَى وقدْ صُرِعَتْ مِنْ حَوْلِها الأُمَمُ[1]

٥ حَتَّى تَسَوَّتْ عَلى الجُودِيِّ راسِيَةً ... بِكلِّ ما اسْتُودِعَتْ كأَنَّها أُطُمُ[2]

(٧١)

في مقامات الزمخشري (٢١) :

١ إذْ نَحْنُ في مَيْعَةِ الشَّبابِ وإذْ ... بَعْلُكِ غَيْرانُ والِهٌ قَطِمُ[3]

وفي الأضداد لابن الأنباري (١٠٧) :

٢ قَوْمِي إِيَادٌ لَوَ أَنَّهُمْ أَمَمٌ ... ولَوْ أَقامُوا فَتُهْزَلَ النَّعَمُ[4]

---

(١) مشحونة : مملوءة . ودخان الموج : لعله أراد به ارتفاع الموج وما يرافقه من رذاذ حين يرتطم بالسفينة .

(٢) تسوّت : استقرت . والجودي : جبل قيل بالجزيرة استقرت عليه سفينة نوح عليه السلام ، وفي سورة هود : « واستوت على الجودي » ١١ : ٤٤ . والأُطُمُ : حِصْنٌ بُنِيَ بالحجارة ، شَبَّهَ السفينةَ به .

(٣) مَيْعَة الشباب : أوّلُه وأنْشَطُه . والقَطِم : الغضبان ، والقَطِمُ أيضاً : الذي اشتدّ اغتلامُه .

(٤) في السيرة ، والروض الأنف : « أو لو أقاموا » . وفي معجم ما استعجم : « أو لو أقاموا فتجزر النعم » — وإياد : حي من معد ، وكانت قد انتقلت عن الحجاز ، لأن الحجاز ضاقت عن مسارحهم ، فصاروا إلى ريف العراق والأَمَم : القريب . وقال ابن الأنباري : « معناه: قومي إياد لو أنهم قريب لطلبتهم وأحببت نزولهم معي ولو هُزِلت النَّعم » الأضداد ١٠٧ .

٣ قَوْمٌ لهُمْ ساحَـــةُ ٱلعِراقِ إذا سَاروا جَمِيعاً والقِطُّ والقلَمُ[١]

٤ وَيْلُ أمِّ قَوْمِي قَوْماً إذا قَحِطَ الْـ ـقَطْرُ وآضتْ كأنّهـــا أَدَمُ[٢]

٥ وشُوِّذَتْ شَمْسُهُمْ إذا طلَعَتْ بِالجُلْبِ هِفّاً كــأنّهُ الكَتَمُ[٣]

وفي اللسان (خزم) :

٦ وانْبَعَثَتْ حَرْجَفٌ يمَانِيَـــةٌ يَيْبَسُ مِنْها الأراكُ والخَزَمُ[٤]

---

(١) في اللسان والتاج سقطت عبارة : « إذا ساروا » . وفي تفسير البحر المحيط :

قوم لهم ساحة أرض العراق وما يجبى إليهم بها والقط والقلم

وفيه تحريف كثير أخلّ بوزنه — والقِطُّ : الكتاب أو الصحيفة ، وهو ما قُطّ ، أي قُطع من الكاغد والرّقّ ونحوه ، وذكر ذلك لأن الكتابة عُرفت في إياد .

(٢) ويل : كلمة مثل ويح إلاّ أنها كلمة عذاب ، ويقال : ويل أمّه تعجباً منـــه واستجادة له . وآضتْ : صارت ، وضمير الفاعل للسماء المفهومة ضمناً . والأديم : الجلْد، وقيل : الجلد الأحمر أو المدبوغ وهو المراد هنا ، والجمع آدِمَةٌ وأُدُمٌ ، وأما الأدَم فهو اسم جمع عند سيبويه . وَصفَ السماءَ بالحمرة لأنهم كانوا يقولون إذا اشتد الجدبُ احمرّ أفق السماء ، ولهذا وصفوا سنة القحط بالسنة الحمراء .

(٣) في اللسان (حمر) ، والتاج (كتم) : « سُوِّدت » تحريف — وشُوِّذَت : عُمّمت ، من المِشْوَذ وهو العمامة . والجُلْب ، بضم الجيم وكسرها : السحاب الرقيق لاماء فيه . والهِفُّ : الرقيق جداً ولاماء فيه . والكتم : نبات أحمر يُختضب به .

(٤) الحَرْجَف : الريح الباردة . والخَزَمُ : شجر له ليفٌ تُتّخذ من لحائه الحبال ، الواحدة خَزَمَةٌ .

وفي معجم ما استعجم (١:٦٨) :

٧ آباؤُنا دَمَّنُوا تِهَـامَةَ في الدَّ م هْرِ وسَـالَتْ بِجَيْشِهِمْ إِضَمُ [(١)]

٨ جَدِّي قَسِيٌّ إذا انْتَسَبْتُ ومَنْ صُورٌ بِحَقٍ ويَقْـدُمُ القُدُمُ [(٢)]

(٧٢)

في المنتحل (٥٠) :

١ والنَّاسُ تَحْتَكَ أَقْدامٌ وأَنْتَ لَهُمْ رَأْسٌ وهَلْ يَتَساوَى الرَّأْسُ والقَدَمُ

---

(١) في تاريخ الطبري : « وجرهم دمنوا » . وفي مروج الذهب : «وجرهم دمثوا» . وفي تاريخ الطبري ، ومروج الذهب : « فسالت بجمعهم إضم » — والدِّمنة : آثار الناس وما سوَّدوا ، ودَمَّنَ القومُ الموضعَ : سوَّدوه وأثروا فيه بالدِّمَنِ ، وهو البَعَر . وتهامة : لقب مكة ، وهي أيضاً سهول الجزيرة على شواطىء البحر الأحمر ، قال ياقوت : « تهامة تساير البحر منها مكة » معجم البلدان ٢:٦٣ (بيروت) . فإن قُصِد بتهامة مكة بالذات ، لاءمتها رواية « جرهم » ، لأن جرهم نزلت مكة ثم استحلت حرمتها ، فاجتمعت عليها خزاعة فجلتها عنها . وإن قُصِد بتهامة السهول التي تساير البحر ، لاءمتها رواية « آباؤنا » ، وهي ما يناسب معاني الأبيات . وإضم : وادي المدينة ، وهو أيضاً واد لأشجع وجهينة به يوم للعرب .

(٢) القُدُم : القدامى . ومنصور وقسي ويَقْدُمُ : من أجداد ثقيف .

٢ إنَّا لَنَعْلَمُ أنَّا ما بَقِيتَ لَنَـــا فِينا السَّماحُ وفِينَا العِزُّ والكَرَمُ [١]

٣ وحَسْبُنا مِنْ ثَناءِ المادِحِينَ إذا أَثْنَوا عَلَيْكَ بأنَّ يُثْنوا بِما عَلِمُوا

(٧٣)

في ذيل الأمالي (٤١) [٢] :

١ ألا تِلْـــكَ المَسَرَّةُ لا تَـدُومُ ولا يَبْقَى عَلى الدَّهْرِ النَّعِـــيمُ

وفي طبقات ابن سلام (٢٢١) :

٢ ومـا يَبْقَى عَلى الحَدَثـانِ غُفْرٌ بِشاهِقَةٍ لَـــهُ أُمٌّ رَؤُومُ [٣]

٣ تَبِيتُ اللَّيْلَ حانِيَةً عَلَيْـــهِ كَما يَخْرَمِّسُ الأَرْخُ الأَطُومُ [٤]

---

(١) السَّماح : الجود والسخاء .

(٢) أنشده القالي مع البيت (٢) وقال : « الشعر لرجل من ثقيف » .

(٣) في ذيل الأمالي : « ولا يبقى » — وحَدَثان الدهر : نُوَبُه وما يَحدُث منه . والغُفْر : وَلَد الوعل . وشاهقة : أراد بذروة شاهقة .

(٤) يَخْرَمِّس : يسكت ويتصمت . والأَرْخ : الفتيُّ من بقر الوحش . والأَطومُ ، قال ابن سلام : « الضَّمَّام بين شفتيه » .

٤ تَصَدَّى كُلَّمــا طَلَعَتْ لِنَشْزٍ وودَّتْ أنَّهــا مِنْـهُ عَقِيمُ [١]

وفي ربيع الأبرار [٢] :

٥ تأمَّلْ صُنْعَ رَبِّكَ غيرَ شَكٍّ بِعَيْنِكَ كَيْفَ تَخْتَلِفُ النُّجُومُ [٣]

٦ ذَوايِبُ في النَّهارِ فما تَراهَــا وتَمْشِي مَشْيَ لَيْلَتِهــا تَعُومُ [٤]

٧ فمــا تَجْرِي سَوابِقُ مُلْجَماتٌ كمــا تَجْرِي ولا طَيْرٌ يَسُومُ [٥]

٨ هُوَ المُجْرِي سَوابِقَهـا سِراعـاً كما حَبَسَ الجِبـالَ فما تَرِيمُ [٦]

---

(١) تَصَدَّى : أراد تَتَصَدَّى ، وتَصَدَّى للشيء : رفَعَ رأسَه وصدرَه ينظر إليه . والنَّشْز : المتن المرتفع من الأرض . فتلك البقرة كلما علَتْ مرتفعاً من الأرض ، جعلت ترفع رأسها متفحصةً باحثة خوفاً على ولدها .

(٢) الورقة (١٣.ب) من المخطوطة رقم (٤٦٢٧ ـ أدب) .

(٣) تختلف النجوم : تتردَّدُ بين طلوع ومغيب .

(٤) في ربيع الأبرار المخطوطة رقم (٣٧ ـ م) أدب : « ذوايب بالنهار » — وعامَت النجومُ : جَرتْ ، كما يقال سَبحَت النجومُ . وقَوله « تمشي مشيَ ليلتهــا » معناه تمشي بطيئةً مشيَ الليل المتئد نحو الفجر

(٥) في ربيع الأبرار المخطوطة رقم (٤٦٢٧ ـ أدب) ، والمخطوطة رقم (٣٧ ـ م) أدب : « ولا طير يؤوم » ، وأثبتُّ التصحيح عن المخطوطة رقم (١٥٥ ـ أدب) . وفي شرح المفضليات : « ولا طير تسوم » — والسوابق ، هنا : الخيل . وتَسُوم : تعدو على وجهها . وسامَتِ الطيرُ على الشيء تَسُوم سَوْماً : حامَتْ ، وقيل : كُلُّ سَوْمٍ حَوْمٌ .

(٦) في ربيع الأبرار المخطوطة رقم (٣٧ ـ م) أدب ، والمخطوطة رقم (٤٦٢٧ ـ أدب) : « هو المجري سوابقها شراعا » ، وأثبتُّ التصحيح عن المخطوطة رقم (١٥٥ ـ أدب) — وتَرِيمُ : تَبْرَحُ .

وفي تفسير السيوطي (٦:٢٥٩) :

٩ وكَمْ كُنَّا بِها مِنْ فَرْطِ عَامٍ   وهَـذا الدَّهْرُ مُقْتَبَلٌ حُسومُ [١]

(٧٤)

في تفسير الطبري (٥:٣٨٨)[٢] :

١ لم تُخْلَـقِ السَّماءُ والنُّجـومُ

٢ والشَّمْسُ مَعْهَـا قَمَـرٌ يَعُومُ [٣]

٣ قَـدَّرَهُ المُهَيْمِنُ القَيُّـومُ [٤]

---

(١) بها : الضمير للأرض المفهومة ضمناً . والفَرْط : الحِين ، وفَرْط عامٍ : أراد من زمن بعيد . ورَجُلٌ مُقْتَبَلُ الشَّبابِ : لم يظهر فيـه أثرُ الكِبَر . والحُسُوم : المتتابع الذي لم ينقطع أولُه عن آخره .

(٢) الأبيات من الشعر المتهم .

(٣) في سورة الأنبياء : « وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كلٌّ في فلك يسبحون » ٢١:٣٣ ، وانظر يس ٣٦:٤٠ .

(٤) في سورة يونس : « هو الذي جعل الشمسَ ضياءً والقمرَ نوراً وقدَّره منازلَ لتعلموا عدد السنين والحساب » ١٠:٥ ، وفي سورة الحشر : « هوالله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون » ٥٩:٢٣ ، وفي سورة البقرة : « الله لا إله إلاَّ هو الحيُّ القيُّوم » ٢:٢٥٥ ، وانظر آل عمران ٣:٢ ، وطه ٢٠: ١١١ .

٤ والجسرُ والجنَّـــةُ والجحيـمُ [١]
٥ إلاّ لِأمْـــرٍ شأنُـــهُ عظيـمُ [٢]

(٧٥)

في البدء والتاريخ (١:٢٠٢) [٣] :

١ جَهَنَّمُ تِلْكَ لا تُبقِي بَغِيّـــاً وعَدْنٌ لا يُطالِعُهـــا رَجيمُ [٤]

---

(١) في تفسير البحر المحيط : « والحشر والجنة والنعيم » . وقال الأستاذ شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري : « في المراجع كلها (والحشر) وهو خطأ وتصحيف لاريب فيـــه عندي ، وهو في المخطوطة (الحسر) غير منقوطة ، وصواب قراءتها « الجسر » كما أثبت ، وفي حديث البخاري : « ثم يؤتى بالجسر » . قال ابن حجر : أي الصراط ، وهو كالقنطرة بين الجنة والنار ، يمر عليها المؤمنون . ولم يُذكر في بابه في كتب اللغة ، فليقيّدْ هناك ، فإن هذا هو سبب تصحيف هذه الكلمة . وفي بعض المراجع « والجنة والنعيم » ، والذي في الطبري هو الصواب » .

(٢) في سورة الأنبياء : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين » ٢١:١٦ ، وانظر سورة ص ٣٨:٢٧ ، وسورة الدخان ٤٤:٣٩ .

(٣) رواها المقدسي ماعدا البيتين ١٣ ، ١٩ ، فقد أثبتُّ الأول بترتيبه عن كتاب الفاضل للمبرد ، والثاني بترتيبه أيضاً عن المقاصد النحوية للعيني . والقصيـــدة من الشعر المتهـم .

(٤) في البدء : « لاتبقي بقيا » ، وصوابها عن ليدن — وعَدْن : على حـــذف المضاف ، أراد « وجَنّةُ عَدْنٍ » ، والعَدْنُ : الإقامة ، يقال : عَدَنَ فلانٌ بالمكان ، إذا أقام ، ومنه قولهم « جنّاتُ عَدْن » بمعنى جنات إقامة لمكان الخلود . وطالَع الشيءَ

٢ إذا شَبَّتْ جَهَنَّمُ ثُمَّ فَارَتْ   وأَعْرَضَ عَنْ قَوابِسِهَا الجَحِيمُ [١]

٣ تُحَشُّ بِصَنْدَلٍ صُمٍّ صِلابٍ   كأنَّ الضَّاحِياتِ لَهَا قَضِيمُ [٢]

يطالِعُه : أطلَّ عليه . وفي سورة الحجر : « ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين ، وحفظناها من كل شيطان رجيم ، إلاّ من استرق السّمع فأتبعه شهابٌ مبين » ١٥:١٧ - ١٩ ، وانظر سورة المُلْك ٦٧:٥ .

(١) في البدء والتاريخ سقطت كلمة « شَبَّت » فاستدركتُها من الطبري وغيره . وفي تاريخ ابن عساكر : « ثم دارت وأعرض عن قوانسها الجحيم » تحريف . وفي تفسير الطبري : « ثم دارت وأعرض عن قوابسها الحميم »، وقال الأستاذ شاكر محقق الطبري : «لم أعرف معنى « قوابسها » هنا ، وأظنه « قدامسها » جمع قُدْمُوس ، وهو الحجارة الضخمة الصلبة ، كقوله تعالى : وقودها الناس والحجارة » — والقوانس : مفردها قَوْنَس ، وهو مقدم رأس المرأة ،وقَوْنَسُ البَيْضَة من السلاح : مُقَدَّمُها . ورواية « القوابس » جيدة لاغموض فيها ، فالقوابس ، هنا : مُشْعِلو النار . وأعرض : صار ذا عرض واتساع . و عن : للتعليل ، بمعنى « فأعرض بسبب قوابسها الجحيم » ، وهذا كقوله تعالى (التوبة ٩:١١٤) : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة » أي بسبب موعدة .

(٢) في البدء : « يحب بصندل . . كأن الصاحيات » تحريف صوابه عن شولتهيس — وحَشَّ النارَ يَحُشُّها حَشّاً ، جمع إليها ما تَفَرَّق من الحطب ، وقيل : أوقدها . والصندل : خشب أحمر أو أصفر . والضاحيات : مفردها ضاحية ، وهي مابرز من الانسان للشمس كالكتفين والمنكبين . والقضيم : شعير الدابة ، جعل جهنم تقضم الناسَ قَضْمَ الدابة للشعير . وفي سورة الملك : « وللذين كفروا بربهم عذاب جهنّم وبئس المصير ، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور » ٦٧:٧ - ٨ . وفي سورة الجن : « وأمّا القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » ٧٢:١٥ .

٤ فَتَسْمُو لا يُغَيِّبُهـا ضَـراءٌ ولا تَخْبُو فَتَبْرُدَهـا الشُّرُومُ (١)

٥ فَهُمْ يَطْفُونَ كالأَقْذاءِ فِيهـا لَئِنْ لَمْ يَغْفِرِ الرَّبُّ الرَّحِيمُ (٢)

٦ بِدانِيَـةٍ مِنَ الآفـاتِ نَزْهٍ بَراءٍ لا يُرَى فيهـا سَقِيمُ (٣)

٧ سَواعِـدُهـا تَحَلَّبُ لا تُصَرَّى بهـا الأَيْدِي مُحَلَّلَةً تَحُومُ (٤)

٨ يَفِيضُ حِلابُها مِنْ غَيْرِ ضَرْعٍ ولا بَشَمٌ ولا فِيهـا جُزُومُ (٥)

---

(١) في البدء : « ما يعنيها ضواء .. ولا يجبو » تحريف صوابه عن اللسان والتاج – والضَّراء : ما واراك من شجر ونحوه . والشُّرُوم : غمرات البحر ، مفردها شَرْم ، وهو لجة البحر ، وقيل : هو أبعد قعره .

(٢) في تاريخ ابن عساكر : « البر الرحيم » .

(٣) الدانية : على حذف الموصوف ، أراد بجنة دانية ، وفي البيت انقطاع عما تقدّمه ، وربما كان ثمة أبيات ساقطة يتعلق بها الجار والمجرور ، وإلاّ فهما متعلقان بمحذوف ، كأنه قال « وآخرون بجنة دانية » . ونَزْهٍ من الآفات : بعيدة عنها . وبَراء : بريئة ، يريد أن الجنة سالمة من الآفات والأمراض وما إليها . وفي سورة الحاقة : « في جنة عالية ، قطوفها دانية » ٦٩:٢٣ – ٢٤ . وفي سورة الانسان : « متكئين على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا ، ودانية عليهم ظلالها ، وذُلِّلت قُطوفها تذليلا » ٧٦:١٤ – ١٥ .

(٤) السواعد : مجاري الماء إلى النهر أو البحر ، والسواعد أيضاً : عروق في الضّرع يأتي منها اللبن ، شُبهت بسواعد الماء . وتَحلَّبُ : تسيل . وصَرِيَ الماءُ ، أو اللبنُ في الضّرع : طال مكثه فتغير ، ومنه صَرَيْتُ الماءَ وصَرَّيْتُه فتصَرَّى .

(٥) الحِلابُ : اللَّبَنُ . والبَشَمُ : التخمة . والجُزُوم : مفردهـا جَزْم ، وهو الأكلة الواحدة ، يقال : جَزَمَ يَجْزِمُ جَزْماً ، إذا أكل أكلة تملأ عنها .

٩ فَيُخْرَمَ عَنْهُمْ ولِكُلِّ عَزْفٍ عَجِيجٌ لا أَحَــذٌ ولا يَتِيمُ [(١)]

١٠ فَــذَا عَسَلٌ وذَا لَبَنٌ وخَمْرٌ وقَمْحٌ في مَنَــابِتِهِ صَرِيمُ [(٢)]

١١ ونَخْلٌ ساقِطُ القِنْوانِ فِيهِ خِلالَ أُصــولِهِ رُطَبٌ قَمِيمُ [(٣)]

١٢ وتُفَّاحٌ ورُمَّانٌ وتِينٌ ومــاءٌ بارِدٌ عَذْبٌ سَلِيمُ [(٤)]

---

(١) العَزْف : واحد المعازف على غير قياس ، وهي الملاهي التي يُضرب فيهـــا بالدفوف . والعَجِيجُ : الصوت . والأحَذّ : المتقطع أو الخفيف السريـع . واليتيم : المفرد .

(٢) الصَّرِيم : المَصْرُوم ، أي المقطوع . وفي سورة محمد : « مَثَلُ الجنـــة التي وُعِدَ المتقون فيها أنهارٌ من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتَغَيَّر طعمُه ، وأنهار من خَمْرٍ لذَّةٍ للشاربين ، وأنهارٌ من عسل مصفّىً ، ولهم فيها من كل الثمراتِ ومغفرةٌ من ربهم ، كمن هو خالد في النار .. » ٤٧:١٥ .

(٣) في البدء : « ساقط الأكتاف عدّ » ، وأثبتُّ رواية العيني في المقاصد النحوية — والعِدُّ : الكثير . والقنوان : مفردها قِنْو ، وهو العِذْقُ بما فيـــه من الرُّطَب . والقَمِيمُ : ما بقي من نبات عام أوّل . وفي سورة الرحمن : « فيهما فاكهة ونخل ورُمّان » ٥٥:٦٨ .

(٤) في البدء : « وتفاح ورمان وموز » ، وأثبتُّ رواية المقاصد — والسليم : الذي لم يعكره شيء ، فكأنه سلم من ذلك .

١٣ فذاكَ جَزاءُ ما عَمِلوا قَدِيمـاً   وكُلٌّ بَعْدَ ذَلِكُمُ يَدُومُ [١]

١٤ وفِيهـا لَحْمُ سَاهِرَةٍ وبَحْرٍ   وما فَاهُوا بِـهِ لَهُمُ مُقِيمُ [٢]

١٥ وحُورٌ لاَ يَرَيْنَ الشَّمْسَ فِيها   عَلَى صُوَرِ الدُّمَى فِيها سُهُومُ [٣]

١٦ نَواعِمُ في الأَرائِكِ قاصِراتٌ   فَهُنَّ عَقَـائِلٌ وهُمُ قُرُومُ [٤]

---

(١) لم يرد هذا البيت في البدء والتاريخ ، وإنما أثبتُّه بترتيبه عن الفاضل المبرد . وفي سورة الواقعة : « وفاكهةٍ مما يتخيَّرون ، ولحمِ طيرٍ مما يشتهون . وحُورٌ عينٌ ، كأمثالِ اللؤلؤ المكنون ، جزاءً بما كانوا يَعمَلون » ٥٦ : ٢٠ - ٢٤ .

(٢) في البدء :

وفيها لحم شاهـدة ونحر   وما فاهوا لهم فيهـا مقيم

وفيه تحريف ، وأثبتُ رواية المقاصد وجمهور من رواه . وفي جمهرة أشعار العرب، وشرح شذور الذهب ، وتفسير السيوطي ، وشرح شواهد ابن عقيل للجرجاوي : « ومـا فاهوا به أبدا مقيم » — ومقيم : ثابت . والساهرة : الأرض . وفي سورة النـازعات : « فإذا هم بالساهرة » ٧٩ : ١٤ .

(٣) الُحور : مفردها حَوْراء ، وهي المرأة التي تتصف بالحَوَر ، والحَوَر : قيل شِدَّة سواد المقلة في شدة بياض العـين ورقة جفونها مع شدة بياض الجسد . والدُّمى : مفردها دُمْيَة ، وهي الصورة ، وإنما تُشَبَّه النساءُ بها لكثرة ما يُبالغ عـادةً في تحسين الصورة وتجميلها . والسُّهُوم : الضُّمور .

(٤) الأرائك : مفردها أريكـة ، وهي سرير مُنجَّدٌ مُزيَّن في قُبَّة أو بيت . وامرأة قاصرة الطرف : لاتمده إلى غير بعلها . والعقائل : مفردهـا عَقيلة ، وهي المرأة الكريمة . والقروم : مفردها قَرْم ، وهو السيد العظيم ، شُبِّه بالقرم وهو الفحل من الإبل . وفي سورة الصافات : « وعندهم قاصراتُ الطَّرْف عينٌ » ٣٧ : ٤٨ .

١٧ عَلَى سُرُرٍ تُرَى مُتَقَابِلاتٍ ... أَلاَ ثَمَّ النَّضَارَةُ والنَّعِيمُ [١]

١٨ عَلَيْهِمْ سُنْدُسٌ وجِيَادُ رَيْطٍ ... وَدِيبَاجٌ يُرَى فِيهِمْ قَتُومُ [٢]

١٩ وتَحْتَهُمُ نَمَارِقُ مِنْ دِمَقْسٍ ... ولا أَحَدٌ يُرَى فِيهِمْ سَؤُومُ [٣]

---

(١) في سورة الواقعة : « على سرر موضونة ، متكئين عليها متقابلين »٥٦:١٥-١٦ ، وفي سورة الحجر : « إخواناً على سُرُر متقابلين » ٤٧:١٥ ، وانظر سورة الطور ٥٢:٢٠ .

(٢) في البدء : « وجناب ريط .. يرى فيها فيوم » ، وأثبتُ رواية المقاصد — والسُّنْدس : الرقيق من الديباج . والرَّيْط : مفردها رَيْطة ، وهي المُلاءة إذا كانت قطعة واحدة ، وقيل : هي كل ثوب لين رقيق . والديباج : ثياب فيها نقش وتزيين . والقَتُوم : ما فيه حمرة وغبرة ، وهو نعت لـ « ديباج » . وفي سورة الدخان : « إن المتقين في مقام أمين ، في جنات وعيون ، يلبسون مِن سُنْدُس واسْتَبْرَق متقابلين ، كذلك وزوجنا كم بحور عين » ٤٤:٥١ - ٥٤ .

(٣) هذا البيت لم يرد في رواية البدء والتاريخ ، وإنما أثبتُّه بترتيبه عن المقاصد النحوية ، وفي المقاصد : « سئِم » وصوابها بالواو عن اللسان والقاموس — والنَّمارِق : مفردها نُمْرُقَة ، وهي الوسادة . والدِّمَقْس : الديباج ، أو الحرير . وسَئِم الرجل : مَلّ وضَجِر ، فهو سَؤُومٌ . وفي سورة الغاشية : « فيها سُرُرٌ مرفوعة ، وأكوابٌ موضوعة ، ونَمارِقُ مصفوفة » ٨٨:١٢ — ١٥ .

٢٠ وحُلُوا مِنْ أَساوِرَ مِنْ لُجَيْنٍ ومِنْ ذَهَبٍ وعَسْجَدَةٍ كَرِيمُ [(١)]

٢١ ولا لَغْوٌ ولا تَأْثِيمَ فِيهَا ولا غَوْلٌ ولا فِيهَا مُلِيمُ [(٢)]

٢٢ وكَأْسٌ لا تُصدِّعُ شارِبِيهَا يَلَذُّ بِحُسْنِ رُؤْيَتِها النَّدِيمُ [(٣)]

---

(١) هذا البيت فيه إقواء إلا أن يُقدَّر : « ومن ذهبٍ هو كريمٌ » — واللجين : الفضة . والعسجد : الذهب ، وقيل : هو اسم جامع للجوهر كله من الدُّرِّ والياقوت . وفي سورة الحج ٢٣:٢٢ ، وسورة فاطر ٣٣:٣٥ : « يُحَلَّونَ فيها من أساور من ذهَبٍ ولباسُهم فيها حرير » . وفي سورة الكهف : « يُحلَّون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً » ٣١:١٨ . وفي سورة الانسان « وحُلُّوا من أساور من فضة وسقاهم ربُّهم شراباً طهورا » ٢١:٧٦ .

(٢) في فرائد القلائد ، وحاشية الخضري ، وشرح الجرجاوي : « ولا حَيْن ولافيها مليم » — والحَيْن : الهلاك . واللغو : مالا يُعتد به من كلام وغيره . وقال الشيخ الخضري : « التأثيم : اللوم من قولك للشخص أثمت » حاشيته ١٤٤:١ ، وقال ابن منظور : « يجوز أن يكون مصدرَ أَثَمَ ، قال ابن سيده : ولم أسمع به ، قال : ويجوز أن يكون اسماً كما ذهب إليه سيبويه في التَّنبيت والتَّمتين »اللسان (أثم) . والغَول : الصُّداع ، وقيل : السُّكر . والمُليم : اللائم ، أو المذنب . وفي سورة الواقعة : « لايسمعون فيها لغواً ولا تأثيما » ٢٥:٥٦ . وفي سورة الطُّور : « يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم » ٢٣:٥٢ .وفي سورة الصافات : « لافيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنْزَفون » ٤٧:٣٧ ، وانظر سورة مريم ٦٢:١٩ ، والنبأ ٣٥:٧٨ .

(٣) تُصَدِّع : تُسبِّبَ الصُّداعَ ، وهو وجع الرأس . وفي سورة الواقعة : « يطوف عليهم وِلْدانٌ مُخلَّدون ، بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من مَعين ، ولا يُصَدَّعون عنها ولا يُنْزِفون » ١٧:٥٦ - ١٩ .

٢٣ تُصَفَّقُ في صِحَافٍ مِنْ لُجَيْنٍ ومِنْ ذَهَبٍ ، مُبارَكَةٌ رَذُومُ [(١)]

٢٤ إذا بلَغُوا التّي أُجرُوا إلَيْها تَقَبَّلُهُمْ ، وحُلِّلَ مَنْ يَصُومُ [(٢)]

٢٥ وخُفِّضَتِ النُّذُورُ وأَرْدَفَتْهُمْ فُضُولُ اللهِ وَانْتَهَتِ القُسُومُ [(٣)]

---

(١) في البدء : « يصفوا في صحاف » ولا معنى لها ، ولذلك أثبتُ رواية شولتهيس ، والبيت فيه إقواء إلاّ إذا قُدِّر : « في صحافٍ هي مباركةٌ رَذُومٌ » — وصَفَّقَ الشرابَ : مَزَجَهُ ، أو حَوَّله من إناء إلى إناء ليصفو . والصِّحافُ : مفردها صَحْفَة ، وهي وعاء كالقَصْعَة . والرَّذُوم : السائل من كل شيء ، وقَصْعَةٌ رَذُومٌ : ملأى تَصَبَّبُ جوانبُها . وفي سورة الزخرف : « يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، وأنتم فيها خالدون » ٤٣ : ٧١ .

(٢) أُجْروا : سُيِّروا . وإليها : الضمير للجنة .

(٣) في البدء : « وخففت النذور » تحريف . وفي المعاني الكبير ، والصحاح ، واللسان « وحفضت البدور » ، وأثبتُ رواية التاج . وقال صاحب التاج: « ويروى البدور كما في الصحاح ، وقال الصاغاني : هذه رواية شمر ، ورواه غيره « وخفضت » بالخاء المعجمة وهي الرواية الصحيحة . يقول : إذا انتهوا إلى الجنة حَلّ لهم الطعام وسَقَطت عنهم النذور فلا صوم عليهم . وقال غيره « حفضت » طومنت وطوحت » التاج (حفض) . والنذور : مفردها نَذْر ، وهو ما يوجبه الإنسان على نفسه تبرعاً من عبادة أو صدقة أو غير ذلك . وأردفتهم : توالت عليهم وتتابعت . والفُضُول : مفردها فَضْل ، وهو هنا الخير والاحسان . والقُسُوم : الأيمان .

وفي البخلاء (٢ : ١٨٤) :

٢٦ ولا يَتنازَعونَ عِنانَ شِرْكٍ ولا أقواتُ أهلِهِمُ العُسُومُ [١]

٢٧ ولا قَرْنٌ يُقزَّزُ مِنْ طَعامٍ ولا نَصِبٌ ولا مَوْلىً عَدِيمُ [٢]

(١) في مبادىء اللغة : « أهلهم العشوم » . وفي البخلاء حاشية للمحقق : « وفي بعض النسخ : عِناقَ شَوْلٍ . والعِناق : الأنثى من أولاد المعز قبل استكمالها الحول . والشَّول : الإبل جفت ألبانها ، مفردها شائلة ، وقد استعملها فيما قلّ لبنها من المعز . ولعل هذه الرواية أشبه بموضوع البيتين » — وعِنان شِرْك : أي لا يختصمون فيما يشتركون به من نِعَم الجنّة لأنها تكفيهم جميعاً ، وأصل العِنان : سَيْرُ الدابة الذي تُمْسَك به . والعُسُوم : مفردها عَسْم ، وهو الخبز اليابس ، وقال ابن دريد : « ذكر الخليل أن القطع من الخبز تُسمى العُسوم » جمهرة اللغة ٣ : ٣٤ .

(٢) النَّصَب : التَّعَب . والمولى : السيد أو العبد ، من الأضداد . والعديم : الفقير . والقَرْن : من الدابة معروف ، وكانت العرب في الجدب تأكل القرون ، يدل على ذلك خبر نقله الجاحظ ، وفيه أن عمرو بن معد يكرب حاول أن يسخر ببني فزارة ، وهم أخوال عمر بن الخطاب ، فقال لعمر : « لِئامَ بني المغيرة يا أمير المؤمنين ! قال : وكيف ؟ قال : نزلتُ بهم فما قَرَوْني غير قَرْنَيْن وكعبَ ثور . قال عمر : إن ذلك لَشُبْعَة » البخلاء ١ : ١٣٢ ، فردّ عليه عمر بسخريته . وقوله « لِئامَ » منصوب بفعل محذوف « أشكو لئامَ » .

وفي المقاصد النحوية (٣٤٦.٢)[١] :

٢٨ سَلامَكَ رَبَّنـا في كُلِّ فَجْرٍ بَرِيئاً ما تَلِيقُ بِكَ الذُّمومُ[٢]

٢٩ مِنَ الآفاتِ لَسْتَ لَها بِأَهْلٍ ولكنَّ المُسِيءَ هُوَ المُلِيمُ[٣]

---

(١) بالإضافة إلى هذه الأبيات روى العيني عدداً من أبيات « البدء والتاريخ » السابقة .

(٢) في المقاصد ١٨٣.٣ ، وكتاب سيبويه ،وجمهرة اللغة، والمخصص ، وشرح أدب الكاتب ، ومراتب النحويين ، وفرائد القلائد ، وخزانة بولاق ، واللسان ، والتاج (غنث) : « بريئا ما تغنثك الذموم » . وفي اللسان (سلم) : « ما تعنّتك » ولعله تصحيف — والسّلام،هنا : البراءة من العيوب.والذموم : العيوب . وقال الجواليقي في شرح البيت: «قوله سلامك ربّنا ، أي سلّمنا ياربّنا . وقوله ما تغنثك، أي ما تلزمك، ويروى : ما تليق بك الذموم ، وهي جمع ذَمّ . وبريئاً نصب على الحال ، وهذه الحال مؤكدة ، ويروى : بريءٌ بالرفع ، وهو خبر مبتدأ تقديره : أنت بريء » شرح أدب الكاتب ٣١٢ . وقال ابن دريد : « ما تغنثك : أي تلصق بك » جمهرة اللغة ٤٦:٢ .

(١) لم يرد هذا البيت في رواية المقاصد ، وإنما أثبتّه عن شرح أدب الكاتب ، وقد رواه الجواليقي بعد البيت (٣٠) ، ولكنني قدمته عليه لتكون الأبيات أكثر ترابطاً . وروايته في شرح أدب الكاتب : « ولكن المسيء هو الظلوم » ، ولكن الجواليقي لم يشر إلى هذه الرواية في شرح البيت ، وإنما اقتصر على شرح « المُليم » ، مما يدل على أن رواية « الظلوم » وهمٌ من النساخ، ويؤيد ذلك أن البيت ورد برواية « المليم » في الاتقان وجمهرة أشعار العرب . وفي الجمهرة : « من اللامات لست لها بأهل » . واللأمة : الأمر يُلام عليه . وفي الاتقان : « بريء من الآفات ليس لها بأهل » ، تحريف أخل بالوزن لزيادة كلمة « بريء » — وقال الجواليقي : « وقوله من الآفات : مِنْ تتعلق بقوله « بريئاً » ،أي بريئاً من الآفات . والمُليم : الذي يأتي بما يلام عليه » شرح أدب الكاتب ٣١٢ .

٣٠ عِبادُكَ يُخْطِئونَ وأَنتَ رَبٌّ بِكَفَّيْكَ المَنايا والحُتُومُ (١)

٣١ غَداةَ يَقُولُ بَعضُهم لِبَعضٍ أَلاَ يا لَيتَ أُمَّكُمُ عَقِيمُ

---

(٥) في اللسان (حتم) :

حنانَيْ رَبِّنا وله عَنَوْنا بكفَّيْه المنايا والحُتومُ

ثم أورد روايته عن الصحاح كما وردت في رواية المقاصد . وفي أدب الكاتب ، والاقتضاب :

عبادُكَ يُخْطِئونَ وأنت ربٌّ بكفيك المنايا لا تموتُ

وقال ابن السيد : « البيت لأمية بن أبي الصلت ، ووجدته في بعض ما قرأته من الكتاب غير هذا الكتاب (والحتوف) ، ولا أعلم أي الروايتين هي الصحيحة ، فإني لم أجد من الشعر شيئاً أستدل به على ذلك » الاقتضاب ٤٠٥ . وأظن « الحتوف » محرفة على أيدي النساخ عن « الحتوم » لتقارب الرسم ، وأما رواية « لا تموت » فلعلها وهم من بعض الرواة أو النُّسّاخ لانقطاع البيت عن قصيدته . وفي الألفاظ الكتابية للهمذاني :

عبادُكَ يَخْطَأون وأنت ربٌّ بكفَّيْكَ المنايا لا تموتُ

وفي اللسان (خطأ) :

عبادك يَخْطَأون وأنت ربٌّ كريمٌ لا تليق بك الذُّمومُ

وفي روايته هذه تداخل مع البيت (٢٨) ، وقوله : يَخْطأون ، قال الجواليقي : « يقال خَطِئْتُ خِطْأً ، إذا أثمت ، قال الله تعالى (إنه كان خِطْأً كبيراً) ، وأخْطَأْتُ في غيره ، يقال : لأَنْ تُخْطِيء في العلم خيرٌ من أن تَخْطَأ في الدين . وأبو عبيدة يقول هما لغتان » شرح أدب الكاتب ٣١٢ ، وانظر اللسان (خطأ) — والحتوم : مفردها حَتْمٌ ، وهو القضاء .

٣٢ فلا تدنو جَهَنَّمُ مِنْ بَرِيءٍ ... ولا عَدْنٌ يَحُلُّ بِها الأَثِيمُ [1]

وفي اللسان (وزم) :

٣٣ أَلاَ يا وَيْحَهُمْ مِنْ حَرِّ نارٍ ... كَصَرْخَةِ أَرْبَعِينَ لَها وَزِيمُ [2]

(٧٦)

في الأغاني (٨ : ٤) :

١ ذُكِرَ ابْنُ جُدْعانَ بِخَيْـ ... ـرٍ كُلَّما ذُكِرَ الكِرامُ

٢ مَنْ لا يَخُونُ ولا يَعُـ ... ـقُّ ولا تُغَيِّرُهُ اللِّئامُ [3]

---

(١) في تاريخ ابن عساكر : « ولا عدن يطالعها الأثيم » — والأثيم : المذنب ، من الإثم وهو الذنب .

(٢) الأربعين : لعله أراد بهم أربعين رَجُلًا ، فشَبَّه صرخة النار بصرخة تصدر عنهم جميعاً . والوزيم : الوجبة الشديدة ، والمعنى أنها نار شديدة لا تشبع بالقليل وإنما تأكل الناس بكثرة ونهم .

(٣) في نهاية الأرب : « ولا يبخله الأنام » . وفي المستجاد : « من لا يجور ولا يعق ولا يبخله اللئام » — وعَقَّ والديْهِ : قطعهما ولم يصل رَحِمَهُ منهما ، وقد يُعَمُّ بلفظ العقوق جميع الرحم من الأقارب .

٣ يَهَبُ النَّجِيبَـــةَ والنَّجِيــبَ لَـهُ الرِّحالَةُ والزِّمــامُ [١]

(٧٧)

في اللسان (خيط) [٢] :

الخَيْطُ الأَبيَضُ ضَوْءُ الصُّبْحِ مُنْفَلِقٌ
والخَيطُ الأَسْوَدُ لَوْنُ اللَّيْلِ مَرْكُومُ [٣]

---

(١) في الأغاني : « نجب النجيبة » تحريف صوابه عن نهاية الأرب — والنجيب : من الرجال : الكريمُ الحسيب ، وكذلك البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين . والرِّحالة : الرَّحْل للإبل والخيل .

(٢) البيت من الشعر المتهم .

(٣) في الاتقان ، وتفسير السيوطي : « لون الليل مكموم » . وفي اللسان : « ويروى : مكتوم » — ومُنفَلِقٌ : واضِحٌ بَيِّن ، من فَلَقَ اللهُ الفَجْرَ ، إذا أبداه وأوضحه . والمركوم : الذي تراكم بعضُه فوق بعض . والمكموم : المستور والمغطّى ، جاء بالمفعول وأراد به الفاعل ، بمعنى أنه يستر ويغطي ما فيه . وفي سورة البقرة : « وكُلوا واشربوا حتى يَتبيَّن لكم الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » ٢:١٨٧ . وفي الحديث : « أن عدي بن حاتم أخذ حبلًا أسودَ وحبلًا أبيضَ ، وجعلها تحت وسادة لينظر إليها عند الفجر ، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعلمه بذلك . فقال : إنَّك لعريض القفا ، ليس المعنى ذلك ، ولكنه بياض الفجر من سواد الليل . وفي النهاية : ولكنه يريد بياض النهار وظلمة الليل » اللسان (خيط) ، وانظر الحديث في صحيح مسلم ٢:٧٦٧ ، وصحيح البخاري ٨:١٣٧ ، والنهاية ٢:٩٢ . فالبيت مجرد نظم للآية وتفسيرها كما ورد في الحديث الشريف .

(٧٨)

في كتاب الصناعتين (٢٥٤) :

فَما أَعتَبَتْ في النَّائِباتِ مُعَتِّباً ... ولكنَّها طاشَتْ وضَلَّتْ حُلومُها [(١)]

(٧٩)

في البدء والتاريخ (٣:١٢٣)[(٢)] :

١ وفي دِينِكُمْ مِنْ رَبِّ مَرْيَمَ آيَةٌ ... مُنَبِّئَةٌ ، والعَبْدِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمِ [(٣)]

---

(١) في كتاب الصناعتين ، ومحاسن النثر والنظم : « فما أعتبت في النائبات معتّبٌ » ولا تستقيم إلاّ بالنصب — وأعتبَتْ : أرْضَتْ ، يقال : أعتبني فلانٌ ، إذا عاتبته على أمر أسخطني عليه ، فترك ذلك الأمر ورجع إلى ما يرضيني عنه . والمُعتِّب : الذي يُكثر العتاب . وطاشت : خفّت . والحُلوم : واحدها حِلْمٌ ، وهو الأناة والعقل. ولعله يتحدث عن الحياة وما فيها من تَحكُّم لامنطق فيه .

(٢) الأبيات في قصة مريم . قارن القصيدة بسورة مريم ١٩ : ١٥ - ٣٢ ، وسورة آل عمران ٣ : ٣٦ - ٤٧ ، وغيرها من السور التي تعرضت لقصة مريم في القرآن. والقصيدة من الشعر المتهم .

(٣) الآية : العلامة . ومنبئة : مخبرة. و « العبد » : معطوف على «مريم » ، والمعنى أن لكم في ولادة السيد المسيح بن مريم من غير زوج علامة على حكمة الله وقدرته . وفي سورة المؤمنين: «وجعلنا ابن مريم وأمّه آيةً وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين» ٢٣:٥١ ، وانظر سورة المائدة ٥:١٩ .

٢ أَنابَتْ لِوَجْهِ اللهِ ثُمَّ تَبَتَّلَتْ   فَسَبَّحَ عَنْهـــا لَوْمَةَ الْمُتَلَوِّمِ (١)

٣ فَلاَ هِيَ هَمَّتْ بِالنِّكاحِ وَلاَ دَنَتْ   إِلَى بَشَرٍ مِنْها بِفَرْجٍ وَلاَ فَمِ

٤ وَلَطَّتْ حِجابَ البَيْتِ مِنْ دُونِ أَهْلِها   تَغَيَّبُ عَنْهُمْ في صَحارِيِّ دَمْدَمِ (٢)

٥ يَحارُ بِها السَّارِي إِذا جَنَّ لَيْلُهُ   وَلَيْسَ وَإِنْ كانَ النَّهارُ بِمُعْلَمِ (٣)

٦ تَدَلَّى عَلَيْها بَعْدَ مانامَ أَهْلُها   رَسُولٌ فَلَمْ يَحْصَرْ وَلَمْ يَتَرَمْرَمِ (٤)

٧ فَقالَ أَلاَ لاَ تَجْزَعِي وَتُكَذِّبِي   مَلاَئِكَةَ مِنْ رَبِّ عادٍ وَجُرْهُمِ (٥)

٨ أَنِيبِي وَأَعْطِي ما سُئِلْتِ فَإِنَّنِي   رَسُولٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يَأْتِيكِ بِابْنَمِ (٦)

---

(١) أناب : تاب ورجع إلى طاعة الله، وأنابَتْ ، هنا:أطاعت. وتَبَتَّلت :تركت الزواجَ وانقطعت لله وأخلصت له . وسبَّحَ : نَزَّه . وتلَوَّم في الأمر : تمكَّث وانتظر، والمتلوِّم : الذي ينتظر منها ما تُلام عليه .

(٢) لَطَّ الحجابَ : أرخاه وسدله . ودَمْدَم : موضع ، انظر معجم البلدان ٥٨٢:٢ ، والقاموس والتاج (دمم) .

(٣) جَنَّ الليلُ : أظلم فستر ما فيه .

(٤) حَصِرَ الرَّجلُ يَحْصَر : كان عَيِيًّا لا يقدر على الكلام . وتَرَمْرَم : تَحرَّك للكلام ولم يتكلم ، والمعنى أن الرسول كان بليغاً طَلْقَ اللسان .

(٥) الجَزَع : الخوف والحزن.وعاد : قوم هود عليه السلام،وأتتهم الصيحة فأهلكهم الله ، وكانوا يسكنون الأحقاف قريباً من حضرموت . وجرهم : حي من اليمن ، نزلوا مكة وتزوج فيهم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ثم ألحدوا في الحرم فأبادهم الله تعالى بعد أن جلتهم خزاعة عن مكة .

(٦) أنيبي ، هنا : أطيعي . وابنم : أصلها ابن ، والميم زائدة .

٩ فقالَتْ لهُ أَنَّى يكونُ ولَمْ أَكُنْ   بَغِيًّا ولا حُبْلَى ولا ذاتَ قَيِّمِ [١]

١٠ أَأُحرَجُ بالرَّحمنِ إنْ كُنْتَ مُسْلِماً   كلامِيَ فَاقْعُدْ ما بَدَا لَكَ أَوْ قُمِ [٢]

١١ فَسَبَّحَ ثُمَّ اغْتَرَّها فالْتَقَتْ بِهِ   غُلاماً سَوِيَّ الخَلْقِ لَيسَ بِتَوْأَمِ [٣]

١٢ بِنَفْخَتِهِ في الصَّدْرِ مِنْ جَيْبِ دِرْعِها   وما يَصْرِمِ الرَّحْمٰنُ مِلْأَمْرِ يُصْرَمِ [٤]

١٣ فلَمَّا أَتَمَّتْهُ وجاءَتْ لِوَضْعِهِ   فآوَى لَهُمْ مِنْ لَوْمِهِمْ والتَّنَدُّمِ [٥]

---

(١) القَيِّم : السيِّد وسائس الأمر . وقَيِّم المرأة : زوجها لأنه يقوم بأمرها وما تحتاج إليه .

(٢) الحَرَج : الإثم أو الضِّيق . وأحْرَجَه : آثَمَه أو ضَيَّق عليه . وبدا له : أي بدا له بَدَاءٌ ، بمعنى ظهر له في الأمر رأيٌ . والبيت في غاية الركاكة والاسفاف ، لأنه محاولة لنظم الآية : « قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً » سورة مريم ١٩:١٧ .

(٣) اغْتَرَّه : أتاه على غِرَّةٍ منه ، والغِرَّة : الغَفْلة . والتقَتْ به : أراد حَمَلَتْ به . وقوله « ليس بتوأم » معناه أنه لا نظير له ولا شبيه .

(٤) جَيْب القَميص : طَوْقُه . ودرع المرأة : قميصها . والصَّرْم : القطع ، وصَرَمَ الأمرَ : عَزَمَ عليه وقَطَعَه . ومِلأمْر : أراد من الأمر ، والبيت أشبه بنظم لتفسير الآية « ومريمَ ابنةَ عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ، وصدَّقت بكلمات ربِّها وكتبه وكانت من القانتين » سورة التحريم ٦٦:١٢ . وانظر سورة الأنبياء ٢١:١٩.

(٥) آوَى لهم : رَقَّ ورَثَى ، ولعل ضمير الفاعل للغلام ، وإذا كان ذلك قبل وضعه ، فهو من باب المبالغة . والنَّدَم والتَّنَدُّم : الأسف . وقوله فآوى : الفاء زائدة ، لأن جواب « لمَّا » لا يُربط بالفاء إن كان فعلاً ماضياً . ومِنْ : هنا للتعليل .

١٤ وقالَ لَهَا مَنْ حَوْلَهَا جِئْتِ مُنْكَراً ... فَحُقَّ بِأَنْ تُلْحَيْ عليهِ وتُرْجَمي [١]

١٥ فأدْرَكَها مِنْ ربِّها ثَمَّ رَحْمَةٌ ... بِصِدْقِ حَدِيثٍ مِنْ نَبِيٍّ مُكَلَّمِ

١٦ فَقالَ لَهَا إنِّي مِن اللهِ آيَةٌ ... وعَلَّمَنِي واللهُ خَيْرُ مُعَلِّمِ

١٧ وأرْسِلْتُ لَمْ أُرْسَلْ غَوِيّاً ولَمْ أَكُنْ ... شَقِيّاً ولَمْ أُبعَثْ بِفُحْشٍ ومَأْثَمِ [٢]

(٨٠)

في اللسان (فرض) :

كُمَيْتٍ بَهِيمِ اللَّوْنِ لَيْسَ بِفَارِضٍ ... ولا بِخَصِيفٍ ذاتِ لَوْنٍ مُرَقَّمِ [٣]

---

(١) المُنْكَر : كلُّ ما قبَّحه الشَّرْعُ وحرَّمه وكرهه . ولَحاه : لامَه وعنَّفَه .

(٢) الغَوِيُّ : الضَّالُّ . والفحش : القبيح من القول والفعل . والمَأْثَم : الأمر الذي يَأْثَمُ به الانسانُ ، أو هو الإثْمُ نفسُه وضعاً للمصدر موضع الاسم .

(٣) الكُمَيت : ما كان لونُه بين السواد والحمرة . والبَهيم : الذي لا يخالط لونَه لونٌ آخر . والفارض : المُسِنُّ . والخَصيف : ما اجتمع فيه لونان معاً . والمُرَقَّم : المُخَطَّط . و « ذاتِ » : صفة لخصيف . والفرس : واحد الخيل المُذكَّرُ والمؤنثُ فيه سواء ، وقد ذَكَّر في الصدر ، وأنَّث في العجز ، والبيت في وصف فرس .

(٨١)

في السيرة (١:٢٥٨) :

١ إذْ أَتَى مَوْهِناً وقَدْ نامَ صَحْبِي وسَجَا اللَّيْلُ بِالظَّلامِ البَهِيمِ [١]

وفي السيرة (٢:١٨٣) :

٢ فَوْقَ شِيزَى مِثْلِ الجَوابِي عَلَيْها قِطَعٌ كالوَذِيلِ في نِقْيِ فُومِ [٢]

---

(١) المَوْهِنُ : نحوٌ من نصف الليل ، وقيل : هو ساعة تمضي من الليل واتى مَوْهناً : أي أتى بعد وَهْنٍ من الليل . وسجا : سكن . والبَهيم : ماكان لوناً واحداً لايخالطه غيرُه ، وأراد به المظلم الذي لاضياء فيه . ولعله يتحدث عن طيفٍ ألمّ به ليلاً .

(٢) الشِّيزى : خشب أسود تُتّخذ منه القِصاع ، وأراد « فوق جِفانِ شِيزَى » فحذف المضاف . والجوابي : مفردها جابية ، وهي الحوض الضخم ، ومن عادتهم تشبيه الجفان بها ، وفي سورة سبأ : « وجفانٍ كالجوابي » ٣٤:١٣ . والوذيل : مفردها وَذِيلة ، وهي القطعة من الفضة شبّه بها قطعاً من الشّحم . والنِّقي : مُخُّ العظام ، وأراد بها لُبابَ الحنطة . والفوم : الحنطة ، الواحدة فُومَة .

(٨٢)

في معجم ما استعجم (٣ : ١٠٧٢) [١] :

١ فلَوْ قَتَلُوا بِحَرْبٍ أَلْفَ أَلْفٍ ... مِنَ الجُنَّانِ والأَنسِ الكِرَامِ [٢]

٢ رَأَيْناهُمْ لَــهُ ذَحلاً وقُلْنــا ... أَرُونا مِثْلَ حَرْبٍ في الأَنــامِ [٣]

(٨٣)

في طبقات ابن سلام (١٠٧) [٤] :

١ الحَمْدُ لِلّهِ لا شَرِيكَ لَــهُ ... مَنْ لَمْ يَقُلْها فنَفْسَه ظَلَمــا

---

(١) قال البكري : « وقال الزبير بن أبي بكر : كانت القُرَيَّة بين حرب بن أمية ومرداس بن أبي عامر ، وكان مرداس شَرِكَ فيها حرباً ، فَحَرَّقا شجراً ملتفاً فيهــا ، وقتلا هناك جِنَّانا ، فسمعا هاتفاً (يتوعدهما) .. فمات حرب ومرداس .. وقال أمية بن أبي الصلت يرثي حرباً ، ويَذْكر الجِنَّان ، وكان حربٌ ابنَ خالةِ أم أمية رقية بنت عبد شمس : (البيتين) » معجم ما استعجم ٣ : ١٠٧١ — ١٠٧٢ .

(٢) الجِنَّان : مفردها جانٌ ، وهو اسم جمع كالجامل والباقر لجماعة الجمال والبقر . و « بحرب » : الباء للمقابلة ، بمعنى لو قَتَلوا مُقابِلَ حرب بن أمية .

(٣) الذَّحْل : الثأر . والأنام : الإنس والجن ،أو كلُّ ما على الأرض من الخَلْق .

(٤) نقل ابن سلام أن الأبيات تروى لأمية ، وتروى أيضاً للنابغة الجعدي . انظر تخريج الأبيات ، وارجع إلى بحث الاضطراب في رواية شعر أمية ١٥٨ .

وفي طبقات ابن سلام (١٠٦) :

٢ مِنْ سَبَأَ الحَاضِرِينَ مَأْرِبَ إذْ   يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ العَرِما [(١)]

وفي الخزانة (٤ : ٣ بولاق) :

٣ نُودِيَ قُمْ وارْكَبَنْ بأَهْلِكَ إنَّ   اللهَ مُوفٍ لِلنَّاسِ ما زَعَمـا [(٢)]

---

(١) في الشعر والشعراء : « أم كسد الحاجرين مأرب » . وفي المنتخبات : « أو سبأ الحاضرين » . وفي شرح المقامات : « من سبأ الساكنين مارب » رواه بلا همز ، ثم قال: إنّ أصله الهمز . وفي اللسان ، والتاج (عرم) : « إذ شَرَّد من دون سيله » . وفي جمهرة اللغة ، واللسان ، والتاج (سبأ) : « إذ يبنون من دون سيلها » — وسبأ : اسم يجمع عامة قبائل اليمن . والحاضرون : مفردها الحاضر ، وهو المقيم في المدن والقرى . ومأربَ : نُصبت بحذف حرف الجر ، أي « الحاضرين في مأرب » . والعَرِم : قيل مفردها عَرِمَةٌ ، وهي السُّدُّ يُبنى أمام السيل ، أو يُعتَرض به الوادي ، وقيل : العَرِم جمع لامفرد له ، ومعناه السُّدود .

(٢) في جمهرة اللغة : « نودي قيل اركبن » ولعله تحريف — ومُوفٍ : فاعل من أوْفَى الرَّجلَ أجرَه ، إذا أعطاه إياه كاملاً لانقص فيه . وزَعَم ، هنا : فُسِّر بمعنى ضَمِنَ ، وبمعنى وَعَد . والزَّعم في اللغة : القَوْل يكون حقاً ويكون باطلا ، قال ابن دريد : « قد يجيء الزعم في كلامهم بمعنى التحقيق ، قال النابغة الجعدي : (البيت) » جمهرة اللغة ٣ : ٣ . والبيت يشير إلى نوح عليه السلام ، حين بدء الطوفان .

(٨٤)

في مفاتيح الغيب (٤:١٩٠)[1] :

وقالَ لإبْليسَ رَبُّ ٱلعِبــادِ   أَنِ ٱخْرُجْ دَحِيراً لَعِيناً ذَؤُما[2]

(٨٥)

في طبقات ابن سلام (٢٢٤)[3] :

إنْ تَغفِرِ اللَّهُمَّ تَغفِرْ جَمّا   وأيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمّــا[4]

---

(١) البيت من الشعر المتهم .

(٢) الدَّحْر : الطَّرْد والابعاد . وذَأم الرَّجُلَ : حَقَّره وذَمَّه ، وقيل : حَقَّره وطرده . وفي سورة الأعراف : « قال اخْرُجْ منها مَذْؤماً مَدْحورا » ١٧:٧ . وفي سورة الحجر : « قال فاخرُجْ منها فإنك رَجيم ، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين » ١٥:٣٤ - ٣٥ ، وانظر سورة ص ٣٨:٧٧-٧٨ .

(٣) رواه ابن سلام وغيرُه لأمية بن أبي الصلت ، وبعضهم رواه لأبي خراش الهذلي. انظر تخريج البيت ، وارجع إلى بحث الاضطراب ١٦١ .

(٤) في محاضرات الأدباء : « ما ألمّا » — و الجمّ : الكثير من كل شيء ، أراد تغفر غفراناً جمّاً . وألمّ الرّجلُ : وَقَع في اللّمَم ، وهو صغار الذنوب ، وفي سورة النجم : « الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلاّ اللّمَمَ » ٥٣:٣٢ ، وقيل في تفسير اللّمم : صغار الذنوب ، ونقل الطبري بسنده عن ابن عباس قال : « هو الرجل يُلِمّ بالفاحشة ثم يتوب » تفسير الطبري ٢٣:٦٦ (طبعة البابي الحلبي) .

(٨٦)

في جمهرة أشعار العرب (١٤) :

نَفَشَتْ فيــهِ عِشَــاءَ غَنَمٌ   لِرِعَــاءٍ ثُمَّ بَعْدَ العَتَمَــهْ [١]

(٨٧)

في السيرة (١ : ٦٠) [٢] :

١ ومِنْ صُنْعِـهِ يَوْمَ فِيلِ الحُبُو   شِ إذْ كُلَّما بَعَثُوهُ رَزَمْ [٣]

٢ مَحَــاجِنُهُمْ تَحْتَ أَقْرابِــهِ   وقَـدْ شَرَمُوا جِلْدَهُ فَانْشَرَمْ [٤]

---

(١) نَفَشَتِ الغَنَمُ : تفرقت فرعت بالليل من غير علم راعيها . والعِشاء : أول الظلام من الليل ، وقيل: هومن صلاة المغرب إلى العَتَمَة . والعَتَمة : ثُلثُ الليل الأول بعد غيبوبة الشفق ، وقيل : العَتَمَة وَقْتُ صلاة العشاء الأخيرة .

(٢) ذكر ابن هشام أن الأبيات من قصيدة تُروى لأمية بن أبيــه الصلت وتروى أيضاً لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري . وهي في حادثة الفيل المعروفة، يوم أراد الأحباش هدم الكعبة .

(٣) من صنعه : الضمير لله تعالى . وبعثوه : ضمير المفعول للفيل . ورَزَم البعيرُ والرجلُ : إذا كان لايقدر على النهوض إعياءً أو هُزالاً .

(٤) في السيرة : « وقــد شرموا أنفــه فانخرم » ، وأثبتُّ رواية واللسان والتاج ـــ والمَحاجن : مفردها مِحْجَن أو مِحْجَنة ، وهو العصا المعوجة كالصولجان . والأقراب : مفردها قُرْب ، وهو الخاصرة . وشرمَ جلدَه : شَقَّه . وانخرم : انشق .

٣ وقَـدْ جَعلوا سَوْطَـهُ مِغْوَلاً   إذا يَمَّمُوهُ قَفَاهُ كُلِمْ [(١)]

٤ فَـولّى وأَدْبَرَ أَدْراجَـهُ   وقَدْ بَاءَ بالظُّلْمِ مَنْ كانَ ظَلَمْ [(٢)]

٥ فأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حاصِباً   فَلَفَّهُمْ مِثْلَ لَفِّ القُـزُمْ [(٣)]

٦ تَحُضُّ عَلَى الصَّبْرِ أَحْبارُهُمْ   وقَدْ ثَأَجوا كَثُؤاجِ الغَنَمْ [(٤)]

---

(١) المِغْوَل : سيف دقيق وغمده كالسوط ، سُمّي بذلك لأن صاحبه يغتال به عدوّه من حيث لايحتسبه . ويمّمَه : قصَدَه . والقفا : مؤخر العنق . و كُلِم : جُرِح .

(٢) الأدراج : واحدها دَرَجٌ ، وهو الطريق ، ورجَعَ أدراجَهُ : عاد من حيث أتى . وباء بالظلم : احتمله وصار عليه حدّه .

(٣) الحاصب : ريح شديدة تَحْمِل الترابَ والحَصْباءَ ، وفي سورة القمر : « إنا أرسلنا عليهم حاصباً » ٣٤:٥٤ ، أي عذاباً يَحْصِبُهم أي يرميهم بحجارة من سِجّيل ، وقيل حاصباً أي ريحاً تقلع الحصباءَ لقوتها . والقُزُم : مفردها قَزَم ، وهو اللئيم الدنيء الصغير الجثة الذي لاغناء عنده .

(٤) أنشد المرتضى عجز البيت ،ثم قال : « وفي هامش الصحاح هو عجز بيت لأمية يذكر أبرهة صاحب الفيل وصدره : يُذكّر بالصبر أجيادهم » التاج (ثأج) ، ولا شك أن « أجيادهم » محرفة عن « أحبارهم » — والثُؤاج : صِياحُ الغَنَم ، وثَـأَجوا : صاحوا مِثلَها .

(٨٨)

في الخزانة (١ : ٢٣١) [١] :

١ لَكَ الحَمْدُ والَمنُّ ربَّ العِبَا دِ أَنْتَ المَلِيكُ وأَنْتَ الحَكَمْ [٢]

إلى أن قال [٣] :

٢ ودِنْ دِينَ رَبِّـكَ حتّى اليَقِيـ ـنِ واجْتَنِبَنَّ الهَوَى والضَّجَمْ [٤]

---

(١) قال البغدادي قبل روايته القصيدة : « ورأيت في ديوانه قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ، أولها : لك الحمد ..» . ولم يورد البغـــدادي البيت (١٢) فأثبتُّه عن اللسان . والقصيدة منحولة على أمية .

(٢) مَنَّ عليه يَمُنُّ مَنًّا : أحسن وأنعم . وفي سورة القمر : « إن المتقـــين في جنات ونهر ، في مَقْعَدِ صدْق عند مليك مقتـدر » ٥٤:٥٤ - ٥٥ ، وفي سورة الأنعـام : « أفغير الله أبتغي حَكَماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب » ١١٤:٦ ، وانظر الأعراف ٨٦:٧ ، وهود ٤٥:١١ .

(٣) هذه عبارة البغدادي في الخزانة .

(٤) في الخزانة : « فدن دين ربك حتى التُّقى » . وفي مجموعة ليدن : « ودن دين ربك حتى التُّقى » . وأثبتُّ رواية بشير يموت لأنها أسلم لغةً — ودِنْ : أمرٌ من دان يَدِين ، بمعنى أطاع يطيع ، يقال : دِنْتُه ودِنْتُ له ، إذا أطعته ، فهو يتعدى بنفسه وبالحرف معاً . والضَّجَم : العوج . وفي سورة الأنعام : « قُلْ إني نُهيتُ أن أعبد الذين تدعون من دون الله ، قُلْ لا أَتَّبِـع أهواءكم قد ضَلَلْتُ إذن وما أنا من المهتدين » ٥٦:٦ ، وفي سورة الحِجْر : « واعبدْ ربَّك حتى يأتيك اليقين » ٩٩:١٥ ، وانظر سورة الأنعام ١٥٠:٦ ، والجاثية ١٧:٤٥ .

٣ مُحَمَّـــدُ أَرْسَلَهُ بِالهُـــدَى فعـــاشَ غَنِيّـــاً ولم يُهْتَضَمْ (١)

٤ عَطـاءٌ مِنَ اللهِ أُعطِيتَـــهُ وخَصَّ بِهِ اللهُ أَهْلَ الحَرَمْ (٢)

٥ وقَـدْ عَلِموا أَنَّـــهُ خَيرُهُمْ وفي بَيْتِهِمْ ذِي النَّدَى والكَرَمْ (٣)

٦ يَعِيبُونَ ما قالَ لَمّـا دَعَا وقَدْ فَرَّجَ اللهُ إِحدَى البُهَمْ (٤)

٧ بِهِ وهْوَ يَدْعو بِصِدْقِ الحَديثِ إلى اللهِ مِنْ قَبْلِ زَيْغِ القَدَمْ (٥)

---

(١) في الخزانة : « محمدُ أرسله » دون تنوين كلمه « محمد » ، وبـذلك يكون قـد منع من الصرف ما حقُّه أن يُصْرَف ، ويجوز أن يكون « محمـدٌ ارْسَله » بتسهيل الهمزة وهذا جائز في الشعر — ولم يُهتَضَم : لم يُظلَم أو يُقهَر . وفي سورة التوبة : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدّين كله ولو كره المشركون » ٩:٣٤ ، ومثلها تماماً في سورة الصف ٦١:٩ ، وانظر سورة الفتح ٤٨:٢٨ ، والضحى ٩٣:٧ .

(٢) العطاء ، هنا : النبوة . وأهل الحرَم : أراد بهم قريشاً .

(٣) بَيْتهم : أراد به الفرع الهاشمي من قريش ، لأن بني هاشم كانوا أصحـــاب الرفادة والسقاية في موسم الحج .

(٤) البُهَم : مشكلات الأمور ، الواحدة بُهْمَة .

(٥) زَيْغُ القَدَم : مَيلُه . وفي سورة الزمر : « فمَنْ أظلَمُ ممّن كذَب على الله وكذّب بالصّدْق إذ جاءه ، أليس في جهنم مَثْوىً للكافرين » ٣٩:٣٢ . وفي سورة سبأ : « ومَن يَزِغْ منهم نُذِقه عذاب السعير » ٣٤:١٢ ، وفي سورة الصف : « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبَهم » ٦١:٥ .

٨ أَطِيعوا الرَّسولَ عِبادَ الإلَهِ … تُنَجَّوْنَ مِنْ شَرِّ يَوْمٍ أَلَمّ [١]

٩ تُنَجَّوْنَ مِنْ ظُلُماتِ العَذابِ … ومِنْ حَرِّ نارٍ عَلَى مَنْ ظَلَمْ

١٠ دَعانا النَّبِيُّ بِهِ خاتَمٌ … فَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ أَسَرَّ النَّدَمْ [٢]

١١ نَبِيٌّ هُدًى صادِقٌ طَيِّبٌ … رَحِيمٌ رَؤُوفٌ بوَصْلِ الرَّحِمْ [٣]

١٢ بِهِ خَتَمَ اللهُ مَنْ قَبْلَهُ … ومَنْ بَعْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ خَتَمْ [٤]

---

(١) أَلَمَّ به : نَزَل ، وعَبَّر بالماضي عن المستقبل ، أي تُنَجَّوْن من شر يوم يُلِمُّ بكم وهو يوم القيامة ، وفائدة هذا التعبير أنه يؤكد حصول ذلك في المستقبل ، وهو معروف في أسلوب القرآن . وفي سورة النساء : « وما أرسلنا من رسول إلاَّ ليطاع بإذن الله » ٤:٦٣ ، وفي سورة النور : « قُلْ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فإن تولَّوا فإنما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلتم ، وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلاَّ البلاغ المبين » ٢٤:٥٤ ، وانظر سورة المائدة ٥:٩٥ ، والصف ٦١:١٠

(٢) الخاتم : هنا العلامة ، وأراد به خاتم النبوة ، وكان على كتفه عليه السلام وأَسَرَّ الشيءَ : كتمه أو أظهره ، وهو من الأضداد ، وبالوجهين معاً فُسِّرت الآية «وأسرُّوا الندامَة » يونس ١٠:٥٤ ، وهي تُشبه ما في البيت .

(٣) الرؤوف : الرحيم ، والرَّأفة أخصُّ من الرحمة وأرقُّ .

(٤) في سورة الأحزاب : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكنْ رسولَ الله وخاتَمَ النبيِّين » ٣٣:٤٠ .

١٣ يموتُ كما ماتَ مَنْ قَدْ مَضَى ... يُرَدُّ إلى اللهِ بـــارِي النَّسَمْ [(١)]

١٤ مَعَ الأَنْبِيا فِي جِنانِ الْخلودِ ... هُمُ أَهْلُهـــا غَيْرَ حِلِّ القَسَمْ [(٢)]

١٥ وقُدِّسَ فِينـــا بِحُبِّ الصَّلاةِ ... جَميعـــاً وَعُلِّمَ خطَّ القَلَمْ [(٣)]

---

(١) البارىء : الخالق . والنَّسَم : مفردها نَسَمَة ، وهي الانسان . وفي سورة الزمر: « إنكَ ميِّتٌ وإنـَّهم مَيِّتون » ٣٩: ٣٠ ، إنكَ : خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم . وفي سورة آل عمران : «وما محمدٌ إلاّ رسولٌ قد خَلَتْ من قَبْله الرُّسُلُ أفإنْ مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ، ومَن يَنْقَلِبْ على عَقِبَيْه فلن يَضُرَّ اللهَ شيئـــاً وسيجزي اللهُ الشاكرين » ٣: ١٤٤ ، وانظر الآية ١٤٥ .

(٢) الحِلُّ : الاسم من حَلَّل اليمينَ تحليلاً وتَحِلَّةً ، إذا كَفَّرَها. والتَّحِلَّة : ما كُفِّر به . وقوله « غَيْرَ حِلِّ القسم » : أراد « تَحِلَّة القَسَم » ، وهو مَثَلٌ في القليل المفرط القلة ، وهو أن يُقسم الإنسانُ على فِعْل ثم يُباشر منه مقداراً يسيراً يَبِرُّ بـــه قَسَمه ، انظر اللسان (حلل) . والمعنى في البيت : غير مرٍّ يسير جداً بجهنم ، وذلك لقوله تعالى : « وإنْ منكم إلاّ واردُها ، كانَ على رَبكَ حَتْماً مَقْضِيّا ، ثم نُنجي الذين اتَّقَوا ، ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيّا » سورة مريم ١٩: ٧٢ - ٧٣ .

(٣) التقديس : التطهير والتبريك . وخَطُّ القلم : لايريد به تعليم الكتابة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أميٌّ ، وإنما أراد ما يَنْتُج عن الخطّ من كتابة تُقرأ، وقد وضح ذلك بقوله « كتاباً » في البيت التالي . وهذان البيتان في غاية الضعف والركاكة لأن الناظم حاول فيهما أن ينقل معاني بعض الآيات فلم يوفق . وفي سورة العلق : « اقرأ وربُّـــك الأكرم ، الذي علَّم بالقلم » ٩٦: ٣ - ٤ ، وفي سورة الاسراء . « حتى تُنزِّلَ علينا كتاباً نقرؤه » ١٧: ٩٣ .

١٦ كِتاباً مِنَ اللهِ نَقْرَا بِهِ   فَمَنْ يَعْتَدِيهِ فَقَدْ ما أَثِمْ (١)

وفي اللسان (خلل) :

١٧ ودَفْعُ الضَّعِيفِ وأَكْلُ اليَتِيمِ   ونَهْكُ الحدودِ فكُلٌّ حَرِمْ (٢)

وفي اللسان (زعم) :

١٨ وإِنِّي أَذِينٌ لكُمْ أَنَّهُ   سَيُنْجِزُكُمْ رَبُّكُمْ ما زَعَمْ (٣)

---

(١) يعتديه : يتجاوزه . و « ما » : زائدة . وأَثِم : وقَعَ في الإثم . وكتاباً : بدل من « خط القلم » في البيت السابق .

(٢) دَفْع الضعيف : الاعتداء عليه . وأكْلُ اليتيم : أراد أكل مال اليتيم وهو أخذه . والنَّهْك : المبالغة في الشيء ، فإذا شتمتَ وبالغتَ في شَتْم العِرْض قيل : انتَهَك عِرْضَه . وحدود الله : الأشياء التي بَيَّن تحريمها وتحليلها ، وأمر ألاَّ يُتعدى شيءٌ منها فيتجاوز إلى غير ما أمر فيها أو نهى عنه منها . وحَرِمٌ : ممنوع ، أو حرامٌ . وفي سورة النساء : « وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدَّلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ، إنه كان حُوباً كبيراً » ٤ : ٢ ، وانظر الآيتين ٥ ، ٩ من السورة نفسها ، والحُوبُ : الذنب . وفي سورة البقرة : « تلك حدود الله فلا تقربوها » ٢ : ١٨٧ ، وفي سورة الطلاق : « ومَنْ يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه » ٦٥ : ١ ، وانظر البقرة ٢ : ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٣) في مفاتيح الغيب : « وإني أدين » . وفي التاج : « وإني أذين لكم .. سيجزيكم ربكم » — والأذين : المؤذِن ، كما قالوا أَلِيمٌ ووَجِيعٌ بمعنى مُؤْلِمٌ ومُوجِع . والمُؤذِن : الكفيل . وأَنْجَزَ الوعدَ : وفى به . والزَّعْم ، بتثليث الزاي : القول يكون حقاً ويكون باطلاً ، وهو هنا القول الحقّ .

(٨٩)

في طبقات ابن سلام (٢٢٢) [١] :

١ عَطاؤُكَ زَيْنٌ لِامْرِئٍ إنْ حَبَوْتَهُ بِخَيْرٍ وما كُلُّ العَطاءِ يَزِينُ [٢]

٢ وليسَ بِشَيْنٍ لِامْرِئٍ بَذْلُ وَجْهِهِ إليكَ كما بَعْضُ السُّؤالِ يَشِينُ [٣]

---

(١) البيتان في مديح عبد الله بن جدعان .

(٢) في المُحبَّر : « حبوته بفضل » . وفي الأغاني ، وديوان المعاني ، والمثل السائر ، والمستجاد ، ونهاية الأرب ، والاستدراك على رسالة ابن الدهان ، وصبح الأعشى ٢:٢٩٦ : « حبوته ببذل » . وفي تاريخ ابن عساكر : « حموته بخير » تحريف . وفي كتاب الصناعتين ، وشرح المضنون ، وصبح الأعشى ٢:١٨٦ : « حبوته بسيب » . وفي شرح ديوان المتنبي للواحدي ، وشرح التبيان ، ودلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة ، وشرح المقامات الحريرية : « أصبته بخير » — والزَّين : خلاف الشَّيْن ، وزانه زَيْناً : زَيَّنَه وحسَّنه . وحبوته : أعطيته . والبذل : العطاء عن طيب نفس .

(٣) في الأغاني : « وليس بشيء لامرئ » تحريف . وفي شرح ديوان المتنبي للواحدي ، وشرح التبيان ، وشرح المقامات الحريرية : « وليس بعار لامرئ » . وفي تاريخ ابن عساكر : « كما بعض السؤال يزين » ، كَرَّر « يزين » في البيتين ، وهو تصحيف حتماً — والشَّيْن : العَيْب .

(٩٠)

في جامع بيان العلم (١:٨٨) :

١ وقَدْ يَقْتُلُ الجَهْلَ السُّؤالُ ويَشْتَفِي إذا عايَنَ الأَمْرَ المُهِمَّ المُعايِنُ

٢ وفي البَحْثِ قِدْماً والسُّؤالِ لذِي العَمَى شِفَاءٌ وأَشْفَى مِنْهُما ما تُعايِنُ [١]

(٩١)

في الأغاني (٣:١٧٩) [٢] :

١ قَوْمِي ثَقِيفُ إنْ سَأَلتَ وأسْرَتِي وبِهِمْ أُدافِعُ رُكْنَ مَنْ عادَانِي [٣]

٢ قَوْمٌ إذا نَزَلَ الغَرِيبُ بِدارِهِمْ رَدُّوهُ رَبَّ صَواهِلٍ وقِيَانِ [٤]

---

(١) القِدْم : اسم للزمان من القِدَم . وذو العمى : الجاهل ، تشبيهاً له بالأعمى الذي لا يُبصِر .

(٢) ذكر الأصفهاني أن الأبيات تُروى لأمية بن أبي الصلت ، وتروى أيضاً لابنه القاسم بن أمية .

(٣) رُكْنُ الإنسانِ : قوته وشدته ، ورُكْنُ الرَّجلِ : قومُه وعشيرته .

(٤) في بهجة المجالس : « قوم إذا نزل الغريب بأرضهم » . وفي تاريخ ابن عساكر ، والبداية والنهاية : « وإذا المقلُّ أقام وسط رحالهم » . وفي الحماسة البصرية : « إذا نزل الحريب » . وفي الوحشيات : « فإذا الحريب أناخ وسط بيوتهم » . وفي ربيع الأبرار :

٣ لا يَنكُتونَ الأرضَ عِندَ سُؤالِهِمْ ... لِتَلَمُّسِ العِلاَّتِ بالعِيدانِ [١]

وفي العقد الفريد (١:٨٥) [٢] :

٤ بَلْ يُسفِرونَ وُجوهَهُمْ فَتَرى لَها ... عِنْدَ السُّؤالِ كَأَحسَنِ الألوانِ [٣]

« إذا نزل الحديث » تحريف . وفي العقد ، والعمدة ، والحماسة البصرية ، وربيع الأبرار ، وشرح نهج البلاغة : « تركوه ربٌّ » — والمُقِلُّ : الفقير . وحَرَب الرجلَ يَحْرُبُه حَرَباً : أخذ ماله وتركه بلا شيء ، فهو مَحْروبٌ وحَريبٌ .

(١) في الأغاني ، والحماسة البصرية ، وتاريخ ابن عساكر ، والبداية والنهاية : « لاينكثون » بالثاء المثلثة ، وهو تصحيف لـ « ينكتون » وهي رواية الوحشيات ، والعقد ، والإصابة ، وشرح المقامات ، وشرح نهج البلاغة . وفي الحيوان ، وربيع الأبرار والمخصص ، وبهجة المجالس : « لاينقرون الأرض » . وفي الوحشيات ، والعقد ، وربيع الأبرار ، والاصابة ، وشرح المقامات ، وشرح نهج البلاغة ، وبهجة المجالس ، وتاريخ ابن عساكر : « لتطلب العلات » . وفي البداية : « كتطلب العلات » تحريف — ونكَتَ الأرضَ بالقَضيب : أثَّر فيها بطرفه فِعْلَ المفكِّرِ المهموم . والعِلاَّت : مفردها عِلَّة ، وهي السبب . و « بالعيدان » : متعلقان بـ « ينكتون » .

(٢) رواهما ابن عبد ربه في العقد مع بيتين آخرين من أبيات الأغاني بترتيب مختلف .

(٣) في الوحشيات ، والحيوان ، وربيع الأبرار ، وشرح المقامات : « بل يبسطون وجوهم » . وفي شرح المقامات : « فترى لهم عند السؤال » . وفي الحيوان : « عند اللقاء » . وفي بهجة المجالس : « بل يبسطون وجوههم فترى لهم عند اللقاء » . وفي الحماسة البصرية : « بل يبسطون وجوههم فترى بها عند اللقاء » — وأسفر الرجلُ : كشَفَ عن وجهه وأسفر الوجهُ : حَسُنَ وأشرَق . وبَسَطَ وجهَهُ : تَهَلَّل فَرَحاً وبِشْراً .

٥ وإذا دَعَوْتَهُمُ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ سَدُّوا شُعاعَ الشَّمْسِ بالفُرْسانِ [١]

(٩٢)

في ذيل الأمالي (٣٨) [٢] :

١ ولَقَدْ رأَيتُ القَائِلينَ وفِعلَهُمْ فرأيتُ أكرَمَهُمْ بَنِي الدَّيَّانِ [٣]

٢ ورأيتُ مِنْ عَبْدِ المَدانِ خَلائِقاً فَضَلَ الأَنامَ بِهِنَّ عَبْدُ مَدانِ [٤]

٣ البُرُّ يُلْبَكُ بالشِّهادِ طَعامُهُمْ لا ما يُعَلِّلُنا بَنُو جُدْعانِ [٥]

---

(١) في تاريخ ابن عساكر ، والبداية والنهاية : « وإذا دعوتهم لكل مُلِمَّة » . وفي الوحشيات ، والحماسة البصرية : « سدوا شعاع الشمس بالخِرْصان » . وفي ربيع الأبرار : « سدوا شعاع الشمس بالحرمان » تحريف — والمُلِمَّة : النازلة الشديدة من نوازل الدهر وشدائده ، وهي هنا الخطر الشديد . والكَرِيهَة : الشِّدَّة في الحرب . والخِرْصان : الرماح ، مفردها خُرْص بتثليث الخاء .

(٢) الأبيات في مديح بني الديان لمناسبة أثبتناها في تخريج الأبيات .

(٣) في ربيع الأبرار : « ولقد رأيت القايلين » . وفي الروض الأنف ، وألف با ، والبداية والنهاية ، وآكام المرجان ، وإنسان العيون : « ولقد رأيت الفاعلين » .

(٤) في ربيع الأبرار : « خلايقا » — والخلائق : مفردها خَلِيقَة ، وهي الطبيعة والسجية . وفَضَلَ الأنامَ بها : تَفوقَ عليهم . والمدان : اسم صنم .

(٥) في ذيل الأمالي ، والوسائل للسوطي : « بالشهاد طعامه » ، وأثبتُّ رواية « طعامهم » عن الروض الأنف ، والبداية والنهاية ، وألف با ، وآكام المرجان ، وإنسان العيون . وفي آكام المرجان : « لا ما تعللنا بنو جدعان » — والبُرُّ : الحنطة . ويُلبك :

(٩٣)

في جمهرة أشعار العرب (٢١١) [١] :

١ عَرَفْتُ الدَّارَ قَدْ أَقْوَتْ سِنِينَا   لِزَيْنَبَ إِذْ تَحُلُّ بِهَا قَطِينَا [٢]

٢ أَذَعْنَ بِهَا جَوافِلُ مُعْصِفَاتٌ   كَمَا تَذْرِي الْمُلَمْلَمَةُ الطَّحِينَا [٣]

يُخلط . والشِّهاد: مفردها شَهْد ، بفتح الشين وضمها ، وهو العسل . وعلَّلَه بطعام وحديث ونحوهما : شغله بها .

(١) لم ترد الأبيات (٩ ، ١٧ ، ٢٤) في الجمهرة ، وإنما أضفتُ البيت (٩) بترتيبه عن معجم ما استعجم ١:٧٩ ، والبيت (١٧) عن شعراء النصرانية ٢٣٤ ، والبيت (٢٤) عن ليدن ٧٠ .

(٢) في أراجيز العرب : « عرفت الدار إذ أقوت » . وفي اللسان ، والتاج ، ومعجم البلدان : « إذ تحل بذي قِضِينا » — وأقوَتِ الدارُ : خَلَتْ . والقَطِينُ :سكان الدار ، الواحد والجمع فيه سواء . وذو قِضِين : موضع ، لعله تكثر فيه القِضَةُ ، وهي نبتة سَهْلِيّة .

(٣) في أراجيز العرب : « أذعن بها حوافل » . وفي اللسان ، والتاج : « وأذرتها جوافل معصفات كما تذري المهلهلة » — وأذعَنَ بها : ذَهَبْنَ بها . وأذرت الريحُ الترابَ وذَرَته : أثارته وسفته وذهبت به . والجوافل : مفردها جافِلَة ، وهي الريح السريعة التي تُجفِل ، أي تطرد التراب وتسفيه . والحوافل : الشديدة المطر . والمُلَمْلَمة : الطاحون ، من المُلَمْلَم وهو الحجر الصُّلْب المستدير . والمُهَلْهِلَة : مِن هَلْهَلَتِ المرأةُ الطحينَ ، إذا نخلته بشيء رقيق .

٣ وسافَرَتِ الرِّياحُ بِهِنَّ عَصْراً بأذيالٍ يَرُحنَ ويَغْتَدينـــا [١]

٤ فأبقَيْنَ الطُّلولَ ومَحْنِيـاتٍ ثلاثاً كالحمائمِ قَـدْ صُلينا [٢]

٥ وآرِيًّا لِعَهْدٍ مُرْبَتَـاتٌ أَطَلْنَ بهِ الصُّفونَ إذا افْتُلينا [٣]

٦ فإمّـا تَسْـأَلي عَنّي لُبَيْنَى وعَنْ نَسَبي أُخبِّرْكِ اليَقينا [٤]

---

(١) سَفَرَتِ الريحُ الترابَ والغيمَ وغيرَه : كنسته أو فرّقته ، والرياح يُسافِرُ بعضُها بعضاً لأن الصَّبا تَسْفِرِ ما أسْدَتْه الدَّبُور ، والجنوبُ تلحمُه . والعَصْر ، بتثليث العين وبضمتين : الدَّهر . وذيل الرياح : ما جرَّتْه على وجه الأرض من التراب والغبار .

(٢) الطُّلول : آثار الدِّيار ، الواحد طَلَل . والمَحْنيات ، قال صاحب الجمهرة : « هي ملاعب الصبيان » ، ولعله ذهب إلى المَحْنية ، وهي منعرج الوادي حيث ينعطف ، ولا تستقيم ملاعب الصبيان مع عجز البيت كما رواه ، وإنما أراد بها أمية الأثافي لأنهـا قد انحنت لطول العهد ولم تعد مستقيمة الوضع ، ويؤيد هذا ما وَصفها به من أنها ثلاث وأن النار قد صلتها ، فالواحدة مَحْنيَّة ثم خفف ضرورة ، ولهذا نظائر في أشعارهم ، انظر الموازنـــة ٤٠٦ - ٤٠٧ .

(٣) الآرِيُّ : مربط الخيل . ومُرْبَتات : مُربَّيات ، من رَبَتَه بمعنى رَبّاه . وصَفَنَت الدابةُ تَصْفِنُ صُفُوناً : قامت على ثلاث وثَنَت سُنبُكَ يدها الرابع . وافتلَى المهرَ : عزله عن الرضاع وفَصَله .

(٤) في معجم ما استعجم : « فإمّا تسألي يا بْنَ عني » .

٧ فإنّي لِلنَّبيتِ أَباً وأُمـــاً ... وأَجداداً سَمَوْا في الأَقْدَمِينا [١]

٨ فـــإنِّي للنَّبِيتِ أَبي قَسِيٍّ ... لِمَنصورِ بْنِ يَقْدُمَ ٱلأَقْدَمينا [٢]

٩ لِأَفْصَى عِصْمَةِ الْهُلاَّكِ أَفْصَى ... عَلَى أَفصَى بْنِ دُعْمِيٍّ بَنِينــا [٣]

١٠ ودُعْمِيٌّ بهِ يُكنَى إيَـــادٌ ... إلَيْهِ تَنَسُّبي كَـيْ تَعْلَمِينا [٤]

١١ وَرِثْنا المَجْدَ عَنْ كُبْرَى نِزَارٍ ... فأَوْرَثْنـــا مـآثِرَهُ بَنِينَـــا [٥]

---

(١) في الجمهرة : « فإني للنبيـــه » ، وهو محرف عن « النبيت » كما ورد في رواية البيت التالي في كل من السيرة ، ومعجم ما استعجم ، وهو الذي ورد في نسب ثقيف قبيلة أمية ، قال ابن هشام : « واسم ثقيف قَسِيُّ بن النَّبِيت بن مُنَبِّه بن منصور بن يَقْدُمَ بن أفصى بن دُعْمِيّ بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان » . السيرة ١:٤٨ ، وانظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ١٦٨ ، وصبح الأعشى ١:٣٣٦ ، وشرح نهج البلاغة ٨:٣٠٣ .

(٢) لم يرو ابن هشام البيت (٧) في السيرة ١:٤٩ ، وإنما أورد البيت (٨) فحسب عقب البيت (٦) ، و كذلك فَعَل البكري في معجم ما استعجم ١:٧٩ ، والشيخ ابن عربي في محاضرة الأبرار ١:٨٧ ، ولا يبعد أن يكون أحد البيتين محرفاً عن الآخر ثم جُمع بينهما في رواية الجمهرة . وفي الجمهرة : « فإني للنبيه » والتصحيح عن الســـيرة ، ومعجم ما استعجم . وفي الأخير : « بني قَسِيّ » . وفي محاضرة الأبرار : « فأنا للبيب أبي قيس » تحريف .

(٣) العِصْمَة : المَنْع والوقاية ، وهو الاسم من عَصَمَهُ عَصْماً إذا منعه ووقاه .

(٤) لم يرو صاحب الجمهرة هذا البيت ، وإنما أضفتُه بترتيبه عن معجم ما استعجم .

(٥) المـآثر : مفردها مَأثُرَة ، بضم الثاء وفتحها ، وهي المكرمة المتوارثة .

١٢ وكُنّا حَيثُما عَلِمَتْ مَعَدٌّ أَقَمْنا حَيثُ ساروا هارِبينا [١]

١٣ بِوَجٍّ وهْيَ عُبْرِيٌّ وطَلْحٌ تَخالُ سَوادَ أَيْكَتِها عَرِينا [٢]

١٤ فأَلْقَيْنا بِساحَتِها حُلولاً حُلولاً لِلإِقامَةِ ما بَقِينا [٣]

١٥ فأَنْبَتْنا خَضارِمَ فاخِراتٍ يَكونُ نِتاجُها عِنَباً وتِينا [٤]

١٦ وأَرْصَدْنا لِرَيْبِ الدَّهْرِ جُرْداً لَهامِيماً وماذِيّاً حَصِينا [٥]

---

(١) مَعَدٌّ : هو معد بن عدنان جَدُّ عرب الحجاز . وقوله « حيث ساروا هاربينا » لايريد حرباً بين قومه ومعد ، لأن معدّ تكاد تشمل قبائل الحجاز كلها من مضر وربيعة ، وإنما أراد ذلك على التشبيه ، فكأنّ معدّ قد فرّت من هذه الأماكن الخصبة إلى سواها في حين أقام بها قوم أمية ، أو لعله أشار بذلك إلى أحد أيام ثقيف على بعض أحياء معد ، أمثال أيام ثقيف على بني عامر بن صعصعة ، أو أيامها على بعض أحياء هوازن .

(٢) وَجٌّ : وادي الطائف ، أو الطائف نفسها بلد أمية . والعُبْرِيُّ من السِّدْر : ما نبت على شاطىء النهر وعظم . والطَّلْح : شجرة طويلة ذات ساق عظيمة لاتلتقي عليه يدا الرجل . والأيكة : الشجر الملتف الكثيف ، ووصفها بالسواد لشدّة خضرتها وتكاثفها.

(٣) الحُلول : جمع حالٍّ ، وهو النازل بالمكان .

(٤) الخضارم : مفردها خِضرم ، وهو الكثير من كل شيء ، وأراد أشجاراً أو بساتين خضارم ، ثم حذف الموصوف .

(٥) أرْصَدَ له الأمْرَ : أعدّه . ورَيْبُ الدّهرِ : نوائبه ومصائبه . والجُرْد من الخيل :واحدها أجْرَد ، وهو الفرس إذا رَقّ شَعَرُه وقَصُرَ ، وذلك من صفات العتق . واللهاميم : السريعة ، كأنها تلتهم الأرضَ ، الواحد لُهْموم . والماذِيّ : السلاح من الحديد ، ودرع ماذيّة : سهلة لينة تشبه الماذِيّ وهو العسل .

١٧ وخَطِّيًّا كأَشْطانِ الرَّكايا ... وأَسيافاً يَقُمْنَ ويَنْحَنِينا [١]

١٨ وفِتْياناً يَرَوْنَ القَتْلَ مَجْداً ... وشِيباً في الُحروبِ مُجَرَّبِينا [٢]

١٩ وتُخْبِرُكِ القَبائِلُ مِنْ مَعَدٍّ ... إذا عَدُّوا سِعايَةَ أَوَّلِينا [٣]

٢٠ بِأَنَّا النَّازِلُونَ بِكُلِّ ثَغْرٍ ... وأَنَّا الضَّارِبُونَ إذا ٱلتُقِينا [٤]

٢١ وأَنَّا المانِعونَ إذا أَرَدْنَا ... وأَنَّا العاطِفونَ إذا دُعِينا [٥]

٢٢ وأَنَّا الحامِلونَ إذا أَناخَتْ ... خُطوبٌ في العَشِيرَةِ تَبْتَلِينا [٦]

٢٣ وأَنَّا الرَّافِعونَ على مَعَدٍّ ... أَكُفًّا في المَكارِمِ ما بَقِينا

---

(١) الَخطِّي : الرماح ، وهو نسبة جرت مجرى الاسم العلم ، ونسبتُه إلى خَطِّ البحرين ، وهو مرفأ للسفن التي تحمل القنا من الهند . والأشْطان : مفردها شَطَنٌ ، وهو الَحبْل الطويل يُستَقَى به . والركايا : مفردها رَكِيَّة ، وهي البئر .

(٢) السِّعاية ، هنا : الفَضْل وعمل المكرمات .

(٣) لم يرد هذا البيت في الجمهرة ، وإنما أضفتُه بترتيبه عن شعراء النصرانية ٢٣٤ ، ولم يذكر الأب شيخو مصدر روايته .

(٤) الثَّغْر :موضع المخافة . والتُقِينا : أراد التُقِيَ بنا .

(٥) المانعون : واحدهم مانِعٌ ، وهو هنا إمَّا من المَنْع بمعنى أن يَحُولَ بين الرجل وما يريد ، وإمَّا من المَنَعَة بمعنى النُّصْرة والحماية . وعَطَفَ عليه : كرَّ وانقض .

(٦) الحامل ، هنا : بمعنى المُحْتَمِل ، واحتملَ الشيءَ : أطاقَه وصَبَرَ عليه . وأناخ البلاءُ بفلان : أقام عليه . وابتلاه : اختبره .

٢٤ أَكُفًّا في المكارِمِ قَدَّمَتْها ... قُرونٌ أَوْرَثَتْ مِنَّا قُرونَا [١]

٢٥ وأَنا الشَّارِبونَ الماءَ صَفواً ... ويَشْرَبُ غَيْرُنا كَدِراً وطِينا [٢]

٢٦ نُشَرِّدُ بالمَخافَةِ مَنْ نآنا ... ويُعْطِينا المَقادَةَ مَنْ يَلِينا [٣]

٢٧ إذا ما المَوْتُ عَسْكَرَ بالمَنايا ... وزايَلَتِ المُهَنَّدَةُ الجُفونا [٤]

٢٨ وأَلْقَيْنا الرِّماحَ وكانَ ضَرْبٌ ... يَكُبُّ على الوُجوهِ الدَّارِعِينا [٥]

٢٩ نَفَوْا عَنْ أَرْضِهِمْ عَدْنانَ طُرًّا ... وكانوا لِلقَبائِلِ قاهِرِينا [٦] .

---

(١) القَرْن : الأُمّة تأتي بعد الأمة ، فهو أهل زمان واحد .

(٢) لم يرد هذا البيت في رواية الجمهرة ، وإنما أثبتُّه عن حاشية شولتهيس (P.70)، وثمة بيت مشابه له في معلقة عمرو بن كلثوم ، وهو :

ونَشْربُ إنْ وَرَدْنا الماءَ صَفْواً ... ويَشْربُ غَيْرُنا كَدِراً وطِينا

والكَدِرُ : الماء غير الصافي .

(٣) المَخافة : مصدر كالخوف . ونأى فلاناً ونأى عنه : بَعُد عنه . وأعطاه المقادَةَ: انقاد له .

(٤) عَسْكَرَ القومُ : تجمعوا . وزايَلَهُ : فارقه . والجفون : مفردها جَفْنٌ ، وهو غمد السيف .

(٥) كَبَّ الشيءَ يكُبُّه : قَلَبَه . وكَبَّه لوجهه : صرَعه . والدارعون : لابسو الدروع . وطَعْنُ الرِّماحِ يكون عن بُعْد ، أمـا ضَرْب السيوف فعن قُرْب والتِحام .

(٦) في الجمهرة : « وكانوا بالربابة قاطنينا » ، وأثبتُ رواية الجاحظ في الحيوان ١٥٦:٦ . وفي شعراء النصرانية ، ومجموعة ليدن : « وكانوا بالرعاية قاطنينا » — ونَفَى،

٣٠ وهُمْ قَتَلوا السَّبِيَّ أَبا رِغَالٍ　　بِنَخْلَةَ حِينَ إذْ وَسَقَ الوَضِينا [١]

٣١ ورَدُّوا خَيْلَ تُبَّعَ في قُدَيْدٍ　　وَساروا لِلْعِراقِ مُشَرِّقِينا [٢]

٣٢ وبُدِّلَتِ المَساكِنُ مِنْ إيادٍ　　كِنانَةَ بَعْدَ ما كانُوا القَطِينا [٣]

٣٣ نَسِيرُ بِمَعْشَرٍ قَوْماً لِقَوْمٍ　　ونَدْخُلُ دارَ قَوْمٍ آخَرِينا [٤]

الرجلَ وغيرَه : طَرَده . وطُراً : جميعاً ، وهو منصوب على الحال .

(١) في الحيوان ، ومروج الذهب : « قتلوا الرئيس » . وفي مروج الذهب : « بمكة إذ يسوق بها الوضينا » . وفي الحيوان : « بنخلة إذ يسوق بها الظعينا » — والسَّبِيُّ : الأسير . وأبو رغال : قيل كان دليلًا للحبشة حين توجهوا إلى مكة ، فمات في الطريق ، فقبره بين مكة والطائف يرجمه الناس ، وقيل : إن أبا رغال وجهه صالح النبي عليه السلام ، على صدقات الأموال ، فخالف أمره وأساء السيرة ، فوثب عليه ثقيف ، فقتله قتلة شنيعة ، لسوء سيرته في أهل الحرم ، فقال غيلان بن سلمة الثقفي وذكر قسوة أبيهم ثقيف : « نحن قسيٌّ وقسا أبونا » . وبطن نخلة : موضع بين مكة والطائف . ووَسَق : جمع . والوضين : حزام الرحل ، وهو كناية عن الجموع التي أقبل بها .

(٢) تُبَّع : لَقَبُ ملك اليمن . وقُدَيْد : موضع بين مكة والمدينة .

(٣) القَطين : أهل الدار وسكانها .

(٤) في الجمهرة : « نسير بمعشر قوم لقوم وحلوا » ، وأثبتُّ رواية البيت في شعراء النصرانية لأنها ربما كانت تصحيحاً لرواية الجمهرة — والمعشر : الجماعة . والقوم : جماعة الرجال خاصة .

(٩٤)

في مقالة بور (١٥٣) [١] :

١ غَدًا جِيرانُ أَهلِكَ ظاعِنينا لِدارِ غَيرِ ذلِكَ مُنْتَوِينـا [٢]

٢ وشاقَتْكَ الحُدوجُ حُدوجُ سَلْمَى وقَدْ بَكَرَ الخَلِيطُ مُزايِلِينا [٣]

٣ رَمِيتَهُمْ بِعَيْنِكَ والمَطايـا خَواضِعُ في الأَزِمَّةِ يَعْتَلِينـا [٤]

٤ فَهَيَّجَ مِنْ فُؤادِكَ طُولَ شَوْقٍ فِراقُ الجِيرَةِ المُتَصَدِّعِينـا [٥]

---

(١) أوردها بور Power عن مخطوطة للجمهرة في المتحف البريطاني رقم ١٦٦٢ (المخطوطات الشرقية ٤١٥) ، وأشار بعد روايتها إلى قول الناسخ : قيل إنها مصنوعة على أمية بن أبي الصلت ، وقيل إنها لعمرو بن كلثوم والله أعلم .

(٢) الظاعنون : واحدهم ظاعِن ، وهو المرتحل في البادية . والدار : مؤنثة ، ولكنه ذَكَّر على معنى الموضع أو منزل القبيلة ، كقوله تعالى : « ولنعم دار المتقين » فذكّر على معنى الموضع أو المثوى . وانتَوَى المكانَ : قصَدَه .

(٣) في مقالة بور : « وساقك الحدوجُ حدوج » ولعله تحريف في الأصل المخطوط ، فاجتهدت أن أقرأه : « فشاقتك الحدوج » — وشاقَهُ : هَيَّجَ شوقَه . والحدوج : مفردها حِدْج ، وهو مركب للنساء يشبه الهودج . والخليط : القوم الذين أمرهم واحد . وزايَلَه : بارَحَه وفارَقَه .

(٤) الخواضع : التي تُميل أعناقَها إلى الأرض . وزِمامُ الناقة : معروفٌ والجمع أزِمَّة .

(٥) تَصَدَّعَ القومُ : تفرقوا ، وأراد بذلك ترحلهم عن قبيلته .

٥ أَرَى الأَيامَ قَدْ أَحدَثْنَ بَيْناً ... بِسلْمَى بَغْتَـةً ونَوىً شَطُونا [(١)]

٦ فإنْ تَكُنِ النَّوَى شَطَّتْ بِسَلْمَى ... وكنتَ بِقُرْبِها وبِهـا ضَنِينا [(٢)]

٧ فَقدْ كُنَّا نُرَى بِألَذِّ عَيْشٍ ... وأَفْضَلِ غِبْطَةٍ مُتَجاوِرِينـا [(٣)]

٨ لَيالِيَ تَسْتَبِيكَ بِمُسْبَكِرٍّ ... لَهـا مِنْهُ الغَدائِرُ يَنْثَنِينـا [(٤)]

٩ علَى مَتْنَيْ مُنَعَّمةٍ حَصانٍ ... يَرُوعُ جَمالُهـا المُتَأَمِّلِينـا [(٥)]

١٠ أَفِي سَلْمَى يُعاتِبُنِي أَبوهَـا ... وإِخْوَتُها وهُمْ لِي ظَالِمونـا

١١ تُرِيكَ إِذا وَقَفْتَ عَلَى خَـلاءٍ ... وقَدْ أَمِنَتْ عُيونَ النَّـاظِرِينا [(٦)]

---

(١) البَيْن : الفراق . والنَّوَى : البُعْـد والتَّحَوُّل من مكان إلى آخر . والشَّطُون : البعيد الشاق .

(٢) شَطَّت : بَعُدت . وضَنَّ بالشيء : بخل به وأمسك عليه . و « بقربهـا » و « بها » : متعلقان بـ « ضنينا » .

(٣) في مقالة بور : « لقد كنا » ، وأبدلتُ اللام بالفاء لأنه جواب « إنْ » في البيت السابق — والغبطة : المَسَرَّة وحُسْنُ الحال .

(٤) تَسْتَبِيكَ : تفتنك ، وأصلها من السَّبْي وهو الأسْر . والمسبكر : المسترسل، أراد « بشعر مسبكر » فحذف الموصوف . والغدائر : الضفائر ، الواحدة غَدِيرَة .

(٥) مَتْنا الظهر : شِقَّاه عن يمين الصلب وشماله . والمنعمة : المترفة . والحَصَان : المرأة العفيفة عن الريبة . ويَرُوع : يُعجِب بحسنه .

(٦) في المعلقات السبع : « تُريك إذا دخلت .. وقد أمنَتْ عيونُ » برفع عيون — وعلى خلاءٍ : على خَلْوة .

١٢ ذِراعَيْ عَيطَلٍ أَدْماءَ بِكْرٍ هِجَانِ اللَّونِ لم تَقْرَأْ جَنِينا [١]

١٣ وأَسْوَدَ مُدلِهَمَّ اللَّونِ خَضْلاً بِدُهْنِ البانِ والغَالِي غُذِينا [٢]

١٤ فإنَّكِ قَدْ شَعَفْتِ القَلْبَ حَتَّى بَلِيتُ ولا أَراكِ تَغيَّرِينا [٣]

١٥ أَجُودُ وتَبْخَلِينَ إذا التَقَيْنا يَلِينُ لكِ الفُؤادُ وتَغْلَظِينا

١٦ كأَنَّ المِسْكَ تَخلِطُهُ بِفِيها ورِيحَ قَرَنْفُلٍ والياسَمِينا

١٧ أَلَمْ تَرَ أَنَّ حَظِّي مِنْ سُلَيْمَى أَمانٍ قَدْ يَرُحْنَ ويَغْتَدِينا [٤]

---

(١) في اللسان ، والتاج (بكر) : « غـذاها الخفْضُ لم تحمل جنينا » — والعَيْطَل : الناقة الطويلة في حسن وسمن . والأدماء : الشديدة البياض . والبِكْر : الفتية من الإبل . وهجان اللون : خالصة البياض . وقَرَأتُ الشيءَ قَرْآنا : جمعتُه وضممتُ بعضَه إلى بعض . ولم تقرأ جنينا : لم ينضمّ رَحِمها على ولد ولم تحمل بعد .

(٢) في مقالة بور : « مدلهم اللون حَشْلا » ولا معنى له ، وفيـه تحريف عن أصل أقرب ما يكون إلى « خَضْلا » — وأسود : أراد شَعَراً أسود فحذف الموصوف . والمدلهم: الأسود ، وأَسْوَدُ مُدْلَهِم : مُبالَغٌ فيه . والحَشْل : الرَّذْل من كل شيء. والخضِل : الندي الناعم ، وهذه الصفة تلائم تغذيته بدهن البان ، وقد سكَّن ضرورةً . والبان : شجرٌ يُعتَصر من ثمره دهن طيب ، والواحدة بانة . وغُذِينا : جاء بها جمعاً لأنَّ الشَّعَر اسم للجنس وفيه معنى الجمع .

(٣) الشَّعَفُ : شدَّة الحبّ . وشَعَفَتْ قَلْبَه : تَيَّمَتْه .

(٤) في مقالة بور : « أماني قد يرحن » ، ولعله تصحيف في الأصل المخطوط ، والصواب « أمانٍ » — والحظّ : النصيب . والرَّواح: السير بالعشي . والغُدُوّ : السير بالصباح .

١٨ مُبتَّلَةٌ يَضِيقُ المِرْطُ عَنهـــا عُشارِيٌّ بِأيْدِي الدَّارِعِينــا [١]

١٩ ألاَ قُلْ لِلقَبائِلِ إنَّ بَكْراً وتَغْلِبَ بَعْدَ حَرْبِهِمُ سِنِينــا [٢]

٢٠ أطاعُوا اللهَ في صِلَةٍ وعَطْفٍ وأَضْحَوْا إخْوَةً مُتَجاوِرِينا

٢١ أساةٌ شاعِبونَ لِكُلِّ صَدْعٍ وكُلِّ جَرِيرَةٍ فِيهِمْ وفِينـا [٣]

٢٢ مَتَى ما أَدْعُ في بَكْرٍ يُجِبْنِي قَبائِلُها بِأكْثَرِ ناصِرِينــا [٤]

٢٣ وإنْ هَتَفَتْ بَنُو بَكْرٍ أَجَبْنا إلَيْهِمْ بالصَّنـائِعِ مُعْلَنِينـــا [٥]

٢٤ نُجالِدُ عَنْهُمُ وتَذودُ عَنّــا كَتائِبُهُمْ يَرُحْنَ ويَغْتَدِينا [٦]

---

(١) المُبَتَّلة : الحسنة الخَلْق التامة الحسن . والمِرْط : كساء من خز أو صوف أو كتّان . والعُشاريُّ : ثوب طوله عشرة أذرع . والدارع :ذو الدرع على النسب ،والدرع، هنا: ثوب المرأة ، واختار الدارعين لأنهم أحرص على معرفة طول الثوب العشاري ، وكنى بذلك كله عن طولها .

(٢) هذا البيت والأبيات التي تليه ، تتحدث عن صلح بكر وتغلب بعد حرب البسوس التي دامت بينهما زهاء أربعين سنة .

(٣) الأساة : مفردها الآسي ، وهو الطبيب . والشَّعْب : الاصلاح والافساد ، ضِدٌّ . والجريرة : الذنب والجناية يجنيها الرجل .

(٤) يجبني قبائلها : لم يُؤنث الفعل ، لأن القبيلة اسم جمع من ناحية ، ومؤنث مجازي من ناحية أخرى ، وفي الحالين يجوز معها تأنيث الفعل وتذكيره .

(٥) الصنائع : مفردها صَنيعَة ، وهو مَن يُرَبّى ويُخَرَّج على أحسن حال ، والصنيعة أيضاً : ما أعطيته من معروف أو يد إلى إنسان تصطنعه بها .

(٦) نجالد : نضارب بالسيوف . وتذود : تحمي وتدافع . والكتائب : واحدتها كتيبة ، وهي جماعة الخيل إذا أغارت من المائة إلى الألف .

٢٥ فَلَسْنا في مَودَّتِنا أَخانا ... إلَى الأَعداءِ بِالْمُتَعذِّرِينا

٢٦ ولكنّا وإيَّاهُمْ مَدَدْنا ... لِوَصْلِ قَرابَةٍ حَبْلاً مَتِينا

٢٧ هُمُ الإِخْوانُ إنْ غَضِبُوا غَضِبْنا ... وإنْ نَزَلوا بِدارِ رِضىً رَضِينا

٢٨ وَبكْراً إنَّ في بَكْرٍ فِعَالاً ... وأَحلاماً بِها يَتَفاضَلُونا [1]

٢٩ تَمِيدُ الأَرْضُ إنْ رَكِبَتْ تَمِيمٌ ... وإنْ نَزَلوا سَمِعْتَ لَهَا أَنِينا

٣٠ وكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِماءِ ثَلْجٍ ... وأُخرَى قَدْ شَرِبْتُ بِقاصِرِينا [2]

٣١ كأَنَّ أَكفَّهُمْ عَذَبٌ مُلَقّىً ... وحُمّاضٌ بأَيْدِي مُعْلِنِينا [3]

---

(١) الأحلام : مفردها حِلْم ، وهو الأناة والعقل . و « بكراً » نُصبت بفعل محذوف .

(٢) في معلقة ابن كلثوم بيتٌ يشبه هذا البيت ، وهو :

وكأسٍ قد شَرِبْتُ ببعلبك ... وأخرى في دمشق وقاصرينا

المعلقات السبع ١٤١ . والبيت المنسوب إلى أمية ، يبدو مقحماً في مكانه ، فإمّا أن يكون تداخلٌ بين قصيدة ابن كلثوم وهذه القصيدة مع شيء من التحريف في هذا البيت ، وإما أن يكون مكانه في مقدمة القصيدة بين أبيات الغزل — وقاصرين : بلد في الشام بين حلب والرقة ، انظر معجم البلدان ٢٩٧:٤ ، و ٣٢٨:١ (بيروت) .

(٣) العَذَبُ : مفرده عَذَبَةٌ ، وهي الغُصْن ، أو خرقة تُشدُّ على رأس الرمح . والحُماض : نَبْتٌ جبلي شديد الحمض نَوْره أحمر وربما شَبَّهوا بـه الدمَ ونحوَه . ومُعْلِنينا : مجاهرين ، ولعل فيها تحريفاً عن « معلمينا » بالميم ، والمُعلِم : الذي جعل لنفسه علامةً في الحرب ليعرفه بها عَدُوُّه .

٣٢ فَجاؤوا عارِضاً بَرِداً وحِيناً ... كَمِثْلِ السَّيْلِ يَمْنَعُ وارِدِينا [(١)]

٣٣ وشَيْبُ الرَّأسِ أَهْوَنُ مِنْ لِقاهُمْ ... إذا هَزُّوا القَنا مُتَقابِلِينا [(٢)]

٣٤ كأنَّ رِماحَهُمْ سَيْلٌ مُطِلٌّ ... وأمْساكٌ بِأيْدِي مُورِدِينا [(٣)]

٣٥ فلمَّا لَمْ تَدَعْ قَوْساً ونَبْلاً ... مَشَيْنا النِّصْفَ ثُمَّ مَشَوْا إلَيْنا [(٤)]

٣٦ فَذادُونا بِبِيضٍ مُرْهَفاتٍ ... وذُدْناهُمْ بِها حَتَّى اسْتَقَيْنا [(٥)]

٣٧ وأنْزَلْنا البُيوتَ بِذِي طِلالٍ ... إلَى النَّسَماتِ نَبْغِي مُوعِدِينا [(٦)]

---

(١) العارض : السحاب الذي يعترض الأفقَ . والبَرِد : ذو البَرْد .

(٢) من لقاهم : أراد « لقائهم » ثم قَصَر ضرورة . والقنا : جمع قناة ، وهي خشبة الرمح ، وتطلق على الرمح نفسه .

(٣) الأمساك : أراد بها حبالَ البئر ، لأنها تُمسَكُ باليد ، وربما كان فيها تحريف عن « الأشْطان » ، ومفردها شَطَنٌ ، وهو الحبل الطويل يُستَقى به .

(٤) في قوله : « إلَيْنا » سِنادٌ يُعرف بسناد الحَذْو ، لأنه أتى قبل الردف بفتحة مخالفاً حركة الكسر أو الضم في الأبيات الأخرى .

(٥) في قوله : « استقينا » سناد حَذْو كالبيت السابق . والمرهفات : مفردها مُرْهَف ، وهو السيف الذي رقت حواشيه . والذَّوْد : الطَّرْد والدفع . واستقى من النهر : أخذ من مائه .

(٦) ذو طِلال : ماء قريب من الرَّبَذَة ، وقيل : وادٍ لغطفان ، انظر معجم ما استعجم ٣:٨٩٢ ، ومعجم البلدان ٤:٣٧ . والنسمات : يبدو أنه موضع أيضا ولم يذكره البكري أو ياقوت . والمُوعِد : الذي يتهدد ويوعد شراً .

(٩٥)

في معجم ما استعجم (٣: ٨٨٦) :

نَحْنُ بَنَيْنا طائِفاً حَصِينـــا يُقارِعُ الأَبْطـالَ عَنْ بَنِينا [(١)]

(٩٦)

في الخزانة (١: ٢٢٨) :

١ الحَمْدُ لِلّهِ مُمْسانا ومُصْبَحَنـا بِالخَيْرِ صَبَّحَنـا رَبِّي ومَسَّانا [(٢)]

٢ رَبُّ الحَنِيفَةِ لَمْ تَنْفَدْ خَزائِنُها مَمْلوءَةً طَبَقَ الآفاقِ سُلْطانا [(٣)]

---

(١) المقارَعة : الضرب بالسيوف. والطائف: بلد ثقيف قوم أمية ، سميت طائفاً بالحائط الذي بَنَوه حولها ، تحصيناً لها ، انظر معجم ما استعجم ٣: ٨٨٦ ، ومعجم البلدان ٤: ٩ (بيروت) .

(٢) المُمْسَى والمُصْبَح : مصدران بمعنى الإمساء والإصباح ، وقد استشهد سيبويه بهذا البيت على مجيء « مُفْعَل » للمكان والمصدر ، ومن هنا سار البيت شاهداً في كتب اللغة . وفي سورة الروم : « فسبحانَ الله حين تُمْسون وحين تُصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعَشياً وحين تُظْهِرون » ٣٠: ١٧ — ١٨ ، وانظر الأنعام ٦: ١ ، وسبأ ٣٤: ١ ، والكهف ١٨: ١ ، وفاطر ٣٥: ١ ، فكلها بدأت بـ « الحمد لله » .

(٣) في الخزانة : « طَبَق الآفاقِ أشطانا »، وأثبتُ رواية الأغاني — والحنيفة: ملة إبراهيم عليه السلام ، وكانت بعض شعائرها ما تزال في العرب رغم انحراف معظمهم إلى الشِّرك . ونَفِدَ الشَّيءُ : فني وذهب . وطَبَّقَ الأرضَ : ملأها وعَمَّها. وطَبَقَ الأرضِ: مالئاً عاماً لها .

٣ أَلاَ رَسولَ لَنا مِنَّا فَيُخْبِرَنَا ... ما بُعْدُ غايَتِنا مِنْ رَأْسِ مُجْرانا [١]

٤ بَيْنا يُرَبِّبُنا آباؤنا هَلَكُوا ... وَبَيْنَما نَقْتَنِي الأَولادَ أَفْنانا [٢]

٥ وقَدْ عَلِمْنا لَوَ اَنَّ العِلْمَ يَنْفَعُنا ... أَنْ سَوفَ تَلْحَقُ أُخْرانا بِأُولانا [٣]

٦ وقَدْعَجِبْتُ ومابِالْموتِ مِنْ عَجَبٍ ... مابالُ أَحْيائِنا يَبْكُونَ مَوْتانا [٤]

إلى أن قال [٥] :

---

(١) في الخزانة : « ألا نبيٌّ .. ما بَعْد غايتنا من رأس مَحيانا » وأثبتُّ رواية سيبويه . وفي الأغاني: « ألا نبي ... ما بعد غايتنا من رأس محيانا » دون ضبط . وفي تاريخ ابن عساكر ، وتفسير السيوطي : « ألا رسول لنا منا يُخبِّرنا » . وفي تفسير السيوطي : « مابعد غايتنا من رأس نجرانا » تحريف — والغاية : مدى كل شيء ومنتهاه ، والأصل فيها غاية السبق ، وهي القصبة تُنْصَب في الموضع الذي تكون المسابَقَةُ إليه ليأخذها السابق . والمُجْرى : مكان الجري . و « ألا » هنا للتمني ، ولذلك نصب « تخبرَنا » لأنه جواب تمن مقرون بالفاء ، والمعنى ليت لنا نبياً فيخبرَنا بالمدى الفاصل بين ولادتنا وموتنا .

(٢) في الخزانة : « الأولاد أبلانا » وأثبتُّ رواية الأغاني — وربَّبَ الطفلَ : ربَّاه .

(٣) في الأغاني : « أن سوف يلحق » — وأُخرى القوم وأولاهم : أواخرهم وأوائلهم .

(٤) البال : الحال والشأن . و « من عجب » : من زائدة .

(٥) هذه عبارة الخزانة ، وهي تشير إلى أبيات ضائعة .

٧ يا رَبِّ لا تَجْعلنِّي كافِراً أَبداً ... واجْعَلْ سَرِيرَةَ قَلْبِي الدَّهْرَ إيمانا [١]

٨ واخْلِطْ بهِ بُنْيَتي واخْلِطْ بهِ بَشَري ... واللَّحْمَ والدَّمَ ما عُمِّرْتُ إِنْسانا [٢]

٩ إنِّي أَعُوذُ بِمَنْ حَجَّ الحَجِيجُ لَهُ ... والرَّافِعونَ لِدِينِ اللهِ أَرْكانا [٣]

١٠ مُسَلِّمِينَ إِلَيْـهِ عِنْدَ حَجِّهِمُ ... لم يَبْتَغوا بِثَوابِ اللهِ أَثْمانا [٤]

وفي الحيوان (٥:٣٧٦) :

١١ شاحِينَ آباطَهُمْ لَمْ يَنْزِعوا تَفَثاً ... ولم يَسُلُّوا لَهُمْ قَمْلاً وصِئْبانا [٥]

---

(١) السَّرِيرة : كالسِّر ، وهو ما يكتم في القلب .

(٢) البَشَر : مفردها بَشَرَة ، وهي ظاهر الجلد .

(٣) أعوذ بالله : ألجأ إليه واعتصم به . والحجيج : جَمْع الحاجّ ، والحجُّ في اللغة : القَصْدُ ، ثم تُعورِف استعمالُهُ في القصد إلى مكـــة والبيت للنُّسُك ، وهو معروف في الجاهلية لأنه من بقايا دين إبراهيم عليه السلام . والأركان : مفردها رُكْن ، ورُكْن الشيء : جانبه الأقوى .

(٤) الثواب : جزاء الطاعة ، يقال أعطاه ثَوابَه ، إذا أعطاه جزاءَ ما فَعَله من خير . و « بثواب » : الباء للمقابلة ، أي عوضاً من ثواب الله أو مقابلاً له .

(٥) في الفائق : « لم يقربوا تفثا .. وصيبانا » — وشحا الرَّجُلُ : باعَدَ بين خطاه ، وشحا الرجلُ فاه : فَتَحه . والآباط مفردها : إبْط ، وأراد بذلك رفع الحجاج أيديهم بالدعاء . والسَّلُّ : انتزاع الشيء وإخراجه برفق كإخراج الشعرة من العجــين . والتَّفَث : نَتْفُ الشعر وقصُّ الأظفار وكل مايحل بعد الخروج من الاحرام . وفي سورة الحج : « ثمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُم ولْيُوفوا نُذورَهم ولْيطَّوَّفوا بالبيت العتيق » ٢٢:٢٩.

وفي البدء والتاريخ (٢:١٤٥) :

١٢ والنَّاسُ راثَ عَلَيهِمْ أَمْرُ ساعَتِهِمْ فكُلُّهُمْ قـائِلٌ لِلدِّينِ أَيَّانا [١]

١٣ أيَّامَ يَلْقَى نَصـاراهُمْ مَسِيحُهُمُ والكائِنينَ لَهُ وُدًّا وقُرْبانـا [٢]

١٤ هُمْ ساعَدوهُ كما قَالوا إلَهَهُمُ وأَرْسَلوهُ يَسُوفُ الغَيْثَ دُسْفانا [٣]

---

(١) في التاج : « راث عليهم أمر يومهم » — وراث : أبطأ وتأخر . والساعة : هنا يوم القيامة . والدِّين : أراد يوم الدِّين ، فحذف المضاف . وانظر ما قلناه حول هذا البيت ص ١٨٢ .

(٢) قال لويس شيخو : « كذا في الأصل ولعلها : القانتين » النصرانية وآدابها ١٧٠ — والقانتين : الخاضعين الواحد قانت ، وهي معطوفة على النصارى . والكائنين له : أراد الكائنين من أتباعه . والوُدُّ : الُحبُّ . والقربان ، هنـــا : مصدر قَرُبَ الشيءُ يَقْرُبُ قُرْباً وقُرْباناً ، إذا دنا .

(٣) في البدء : « كسوف الغيث » تحريف ، صوابه عن اللسان . وفي التاج : « يريد الغيث » — وساف الشيءَ يَسُوفُه : شَمَّه ، والمسافَةُ : بُعْد المفازة والطريق ، وأصله من الشَّمّ وهو أنّ الدليل كان إذا ضَلّ في فلاة أخذ تراباً فشَمَّه فعلم أنَّه على هِدْيَة ، وهذا هو المقصود في البيت . والغيث : المطر ، ثم سُمّي به الكلأ لأنـه من أثره ، وأراد « مواقع الغيث » فحذف المضاف . والدُّسْفان : الطالب للشيء كشبه الرسول ، قـــال شيخو : « يريد أن المسيح تقدمهم كالرائد الذي ينتجع الكلأ . ولعل في هذا إشارة إلى قول السيد المسيح في إنجيل يوحنا (١١:٣) : « إني ذاهب لأُعدّ لكم المكان » النصرانيـــة وآدابها ١٧٠ ، وانظر ماقلناه ص ١٨٢ — ١٨٣ .

وفي الخزانة (٤: ٧٠ بولاق) :

١٥ لاتَخْلِطَنَّ خَبِيثــاتٍ بِطَيِّبَةٍ وَاخْلَعْ ثِيابَكَ مِنْهاوانْجُ عُرْيانا [١]

١٦ كُلُّ امْرِىءٍ سَوْفَ يُجْزَى قَرْضَهُ حَسَناً

أَو سَيِّئاً ومَــديناً كالَّذِي دانا [٢]

وفي اللسان (خزي) :

١٧ قالَتْ أرادَ بنا سُوْءاً فَقُلْتُ لَهَا خَزْيانُ حَيْثُ يَقُولُ الزُّورَ بُهْتانا [٣]

---

(١) الخبيثات : ما يدعوه عَرَضُ الدنيا من أعمال لاترضي الله . والطيبات : الأعمال الصالحة . ومنها : الضمير للحياة الدنيا . وفي عجز البيت إشارة إلى أمْر الحِلّ من العرب قبل الاسلام ، وهم من كان خارج مكة ، وكان الرجال منهم يطوفون بالبيت عراة ، وأما النساء فكانت إحداهن تخلع ثيابها كلّها ولا تبقي إلاّ درعاً مفرّجاً عليها ، ثم تطوف فيه . انظر أمْر الحُمْسِ والحِلّ من العرب في السيرة ١: ٢١٤ – ٢١٦ ، والمحبّر ١٧٨–١٧٩ .

(٢) في اللسان ،والتاج : « أو مدينا مثل مادانا » — والمَدِين : الدائن أو الذي عليه الدَّين ، وأراد الأول ، ودان الرجلُ : أعطى أو استقرض ، وأراد الأول . وقـال الجوهري : « والقَرْض أيضاً : ما سلَّفْتَ من إحسان أو من إساءة ، وهو على التشبيه » الصحاح ٣: ١١٠٢ .

(٣) الخزيان : الذي ألمّ به هوان يستحي منه . والبهتان : الافتراء والكذب . والبيت ضمائره غامضة .

وفي الاتقان (١: ١٦٤) :

١٨ وشَقَّ أَبْصارَنا كَيْما نَعِيشَ بِها   وجابَ للسَّمْعِ أَصْماخاً وآذانا [١]

وفي اللسان (دقط) :

١٩ مَنْ كانَ مُكْتَئِباً مِنْ سُنَّتِي دَقِطاً   فَرابَ في صَدْرِهِ ماعاشَ دَقَطانا [٢]

وفي مقالة بور (١٥١) [٣] :

٢٠ يا لَذَّةَ العَيْشِ إذ دام النعيم لنا   ومَنْ يَعِشْ يَلْقَ رَوْعاتٍ وأَحزانا [٤]

---

(١) جابَ الصخرةَ : نَقَبها . والأصماخ : مفردها صِماخ ، وهو ثُقْبُ الأذن الداخل إلى الرأس .

(٢) في اللسان (دقط) :

من كان مكتئباً من سيء دقطا   فزاد في صدره ماعاش دقطانا

والدَّقِط : الغضبان ، وكذلك الدَّقِط والدقطان . وراب في صدره : لازال في ريب وشك . و « فزاد » : ربط بالفاء على حذف « قد » وأصل الكلام « فقد راب » .

(٣) نقله بور في مقالته P. 151 عن شرح كتاب إصلاح المنطق للتبريزي مخطوطة بيروت ٨٦ ، ولم أقف عليه في تهذيب إصلاح المنطق للتبريزي .

(٤) الروعات : مفردها رَوْعة ، وهي المرة من الرَّوْع ، والرَّوْع : الفَزَع .

(٩٧)

في كتاب تفريج المهج (٢٠) [١] :

١ تَجْرِي الأُمورُ على وَفْقِ القَضاءِ وفي ... طَيِّ الحوادِثِ مَحْبوبٌ ومَكْروهُ

٢ فرُبَّمـــا سَرَّني ما بِتُّ أَحذَرُهُ ... ورُبَّما ساءَني ما بِتُّ أَرْجوهُ

(٩٨)

في البدء والتاريخ (٣:٥٨) [٢] :

١ ثُمَّ لُوطاً أَخا سَدُومَ أَتاهـــا ... إذْ أَتاها بِرُشْدِهـــا وهُداها [٣]

(١) كتاب تفريج المهج يتألف من ثلاثة كتب ، أولها حلّ العقال لابن قضيب البان (١٠٩٦ هـ) وفيه ورد هذان البيتان لأمية بن أبي الصلت ، والثاني كتاب الأرج في الفرج للسيوطي (٩١١ هـ) ، والثالث معيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكي (٧٧١هـ).

(٢) هذه الأبيات تقص خبر لوط عليه السلام مع قومه . وفي كتب التفسير أن الله تعالى قد أرسله إلى أمة عظيمة كانت تسكن سدوم وأعمالها ، وهي بلاد الغوربفلسطين ، فدعا قومه إلى الله تعالى ، ونهاهم عن معصيته وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه مما لم يسبقهم إلى فعله أحد وهو إتيان الذكور ، فلم يستجيبوا له فأهلكهم الله وجعل مدينتهم بحيرة منتنة هي ما يعرف اليوم بالبحر الميت ، والقصيدة من الشعر المتهم .

(٣) في معجم البلدان : « ثم لوط أخو سدوم » — وبرشدها : الباء للتعـــدية ، والمعنى أنه جاءها بالرشاد والهدى . وسدوم : مدينة من مدائن قوم لوط ، وذُكر أنها « سذوم » بالذال المعجمة ، انظر معجم البلدان ٥٩:٣ ، ومعجم ما استعجم ٧٢٩:٣ ، واللسان ، والقاموس ، والتاج (سدم) .

٢ راوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ثُمَّ قالُوا قَدْ نَهيْناكَ أَنْ تُقِيمَ قِراها [١]

٣ عَرَضَ الشَّيْخُ عِنْدَ ذاكَ بَناتٍ كَظِباءٍ بِأَجْرَعٍ مَرْعاها [٢]

٤ غَضِبَ القَوْمُ عِنْدَ ذاكَ وقالُوا أَيُّها الشَّيْخُ خِطْبَةً نَأْباها [٣]

٥ أَجْمَعَ القَوْمُ أَمْرَهُمْ وعَجُوزٌ خَيَّبَ اللهُ سَعْيَها ولَحاها [٤]

---

(١) راودوه عن ضيفه : طلبوا أن يُخلّي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف ليخبثوا بهم وكانوا ملائكة . والضّيف : يطلق على الجمع والمفرد . وفي سورة القمر : « ولقد راودوه عن ضَيْفه ، فطمسنا أعينهم ، فذوقوا عذابي ونُذُر » ٥٤:٣٧ .

(٢) في البدء : « بأجرع فرعاها » . وفي معجم البلدان : « بأجرع ترعاها » . وأثبتُّ رواية ليدن لأن المعنى لايتم إلا بها — والشيخ : أراد به لوطاً عليه السلام . والأجْرَع ، هنا : الرملة السهلة التي تُنْبت الكلأ . وفي سورة هود : « ولما جاءت رُسلُنا لوطاً سِيءَ بهم وضاق بهم ذَرْعا ، وقال : هذا يوم عصيب ، وجاءه قومُه يُهْرَعون إليه ، ومِنْ قَبْلُ كانوا يعملون السيئات . قال : ياقوم هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم ، فاتقوا الله ولا تُخْزونِ في ضَيفي ، أليس منكم رجل رشيد ؟ ! » ١١:٧٧ — ٧٨ .

(٣) الخُطبة ، بضم الخاء : اسم لكلام الخطيب ، والمعنى أننا نرفض كلامَك . والخِطبة ، بكسر الخاء : مصدر خَطَب المرأةَ يَخطُبها ، والمعنى أنهم يأبون الزواج من بناته ، ويصرون على الفحشاء بضيفه . وفي سورة هود : « قالوا : لقد علمتَ ما لنا في بناتك من حَقٍّ ، وإنك لتَعلَمُ ما نريد » ١١:٧٩ مِن حَقٍّ : من حاجة .

(٤) أجمعوا أمرهم : جعلوه جميعاً بعد ما كان متفرقاً ، بمعنى أنهم قطعوا ما بهم من خلاف أو تردد وهَمّوا باقتحام الدار . والعجوز : امرأة لوط عليه السلام ، وفي البدء : « أنها كانت تدل الناس على ضيفه وتخبرهم بمجيئهم ، فلما جاءت الرسلُ لوطاً ذهبت تخبر قومَه بذلك » . ولحاه الله : قبّحه ولعَنه . وفي سورة هود : « قالوا : يالوط إنّا رُسُل ربّكَ ،

٦ أَرْسَلَ اللهُ عِنْدَ ذاكَ عَذاباً جَعَلَ الأَرْضَ سُفْلَها أَعْلاها

٧ ورَماها بِحاصِبٍ ثُمَّ طِينٍ ذِي حُروفٍ مُسَوَّمٍ إِذْ رَماها [١]

وفي البدء والتاريخ (٣:٢٤) :

٨ مُنجِ ذِي الخَيْرِ مِنْ سَفِينَةِ نُوحٍ يَوْمَ بادَتْ لُبْنانُ مِنْ أُخْراها [٢]

٩ فارَ تَنُّورُهُ وَجاشَ بِماءٍ طَمَّ فَوْقَ الجِبالِ حَتَّى عَلاها [٣]

لن يصلوا إليك ، فأَسْرِ بأهلكَ بِقِطَعٍ من الليل ، ولا يلتفتْ منكم أحدٌ إلاّ امرأتَك إنه مصيبُها ما أصابهم ، إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ؟ ! » ١١:٨١ .

(١) في البدء : « ذي جروف » — والحاصب : ريح شديدة تقلع الحصباء لشدتها، والحصباء : الحَصَى . ومُسَوَّم : مُعَلَّم . ورماها : الهاء لسدوم . وفي سورة هود : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافِلَها ، وأمطرنا عليها حجارة من سِجِّيل منضود ، مُسَوَّمَةً عند ربك ، وما هي من الظالمين ببعيد » ١١:٨٢ .

(٢) قوله « من أخراها » : لعل فيه تحريفاً ، والأصل « عن أخراها » أي عن آخرها بمعنى هلكت كلها . وفي هذه الأبيات يتحدث عن طوفان نوح عليه السلام .

(٣) التنور : في قصة نوح ، قيلت فيه أقوال عِدَّة ، منها أنه التنور الذي يُخبز فيه ، وكان فَوْر الماء من تنور الخابزة علامةً لنوح تُنبئه ببدء الطوفان ، وقيل : التنُّور وجه الأرض وكلُّ مَفْجَر ماء . وجاش : هاج وارتفع . وطَمَّ : علا وغمر . وفي سورة هود : « حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور ، قلنا احمل فيها من كلٍ زوجين اثنين .. » ١١:٤٠، وانظر المؤمنون ٢٣:٢٧ .

١٠ قِيلَ لِلعَبْدِ سِرْ فَسَارَ وبِاللّـ ـهِ عَلَى الهَوْلِ سَيْرُها وسُراها [١]

١١ قِيلَ فَاهْبِطْ فَقَدْ تَناهَتْ بكَ الفُلْـ ـكُ عَلَى رأسِ شاهِقٍ مُرْسَاهَا [٢]

(٩٩)

في قصص الأنبياء (١٦١) [٣] :

١ عِنْدَ ذِي العَرْشِ يُعْرَضُونَ عَلَيْهِ يَعْلَمُ الجَهْرَ والكَلامَ الخَفِيَّا [٤]

٢ يَوْمَ نَأْتِيهِ وَهْوَ رَبٌّ رَحِيمٌ إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيَّا [٥]

---

(١) العبد : أراد به نوحاً عليه السلام . والسُّرَى : السير ليلا . وفي سورة هود : « وقال اركبوا فيها باسم الله مَجْراها ومُرْساها » ١١ : ٤١ .

(٢) الفُلْك : السفينة ، تذكر وتؤنث وتقع على الواحد والاثنين والجمع . والشاهق : الجبل المرتفع . والمُرْسَى : مكان رُسُوّ السُّفُن . وفي سورة هود : « قيل يانوح اهبطْ بسلام منا » ١١ : ٤٨ .

(٣) القصيدة من الشعر المتهم .

(٤) في نهاية الأرب : « تعرضون عليه ... يعلم الجهر والسِّرار » — وفي سورة التكوير : « عند ذي العرش مكين » ٨١ : ٢٠ ، وانظر الاسراء ١٧ : ٤٢ ، والبروج ٨٥ : ١٥ . وفي سورة الحاقة : « يومئذ تُعرضون لاتخفى منكم خافية » ٦٩ : ١٨ ، وانظر هود ١١ : ١٨ . وفي سورة الأعلى : « إنه يَعلَمُ الجهْرَ وما يَخفَى » ٨٧ : ٧ .

(٥) في الاصابة : « يوم يأتي الرحمن وهو رحيم » . وفي نهاية الأرب : « يوم تأتي الرحمن وهو رحيم » — ومأتياً : آتياً . و في سورة مريم : « إلاّ مَن تاب وآمن وعمل صالحاً

٣ يَوْمَ تَأْتِيهِ مِثْلَمَا قَالَ فَرْداً لَمْ يَذَرْ فِيهِ رَاشِداً وَغَوِيَّا [١]

٤ أَسَعِيدٌ سَعَادَةً أَنَا أَرْجُو أَمْ مُهَانٌ بِمَا كَسَبْتُ شَقِيَّا [٢]

٥ رَبِّ إِنْ تَعْفُ فَالْمُعَافَاةُ ظَنِّي أَوْ تُعَاقِبْ فَلَمْ تُعَاقِبْ بَرِيَّا [٣]

٦ إِنْ أُوَاخَذْ بِمَا اجْتَرَمْتُ فَإِنِّي سَوْفَ أَلْقَى مِنَ الْعَذَابِ فَرِيَّا [٤]

فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ، جنات عدن التي وعَدَ الرحمنُ عبادَه بالغيب ، إنّه كان وعدُه مأتيّـا » ١٩:٦٠ – ٦١ .

(١) في نهاية الأرب :

يوم آتيه مثلمـــا قال فرداً ثم لا أدرِ راشداً أم غويّـــا

وفيه : الضمير للمصدر المؤول من الفعل « تأتيه » ، أي لم يترك أحداً دون أن يأتيه فرداً . وفي سورة مريم : « وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » ١٩:٩٦ ، أي بلا مال ولا نصير يمنعه . ولعل هذه الآية تـفسّر قول الناظم في البيت : « كما قال » ، أي كما قال في الكتاب الكريم .

(٢) في نهاية الأرب :

أسعيداً إسعادَةً أنا أرجو أو مهاناً بما اكتسبتُ شقيّا

(٣) المعافاة ، هنا : بمعنى العَفْو .

(٤) في الاصابة : « إن أواخذ .. من العذاب قويا » – آخَذَه بذنبه : عاقبه . واجترم وأجرم : أذنب . والفَرِيُّ : العظيم ، وأصله من الفَرْي ، وهو الشقّ ، وأراد « عذاباً فَـرِيّـاً » فحذف الموصوف . وفي سورة مريم : « قالوا : يامريم لقد جئت شيئاً فَرِيّـا » ١٩:٢٧ .

وفي جمهرة أشعار العرب (١٣) :

٧ رَبِّ كُلاًّ حَتَّمْتَهُ وارِدَ النَّا ... رِ كِتاباً حَتَّمْتَهُ مَقْضِيَّا [١]

وقال أمية أيضاً [٢] :

٨ رَبِّ لا تَحْرِمَنِّي جَنَّةَ الخُلْـ ... ـدِ وكُنْ رَبِّ بِي رَؤوفاً حَفِيَّا [٣]

(١٠٠)

في جمهرة أشعار العرب (١٤) :

لَقِيتَ المَهالِكَ في حَرْبِنا ... وبَعْدَ المَهالِكِ لاقَيْتَ غَيَّا [٤]

---

(١) في الجمهرة حاشية : « وفي نسخة :

ربُّ كلٌّ كتبتَه وارِدَ النَّا ... رِ قضاءً حتَّمتَهُ مَقضِيَّا »

وحَتَمَ اللهُ الأمرَ يَحتِمُه : قضاه . وفي سورة مريم : « وإنْ منكم إلاَّ واردها ، كان على ربك حتماً مقضيّاً » ١٩ : ٧١ ، ومعنى الآية : ليس منكم أحدٌ إلاَّ سيدخل إلى جهنم ، حَتَمَ اللهُ ذلكَ وقَضَى به لا يتركُهُ .

(٢) هذه عبارة الجمهرة .

(٣) الحفيُّ : اللطيف البار الذي يحتفي بك . وفي سورة مريم : « قال سلام عليك سأستغفر لك ربّي ، إنّه كان بي حَفِيّا » ١٩ : ٤٧ .

(٤) الغَيُّ : الضلال والخيبة .

(١٠١)

في الخزانة (١:٢٢٦) :

١ أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ غَيْرَ رَبِّنا   وللهِ مِيراثُ ٱلَّذِي كانَ فانِيا [١]

٢ وَلِيٌّ لَهُ مِنْ دونِ كُلِّ وِلايَةٍ   إِذا شاءَ لَمْ يُمْسُوا جَمِيعاً مَوالِيا [٢]

٣ وإِنْ يَكُ شَيْءٌ خالِداً ومُعَمَّراً   تَأَمَّلْ تَجِدْ مِنْ فَوْقِهِ اللهَ باقِيا

٤ لَهُ ما رَأَتْ عَيْنُ البَصِيرِ وفَوْقَهُ   سَماءُ الإِلَهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمائِيا [٣]

---

(١) انظر ما قلناه في توثيق البيت ص ١٨٤ .

(٢) الموالي ، هنا : الورثة ، انظر اللسان (ولي)، وسورة النساء ٤:٣٢ ، والأنفال ٨:٧٢ . و « له » : الضمير عائد إلى « الذي كان فانيا » .

(٣) له : الضمير لله تعالى . وفوقه : الضمير عائد إلى « ما » ، والمعنى له ما رأته عين البصير وفوق ذلك سماء الإله . وسماء الإله ، بهذه الرواية : أراد بها العرش . وقال ابن جني : « وكان أبو علي ينشده : فوق سِتٍّ سمائيا » الخصائص ١:٢١٢ ، ونقل البغدادي كلام ابن جني ثم قال : « وكذا رأيته أنا قد أثبته في الايضاح ، وكذلك رأيته أنا في ديوان أمية ، فيكون المراد بسماء الإله : السماء السابعة » . وسمائيا : جمع سماء ، والنحاة يرون في هذا الجمع شذوذاً من ثلاثة أوجه : الأول أنه جَمَعَ سماء على « سَمَائِي » بزنة « فَعَائِل » مع أنَّ وزنها المعروف « سُمُيٌّ » على وزن « فُعُول » . والثاني أنه أقرَّ الهمزة العارضة في الجمع مع أن اللام معتلة وكان ينبغي أن تُحذف كما في خطايا جمع خطيئة ، ومطايا جمع مطية . والثالث أنه فَتَحَ الياءَ في موضع الجر مع أنه اسم منقوص وحقُّه في حالة الجر أن تُحذف الياءُ ويدخل التنوين كما يقال : مررت بقاضٍ ، وهذا قاضٍ ، ورأيت قاضياً . وقال ابن جني : « فإن كان ترك زيغ الاعراب يكسر البيت كسراً ، لا يزاحفه زحافا ، فإنه

قال البغدادي : ويعجبني منها [١] :

٥ أَلاَ لَنْ تَفوتَ الْمرءَ رَحْمَةُ رَبِّهِ ولَوْ كانَ تَحْتَ الأَرْضِ سَبْعِينَ وادِيا [٢]

٦ يُعالَى و تُدْرِكْهُ مِنَ اللهِ رَحْمَةٌ ويُضْحِي ثَناهُ فِي البَرِيَّةِ زاكِيا [٣]

لابد من ضعف زيغ الإعراب واحتمال ضرورته ، وذلك كقوله : سمـــاء الإله فوق سبع سمائيا ، فهذا لابد من التزام ضرورته ، لأنه لو قال « سمايا » لصار من الضرب الثاني إلى الثالث ، وإنما مَبْنَى هذا الشعر على الضرب الثاني لا الثالث » الخصائص ١:٣٣٣ .

(١) قال البغدادي بعد رواية الأبيات السابقة : « وهذه قصيدة عظيمة تشتمل على توحيد الله وقصص بعض الأنبياء كنوح ويوسف وموسى وداود وسليمان عليهم السلام ، ويعجبني منها : (البيتان ٥ — ٦) » ، ثم قال : « وقوله في آخرها » ثم أنشد تسعة أبيات لم نثبتها هنا ، وإنما أثبتناها في القصيدة (١٠٢) كما وردت في رواية السيرة ، وذلك لأنها تختلف في نمطها عن أبيات القصيدة (١٠١) ، ولأنها تبدو في السيرة متكاملة مع قصيدة لها مطلع مُصرَّع يختلف عما ذكره البغدادي حول مطلع القصيدة (١٠١) ، وإذا صح أنه رأى هذه الأبيات جميعاً في قصيدة واحدة ، فهي لا تخلو من تلفيق على أيدي الرواة أو النساخ .

(٢) في البدء والتاريخ : «إلى أن تفوت » تحريف . وفي تاريخ ابن عساكر ٦:٣٣ ، والبداية والنهاية :« لتدركنّ المرءَ رحمة ربه » . وفي السيرة ، وتاريخ ابن عساكر ٦:٣٠ : « وقد تدرك الانسانَ رحمةٌ » . وفي البدء : « وإن كان تحت » . وفي تاريخ ابن عساكر ٦:٣٣ : « ستين واديا » .

(٣) في ليدن:« تَعالَ » — وتُدْرِكْه : جزم الفعل ضرورةٌ . والزاكي :النامي .

وفي البدء والتاريخ (٣ : ٢٤) :

٧ كَرَحْمَةِ نُوحٍ يَوْمَ حَلَّ بِسَبْعَةٍ لِشِيعَتِهِ كانُوا جَمِيعاً ثَمانِيا [١]

٨ فلمَّا اسْتَنارَ اللهُ تَنُّورَ أَرْضِهِ فَفارَ وكانَ الماءُ في الأَرضِ سَاحِيا [٢]

وفي الحيوان (٢ : ٣٢٣) [٣] :

٩ تَرَفَّعُ في جَرْيٍ كَأَنَّ أَطِيطَهُ صَرِيفُ مَحالٍ يَسْتَعِيدُ الدَّوالِيا [٤]

---

(١) شيعَةُ الرَّجلِ : أتباعه وأنصاره . والأعداد في البيت غامضة ، ولا ندري إذا كان فيها إشارة إلى آيات التوراة : « وقال الربُّ لنوح ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك ، لأني إيَّاكَ رأيتُ باراً لَدَيَّ في هذا الجيل . من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى ، ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين اثنين » سفر التكوين ٧ : ١ – ٢ . وإلاَّ فقد يكون في ذلك إشارة إلى شيء من الأساطير الشعبية حول قصة نوح .

(٢) في مجموعة ليدن : « فلما استنار » – والماء الساحي : القوي الذي يقشر كلَّ شيء ويجرفه ، مِن سحا الطين عن الأرض ، إذا قَشَره وجرفَهُ . والتنور : ما يُخبز فيه ، وكان فَوْر الماء فيه علامة لوقت الطوفان ، وقيل : بل هو وجه الأرض وكلُّ مَتَفَجَّرِ ماء .

(٣) قال الجاحظ تمهيداً للأبيات : « ووصف في هذه القصيدة أَمْرَ الحمامة والغراب صفة ثانية ، وغير ذلك ، وبدأ بذكر السفينة ، فقال : الأبيات » .

(٤) تَرفَّعُ : أصلها تَتَرفَّعُ ، أي تُسْرع ، وضميرها للسفينة . والأَطِيط : صوت الرَّحْل أو الباب ، وجعلَهُ للسفينة على التشبيه . وصَرِيف البَكْرة : صوتها عند الاستقاء . ومَحَالٍ : مفردها مَحَالة ، وهي البكرة العظيمة يُستقى عليها . والدوالي : مفردها دالية ، وهي شيء يُتخذ من خوص وخشب يُستقى به بحبال تُشَدُّ في رأس جذع طويل ، وأراد بها الدلاء العظيمة .

١٠ عَلَى ظَهْرِ جَوْنٍ لم يُعَدَّ لِراكِبٍ　　سُراهُ ، وغَيْمٌ أَلْبَسَ الماءَ دَاجِيا [١]

١١ فَصارَتْ بِها أَيَّامُها ثُمَّ سَبْعَةً　　وسِتَّ لَيالٍ دائِباتٍ غَواطِيا [٢]

١٢ تَشُقُّ بِهِمْ تَهْوِي بِأَحْسَنِ إمْرَةٍ　　كأَنَّ عَلَيْها هَادِياً ونَواتِيا [٣]

١٣ وكانَ لَها الجُودِيُّ نِهْياً وغايَةً　　وأَصْبَحَ عَنْهُ مَوْجُهُ مُتَراخِيا [٤]

ثم قال [٥] :

١٤ وما كانَ أَصْحابُ الحَمامَةِ خِيفَةً　　غَداةَ غَدَتْ مِنهُمْ تَضُمُّ الخَوافِيا [٦]

---

(١) الجَوْن ، هنا : الأسود ، وأراد على ظهر بَحْرٍ جَوْنٍ . والسُّرى : السَّيْر ليلاً . والداجي : المظلم .

(٢) دأَبَ في عمله : جَدَّ وتَعِب ، فهو دائب . والغواطي : مفردها غاطية ، وهي المظلمة التي تُغطِّي ما على الأرض .

(٣) هَوَت الناقةُ وغيرُها تَهْوِي هوِيّاً : عَدَتْ أَشدَّ العَدْوِ . والنواتِيُّ : الملاحون ، واحدهم نُوتِيٌّ ، وقد خفف ضرورة . و « بهم » : الضمير للخلائق في السفينة .

(٤) الجودي : الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح عليه السلام . والنِّهْي ، هنا : النهاية . والمتراخي : الفاتر البطيء .

(٥) هذه عبارة الجاحظ في الحيوان .

(٦) خِيفَةً : خائفين ، والخيفة مصدر كالخوف . والخوافي : أربع ريشات إذا ضَمَّ الطائر جناحيه خَفِيَتْ ، وهي بعد القوادم . وهذه الأبيات تَذكر أسطورةَ الحمامة التي أرسلها نوح عليه السلام بحثاً عن اليابسة .

١٥ رَسُولاً لَهُمْ واللهُ يُحْكِمُ أَمْرَهُ ... يُبِينُ لَهُمْ هَلْ يُؤْنَسُ التُّرْبُ بادِيا [١]

١٦ فجاءَتْ بِقِطْفٍ آيَةً مُسْتَبِينَةً ... فأَصْبَحَ مِنْها مَوْضِعُ الطِّينِ جادِيا [٢]

١٧ عَلَى خَطْمِها، واسْتَوْهَبَتْ ثَمَّ طَوْقَها ... وقالَتْ أَلاَ لا تَجْعَلِ الطَّوْقَ بالِيا [٣]

١٨ ولا ذَهَباً إِنِّي أَخافُ نِبالَهُمْ ... يَخالونَهُ مالي ولَيْسَ بِمالِيا [٤]

١٩ وزِدْني عَلَى طَوْقي مِنَ الحَلْيِ زِينَةً ... تُصِيبُ إِذا أُتْبِعْتَ طَوْقي خِضابِيا [٥]

---

(١) في الحيوان : « هل يونس الثوب » . وفي نهاية الأرب : « يونس الترب » . والصواب عن ليدن — وأَنِسَ بالشيء : خلاف استوحش ، وأصل الكلام في البيت : « هل يؤنس بالترب بادياً » بمعنى أن التراب الظاهر للعين لا يَستشعر الناسُ فيه أي أُنس عادةً لأنه أمر مألوف لديهم ، أما بالنسبة إلى الطوفان وفَقْد اليابسة ، فالله تعالى جعلهم يأنسون بالتراب فيما لو بدا لهم .

(٢) الآية : العلامة . ومستبينة : واضحة ، من استبانَ الشيءُ ، إذا ظهر . والقِطْف : كل ما يُقْطَف ، وأراد به قضيب الزيتون الذي حملته الحمامة إلى نوح دلالةً على اليابسة . والجاديُّ : الزعفران ، أي أصبح ذلك الموضع بلون الزعفران .

(٣) في الحيوان : « لاتجعل الطوق حاليا » ، وأثبتُّ رواية النويري في نهاية الأرب — والخَطْم من كل طائر: منقارُه . والطَّوْق : حَلْيٌ يُجعل في العنق ، وأراد به ما يظهر في عُنُق الحمامة من طَوْق يُشبه الحَلْيَ .

(٤) نبالهم : الضمير للناس .

(٥) تُصيب : تقصد . والمعنى : زدني إلى طوقي زينةً أخرى تخصُّ خضابي ، إذا أردتَ أن تُتْبِع طوقي بأعطية أخرى .

٢٠ وزِدْني لِطَرْفِ العَيْنِ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ　　وَورِّثْ إذا ما مِتُّ طَوْقي حَمامِيا [١]

٢١ يَكونُ لأَوْدِي جَمالاً وزِينَةً　　ويَهْوَيْنَ زَيْنِي زِينَةً مِنْ تُرابِيا [٢]

ثم عاد أيضاً إلى ذِكْرِ الديك ، فقال [٣] :

٢٢ ولا غَرْوَ إلاَّ الدِّيكُ مِدْمِنُ خَمْرَةٍ　　نَدِيمُ غُرابٍ لا يَمَلُّ الحَوانِيا [٤]

٢٣ ومَرْهَنُهُ عَنِ الغُرابِ حَبِيبَهُ　　فأَوْفَيْتَ مَرْهُوناً وخانَ مُسابِيا [٥]

---

(١) في الحيوان : وأَرِّثْ » ، وأثبتُّ رواية النويري — وطَرْف العين : لَحْظُها . و بنعمة : الباء زائدة ، والمعنى وزدني نعمةً لمن يراني .

(٢) في الحيوان : « ويهوين زيني زينة أن يرانيا » وهي غامضة ، ولذلك أثبتُّ رواية النويري في نهاية الأرب — والزَّيْن ، هنا : الزِّينَة . و من ترابيا : متعلقان بنعت محذوف لـ « زينة » الثانية ، والمعنى : ويهوى الحمامُ زينتي الكائنة من التراب ، وأراد به ذلك التراب الذي لحق مقارّها فجعله بلون الزعفران .

(٣) هذه عبارة الجاحظ في الحيوان .

(٤) في مراتب النحويين : « وما ذاك إلاّ الديك » — ولا غَرْوَ : لا عَجَبَ . وهذه الأبيات تقص أسطورةَ الديك والغراب عند العرب ، قال الجاحظ : « وفي كثير من الروايات من أحاديث العرب ، أن الديك كان نديماً للغراب ، وأنهما شربا الخمر عند خمار ولم يعطياه شيئاً ، وذهب الغرابُ ليأتيه بالثمن حين شرب ، ورَهَن الديكَ فخاس به ، فبقي محبوساً » . الحيوان ٢ :٣٢٠ ، وخاس به : غدر .

(٥) في الحيوان : « فأوفيت مرهوناً وخلفاً مسابيا » وهي غامضة ، ولذلك أثبتُّ عجز البيت برواية النويري ، وأما صدره في نهاية الأرب فهو : « ومرهنه عنـد الغراب جبينه » وفيه تصحيف — ومَرْهَنُه : مصدر ميمي بمعنى الرَّهْن ، والضمير للخمار المفهوم من الكلام ، وجَعَلَ الديكَ حبيباً للخمار لأنه مدمن ونديم للشاربين . و أوفيتَ : الخطابُ

٢٤ أَدَلَّ عَلَيْهِ الدِّيكُ : إِنِّي كَما تَرَى فأَقْبِلْ عَلَى شَأْنِي وهاكَ رِدائِيا [1]

للديك على الالتفات . وخان : الضمير للغراب . والمُسابي : من السَّبْي ، وهو الأسر ، وتَسابَى القومُ : تَسبّى بعضهم بعضاً ، والواحد منهم مُسابٍ ، وجعل الغرابَ مُسابياً ، لأن الغراب أسَرَ الديكَ عند الخمار بثمن ماشَرِب ، والديكُ كأنه أسَر الغرابَ بالوفاء بما وعد ، فكل منهما أسَر صاحبَه بشيء . ومَرَهَنُه : مبتدأ خبره محذوف ، والتقـــدير : وَمرَهَنُه حبيبَه عن الغراب أمرٌ عظيم .

(١) في الحيوان ، ونهاية الأرب : « أدل عليّ الديك » دون ضبط . وفي مجموعـــة بيروت : «أدلُّ عليّ الديك » . وفي مجموعة ليدن : « أَدُلُّ عليّ الديكِ » ، وكلها غامضة لاتهدي إلى معنى واضح ، ولهذا رأيتُ تصحيحَ العبارة وضبطَها بما يتناسب والمعنى في الأبيات — وأَدَلَّ عليه : وثِقَ بمحبتِه فأفرط عليه . وجملة « إني كما ترى » : يجوز فيها وجوه أقربها أن تكون في موضع نصب ، على تقدير . قال إني كما ترى . والشأن :الخطْب والأمر والحال . والرداء : يُمثِّل جانباً آخر من أسطورة الغراب والديك ، قال النويري : « ومن الحكايات التي تعدُّ من خرافات العرب ما حكاه بعضهم عن الرياشي ، فقال : كنا عند الأصمعي ، فوقف عليه أعرابي فقال : أنت الأصمعي ؟ قال : نعم ! قال : أنت أعلم أهل الحضر بكلام العرب ؟ قال : يزعمون ! قال : فما معنى قول أمية بن أبي الصلت :

وما ذاكَ إلا الديك شارب خمرة نديم غراب لايملُّ الحوانيـــا

فلما استقل الصبحُ نادى بصوتـه ألا ياغراب هل رددت ردائيـــا

فقال الأصمعي : إن العرب كانت تزعم أن الديك كان ذا جناح يطير به في الجو، وأن الغراب كان ذا جناح كجناح الديك لايطير به ، وأنهما تنادما ليلة في حانة يشربان فنَفِد شرابُهما ، فقال الغراب للديك : لو أعرتني جناحك لأتيتك بشراب ، فأعاره جناحه ، فطار ولم يرجع إليه . فزعموا أن الديك إنما يصيح عند الفجر استدعاء لجناحه من الغراب . فضحك الأعرابي ، وقال : ما أنت إلاّ شيطان ! » نهاية الأرب ١٠:٢٢٢ .

٢٥ أَمِنْتُكَ لا تَلْبَثْ مِنَ الدَّهْرِ ساعَةً ولا نِصْفَها حَتَّى تَؤُوبَ مَآبِيا [١]

٢٦ ولا تُدْرِكَنْكَ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِها فَأَغْلَقَ فِيهِمْ أَوْ يَطُولَ ثَوائِيا [٢]

٢٧ فَرَدَّ الغُرابُ والرِّداءُ يَحُوزُهُ إِلَى الدِّيكِ وَعْداً كاذِباً وأَمانِيا

٢٨ بأَيَّةِ ذَنْبٍ أَمْ بِأَيَّةِ حُجَّةٍ أَدَعْكَ فلا تَدْعُو عَلَيَّ ولا لِيا [٣]

٢٩ فإِنِّي نَذَرْتُ حِجَّةً لَنْ أَعُوقَها فلا تَدْعُوَنِّي دَعْوَةً مِنْ وَرائِيا [٤]

٣٠ تَطَيَّرْتُ مِنْها والدُّعاءُ يَعُوقُنِي وأَزْمَعْتُ حَجًّا أَنْ أَطِيرَ أَمامِيا [٥]

---

(١) لبث بالمكان : أقام به ومكث . والمآب : الرجوع .

(٢) في الحيوان : « فأعلق فيهم » ، وأثبتُّ رواية النويري لأنها أقرب إلى معنى الأبيات — والغَلَقُ في الرَّهْن : ضد الفَكّ ، وغَلِقَ الرَّهْنُ في يد المُرتَهِنِ يَغْلَق : استحقه المُرتَهِنُ وذلك إذا لم يُفْتَكّ في الوقت المشروط . والثَّواء : طول الاقامة .

(٣) في نهاية الأرب : « أو بأية » — والذنب : مُذكَّر ، وقال « بأيّة ذنب » فأنّث إمَّا اتباعاً لـ « أيّة حجة » ، وإما على تضمين الذنب معنى الجناية . والمعنى : بأية حُجّة أدَّعيها ، أم بأي ذنب جَنيتُه ، يمكن أن أتركك في أسرك ؟ فلا تدعو الله بشرٍّ عليَّ ، ولا بخيرٍ لي .

(٤) في الحيوان : « فلا تدعوني مرّة» ، وأثبتُّ رواية النويري — ونَذَرَ : أوجب على نفسه ما ليس بواجب . والحِجّة : بكسر الحاء ، المَرّة من الحج، وهي شاذة ، لأن القياس بالفتح ، ولكنَّ الأصل ما قالته العرب .

(٥) تَطيَّر : تَشاءَمَ . والحَجُّ : القَصْد ، ثم أُطلق على القَصْد إلى مكّة للنُّسُكِ وإلى البيت خاصة . وربما كان هذا البيت والذي يليه يمثلان جانباً آخر من الأسطورة ، لم يُنقل إلينا شيء عنه .

٣١ فلا تيأَسَنْ إنِّي مَعَ الصُّبْحِ باكِراً ... أوافِي غداً نحوَ الحجيجِ الغَوادِيا [١]

٣٢ لِحِبِّ امرِىءٍ فاكَهتُهُ قبلَ حِجَّتِي ... وآثرْتُ عَمْداً شأْنَهُ قبلَ شانِيا [٢]

٣٣ هُنالِكَ ظَنَّ الدِّيكُ إذْ زالَ زَوْلُهُ ... وطالَ عليهِ اللَّيْلُ ألاَّ مُفادِيا [٣]

٣٤ فلمَّا أضاءَ الصُّبْحُ طَرَّبَ صَرْخَةً ... ألاَ يا غُرابُ هَلْ سَمِعْتَ نِدائِيا [٤]

٣٥ عَلَى وُدِّهِ لَوْ كانَ ثَمَّ مُجِيبُهُ ... وكانَ لَهُ نَدْمانَ صِدْقٍ مُواتِيا [٥]

---

(١) في الحيوان : « مع الصبح باكرٌ » ، وأثبتُّ رواية النويري في نهاية الأرب . وفي بعض نسخ الحيوان : « فلا تبتئس إني .. » — وأوافي : آتي في الميعاد . والحجيج: جمع الحاج . والغوادي : السائرون بالغَداة ، وهي البُكْرَة ما بين الفجر وطلوع الشمس .

(٢) في نهاية الأرب : « كحب امرىء » — وفاكَهْتُه : مازَحْتُه .

(٣) في نهاية الأرب :« أن زال زوله » — والزول : الحركة . وزالَ زَوْلُهُ : أصبح ساكناً هادئاً من الحزن والهم . وظَنَّ ، هنا : بمعنى علم واستيقن كالآية : « ظنوا أن لا ملجأ من الله إلاّ إليه » التوبة ٩:١١٨ . والمفادي : فاعِلٌ من فاداه يفاديه ، إذا أعطى فداءَه وأنقذه .

(٤) في مراتب النحويين :

فلما استقل الصبح نادى بصوته ... ألا يا غرابُ هل رددت ردائيا

وطَرَّبَ في صوتِه : مَدَّه ورَجَّعَه وحَسَّنه .

(٥) في نهاية الأرب : « لو كان ثَمَّ يجيبه » . وفي مجموعة ليدن : « مؤاتيـا » — والوُدُّ : الحبُّ ، أو التمني . ورجلُ صِدْقٍ : صادِقٌ لا يخون . والمواتي : المطاوع الموافق ، وأصله الهمز فخُفِّف وكَثُر حتى صار يقال بالواو الخالصة .

٣٦ وأَمْسَى الغُرابُ يَضْرِبُ الأَرْضَ كُلَّها
عَتِيقاً وأَضحَى الدِّيكُ في القِدِّ عانِيـا [١]

٣٧ فذَلِكَ مِمَّا أَسهبَ الخَمْرُ لُبَّهُ ونادَمَ نَدماناً مِنَ الطَّيْرِ عادِيا [٢]

(١٠٢)

في السيرة (١:٢٤٢) [٣] :

١ إلَى اللهِ أُهْدِي مِدْحَتِي وثَنائِيا وقَوْلاً رَصِيناً لا يَنِي الدَّهْرَ باقِيا [٤]

---

(١) ضَرَبَ في الأرض : ذهب فيها ابتغاء للرزق . والعتيق : الطليق . والقِدُّ : الغُلُّ ، وهو السَّيْر يُقَدُّ من الجِلْد . والعاني : الأسير .

(٢) في نهاية الأرب : « مما أسهت الخمر لبه » ــ واللُّب : العقل . وأسْهَبَ لبَّه : ذهب بعقله . والندمان : النديم . والعادي : المعتدي .

(٣) رواها ابن هشام ماعدا الأبيات (٣ ، ٩ ، ١٨) وقد أضفتُ البيت (٣) عن الدرر والغرر ٢:١٦٨ ، وأضفت البيت (٩) بترتيبه عن الخزانة ١:٢٢٦ ، وأضفت البيت (١٨) عن الروض الأنف ١:١٤٨ . ورواها ابن إسحق في السيرة لزيد بن عمرو بن نفيل ، ثم قال ابن هشام : هي لأمية بن أبي الصلت من قصيدة له . ومن المرجح أنها منحولة غير مُوثَّقة .

(٤) في البداية والنهاية : « وقولاً رضياً » ــ والمِدْحة : الاسم من المدح . ولا يَني : لا يَفتُر أو يَضعُف . ورصيناً : مُحْكَماً .

٢ إلى المَلِكِ الأَعْلَى الَّذي لَيسَ فَوْقَهُ إلهٌ ولا رَبٌّ يكونُ مُدانِيا [١]

٣ وأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لا شَيْءَ فَوْقَهُ عَلِيًّا وأَمْسَى ذِكْرُهُ مُتَعالِيا

٤ أَلاَ أَيُّها الإِنْسانُ إِيَّاكَ والرَّدَى فإِنَّكَ لا تُخْفِي مِنَ اللهِ خافِيا [٢]

٥ وإِيَّاكَ لا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ فإِنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ أَصْبحَ بادِيا [٣]

٦ حَنانَيْكَ إنَّ الجِنَّ كُنتَ رَجاءَهُمْ وأَنتَ إلهي رَبُّنا ورَجائِيا [٤]

---

(١) في سورة الأعلى : « سبِّح اسم ربِّك الأعلى » ٨٧ : ١ ، وانظر سورة الليل ٩٢ : ٢٠ . وفي سورة النحل : « ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم » ١٦ : ٦٠ ، وانظر الروم ٣٠ : ٢٧ .

(٢) قال السهيلي : « والردى هو الموت ، فظاهر اللفظ متروك ، وإنما هو تحذير مما يأتي به الموت ويبديه من جزاء الأعمال ، ولذلك قال : فإنك لا تُخفي من الله خافيا » الروض الأنف ١ : ١٤٨ .وفي سورة الحاقة : « يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية» ٦٩ : ١٨ ، وانظر سورة المؤمن ٤٠ : ١٦ .

(٣) في سورة الأعراف : « وإن يروا سبيلَ الرُّشْد لا يتخذوا سبيلا » ٧ : ١٤٥ . وفي سورة الاسراء : « لاتجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولا » ١٧ : ٢٢ ، وانظر الاسراء ١٧ : ٣٩ .

(٤) في السيرة ، والمقاصد النحوية ، والبداية والنهاية : « إن الجن كانت رجاءهم » ، وأثبتُ رواية البلوي في ألف با — وحَنانَيْكَ : قال النحاة يريد حناناً بعد حنان ، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار لا إلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد ، وقال السهيلي : « ويجوز أن يريد حناناً في الدنيا وحناناً في الآخرة ، وإذا قيل هذا لمخلوق نحو قول طرفة (حنانيك بعض الشر أهون من بعض) فإنما يريد حنان دَفْع وحنان نَفْع ، لأن كلّ من أمّل مَلِكاً ، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضراً أو ليجلب إليه خيراً » الروض الأنف ١ : ١٤٨ .

٧ رَضِيتُ بِكَ اللَّهُمَّ رَبّاً فلَنْ أُرَى ... أَدِينُ إِلٰهاً غَيْرَكَ اللهُ ثانِيا (١)

٨ وأَنْتَ الَّذي مِنْ فَضْلِ مَنٍّ ورَحْمَةٍ ... بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولاً مُنادِيا (٢)

٩ فَقالَ أَعِنِّي يَابْنَ أُمِّي فإِنَّني ... كَثِيرٌ بِهِ يا رَبُّ صِلْ لِي جَناحِيا (٣)

١٠ فقُلْتَ لَهُ يا اذْهَبْ وهارُونَ فَادْعُوا ... إِلَى اللهِ فِرْعَونَ الَّذي كانَ طَاغِيا (٤)

---

(١) في المقاصد النحوية : « غيرك الله راضيا » — وأدينُ إلـهاً : أراد أدينُ لإلـه فحذف اللام وعدّى الفعلَ بنفسه لأنه في معنى « أعبد إلها » . و « الله » : منادى بأداة محذوفة « يا الله » ، ولا يجوز نداء ما فيه ألف ولام بـ « يا » باستثناء لفظ الجلالة . وأورد السهيلي بعد هذا البيت بيتاً آخر، قال إنه لم يذكره ابن إسحق ، وذكره أبو الفرج في أخبار زيد ، وهو :

أدين إلهاً يُستجار ولا أرى ... أدين لمن لم يسمع الدهر داعيا

(٢) في الخزانة : « من فضل سيب ورحمة » — والمَنُّ : الاحسان . والسَّيْب : العطاء .

(٣) هذا البيت لم ينقله ابن هشام ، وإنما أثبتُّه بروايته وترتيبه عن البغدادي في الخزانة ، وفي الخزانة : « أعنّي يابن أمي » ، وقد يكون محرفاً والأصل : « أعنّي بابنِ أمي » ، فهذا يتناسب مع ماورد من آيات حول قصة موسى عليه السلام ، ففي سورة طه : « واجعلْ لي وزيراً من أهلي ، هارون أخي ، اشدُدْ به أزري ، وأشركه في أمري » ٢٠:٣٣ ، وانظر الشعراء ٢٦:١٣ ، والقصص ٢٨:٣٤ .

(٤) في البداية والنهاية : « فقلت له اذهب » . وفي الروض الأنف : « فقلت ألا يا اذهب » . وفي البدء والتاريخ : « فقلت له فاذهب » . وفي الخزانة :

فقلت لهارون اذهبا فتظاهرا ... على المرء فرعون الذي كان طاغيا

وفي سورة طه : « ولقد جئتَ على قَدَرٍ ياموسى .. اذهب أنتَ وأخوك بآياتي

١١ وقُولا لَهُ أَأَنْتَ سَوَّيْتَ هَذِهِ بِلا وَتَدٍ حَتّى اطمأَنَّتْ كما هِيا [١]

١٢ وقُولا لَهُ أَأَنْتَ رَفَّعْتَ هَذِهِ بِلا عَمَدٍ أَرْفِقْ إِذَنْ بِكَ بانِيا [٢]

١٣ وقُولا لَهُ أَأَنْتَ سَوَّيتَ وَسْطَها مُنِيراً إذا ما جَنَّهُ اللَّيلُ هادِيا [٣]

١٤ وقُولا لَهُ مَنْ يُرسِلُ الشَّمْسَ غُدْوَةً فَيُصبِحَ ما مَسَّتْ مِنَ الأَرضِ ضاحِيا [٤]

١٥ وقُولا لَهُ مَنْ يُنبِتُ الحَبَّ في الثَّرَى فَيُصبِحَ مِنْهُ البَقْلُ يَهْتَزُّ رابِيا [٥]

ولا تنيا في ذِكري ، إذهبا إلى فرعون إنه طغى » ٢٠:٤٠ ، ٤٢ – ٧٣ ، وانظر أيضاً سورة طه ٢٠:٢٤ ، والنازعات ٧٩:١٧ . والأبيات التالية تنقل كثيراً من معاني القرآن وتحافظ على أسلوب الحوار ، وهو ماجاء في عدد من السور التي أوردت قصة موسى وفرعون .

(١) في البدء والتاريخ : « أأنتَ سمَّكتَ هذه .. حتى استقرت كما هيا » – و « هذه » : الاشارة للأرض المفهومة ضمناً . واطمأنّتْ : سكَنَتْ .

(٢) في البدء والتاريخ : « أأنت سَوَّيت هذه . . بلا عمد حتى استقرت كما هيا » كرر العبارة الأخيرة في البيتين – و « هذه » : الاشارة للسماء المفهومة ضمناً . والعمود: الخشبة القائمة في وسط الخباء والجمع أعمدةٌ وعُمُدٌ ، والعَمَد اسم للجمع . وفي سورة الرعد : « الله الذي رفع السموات بغير عَمَدٍ ترونها ثم استوى على العرش وسَخَّر الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجري لأجل مسمى » ١٣:٢ ، وانظر لقمان ٣١:١٠ .

(٣) في الخزانة : « إذا ماجنه الليل ساريا » – وجَنَّه : سَتَرَه أو أحاط به .

(٤) في الخزانة : « من أخرج الشمس بكرة » . وفي البدء والتاريخ : « من الأرض صاحيا » – والغدوة : البكرة مابين الفجر وطلوع الشمس . والضاحي : البارز للشمس .

(٥) في الخزانة : « من أنبت .. فأصبح منه » . وفي البدء والتاريخ :

وقولا له من ينبت الحيَّ والثرى فتصبح منه البقل تهتز راسيا

وفيه تحريف – ورابياً : نامياً مرتفعاً .

١٦ ويُخرِجُ مِنهُ حبَّهُ في رُؤوسِهِ ... وفي ذاكَ آياتٌ لِمَنْ كانَ واعِيا [١]

١٧ وأنتَ بِفضلٍ منكَ نجّيتَ يونساً ... وقد باتَ في أضعافِ حوتٍ لياليا [٢]

١٨ فأنبتَ يقطيناً عليهِ برحمةٍ ... منَ اللهِ لولا اللهُ أصبحَ ضاويا [٣]

---

(١) في الخزانة : « فأصبح منه حبُّه .. ففي ذاك » — والآيات : مفردها آية وهي العلاقة . وفي سورة طه يسأل فرعونُ عن أخبار الأمم البائدة ، فيأتيه جوابُ موسى عليه السلام بأنْ : « قال علمها عند ربي في كتاب لا يَضِلُّ ربّي ولا ينسى ، الذي جعل لكم الأرض مَهْداً وسلك لكم فيها سُبُلاً وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ، كُلُوا وارعَوْا أنعامَكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى » ٢٠:٥١ - ٥٤ .

(٢) أضعاف الجسد : أعضاؤه أو عظامه ، وأضعافُ الحوتِ : أراد بها جوفَه . وفي سورة الصافات : « فالتقمه الحوتُ وهو مُليم ، فلولا أنه كان من المُسبِّحين ، لَلَبِثَ في بطنه إلى يوم يبعثون » ٣٧:١٤٢ - ١٤٤ .

(٣) لم يرو ابن هشام هذا البيت ، وقد أثبته بترتيبه عن السهيلي ، إذ قال : « وبعد قوله (وبات في أضعاف حوت لياليا) بيتٌ لم يذكره ابن إسحق ووقع في جامع ابن وهب وهو : (هذا البيت) » الروض الأنف ١:١٤٩ . ورواه السهيلي : « لولا ذاك أصبح ضاحيا » ، وأثبتُّ رواية ابن كثير في البداية والنهاية لأن « ضاحيا » تقدمت في بيت سابق . وفي تفسير الطبري ، وتفسير السيوطي ، والفرج بعد الشدة : « لولا الله أُلْفِي ضاحيا » . — واليقطين : كل شجر لا يقوم على ساق نحو القرع والبطيخ وسواه . وفي سورة الصافات : « فنَبَذْناه بالعَراء وهو سَقيم ، وأنبَتْنا عليه شَجَرةً من يقطين » ٣٧:١٤٥ - ١٤٦ .

١٩ وإنّي ولَوْ سَبَّحتُ باسْمِكَ ربَّنا ... لأُكْثِرُ إلاّ ما غَفَرْتَ خَطائِيا [١]

٢٠ فَربَّ العِبادِ أَلْقِ سَيْباً ورَحْمَةً ... عَلَيَّ وبارِكْ في بَنِيَّ ومالِيا [٢]

(١٠٣)

في السيرة (١ : ٢٤٧) [٣] :

١ رُشِدْتَ وأُنعِمْتَ ابْنَ عَمْرٍو وإنَّما ... تَجَنَّبْتَ تَنُّوراً مِنَ النَّارِ حامِيا [٤]

٢ بِدِينِكَ رَبّاً لَيْسَ رَبٌّ كَمِثْلِهِ ... وتَرْكِكَ أَوْثانَ الطَّواغِي كما هِيا [٥]

---

(١) في البداية والنهاية : « وإني لو سَبَّحت » . وفي الروض الأنف : « وإني وإن سَبَّحت » — والخطيئة : تُجمع على خطايا ، وهو جمع نادر ، والقياس أن تُجمع على « خطائيء» بزنة « فعائل » ، وتُبدل الهمزة الأخيرة ياءً لأن قبلها كسرة فتصبح « خطائي » ، وحين أضاف الشاعر إليها ياء المتكلم أصبحت « خطائيّ » فَحَذف الياءَ الأخيرة تخفيفاً وعوض منها بالألف فقال : « خطائيا » .

(٢) في البداية والنهاية : « ثيبا ورحمة » تحريف — والسَّيْبُ : العطاء .

(٣) في السيرة: « عن ابن إسحق أنَّه لمَّا قُتِلَ زيد بن عمرو بن نُفَيْل قال ورقة ابن نوفل يبكيه : (الأبيات) . قال ابن هشام : يُروى لأمية بن أبي الصلت البيتان الأولان منها وآخرها بيتاً من قصيدة له » .

(٤) رُشِدتَ : هُدِيتَ . وابن عمرو : هو زيد بن عمرو بن نفيل ، وكان زيد ابن عمرو بن نفيل حنيفياً عُرِفَ عنه التَّأَلُّه وطَلَبُ الدِّين والانصراف عن الأصنام والأوثان وسائر مفاسد الجاهلية ، انظر التمهيد لهذا الكتاب ٢٢ – ٢٥ .

(٥) في البداية والنهاية : « وتركك جنان الجبال كما هيا » . وذكر ابن عساكر ،

٣ وإدْراكِكَ الدِّينَ الَّذي قَدْ طَلَبْتَهُ ولَمْ تَكُ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّكَ ساهِيا [١]

٤ فأَصْبَحْتَ في دارِ كَرِيمٍ مُقامُها تُعَلَّلُ فيها بالكَرامَةِ لاهِيا [٢]

٥ تُلاقِي خَلِيلَ اللهِ فِيها ولم تَكُنْ مِنَ النَّاسِ جَبَّاراً إلَى النارِ هاوِيا [٣]

وابن كثير بعد هذا البيت :

الا لن تفوت المرء رحمة ربه ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

مع بعض التغيير في الرواية ، وقد ورد هذا البيت في القصيدة (١٠١)، انظر ٥٢٨ - وبدينك رباً : أراد « لرب » فحذف اللام وعداه بنفسه لأنه بمعنى « بعبادتك ربا » . والطواغي: بمعنى مَنْ طغى في الكفر وجاوز الحدّ ، وهم عظماء المشركين و كبراؤهم .

(١) الدين : أراد به دِينَ الحنيفية ملّة إبراهيم عليه السلام . والساهي : الغافل عن الشيء .

(٢) تُعَلّل بالكرامة : يضاعف لك فيها ، من العَلَل ، وهو الشَّرْبة الثانية ، أو الشُّرْب بعد الشُّرْب تِباعاً .

(٣) خليل الله : إبراهيم عليه السلام ، وفي سورة النساء : « واتَّخذَ اللهُ إبراهيم خليلًا » ٤:١٢٥ .



مـا أنشد لأميـة وليس لـه

لم ندخل في هذا القسم إلا ماتأكد بالدليل
القاطع انه ليس لأمية .



(١)

في العباب في شرح الآداب (الورقة ٥٠:آ) [١] :

بُناةُ مكارمٍ وأُســاةُ كَلْمٍ   دماؤهم مِنَ الكَلَبِ الشفاءُ [٢]

(٢)

في مختصر جامع بيان العلم (٤٠) [٣] :

إنَّ الغلامَ مُطيعٌ مَنْ يُؤدِّبه   ولا يُطيعُكَ ذو شَيْبٍ بتأديبِ

---

(١) نقله بور Power عن العباب لأمية ، والبيت من قصيدة لأبي البرج القاسم ابن حنبل المري .

(٢) رواه بور : « دماً وهم من الكَلْم » ، ولكنه أشار إلى أن في الأصل المخطوط « الكلب » بدلاً من « الكَلْم » ، وأما عبارة « دماً وهم » فهي محرفة إما في العباب ، وإما في نقل بور عنه ، وأثبتُّ صوابها عن مصادرالبيت جميعاً . والبيت من شواهدهم على ما كانت تزعمه العرب من أن دماء الملوك تشفي من داء الكلب ، انظر الحيوان ٢:٥ ، ومختصر المعاني ٢٢٣ ،وهمع الهوامع ١:٨١ ، وغيرها من مصادر البيت .

(٣) أنشده المُختصِرُ لأمية بن أبي الصلت ، وهذا وهم منه لأن ابن عبد البر في جامع بيان العلم لم ينسب هذا البيت إلى أحد ، وإنما نسب إلى أمية بيتاً آخر مشابهاً .

(٣)

في مجموعة بيروت (٣٠) [١] :

١ مَنْ كانَ ذا عَضُدٍ يُدْرِكْ ظُلامَتَهُ إنَّ الذَّليلَ الذي لَيْسَتْ له عَضُدُ [٢]

٢ تَنْبُو يَداهُ إذا ما قَلَّ ناصِرُهُ ويَمْنَعُ الضَّيْمَ إنْ أَثْرَى له عَدَدُ [٣]

(٤)

في اللسان (نأط) [٤] :

١ بَلَغَ المَشارِقَ والمَغارِبَ يَبْتَغي أَسْبابَ أَمْرٍ من حَكيمٍ مُرْشِدِ [٥]

---

(١) أنشدهما بشير يموت لأمية بن أبي الصلت ، والبيتان للأجْرَد الثقفي .

(٢) الظُّلامَةُ : ما تَطلُبُه عند الظالم ، وهي اسم ما أُخِذ منك . والعَضُد : الساعد ، والقوة ، تذكّر وتؤنث ، وهي هنا : الأنصار والأعوان .

(٣) في الحيوان ، والبيان والتبيين ، وعيون الأخبار ، والعمدة ، والمصون في الأدب ، وبهجة المجالس : « ويأنف الضيم » . وفي العقد الفريد : « وتأنف الضيم » — وتَنبو : تَضْعُف ، من نبا السَّيفُ ، إذا لم يقطع . ويأنف : يكره . وأثرى عَدَدُه : كثر عددُ قبيله أو أنصاره .

(٤) روى ابن منظور البيتين لأمية بن أبي الصلت ، وهما من قصيدة تُنسب إلى تُبَّع ملك اليمن ، ومن الراجح أن تكون القصيدة منحولة بكاملها في عصر إسلامي ، وأضاف بشير يموت بيتين آخرين ، وهما أيضاً من قصيدة تُبَّع ، فانظر التخريج .

(٥) في المنتخبات : « نال المشارق » . وفي تاريخ الطبري : « أسباب علم من

٢ فأَتَى مَغيبَ الشَّمْسِ عندَ مَآبِها   في عَيْنِ ذِي خُلُبٍ وثَأْطٍ حَرْمَدِ [1]

حكيم مرشد » . وفي لباب التأويل : « أسباب ملك من كريم مرشد » . وفي التيجان :

طاف المشارقَ والمغاربَ عالماً   يبغي علوماً من كريمٍ مرشد

والأسباب : مفردها سَبَبٌ ، وهو كلُّ شيء يُتوصل به إلى غيره . والحديث في البيت عن ذي القرنين ، وهو لقب الاسكندر المكدوني ، قيل سُمِّي بذلك لأنه كانت له ضفيرتان ، وقيل لأنه بلغ قطري الأرض مشرقها ومغربها ، وقيل غير ذلك .

(١) في قصص الأنبياء ، وتفسير البحر المحيط : « فرأى مغيب الشمس عند مآبها » . وفي مقاييس اللغة : « فرأى مغيب الشمس عند إيابها » . وفي تاريخ الطبري ، والبداية والنهاية : « فرأى مغيب الشمس عند غروبها » . وفي لباب التأويل : « فرأى مغيب الشمس عند غروبها » . وفي جمهرة اللغة ، واللسان ، والتاج (حرمد) : « فرأى مغيب الشمس عند مسائها » . وفي الأغاني :

والشمس تَغْرُب كلَّ آخر ليلة   في عين ذي خلب وثأط حرمد

وصدره من البيت المنسوب إلى أمية :

والشمس تطلع كل آخر ليلة   حمراء يصبح لونها يتورد

ومَآبُ الشمس : مغيبها . والخُلُب : الطين . والثَّأط : الحَمْأة ، وهي الطين الأسود المنتن . والحَرْمَد : الأسود من الحمأة ، وقيل : المتغير اللون . وفي سورة الكهف : « ويسألونكَ عن ذي القرنين ، قُلْ سأتلو عليكم منه ذِكْراً ، إنّا مَكَّنّا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سَبَباً ، فأَتْبَع سَبباً ، حتى إذا بَلَغ مَغْربَ الشمس وجدها تَغْرب في عَيْنٍ حَمِئَةٍ ووجد عندها قوماً » ١٨ : ٨٤ - ٨٦ .

(٥)

في مجموعة بيروت (٣٧) [١] :

١ أرباً واحِداً أَمْ أَلْفَ رَبٍّ أَدِينُ إذا تَقَسَّمَتِ الامُورُ [٢]

٢ ولكِنْ أَعْبُدُ الرَّحْمنَ رَبِّي لِيَغْفِرَ ذَنْبِيَ الرَّبُّ الغَفُورُ

(٦)

في الغرر والدُّرَر (١ : ٥٧٧) [٣] :

فإنْ تَسْأَلِينا فِيمَ نَحْنُ فإنَّنا عَصَافِيرُ مِنْ هذا الأَنام المُسَحَّرِ [٤]

(١) رواهما بشير يموت لأمية بن أبي الصلت ، ولم يحدد مصدره ،والبيتان من قصيدة لزيد بن عمرو بن نفيل .

(٢) في البداية والنهاية : « أرب واحد » — وأَدِينُ : أعبد ، أو أتَّخذ ديناً . وتقسّمتْ ، هنا : تشَعَّبتْ واختلفت .

(٣) أنشده المرتضى لأمية ، والبيت من قصيدة للبيد .

(٤) في المخصص ، والبيان والتبيين : « فإن تسألينا كيف نحن » — وسَحَرَه بالطعام والشراب وسَحَّرَه : غَذَّاه ، وقيل : خَدَعه . والمُسَحَّر ، هنا : جوّزوا فيه الوجهين ، انظر مصادر البيت في التخريج .

(٧)

في شرح مقامات الحريري لدوسامي (٢ : ٤٣٨) [١] :

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ... لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وسِدادِ ثَغْرِ [٢]

(٨)

في الخصائص (١ : ٢٠٧) [٣] :

بالباعِثِ الوارِثِ الأَمْواتِ قد ضَمِنَتْ

إِيَّاهُمُ الأَرْضُ في دَهْرِ الدَّهارِيرِ [٤]

---

(١) رواه دوسامي لأمية بن أبي الصلت ، والبيت من قصيدة للعرجي .

(٢) الكريهَةُ : الشِّدَّة في الحرب . والثَّغْر : موضع المخافة من هجوم العدو . والسِّداد : ما يُسَدُّ به الثَّغْرُ من خيل ورجال .

(٣) أنشده ابن جني لأمية بن أبي الصلت ، والبيت من قصيدة للفرزدق .

(٤) في ديوان الفرزدق : « بالدَّهْرِ الدَّهارِيرِ » — وبالباعث : متعلقان بـ « حلَفْتُ » في بيت قبله . وضَمِنَتْ : بمعنى تَضَمَّنَتْ ، أي اشتملت . والدَّهارير : أوَّلُ الدهر في الزمن الماضي ، وقيل : الدهارير تصاريف الدهر ونوائبه . ودَهْرٌ دَهاديرُ : شديدٌ ، وقيل : دُهورٌ دهاريرُ ، مختلفة على المبالغة .

(٩)

في شعراء النصرانية (٢٣٥) [1] :

١ أَبا مَطَرٍ هَلُمَّ إلى صَلاحِ فتَكْفِيكَ النَّدامَى مِنْ قُرَيْشِ [2]

٢ وتأْمَنُ وَسْطَهُمْ وتَعِيشُ فِيهِمْ أَبَا مَطَرٍ هُدِيتَ بخَيرِ عَيْشِ [3]

٣ وتَسْكُنُ بَلْدَةً عَزَّتْ لَقاحاً وتأْمَنُ أن يَزُورَكَ رَبُّ جَيْشِ [4]

(١) رواها الأب لويس شيخو عن اللسان (صلح) لأمية ، وهي في هذا الموضع من اللسان لحرب بن أمية أحد سادات قريش ، وليست لأمية بن أبي الصلت .

(٢) في معجم البلدان : « لتكفيك الندامى » . وفي فتوح البلدان : « ليكفيك الندامى » . وفي معجم ما استعجم ، والمسلسل : « فتكنفك الندامى » — وصَلاحِ ، مبنية كقطامِ ، وقد تُصرف : من أسماء مكة .

(٣) في الحيوان : « هُدِيتَ لخير عيش » .

(٤) في فتوح البلدان : « وتنزل بلدة عَزَّت قديماً وتأمن أن ينالك » — وعَزَّتْ لَقاحاً : لم تخضع في حياتها لملك ، يقال : حَيٌّ لَقاحٌ ، إذا لم يَدِينوا للملوك .

(١٠)

في مجموعة ليدن (٧١) [١] :

١ فما بَلَغتْ كَفُّ امْرِىءٍ مُتَناوِلاً ... مِنَ المجدِ إلاّ حيثُ ما نِلْتَ أطولُ [٢]

٢ وما بَلغَ المُثْنونَ في الخيرِ مِدْحَةً ... ولو صَدَقوا إلاّ الذي فيكَ أفضَلُ [٣]

---

(١) أنشدهما شولتهيس لأمية ، والبيتان من قصيدة للخنساء في رثاء أخيها .

(٢) في ديوان الخنساء ، وشرح التبريزي على حماسة أبي تمام ، والمصون في الأدب ، وسرقات أبي نواس ، والكشكول ، وتفسير البحر المحيط : « امرىء متناولٍ » . وفي العقد : « فما أدركت كف امرىء متناول » . وفي شرح المضنون : « متناول بها المجد » . وفي العقد، والمصون ص٢٢ : «من المجد إلاّ والذي نلت» . وفي الكشكول : « من المجد إلا كان » .

(٣) في ديوان الخنساء ، وشرح الحماسة للتبريزي ، وتفسير البحر المحيط : « ولا بلغ المهدون في القول مدحة ولا صدقوا » . وفي العقد : « وما بلغ المهدون للمدح غاية ولا جهدوا » . وفي شرح المضنون : « وما بلغ المهدون في الخير مدحة وإن أطنبوا » . وفي سرقات أبي نواس : « فما بلغ المهدون للناس مدحة وإن أطنبوا » . وفي المصون ص ٢٢ : « ولا بلغ المهدون في الخير مدحة ولو أطنبوا » ، ثم رواه ص ٦٣ : « وإن أطنبوا » . وفي الكشكول :

ولا بلغ المهدون في القول مدحة ... وإن أكثروا إلاّ وما فيك أفضل

(١١)

في شرح شواهد ابن عقيل (١٤٦) [١] :

يَلومُونَني في اشْتراءِ النَّخيـ ـلِ أَهلي فكُلهُمُ يَعْذِلُ [٢]

(١٢)

في مقالة بور (١٤٩) [٣] :

عَنساً تُعَنِّيها وعَنساً تَرْحَلُ [٤]

---

(١) قال الجرجاوي : « قيل إنه لأمية » ، والبيت من مقطعة لأحيحة بن الجلاح .

(٢) في مغني اللبيب ، وأوضح المسالك ، والمقاصد النحوية ، وشرح شواهد المغني ، وشرح الحماسة ، وتفسير البحر المحيط : « فكلهم ألوم » — وقوله « يلومونني أهلي » : فيه ما يُسمى بلغة « أكلوني البراغيث » ، ومنهم من قال إنها لغة شاذة ، ومنهم من قال إنها لهجة لأزد شنوءة ، انظر مصادر البيت في التخريج .

(٣) أنشده المستشرق بور Power لأمية عن اللسان والتاج(عني)، ولكن الشطر في هذا الموضع منهما دون نسبة إلى أحد .

(٤) العَنْسُ : الناقة القوية . وفي اللسان ، والتاج : « تُعَنِّيها : تَحَوُّنُها وتُسقِطُها » . والعَنَاء : التَّعَب والنَّصَب .

(١٣)

في مقاييس اللغة (٤: ١١٤) [(١)]

١ إلى اللهِ أَشْكُو الَّذِي قد أَرَى ... مِنَ النَّائباتِ بِعافٍ وعالِ [(٢)]

وفي مقالة بور (١٥٢) [(٣)] :

٢ يُرِنُّ عَلَى مُغْزِياتِ العِقاقِ ... ويَقْرُو بها قَفَراتِ الصِّلالِ [(٤)]

---

(١) أنشده ابن فارس لأمية بن أبي الصلت ، والبيت من قصيدة لأميـة بن أبي عائذ الهذلي .

(٢) نقل ابن فـارس شرح الأصمعي للبيت فقال : « أي بعفوي وجهـدي ، من قولك علاه كذا ، أي غلبه . والعافي : السهل . والعالي : الشديد » . وجاء شرح البيت في ديوان الهذليين : « يقول : النائبات التي تنوب . وقوله : بعافٍ وعالٍ ، أي تأخذ بالعَفْوِ والسهولة وتَـقَهُّرُ فتعلو وتعظُم ، ومنه : تعالى الأمرُ ، إذا تفاقم » ٢: ١٧٤ .

(٣) نقله بُوَر Power عن اللسان ، والمخصص ، لأمية بن أبي الصلت . والبيت فيها لأمية دون تحديد إن كان ابنَ أبي الصلت أو غيرَه ، والصواب أنه أمية بن أبي عائـذ الهذلي لأن البيت من قصيدته التي ورد فيهاالبيت السابق .

(٤) في اللسان : « تَـزَنّ على مغزيات » تحريف — ويُرِنُّ : يُصوِّتُ ، والضمير لحمار الوحش . والمُغْزِيات: اللواتي يحْملن في آخر الزمن ، ويضعن في آخر الزمن، الواحدة مُغْزِية . والعِقاقُ : مفردها عَقُوقٌ ، وهي التي تضخّم بطنها عندا لحمْل . ويقرو : يتبـع . والقَفْرة : الخلاء من الأرض . والصِّلال : أمطار تقع متفرقةٌ ، مفردها صلة . وقال ابن منظور : « يريد القفرات التيبها الصلال » اللسان (غزا) ، ومثله في المخصص ٧: ١٥ .

(١٤)

في الخصائص (١:٣٠٧) [١] :

أَنَا الذَّائِدُ الحامِي الذِّمَارَ وإِنَّما ... يُدافِعُ عَنْ أَحسابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي [٢]

(١٥)

في الاشتقاق لابن دريد (٤٧٧) [٣] :

فَصَلَقْنَا في مُرادٍ صَلْقَةً ... وصُداء أَلْحَقَتْهُمْ بالثَّلَلْ [٤]

(١) رواه ابن جني لأمية بن أبي الصلت ، والبيت من قصيدة للفرزدق .

(٢) ذِمارُ الرَّجُلِ : كلُّ مايلزمه حفظُه وحمايتُه والدفع عنه .

(٣) أنشده ابن دريد دون نسبة ، ولكن المحقق أشار إلى أن في الأصل المخطوط حاشية بخط مغلطاي ، فيها أن البيت لأمية بن أبي الصلت ، وليس صحيحاً لأنه من قصيدة للبيد بن ربيعة العامري .

(٤) صَلَقَ بني فُلانٍ ، وفي بني فلانٍ : أَوْقَعَ بهم وَقْعَةً مُنْكَرة . ومُراد وصُداء : قبيلتان ، الأولى بطن في كهلان ، والثانية بطن في خزاعة . والثلل : الهلاك .

(١٦)

في مجموعة بيروت (٦٠)[١] :

لو يَدِبُّ الحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّ م رِّ عَلَيْها لأنْدَبَتْها الكُلومُ [٢]

(١٧)

في فرائد القلائد (٥٥)[٣] :

أَلاَ إنَّ قَلْبي لَدَى الظاعنينا حَزِينٌ فَمَنْ ذا يُعَزِّي الحَزِينا [٤]

---

(١) أنشده بشير يموت لأمية ، والبيت من قصيدة لحسان بن ثابت .

(٢) الحَوْلِيُّ : الذي أتى عليه عام ، وأراد به مجرد الصغير منه . وأندبتها : تركت فيها نُدوباً ، والنَّدْبَة : أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد . والكلُوم : الجراح ، واحدها كَلْمٌ . والبيت في وصف امرأة .

(٣) أنشده العيني لأمية بن أبي الصلت ، والبيت مطلع قصيدة لأمية بن أبي عائذ الهذلي .

(٤) في الخزانة : « مع الظاعنينا » — والظاعنون : مفردهم ظاعن ، وهو المرتحل في البادية ، ولعله أراد الظعائن من النساء . والعزاء : الصبر .



تخريج الديوان



(١)

١ - ٤ ، ٦ - ١٠ في الأغاني ٨: ٣ .

١ - ٧ في ربيع الأبرار الورقة (٣٠٢) من مخطوطة دار الكتب رقم (١٥٥ - أدب) .

١ - ٤ ، ٦ ، ٨ ، ٧ ، ٩ - ١٠ في المستجاد ٢٢٤ - ٢٢٥ .

١ - ٤ ، ٦ ، ٨ ، ٧ ، ١٠ في نهاية الأرب ٥: ٣٨ .

١ - ٤ ، ٦ - ٧ في حماسة أبي تمام ٢: ٣٢٠ - ٣٢١ ، والبداية والنهاية ٢: ٢٢٩ ، والعمدة ٢: ١٢٧ .

١ - ٤ ، ٧ ، ٦ في طراز المجالس ١٦٧ .

١ - ٣ ، ٧ ، ٦ ، ٤ في شرح الحماسة للتبريزي ٤: ١٤٥ .

١ - ٣ ، ٦ ، ٤ في الاشتقاق لابن دريد ١٤٣ .

١ - ٣ ، ٧ ، ٦ في الحماسة البصرية الورقة (٥٧: ب) .

١ - ٣ ، ٦ في نهاية الأرب ٣: ٢١٧ .

١ ، ٢ ، ٦ ، ٣ ، ٤ ، ٧ في تاريخ ابن عساكر ٣: ١٢٢ .

١ - ٣ ، ٦ ، ٤ في الاشتقاق لابن دريد ١٤٣ .

١ - ٢ في ديوان الحطيئة ٥٨ .

١ ، ٣ ، ٧ ، ٦ ، ٤ في المحبر ١٣٨ .

١ ، ٦ ، ٣ ، ٤ ، ٧ في حياة الحيوان ٢: ٦٨ .

١ ، ٦ ، ٣ ، ٤ في إنسان العيون ١: ١٧٣ .

١ ، ٣ ، ٦ في بهجة المجالس ٥٩٢ .

١ ، ٣ ، ٧ في طبقات ابن سلام ٢٢٢ ، وديوان المعاني ١: ٢٦ ، ونهاية الأرب ٣: ١٨٥ .

١ ، ٦ في الأغاني ٨:٤ ، وحسن التوسل ٩٥ ، وشرح التبيان ١:١٢٦ ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي ٢:٦٨٦ ، والمنتحل ٦٢ ، ومحاضرات الأدباء ١:٢٦٣ ، وكنز الكتاب ٣١ ، والوساطة ٢٨٢، ونهاية الأرب٧:١٣٥، وشرح نهج البلاغة ٦:١٩٠ .

٦ في الكشكول ١٠٦ .

وقال ابن دريد في حديثه عن عبد الله بن جدعان : « وكان أمية بن أبي الصلت مداحاً له ونديماً ، فشرب يوماً وكانت لابن جدعان قينتان ، فلما شرب أمية نظر إلى إحدى القينتين ، فغامزته فوقعت في قلبه ، فبات ساهراً ، فلما أصبح غدا على عبد الله بن جدعان ، وأنشأ يقول : أأذكر حاجتي . . ، فقال عبد الله بن جدعان : قد عرفت حاجتك ، هي الجارية، خذ بيدها . فقال أمية : عطاؤك زين لامرىء إنحبوته . . » الاشتقاق١٤٣-١٤٤ .

وفي الأغاني (٨:٢ - ٣) روى الأصفهاني أن أمية قدم على عبد الله بن جدعان ، فلما دخل عليه ، قال له عبد الله : أمرٌ ما أتى بك ، فقال : كلاب غرماء نبحتني ونهشتني ! فقال عبد الله : قَدِمتَ عليّ وأنا عليل من حقوق لزمتني ونهشتني ، فأنظرني قليلاً ما في يدي ، وقد ضمنتك قضاء دينك ، ولا أسأل عن مبلغه . فأقام أمية أياماً ، فأتاه فقال : أأذكر حاجتي .. » .

فلما أنشده هذا الشعر ، كانت عنده قينتان ، فقال : خذ أيتهما شئت . فأخذ إحداهما وانصرف ، فمرّ بمجلس من مجالس قريش ، فلاموه على أخذها ، وقالوا له : لقد لقيته عليلاً، وهو بحاجة إلى خدمتها فلو رددتها عليه كان ذلك أقرب عنده ، وأكثر من كل حق ضمنه لك ، فوقع الكلام من أمية موقعاً ، وندم فرجع إليه ليردها عليه ، فلما أتاه بها قال له ابن جدعان : لعلك رددتها لأن قريشاً لاموك على أخذها وقالوا كذا وكذا ، فوصف لأمية ما قال له القوم . فقال أمية : والله ما أخطأت يا أبا زهير ، فقال : فما الذي قلت في ذلك ؟ فقال أمية : « عطاؤك زين لامرىء إن حبوته .. » . فقال عبد الله : خذ الأخرى ! فأخذهما جميعاً ، وخرج فلما صار إلى القوم بهما ، أنشأ يقول : وما لي لا أحيّيه وعندي » .

(٢)

١	في مجاز القرآن ٢:٢٠٣ .

(٣)

٦ ، ٧	في البدء والتاريخ ٣:٢٥ .
٨ - ١٢ ، ١ - ٦ ، ٧	
٤ ، ٧ - ١٤	في الحيوان ٤:١٩٦ - ١٩٧
٤ ، ٧	في ثمار القلوب ٥١٦ .
٧ - ١٤	في الحيوان ٢ : ٣٢١ - ٣٢٢ .
٧	في شرح أدب الكاتب ٢٤٧ .
٨ - ١٢	في نهاية الأرب ١٠:٢٧٨ .
٨ ، ١٠ - ١٢	في ثمار القلوب ٣٦٨ .
٤	في المواعظ والاعتبار ١:١٦٠ .
١٠	في اللسان ، والتاج (نأط) و (كبب) .
١٢	في الخزانة ١:٢٢٩ ، وشرح أدب الكاتب ٢٤٧ ، وعجزه في الشعر والشعراء ١٠٧ .
١٥	في اللسان،والتاج(وثب) ، وأنشد الجوهري جزءاً منه في الصحاح١:٢٣١
١٦	في تفسير الطبري ١:٤٤٥ ، واللسان ، والتاج (قوم) .
١٧	في الصحاح ١:١٣٠ ،و٦:٢٤٠٢ ، واللسان ، والتاج ،(رأب) و(صلي).
١٨	في الفائق ٢ : ١٦٥ ، والمخصص ٩:٣٥ ، واللسان ، والتاج (قرق) و (علط) .
١٩	في اللسان ، والتاج (حلل) ، وعجزه في المخصص ٤:١٦٧٥ .
٢٠	في الخزانة ٣:٢٨٦ (بولاق) ، وعجزه في اللسان ، والتاج (صمت) .
٢١	في الخصائص ٢:٢٨٢ .

٢٢ في أساس البلاغة ١:٣٦٦ ، واللسان ، والتاج (ر كب) .

(٤)

١ - ٢ في قصص الأنبياء ١٢ .

(٥)

١ في أساس البلاغة ٢:٤٩٤ ، وعجزه في أساس البلاغة ٢:٢٢ .

(٦)

١ في جمهرة اللغة ٢:٣٢٠ .

(٧)

١ في الكشاف ٢:٦٩ ، والفائق ١:٢٦٧ ، وتفسير البحر المحيط ٦:٣٩٦ .

(٨)

١ - ٣١ في سيرة ابن هشام ٣:٣١ - ٣٣ ، والبداية والنهاية ٣:٣٤٢ - ٣٤٣ . وقال ابن هشام بعد روايته القصيدة : « تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

١ - ٢ ، ٤ - ٦ ، ٨ - ١٧ ، ١٩ - ٢٢ ، ٢٦ - ٣١ ، ٢٤ في العقد ٣ : ٢٤٥ .

١ - ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ في تاريخ أبي الفداء ١:١٣٧ ، وتاريخ ابن الوردي ١:١١٧ .

١ ، ٦ في البيان والتبيين ١:٢٩١ .

٦ ، ٧ في معجم ما استعجم ١ : ٢٠٨ ، ومعجم البلدان ١ : ٣٩٥ .

٦ في البداية والنهاية ٢: ٢٢٦ ، وخزانة الأدب ٣: ٣٦٧ ، والأغاني ٢: ١٨٠ ، والأساس ١: ٧١ ، والاصابة ١: ١٣٣ ، ومعجم ما استعجم ١: ٢٣٢ ، و ٣ : ٩٥١ ، وشرح التبيان ١: ١٥١ ، و ١ : ١٨٩ ، ومجمل اللغة ١٣٠ ، ومقاييس اللغة ١: ٤٠٥ ، والصحاح ١: ٣٥٧ ، واللسان ،والتاج (جحجح) و (قدم) . وهذا البيت رواه الزمخشري في الأساس لعبد الله بن الزبعرى ، ورواه البكري في معجم ما استعجم ١: ٢٣٢ لأمية بن أبي الصلت ، ثم رواه في ٣: ٩٥١ لعبد الله بن الزبعرى ، وذلك عن وهم منهما .

٧ في معجم ما استعجم ٢: ٤٧٠ .

١١ ، ١٢ في التاج (دعص) .

١١ في اللسان ، والتاج (بطرق) .

١٢ في حياة الحيوان ١: ٣٠٥ ، والأزمنة والأمكنة ٢: ٢١٥ .

١٧ في اللسان (رحح) و (صفر) .

٢٤ في جمهرة اللغة ٢: ٢٩٣ ، ومقاييس اللغة ٥: ٦٦ ، وأساس البلاغة ٢: ٢٣٥ (دار الكتب) ، والصحاح ٥: ٢٠٠٨ ، واللسان ، والتاج (قدم) .

٢٦ في الاشتقاق لابن دريد ٨٥ .

٢٦ ، ٢٧ في الاشتقاق أيضاً ٣٠٤ .

٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٢٩ في تاريخ ابن عساكر ٣: ١٢٤ .

(٩)

١ في تفسير الطبري ٣٠: ٤٦ (طبعة البابي الحلبي) .

٢ في المخصص ٤: ٦٩ ، واللسان ، والتاج (طوط) .

٣ - ٤ في الحيوان ٧:٥٥ .

٥٠ في الموشح ٨٣ ، ونقد الشعر لقدامة ٧٦ ، و كتاب الصناعتين ٢٧٠ ، ومحاسن النثر والنظم ٧٠ .

(١٠)

١ - ٩ في الحيوان ٣:٥١١ .

٥ - ٩ في نهاية الأرب ١٠:٢٤٧ .

٥ ، ٦ ، ٩ في الشعر والشعراء ١٠٧ ، والمعاني الكبير ١:٣٠٥ - ٣٠٦ .

١٠ - ١١ في الحيوان ٣:٣٦٣ .

١٠ في تأويل مشكل القرآن ٦٨ ، واللسان ، والتاج (سفد) .

١١ في قصص الأنبياء للثعلبي ٧ ، والمخصص ٨:١٨٠ ، وتأويل مشكل القرآن ٧٦ .

١١ - ١٤ في الحيوان ٥:٤٣٧ .

١٤ في المعاني الكبير ٣:٦٣٣ .

١٥ - ١٦ في شرح التبيان ٢:٣ ، و اللسان (برقع) و (سدر) و (ملك) .

١٥ في التاج (سدر) .

١٦ في جمهرة اللغة ٣:٣٠٨ ، ومجالس ثعلب ٢١٧ ، والمخصص ٩:٦ ، والمزهر ١:٥٩٩ ، وشرح نهج البلاغة ٧:٢٣٨ ، و التاج (برقع) و (رقع) و (ملك) و (وكل) . ورواه أبو العلاء في الفصول والغايات ١٧٨ لبشر بن أبي خازم ، وليس في ديوانه وإنما هو لأمية .وعجز البيت في المخصص ١٠:١٦ ، والصحاح ٢:٦٨٠ ، و٣:١١٨٥ ، و٤:١٦١١ .

١٦ - ١٨ في البدء والتاريخ للمقدسي ٢:٧ .

١٩ في الأزمنة والأمكنة ٢:٦ ، و التاج (صقر) .

٢٠	في التاج (حقر) .
٢١	في اللسان ، والتاج (صدق) .
٢٢	في المخصص ٣٦:٨ ، واللسان ، والتاج (مهو) .
٢٣ - ٢٦	في البدء والتاريخ ١٦٥:١ .
٢٧ - ٢٨	في الحيوان ٢٧٥:٦ ، ومحاضرات الأدباء ٢٨٠:٢ .
٢٩	في الأضداد لابن الأنباري ٦٦ ، وجمهرة أشعار العرب ١٤ .
٣٠	في اللسان (ضلل) .
٣١	في مجموعة ليبزيغ ٢٨ .
٣٢ - ٣٧	في البدء والتاريخ ١٦٨:١ - ١٦٩ .
٣٨ - ٥٢	في الحماسة البصرية ٢٢٠ .
٣٩ - ٤٠	في الأزمنة والأمكنة ٢ ٥٥ .
٤٠	في جمهرة اللغة ٣٤٠:٢ ، والصحاح ٦٩٠:٢ ، واللسان ، والتاج (سهر) ، واللسان (ملك) . وصدر البيت في الخزانة ٢٢٩:١ ، وعجزه في الشعر والشعراء ١٠٧ ، والأغاني ١٨٧:٣ ، والمعرّب ١٩٢ ، ومبادىء اللغة ٦ .
٤٦ - ٤٧	في البدء والتاريخ ١٦٨:١ .
٤٧ - ٤٩	في العقد الفريد ٣ : ٣٨٤ ، و ١٢٧:٦ - ١٢٨ ، وتاريخ ابن عساكر ١١٩:٣ ، والبداية والنهاية ١١:١ .
٤٧	في الحيوان ٢٢٢:٦ ، و ٤٦:٧ ، ٥١ ، ٢٤٥ ، والخزانة ٢٢٧:١ ، والأغاني ١٨٣:٣ ، والاصابة ١٣٣:١ ، وحياة الحيوان ١٥٤:٢ ، وتفسير الطبري ٣٤٥:١ ، وتفسير السيوطي ٤٩:٤ ، ولباب التأويل ٣٠٤:٤ ، وعجائب المخلوقات ٥٦ .
٤٨ - ٤٩	في الأغاني ١٨٤:٣ ، والبدء والتاريخ ٢٢:٢ ، وآكام المرجان ١٨٨ .
٤٨	في الخزانة ٢٣٠:١ ، وحياة الحيوان ١٥٤.٢ ، وتفسير البحر المحيط ٤٥٥:١ .

٤٩ في الشعر والشعراء ١٠٧ ، والعقد الفريد ٦:١٩٨ ، وحياة الحيوان ٢:١٥٤ ، والخزانة ١:٢٢٩ .

(١١)

١ - ٣٨ في شعراء النصرانية ٢٢٧ - ٢٢٩ . ونقلها عنه شولتهيس ٥٨-٦٠ ، وعن أحدهما نقلها بشير يموت ٢٧-٢٩ . ولم يحدد الأب شيخو مصدر روايته .

١ ، ٢ ، ٤ في البدء والتاريخ ١ : ١٨٣ .

١ ، ٢ في الاصابة ٨ : ١٥٦ ، وقصص الأنبياء ١٦١ ، ونهاية الأرب ١٣:٢٧٢ .

١ في حياة الحيوان ٢:١٥٤ ، وتفسير السيوطي ٦:٢٧١ ، والاتقان ١:١٥٥ .

٢ في جمهرة أشعار العرب ١٤ ، وتفسير البحر المحيط ٣:٥٠١ ، ولوامع البينات ١٤٦ .

٥ ، ٦ في تاريخ ابن عساكر ٣:١٢٤ ، والبداية والنهاية ٢:٢٢٨ .

١١ في الفائق ٢ : ١٩٩ ، والتاج (كرب) ، وعجزه في الأساس ٢:٣٠١ (دار الكتب) ، واللسان (كرب) .

١٤ في اللسان ، والتاج (لفف) .

١٦ في الأساس ٢:١٩٦ ، واللسان ، والتاج (كثف) .

٢٥ في اللسان ، والتاج (خفي)

٢٧ في الأساس ٢:١٧٩ ، واللسان ، والتاج (قلد) .

٣٩ في الكشاف ١:٥٦١ ، وأنوار التنزيل ٤:٨٣ ، وتفسير البحر المحيط ٦.٩٣ .

٤٠ في الفائق ١ : ٢٤٨ ، والتاج (رقع) .

٤١ في مجموعة بيروت ٢٩ ، ولم يذكر مصدر روايته .

٤٢ في اللسان ، والتاج (نجد) .

(١٢)

١ في الفصول والغايات ٣٦٠ ، وكتاب الكتاب لابن درستويه ٤٤ ، والمخصص ١٤ : ٨٦ ، و ١٧ : ١٦٣ ، وكتاب سيبويه ١ : ١٦٤ ، وشرح المفصل ١ : ٤٣ ، ١٤٨ ، ٥٠٢ ، والأغاني ٣ : ١٢١ (دار الكتب) ، والروض الأنف ١ : ١٢٥ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٩٧ ، وخزانة الأدب ٣ : ٣٥٥ ، ومعجم البلدان ٢ : ١١٦ ، وألف با ٢:٢٩٢ ، وشرح المقامات الحريرية للشريشي ٣ : ٧٧ ، وتفسير البحر المحيط ١٣٨:١ ، و٥:٢٢٤ ، واللسان ، والتاج (سبح) و (جمد) و (جود). وصدر البيت في همع الهوامع ١٩٠:١ ، وعجزه في معجم ما استعجم ٢ : ٣٩١ .

وثمة خلاف في نسبة هذا البيت ، فمنهم من يرويه لأمية ، ومنهم من يرويه لورقة بن نوفل ضمن أبيات ولا يشير إلى أمية ، ومنهم من يروي هذه الأبيات لورقة ثم ينص على أن لأمية أبياتاً فيها . فقد رواه لأمية كل من أبي العلاء وابن درستويه ، وابن سيده ، وابن منظور والمرتضى . ورواه لورقة كلّ من الشريشي ، والأصفهاني ، والبلوي ، وياقوت ، والبغدادي . فالشريشي رواه يتيماً ونسبه إلى ورقة بن نوفل ، والأصفهاني رواه ضمن خمسة أبيات نسبها إلى ورقة ، ومثله البلوي وياقوت ، ونصّ البغدادي على أنه « من أبيات لورقة ابن نوفل » ثم رواه ضمن ثمانية أبيات نسبها إلى ورقة ، وروى السهيلي هذه الأبيات وعلّق عليها بقوله : « نسبه أبو الفرج إلى ورقة ، وفيه أبيات تُنسب لأمية بن أبي الصلت » . ونقل ابن كثير الأبيات عن السهيلي وأشار إلى تعليقه عليها ، ثم قال : « وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يستشهد في بعض الأحيان بشيء من هذه الأبيات والله أعلم » وثمة جماعة لا ينسبون البيت ، بل يستشهدون به دون تحديد صاحبه أمثال ابن يعيش في شرح المفصل ، والسيوطي في همع الهوامع . ورواه أبو حيان في تفسيره دون نسبة ، ثم رواه ثانية لزيد بن عمرو بن نفيل.

(١٣)

١ في تفسير السيوطي ١ : ٧٢ .

(١٤)

١ في الاتقان ١ : ١٥٨ ، وتفسير السيوطي ٦ : ١٥٧ ، وتفسير البحر المحيط ٨:١:٢٠١ .

٢ في تفسير البحر المحيط ٦:٣٩٣ .

(١٥)

١ في اللسان ، والتاج (شرجع) .

(١٦)

١ في الاصابة ٨ : ١٥٦ ، ونهاية الأرب ١٣:٢٧٢ .

وقد أشار ابن حجر إلى أن البيت من قصيدة لأمية ، فقد ذكر أن الفارعة أخت أمية قد أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم ، عدّة قصائد من شعر أخيها أمية ، يصرح فيها بالإيمان والبعث منها قوله من قصيدة : (البيت) . ومثل ذلك في نهاية الأرب للنويري .

(١٧)

١ ، ٣ - ٧ في الأغاني ٨ : ٣ ، ونهاية الأرب ٥:٣٩ .

١ - ٢ في الأغاني ٨ : ٤ ، واللسان ، والتاج (ضود) .

١ ، ٣، ٦ ، ٧ ، ٤ في ربيع الأبرار الورقة (٣٠٢:ب) من مخطوطة دار الكتب رقم (١٥٥ ـ أدب) .

١٠ ، ١ ، ٦ ، ٧ في الاشتقاق لابن دريد ١٤٤ .

في العمدة ١ : ١٧٧ ، وديوان المعاني ١ : ٢٦ ، ونهاية الأرب ٣:١٨٥ .

٤ ، ٦ ، ٧ في شرح المقامات الحريرية للشريشي ٢ : ١٥٣ .

٦ ، ٧ في جمهرة اللغة ٢:١٢١ ،ومقاييس اللغة ٢:٣١٢ ، والمعاني الكبير ١:٣٨٠، ومجمع الأمثال ٢:١٢٧ ، وديوان المعاني ١:٣٠٢ ، والبيان والتبيين ١:١٧ – ١٨ ، وأمالي القالي ١:١٢٢ ، وذيل الأمالي ٢٨ ، والبداية والنهاية ٢:٢١٨ ، والروض الأنف ١ : ٩٢ ، وألف باء ٢:٨٤ ،والوسائل للسيوطي ٨٨ ، ومعجم البلدان ٢ : ٥٢٦ ، وثمار القلوب ٤٨٧ ، وآكام المرجان ١٤٢ ، واللسان (رذم) ، وربيع الأبرار الورقة (٢٠٣.ب) من مخطوطة دار الكتب رقم (١٥٥ ـ أدب) .

٦ ، ٨ ، ٩ ، ٧ في التاج (جدع) .

٦ في الصحاح ٢ ٦٦٠،و٥:١٧٤١ ، وتفسير البحر المحيط ٥:٢٤٠ ،واللسان ، والتاج (دور) ، واللسان (شمعل) .

٧ في البخلاء ٢ : ٢٠٤ ، وشرح التبيان ١ : ٣٩٣ ، وجمهرة اللغة ٣:٣ ، ومقاييس اللغة ٣:٢٢٢ ، و٥:٢٣١ ، والصحاح ١:٤٩٢ ، و٤:١٦٠٥ ، وهمع الهوامع ١:٨٠ ، وشرح الحماسة للتبريزي ٢:٦٣ ، وشرح المقامات ٢ : ٦٠٩ ،واللسان،والتاج (ردح) و (لبك) و (شهد) ، واللسان (شيز) و (رجح) والتاج (رذم) . وهذا البيت رواه ابن منظور في (شيز) لعبد الله بن الزبعرى ، ثم رواه في سائر المواضع لأمية بن أبي الصلت ، مما يدل على سهو في روايته لعبد الله بن الزبعرى في موضع واحد من اللسان .

٨ في اللسان ، والتاج (هدد) .

١٠ في الاشتقاق لابن دريد ١٤٤ .

١١ في مقالة بور P,151 ، ونقله عن كتاب المقفى للمقريزي : مخطوطة

باريس رقم (٢١٤٤) الورقة ١٩٥ .

(١٨)

١ في تفسير البحر المحيط ٧:٤٦٤ ، و ٨:٤١٨ .

(١٩)

١ في تفسير البحر المحيط ١:٢٩٧ ، واللسان ، والتاج (قصص) .

(٢٠)

١ في الحيوان للجاحظ ١ : ١٩٨ .

(٢١)

١ في السيرة ٢ : ٣٣٠ ، وقال ابن هشام : « وهذا البيت من قصيدة له » .

(٢٢)

١ - ٤ في الحيوان ٣ : ٣٦٤ .
٤ ، ٢ في تأويل مشكل القرآن ٧٧ .
٥ في اللسان ، والتاج (سلط) . وعجزه في الأغاني ٣ : ١٨٠ ، والمخصص ٩ : ٧ .
٦ في اللسان ، والتاج (كفر) .
٧ في تفسير البحر المحيط ٤:٣ ، واللسان ، والتاج (قسس) .
٨ - ٩ في جامع بيان العلم ١:٨٨ ، ومختصر جامع بيان العلم ٤٤ .

(٢٣)

١ - ٨ ، ١٠	في البدء والتاريخ ٢ : ١٤٥ .
٩	في تفسير الطبري ١١ : ٣٦٤ ، ومفاتيح الغيب ٤:٤٥ ، وتفسير البحر المحيط ٤:١٣١ .
١١ - ١٢	في البدء والتاريخ ١ : ٢٠٧ .
١١	في تفسير البحر المحيط ٤ : ٣٠٢ .

(٢٤)

١ - ٨	في السيرة ١ : ٦٢ ، والبداية والنهـــاية ٢ : ١٧٥ - ١٧٦ ، ومحاضرة الأبرار ١:١٥٢ .
١ - ٣ ، ٨	في الحماسة البصرية الورقة (٢٥٦ : ب) .
١ ، ٤ ، ٥	في الحيوان ٧ : ١٩٨ ، وأخبار مكة ١٠٣ - ١٠٤ .
١ ، ٤ ، ٦ ، ٥	في مروج الذهب ١ : ٣٧٥ .
١ ، ٤ ، ٦ ، ٧	في قصص الأنبياء ٣٠١ .
١ ، ٤ ، ٨	في رسالة الغفران ٥٠٣ ، و معجم البلدان ٤ : ٥٨٣ .
١ ، ٤	في تاريخ ابن عساكر ٣ : ١٢٣ ، وتاريخ الخميس ١٩٠ ، ولباب التأويل ٤ : ٤٠٩ .
٣	في كنز الحفاظ ٢٣٢ ، ومختصر تهذيب الألفاظ ٣٩٠ ، والأزمنة والأمكنة ٢:٤٦ ، والمخصص ٩:٢١ ، ومبادىء اللغة ٣ ، واللسان ، والتاج (مهو) .
٤	في معجم ما استعجم ٤ : ١٢٤٨ ، واللسان ، والتاج (غمس) .
٨	في الأغاني ٣ : ١٨٠ ، والاصابة ١ : ١٣٤ ، وهمع الهوامع ١: ٢٢٦ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٤ .

وابن إسحق روى الأبيات لأبي الصلت بن أبي ربيعة والد أمية ، ثم نبه ابن هشام على أنها تُروى لأمية بن أبي الصلت ، ومن هنا كان الاختلاف في نسبتها ، فمنهم من رواها لأبي الصلت والد أمية ، وهم الجاحظ ، والمسعودي ، والأزرقي ، والبكري ، ولم يشيروا إلى تنبيه ابن هشام . ومنهم من رواها لأبي الصلت والد أمية ثم أشار إلى أنها تُروى لأمية أيضاً كابن كثير في البداية والنهاية ، وابن عربي في محاضرة الأبرار . ومنهم من رواها لأميـــة وهم أبو العلاء المعري ، وابن السكيت ، والتبريزي ، والمرزوقي ، والأصفهاني، والثعلبي ، وابن عساكر ، وابن حجر ،والخازن ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء، والدياربكري ، واللسان ، والتاج ، ومن المرجح أنها لأمية نفسه .

(٢٥)

١ في معجم البلدان ٣ : ٦٦٩ .

٢ في شرح نهج البلاغة ١٤ : ١٨٧ .

(٢٦)

١ في مفاتيح الغيب ٨ : ٣٥١ ، ولباب التأويل ٤ : ٣٥١ .

(٢٧)

١ في جمهرة أشعار العرب ١٣ .

(٢٨)

١ الجزء في مقاييس اللغة ١ : ٢٣٦ .

(٢٩)

١ - ٢ في نثار الأزهار ٥٣ .

(٣٠)

١ - ٣ في شرح أدب الكاتب ٣٧٨ .

١ - ٤ ، ٥ ، ٩ ، ٦ ، ٧ في الحماسة البصرية الورقة (٢٥١ : آ)

١ - ٢ ، ٤ - ٥ ، ٩ ، ٦ - ٧ في كتاب النيروز : نوادر المخطوطات ـ المجموعة الخامسة ١٩ .

١ ، ٣ - ٩ في الحيوان ٤ : ٤٦٨ .

١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٩ في حياة الحيوان ١ : ١٣٧ ، والأزمنة والأمكنة ٢ : ١٢٣ - ١٢٤ ، وشرح نهج البلاغة ١٩ : ٣٨٢ ، والصحاح ٥ : ١٧٧٨ ، واللسان ، والتاج (عول) .

١ ، ٢ ، ٤ ، ٩ في عيار الشعر ٣٦ - ٣٧ .

٣ في الاقتضاب ٤٥٦ ، وتأويل مشكل القرآن ١٩٤ ، وأشار إليه ابن سيده في المخصص ١٤ : ٦٩ ، فأورد منه عبارة « إذ يسفون بالدقيق » ، ومثل ذلك في أدب الكاتب ٣٩٧ .

٤ - ٥ ، ٩ في نهاية الأرب ١ : ١١٠ .

٤ في تفسير الطبري ٢ : ٢١٠

٥ في اللسان (ثكن) ، ورواه لأمية بن أبي عائذ وهماً منه .

٩ في جمهرة اللغة ١ : ٢٧٠ ، وتأويل مشكل القرآن ٦٩ ، ومغني اللبيب ٢ : ١١ ، وشرح شواهد المغني ١٠٦ ، و ٢٤٧ ، والمقاصد النحوية ٣ : ٢٠٧ ، ومعجم البلدان ٣ : ١١٨ ، والمزهر ٢ : ٣٥٦ ، والصحاح ٦ : ٢٤٣٦ ، والتاج (عول) ، واللسان ، والتاج (سلع) و (علو) و (بقر) .

(٣١)

١ - ٤ في البدء والتاريخ ١ : ١٦٥ .

١ ، ٣ ، ٤	في كتاب الاختلاف في اللفظ ٢٨ ، وتاريخ ابن عساكر ٣ : ١٢٣ ، والبداية والنهاية ١ : ١١ - ١٢ ، و ٢ : ٢٢٩ .
٥ - ١٠	في الحيوان ٢ : ٣٢٣ .
٦ - ٩	في الحيوان ٧ : ٢٠٩ - ٢١٠ .
٧	في اللسان (ثتل) .
١١ - ١٦	في البدء والتاريخ ٣ : ٨٢ .
١٧ - ١٩	في تفسير الطبري ٢ : ٩٤ - ٩٥ .
٢٠	في قصص الأنبياء ١٣٨ .
٢٠ - ٢١	في الحيوان ٦ : ١٥٠ .
١٤ ، ٢٠ ، ٢١	في الحيوان ٤ : ١٤ .
٢٢	في مجموعة بيروت ٣٤ ، ولم نقف على مصدره القديم .
٢٣ - ٣٢	في البدء والتاريخ ٣: ٤٠ - ٤١ ، وأخبار عبيد بن شرية ٣٩٥ - ٣٩٦ .
٢٥	في المقاصد النحوية ٢ :٣٧٧ ، وفرائد القلائد ٣٤٣ ، وتفسير البحر المحيط ٤:٣٣٠ .
٣١	عجزه في معجم البلدان ٤:٥٤ .

(٣٢)

١ - ٢	في الاتقان ١:١٥٩ .
١	في تفسير السيوطي ٥:٢٤٨ .
٢	في تفسير الطبري ٩:٧ ، وتفسير البحر المحيط٣:٣١١ ،وشفاءالعليل١٠١.
٣	في سيرة ابن هشام ٣:١١٩ .

(٣٣)

١ - ٢	في الأضداد لابن الانباري ٦٦ .

٣ في مفاتيح الغيب ٤ :١٩٠ .

(٣٤)

١ في مجموعة بيروت ٣٧ ، ولم نقف على مصدره القديم .

(٣٥)

١ في تاريخ الطبري ٢ : ٣١ .

(٣٦)

١ في تفسير السيوطي ٢ : ١٦٨ .

(٣٧)

١ الشطر في الشعر والشعراء ١٠٧ .

(٣٨)

١ - ٥ ، ٨ - ١١ في الأغاني ٨ :٤ - ٥ .
١ - ٣ ، ٥ - ٩ ، ١٢ - ١٦ في تاريخ ابن عساكر ٣ :١٢٣ .
١ في اللسان (سفر) .
١ - ٢ في اللسان ، والتاج (دبر) ، والتاج (سفر) .
٣ في اللسان (زخر) .
٣ ، ٥ ، ٧ في شرح المقامات الحريرية للشريشي ٤ :١٥٤ .

(٣٩)

١ في شرح نهج البلاغة ١ :١٥٤ ، و ٧ :١٨٢ .

(٤٠)

١ في الاتقان ١ : ١٥١ ، وتفسير السيوطي ٦ : ١٤٤ . ويراودنا شك في هذا البيت ، لأن في شرح التبيان للعكبري ١ : ٣٤٧ ، والصحاح ٦:٢٢٢٠ ، بيتاً مشابهاً لأمية بن خلف ، قال العكبري : قال أمية بن خلف :

يماني يظل يشد كيراً ... وينفخ دائباً لهب الشواظ

وأنشده في الصحاح : « وينفخ دائماً » . وفي اللسان (شوظ) ، والصحاح ٣:١١٧٣ :
« قال أمية بن خلف يهجو حسان بن ثابت رضي الله عنه :

أليس أبوك فينا كان قيناً ... لدى القينات فسلا في الحفاظ

يمانيا يظل يشد كيرا ... وينفخ دائباً لهب الشواظ »

ولا يبعد أن يكون البيت المنسوب إلى أمية بن أبي الصلت محرفاً عن بيت أمية ابن خلف ، لأن الوهم سهل بين الشاعرين لتشابه الأسماء ، ولأن بيت ابن خلف من قصيدة ، وله مناسبة في هجاء حسان بن ثابت .

(٤١)

١ - ٤ في بهجة المجالس ٢٠٢ .

(٤٢)

١ في أساس البلاغة ٢ : ١٩٦ .

(٤٣)

١ في اللسان ، والتاج (أبه) .

(٤٤)

١ في اللسان ، والتاج (عيط) ، وأساس البلاغة ٢ : ١٠٢ ، ومقاييس اللغة ٤:١٩٥ .

(٤٥)

١ - ٧ في السيرة لابن هشام ٣ : ٣٥ . وابن هشام رواها عن ابن إسحق ثم عقّب عليها بقوله : « هذه الرواية لهذا الشعر مختلطة ، ليست بصحيحة البناء ، ولكن أنشدني أبو محرز خلف الأحمر وغيره ، روى بعض ما لم يرو بعض » ، ثم أورد الأبيات برواية جديدة هي التي اعتمدناها في الديوان .

وزمعة بن الأسود لا يقل عن أبي جهل منزلة بين كفار قريش ، يدل على ذلك ما نقله المقريزي من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان في طريقه إلى معركة بدر ، قال : « ثم سار صلى الله عليه وسلم حتى أتى الرَّوْحاء ليلة الأربعاء للنصف من رمضان ، فصلى عند بئر الروحاء ، ولما رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وتره لعن الكفرة ، وقال : اللهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الأمة ، اللهم لا تفلتن زمعة بن الأسود ، اللهم وأسخن عين أبي زمعة بزمعة ، اللهم وأعم عين أبي زمعة .. » إمتاع الأسماع ١ : ٧٢ -٧٣

وذكر الطبري أن قريشاً بعد بدر ناحوا على قتلاهم ، ثم قالوا : « لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشمت بكم ، ولا تبعثوا في فداء أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يتأرب عليكم محمد وأصحابه في الفداء ، قال : وكان الأسود بن عبد يغوث قد أُصيب له ثلاثة من ولده : زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن الأسود ، وكان يحب أن يبكي على بنيه ، فبينا هو كذلك ، إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظر هل أُحلَّ النَّحْبُ ، هل بكت قريش على قتلاها ، لعلي أبكي على أبي حكيمة ، يعني زمعة . . » تاريخ الطبري ٢ : ١٦١ .

(٤٦)

١ في شرح المفضليات للأنباري ١٣٠ .

(٤٧)

١ - ٢ ، ٤ - ٩ في المقاصد النحوية ٢ :١٨٧-١٨٩ .

١ ، ٤ ، ٦ - ٧ ، ٩ ، ٨ في الحماسة البصرية الورقة (٢٥٧:آ) .

١٦ - ١٧ ، ١٠ - ١٢ ، ١ ، ٤ - ٧ ، ٩ في عيون الأخبار ٢ :٣٧٤ - ٣٧٥ .

٢ ، ٣ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ - ١٧ ، ١٠ ، ٩،١١ - ١٢ ، ٨ في تاريخ ابن عساكر ٣ :١٢٥ .

٢ ، ٣ ، ١٤ - ١٧ ، ١٠ - ١٢ ، ٤ ، ٨ - ٩ في البداية والنهاية ٢ :٢٢٤ .

٢ ، ٤ ، ٨ ، ٩ في ألف با ٢ :٥٠٨ ، والاصابة ٨ :١٥٥ ، وأسد الغابة ٥ :٥١٦ ، وحياة الحيوان ٢ :٣٥١ .

٩ ، ٤ - ٥ في ذيل الأمالي ٣٦ .

٤ ، ٨ - ٩ في اللسان (كأس) .

٤ في نزهة الجليس ١ :٧٩ .

٨ - ٩ في الكامل للمبرد ١ :٤٣ ، والعقد الفريد ٣ :١٣٨ .

٩ ، ٨ في التاج (عبط) .

٨ في درة الغواص ٥٤ ، والغرر والدرر ١ :٥٣٣ ، والمفصل ٢٧٢ ، وشرح المفصل ٢ :١٠٢٧ ، والعمدة ١ :١٠٨(مطبعة السعادة) ، وهمع الهوامع ١ :١٣٠ ، وشرح ابن‌عقيل ١ :١٧٣ ، وأوضح المسالك ١ :٢٢٥ ، وشواهد التوضيح ٩٤ ، وشرح شذور الذهب ٢٧١ ، وفرائد القلائد ١١٠ ، وشرح شواهد ابن عقيل للجرجاوي ٩٥ و ٩٧ ، وفتح الجليل للعدوي ٩٥ ، واللسان (بيس) .

٩ في جمهرة اللغة ١ :٣٠٦ ، ومقاييس اللغة ٤ :٢١٢ ، والموشح ٧٨ ، وذيل الأمالي ١٣٤ ، والفصول والغايات ٣٣ ، و ١٣٤ ، والغرر والدرر ١ :٥٣٣ ، وكتاب سيبويه ١ :٤٧٩ ، والكامل للمبرد ١ :١٩٤ ، وشرح ابن يعيش ١ :١٨٧ ، والنهاية لابن‌الأثير ٣ :٦٣ ، وشرح التبيان ١ :٢٤٧ ، و٢ :٣٤٥ ، والمخصص ١١ :٨٠ ، والصحاح ٢ :٩٦٦ ، و ٣ :١١٤٢ ، والخزانة

٤١:٣ ، والأشباه والنظائر ص ٦٩ من مخطوطة دار الكتب (١٧٠٩ ـ أدب) ، والورقة (٢٨: ب) من مخطوطة دار الكتب (٥٣٧ ـ أدب)، والورقـة (٣٩: آ) من مخطوطـة دار الكتب (٥٨٧ ـ أدب) ، واللسان ، والصحاح (عبط) ، والتاج (كـأس) . وصـدر البيت في محاضرات الأدباء ٢١٨:٢ ، وعجزه في مجاز القرآن ١١١:١ .

١٠ في التاج (عوق) .

وقال العيني بعد روايته البيت (٧) : « أقول قائله هو أمية بن أبي الصلت الثقفي شاعر جاهلي ، وقال صاعد : هو لرجل خارجي قتله الحجاج . والأول أصح ، وهو من قصيدة هائية وأولها هو قوله : الأبيات » .

(٤٨)

١ ـ ٦ في ملوك حمير ١٥٥ .

١ ـ ٥ في محاضرة الأبرار ١١٤:١ ، وتاريخ ابن عساكر ٣٦٥:١ ، والبداية والنهاية ٣٣٠:٢ ، وأخبار مكة ١٠٢ .

١ ـ ٣ ، ٥ في الأغاني ١٧:١٦ .

١ ، ٣ ، ٢ ، ٥ في الاكليل ٥:٨ .

٢ في النهاية لابن الأثير ١٦٧:٣ ، واللسان ، والتاج (غلل) .

ورواها الشيخ ابن عربي في محاضرة الأبرار ، والهمداني في الاكليل لأمية بن أبي الصلت ، أما الأصفهاني في الأغاني ، والأزرقي في أخبار مكة ، وابن عساكر في تاريخه ، وابن كثير في البداية والنهاية ، وصاحب ملوك حمير ، فقد رووها لأمية بن عبد شمس .

والأبيات في تهنئة سيف بن ذي يزن بعد أن استعاد ملك آبائه في اليمن من الأحباش ، وفي أخبار الوفود التي مضت إلى تهنئته من عرب الحجاز ما يَدُلُّ على أن أمية ابن عبد شمس كان في عداد وفد قريش ، كما كان أمية بن أبي الصلت مع تلك الوفود ، ولهذا يصعب الترجيح بينهما غير ما يُلاحظ من أن أمية بن أبي الصلت أشهر بالشعر من أمية

ابن عبد شمس ، وهذا قد يميل بالأبيات إلى ابن أبي الصلت إن صَحّت ولم تكن منحولة .

(٤٩)

١ في أساس البلاغة ٢:٢١٩ (دار الكتب) .

٢ في أساس البلاغة ١:٣٢١ (دار الكتب) ، و ألف با ١:٤٣٠ ، ومعجم ما استعجم ٤ : ١٣٦٩ .

(٥٠)

١ في تفسير الطبري ٢ : ٤٨٩ ، و كتاب الصناعتين ٣٤٧ ، ومحاسن النثر والنظم ١٤٧ ، وأنوار التنزيل ١:٨٠ .

٢ في المخصص ١٣:١٨٠ .

(٥١)

١ - ٢ في روضة الأدب لأبكاريوس ٣٥ - ٣٦ ، ولم يحدد مصدر روايته .

(٥٢)

١ في الحيوان ١:٣٨٢ ، و ٥:١٣٤ ، و ٥:٤٣٧ .

٢ - ٣ في الحيوان ١:٦٤ .

٣ في المعاني الكبير ٢:١٠٠٧ .

٤ في أساس البلاغة ٢:٥٤٢ .

(٥٣)

١ - ٧ ، ٩ ، ١٣ في حماسة أبي تمام ٢٧٢ - ٢٧٣ لأمية .

١٣ ، ١٢ ، ١-٤ ، ٥-٦ ، ٩ ، ٧ في كتاب العققة والبررة : نوادر المخطوطات-المجموعة

السابعة ٣٥٣ ضمن قصيدة مطولة أنشدها أبو عبيدة ليحيى بن سعيد أبي عمران الأعمى مولى آل طلحة بن عبد الله في عتاب ولد عقه .

١ - ٧ في بهجة المجالس ٧٧٢ لأمية ، وشرح المقامات الحريرية ١٦٨.٢ ، ورواها الشريشي لرجل أنشدها النبي صلى الله عليه وسلم في عتاب ولد عقّه .

١ - ٦ في الأغاني ١٨٣.٣ .

١-٣ ، ٥-٨ ، ١٣ في الحماسة البصرية الورقة (٢٢١:ب) لأمية ، وشرح التبريزي على الحماسة ١٣٣:٢ ، وقال التبريزي : « وتروى لابن عبد الأعلى ، وقيل هي لأبي العباس الأعمى ، قال أبو هلال : أوردهاأبوعبيدةفي أخبار العققةوالبررة» .

١ في التاج (عول) .

٢ - ٣ في ديوان المعاني ١ : ١١٠ .

٣ في المفردات في غريب القرآن ٣٠٥ دون نسبة .

٨ - ١٣ في مقالة بور M.F.O, v(1912), P.150

١٢ في التاج (قسر) .

١٤ في كتاب سيبويه ١:٤٣٩ ، والانصاف ١:١٨١ ، ومغني اللبيب ١:٢٢٦ ، وشرح شواهد المغني ٢٣٩ ، وخزانة الأدب ٤:٣٨٠ (طبعة بولاق) .

(٥٤)

١ - ٤ في ديوان الحطيئة ٥٨ ، ونقلها بور في مقالته (P.152) عن دورية جمعية العلوم الشرقية : Z.D.M.G., 47, 82-3 ولم أستطع الاطلاع على المجلد ٤٧ من هذه الدورية .

وفي ديوان الحطيئة : « قال الحطيئة لابن جدعان ، وتروى لأمية بن أبي الصلت : (الأبيات) » . وليس في ديوان الحطيئة غير هذه الأبيات في مديح عبدالله بن جدعان ، ومن الصعب أن نحدد صاحبها إلا ما نعرفه من شهرة الصلة بين أمية وابن جدعان .

(٥٥)

١ – ٤ في مقالة بور (P.153) ونقلها عن دورية جمعية العلوم الشرقية : Z·D·M G·,47,164

(٥٦)

١ – ٢ في جامع بيان العلم ١:٨٨ ، ومختصر جامع بيان العلم ٤٣ .

(٥٧)

١ في جامع بيان العلم ١:٨٣ .

(٥٨)

١ في تفسير الطبري ١٦:٣٦ (طبعة البابي الحلبي الثانية) ، وتفسير السيوطي ١:٧٢ ، وتفسير البحر المحيط ١:٢١٩ ، و ٦:١٦٨ ، واللسان ، والتاج (فوم) .

(٥٩)

١ في اللسان (ثلل) .

(٦٠)

١ في اللسان (حزجل) .

(٦١)

١ في تفسير الطبري ٢:٤٥٤ ،وتفسير السيوطي١:١٠٣ ، والاتقان١:١٥٥.

(٦٢)

١ – ٥ في نهاية الأرب ١٠:٢٧٨ .

٦ في أساس البلاغة ١:٨٢ .

٧ – ٨ في الحيوان ٧:٢٠٩ .

٩-١١، ١٥، ١٧-٢٢ في قصص الأنبياء ٦٤-٦٥ .

٩-١١، ١٥، ١٧، ١٩-٢٢ في تاريخ الطبري ١:٣٩٥ (الحسينية) .

٩، ١١-١٢، ١٨، ١٩، ٢٢ في البدء والتاريخ ٣:٦٥ .

٩، ١٩، ٢٠، ٢٢ في شرح شواهد المغني ٢٤٠-٢٤١ .

١١-١٧، ١٩-٢٢ في الخزانة ٢:٥٤٤ (بولاق) .

٢٢ في كتاب سيبويه ١:١٧٠ ، ٣٦٢ ، وجمهرة اللغة ٢:٨٢ ، ومقاييس اللغة ٤:٤٢٣ ، وأساس البلاغة ٢:١٩١ (دار الكتب) ، والصحاح ١:٣٣٤ ، ومختار الصحاح ٤٢٤، والحيوان ٣:٤٩ ، وحماسة البحتري ٣٥٤ ، والمختار من شعر بشار ٢١٣ . وشرح التبريزي على ديوان أبي تمام ٣:٣٥٤، وشرح المقامات الحريرية للشريشي ٤:٦٨ ، والغرر والدرر ١:٤٨٦، ونزهة الألبا ٣٢ ، وشرح نهج البلاغة ٥:١٦٦ ، ومعجم الشعراء ٧٢ (دار إحياء الكتب العربية) ، ومحاضرات الأدباء ٢:١٦٩ ، وسرح العيون ١٢٠ ، ونسيم الصبا ٢٣ ، والمفصل ١٤٥ ، وشرح المفصل ١:٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ومغني اللبيب ٢:٢ ، وهمع الهوامع ١:٨، ٩٢ ، وشرح شذور الذهب ١٣٢ ، وفرائد القلائد ٦٤ ، والمقاصد النحوية ١:٤٨٤ ، وخزانة بولاق ٢:٥٤١ ، وحاشية الخضري ١:٧٤ ، ومفاتيح الغيب ٥:٢٥١ ، وأنوار التنزيل ٣:٥٤٧ ، ودرة التنزيل ٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم للتستري ١٢٣ ، وتفريج المهج ١٢٥ ، والفرج بعد الشدة ٢:١٥٩ ، ٢١٥ ، وأدب الدنيا والدين ٢٦١ ، وديوان عبيد بن الأبرص ١٢٨ ، وربيع الأبرار الورقة (٢٨٠:ب) من مخطوطة دار الكتب رقم (١٥٥ - أدب) ، واللسان ، والتاج (فرح) .

٢٣ في القاموس ، والتاج (فرع) .

٢٤ - ٢٦ في المعرّب ١٤ .

٢٦ في الموشح ٢٣٤ ، ونقد الشعر لقدامة ٨٦ (الجوائب) ، وتفسير البحر

المحيط ١ : ١٧٢ ، وأنشد المرزوقي جزءاً منه في الأزمنة والأمكنة ١ : ٢٩ ، ثم أنشده كاملا في الأزمنة ١ : ٢٦٢ .

٢٧ في الاشتقاق لابن دريد ٣٨١ ، وجمهرة اللغة ٣ : ١٢٧ ، ومقاييس اللغة ٣ : ١٨٥ ، والابدال ٢ : ١٦٤ ، وإعراب ثلاثين سورة ٧ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤ ، ورسالة الملائكة ٢٤٧ ، والموشح ٢٣٤ ، ونقد الشعر لقدامة ٨٦ (الجوائب) ، والبديع في نقد الشعر ١٧٩ (ورواه للأعشى) ، وتفسير الطبري ١ : ١١٢ ، وتفسير البحر المحيط ١ : ٦٢ ، وآكام المرجان ٧ ، والصحاح ٥ : ٢١٤٥ ، واللسان والتاج (شطن) و (عكا) .

٢٨ في تفسير السيوطي ٤ : ١٢٠ .

وفي الخزانة بعد أن ذكر البغدادي البيت (٢٢) وتحدّث عن موضع الاستشهاد فيه ، قال : « والبيت الشاهد وُجِد في أشعار جماعة ، والمشهور أنه لأمية بن أبي الصلت من قصيدة طويلة عدتها تسعة وسبعون بيتاً ذكر فيها شيئاً من قصص الأنبياء داود وسليمان وموسى وذكر قصة إبراهيم وإسحاق عليهما السلام ، وزعم أنه الذبيح وهو قول مشهور للعلماء ، وهذه أبيات من القصة إلى البيت الشاهد : الأبيات » .

وفي شرح شواهد المغني قال السيوطي في حديثه عن البيت (٢٢) : « كذا في تفسير الثعلبي ، ونُسب هذا البيت إلى أمية بن أبي الصلت ، ونَسَبه شبّة إلى حنيف بن عمير اليشكري شاعر مخضرم من أبيات قالها لما قتل محكم بن الطفيل يوم اليمامة ، وهو :

يا سعاد الفؤاد بنت أثال ... طال ليلي بنفثة الدجال

إن دين الرسول ديني وفي القو ... م رجال ليسوا لنا برجال

ربما تجزع النفوس من الأمـ ... ـر له فَرْجة كحل العقال

ذكر ذلك ابن حجر في الاصابة ، وممن نسبه إلى حنيف صاحب الحماسة البصرية ، وقيل هو لنهار ابن أخت مسيلمة الكذاب . وأخرج ابن عساكر من طريق الأصمعي قال : قال أبو عمرو بن العلاء هربت من الحجاج فسمعت أعرابياً يقول :

يا قليل العزاء في الأهوال ... وكثير الهموم والآجال

صبّر النفس عنـــد كل ملم إن في الصبر حيلة المحتال

لا تضيقـن بالأمـور فقـــد تكشف غماؤها بغير احتيال

ربما تجزع النفوس من الأمـ ـر له فَرْجَة كحل العقال

قد يصاب الجبان في آخر الصّـ ـفّ وينجو مقارع الأبطال

فقلت : ماوراءك ياأعرابي ؟ قال : مات الحجاج . فلم أدر بأيّهما أفرح : أبموت الحجاج أم بقوله (فَرْجَة) ، لأني كنت أطلب شاهداً لاختياري القراءة في سورة البقرة : « إلاَّ من اغترف غَرْفَة ».

وأشار عددمن المصنفين إلىحديث أبي عمرو بن العلاء وذكروا أبيات الأعرابي بعضها أو كلها ، كما في شرح المفصل ، وشرح المقامات للشريشي ،والخزانة ،ومعجم الشعراء ، والمختار من شعر بشار ، ونزهة الألبا ، وسرح العيون ، والفرج بعد الشدة ، وتفريج المهج ، وتفسير القرآن للتستري ، وذلك حين روايتهم البيت (٢٢) . وقال البغدادي في الخزانة : « ووُجِد البيت أيضاً في قصيدة رواها الأصمعي لأبي قيس اليهودي ، وقيل هي لأبي صرمة الأنصاري ، مطلعها :

سَبِّحوا للمليك كلَّ صباح طلعت شمسه وكلَّ هلال

ورواه العيني لأمية بن أبي الصلت في المقاصد والفوائد ، وأشار إلى روايته لحنيف بن عمير اليشكري ، أو لنهار ابن أخت مسيلمة الكذاب ،وقال في المقاصد : «وقبله:

اصبر النفس عند كل ملم إن في الصبر حيلة المحتال

لا تضيقن بالأمور فقد تكـ ـشف غماؤهـــا بغير احتيال »

ورواه الحضري بعد هذين البيتين أيضاً ، ونسب الأبيات الثلاثة إلى أمية بن أبي الصلت . وكذلك ورد هذا البيت ثالثاً للبيتين السابقين في ديوان عبيد بن الأبرص ، وأدب الدنيا والدين ، ونُسبت الأبيات الثلاثة فيها إلى عبيد بن الأبرص . وجاء هذا البيت في اللسان ، والتاج ، ثانياً للبيت «لاتضيقن بالأمور » ونُسب البيتان إلى أمية . وورد هذان البيتان أيضاً في شرح شذور الذهب دون نسبة .

(٦٣)

١ - ١٣ في شعراء النصرانية ٢٢٦ - ٢٢٧ . وعنه نقلها شولتهيس في مجموعته ٣٠ ، وعن أحدهما نقلها بشير يموت في مجموعته ٤٩ ، ولم أقف على مصـدرها القديم .

(٦٤)

١ في اللسان (عنا) .

(٦٥)

١ - ٥ في البداية والنهاية ٢٢٦:٢ .

١ ، ٢ ، ٦ في قصص الأنبياء ١٦١ ، ونهاية الأرب ٢٧٢:١٣ ، ولباب التأويـل ١٥٠:٢ .

١ - ٣ في الأغاني ١٨٤:٣ ، وشرح المقامات الحريرية للشريشي ٢٧٠:٤ .

١ - ٢ في الشعر والشعراء ١٠٧ ، وعيون الأخبار ٣١٠:٢ ، ومحاضرات الأدباء ٢٢١:٢، والاصابة ١٥٥:٨ ، وألف با ٥٠٧:٢ ، وأسد الغابة ٥١٦:٥، وحياة الحيوان ٣٥١:٢ ، وخزانة الأدب ٢٢٩:١ .

١ ، ٣ في الحماسة البصرية الورقة (٢٥٧: آ) .

٢ ، ١ في طبقات ابن سلام ٢٢٤ .

٦ ، ٢ ، ١ في مروج الذهب ٤٢:١ .

٢ - ٥ في تاريخ ابن عساكر ١٢٧:٣ .

٢ - ٣ في الأغاني ١٨٢:٣ .

٢ في الابدال ٤٠٥:٢ ، والأخبار الطوال ٣١٣ .

(٦٦)

١ - ٧ ، ٩ ، ٨ ، ١٠ - ١٣ في محاضرة الأبرار ١١٢:١ - ١١٣ .

١ - ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٩ - ١٣ في السيرة ١:٦٧ - ٦٨ .

١ - ٧ ، ٩ - ١٣ في تاريخ الطبري ٢:١٢٠ (الحسينية) .

١ - ٧ ، ١٠ - ١٣ في العقد الفريد ١:٢٦٩ ، وملوك حمير ١٥٥ - ١٥٦ .

١ - ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٩ - ١١ ، ١٣ في البداية والنهاية ٢:١٧٨ - ١٧٩ .

١ - ٤ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ - ١٣ في الحماسة البصرية الورقة (٧٥ : آ) .

١ - ٤ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ في أمالي ابن الشجري ١٥٠ - ١٥١ .

١ - ٤ ، ٦ ، ٧ ، ١٢ ، ١١ ، ١٣ في الأغاني ١٦:٧٦ .

١ - ٤ ، ٦ ، ٧ ، ١١ ، ١٣ في الشعر والشعراء ١٠٧ ، وتاريخ ابن الوردي ١:٥٨ ، وتاريخ أبي الفداء ١:٧٢ .

١ - ٤ ، ٦ ، ٧ ، ١١ في نهاية الأرب في أخبار العرب لأبكاريوس ٣٥ .

١ - ٤ ، ١٠ - ١٢ في حماسة البحتري ١٢ .

١ ، ٣ - ٧ ، ١٠ - ١٣ في ألف با ١:١٤٥ - ١٤٦ .

١ - ٤ ، ٧ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٢ في أخبار مكة ٩٩ .

١ - ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٩ - ١٠ ، ١٢ - ١٣ في البدء والتاريخ ٣:١٩٤ .

١ - ٢ ، ٤ ، ٦ ، ١٠ - ١٣ في التيجان ٣٠٥ .. ٣٠٦ .

١ ، ٤ ، ٦ ، ١٠ - ١٣ في مروج الذهب ١:٢٨٤ - ٢٨٥ .

١ - ٤ في تاريخ اليعقوبي ١:١٦١ - ١٦٢ .

١ في الأغاني ٣:١٧٩ ، وعجزه في اللسان ، والتاج (ريم) .

٢ في اللسان ، والتاج (شول) .

٧ صدره في اللسان (جحجح) ، واللسان ، والتاج (غلب) ، وعجزه في اللسان ، والتاج (ريب) .

٩ في المعاني الكبير ٢:١٠٥٣ ، والصحاح ٢:٦٧٢ ، و ٣:١١٤٦ ، و ٥:١٧٥٨ ، واللسان ، والتاج (غبط) و (زمخر) .

١٠	في الحيوان ١:٢٦٢ ، و ٢:٧٨ ، والمعاني الكبير ١:٢٣٨ .
١٠ ، ١١ ، ١٣	في معجم البلدان ٦:٣٠٢ (مطبعة السعادة) .
١١ - ١٣	في تاريخ ابن عساكر ١:٣١١ - ٣١٢ .
١١ - ١٢	في جمهرة اللغة ١:٢٨٩ .
١١ ، ١٣	في ديوان المعاني ١:٩٢ ، والأغاني ١٦:٦٨ ، والأزمنة ١:٣ - ٤ ، ومسالك الأبصار ١:٢٣٣ .
١١	في البداية والنهاية ٢:٣٢٩ ، والاكليل ٨:١٧ ، ومروج الذهب ١:٣٧٥ ، ومعجم ما استعجم ٣:١٠٠٢ ، ومنتجات من أخبار اليمن ٨١ ، والمسلسل في غريب اللغة ١٨٧ ، ودلائل الاعجاز ١٤٤ ، وشرح الإيضاح ٢:١٣٦ ، وسلافة العصر ٣٤ . وصدر البيت في اللسان (رفق) ، وعجزه في الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري ٨١ .
١٢	في اللسان (نعم) ، ومنتخبات من أخبار اليمن ١٠٤ ، وخزانة بولاق ٤:٤٣٣ .
١٣	في طبقات ابن سلام ٤٨ ، والمحاسن والأضداد ١٢٤ ، والعمدة ٢:٢١٧ (مطبعة السعادة)، والأغاني ٥:١٥ ، والمعاني الكبير ٢:١٠٢٦ ، والامتاع والمؤانسة ٣:٦١ ، والتمثيل والمحاضرة ٦٢ ، وأحكام القرآن للرازي ٣:٢١٩ ، وصبح الأعشى ١٤:١١٨ ، ونهاية الأرب ٣:٧١ ، وشرح المفصل ٣:١١٥٨ ، ومحاضرة الأبرار ١:٢٠١ ، و ٢:٥٣ ، ورسالة ابن غرسية في الشعوبية: نوادر المخطوطات ـ المجموعة الثالثة ٢٥١ ، والروض الأنف ٢:١٣٨ ، والاتقان ١:١٥٣ ، والمزهر ١:١٨٣ ، والاصابة ٥:٢٣٠ ، والبداية والنهاية ٤:٣٤ ، و ٦:٢٩٤ ، والتاج (قعب) . وصدر البيت في أساس البلاغة ٢:٢٦٥ (دار الكتب) .

وفي السيرة : « قال ابن إسحق : وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي . قال ابن هشام : وتروى لأمية بن أبي الصلت : الأبيات » . ولهذا انقسم الرواة بين أمية وأبيه ،

ومن رواها لأمية الأصفهاني في الأغاني ، وابن كثير في البداية والنهاية ، والبحتري في الحماسة ، والمقدسي في البدء والتاريخ ، والبصري في الحماسة ، والسيوطي في الاتقان ، واليعقوبي وابن عساكر وابن الوردي وأبو الفداء في تواريخهم . وممن رواها لأبيه ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، والطبري في تاريخه ، والأزرقي في أخبار مكة ، وابن عبدربه في العقد ، وأبو هلال العسكري في ديوان المعاني ، وياقوت في معجم البلدان ، والسيوطي في المزهر ، والبكري في معجم ما استعجم ، والبلوي في ألف با . ومنهم من أشار إلى الروايتين معاً كابن كثير في البداية (٢ :١٧٨) ، وابن الشجري في أماليه ، والهمداني في الاكليل . أما المسعودي في مروج الذهب فقد نسبها إلى أبي زمعة جدّ أمية بن أبي الصلت. وأشار ابن سلام ، وابن هشام ، وابن رشيق ، والأصفهاني ، وابن عربي ،والسيوطي إلى أن البيت(١٣) يُنسب أيضاً إلى النابغة الجعدي ، فقد رواه ابن سلام لأبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي ، ثم قال : « وقال النابغة الجعدي في كلمة فخربها وردّ فيها على القُشَيْريّ » :

فإن يكُن حاجبٌ مما فَخَرتَ به ... فلا يكنْ حاجبٌ عمّاً ولا خالا
هلاَّ فخرتَ بيومَيْ رَحْرحانَ وقد ... ظنت هوازنُ أنّ العزّ قد زالا
تلك المكارمُ لا قعبانِ من لبن ... شيبا بماء فعادا بَعْدُ أبوالا

ترويه عامر للنابغة ، والرواة مجمعون أن أبا الصلت بن أبي ربيعة قاله . وأنشد الأصفهاني البيتين (١١ ، ١٣) ، ثم قال : « الشعر لأمية بن أبي الصلت ، وقيل هو للنابغة الجعدي ، وهذا خطأ من قائله ، وإنما أدخل النابغة البيت الثاني من هذه الأبيات في قصيدة له على جهة التضمين » الأغاني ١٦:٦٨ ، وانظر الأغاني ١٦ :٧٢ ، و ٥:١٥.
وواضح أن البيت يمكن أن يقحم على أبيات ابن ذي يزن ، أو على أبيات الجعدي ، ومن المرجح أن يكون من نتاج بوادر الحركة الشعوبية التي عملت أوّل الأمر على طعن المقومات العربية ، ثم اتضحت خطوط هذه الحركة وتركّزت عند أبي نواس في الهجوم على الألبان وتحقيرها مع ما ترمز إليه من ماضي أصحابها وحضارتهم . ومن المرجح أيضاً أن تكون القصيدة المنسوبة إلى أمية منحولة عليه بتأثير الحركة الشعوبية .

وفي الاكليل تحدث الهمداني عن قصور اليمن ، ثم عن قصر غمدان فقال : « وقال

فيه أمية بن أبي الصلت ، ويقال بل أبو الصلت ، ويقال إنها مصنوعة وإنه لم يقل منها إلاَّ ثلاثة أبيات أو أربعة :

فاشرب هنيئاً عليك التـاج مرتفقاً	في رأس غمـدان دارا منك محلالا
قصر بناه أبوك القيـــل ذوشرح	فهل يرى أحـد نال الذي نالا
قد تحسر الطير عنـه أن تعاليـــه	والطير تنقضُ إصعاداً وإسهالا
ما إن تحاذيـه إلاّ هاض أعظمهـا	طول التخـــالف إدباراً وإقبالا
منطـّق بالرخـــام المستزاد لـــه	ترى على كل ركن منـه تمثالا »

والرواة على أن هذه القصيدة في مدح سيف بن ذي يزن لمّا استرد مُلْك آبائه في اليمن ، وأخرج الأحباش منها عام (٥٧٥ م) ، ولم يخالف ذلك إلاّ المسعودي في مروج الذهب (١ : ٣٧٥)فزعم أن الممدوح معد يكرب بن سيف ، وربما كان ذلك تصحيفاً من النساخ لاضطراب العبارة وعدم وضوحها .

وكان سيف بن ذي يزن قصد قيصر الروم يستعين به على إخراج الحبشة من اليمن ، فماطله فقصد كسرى ، فلبّى طلبَه بعد لأي وعناء ، وزوّده بقوة من الفرس يقودها وهرز ، فجمع إليها قوة من العرب ، ودارت معركة بينه وبين الأحباش ، فانهزموا عن اليمن ، وعاد الملك إلى حمير ، وكان لهذا الحدث وقع عظيم في الجزيرة العربية كلها ، إذ تخلصوا من الخطر الحبشي ، الذي تهددهم على أبواب مكة ، ولهذا انطلقت وفودهم إلى سيف ابن ذي يزن ، تهنئه بعودة ملك آبائه إليه ، وكان في ركابهم عدد من الشعراء يقال إن أمية ابن أبي الصلت أو أباه كان واحداً منهم ، فمدحوه وأثنوا عليه فأجازهم وأكرمهم .

(٦٧)

١ - ٣ في خطط المقريزي ١ : ٢٢ ، والبدء والتاريخ ١ : ١٥١ .

١ - ٢ في تهذيب اصلاح المنطق ١ : ٤١ ، واللسان ، والتاج (مصر) .

٢ في تفسير الطبري ١ : ١٦٥ ، ومقاييس اللغة ٥ : ٣٣٠ ، والمخصص ١٣ : ١٦٤ ،

والصحاح ٢:٨١٧، وتفسير البحر المحيط ١:٤٥٥ ، والمفردات في غريب القرآن ٤٨٥ .

٣ في الحيوان ٤:١٩٨ ، واللسان ، والتاج (ليط) .

والأبيات نُسبت إلى أمية في تهذيب إصلاح المنطق والمخصص واللسان والتاج ، ولكن بعضهم أشار إلى روايتها أيضاً لعدي بن زيد . ففي تهذيب إصلاح المنطق : «وأنشد لعدي بن زيد ، ويروى لأمية: البيتين ١ - ٢ » . وفي المخصص :«قال أمية بن أبي الصلت : البيت ٢ » . وفي اللسان والتاج (مصر) : « قال أمية يذكر حكمة الخالق تبارك وتعالى : البيت ١ ، قال ابن بري : البيت لعدي بن زيد العبادي » . وفياللسان (ليط) : « ولاطه الله ليطاً : لعنه ، ومنه قول أمية يصف الحية ودخول إبليس جوفها : البيت ٣ » . وفي خطط المقريزي : « وهذا البيت (٢) قائله عدي بن زيد العبادي ، ويروى لأمية بن أبي الصلت الثقفي ، وهو من أبيات » . ولم يُعزَ البيت (٢) في الصحاح ، والمفردات . وأما الأبيات الواردة في خطط المقريزي ، والبدء والتاريخ ، والحيوان ، والمقاييس ، وتفسير الطبري فقد نُسبت فيها إلى عدي دون إشارة إلى أمية . وأورد الجاحظ والمقريزي هذه الأبيات ضمن قصيدة لعدي بن زيد يتحدث فيها عن خطيئة آدم ، ودور الحية وإبليس في غوايته ، ثم ما نال الحية من عقاب ، والأبيات ترتبط بهذه القصيدة ارتباطاً وثيقاً ، مما يرجح أن تكون لعدي بن زيد لا لأمية بن أبي الصلت .

(٦٨)

١ في تاريخ الطبري ٢:٣١ .

(٦٩)

١ - ٨ في الحيوان ٤:١٨٧-١٨٨ .

١ - ٢ في البدء والتاريخ ١:٦١ .

١ في الخصائص ١:١٥٤ ، و ٢:٢٠٥ ، والمبهج ٦ ، وأساس البلاغة ١:١٠٠ ،

واللسان ، والتاج (حتف) و (عدل) .

٩ في المخصص ٥:١٣ .

١٠ في اللسان ، والتاج (عتم) .

(٧٠)

١ - ٥ في الخزانة ٤:٤ (بولاق) .

١ في اللسان (قدم) .

٢ في اللسان (عوم) ، واللسان والتاج (سبح) .

وفي الخزانة أورد البغدادي بعد البيت (٣) بيتاً آخر ، هو :

نوديَ قُمْ واركَبَنْ بأهلكَ إنَّ اللهَ موفٍ للناسِ ما زعموا

ورواه للنابغة الجعدي ، ثم قال بعد ذلك : « وبيت الجعدي رُوي لأمية بن أبي الصلت » ، ثم رواه ضمن هذه الأبيات ظناً منه أن البيت من هذه القصيدة بالذات ، مع أن البيت من« المنسرح»والأبيات الأخرى من « البسيط » . وأورد شولتهيس هذا البيت مستقلاً بعد روايته أبيات الخزانة ، وعلّق عليه بأنه من « المنسرح » وأشار إلى روايته للجعدي ، وكأن بشير يموت لم يدرك ما قاله شولتهيس بالألمانية ، فنقل البيت وظن أن ترتيبه بعد البيت (٥) ، ولم يتنبّه على اختلاف وزنه عن وزن الأبيات الأخرى .

(٧١)

١ في مقامات الزمخشري ٢١ .

٢ - ٥ في أضداد ابن الأنباري ١٠٧ .

٧ ، ٢ ، ٨ ، ٣ في معجم ما استعجم ١:٦٨-٦٩ .

٢ - ٣ في السيرة ١:٤٨ ، ومحاضرة الأبرار ١:٨٧ .

٢ في أضداد السجستاني ٨٥ ، والروض الأنف ١:٤٣ .

٣ في اللسان والتاج (قطط) ، وتفسير البحر المحيط ٧:٣٨٧ .

٥ في الأزمنة والأمكنة ٢:٣٦١ ، واللسان ، والتاج (شوذ) و (هفف) و (كتم) ، واللسان (حمر) . ورُوي في اللسان (هفف) لأمية بن أبي عائذ ، وهذا عن وهم أو تحريف .

٦ في اللسان (خزم) .

٧ في تاريخ الطبري ٢:٣٨ ، ومروج الذهب ١:٢٦٤ ، وصفة جزيرة العرب ١٧١ .

٨ في الفائق ٢:٤ .

(٧٢)

١ ٣ في المنتحل ٥٠ .

(٧٣)

١ - ٢ في ذيل الأمالي ٤١ - ٤٢ .

٢ - ٤ في طبقات ابن سلام ٢٢١ .

٢ - ٣ في اللسان (أرخ) .

٥ - ٦ في ربيع الأبرار الورقة (١٣:آ) من مخطوطة دار الكتب رقم (٤٦٢٧-أدب) ، والورقة (٢٤:ب) من مخطوطة دار الكتب رقم (٣٧ - م) أدب .

٥ ، ٧ ، ٨ في ربيع الأبرار الورقة (١٤:آ) من مخطوطة دار الكتب رقم (١٥٥- أدب) .

٦ في شرح المفضليات للأنباري ٨٦ .

٩ في تفسير السيوطي ٦:٢٥٩ .

(٧٤)

١ - ٥ في تفسير الطبري ٥:٣٨٨ ، وتفسير البحر المحيط ٢:٢٧٧ .

(٧٥)

١ - ١٢ ، ١٤ - ١٨ ، ٢٠ - ٢٥ في البدء والتاريخ ١:٢٠٢ - ٢٠٣ .

٣٢ ، ٥ ، ٢ في تاريخ ابن عساكر ٣:١٢٤ .

٢ في تفسير الطبري ٢:٥٦٢ .

٤ في اللسان ، والتاج (شرم) .

٢٨ ، ٣٠ - ٣٢ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ - ١٩ ، ٢١ في المقاصد النحوية ٢:٣٤٦ .

١٣ - ١٤ في الفاضل للمبرد ١٠ .

١٤ في مجاز القرآن ٢:٢٨٥ ، ومقاييس اللغة ٣:١٠٩ ، وجمهرة أشعار العرب ١٣ ، وتفسير الطبري ٣٠:٣٦ (طبعة البابي الحلبي الثانية) ، وتفسير السيوطي ٦:٣١٢ ، وتفسير البحر المحيط ٨:٤١٧ ، واللسان مادة (سهر) ، وتحرّف البيت في فضائل القرآن ٦٨ على هذا النحو : « عندهم لحم بحر ولحم ساهرة » .

٢١ ، ١٤ في فرائد القلائد ١٣٢ ، وحاشية الخضري ١:١٤٤ ، وشرح الجرجاوي ١١٧ ، وفتح الجليل ١١٧ . وصدر البيت (٢١) جاء بيتاً واحداً مع عجز البيت (١٤) في شرح شذور الذهب ٨٨ ، وشرح التبيان ٢:١٩٧ ، وشرح ابن عقيل ١:٢٠٩ ، ومروج الذهب ١:٤١ ، والخزانة ٤:٣٧٧ ، واللسان (فوه) و (أثم) ، والتاج (فوه) . وصدر البيت (٢١) في أوضح المسالك ١:٢٨٦ .

٢٥ في المعاني الكبير ٣:١٢١٨ ، والصحاح ٣:١٠٧٢ ، واللسان ، والتاج (حفض) .

٢٦ - ٢٧ في البخلاء ٢:١٨٤ .

٢٦ في جمهرة اللغة ٣:٣٤ ، ومبادىء اللغة ٦٥ ، واللسان ، والتاج(عسم) .

٢٨ ، ٣٠ ، ٢٩ في شرح أدب الكاتب ٣١٢ .

٢٨ في كتاب سيبويه ١:١٦٤ ، وجمهرة اللغة ٢:٤٦ ، ومراتب النحويين

٦٩ ، والمخصص ١٦٥:١٧ ، والمقاصد النحوية ١٨٣.٣ ، وفوائد القلائـد ١٩٨ ، وخزانة بولاق ٢٤٧:٣ ، واللسان (سلم) و (غنث) ، والتاج (غنث) .

٢٩ في الاتقان ١٦٢:١ ، وجمهرة أشعار العرب ١٤ .

٣٠ في أدب الـكاتب ٣٢٩ ، والاقتضاب ٤٠٥ ، والألفاظ الكتابية ١٤ ، والاتقان ١٦١:١ ، والصحاح ١٨٩٢:٥ ، واللسان (حتم) .

٣٣ في اللسان ، والتاج (وزم) .

(٧٦)

١ - ٣ في الأغاني ٤:٨ ، ونهاية الأرب ٣٩:٥ ، والمستجاد ٢٢٦ .

(٧٧)

١ في اللسان ، والتـاج (خيط) ، والاتقـان ١٥٩:١ ، وتفسير السيوطي ١٩٩:١ .

(٧٨)

١ في كتاب الصناعتين ٢٥٤ ، ومحاسن النثر والنظم ٥٤ .

(٧٩)

١ - ١٧ في البدء والتاريـخ ١٢٣:٣ - ١٢٤ .

٤ في معجم البلدان ٥٨٧:٢ .

(٨٠)

١ في اللسان ، والتاج (فرض) .

(٨١)

١ في سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٨ .

٢ في السيرة ٢ ١٨٣ ، والروض الأنف ٢ : ٤٤ .

وابن هشام كلّما روى بيتاً قال : « وهذا البيت من قصيدة له » ، مما يدل على أن البيتين من قصيدة لأميّة ضائعة .

(٨٢)

١ - ٢ في معجم ما استعجم ٣ : ١٠٧٢ .

(٨٣)

١ - ٢ في الشعر والشعراء ٩٨ — ٩٩ (طبعة السقا) .

١ في طبقات ابن سلام ١٠٧ ، ومعجم الشعراء ١٩٥ (دار إحياء الكتب) ، والأغاني ٥ : ٩ ، ١٠ (دار الكتب) ، ومروج الذهب ١ : ٤١ ، والاصابة ٦ : ٢١٩ ، والمقاصد النحوية ١ : ٥٠٥ ، وشرح شواهد المغني ٢١٠ ، وخزانة الأدب ٣ : ١٥٤ ، والخزانة أيضاً ٤ : ٤ (بولاق) ، وربيع الأبرار الورقة (١٤٦ : ب) من مخطوطة دار الكتب رقم (١٥٥ — أدب) .

٢ في طبقات ابن سلام ١٠٦ ، وجمهرة اللغة ٢ : ٣٨٨ ، والحيوان ٥ : ٥٤٨ ، و ٦ : ١٥٣ ، والكامل للمبرد ٢ : ٦١١ ، والسيرة ١ : ١٥ ، والروض الأنف ١ : ١٥ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٥٥ ، والانصاف ٢ : ٥٠٢ ، وشرح التبريزي لديوان أبي تمام ٣ : ١٩٠ ، وشرح المقامات الحريرية للشريشي ١٩٨ ، والمخصص ١٧ : ٧٣ ، والكشاف ٢ . ١٤٢ ، ومعجم ما استعجم ٤ : ١١٧٠ ، وتفسير البحر المحيط ٧ : ٢٧٠ ، ومروج الذهب ١ : ٣٤٢ ، ومنتخبات من أخبار اليمن ٧١ ، واللسان والتاج (عرم) و (سبأ) .

٣ في جمهرة اللغة ٢: ٣٨٨ ، و ٣: ٢٩٢ ، والخزانة ٤: ٣ (بولاق) ، واللسان ، والتاج (زعم) .

وقال ابن هشام في السيرة : « وقال أمية بن أبي الصلت : (البيت ٢) ، وهذا البيت من قصيدة له ، وتروى للنابغة الجعدي » . وعرض ابن سلام الخلاف حول صاحب الأبيات فقال : « قلت ليونس : كيف تقرأ : وجئتك من سبأ بنبأ يقين (سورة النمل ٢٢) . فقال: قال الجعدي ، وهو أفصح العرب: (البيت ٢) — وهو على قراءة أبي عمرو ويونس — فجعل يونس القصيدة للجعدي وسمعت أبا الورد الكلابي سأل عنها أبا عبيدة ، فقال : لأمية ، ثم أتينا خلفاً الأحمر فسألناه ، فقال : للنابغة ، وقد يقال لأمية »، ثم أورد ابن سلام خبراً فيه أن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، سأل النابغة الجعدي أن ينشده بعض شعره، فأنشده : « الحمد لله لا شريك له . . . » ، فقال : « يا أبا ليلى ، ما كنّا نروي هذه الأبيات إلاّ لأمية بن أبي الصلت . قال : يابن رسول الله ، والله إني لأول الناس قالها ، وإنّ السَّروقَ مَن سَرَقَ أميةَ أشعارَه ». والخبر الأخير أورده الأصفهاني في الأغاني ٥: ١٠ (دار الكتب) .

وفي معجم الشعراء قال المرزباني في ترجمة الجعدي : « وهو القائل : (البيت ١) ، وتروى لأمية بن أبي الصلت ، والصحيح أنها للنابغة » . وفي الخزانة روى البغدادي (البيت ٣) للنابغة الجعدي ، ثم قال : « وبَيْت الجعـــدي رُوي لأمية بن أبي الصلت » . وفي رواية البغدادي للبيت (١) عرض هذا الخلاف ، فقال : « وفي الاستيعاب : كان النابغة يذكر في الجاهلية دين إبراهيم والحنيفة ويصوم ويستغفر ـ فيما ذكروا ـ وقال في الجاهلية كلمته التي أولها : (البيت ١) ، وفيها ضروب من دلائل التوحيد ، والاقرار بالبعث والجزاء والجنة والنار وصفة بعض ذلك ، على نحو شعر أمية بن أبي الصلت . وقد قيل إن هذا الشعر لأمية بن أبي الصلت ، ولكنه قد صححه يونس بن حبيب ، وحماد الراوية ، ومحمد بن سلام ، وعلي بن سليمان الأخفش ، للنابغة الجعدي » .

ونُسب البيت (١) إلى الجعدي في الأغاني ، والمقاصد ، وشرح شواهد المغني ، ونُسب البيت (٢) إلى الجعدي في جمهرة اللغة ، ونُسب البيت (٣) إلى الجعدي في جمهرة اللغة ٢: ٣٨٨ ، ونقل ابن قتيبة في ترجمة النابغة الجعدي البيتين (١ ، ٢) ضمن قصيدة تضم (١٦) بيتاً على أنها

للنابغة ، ولم يشر إلى أمية بن أبي الصلت .

(٨٤)

١ في مفاتيح الغيب ٤ : ١٩٠ .

(٨٥)

١ في طبقات ابن سلام ٢٢٤ ، والأغاني ٣ : ١٨٣ ، وتفسير الطبري ٢٧ : ٦٦ ، ٦٧ (طبعة البابي الحلبي الثانية) ، والفائق ٢ : ٣١٠ ، ومروج الذهب ١ : ٤٢ ، وحياة الحيوان ٢ : ٣٥١ ، وألف با ١ : ٥١٥ ، و ٢ : ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٥٠٩ ، والاصابة ١ : ١٣٤ ، وأسد الغابة ٥ : ٥١٦ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٢٥ ، والاتقان ١ : ١٦٤ ، وشرح المعلقات السبع ٩٨ ، واللسان (لمم) ، وخزانة الأدب ٢ : ٢٥٦ ، و ٤ : ٢ ؛ في هذه المصادر روي البيت لأمية ولاسيما في حديث وفاته . ونُسب البيت إلى أبي خراش الهذلي في الاقتضاب ٤٤٢ ، ومغني اللبيب ١ : ١٩٨ ، وشرح شواهد المغني ٢١٣ ، والمقاصد النحوية ٤ : ٢١٦ ، وخزانة بولاق ٣ : ٢٢٩ ، واللسان (جمم) . وجاء البيت دون نسبة في محاضرات الأدباء ٢ : ٢٢١ ، وفقه اللغة وسر العربية ٣٧٩ ، والصاحبي ١٣٦ ، والانصاف ١ : ٧٦ ، وتأويل مشكل القرآن ٤١٧ ، وغريب القرآن لأبي بكر السجستاني ٤٤ ، ولباب التأويل ٤ : ١٩٧ ، وتفسير البحر المحيط ٨ : ٣٩٠ ، والصحاح ٥ : ٢٠٣٢ ، ومختار الصحاح ٤٢٤ ، وعجز البيت في تهذيب اصلاح المنطق ٢ : ٤ دون نسبة .

وفي اللسان (لمم) رواه ابن منظور لأمية ، ثم علّق عليه بقوله : « قال ابن برّي : الشعر لأمية بن أبي الصلت ، قال : وذكر عبد الرحمن عن عمه عن يعقوب عن مسلم بن أبي طرفة الهذلي ، قال : مرّ أبو خراش يسعى بين الصفا والمروة ، وهو يقول :

لاهُمّ هذا خامسٌ إن تمّا ... أتمّه اللهُ ، وقد أتما

إن تغفر اللهم تَغفِرْ جَمّا ... وأيُّ عبد لك لا ألمّا »

ونصّ البغدادي على أن البيت الثاني : « ليس لأبي خراش ، وإنما هو لامية بن أبي الصلت ، قاله عند موته ، وقد أخذه أبو خراش وضمه إلى بيت آخر ، وكان يقولها وهو يسعى بين الصفا والمروة » . وقال البغدادي أيضاً : « وقد تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم ، وصار في جملة الأحاديث ، أورده السيوطي في جامعه الصغير ، ورواه الترمذي في تفسيره ، وعن الحاكم في الإيمان والتوبة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال المناويُّ في شرحه الكبير : يجوز انشاد الشعر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما المحرم إنشاؤه » . وفي تفسير الطبري بسنده عن ابن عباس : « الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلاّ اللمم »قال : هو الرجل يُلِمُّ بالفاحشة ثم يتوب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (البيت) » ، وجاء هذا الحديث مع رواية البيت أيضاً في لباب التأويل ، وشرح شواهد المغني .

(٨٦)

١ في جمهرة أشعار العرب ١٤ .

(٨٧)

١ - ٦ في السيرة ١:٦٠ ، ومحاضرة الأبرار ١:١٥١ .

٢ في اللسان ، والتاج (شرم) ، وعجزه في المخصص ١٣:٣٨ .

٦ عجزه في اللسان ، والتاج (ثأج) .

وفي السيرة : «قال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري ثم الخطمي واسمه صفي :الأبيات» . ثم استدرك ابن هشام فقال : « قال ابن هشام : وهذه الأبيات من قصيدة له ، والقصيدة أيضاً تُروى لأمية بن أبي الصلت » . وفي محاضرة الأبرار نُسبت الأبيات إلى أبي قيس بن الأسلت الأنصاري . وفي اللسان ، والتاج (شرم) نُسب البيت إلى أبي قيس بن الأسلت . وفي المخصص ، واللسان (ثأج) لم يُحدّد صاحب البيت ، أما في التاج (ثأج)فقد جاء قوله : «وفي هامش الصحاح : هو عجز بيت لأمية يذكر أبرهة صاحب الفيل » .

(٨٨)

١ - ١٦ في الخزانة ١:٢٣١-٢٣٣ .

١٧ في اللسان (خلل) .

١٨ في اللسان ، والتاج (زعم) ، والاقتضاب ٣٩ ، ومفاتيح الغيب٣:٢٤٧.

(٨٩)

١ - ٢ في طبقات ابن سلام ٢٢٢ ، والمحبر ١٣٨ ، والأغاني ٨:٣ ، والاشتقاق لابن دريد ١٤٤ ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي ١:١٦٤ ، وشرح التبيان ٢:٣٢٧ ، وديوان المعاني ١:٤٦ ، وكتاب الصناعتين ٣٠ ، والصبح المنبي ١١٣ ، وتاريخ ابن عساكر ٣:١٢٤ ، ونهاية الأرب ٥:٣٩ ، وصبح الأعشى ٢:١٨٦ ، والاستدراك على رسالة ابن الدهان ٦٦ ، والمثل السائر ٤٧٩ ، والمستجاد ٢٢٦ ، وشرح المضنون ١٧٤ ، وربيع الأبرار الورقة (٣٠٢) من مخطوطة دار الكتب رقم (١٥٥ - أدب) ، وشرح المقامات الحريرية ٢ ٣٨ (مصر : ١٣٠٦ﻫ) وقال قبلها : « قال الجريمي : الأبيات » ، وفي قوله هذا وهم أو تحريف .

١ في جمهرة اللغة ٣:٢٢ ، ودلائل الاعجاز ٢٤٦ ، وأسرار البلاغة ٢٧٥ ، والموازنة ٨٦ ، وصبح الأعشى ٢:٢٩٦ . وللأبيات مناسبة سبق ذكرها في تخريج القصيدة (١) .

(٩٠)

١ - ٢ في جامع بيان العلم ١:٨٨ - ٨٩ ، ومختصر جامع بيان العلم ٤٤ .

(٩١)

١ - ٣ في الأغاني ٣:١٧٩ .

٢ - ٣ في الاصابة ٥:٢٢٤ ، وشرح نهج البلاغة ٢٠:٢٠٢ .

٣ - ٤ في الحيوان ١:٦٤ ، وشرح المقامات الحريرية للشريشي ٣:٩٥ .

٢ ، ٥ ، ٣ ، ٤ في العقد الفريد ١:٨٥ ، وبهجة المجالس ٥٠٦ ، والحماسة البصرية الورقة (٥٧ : آ) ،وربيع الأبرار الورقة (٣٣٠:ب) من مخطوطة دار الكتب رقم (١٥٥ -أدب) .

٣ ، ٤ ، ٢ ، ٥ في الوحشيات ٢٦١ ، وتاريخ ابن عساكر ٣:١٢٣ ، والبداية والنهاية ٢:٢٢٩ .

٢ في العمدة ٢:٢٢٦ ، وبهجة المجالس ٣٠١ .

٣ في المخصص ١٣:٢٠٨ .

وقال الأصفهاني : وكان لأمية « أربعة بنين :عمرو وربيعة ووهب والقاسم ، وكان القاسم شاعراً وهو الذي يقول أنشدنيه الأخفش وغيره عن ثعلب ، وذكر الزبير أنها لأمية: الأبيات » . وروى البصري الأبيات ضمن قصيدة نسبها إلى القاسم بن أمية في مديح بني الديان . وبعض الأبيات الأخرى نسبها إلى القاسم أيضاً كلٌ من الجاحظ في الحيوان ، وابن حجر في الاصابة ، وابن رشيق في العمدة ، وأبو تمام في الوحشيات ، وابن سيده في المخصص، وابن عبد البر في بهجة المجالس ، ورواها لأمية كلٌ من ابن عساكر في تاريخه ، وابن كثير في البداية والنهاية ، وقال ابن كثير : « ومن شعر أمية البديع : الأبيات » . وجاءت الأبيات دون نسبة في العقد ، وشرح نهج البلاغة ، وأما الشريشي في شرح المقامات فقد نسبها لابن جعيل ، وهذا وهم لاشك فيه .

(٩٢)

١ - ٣ في ذيل الأمالي ٣٨ ، والوسائل ٨٨ ، وربيع الأبرار الورقة (٢٠٣:ب) من مخطوطة دار الكتب رقم (١٥٥ - أدب) .

١ ، ٣ في الروض الأنف ١:٩٢ ، وألف با ٢:٨٤ ، وآكام المرجان ١٤٢ ، والبداية والنهاية ٢:٢١٨ ، وانسان العيون ١:١٧٣ .

وللأبيات مناسبة أوردها كلٌ من روى الأبيات . وفي الروض الأنف أن أمية أتى

بني الديان من بني الحارث بن كعب في نجران ، فرأى طعام بني عبد المدان منهم لُباب البرّ بالشهاد والسمن . وكان ابن جدعان يُطعم التمر والسويق ويسقي اللبن ، فقال أمية الأبيات . فبلغ شعره عبد الله بن جدعان ، فأرسل ألفي بعير إلى الشام تحمل إليه البرّ والشهد والسمن ، وجعل مناد ينادي على الكعبة : ألا هلموا إلى جفنة عبد الله بن جدعان ، فقال أمية :

له داعٍ بمكة مشمعلٌ   وآخرُ فوق دارته ينادي
إلى ردح من الشيزى عليها   لباب البرّ يُلبك بالشهاد

(٩٣)

١ - ٩ ، ١١ - ١٧ ، ١٩ - ٢٤ ، ٢٦ - ٣٣   في جمهرة أشعار العرب ٢١١ - ٢١٢ .

١ - ٣   في أراجيز العرب ١١ .

١   في اللسان ، والتاج (قضي) ، ومعجم البلدان ٤ : ١٣٠ .

٢   في اللسان ، والتاج (هلل) .

٦ - ٧   في السيرة ١ : ٤٩ .

٦ ، ٨ - ١٠   في معجم ما استعجم ١ : ٧٩ .

١٨   في شعراء النصرانية ٢٣٤ .

٢٥   في حاشية شولتهيس p.70 .

٢٩ - ٣٠   في الحيوان ٦ : ١٥٦ ، ومروج الذهب ١ : ٢٨١ .

(٩٤)

١ - ٣٧   رواها بور في مقالته (p.153 - 154) عن مخطوطة للجمهرة في المتحف البريطاني رقم ١٦٦٢ (المخطوطات الشرقية ٤١٥) ، وأشار بعد روايتها إلى قول الناسخ : قيل إنها مصنوعة على أمية بن أبي الصلت ، وقيل إنها

لعمرو بن كلثوم والله أعلم .

١١ - ١٢ في تفسير الطبري ٩٦:١ لابن كلثوم ، والمعلقات السبع ١٤٢ ضمن معلقة عمرو بن كلثوم .

١٢ في اللسان ، والتاج (عطل) و (بكر) و (هجن) لعمرو بن كلثوم .

(٩٥)

١ في معجم ما استعجم ٨٨٦:٣ ، وشرح مقصورة ابن دريد للتبريزي ١٩٩ ، وصدر البيت في معجم البلدان ٤٩٥:٣ ، ورواه ياقوت لأبي طالب بن عبد المطلب ، وهذا وهم منه ، لأن البيت ينبغي أن يكون صاحبه ثقفياً من الطائف ،لا قرشياً من مكة .

(٩٦)

١ - ١٠ في الخزانة ٢٢٨:١ - ٢٢٩ .

١ - ٥ في الأغاني ١٨٣:٣ .

١ في كتاب سيبويه ٢٥٠:٢ ، والمفصل ٢٢٠ ، وشرح ابن يعيش ٨١٢:١ ، والمخصص ٢٠٠:١٤ ، وتفسير الطبري ٢٥٨:٨ ، وتهذيب إصلاح المنطق ٢٤:٢ ، وشرح المعلقات السبع ٢٥ ، والصحاح ٢٤٣٦:٦. واللسان ، والتاج (مسا) .

٣ في كتاب سيبويه ٤٢٠:١ ، وتاريخ ابن عساكر ١٢٦:٣ ، والبداية والنهاية ٢٢٦:٢ ، والمقاصد النحوية ٤١٢:٤ ، وفرائد القلائد ٣٥٢ ، وتفسير السيوطي ١٤٦:٣ . وصدر البيت في شرح شذور الذهب ٣٠٩.

٧ في الاصابة ١٣٤:١ .

١١ في الحيوان ٣٧٦:٥ ، والفائق ٩٤:٢ .

١٢ - ١٤ في البدء والتاريخ ١٤٥:٢ .

١٢ في التاج (أين) و (أيْ) .

١٤ في اللسان ، والتاج (دسف) ، وأنشد ابن فارس جزءاً منه : «يسوف الغيث دسفانا » في مجمل اللغة ١ : ٢١٠ .

١٥ - ١٦ في خزانة بولاق ٤ : ٧٠ .

١٦ في الصحاح ٣ : ١١٠٢ ، ومفاتيح الغيب ٢ : ٢٩٠ ، ولباب التأويل ١ : ١٧٣ ، واللسان ، والتاج (قرض) .

١٧ في اللسان ، والتاج (خزي) .

١٨ في الاتقان ١ : ١٦٤ .

١٩ في المخصص ١٣ : ١٢٦ ، واللسان (دقظ) و (دقط) .

٢٠ في مقالة بور (p 151) ونقله عن شرح كتاب اصلاح المنطق : مخطوطة بيروت ٨٦ . ولم اقف عليه في تهذيب إصلاح المنطق المطبوع .

(٩٧)

١ - ٢ في تفويج المهج ٢٠ .

(٩٨)

١ - ٧ في البدء والتاريخ ٣ : ٥٨ - ٥٩ ، ومعجم البلدان ٣ : ٥٩ .

٨ - ١١ في البدء والتاريخ ٣ : ٢٤ - ٢٥ .

(٩٩)

١ - ٦ في قصص الأنبياء ١٦١ .

١ - ٤ ، ٦ ، ٥ في نهاية الأرب ١٣ : ٢٧٢ .

٢ ، ٦ ، ٥ في الاصابة ٨ : ١٥٦ .

٧ ، ٨ في جمهرة أشعار العرب ١٣ - ١٤ .

وهذه الأبيات من قصيدة ضائعة تُنسب إلى أمية ، يدل على ذلك ما أورده الثعلبي في قصص الأنبياء من حديث الفارعة أخت أمية بن أبي الصلت مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ثم أنشدته قصيدته التي يقول منها : الأبيات » ، ومثله في نهاية الأرب ١٣ :٢٧٢ .

(١٠٠)

١ في جمهرة أشعار العرب ١٤ .

(١٠١)

١ - ٦ في الخزانة ١ :٢٢٦ .

٤ في الخصائص ١ :٢١٢ ، واللسان (سها) ، وعجز البيت في الخصائص ١ :٣٣٣ ، والمخصص ٩ :٣ ، والصحاح ٦ :٢٣٨٢ .

٥ في السيرة ١ :٢٤٧ ، وتاريخ ابن عساكر ٦ :٣٠ ، ٣٣ ، والبداية والنهاية ٢ :٢٤٣ . ورواه ابن إسحق لورقة بن نوفل ضمن أبيات له ، ثم نبه ابن هشام على أنه لأمية بن أبي الصلت من قصيدة له . ثم رواه ابن عساكر وابن كثير لورقة بن نوفل من أبيات له .

٥ ، ٧ ، ٨ في البدء والتاريخ ٣ :٢٤ .

٩ - ٣٧ في الحيوان ٢ .٣٢٣ - ٣٢٦ .

١٤ - ٢١ في نهاية الأرب ١٠ :٢٧٨ .

٢٢ - ٣٧ في نهاية الأرب ١٠ :٢٢٢ - ٢٢٣ .

٢٢ ، ٣٤ في مراتب النحويين ٥٢ .

(١٠٢)

١ - ٢ ، ٤ - ٨ ، ١٠ - ١٧ ، ١٩ - ٢٠ في سيرة ابن هشام ١ :٢٤٢ - ٢٤٤ ، والبداية

والنهاية ١:٣٦ - ٣٧ .

١ - ٢ ، ٤ - ٨ في المقاصد النحوية ٤:٢٤٣ .

١ - ٢ في البداية والنهاية ٢:٢٤٢ .

٣ في الدرر والغرر ٢:١٦٨ .

٦ في ألف با ٢:١٢ ، وتاريخ ابن عساكر ٦:٣٠ ، والبداية والنهاية ٢:٢٣٨ .

٧ في أوضح المسالك ٣:٧٣ .

٨ - ١٦ في الخزانة ١:٢٢٦ .

٨ ، ١٠ - ١٢ ، ١٤ - ١٥ في البدء والتاريخ ١:٧٥ .

٤ ، ١٩ ، ٧ ، ١٠ - ١٢ ، ١٦ - ١٨ في الروض الأنف ١:١٤٨ - ١٤٩ ، وأشار السهيلي إلى أبيات أخرى أثناء شرحه لبعض أبيات السيرة .

١٠ في ألف با ٢:١١٨ .

١٧ في البداية والنهاية ١:٢٣٣ .

١٨ في البداية والنهاية ١:٢٣٤ ، وتفسير الطبري ٢٣:١٠٣ (طبعة البابي الحلبي الثانية) ، وتفسير السيوطي ٥:٢٩١ . وتفسير البحر المحيط ٧:٣٧٥ ، والفرج بعد الشدة ١:١٨ .

وفي السيرة : « قال ابن إسحق : وقال زيد بن عمرو بن نفيل ـ قال ابن هشام : هي لأمية بن أبي الصلت من قصيدة له : الأبيات » . وفي البداية والنهاية حيث ورد معظم الأبيات : « وما أحسن ما أورده الامام محمد بن إسحق بن يسار في أول كتاب السيرة من الشعر لزيد بن عمرو بن نفيل في خلق السماء والأرض والشمس والقمر وغير ذلك . قال ابن هشام : هي لأمية بن أبي الصلت » . وممن رواها لأمية العيني في المقاصد النحوية ، والطبري في تفسيره ، والسيوطي في تفسيره ، وأبو حيان في تفسيره ، وابن مالك في أوضح المسالك ، وابن كثير في البداية والنهاية ، والقاضي أبو علي في الفرج بعد الشدة . وممن رواها لزيد البلوي في ألف با ، والمقدسي في البدء والتاريخ ، والسهيلي في الروض الأنف .

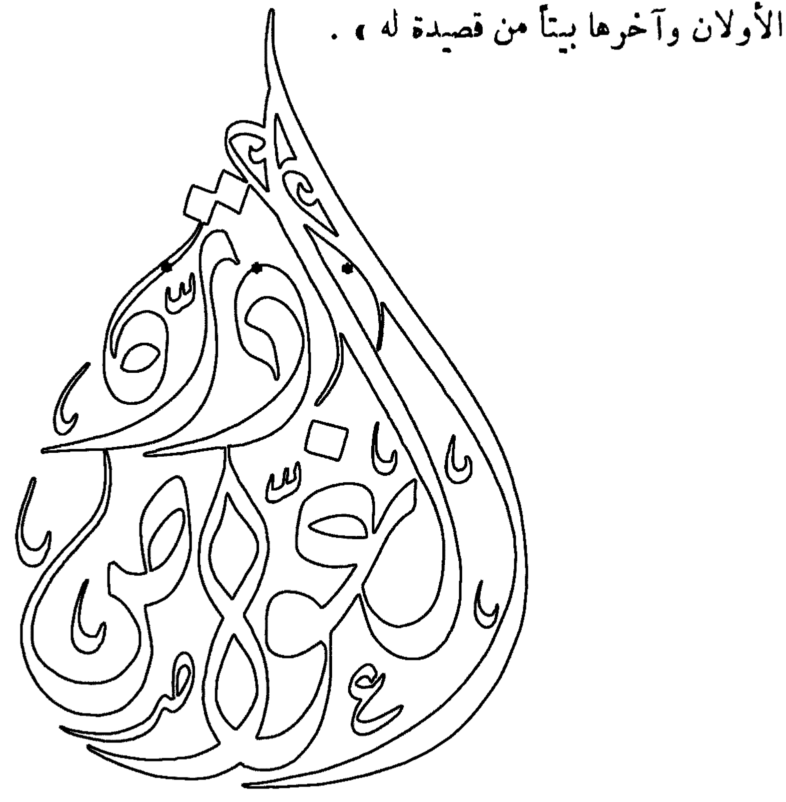
وابن إسحق ليس ثقة في رواية الشعر ، مما يرجح أن تكون القصيدة لأمية لو صحّ

أنها غير منحولة عليه ، إلا أن دراسة القصيدة تجعلها من الشعر المتهم .

(١٠٣)

١ – ٥	في سيرة ابن هشام ١:٢٤٧ .
١ – ٢	في تاريخ ابن عساكر ٦ :٣٠ ، والبداية والنهاية ٢:٢٣٨ .
١ ، ٢	في تاريخ ابن عساكر ٦:٣٣ ، والبداية والنهاية ٢:٢٤٣ ، وأوردا البيتين ضمن أبيات أخرى لورقة بن نوفل ، وفي هذا الموضع أوردا البيت (٦) من القصيدة السابقة .
١	في كتاب المعارف لابن قتيبة ١٠٨ ، والاشتقاق لابن دريد ١٣٥ .

ونسب ابن قتيبة وابن عساكر وابن كثير هذه الأبيات لورقة بن نوفل في رثاء زيد بن عمرو بن نفيل ، وفي السيرة :« عن ابن إسحق أنه لما قُتل زيد بن عمرو بن نفيل قال ورقة بن نوفل يبكيه : الأبيات . قال ابن هشام : يروى لأمية بن أبي الصلت البيتان الأولان وآخرها بيتاً من قصيدة له » .





تخريج مـا أنشد لأمية وليس له





(١)

١ نقله بور ص ١٥٠ لأمية عن العباب في شرح الآداب (الورقة ٥٠:آ) ، ثم نقله بشير يموت ١٧ ، وأقحمه على همزية أمية في مدح ابن جدعان . والبيت من قصيدة لأبي البُرْج القاسم بن حنبل المري قالها في زفر بن أبي هاشم بن مسعود بن سنان ، وقد ورد ضمن أبياتها في الحماسة ٢:٣٠٤ ، والمؤتلف ٦٢ ، ومعجم الشعراء ٣٣٣ ، والحيوان ٢:٥ ، إلاَّ أن الجاحظ عزاها إلى بعض المريين . وورد البيت دون نسبة في أساس البلاغة ١:٦٥ ، ومختصر المعاني ٣٢٣ ، وعجزه في المختار من شعر بشار ٢٢٥ دون نسبة أيضاً .

(٢)

١ في مختصر جامع بيان العلم ٤٠ لأمية بن أبي الصلت ، ونقله عنه بور ١٤٧ لأمية ، ثم نقله بشير يموت ١٨ لأمية أيضاً . ونسبة البيت إلى أمية وهمٌ من صاحب مختصر جامع بيان العلم ،لأن ابن عبد البر صاحب جامع بيان العلم لم ينسب هذا البيت إلى أحد ، وإنما نَسب إلى أمية بيتاً مشابهاً،وجاء كلام ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١:٨٣ على هذا النحو :
وقال أمية بن أبي الصلت :

إن الغلام مطيــــعٌ من يؤدبه ولا يطيعكَ كَهْلٌ حين يكتهلُ

وقال آخر :

يُقوّم بالثقافِ العودُ لَدْناً ولا يُقوِّم العـودُ الصليبُ[١]

---

(١) في جامع بيان العلم : « يقوم بالشاف » . واجتهدنا في قراءتها « بالثقاف » ليستقيم الوزن والمعنى .

وقال آخر :

إن الغلام مطيعٌ من يؤدبه   ولا يطيعك ذو شيب بتأديب »

فوهم المُختصِرُ ، إذ أسقط البيتين الأولين اختصاراً ، وأثبت الثالث وعزاه إلى أمية لتشابهه مع البيت الأول . وكتاب مختصر جامع بيان العلم حديث العهد نسبياً ، لأن صاحبه فرغ منه سنة (١٣١٩هـ) كما ورد في خاتمة الكتاب .

(٣)

١ - ٢ في مجموعة بشير يموت ٣٠ لأمية بن أبي الصلت ، وليس صحيحاً لأنها للأجرد الثقفي في جمهرة اللغة ٢٧٦:٢، والشعر والشعراء ٧١٢:٢ (طبعة شاكر الثانية) . ولم يُنسبا بجلاء في عيون الأخبار ٢:٣ ، والحيوان ٤٥:٣ ، والبيان والتبيين ٦٧:١ ، ٣٢٥:٣ ، والعمدة ١٧٢:١ ، وبهجة المجالس ٧٨٥ ، وإنّما قُدّم لهما في هذه المصادر بعبارة : « قال الثقفي»، مما أوقع بشير يموت في الوهم فظن أنه أمية بن أبي الصلت الثقفي . وورد البيتان في العقد الفريد ٢٦٥:٢ ، والمصون في الأدب ٧ دون نسبة . وأنشد ابن عرب شاه بيتاً في فاكهة الخلفاء ٢٩ ضمّنه عجز البيت الأول على هذا النحو :

إن الذليل الذي ليست له عضد   مثل الوحيد بلا مال ولا عدد

ولم ينسبه إلى أحد .

(٤)

١ - ٢ في اللسان ، والتاج (نأط) ، والتيجان ١١٤ ، وتاريخ الطبري ٥٣٣:١ ، وقصص الأنبياء ٢٤٥ ، والبداية والنهاية ١٠٤:٢ ، ولباب

التأويل ٢:٢٠٩ .

١ في منتخبات من أخبار اليمين ٤٧ .

٢ في الأغاني ٣:١٨٤ ، والكشاف ١:٥٧٧ ، وتفسير البحر المحيط ٦:١٥٩ ، واللسان ، والتاج (حرمد) . وصدره في مقاييس اللغة ١:١٥٤ لأمية ، وعجزه في مقاييس اللغة ١:٣٩٨ دون نسبة .

والأبيات لا تُروى لأمية إلاّ في اللسان ، والتاج ، ومقاييس اللغة ، وأما سائر المصادر فترويها لتبع الحميري وهو الأقرب إلى الصواب ، لأن كتاب التيجان قد أورد البيتين ضمن قصيدة مطولة لتبع تتألف من (٥١) بيتاً ، وكذلك ورد البيتان في تاريخ الطبري ضمن (٢٣) بيتاً من قصيدة التيجان . وثمة تعقيب في اللسان والتاج بأن الأبيات تنسب إلى تبع أيضاً ، ففي اللسان عقب ابن منظور على البيتين بقوله : « وأورد الأزهري هذا البيت مستشهداً به على الثأطة الحمأة ، فقال : وأنشد شمر لتبع ، وكذلك أورده ابن بري وقال : إنه لتُبّع يصف ذا القرنين ، قال والخُلُب الطين بكلامهم ، قال الأزهري: وهذا في شعر تُبّع المروي عن ابن عباس » . ولهذا نقطع بأن البيتين من القصيدة المنسوبة إلى تبع ، ومن المرجح أن تكون هذه القصيدة منحولة في عصر إسلامي .

وفي مجموعة بيروت أورد بشير يموت أربعة أبيات لأمية على هذا النحو :

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً علا في الأرض غير معبّد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب ملك من كريم سيّد
فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثأط حرمد
من قبله بلقيس كانت عمتي حتى تقضى ملكها بالهدهد

وما أضافه على أبيات اللسان ورد في عدد من المصادر التي نَسبت الأبيات إلى تُبَّع ، فالبيت الأول والرابع في تاريخ الطبري ١.٥٣٣، والبداية والنهاية ٢:١٠٤ . والبيت الأول في التيجان ١١٤ ، وقصص الأنبياء ٢٤٥ ، ومنتخبات من أخبار اليمن ٤٧ ، ولباب التأويل ٢:٢٠٩ ، وجمهرة اللغة ٣:٣٢٧ .

(٥)

١ - ٢ في مجموعة بيروت ٣٧، والسيرة ١:٢٤١، والبداية والنهاية ٢:٢٤٢ - ٢٤٣ .

١ في الاشتقاق لابن دريد ١٣٥ ، وتاريخ ابن عساكر ٦:٣٣ ، والكشاف ١:٣٩ (المطبعة الشرقية) ، وأنوار التنزيل ١:٧٧ ، وتفسير البحر المحيط ١:٩٩ .

والبيتان رواهما بشير يموت لأمية بن أبي الصلت ، في حين رواهما ابن هشام في السيرة ، وابن كثير في البداية ، ضمن قصيدة لزيد بن عمرو ابن نفيل تقع في اثني عشر بيتاً ، وروى ابن عساكر البيت الأول ضمن ثمانية أبيات من قصيدة زيد ، ورواه ابن دريد والبيضاوي مع بيت آخر من قصيدة زيد ، ونَصّت هذه المصادر جميعاً على أن الأبيات لزيد ابن عمرو بن نفيل . وليس من إشارة إلى أمية بن أبي الصلت ، فالبيتان لزيد وليسا لأمية ، ومن المرجح أن تكون القصيدة المنسوبة إلى زيد منحولة كلها أو بعضها ، وذلك لانتشار الروح الاسلامية فيها ، ولضعف عدد من أبياتها لغةً وأسلوباً .

(٦)

١ الغرر والدرر ١:٥٧٧ لأمية وعنه نقل شولتهيس فنسب البيت إلى أمية في مجموعة ليبزيغ ، ومجموعة بيروت ، والبيت في البيان والتبيين ١:١٨٩ ،

والحيوان٥: ٢٢٩ ، و ٧: ٦٣ ، والصحاح ٢: ٦٧٩ ، ودرة التنزيل ٢٦٩ ، وتفسير البحر المحيط ٦: ٤٤ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٥٦ ، وفيها جميعاً للبيد ، والبيت في مقاييس اللغة ٣: ١٣٨ ، والمخصص ١: ٣٧ ، ومفاتيح الغيب ١: ٤٢٨ ، وأحكام القرآن للرازي ١: ٤٢ ، وفيها دون نسبة . والبيت في ديوان لبيد ٨١ طبعة ١٨٨٠ .

ورواه المرتضى في الغرر لأمية وهماً منه ، لأن البيت للبيد في أكثر المصادر ، وهو من قصيدة له في ديوانه .

(٧)

١ في شرح دوسامي لمقامات الحريري ٢: ٤٣٨ لأمية ، وفي شرح المقامات الحريرية للشريشي ٣: ١٨٨ ، ودرة الغواص ٦٤ ، وشرح درة الغواص ١٥١ ، وديوان المعاني ١: ١٠ ، ومختصر المعاني ٢٤٦ ، والمزهر ٢: ٢٩٥ ، وحياة الحيوان ١: ١٢٨ ، ١٢٩ ، وخزانة الأدب ١: ٩٩ ، ونزهة الألبا ١١٣ ، وربيع الأبرار (١٥٥ ـ أدب) الورقة (٧٨ : ب) ، والصحاح ١: ٤٨٢ ، واللسان (سدد) و (ضيع) ، وفيها جميعاً للعرجي . وورد البيت دون نسبة في مقاييس اللغة ٣: ٦٦ ، وجمهرة الامثال ١٢٠ ، وصبح الأعشى ٦: ٥٣ ، والمستجاد من فعلات الأجواد ٢١٩ .

وأنشده دوسامي لأمية بن أبي الصلت ، ثم أشار إلى نسبته إلى العرجي ورواه ضمن قصيدة له قالها في سجنه ، ولم يُحدد مصدر روايته ، وعنه نقله شولتهيس في مجموعته ١٦ على أنه لأمية ، ولا يبعد أن يكون ذلك وهماً من دوسامي ، لأن البيت من قصيدة للعرجي قالها في سجنه ، ولم نجد من ينسب البيت إلى أمية في كل ما رجعنا إليه من مصادر . وأشار بشير يموت ٣٧ إلى أن في ديوان الخنساء بيتاً منسوباً إليها ، هو :

على صَخرٍ وأيّ فتى كصخر ليوم كريهــة وسداد ثغر
والذي في ديوان الخنساء (طبعة صادر ٤٥ ، وطبعة اليسوعيين ٢٣) :
على صخر وأي فتىً كصخر لعــانٍ عائـل غلق بوتر

(٨)

١ في الخصائص ١:٣٠٧ لأمية . وفي الخزانة ٢:٤٠٩ (بولاق) ، وشرح شواهــد ابن عقيل للجرجاوي ١٧ ، للفرزدق . وأشار العيني إلى الروايتين وصحّح نسبة البيت إلى الفرزدق في المقاصد النحوية ١:٢٧٤ ، وفرائد القلائد ٢٨ . وورد البيت دون نسبة في حاشية الخضري ١:٥٧ ، وهمـع الهوامـع ١:٦٢ ، وشرح ابن عقيل ١:٤٩ ، ٥٣ ، وأوضح المسالك ١:٦٦ ، والانصاف ٢:٦٩٨ .

وابن جني قد وَهِم في رواية البيت لأمية ، وقال العيني : « قيل إن قائله هو أمية بن أبي الصلت ، ولا يوجد في ديوانــه ، والأكثرون على أنه للفرزدق وهو الأصح » المقاصد ١:٢٧٤ . والبيت من قصيدة في ديوان الفرزدق ٢٦٤ ، يمدح فيها يزيد بن عبد الملك ويهجو يزيد بن المهلب ، ولا يمكن فصله عنها لاتصاله الوثيق بها .

(٩)

١ - ٣ في شعراء النصرانية ٢٣٥ لأمية بن أبي الصلت ، وفي المسلسل ١٦٥ ، واللسان ، والتاج (صلع) ، لحرب بن أمية .

١ - ٢ في أساس البلاغة ٢:٢٣ (دار الكتب) ، لحرب بن أمية .

١ ، ٣ في معجم ما استعجم ١:٢٧٠ لحرب بن أمية ، ومعجم البلدان ٣:٤١١ وقال قبلها : « قال أبو سفيان بن حرب بن أمية »، وفتوح البلدان ٥٢ وقال قبلها : « قال أبو سفيان بن حرب الحضرمي » فوهم في نسبته

أو ثمة سقط في عبارته .

١ في جمهرة اللغة ٢: ١٦٤ لحرب بن أميـة ، وفي الصحاح ١: ٣٨٤ ، والمخصص ١٣: ١٨١ دون نسبة فيهما .

ولا شك أن الأب لويس شيخو قد وهم في رواية الأبيات لأمية بن أبي الصلت ، لأنه قـدّم لها بقوله : « ومما روى صاحب لسان العرب لأمية بن أبي الصلت قوله يخاطب أبا مطر : الأبيات » ، وفي هذه العبارة وَهْمٌ بيِّن ، لأن ابن منظور قدّم للأبيات بقوله : « قال حرب بن أميـة يخـاطب أبا مطر الحضرمي ، وقيل هو للحـارث بن أميـة : الأبيات » . وهذه العبارة نُقلت حرفياً في التاج ، مما يؤكد وهم الأب شيخو في عزو الأبيات إلى أمية ، وعنـه نقل شولتهيس دون تحقُّق فنسب الأبيات إلى أمية أيضاً . وقال البكري في معجم ما استعجم: « قال حرب بن أمية لأبي مطر الحضرمي يدعوه إلى حلفه ونزول مكة : الأبيات » .

(١٠)

١ - ٢ في مجموعة ليبزيغ ٧١ لأمية ، وهما في ديوان الخنساء ٦٥ من قصيدة لها في رثاء أخيها ، والعقد الفريد ٣: ٢٢٠ للخنساء ضمن قصيدتها في رثاء أخيهـا أيضاً ، ووردا في الكشكول ٢٥٢ ، وشرح المضنون به على غير أهله ١٥٩ للخنساء ، وأنشدهما العسكري في المصون ٢٢ لأوس بن مغراء في مدح سعيد بن العاص ، ثم رواهما في المصون ٦٣ للخنساء .

٢ في سرقات أبي نواس ٣٤ للخنساء .

(١١)

١ في شرح شواهد ابن عقيل للجرجاوي ١٤٦ ، وفتح الجليل ١٤٦ (مطبوع على هامش الجرجاوي) ، وقال الجرجاوي : «قيل إنه لأمية » . والبيت أوّل أربعة أبيات أنشدها الراغب في محاضرات الأدباء ٢: ٢٦١ لأحيحة

ابن الجلاح ، وأنشده التبريزي في شرح الحماسة ٣١٣:٢ وقال : « يُنشد لأحيحة بن الجلاح» ، ورواه العيني في المقاصد ٤٦٠:٢ وقال :« لم أقف على اسم قائله » ، وأنشده السيوطي في شرح شواهد المغني ٢٦٥ وقال : « قال العيني لم أقف على اسم قائله ، وقوله (ألوم) أفعل تفضيل من اللوم ، ويروى : فكلهم يعذل . قلت : عزاه السخاوي في المفصل إلى أحيحة بن الجلاح ، وأورده بلفظ : قومي فكلهم يعذل . وقال ابن الدهان في الغرّة : يرويه الفراء بالميم : ألوم ، والبصري يرويه باللام : يعذل » . وجاء البيت دون نسبة في أوضح المسالك ٣٤٧:١ ، ومغني اللبيب ٣٧:٢ ، وهمع الهوامع ١٦٠:١ ، وشرح المفصل ٤٠٩:١ ، و٩١٧:٣ ، وشرح ابن عقيل ٢٤٤:١ ، وتفسير البحر المحيط ٢٩٧:٦ .

(١٢)

١ الشطر في مقالة المستشرق بَوّر ١٤٩ ونسبه إلى أمية بن أبي الصلت عن اللسان ، والتاج (عني) ، ولكن الشطر فيها دون نسبة ، وقد وهم بَوّر لأن في اللسان:«وتَعَنّى العناء :تَجَشّمَه ، وعَنّاه هو وأعناه ؛قال أمية:

وإنّي بليلى ، والدّيارِ التي أرى لـكالمُبْتلَى المعنى بشوقٍ مُوَكّل

وقوله أنشده ابن الأعرابي :

عَنَساً تُعَنّيها وعَنَساً تَرَحّلُ

فَسّرَه فقال : تُعنّيها تَحْرُثُها وتُسْقِطُها » . ومثل هذه العبارة لا تعني أن الشطر لأمية نفسه ، والذي يؤكد ذلك قول صاحب التاج: «وقول الشاعر: عَنَساً تُعنّيها وعَنَساً ترحل،أي تحرثها وتسقطها » فلم يعز البيت إلى أحد .

(١٣)

١ في مقاييس اللغة ١١٤:٤ لأمية بن أبي الصلت ، وهو من قصيدة لأمية بن أبي عائذ في ديوان الهذليين ١٧٣:٢ .

٢ في مقالة المستشرق Power ١٥٢ لأمية بن أبي الصلت، ونَقلَه بَوَر عن عن المخصص ، واللسان . والبيت في اللسان (غزا) ، والمخصص ٧:١٥ ، وكل منها تحدث عن المُغْزِية من الإبل ، ثم قال : « واستعاره أمية للأُتُن فقال : (البيت) » ، وأنشده ابن فارس في مقاييس اللغة ٤:٤٢٣ وقال قبله : « قال الهذلي » ، والبيت من قصيدة أمية بن أبي عائذ في ديوان الهذليين ٢:١٧٧ .

(١٤)

١ في الخصائص ١:٣٠٧ لأمية بن أبي الصلت ، وفي المقاصد النحوية ١:٢٧٤ ، وفرائد القلائد ٢٨ ، وقال العيني في المقاصد : « أقول : قد قيل إن قائله هو أمية بن أبي الصلت ، ولا يوجد في ديوان ، والأكثرون على أنه للفرزدق وهو الأصح » ، وقال في الفرائد : « قاله الفرزدق ، وما قيل إنه لأمية بن أبي الصلت غير صحيح » . وأصاب العيني فيما ذهب إليه لأن البيت من قصيدة للفرزدق في ديوانه ٢٦٤، وخزانة بولاق ٢:٤٠٩، وأُنشد للفرزدق في الاقتضاب ١٨ ، ودلائل الاعجاز ٢٣٠ ، ونهاية الأرب ٧:٨٥ ، ونهاية الإيجاز ١٥٧ ، والمفتاح ١٥٨ ، والتلخيص ١٢٣، وشرح الإيضاح ٢:٣٨ ، وحسن التوسل ٥٧ ،ومغني اللبيب ٢:٩ ،وشرح شواهد المغني ٢٤٥، وورد دون نسبة في الانصاف ٢:٦٩٨ ،وهمع الهوامع ١:٦٢ ، وأوضح المسالك ١:٦٨ ، وشرح ابن عقيل ١:٤٩ ، ٥٣ ، وحاشية الخضري ١:٧٠ (بولاق) .

(١٥)

١ في الاشتقاق لابن دريد ٤٧٧ وأنشده ابن دريد دون نسبة ، ولكن المحقق أشار إلى أن ثمة حاشية في الأصل المخطوط بخط مغلطاي فيها أن البيت لأميـــة بن أبي الصلت ، وليس صحيحاً لأن البيت للبيد ، وقد

ورد منسوباً إلى لبيد في جمهرة اللغة ١:٤٧ ، و٣:٨٤ ، ومقاييس اللغة ١:٣٦٩ ، و ٣:٣٠٦ ، والاتباع ٣٤ ، والصحاح ١:٥٩ ، واللسان ، والتاج (صلق)و (ثلل) ، واللسان (صدأ) ، ولم يُنسب في الخصائص ٢:٣٩٦ ، وهو من قصيدة في ديوان لبيد ١٦ ، أولها :

إنّ تقوى ربنا خير نَفَلْ وبإذن الله ريثي والعَجَلْ

وبعد البيت :

ليلةَ العُرْقوبِ لما غامرت جَعْفرٌ تُدعى ورهطُ بن شَكَلْ

ويوم العرقوب : أحد وقائع « يوم فيف الريح » ، وهو موضع بأعلى نجد ، كانت فيه الغلبة لمذحج على بني عامر .

(١٦)

١ في مجموعة بيروت ٦٠ لأمية بن أبي الصلت ، والبيت من قصيدة لحسان ابن ثابت في ديوانه ٣٧٧ وهو متمكن في موضعه منها ، ولا يمكن فصله عنها . ورُوي البيتُ لحسان بن ثابت فى حياة الحيوان ١:٣٢٣ ، وقراضة الذهب ٢٠ ، والبديع في نقد الشعر ٢٢٤ ، وزهر الآداب ٤:٢١٥ ، وتفسير البحر المحيط ٣:٢٥٠ . وأنشده الجاحظ دون نسبة في الحيوان ٤:١٦ .

(١٧)

١ في فرائد القلائد ٥٥ وأنشده العيني لأمية بن أبي الصلت ، والبيت مطلع قصيدة لأمية بن أبي عائذ الهذلي في الأغاني ٢٠:١١٥ ، والخزانة ٢:٣٨١ . وعجز البيت في أوضح المسالك ١:١١٥ دون نسبة .

فهارس الكتـــــاب



١ ـ فهرس آيات القرآن الكريم (*)

* أوردنا رقم السورة عند ذكرها لأول مرة ، فرقم الآية ، ثم رقم الصفحة .

٢ ـ فهرس آيات الانجيل

٣ ـ فهرس آيات التوراة

٤ ـ فهرس الأحاديث

٥ ـ فهرس الأيام والحروب

٦ ـ فهرس المواضع والبلدان والنجوم

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ذ ـ

٧ – فهرس القبائل والأقوام

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

ـ س ـ

ـ ص ـ

ـ ط ـ

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ ك ـ

٨ — فهرس الأعلام والشعراء

ـ ب ـ

ـ ت ـ

— س —

- ش -

- ص -

ـ ط ـ

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

– م –

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

– و –

– ي –

٩ - ثبت المصادر والمراجع

مرتبة على حروف المعجم

آكام المرجان في أحكام الجان : للشبلي بدر الدين محمد بن عبد الله (٧٦٩ هـ) : مصر ١٣٢٦ هـ .

الابدال : لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (٣٥١ هـ) : دمشق ١٣٧٩ هـ/١٩٦٠ م .

الاتباع : لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (٣٥١ هـ) : دمشق ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .

الاتقان : للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١ هـ) : مصر ١٢٨٧ هـ .

أحكام القرآن : للرازي أبي بكر بن علي (٣٧٠ هـ) : استانبول ١٣٣٥ هـ .

الأخبار الطوال : لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (٢٨٢ هـ) : طبعة ١٣٣٠ هـ .

أخبار عبيد بن شرية ، (نحو ٦٧ هـ) في أخبار اليمن وأشعارها وانسابها : حيدر آباد ١٣٤٧هـ .

أخبار مكة : للأزرقي محمد بن عبد الله (٢٥٠ هـ) : ليبزيغ ١٨٥٨ م .

أخبار النحويين البصريين : للسيرافي أبي سعيد الحسن بن عبد الله (٣٦٨ هـ) : بيروت ١٩٣٦م .

الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية : لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) : القاهرة ١٣٤٩هـ .

أدب الدنيا والدين : للماوردي أبي الحسن علي بن محمد (٤٥٠ هـ) : مصر ١٣٧٥هـ/١٩٥٥ .

الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي : لمحمد هاشم عطية : مصر ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م .

أدب الكاتب : لابن قتيبة عبد الله بن مسلم (٢٧٦ هـ) : مصر ١٣٤٦ هـ .

أديان العرب في الجاهلية : للقاضي محمد نعمان الجارم : الطبعة الأولى .

أراجيز العرب : لمحمد توفيق البكري (١٩٣٢ م) : القاهرة ١٣١٣ هـ .

إرواء الظماء من محاسن القبة الزرقاء : لكرنيليوس فان ديك (١٨٩٥ م) : بيروت ١٨٩٣م .

الأزمنة والأمكنة : للمرزوقي احمد بن محمد (٤٢١هـ) : حيدر آباد ١٣٣٢ هـ .

أساس البلاغة : للزمخشري محمود بن عمر (٥٣٨هـ) : القاهرة ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م ، (وهي المرادة عند الاطلاق) .

أساس البلاغة : للزمخشري محمود بن عمر (٥٣٨ هـ) : دار الكتب المصرية ١٣٤١هـ/١٩٢٣م .
الأساطير العربية قبل الإسلام : للدكتور محمد عبد المعيد خان : القاهرة ١٩٣٧ هـ .
أسباب النزول : للسيوطي (حاشية على تفسير الجلالين) : دمشق ١٣٦٩ هـ .
الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية : لضياء الدين بن الأثير (٦٣٧هـ) : مصر ١٩٥٨م .
الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لابن عبد البر يوسف بن عبد الله (٤٦٣ هـ) : حيدر آباد ١٣١٨هـ .
أسد الغابة في معرفة الصحابة : لابن الأثير علي بن محمد (٦٣٠ هـ) : مصر ١٢٨٠هـ .
أسرار البلاغة : للجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن (٤٧١هـ) : استانبول ١٩٥٤ م.
أسرار العربية : للأنباري أبي البركات عبد الرحمن بن محمد (٥٧٧ هـ) : دمشق ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .
أسماء جبال تهامة وسكانها : لعرام بن الاصبع السلمي (نحو ٢٧٥ هـ) : القاهرة ١٣٧٣هـ .
الأشباه والنظائر : للخالديين أبي عثمان سعيد بن هاشم (نحو ٣٥٠هـ) ، وأبي بكر محمد بن هاشم (٣٨٠هـ) : ثلاث نسخ مخطوطة في دار الكتب المصرية بأرقام: (أدب ـ ١٧٠٩) ، و (أدب ـ ٥٣٧) ، و (أدب ـ ٥٨٧) .
الاشتقاق : للأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قريب (نحو ٢١٦ هـ) : دمشق ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .
الاشتقاق : لابن دريد محمد بن الحسن (٣٢١هـ) : مصر ١٩٥٨م .
الاصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر أحمد بن علي (٨٥٢ هـ) : مصر ١٣٣٢ هـ .
الأصنام : لابن الكلبي هشام بن محمد (نحو ٢٠٦هـ) : مصر ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م .
الأضداد : لابن الأنباري محمد بن القاسم (٣٢٨ هـ) : مصر ١٣٢٥ هـ .
الأضداد للأصمعي عبد الملك بن قريب (٢١٦ هـ) .
الأضداد : لابن السكيت يعقوب بن إسحق (٢٤٤ هـ) .
الأضداد : لأبي حاتم السجستاني سهل بن محمد (٢٤٨ هـ)
} طبعت في كتاب واحد بيروت ١٩١٢م .
إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : لابن خالويه الحسين بن أحمد (٣٧٠ هـ) : دار الكتب المصرية ١٣٦٠هـ/١٩٤١م .
الأعلام : لخير الدين الزركلي : الطبعة الثالثة .
أعلام الكلام : للقيرواني محمد بن شرف (٤٦٠ هـ) : مصر ١٣٤٤ / ١٩٢٦ م .
الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين (٣٥٦ هـ) : دار الكتب المصرية

١٣٤٥هـ/١٩٢٧م .
الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني : طبعة ساسي ، (وهي المرادة عند الاطلاق) .
الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : لابن السيد البطليوسي (٥٢١ هـ) : بيروت ١٩٠١م.
اقليد الخزانة : لعبد العزيز الميمني : جامعة البنجاب ـ المطبعة الهندية ١٩٢٧ م .
الاكليل : للهمداني محمد بن الحسن (٣٣٤ هـ) : بغداد ١٩٣١ م .
الألفاظ الكتابية : للهمداني عبد الرحمن بن عيسى (٣٢٠ هـ) : طبعة الأب شيخو ـ دون تاريخ .
ألف با : للبلوي يوسف بن محمد (٦٠٥ هـ) : مصر ١٢٨٧ هـ .
الألوهية في المعتقدات الوثنية : لفاروق الدملوجي : الموصل ١٩٥٠ م .
إلياذة هوميروس : ترجمة سليمان البستاني : مصر ١٩٠٤ م .
إلياذه هوميروس : ترجمة عنبرة سلام الخالدي : دار المعارف بمصر .
أمالي ابن الشجري : هبة الله بن علي (٥٤٢هـ) : تحقيق مصطفى عبد الخالد محمد ١٩٣٠ .
أمالي القالي : علي بن القاسم (٣٥٦ هـ) : دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ /١٩٢٦ م.
أمالي المرتضى : انظر الغرر والدرر .
إمتاع الأسماع : للمقريزي أحمد بن علي (٨٤٥ هـ) : مصر ١٩٤١ م .
الامتاع والمؤانسة : لأبي حيان التوحيدي علي بن محمد (نحو ٤٠٠هـ): مصر ١٩٣٩ .
إنباه الرواة على أنباه النحاة : للقفطي علي بن يوسف (٦٤٦ هـ) : دار الكتب المصرية ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .
إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (المعروفة بالسيرة الحلبية) : للحلبي علي بن برهان الدين (١٠٤٤هـ) : بولاق ١٢٩٢هـ .
الانصاف في مسائل الخلاف : للأنباري أبي البركات عبد الرحمن بن محمد (٥٧٧هـ): مصر ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .
أنوار التنزيل وأسرار التأويل : للبيضاوي عبد الرحمن بن عمر (٦٨٥هـ) : مصر ١٣١٧هـ .
الأوراق : للصولي محمد بن يحيى (٣٣٥ هـ) : مصر ١٩٣٤م .
أوضح المسالك : لابن هشام جمال الدين بن يوسف (٧٦١ هـ) : القاهرة ١٣٦٨ هـ/١٩٤٩ م.
البخلاء : للجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥ هـ) : دار الكتب ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م.
البداية والنهاية : لابن كثير إسماعيل بن عمر (٧٧٤ هـ) : مصر ١٣٥١هـ/١٩٣٢م .
البدء والتاريخ : للمقدسي مطهر بن طاهر (بعد ٣٥٥ هـ) : باريس ١٨٩٩ م .

البديع في نقد الشعر : لاسامة بن منقذ (٥٨٤ هـ) : القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .
بغية الوعاة : للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ) : مصر ١٣٢٦هـ .
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : للآلوسي محمود شكري (١٩٢٤ م) : الطبعة الثانية ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م .
بهجة المجالس وأنس المجالس : لابن عبد البر يوسف بن عبد الله (٤٦٣هـ) : مصر ١٩٦٢م.
البيان والتبيين : للجاحظ عمرو بن بحر (٢٥٥هـ) : تحقيق عبد السلام هارون .
تأويل مشكل القرآن : لابن قتيبة عبد الله بن مسلم (٢٧٦ هـ) : القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .
تاج العروس في شرح القاموس : للمرتضى الزبيدي محمد بن محمد (١٢٠٥هـ) .
تاريخ آداب اللغة العربية : لجرجي زيدان (١٩١٤م) : مصر ١٩١١ م .
تاريخ آداب اللغة العربية : لمحمد دياب (١٩٢١م) : مصر ١٨٩٧م .
تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) : للدكتور شوقي ضيف : مصر ١٩٦٠م .
تاريخ الأدب العربي : لكارل بروكلمان : ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار : مصر ١٩٥٩م .
تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) : لريجيس بلاشير : ترجمة الدكتور ابراهيم كيلاني : دمشق ١٩٥٦ م.
تاريخ الأدب العربي : لأحمد حسن الزيات : مصر ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م .
تاريخ الأدب العربي : لحنا الفاخوري : الطبعة الثانية ١٩٥٣ م .
تاريخ الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري : للدكتور محمد البهبيتي : مصر ١٩٥٠م .
تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي أحمد بن علي (٤٦٣هـ) : مصر ١٣٤٩هـ/١٩٣١م .
تاريخ ابن خلدون (المبتدأ والخبر ..) : عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨ هـ) : بولاق ١٢٨٤هـ .
تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين : للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ) : مصر ١٣٠٥ هـ .
تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) : محمد بن جرير (٣١٠ هـ) : طبعة الحسينية المصرية الأولى .
تاريخ الطبري : مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م (وهي المرادة عند الاطلاق).
تاريخ ابن عساكر : علي بن الحسن (٥٧١ هـ) : مطبعة روضة الشام ١٣٣٠ هـ .
تاريخ العرب قبل الاسلام : للدكتور جواد علي : بغداد ١٩٥٠ ــ ١٩٥٦ م .
تاريخ أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر) : عماد الدين اسماعيل صاحب حماة (٧٣٢هـ) : القسطنطينية ١٢٨٦هـ .

تاريخ ابن الوردي (تتمة المختصر في أخبار البشر) : عمر بن الوردي (٧٥٠ هـ) : القاهرة ١٢٨٥هـ .
تاريخ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب المعروف بابن واضح الاخباري (٢٩٢ هـ) : النجف ١٣٥٨ هـ .
تجريد الأغاني : لابن واصل الحموي محمد بن سالم (٦٩٧هـ) : مصر ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
التربيع والتدوير : للجاحظ عمرو بن بحر (٢٥٥هـ) : دمشق ١٩٥٥م .
تفريج المهج بتلويح الفرج : مصر ، دون تاريخ . وهذا الكتاب جامع للكتب الثلاثة حل العقال لابن قضيب البان عبد الله بن محمد (١٠٩٦ هـ) ، والأرج في الفرج لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ) . ومعيد النعم ومبيد النقم للامام تاج الدين السبكي (٧٧١ هـ) .
تفسير البحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف (٧٥٤ هـ) : مصر ١٣٢٨هـ.
تفسير السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ) .
تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير آي القرآن) : محمد بن جرير (٣١٠ هـ) : طبعة البابي الحلبي الثانية ، مصر ١٩٥٤م .
تفسير الطبري (جامع البيان ..) : دار المعارف ١٣٧٤ هـ (وهي المرادة عند الاطلاق).
تفسير غريب القرآن : لابن قتيبة عبدالله بن مسلم (٢٧٦هـ) : مصر ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.
تفسير القرآن العظيم : للتستري أبي محمد سهل بن عبد الله (٢٨٣ هـ) : مصر ١٣٢٩هـ .
تفسير ابن كثير : إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ) : القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .
التلخيص : للقزويني محمد بن عبد الرحمن (٧٣٩ هـ) : بشرح البرقوقي ، مصر ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤ م .
التمثيل والمحاضرة : لأبي منصور الثعالبي عبد الملك بن محمد (٤٢٩ هـ) : القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦١م .
تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية: للشيخ مصطفى عبدالرازق : القاهرة ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.
تهذيب إصلاح المنطق : للتبريزي يحيى بن علي (٥٦٢ هـ) : مطبعة السعادة بمصر ، دون تاريخ .
التيجان في ملوك حمير : لوهب بن منبه (١١٤ هـ) ، برواية ابن هشام محمد بن عبد الملك (٢١٣أو٢١٨هـ) : حيدر آباد ١٣٤٧هـ .
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : للثعالبي عبد الملك بن محمد (٤٢٩ هـ) : القاهرة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م .
جامع بيان العلم : لابي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي (٤٦٣هـ) : المطبعة المنيرية بمصر ، دون تاريخ .

الجبال والأمكنة والمياه : للزمخشري محمود بن عمر (٥٣٨ هـ) : النجف ١٣٥٧هـ .
جمهرة أشعار العرب : لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي : مصر ١٣٣٠ هـ .
جمهرة الأمثال : لابي هلال العسكري حسن بن عبد الله (٣٩٥ هـ) : الهند ١٣٠٠هـ.
جمهرة اللغة : لابن دريد محمدبن الحسن (٣٢١ هـ) : حيدر آباد ١٣٤٤ هـ .
حاشية الخضري على شرح ابن عقيل : محمد بن عفيفي المعروف بالشيخ الخضري (١٩٢٧ م) : بولاق ١٢٩١هـ .
حاشية الخضري : طبعة البابي الحلبي ١٣٨١هـ (وهي المرادة عند الاطلاق) .
حركة التأليف عند العرب : للدكتور أمجد الطرابلسي : دمشق ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م .
حسن التوسل إلى صناعة الترسل : للحلبي محمود بن سليمان (٧٢٥) : القاهرة ١٣١٥هـ .
حماسة البحتري : أبي عبادة الوليد بن عبيد (٢٨٤ هـ) : مصر ١٩٢٩ م .
الحماسة البصرية : للبصري علي بن ابي الفتح (٦٤٧ هـ) : نسخة مخطوطة بدار الكتب الوطنية بالقاهره رقم (أدب ــ ٥٢٠) .
حماسة ابي تمام : حبيب بن أوس الطائي (٢٢٨هـ) : مصر ١٣٣٤هـ/١٩١٦م .
الحياه الادبيةفي العصر الجاهلي : لمحمد بن عبد المنعم خفاجي :مصر ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.
حياة الحيوان الكبرى : للشيخ كمال الدين الدميري (٨٠٨ هـ) : القاهرة ١٣٠٥هـ.
الحيوان : للجاحظ عمروبن بحر (٢٥٥ هـ) : تحقيق عبد السلام هارون .
خزانة الأدب : للبغدادي عبد القادر بن عمر (١٠٩٣ هـ) : طبقة بولاق ١٢٩٩ هـ
خزانة الأدب للبغدادي : المطبعة السلفية ١٣٤٧ هـ (وهي المرادة عند الاطلاق) .
الخصائص في اللغة : لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) : دارالكتب ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
خطط المقريزي (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) : أحمد بن علي (٨٤٥هـ) بولاق ١٢٧٠هـ .
دراسات في اللغة : للدكتور ابراهيم السامرائي : بغداد ١٩٦١م .
درة التنزيل وغرة التأويل : للخطيب الاسكافي عبد الله بن محمد (٤٣١ هـ) : مصر ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م .
درة الغواص في أوهام الخواص : للحريري القاسم بن علي (٥١٦هـ) :القسطنطينية ١٢٩٩هـ .
دلائل الاعجاز : للجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن (٤٧١ هـ) : مطبعة السعادة بمصر ، دون تاريخ .
دلائل النبوة : للاصفهاني أحمد بن عبد الله (٤٣٠هـ) : حيد آباد ١٣٢٠ هـ .
الدين والوحي والاسلام : للشيخ مصطفى عبد الرازق : مصر ١٣٦٤هـ/١٩٤٥ .
ديوان أمية بن أبي الصلت : مجموعة شولتهيس (١٩٢٢م) ليبزيغ ١٩١١م .

ديوان أمية بن أبي الصلت : مجموعة بشيريموت : بيروت ١٩٣٤م .
ديوان أوس بن حجر : دار صادر ـ بيروت ١٩٦٠م .
ديوان بشار بن برد (١٦٨هـ) : طبعة ابن عاشور ـ القاهرة ١٩٥٠م .
ديوان بشر بن أبي خازم : دمشق ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م .
ديوان الحطيئة جرول بن أوس (٥٩هـ) : تحقيق نعمان أمين طه ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .
ديوان الخنساء : دار صادر ـ بيروت ١٩٦٠م .
ديوان الخنساء (أنيس الجلساء في ديوان الخنساء) : طبعة لويس شيخو ـ بيروت ١٨٨٨م .
ديوان عبيد بن الأبرص : دار صادر ـ بيروت ١٩٥٨ م .
ديوان الفرزدق همام بن غالب : مطبعة الصاوي بالقاهرة ١٩٣٦م .
ديوان لبيد : طبعة ١٨٨١ م .
ديوان أبي نواس الحسن بن هانىء (١٩٨هـ) : مصر ١٩٥٣م .
ديوان المعاني : لأبي هلال العسكري حسن بن عبد الله (٣٩٥هـ) : القاهرة ١٣٥٢هـ .
ديوان الهذليين : القاهرة ١٣٨٥/١٩٦٥ م .
ذيل الأمالي : للقالي علي بن القاسم (٣٥٦هـ) : دار الكتب ط ٣ ـ ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م .
ذيل الأمالي : دار الكتب ط٢ ـ ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م (وهي المرادة عند الاطلاق) .
ربيع الأبرار : للزمخشري محمود بن عمر (٥٣٨هـ) : ثلاث نسخ مخطوطة بدار الكتب الوطنية بالقاهرة رقم (أدب ـ ١٥٥) ، و (أدب ـ ٤٦٢٧) ، و (أدب ـ ٣٧م) .
رسالة ابن غرسية في الشعوبية : نوادر المخطوطات ـ المجموعة الثالثة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .
رسالة الغفران : لأبي العلاء المعري أحمد بن عبد الله (٤٤٩هـ) : مصر ١٩٥٠ م .
رسالة الملائكة : لأبي العلاء المعري (٤٤٩هـ) : دمشق ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م .
الروائع : لفؤاد أفرام البستاني : العدد (٢) ـ ١٩٢٧م .
روض الأخيار (المنتخب من ربيع الابرار) : لمحمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي (٩٤٠هـ) : مصر ١٣٠٧هـ .
الروض الانف : للسهيلي عبد الرحمن بن عبد الله (٥٨١هـ) : مصر ١٣٣٢هـ/١٩١٤م .
رياض الصالحين : للنووي محي الدين يحيى بن شرف (٦٧١هـ) : المكتبة التجارية الطبعة الخامسة .
زاد المعاد : لابن القيم الجوزي محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ) : مصر ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م .
زهر الآداب : لابي اسحق الحصري ابراهيم بن علي (٤٥٣ هـ) : القاهرة ١٩٢٥م .
الزهرة (النصف الاول) : لمحمد بن داود الظاهري الاصفهاني (٢٩٧هـ) : بيروت ١٩٣٢م .
سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون : لابن نباتة محمد بن محمد (٧٦٨ هـ) : مصر ١٣٢١ هـ .

سرقات أبي نواس : لمهلهل بن يموت بن المزرع (القرن الرابع) : القاهرة ١٩٥٧م .
سلافة العصر : لعلي بن أحمد المعروف بابن معصوم (١١١٩ هـ) : القاهرة ١٣٢٤ هـ .
السلوك لمعرفة دول الملوك : للمقريزي أحمد بن علي (٨٤٥ هـ) : مصر ١٩٣٤ م .
سنن ابن ماجة : محمد بن يزيد (٢٧٣ هـ) : مصر ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م .
السيرة : لابن هشام محمد بن عبد الملك (٢١٣ أو ٢١٨هـ) : مصر ١٩٣٦م .
شرح أدب الكاتب : للجواليقي موهوب بن احمد (٥٣٩هـ) : القاهرة ١٣٥٠هـ .
شرح الإيضاح : للقزويني ـ والشرح لعبد المتعال الصعيدي : مصر ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م.
شرح التبيان على ديوان المتنبي : للعكبري عبد الله بن الحسين (٦١٦هـ) : مصر ١٣٠٨هـ .
شرح التوضيح : لابن مالك النحوي محمد بن عبد الله (٦٧٢هـ) : الله آباد ١٣١٩هـ .
شرح حماسة أبي تمام : للتبريزي يحيى بن علي (٥٦٢هـ) : بولاق ١٢٩٦هـ .
شرح درة الغواص : للخفاجي شهاب الدين احمد بن محمد (١٠٦٩هـ) : القسطنطينية ١٢٩٩ هـ .
شرح ديوان أبي تمام : للتبريزي يحيى بن علي (٥٦٢هـ) : مصر ١٩٥١م .
شرح ديوان حسان بن ثابت : طبعة البرقوقي ١٣٤٧هـ/١٩٢٩ م .
شرح ديوان المتنبي : للبرقوقي : الطبعة الثانية ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .
شرح ديوان المتنبي : للواحدي علي بن أحمد (٤٦٨هـ) : برلين ١٨٦١م .
شرح شذور الذهب : الشذور لابن هشام عبد الله بن يوسف (٧٦١هـ) : مصر ١٣٧١هـ/١٩٥١م .
شرح شواهد ابن عقيل : للشيخ عبد المنعم الجرجاوي : مصر ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م .
شرح شواهد المغني : للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ) : القاهرة ١٣٢٢هـ.
شرح ابن عقيل علي الفية ابن مالك : عبد الله بن عقيل (٧٦٩هـ) : مصر ١٣٥٠هـ/١٩٣١م .
شرح المضنون به على غير أهله : المتن للغزي والشرح لعبد الله العبيدي: القاهرة ١٩١٥م.
شرح المعلقات السبع : للزوزني الحسين بن احمد (٤٨٦هـ) : مصر ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
شرح المفصل : لابن يعيش النحوي (٦٤٣هـ) : ليبزيغ ١٨٨٢ – ١٨٨٦م .
شرح المفضليات : للانباري القاسم بن محمد (٣٠٤هـ) : بيروت ١٣٥١هـ/١٩٣٢م .
شرح المقامات الحريرية : للمستشرق أنطوان دي ساسي (١٨٣٨م) : باريس ١٨٤٧م.
شرح المقامات الحريرية : للشريشي أحمد عبد المؤمن (٦٢٠هـ) : مصر ١٣٠٦هـ .
شرح المقامات الحريرية للشريشي : مصر ١٣٢٧هـ/١٩٥٢م (وهي المرادة عند الاطلاق) .
شرح مقصورة ابن دريد : للتبريزي يحيى بن علي (٥٦٢هـ) : دمشق ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد عبد الحميد بن هبة الله (٦٥٥هـ) : مصر ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .
الشعراء الجاهليون : لمحمد عبدالمنعم خفاجي : مصر ١٩٤٩م .
شعراء النصرانية : للاب لويس شيخو (١٩٢٧م) : بيروت ١٨٩٠م .
الشعر الجاهلي والرد عليه : لمحمد الخضر حسين : مطبعة الشباب بمصر ، دون تاريخ .
الشعر والشعراء : لابن قتيبة عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ) : طبعةالسقابمصر ١٩٣٢م.
الشعر والشعراء : لابن قتيبة : طبعة الكتبي ١٣٣٢هـ (وهي المرادة عند الاطلاق)
شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : لابن القيم الجوزي (٧٥١هـ) : مصر ١٣٢٣هـ .
الشهاب الراصد : لمحمد لطفي جمعة : الطبعة الاولى ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م .
الصاحبي في فقه اللغة : لاحمد بن فارس (٣٩٥هـ) : مصر ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .
صبح الاعشى : للقلقشندي أحمد بن علي (٨٢١هـ) : القاهره ١٣٣١هـ/١٩١٣م .
الصبح المنبي عن حيثية المتنبي : للشيخ يوسف البديعي (١٠٧٠هـ) : مكتبة عرفة بدمشق .
الصحاح : للجوهري اسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ) : مصر ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م .
صحيح البخاري : محمد بن اسماعيل (٢٥٦هـ) : الطبعة الاميرية بمصر .
صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج بن مسلم (٢٦١هـ) : طبعة البابي الحلبي بمصر .
صفة جزيرة العرب : للهمداني أحمد بن يعقوب (٣٣٤هـ) : مصر ١٩٥٣م .
طبقات الانباري : عبد الرحمن بن محمد (٥٧٧هـ) : مصر ١٢٩٤هـ .
طبقات الشعراء : لمحمد بن سلام الجمحي (٢٣٢هـ) : دار المعارف بمصر ١٩٥٢م .
الطبقات الكبرى : لمحمد بن سعدالزهري (٢٣٠هـ) : ليدن ١٣٢٢هـ .
طراز المجالس : للخفاجي أحمد بن محمد (١٠٨٦هـ) : القاهرة ١٢٨٤هـ .
عجائب المخلوقات : للقزويني زكريا بن محمد (٦٨٢هـ) : غوتنجن ١٨٤٩م .
عجائب المخلوقات للقزويني : مطبعة التقدم بمصر ـ دون تاريخ (وهي المرادة عند الاطلاق) .
العجاج حياته ورجزه : للدكتور عبد الحفيظ السطلي : دمشق ١٩٧١م .
العققة والبررة : لأبي عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩هـ) : نوادر المخطوطات ـ المجموعة السابعة ـ مصر ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .
العقد الفريد : لاحمد بن عبد ربه (٣٢٨هـ) : مصر ١٩٤٠م .
علوم الحديث ومصطلحه: للدكتور صبحي الصالح : دمشق ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م .

العمده : للحسن بن رشيق القيرواني (٤٦٣هـ) : مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .
العمدة لابن رشيق القيرواني : طبعة الخانجي الاولى (وهي المرادة عند الاطلاق).
عيار الشعر : لمحمد بن أحمد بن طباطبا (٣٢٢هـ) : القاهرة ١٩٥٦م .
عيون الاثر : لابن سيد الناس محمد بن محمد (٧٣٤ هـ) : القاهرة ١٣٥٦هـ .
عيون الاخبار : لابن قتيبة عبد الله بن مسلم (٢٧٦ هـ) : دار الكتب ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م .
الغرر والدرر المعروف بأمالي المرتضى علي بن الحسين (٤٣٦هـ) : طبعة الجمالي والخانجي ١٩٠٧م .
الغرر والدرر للمرتضى : دار احياء الكتب العربية ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م (وهي المرادة عند الاطلاق) .
غريب القرآن : لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني (٣٣٠هـ) : مصر ١٣٢٥هـ .
الفائق في علوم الحديث : للزمخشري محمود بن عمر (٥٣٨هـ) : حيدر آباد ١٣٢٤هـ .
الفاضل : للمبرد أبي العباس محمد بن يزيد (٢٨٦هـ) : القاهره ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.
فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء : لابن عرب شاه أحمد بن محمد (٨٥٤هـ) : مصر ١٣٠٠هـ .
فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل : للشيخ قطة العدوي : مطبوع في حاشية شرح شواهد ابن عقيل للجرجاوي .
فتوح البلدان : للبلاذري احمد بن يحيى (٢٧٩هـ) : ليبزيغ ١٨٧٠م .
فجر الاسلام : لاحمد أمين : مصر١٣٤٧هـ/١٩٢٨م .
فرائد القلائد : للامام العيني محمود بن أحمد (٨٥٥هـ) : القاهرة ١٢٩٧هـ .
الفرج بعد الشدة : لابي علي المحسن القاضي (٣٨٤هـ) : مصر ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .
الفصول والغايات : للمعري أبي العلاء أحمد بن عبد الله (٤٤٩هـ) : القاهرة ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م .
فضائل القرآن : للحافظ أبي الفداء اسماعيل ابن كثير (٧٧٤هـ) : مصر ١٣٤٨هـ .
فقه اللغة وسر العربية :لابي منصور الثعالبي عبد الملك بن محمد (٤٢٩هـ) : مصر ١٣٤١هـ/١٩٢٣م .
فقه اللغة : للدكتور محمد المبارك : دمشق ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م .
فهرسة محمد بن خير الاشبيلي (٥٧٥ هـ) : الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م .
الفهرست : لابن النديم محمد بن اسحق (٣٨٥هـ) : المكتبة التجارية ، دونتاريخ.

فوات الوفيات : للكتبي محمد بن شاكر (٧٦٤هـ) : بولاق ١٢٨٣هـ .
في الادب الجاهلي : للدكتورطه حسين (١٩٧٣م) : الطبعة الثانية ١٩٢٧م .
في أصول النحو : لسعيد الافغاني : دمشق ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .
القاموس المحيط : للفيروزابادي محمد بن يعقوب (٨١٦هـ) : المكتبة التجارية بمصر الطبعة الخامسة .
قراضة الذهب : للحسن بن رشيق القيرواني (٤٦٣هـ) : مصر ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م .
قصص الانبياء : للثعلبي أحمد بن محمد (٤٢٧هـ) : القاهرة ١٣٠٦هـ .
قلائد العقيان : للفتح بن خاقان (٢٤٧هـ) : مصر ١٣٢٠هـ .
القول في البغال : للجاحظ عمرو بن بحر (٢٥٥ هـ) : القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .
الكامل في اللغة : للمبرد محمدبن يزيد (٢٨٦هـ) : لندن ١٨٦٥ م .
الكتاب : لسيبويه عمرو بن عثمان (١٦١ أو ١٦٨هـ) : بولاق ١٣١٦هـ .
كتاب الصناعتين : لابي هلال العسكري الحسن بن عبد الله (٣٩٥هـ) : مصر١٣١٩.
كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري : الاستانة ١٣٢٠هـ (وهي المرادة عند الاطلاق).
كتاب الكتاب : لابن درستويه عبد الله بن جعفر (٣٤٦-) : بيروت ١٩٢٧م .
الكشاف عن حقائق التنزيل : للزمخشري محمود بن عمر (٥٣٨هـ) : المطبعة الشرفية ، مصر ١٣٠٧هـ .
الكشاف للزمخشري : مصر ١٣٤٣هـ (وهي المرادة عند الاطلاق) .
كشف الظنون : للحاج خليفة (١٠٦٧هـ) : مصر ١٣٦٠هـ/١٩٤١م .
كنى الشعراء : لمحمد بن حبيب (٢٤٥هـ) : نوادر المخطوطات ـ المجموعة السابعة ـ مصر ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .
كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ : للتبريزي أبي زكريا يحيى بن علي (٥٠٢ هـ) : بيروت ١٨٩٥م .
لباب التأويل : للامام علاء الدين بن محمد بن ابراهيم المعروف بالخازن : مصر١٣١٧هـ
لسان العرب : لابن منظور محمد بن المكرم (٧١١هـ): طبعة بيروت .
لوامع البينات : للرازي فخر الدين محمد بن عمر (٦٠٦هـ) : مصر ١٣٢٣هـ .
المؤتلف والمختلف : للآمدي الحسن بن بشر (٣٧٠هـ) : تحقيق كرنكو ـ القاهرة١٣٥٤هـ
مبادىء اللغة : للاسكافي محمد بن عبد الله (٤٢١هـ) : مطبعة السعادة بمصر١٣٢٥هـ
المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة : لابي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢): دمشق١٣٤٨هـ.
المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : لابن الاثير نصر الله بن محمد (٦٣٧هـ) : مصر ١٢٨٢هـ .
مجاز القرآن : لابي عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠هـ) : مصر ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.

مجلة الهلال : لجرجي زيدان (١٩١٤م) : الجزء (١٦) ، السنة التاسعة ١٩٠١م .
مجمع الامثال : للميداني أحمد بن محمد (٥١٨هـ) : القاهرة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .
مجمل اللغة : لاحمد بن فارس (٣٩٥هـ) : مصر ١٣٧١هـ/١٩١٣م .
محاسن النثر والنظم : لابي هلال العسكري الحسن بن عبد الله (٣٩٥هـ) : مصر ــ دون تاريخ .
المحاسن والاضداد : للجاحظ عمروبن بحر (٢٥٥هـ) : دار العرفان بلبنان ــ دون تاريخ .
محاضرات الادباء : للراغب الاصفهاني الحسين بن محمد (٥٠٢هـ) المطبعة الشرقية ١٣٢٦هـ .
محاضرات الشيخ الخضري : مجلة القضاء الشرعي .
محاضره الابرار : لابن عربي محي الدين محمد بن علي (٦٣٨هـ) : المطبعةالعثمانية ١٣٠٥هـ .
المحبَّر : لمحمد بن حبيب (٢٤٥هـ) : حيدر آباد ١٣٦١هـ/١٩٤٢م .
محيط المحيط : لبطرس البستاني (١٨٨٣ م) : بيروت ١٨٦٧ ــ ١٨٦٩م .
مختار الصحاح : للرازي محمد بن أبي بكر (٦٦٦هـ) : مصر ١٣٢٠هـ .
المختار من شعر بشار : للخالديين : مصر ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م .
مختصر تهذيب الالفاظ : لابن السكيت يعقوب بن اسحق (٢٤٤هـ):بيروت١٨٩٧م.
مختصر جامع بيان العلم : للازهري أحمد بن عمر : مصر ١٣٢٠هـ.
مختصر المعاني : للتفتازاني مسعود بن عمر (٧٩١هـ) : الاستانة ١٢٧٧هـ .
المخصص في اللغة : لابن سيده علي بن الحسين (٤٥٨هـ) : بولاق ١٣١٦هـ .
مراتب النحويين : لعبد الواحد بن علي اللغوي (٣٥١هـ) : القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
مروج الذهب : للمسعودي علي بن الحسين (٣٤٦هـ) : المطبعة البهية المصرية .
المزهر في اللغة : للسيوطي (٩١١هـ) : دار احياء الكتب العربية بالقاهرة ــ ط١ ، دون تاريخ .
مسالك الابصار : لابن فضل الله العمري أحمد بن يحيى (٧٤٩هـ) : مصر ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م .
المستجاد من فعلات الاجواد : للتنوخي المحسن بن علي (٣٨٤هـ) : دمشق ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م .
المسلسل في غريب لغة العرب : للتميمي ابي طاهر محمد بن يوسف (٥٣٨ هـ) : مصر ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .

مسند الامام احمد:احمدبن محمد بن حنبل (٢٤١هـ) : مصر ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م .
مصادر الشعر الجاهلي : للدكتور ناصر الدين الاسد : دار المعارف بمصر ١٩٦٢م .
المصون في الادب : لابي أحمدالعسكري الحسن بن عبد الله (٣٨٢هـ) : الكويت ١٩٦٠م
المعارف : لابن قتيبة عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ) : المطبعة العامرية الشرقية بمصر ١٣٠٠هـ .
المعارف لابن قتيبة : المطبعة الاسلامية ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م (وهي المرادة عند الاطلاق) .
المعاني الكبير : لابن قتيبة (٢٧٦هـ) : حيدر آباد ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م .
معجم الادباء (ارشاد الاريب) : لياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٦هـ) : مصر ـ بعناية مرغليوث ـ دون تاريخ .
معجم البلدان : لياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٦هـ) : مصر ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م .
معجم الشعراء للمرزباني محمد بن عمران (٣٨٤هـ) : دار احياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م .
معجم الشعراء للمرزباني : تحقيق كرنكو ـ القاهرة ١٣٥٤هـ (وهي المراده عند الاطلاق) .
معجم ماستعجم : للبكري عبد الله بن عبد العزيز (٤٨٧هـ) : القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥ ـ ١٩٥١م .
المعرب من الكلام الاعجمي : للجواليقي ـ موهوب بن أحمد (٥٤٠هـ) : دار الكتب المصرية ١٣٦١هـ .
مغني اللبيب : لابن هشام النحوي عبد الله بن يوسف (٧٦١هـ) : المكتبة التجارية ١٣٧٢هـ .
مفاتيح الغيب (المعروف بالتفسير الكبير) : للفخر الرازي محمد بن عمر (٦٠٦ هـ) : مصر ١٣٠٧ هـ .
مفتاح العلوم : للسكاكي يوسف بن ابي بكر (٦٢٦هـ) : مصر ١٣١٧هـ .
المفردات في غريب القرآن : للراغب الاصفهاني الحسين بن محمد (٥٠٢هـ) : القاهرة ١٣٢٤هـ .
المفصل في علم العربية : للزمخشري محمود بن عمر (٥٣٨هـ) : مصر ١٣٢٣هـ
المفضليات : للمفضل بن محمد الضبي (١٦٨هـ ؟) : القاهرة ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م .
المقاصد النحوية : للعيني محمود بن احمد (٨٥٥هـ) : طبعت حاشية على خزانة بولاق .
مقامات الحريري القاسم بن علي (٦٢٠هـ) : شرح دوساسي ـ باريس ١٨٤٧ ـ ١٨٥٣م .

مقامات الزمخشري محمود بن عمر (٥٣٨هـ) مع شرحه عليها : مصر ١٣٢٥هـ .
مقامات الهمذاني بديع الزمان أحمد بن الحسين (٣٩٨هـ) : بيروت ١٩٠٨م .
مقاييس اللغة : لابي الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) : مصر ١٣٦٦هـ .
مقدمة لدراسة لغة العرب : لعبد الله العلايلي : المطبعة العصرية بمصر ، دون تاريخ.
ملوك حمير وأقيال اليمن (قصيدة نشوان بن سعيد الحميري (٥٧٣هـ) مع شرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك والتبابعة) : القاهرة ١٣٧٨هـ.
المنتحل : لابي منصور الثعالبي عبد الملك بن محمد (٤٢٩هـ) : الاسكندرية ١٣١٩هـ .
منتخبات من أخبار اليمن : لنشوان بن سعيد الحميري (٥٧٣هـ) : ليدن ١٩١٦م.
الموازنة بين الطائيين : للآمدي الحسن بن بشر (٣٧٠هـ) : القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م
الموجز في الادب العربي : للجنة من المؤلفين : دار المعارف بمصر ، دون تاريخ .
الموشح : للمرزباني محمد بن عمران (٣٨٤هـ) : القاهرة ١٣٤٣هـ .
نثار الازهار : لابن منظور محمد بن المكرم (٧١١هـ) : القسطنطينية ١٢٩٨هـ .
نزهة الالبا في طبقات الادبا : للانباري عبد الرحمن بن محمد (٥٧٧هـ) : مصر ١٢٩٤هـ
نزهة الجليس : للعباس بن علي الموسوي (بعد ١١٤٨ هـ) : طبعة قديمة لم أتبين منها مكان الطبع أو تاريخه.
نسيم الصبا : لابن حبيب الحلبي محمد بن الحسن (٧٧٩هـ) : بيروت ١٨٨٢م .
النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية : للاب لويس شيخو (١٩٢٧م) : بيروت ١٩١٩م
النقد الادبي : لاحمد أمين : الطبعة الثانية بمصر ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .
نقد الشعر : لقدامة بن جعفر (٣٢٠هـ) : مطبعة الجوائب بالقسطنطينية ١٣٠٢هـ .
نقد الشعر لقدامة : تحقيق كمال مصطفى ــ مصر ١٩٤٩م (وهي المرادة عند الاطلاق).
نهاية الارب : للنويري أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ) : دار الكتب المصرية ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م .
نهاية الارب في أخبار العرب : لاسكندر أبكاريوس الارمني (١٨٨٥م) : مرسيلية ١٨٥٢م.
نهاية الارب في معرفة أنساب العرب : للقلقشندي أحمد بن علي (٨٢١هـ) : بغداد ١٣٣٢هـ .
نهاية الايجاز في دراية الاعجاز : للفخر الرازي محمد بن عمر (٦٠٦هـ) : مصر ١٣١٧هـ
النهاية في غريب الحديث والاثر : لابن الاثير المبارك بن محمد (٦٠٦هـ) : طبعة البابي الحلبي ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .
النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير : القاهرة ١٣١١هـ (وهي المرادة عند الاطلاق) .
النيروز : رسالة لاحمد بن فارس (٣٩٥هـ) : نوادر المخطوطات ــ المجموعة الخامسة:

مصر ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .
همع الهوامع : للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ) : مصر ١٣٢٧هـ .
الوحشيات (الحماسة الصغرى) : لابي تمام حبيب بن أوس (٢٢٨هـ) : مصر١٩٦٣م
الوسائل الى مسامرة الاوائل : للسيوطي عبد الرحمن بن ابي بكر (٩١١هـ) : بغداد ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م .
الوساطة بين المتنبي وخصومه : للجرجاني علي بن عبد العزيز (٣٩٢هـ) : صيدا ١٣٣١ هـ .
الوشاح : لابن دريد محمد بن الحسن (٣٢١هـ) : بولاق ١٢٨١هـ .
وفيات الاعيان : لابن خلكان أحمد بن محمد (٦٨١هـ) : دار المأمون ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م
وفيات الاعيان لابن خلكان : مطبعة السعادة١٣٦٧هـ/١٩٤٨م (وهي المرادة عند الاطلاق)
يتيمة الدهر : لابي منصور الثعالبي عبد الملك بن محمد (٤٢٩هـ) : دمشق ـ المطبعة الحنفية .

مراجع باللغات الأجنبية :

Hitti, History of the Arabs, ed. I, London 1953.

Nicholson, A litrary History of the Arabs, ed. 7, Combridge 1956.

Encyclopédie de l'Islam, Vol. IV.

E. Power in MFO, v (1912), P. 145-95.

Huart in Journal Asiatique, v (1904), P. 125-167.

J. Frank Kamenetsky, untersuchungen über das verhaltnis der dem u. b. a. s-s. zugesehriebene Gedichte zum Qor'an (Diss Koenigsberg) Kirchhain N. L. 1911.

١٠ ـ فهرس محتويات الكتاب

تصويب

الصفحة والسطر	الخطـا	الصواب
١٩ : ٤	تَنَصَّر	تَنَصُّر
٢٠ : ١٧	عمرو بن زيد	زيد بن عمرو
٢٥ : ١	سفائهم	سفهائهم
٣٠ : ١	من عقيدة	عن عقيدة
٣٠ : ٢١	مبادؤها	مبادئها
٣١ : ١٧	في نبذ	على نبذ
٣٢ : ١	وفقنا	وقفنا
٣٤ : ٢ ، ٣	هوزان	هوازن
٣٤ : ١١	نزل بدأ	نزل بدراً
٣٦ : ١	ابن مناف	ابن عبد مناف
٦٢ : ٣	مسيحَهُمُ	مسيحُهُمُ
٨٥ : ٧	لم تجيء	لم تجىء
١٤٧ : ٩	لأمية في	لأمية بن
١٨٩ : ١٠	إلى أجل	لأجل
١٩٠ : ٤	من شاعر	عن شاعر
٢٠٦ : ١٤	التوراة	في التوراة
٢١١ : ١٢	وقد أثبتنا هذه الآيات ليظهر ..	وقد أثبتنا هذه الآيات في شرح الأبيات ليظهر ..
٢١٩ : ١٠	واجعل وزيراً	واجعل لي وزيراً
٢٦٠ : ١	وضربتِ	وضُربتْ

الصفحة والسطر	الخطأ	الصواب
٢٩٤ : ٢٢	لعبد المنعم عطية	لمحمد هاشم عطية
٣١٨ : ١٦	سمائياً	سمائيا
٣٤٦ : ١	بَرُحْنَ	يرُحْنَ
٣٦٧ : ١٩	١٣ : ٣	٧٢ : ٣
٣٧٩ : ٨	وما نؤخر	وما نؤخره
٣٨٧ : ١٦	سورة طه	سورة الزمر
٣٩٨ : ١٢	ثم وهاجت	ثم هاجت
٤٠١ : ٣	وَصواراً	وِصُواراً
٤٠٧ : ١٣	شرية	ابن شرية
٤٢٠ : ٢	قائدها	سائقها
٤٢٢ : ١٤	تَتَظَّى	تَتَلظَّى
٤٢٤ : ٣	فسائتهم	فساءتهم
٤٣٢ : ٣	مُوائِلًا	مَوائِلًا
٤٤٨ : ١٠	تعصاك	بعصاك
٤٤٨ : ١٣	اختلافيها	اختلافها
٤٤٩ : ٦	ويصهر	يُصهَرُ به
٤٥٨ : ٢٢	الهذاني	الهمداني
٤٧٧ : ٢٠	ولا يصدعون	لايصدعون
٤٨١ : ١٧	إنه كان خِطْأً	إن قتلهم كان خِطْأً
٤٩٢ : ٩	أبيه الصلت	أبي الصلت
٤٩٢ : ١١	العكبة	الكعبة
٤٩٧ : ٤	الحالق	الخالق
٥١٩ : ١٨	٣:١١	١٤ : ٣

الصفحة والسطر	الخطـأ	الصواب
٥٣٣ : ٢	لأَوْدِي	لأَوْلادِي
٥٣٥ : ١٤	جَنيتُه	جَنيتَه
٥٤١ : ٥	العلاقة	العلامة



المطبعة التعاونية بدمشق

١٩٧٤/١/٢٠٠٠